الموسوعة العالمية لسعادة البشرية ٣

هذا هو الإسلام

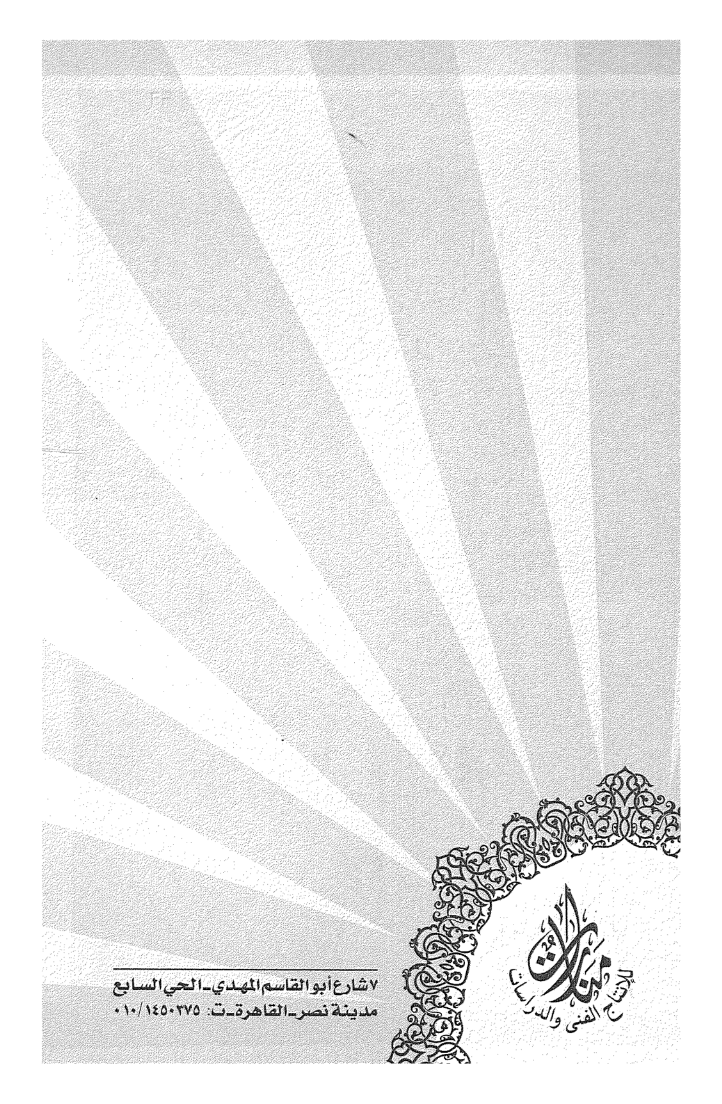
تأليف
محمد مصطفى



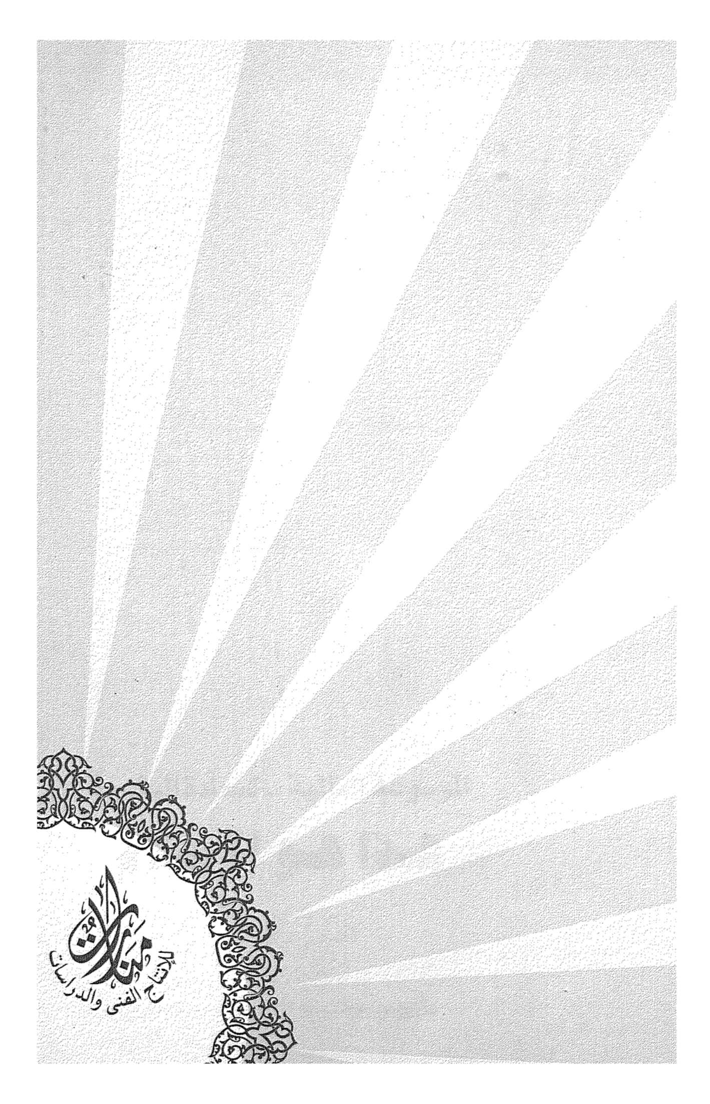
تقديم

أ. د. محمد عمارة

فضيلة الشيخ: عبد الخالق الشريف



٧ شارع أبو القاسم المهدي - الحي السابع
مدينة نصر - القاهرة - ت: ٠١٠/١٤٥٠٣٧٥


مدارات
للإنتاج الفنى والدراسات

الموسوعة العالمية .. لسعادة البشرية

هـذا هـو الإسـلام

الجزء الثالث

تأليف : محمد مصطفى عباس

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عباس ، محمد مصطفى
الموسوعة العالمية.. لسعادة البشرية
هذا هو الإسلام ـ تأليف : محمد مصطفى عباس
تقديم : محمد عمارة ، عبدالخالق الشريف .
ط ٠١ ـ القاهرة : منارات للإنتاج الفني والدراسات : ٢٠١٠

ط ، س
تدمك ٦ ـ ٣٥ ـ ٦٢٥٢ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨
١ ـ الإسلام ـ موسوعات
أ ـ عمارة ، محمد مصطفى (مقدم)
ب ـ الشريف ، عبدالخالق (مقدم مشارك)
جـ ـ العنوان ٣,٢١٠

رقم الإيداع : ٥٩٣٥ / ٢٠١٠
التاريخ : ٧ / ٣ / ٢٠١٠

الجزء الثالث

الطبعة الثانية
١٤٣١ هـ
٢٠١٠م

صف وإخراج
محمود محمد المتولي عوض حجاز
مصر ـ المنصورة ـ مركز طلخا ـ ميت عنتر
☎ ٢٥٢٩٩٠٧ / ٠٥٠ / ٠٠٢ محمول ٠١٢٧٤٠٣٢١٥

منارات للإنتاج الفني والدراسات
٧ ش أبو القاسم المهدي ـ من ش الإمام أحمد بن حنبل
الحي السابع ـ مدينة نصر ـ القاهرة
☎ ٠١٠١٤٥٠٣٧٥ ـ ٢٢٦٢٤٩٩٨

راجعها خبراء متخصصون

الموسوعة العالمية .. لسعادة البشرية

هذا هو الإسلام

الجزء الثالث

تأليف

محمد مصطفى عباس

تقديم

الأستاذ الدكتور: محمد عمارة

فضيلة الشيخ: عبد الخالق الشريف

الطبعة الثانية

منارات للإنتاج الفني والدراسات

مصر


بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس

الفهم والدعوة والتفسير

الفصل الأول: الفهم .. وفيه أربعة مباحث :

١ ـ فوضى الفهم للإسلام .

٢ ـ كيف نفهم هذا الدين ؟

٣ ـ كارثة سب العلماء .

٤ ـ نتائج الفهم الصحيح للإسلام: (العمل للدين مسئولية الجميع ـ فقه الأولويات ـ نملة أنقذت أمة).

الفصل الثاني: فن الدعوة .. وفيه أربعة مباحث :

١ ـ تعريف الدعوة والداعي .

٢ ـ آداب الدعاة .

٣ ـ فن الحوار ، وأدب الاتصال .

٤ ـ وسائل دعوية .

الفصل الثالث: التفسير.. وفيه:

سبعة عشر درسًا من سورة يوسف.. للناس عامة.. وللدعاة خاصة.

الباب الخامس

الفهم والدعوة والتفسير

نحن في حياتنا نضيق ذرعاً بالغباء والأغبياء.. ونضجر من بطئ الفهم.. لذا فالعقل نعمة كبرى لتعلق الفهم به.. ولذا مرّ العقل البشري بأطوار مختلفة، فكان التشريع ينزل مخاطباً العقل البشري في طوره الموجود، حتى إذا وصل العقل البشري إلى قمة النضج.. جاء هذا الدين ليخاطب العقل الراشد، لما للعقل من مكانة في الإسلام.

إذ العقلُ في الإسلام مناط التكليف، فليس ثمة أمرٍ أو نهي لمن غاب عقله، قال ﷺ: «**رُفِعَ القلم عن ثلاث: المجنون حتى يفيق، والصبي حتى يحتلم، والنائم حتى يستيقظ**»(١) .

وكفى بالقرآن دليلاً على مكانة العقل أن كلمة العقل ومشتقاتها دارت أكثر من ستة وخمسين مرة في القرآن الكريم، حتى أنه قال حكايةً عن المشركين: ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ (المُلك: ١٠).

والأصل القرآني في ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ (فاطر: ٢٨).

والعلماء جمع عالم، وَعَلِمَ الشيء: أي عرفه(٢) ، فالذين يخشون الله تعالى هم الذين عرفوه خالقاً لهم خالقاً للكون.

وهذا الكتاب (القرآن) شاهد على ما سبقه، يقول الله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ**

---

(١) رواه البخاري، طلاق ١١ ، حدود ٢٢ .

(٢) المعجم الوسيط، مادة (علم) .

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨).

مهيمناً: يعني رقيباً أو شاهداً على ما سبقه.. فهذا الكتاب هو الصورة الأخيرة لدين الله، وهو المرجع الأخير في هذا الشأن، والمرجع الأخير في منهج الحياة وشرائع الناس ونظام حياتهم، بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل(١).

لذا أصبح من ألزم الواجبات على البشرية أن تفهم هذا الكتاب (القرآن) جيداً، ففيه كل شيء في حياة الناس وشرائعهم(٢).

وهذا الباب يحتوي على ثلاثة فصول.. هي :

الفصل الأول: الفهم .. وفيه أربعة مباحث:

١ ـ فوضى الفهم للإسلام.

٢ ـ كيف نفهم هذا الدين؟

٣ ـ كارثة سب العلماء.

٤ ـ نتائج هذا الفهم الصحيح (العمل للدين مسئولية الجميع ـ فقه الأولويات ـ نملة أنقذت أمة).

الفصل الثاني: فن الدعوة .. وفيه ستة مباحث:

١ ـ تعريف الدعوة والداعي.

٢ ـ آداب الدعاة.

٣ ـ فن الحوار، وأدب الاتصال.

٤ ـ وسائل دعوية.

الفصل الثالث: التفسير.. وفيه سبعة عشر درساً من سورة يوسف..

---

(١) تفسير الظلال، مجلد ٢ ص ٨٨٦.

(٢) هذا الباب لازم لكل مسلم، فكلنا مُبَلِّغُون عن الله تعالى، وكلنا دعاة إلى الله تعالى، سواء بالقول أو الفعل والسلوك، فليس في الإسلام رجل دين.

الفصل الأول

الفهم

المبحث الأول : فوضى الفهم للإسلام.. مظاهره وعلاجه.

المبحث الثاني : كيف نفهم هذا الدين ؟

المبحث الثالث : كارثة سب العلماء .

المبحث الرابع : نتائج الفهم الصحيح للإسلام :

١ ـ العمل للدين لأنه مسئولية الجميع.

٢ ـ فقه الأولويات : التطبيق العملي .

٣ ـ نملة أنقذت أمة .

المبحث الأول

فوضى الفهم للإسلام .. مظاهره وعلاجه [1]

فَهِمَه ـ فَهماً: أحسن تصوره .

أفْهَمَهُ الأمر: أبانه له ووضحه.

الفهم: حسن تصور المعنىٰ.

الفهامة: الشديد الفهم [2] .

بعد بيان المعنىٰ اللغوي . . نُحب أن نشير إلىٰ أن القرآن الكريم عُني بقضية الفهم في إشارات صريحة في أكثر من موضع، إذ جاء في سورة الأنبياء: ﴿ **وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا** ﴾ .

حيث لم يتمكن من الحكم الصحيح إلا بعد أن رزقه الله فهماً سليماً .

وجاء في سنة النبي ﷺ قوله : «**نضَّر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمع، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع**»[3] .

والشاهد هنا هو الوعي، أي الفهم السليم، والإدراك الجيد.

كما شغلت هذه القضية حيزاً واسعاً من اهتمام العلماء والمفكرين، فكتب **الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ** رسالة التعاليم، للتأكيد علىٰ قضية الفهم، وَأَلَّفَ **الشيخ الجليل محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ** كتابه الفذّ (كيف نفهم الإسلام) .

---

(١) كتاب الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به، أ.د. عبد الحليم عويس، ط. دار الصحوة بالقاهرة.

(٢) المعجم الوسيط، مادة فهم.

(٣) رواه أبو داود، علم ١٠ ، والترمذي، علم ٧ ، وابن ماجة، مقدمة ١٨ ، ومناسك ٧٦، والدارمي، مقدمة ٢٤، وأحمد ١/ ٤٣٧ ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح .

وغير ذلك من الكُتب في الفهم السليم وأثره، وخطورة الفهم الخاطئ على الأمَّة دينها ومستقبلها.

لأن من جهل شيئاً عاداه، فالذي لا يفهم الإسلام يجهل تعاليمه وقوانينه، وبذلك تكون عدواً لدينك الذي تجهله . . وتكون النتيجة أن تحارب عدوك فتحارب دينك وأنت لا تدري، فتدخل ـ لا قدَّر الله ـ في فئة ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ وأنت لا تدري.

أخي القارئ الحبيب . . إن للأمم في مراحل نموها خصائص تتميز بها، ولها ـ كذلك ـ في مراحل تخلفها خصائص فكرية وسلوكية تتميز بها.

وكما أنه في عصر القوة تتحول الكلمات إلى إشراقات في الفكر، وسمو في السلوك، كذلك في عصر الضعف تتحول الكلمات ـ بتأثير عقل متلقيها وفكره المشوَّه ـ إلى رؤية عاجزة جزئية، وإلى سلوك هزيل.

إن الكلمة هي الكلمة، والتوجيه ـ بألفاظه ومضمونه ـ هو التوجيه . .

فما بال الأمر اختلف هذا الاختلاف الشديد؟

إن تفسير هذا الأمر ليس معضلة من المعضلات، بل إنه حقيقة من حقائق الحياة، يلمسها الناس كل يوم، ويرونها في معايشتهم لغيرهم، لكنهم قلما يربطونها بأصولها الصحيحة.

فإن الناس ـ كل الناس ـ يَرَون شخصين حصَّلا قدراً معيناً من العلم، استويا فيه، وأصبحا ـ بسببه ـ في مواقع متصلة بخدمة أمتهم . .

فأما **أحدهما** فإنك ترى علمه قد نفعه، فهو حريص على إنجاز الأعمال، وعلى تجويدها، وعلى خدمة أمته بضمير وإخلاص . . إن (عمله) قد جعله يحس بالواجب نحو الضعفاء والجهلاء، وهو حريص على أداء الواجب.

أما **ثانيهما**، فهو يحس بأن علمه أعطاه (امتيازاً)، وأنه أصبح صاحب (حق) في الاستعلاء، وفي النظر إلى الناس من شاهق، وإنه دائماً ليطالب بمزيد من (الحقوق) دون تفكير في (الواجبات)!!

« فكيف تباين موقف هذين الشخصين هكذا، مع أنهما كانا يجلسان على منضدة واحدة، ويتلقيان مناهج واحدة، من أستاذ واحد . . وقد حصَلا على مؤهل واحد؟

إنه لا عيب في المنهج ولا الأستاذ، وإنما العيب في (الوعاء) نفسه، وكما أن الشمس لا تجعل الأعمى يبصر، فكذلك حقائق الإيمان وومضات العلم، لا تهدي الضال . . إلا إذا كان مؤهلاً لذلك، وإلا إذا تحكم في قواه المتلقية، وفتحها على إشعاعات الرقي والسمو ! !

إن القرآن الذي تنزل على محمد ﷺ هو القرآن الذي مازال بين أيديَ المسلمين، وإن آثار الجاهلية التي لمسها الجيل الأول، يلمسها المسلمون في تخلُفهم في العصر الحديث، وكأن التاريخ يعيد نفسه ! !

ومع ذلك يبقى موقفهم (الحضاري) من القرآن والإسلام غاية في الضعف والخمول . . وذلك خلال الحقبة الطويلة المسماة بالعصر الحديث ! ! ومرد ذلك أنهم لا يتلقون الإسلام (للتغيير الشامل)، وإنما يتلقونه أداء لواجب تقليدي وراثي لا ضير لديهم في أن يحافظوا عليه .

* إنهم لا يريدون الشيوعية الإلحادية .
* وهم لا يريدون النصرانية ولا اليهودية ولا الوثنيات ! !
* وهم لا يريدون أن يعيشوا ـ من الناحية الرسمية ـ دون أن يحملوا كما قال ابن المقفع : شعار دين ينتسبون إليه .

فابن المقفع ـ كما هو معروف ـ عندما قال لجلسائه إنه يريد أن يعتنق الإسلام في الغد، ثم وجد الوقت ليلاً فأخذ يدندن برموز الوثنية، فسألوه في ذلك، فقال : إنه يخشى أن يبيت على غير دين ! ! أي دين؟

فبالنسبة للمسلمين في عصور الضعف، ولابن المقفع، لا يحتمل موقفهم من الإسلام إلا هذا الموقف المحدود ! ! يُقرأ عليهم القرآن فيدندنون ويهمهمون، ويأمرهم (بالجهاد) ويوعد (الكانزين) بعذاب جهنم، فيطربون، ويهللون . . ولا مانع من أن يؤدوا الصلاة ويحجوا، ويصوموا رمضان المبارك، شهر الخيرات والسهرات والفوازير »[1] .

---

(١) الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به، ص ٢٦ ، ٢٧ .

إنني أرىٰ أنه من العبث أن نناقش أعداء الإسلام أو أن نشغل أنفسنا بالرد عليهم قبل أن نحسن ـ نحن المسلمين ـ (فهم الإسلام)، كما أنه من سوء التخطيط أن ندعو الناس إلىٰ دين نحن لا نمثله التمثيل الصحيح، إن تأثيرنا سيكون محدوداً للغاية، إن لم يكن معاكساً، وكثير من الذين دخلوا في الإسلام حمدوا الله علىٰ أنهم دخلوه قبل أن يعرفوا المسلمين، في فهمهم وفي تطبيقهم للإسلام.

وبالتالي فإن من أكبر واجبات المخلصين لهذا الدين أن يعيدوا فهم المسلمين للإسلام إلىٰ حقيقته الصالحة، وأن يقضوا علىٰ فوضىٰ الفهم للإسلام في العالم الإسلامي.

* فالصوفي يرىٰ الإسلام هو الصوفية.
* وعدو الصوفية يرىٰ الإسلام هو مجرد مقاومة البدع والطرقية بعد الأداء الرتيب للأركان!!
* والمحافظ علىٰ سنة رسول الله ﷺ في ملبسه وهيئته يرىٰ الإسلام في هذه المحافظة، ويرفض الاقتناع بأي مسلم يخالف هذه الهيئة، حتىٰ ولو كان محافظاً علىٰ الأركان الخمسة، وعلىٰ ستين شعبة من شعب الإيمان!!
* والشيعي يرىٰ الإسلام هو حب آل البيت، وسب بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.
* والعقلاني يرىٰ الإسلام دين العقل، والعقل عنده قبل النص، ودون أن يسأل نفسه: هل يكون هذا ديناً أم نظرية فلسفية بشرية؟!

ومن أنكد النكد في الفكر الإسلامي الحديث: إن إبادة شعب مسلم بأكمله، وإن تكبيل شعب مسلم وحرمانه من حقوقه في ممارسة دينه وحريته، بل والتنكيل به شر تنكيل، قد لا تشغل من فكر بعض الناس ـ وحتى بعض الجاهلين للإسلام ـ قدر ما يبذلون من جهد وطاقة في المحافظة على أشياء ربما يكون ترتيبها في قائمة الإيمان بعد (الحياء الذي هو شعبة من الإيمان) بعشرين درجة.

* فإن أمريكا تدرب قواتها لاحتلال الخليج ! !(١)

* وإن شعوباً إسلامية تجلد كلها ، وتجري عملية إبادتها وتصفيتها على مرأى الناس . . جميعاً . . ! !

* وإن الحرية مختلفة بالنسبة لمعظم المسلمين ، والشورى مفقودة تقريباً .

* وإن الأقليات الإسلامية تخضع لبرنامج إبادة دولية ! !

إن معظم هذه القضايا لا تحتل من اهتمام بعض المسلمين المكانة الجديرة بها ، بينما تصدت قضايا أخرى (ثانوية) أو على الأقل (في درجة متأخرة) عن هذه القضايا . . بحيث اختلطت الأمور اختلاطاً شديداً ، وأصبح المسلمون لا يعرفون الفرق بين الواجب العيني والكفائي ، ولا بين المكروه والمباح ، ولا الفرق بين القضايا المصيرية والقضايا الثانوية .

تماماً مثلما قيل عن **أهل بيزنطة** الذين سقطت مدينتهم وهم مشغولون بالجدال حول الأصل في الدجاجة : الكتكوت أم البيضة ! !

ومثلما سقطت **أثينا** من قبل وهي مشغولة بالقضايا التي طرحها السوفسطائيون وشغلوا بها (العقل الإغريقي) عن الحركة مع الحقائق في الاتجاه الصحيح .

وإني اعتقد أنه من الضروري في هذا المقام أن أضرب مثلاً بثلاث نوعيات من القضايا اختلطت فيها الموازين لدى المسلمين في عصرهم الحديث .

فهناك قضايا (أساسية) لكنها تقع في حيز النسيان من اهتمام كثير من المسلمين الملتزمين ، وقد ضربنا مثلاً بعدد من القضايا ، ونحن نوجز هذه القضايا في المشكلات التالية التي تهدد مصير الإنسان المسلم على هذه الأرض .

من هذه القضايا المصيرية المهملة:

١ ـ حقوق الإنسان المسلم ، وعلى رأسها الحرية .

---

(١) من كتاب : (الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به) وقد طبع طبعته الأولى في عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م أي قبل احتلال أمريكا الخليج بحوالي خمس سنوات ، ثم احتلت أمريكا الخليج في أغسطس ١٩٩٠م .

٢ ـ قضية الشورىٰ، وحق المسلم في إبداء الرأي.

٣ ـ قضية الفقر والجوع لدىٰ شعوب الإسلام، وضرورة التكافل الاجتماعي بين المسلمين كلهم علىٰ ظهر هذه الأرض.

٤ ـ قضية الاقتصاد الإسلامي (والبنوك اللاربوية ـ المؤسسات والشركات الإسلامية) وضرورة تطبيق الشريعة مع العقيدة ووسائل ذلك.

٥ ـ تخلف المسلمين في العلوم الطبيعية والرياضية.

٦ ـ الثورة الإدارية الإسلامية.

٧ ـ بنك المعلومات الإسلامي.

٨ ـ استيراد الكماليات وخطره.

٩ ـ الغزو الفكري وخطر المدارس والجامعات الأمريكية والتبشيرية.

١٠ ـ التصفية الجسدية للإنسان المسلم في العالم.

١١ ـ الأقليات الإسلامية.

١٢ ـ الاحتلال الصهيوني وتهويد القدس والجولان وغيرهما.

١٣ ـ الاحتلال الشيوعي لثلاثمائة مليون مسلم في روسيا والصين وألبانيا وغيرهما.

١٤ ـ مخطط إندونيسيا وإفريقيا التبشيري.

١٥ ـ التسليح الذري والنووي للعالم الإسلامي، وأهميته المصيرية، في مواجهة الهندوس واليهود والشيوعيين والنصارىٰ.

وهناك قضايا متأخرة تصدرت وأخذت من العقل الإسلامي الحديث أكثر من حجمها وحقها.. ومن هذه القضايا:

١ ـ رفع الصوت أو عدم رفعه في كلمة (آمين). . في الصلاة.

٢ ـ إسدال الثوب أو رفعه عن الأرض.

٣ ـ اختلاف في الحجاب، هل هو النقاب الكامل أو يجوز بكشف الوجه والكفين؟

٤ ـ هل الصور الفوتوغرافية حلال أم حرام؟.

٥ ـ كيف كان يأكل الرسول ﷺ أو ينام أو يمشي؟!

وهناك قضايا عولجت بطريقة خاطئة واشتط فيها البعض، وانحرف فيها البعض، وعلى كل فالملاحظ أن هذه القضايا عولجت بعيداً عن ثلاث قواعد أساسية في التصور الإسلامي..

وهذه القواعد الأساسية هي:

١ ـ ضرورة الربط بالبناء الإسلامي الشامل والكامل.

٢ ـ ضرورة الربط بالقاعدة الأصولية القائلة بأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

٣ ـ والربط ـ كذلك ـ بالمصالح الكبرى والمردود الفعلي لكل سلوك بعيداً عن التشنج والانفعال المرحلي.

ومن هذه القضايا التي عولجت بطريقة خاطئة:

١ ـ تكفير طوائف كثيرة من الأمة.

٢ ـ تكفير الحكام أو تفسيقهم.

٣ ـ الصلاة في المساجد أو عدم الصلاة لأنها بنيت بأيدي الحكومة.

٤ ـ السلفية أفضل أم المذهبية أفضل ؟.

٥ ـ تعليم المرأة جائز أم لا وفي أي حدود؟!

٦ ـ الأغاني حلال أم حرام ؟

٧ ـ اللحية ومكانتها في السلوك الإسلامي.

وإنه لمن الضروري ـ في هذا المقام ـ أن أقول:

إن من حق كل مسلم (بلغ درجة الاجتهاد) أن يطبق على نفسه ما يؤديه إليه اجتهاده، وإن من الأهمية بمكان أن يعي كل مسلم مجتهد أن اجتهاده لا يجعله فيما وصل إليه أفضل من غيره، فقد يكون غيره أفضل منه في جوانب أخرى.

المجتهد والاجتهاد (١) :

الاجتهاد : بذل الجهد واستفراغ الوسع لاستنباط الأحكام الشرعية من مظانها وأدلتها، وعلىٰ هذا فالمجتهد هو من قامت فيه مَلَكة الاجتهاد، أي القدرة علىٰ استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية(٢) .

ويوزن المسلم - أي مسلم - بدوره في حركة المجتمع، وبالفائدة النهائية التي تعود من جهوده واجتهاداته علىٰ المجتمع الإسلامي داخلياً وخارجياً، ثم بمدىٰ تطابق حركته في مجملها مع البناء الإسلامي الكامل المتوازن المنسجم، ذاك هو المقياس الثابت .

أما غير ذلك فهو من الانحراف والهوىٰ . . الممثلين في الجزئية والإسقاطات المذهبية، وفرض النزعة الشخصية ، وما يتبع ذلك من عوامل الانحراف واتباع الشهوات والميل العظيم، قال تعالىٰ : ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً** ﴿٢٧﴾ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴿٢٨﴾ ﴾ (النساء) .

---

(١) الاجتهاد، راجع الباب الثاني من هذه الموسوعة .

(٢) الوجيز، للدكتور عبدالكريم زيدان ، ص ٤٠٢ .

المبحث الثاني

كيف نفهم هذا الديـن؟

يقصد بمصطلح الدين (١) أنه الانقياد الكلي لله، وفق المنهج الذي يحدده سبحانه، فإن التكامل بين الاعتقاد والتشريع والأخلاق ضرورة في كل دين.

ومهما يكن الجانب التشريعي قليلاً في أي دين فإن هذا الدين لابد وأن يؤدي بالضرورة إلىٰ ربط سلوك الفرد بتعاليم الله وإلا كان الدين مجرد تأثيرات نفسيه لا رصيد لها من الواقع، كما هو الحال الذي آل إليه أمر النصرانية في كثير من حقب التاريخ، بسبب إهمال القائمين عليها للجانب التشريعي والاعتماد علىٰ النصح الأخلاقي الفردي وبسبب شيوع ذلك الشعار الخادع بين أوساط المؤمنين بها «أعط مالله لله، وما لقيصر لقيصر»، فهذه القسمة لا يمكن أن يرضىٰ بها الله سبحانه وتعالىٰ وليست من طبيعة الدين. . أي دين.

إن (ملكوت الله) شاء النصارىٰ أم أبوا هو الدنيا والآخرة معاً، ولا يليق بمقامه وقدره (جل جلاله) أن يشاركه أحد من عباده في كونه دنيا وآخرة.

ولذا فالشريعة ـ والأخلاق مكملة لها ـ إنما هي جزء من العقيدة الدينية، وهي هدفها، والعلاقة بينهما هي العلاقة التي تربط القلب بالدم.

ـ إذن فالعقيدة جانبها التشريعي المؤكد لها في واقع الحياة.

ـ وما يسمىٰ شريعة قد يندرج أحياناً في الأخلاق.

ـ والأخلاق قد تفرض أو تقنن وتصير تشريعاً.

بل إن الإجحاف بالعقيدة، أي الإشراك بالله، قد اعتبره القرآن عملاً منافياً للأخلاق وللتشريع، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ

---

(١) تعريفات الدين، محمد عبد الله دراز ، كتاب: الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به.

بالله إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان : ١٣).

والآية الواحدة من القرآن قد ترد وهي شاملة لجوانب العقيدة والشريعة والأخلاق دون أية انفصامية، ولنضرب مثلاً بالآية الكريمة : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾ (الأنعام).

فجمع القرآن في آية واحدة بين الجوانب الاعتقادية والتشريعية والأخلاقية، تلك هي طبيعة البناء الإسلامي الذي يمكن أن يسمى إسلامياً إنها كطبيعة الكيان البشري.. وكما لا يجوز في الكيان فصل الرأس عن الجسم وعن القلب.. فكذلك لا يجوز تصور شيء اسمه الإسلام تنفصل فيه العقيدة عن الشريعة وعن الأخلاق.. ومن هنا تأتي ضرورة فهم الإسلام فهماً صحيحاً سليماً كما فهمه أهل السنة والجماعة والسلف الصالح رضوان الله عليهم.

إن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو:

١ - دولة ووطن أو حكومة وأمة.

٢ - وهو خُلُق وقوة أو رحمة وعدالة.

٣ - وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء.

٤ - وهو مادة وثروة أو كسب وغنى.

٥ - وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة.

٦ - كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء.(١)

ويجب على المسلم أن يفهم دينه في هذا الإطار دون تساهل في شيء، ودون تنطع أو تشدد في شيء.. فهكذا فهم أهل السنة والجماعة والسلف الصالح رضوان الله عليهم هذا الدين.

---

(١) الأصل الأول من الأصول العشرين، للإمام حسن البنا ـ رحمه الله.

وبهذا تجد أن الإسلام كلٌ لا يتجزأ، وأن الدعوة الإسلامية في حقيقتها هي:

١ - **دعوة سلفية** .. لأنها تدعو إلىٰ العودة بالإسلام إلىٰ معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.

٢ - **وطريقة سنية** .. لأنها تحمل أصحابها علىٰ العمل بالسنة المطهرة في كل شيء وبخاصة العقائد والعبادات.

٣ - **وحقيقة صوفية**.. لأن أصحابها يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب، والمواظبة علىٰ العمل، والحب في الله، والارتباط علىٰ الخير، والإعراض عن الخَلْق.

٤ - **وهيئة سياسية**.. لأن أصحابها يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل وصلة الأمة الإسلامية بغيرها وتربية الشعب علىٰ العزة والكرامة.

٥ - **وجماعة رياضية**. . لأن أصحابها يعتنون بجسومهم، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي الحديث: «**إن لبدنك عليك حقاً**»(١)، وتكاليف الإسلام تحتاج جسماً قوياً.

٦ - **ورابطة علمية وثقافية**. . لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة.

٧ - **وشركة اقتصادية**.. لأن الإسلام يعنىٰ بتدبير المال وكسبه من الحلال: وفي الحديث: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»(٢). وفي الحديث: «**من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له**»(٣).

٨ - **وفكرة اجتماعية**.. لأن أصحابها يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي ويحاولون الوصول إلىٰ طرق علاجها وشفاء الأمة منها.

---

(١) رواه البخاري، صوم ٥١.

(٢) أحمد في المسند، جزء ٤ ص ١٩٧، والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح.

(٣) أحمد في المسند، جزء ٣ ص ٤٦٦، وفي مجمع الزوائد قال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم. . وكالاً يعني: متعبًا.

فإذا كان البعض الذي لا يفهم شمول الإسلام يتجه إلىٰ ناحية واحدة من هؤلاء . . فأنت تتجه إليها جميعاً . . وتعلم أن الإسلام يطالبنا بها جميعاً(١) .

والآن نذكر إجمالاً بعض القواعد والأصول اللازمة للفهم الصحيح للإسلام :

١ ـ القرآن والسنة مرجع كل مسلم في التعرف علىٰ أحكام الإسلام . . ويُفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية ، ويُرجع في فهم السنة المطهرة إلىٰ رجال الحديث الثقات .

٢ ـ التمائم والرقي والودع والرمل والمعرفة والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته ، إلا ما كان من آية من قرآن أو رقية مأثورة .

٣ ـ الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ، ولا يؤدي إلىٰ خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف ، في ظل الحب في الله ، والتعاون علىٰ الوصول إلىٰ الحقيقة من غير أن يجر ذلك إلىٰ المراء المذموم والتعصب .

٤ ـ وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نُهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات في الأحكام التي لم تقع ، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم ، وما شجر بينهم من خلاف ، ولكلٍ منهم فضل صحبته وجزاء نيته .

٥ ـ وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة ، بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أياً كانوا ونداءهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قُرب أو بُعد ، والنذر لهم ، وتشييد القبور ، وسترها ، وإضاءتها ، والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات ، كبائر تجب محاربتها ، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة .

٦ ـ لا تكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدىٰ الفرائض برأي أو معصية ، إلا إن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كَذَّبَ صريح القرآن ، أو فسَّره علىٰ وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر(٢) .

(١ ، ٢) مجموعة الرسائل للإمام البنا ـ رحمه الله ـ .

المبحث الثالث

كارثة سبّ العُلماء [١]

الكارثة: النازلة العظيمة والشدة، جمعها: كوارث، كرثته الكوارث: أقلقته[٢].

العالم: علم فلان الشيء علماً، وجمعها: علماء، وفي القرآن الكريم: ﴿**لاتعلمونهم الله يعلمهم**﴾ (الأنفال: ٦٠).

بعض الناس لا يشغلون أنفسهم بمقاومة الشر والأشرار، وإنما يشغلون أنفسهم بإيذاء الأخيار والمكر والكيد لهم بالليل والنهار، وبيان أن ما صنعوه من الخير أمر لا يدخل في حيز الصالحات، وإن مقاومتهم للشر لا تدخل في تغيير المنكرات، وآفة هؤلاء البعض أن الموازين لديهم مقلوبة، فالشر من الأشرار مسكوت عنه، والخير من الصالحين الأبرار يقاومونه باللسان ولو استطاعوا أن يقاوموه بالسنان لفعلوا، ولو استطاعوا أن يشوهوا كل خير وأن يقلبوا كل فضيلة يفعلها الصالحون ويحولوها إلى رذيلة ما ترددوا، يغفل هؤلاء عن أن (لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أعراض منتقصيهم معلومة، ومن وقع فيهم بالثلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب).

وكثير من الذين تعرضوا للعلماء والصالحين في القديم والحديث أصابهم الذل والهوان، وأحاط بهم القهر والحرمان، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ (الأحزاب: ٥٧).

---

(١) العالم الذي أتحدث عنه هو العالم العامل بعلمه، أي الذي يطبق ما يقول ولا يخشى في الله لومة لائم، وليس من علماء السوء الذين مقصدهم من العلم التنعم بالدنيا، والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها، للحديث: «**لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً**»، أخرجه الدارمي، مقدمة ٣٤، والعراقي في تخريج أحاديث الإحياء قال: أخرجه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء، والبيهقي في المدخل موقوفاً على أبي الدرداء.

(٢) معجم الوسيط، الجزء الثاني، ص ٨١٣، كرث، ص ٦٤٧ علم.

ولو أن إيذاء الصالحين قاصر على الأعداء المجرمين لهان الأمر، ولقلنا موتورون ينفسون عن غيظهم الكظيم، ولكن هذا الإيذاء يقوم به كذلك بعض المسلمين الذين تنتظمهم جماعات إسلامية، ويصنفهم الناس على أنهم من العاملين للإسلام، الداعين إلى نصرته، ويدفع هؤلاء إلى الإيذاء التنافس أو الحسد، ولو أحسنوا لأنفسهم، وأنصفوا في حكمهم لعلموا أنهم متجاوزون حدود الله، وأنهم بذلك قد ظلموا أنفسهم: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (الطلاق: ١).

إن إيذاء أي إنسان ـ بغير حق ـ مرفوض في الإسلام، بل إن إيذاء الحيوان مرفوض كذلك، لقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فما بالك بمن يؤذي إنساناً مسلماً يعمل في سبيل الدعوة، ويقدم من ماله وجهده ووقته ما يستطيع من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا؟ **اهؤلاء يجوز إيذاؤهم؟**

هل يُؤمن دعاؤهم على ظالميهم ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب؟

وقد رأينا أناساً يأخذهم حماسهم الدعوي ـ بحسب ما يقولون ـ؛ لأن يتعرضوا للآخرين بالتجريح والتسفيه لرأي رأوه أو قول قالوه[١].

خطورة هذه الكارثة :

١ ـ إنها خادمة لأبعاد واتجاهات سياسية يوجهها أصحابها كما يريدون فتصدر الفتاوى إرضاءً للحكام وحفاظاً على المناصب والأموال وليس هذا فحسب بل يسارع صاحب الفتوى بسب كل العلماء ووصفهم بأشنع الألفاظ[٢].

أذكر واقعة للتدليل وليس للتشهير فلا ينبغي أن ننهي عن خلق ونأتي مثله، ففي تسعينيات القرن العشرين أراد النظام في مصر فتوى بأن فوائد البنوك ليست ربا، فأفتى بذلك المفتي الذي أصبح شيخاً للأزهر بعد ذلك وحينما قالوا له: إن هناك مائة عالم حرموا فوائد البنوك قال: هؤلاء مائة سمكري «بوابير جاز».

---

(١) مجلة الرسالة، احذروا التشهير بالدعاة، د. جاسم بن مهلهل الياسين العدد الرابع.

(٢) هذا دليل قاطع على أن ما أفتى به أو ما ذهب إليه من رأي فقهي ليس صواباً فلو كان صواباً ما سب مخالفيه في الرأي.

٢ ـ إن معظم من يسبون العلماء لا يعرفون هؤلاء العلماء، ولم يستمعوا إليهم، ولكنهم سمعوا من يسبهم فاتخذوا ذلك منهجاً، وهم بذلك يتشبهون بهذه اليهودية . . وهذه قصتها :

حمل النبي ﷺ حملاً من الحطب لامرأة يهودية مُسنَّة، وعاملها معاملة طيبة، حتىٰ وصل إلىٰ منزلها فوضع الحطب برفق وهدوء، فقالت له اليهودية : أريد أن أكافئك علىٰ ما فعلته، وليس عندي إلا أني أقول لك : «لا تتبع غلام عبد المطلب الذي ظهر في مكة»، فقال لها النبي ﷺ : **«أتعرفينه يا خالة؟»**.

قالت : «لا »، قال لها : **«أنا هو»**، فتعجبت من تواضعه وأخلاقه وقالت : «أشهد أن إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

أسباب هذه الكارثة:

١ ـ عدم إدراك الساب لبشرية العلماء، وأن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويُرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة ﷺ.

٢ ـ حقد وحسد يتولد في القلب تجاه العلماء.

٣ ـ قد يكون هذا الساب غير معروف، فيتسلق هامات العلماء المرتفعة ليُعرف ويُذكر اسمه.

٤ ـ يريد الساب أن يُلزِم غيره بالرأي الفقهي الذي يلتزمه هو .

مظاهر سب العلماء:

١ ـ نقل زلات العلماء والتركيز عليها ودوام ذكرها.

٢ ـ السعي بين العلماء بما يفسد ذات البين.

٣ ـ قد يكون سباً مباشراً وقذفاً ، ورمياً بالنقائص والتهم.

٤ ـ السخرية في الدعاء ومط الشفاه، كأن يقول الشيخ فلان ربنا يهديه ـ الشيخ فلان ربنا يغفر له.

٥ ـ زل في هذه . . هذه الكلمة أصبحت شماعة لكل من لا يعجبه رأي فقهي فيصب جام غضبه علىٰ العالم وذلك للآتي :

أ ـ إما لحالة نفسية عنده .

ب ـ أو لعدم معرفته بالآراء الفقهية ولذلك قيل : من لم يَطَّلع على آراء الفقهاء لم تشم أنفه رائحة الفقه .

جـ ـ أو تقليداً لشيخ معين أو فرقة معينة أو جماعة محددة لا تأخذ إلا برأي فقهي واحد وتلزم أتباعها به بل وتسب المخالفين لها ، ولذلك أقول : إن كثرة الآراء الفقهية داخل الجماعة الواحدة وأخذ أفرادها بكل الآراء إنما هو دليل ومؤشر قوي على اقترابها من الصواب .

نتائج سب العلماء:

١ ـ إهانة الدين ؛ لأن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ولكن يقبض العلماء ، فالعلماء رمز ، وهم ورثة الأنبياء ، وتدمير الرمز تدمير للإسلام في نفوس الناس ، والمسلم يجب عليه احترام الشعائر وإقامة الشرائع .

٢ ـ يتحول تعلم العلم من الفريضة إلى تعلم رد الفعل ، فيتعلم لكي يرد على العالم أو يبحث في العلم ليرى زلة للعالم ، والإسلام يحذر من ذلك حيث يقول النبي ﷺ : «**من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»(١) .

الترهيب من سب العلماء:

يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ (آل عمران : ٧٩) . . **فهل العالم الرباني يُسب؟**

لقد حذَّرت الشريعة وَرَهَّبت من سب العلماء ، فلم يعلن الله تعالى الحرب إلا في موقفين : موقف الربا ، وموقف إيذاء الولي ، والولي هو كل من ولي أمراً أو

---

(١) رواه الترمذي واللفظ له ، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، والحاكم شاهداً ، والبيهقي ، وقال الترمذي : حديث غريب ، وفي الترغيب رقم ١٧٨ ، ورواه الدارمي ، مقدمة ٣٤ مرسلاً ، ورواه ابن ماجة عن أبي هريرة مرفوعاً ، وفي الزوائد : رجال إسناده ثقات ، ورواه ابن حبان في صحيحه .

قام به[١]، ففي الحديث: «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[٢]، وفي الحديث: «ليس من أمتي من لم يُجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمناحقه»[٣].

العفة في الحديث عن العلماء: نذكر بعضاً من أقوال العلماء :

يقول د. جاسم المهلهل : إن رموز العمل الإسلامي أعلام هداية، وهؤلاء العلماء لايريدون من الآخرين جزاءاً ولا شكوراً، ولا يطلبون من أحد أجراً، بل يقولون ما قاله قبلهم الأنبياء: ﴿ **قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ (سبأ : ٤٧).

يقول ابن تيمية: لا يخلوا الرجل إما أن يكون مجتهداً مصيباً، أو مخطئاً، أو مذنباً، فالأول مأجور مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه مغفور له، والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين.

يقول الإمام الذهبي: إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وَعُلِمَ تحريه للحق، واتسع وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه يُغفر له زَلَلَهُ، ولانُضلله ونطرحه وننسىٰ محاسنه، ولا نقتدىٰ به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك.

ويقول الشيخ عبدالخالق الشريف : إذا تطاول إنسان على الأئمة والعلماء فاعلم أنه لا يعرف أصول الفقه .

وسائل تقويم الخطأ:

١ ـ الدعاء للعلماء بظهر الغيب، والحرص على عدم السب، وتعويد اللسان أن يقول للمخطئ: لك أجر إن شاء الله.

٢ ـ استشعار كلام عبدالله بن مسعود: لا ينبغي لحامل القرآن أن يسب إذا سب الناس، ولا أن يصخب إذا صخب الناس وفي جوفه كلام الله تعالىٰ.

٣ ـ الواجب: إحسان الظن بما يقوله العلماء العاملون فلا يتأوله على غير مقصده.

---

(١) المعجم الوسيط، ولي، جـ٢ .

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن، والطبراني والحاكم، إلا أنه قال: «ليس منا».

(٣) رواه الترمذي، بر ٧٣، وأحمد ٥/ ٣٢٣، وفي الترغيب رقم ١٦٩ عن عبادة بن الصامت.

صور مشرقة من احترام العلماء :

النموذج الأول : سمعت في إذاعة القرآن الكريم المصرية منذ ما يقرب من عشرين عاماً حديث استضافت فيه المذيعة د. القرضاوي وسألته هذا السؤال :

«أنت حكمت على أحاديث أنها ضعيفة والشيخ الألباني قال : أنها صحيحة؟ فما السبب؟ ومن نصدق؟» .

قال لها في أدب العلماء وتواضعهم : «الأحاديث التي قلتُ عنها أنها ضعيفة لم يصل عندي طريق التقوية لها، فظلت عندي ضعيفة، أما الشيخ الألباني وصل عنده طريق التقوية لها فصححها والعكس كذلك . .» .

ألم تر إلى هذا الأدب الجم من عالم كبير؟!

النموذج الثاني : اعتدت أن ألتقي بالشيخ : أحمد عامر (معلم القرآن الكريم في إذاعة القرآن الكريم)، وصاحب البرنامج الممتع في تعليم القرآن كل عام في رمضان في العشر الأواخر في الحرم المكي في المسعى العلوي مقابل باب الكعبة، نتعلم منه أحكام التلاوة ويصحح لنا الأخطاء، وذات مرة أثناء التعارف قلت له : «إحنا من بلد الشيخ رزق خليل حبة ـ شيخ عموم المقارئ المصرية» .

فقال الشيخ أحمد عامر : «الشيخ رزق خليل حبة . . ده بحر في علوم القرآن، تروح له تأخذ منه مرجان ولؤلؤ . . أما أنا بالنسبة له مجرد (قُلة)[1] تأخذ مني شفطة واحدة حتى تذهب إلى الشيخ رزق، تأخذ منه ما تريد» .

أخي القارئ.. ذكرتُ ذلك لكي يحذر كل مسلم من النهش في لحوم العلماء والتقليل من جهودهم، فمن أخطأ منهم فله أجر، ومن أصاب فله أجران . . نسأل الله العفو والعافية لنا ولكل مسلم على وجه الأرض .

---

(١) القُلَّة عند المصريين : عبارة عن إناء من الفخار يُملأ بالماء ليشربوا منه .

المبحث الرابع

نتائج الفهم الصحيح للإسلام

إذا تحقق لديك الفهم الصحيح للإسلام، فإن لهذا الفهم الصحيح دلائل وعلامات ونتائج لابد وأن نراها مُطبقة في الواقع الملموس لكل الناس.

إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حينما سُئلت عن خُلق رسول الله ﷺ قالت: «**كان خُلُقُهُ القرآن**»(١) . . أي أن أخلاقه مطابقة لما في القرآن الكريم. . ونحن نريد أن تسعد الأمة بفهم أفرادها للإسلام فهماً صحيحاً، وترى الأمة نتائج ودلائل هذا الفهم مُطبقة.

وسوف نعرض هنا لثلاث نتائج :

النتيجة الأولى : العمل للدين مسئولية الجميع(٢)

الإسلام هبة الله العظمى لأمة محمد ﷺ، إذ أعتق بها رقابهم من الخلود في النار، قال الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

فهو دينٌ عظيم لو أن له رجالاً يعملون من أجله، يقيمون صرحه، بتشييد دعائمه وأركانه، وإحياء سننه ونوافله في قلوب الناس، وواقع حياتهم، وتعظيم شعائره، وتطبيق شرائعه.

وتلك فريضةٌ عُظمى فرضها المولى تبارك وتعالى على أمة محمد ﷺ، كلٌّ بقدر استطاعته، قال تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ**

---

(١) رواه مسلم، مسافرين ١٣٩ .

(٢) من محاضرة للدكتور عبد الوهاب الطريري، أستاذ الحديث بجامعة الإمام بالسعودية .

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (الحج : ٧٨).

كما قال الله تعالىٰ موضحاً مهمة أمة محمد ﷺ - شيوخها وشبابها، رجالها ونسائها، حكامها ومحكوميها - : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران : ١١٠).

فقد أفادت الآية معنيين : خيرية الأمة، وأنها ما حازت هذه الخيرية إلا لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأول ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : الدعوة إلىٰ الله عز وجل(١)، والعمل علىٰ إقامة الدين والتمكين له.

كما جعل القيام بهذه المهمة سمةً فارقة بين المؤمنين والمنافقين، فيقول تعالىٰ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٧١).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة: « فجعل الله تعالىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فارقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدلّ علىٰ أن أخصّ أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعوة إلىٰ الإسلام »(٢).

فهذه هي مهمة المسلم في الحياة، وغايته فيها عبادة الله وحده، وجهادٌ في سبيله، يجاهد نفسَه حتىٰ يحملها علىٰ الطاعة، ويبعدها عن المعصية، ويجاهد بقلمه ولسانه وماله ويده في سبيل الله حتىٰ تعلو كلمةُ الله، ويستنير بنور الإسلام(٣).

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ط. مؤسسة الرسالة، ص ٣٠٨ .

(٢) تفسير القرطبي، جـ ٤ ، ص ٤٧ .

(٣) أصول الدعوة، ص ٣٣٠ .

وعلى هذا فالمسلم مسئولٌ بين يدي ربه عمَّا قدَّم وعمل إقامةً لدينه، ونصرةً لنبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (الصافات: ٢٤).

ومن ثمَّ يجب أن نُعِدَّ للسؤال جواباً . .

ماذا ستكون الإجابة؟ إن كان السؤال:

ماذا قدَّمتَ للإسلام؟ كم مسلماً ذكَّرتهم بالله؟

كم مسلمة أيقظت في وجدانها إيماناً بات مُخَدَّراً؟

كم شبهة رددت عليها؟

كم قرشاً جاهدت به في سبيل نصرة دينك؟

يقول الأستاذ علي مطر ـ رحمه الله ـ: «جريمة قتل عمد، أن ننتمي لهذا الدين ولا نعمل له».

العمل للدين قضية لا نمل طرحها . . إنها قضية كل مسلم في كل وقت وحين، قضية استنفار الطاقات المعطلة . . قضية إحياء الإيجابية بعد أن عشعشت السلبية . . قضية تحريك الدماء في قلوب الملايين الذين أصبحوا غثاء كغثاء السيل.

وسوف نعيش هذه القضية من خلال محاور خمس:

المحور الأول: العمل للدين قرين الانتماء إليه:

وسوف نرى ذلك من خلال قصتين:

١ ـ قصة الطفيل بن عمرو الدوسي [1]:

سمع عن النبي ﷺ ما تقوله قريش عنه، فذهب إليه وهو يخترق صفوف مكة ورجالها وهم يحذرونه: «احذر غلام عبد المطلب»، حتى وضع الطفيل القطن في أذنيه حتى لا يسمع . . فالحرب الإعلامية القذرة تلقته، وكانت قريش تضرب سياجاً من الحرب الإعلامية . . هذا التكتيك يمارس ضد الدعوة إلى دين الله منذ القديم وإلى اليوم . . ونماذج اليوم للحرب الإعلامية القذرة الدنسة ضد الدعوة في

---

(١) رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، ص ٣٧٦، طبعة دار المقطم، ٢٠٠٣م.

الصحافة فَتُرْجَم بالأصولية تارة، وقلب نظام الحكم تارة، والانتهازية تارة. . إنها تُهم معلبة مستوردة. . سلكتها قريش قبلاً تتلقى كل وافد: «احذر غلام عبدالمطلب». . ولكن الطفيل دخل الحرم وسمع قراءة النبي ﷺ، فقال لنفسه: «إنني رجل عاقل لبيب، فكيف أعير عقلي غيري».

وذهب إلى النبي ﷺ، فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فأسلم مكانه.

بإمكانك أن تتساءل: كم شرعاً من شرائع الإسلام حينئذ قد نزل؟

إنه التوحيد، وشرائع قليلة. . ثم شعر الطفيل بالمسئولية في التو فقال: «إن دوساً كفرت بالله، فشا فيهم الزنا، أرسلني إليها»، ويرسله الرسول ﷺ لقبيلته دوس، لقد تحول في مكانه داعية ونذيراً إلى قومه ويدعو الله «اللهم اهد دوساً».

ونحن منذ كم دخلنا في هذا الدين؟ وما مدى استشعارنا للمسئولية.

٢ ـ أبو ذر الغفاري (جندب بن جنادة) (١):

إنه رُبع العالم الإسلامي، فهو رابع أربعة أسلموا لم يحمل من النبي ﷺ إلا الشهادة، فقال للنبي ﷺ: أرسلني إلى قومي (أسلم وغفار)، فأمره النبي ﷺ أن يغادر مكة لأنه غفاري ووجوده في مكة عبء على الدعوة لا تتحمله في هذا الوقت.

فقال: «والله لا أخرج من مكة حتى أصرخ بها بين أظهرهم».

وأتى ناديهم وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

لاحظ أن قريشاً تبني حاجزاً ضخماً من الصد يحيط بالدعوة، فهي لا تريد أحداً أن يسمع بهذه الشهادة.

لكن أبا ذرٍّ الذي لم يحمل من الدين إلا التوحيد فقط، استشعر أنه يتحمل مسئولية تقديم أمر ما للدين، ولو كان العمل على تحطيم حاجز الصد، فيغدو إلى الحرم وقريش في نواديها فيصرخ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، فتقع عليه مكة لتضربه، فيأتي العباس ويخلصه ويقول لهم: «إنه من غفار»،

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٩.

وخاطب في قريش حسها التجاري، كيف تقعون على رجل من غفار؟ سيقطعون طريق قوافلكم عليكم إلى الشام، ولكن بعد أن رأى الهلكة بعينه هل بحث عن راحلته ثم انصرف وقال الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين؟ كلا، ولكنه كرر ذلك ثلاثة أيام متتالية.

هو قام بعمل إيجابي للدعوة ليألف الناس سماع الشهادتين . .

ثم ذهب إلى قبيلته، بدأ بأسرته وقرابته أمه وأخيه أسلموا، ونصف قبيلته أسلموا، حتى قال النبي ﷺ: **«غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»**.

تحقق هذا الإنجاز على يد رجل اعتقد أنه ربع العالم الإسلامي، حمل التوحيد وحمل استشعار المسئولية تجاه الرسالة، وأن دخوله في هذا الدين يستوجب العمل له، كأنه يقول للأمة الإسلامية: أنا أكفيكم أهلي وعشيرتي.

المحور الثاني: العمل للدين وظيفة العمر:

إذ المسلم مسئول عن عمره فيم أفناه، لقول رسول الله ﷺ: **«لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن: عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل؟، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»**(١) .

والعمل لدين الله . . ليس له وقت معين، وليس له زمان أو مكان محدد . .

ومن هذه النماذج الفذة:

١ ـ سيدنا نوح عليه السلام..

يحكي القرآن عمله في الدعوة فيقول: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۝**﴾ . . ثم يخبر مرة أخرى: ﴿ **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴾ (نوح).

ماذا بقي من حياة نبي الله نوح بعد: الليل ـ النهار ـ السر ـ العلن؟

---

(١) رواه الترمذي، قيامة ١، وقال: حديث حسن صحيح، رقم ٢٤١٧ .

٢ ـ سيدنا يوسف عليه السلام:

يعاني غيابة الجب ـ غيابة السجن ـ يعاني في السجن القيود ـ الغربة ـ ألم البعاد ـ مرارة الظلم ـ أذىٰ ذوي القربىٰ.

مع هذه المعاناة لم ينس دعوته أو قضيته ـ يحول السجن إلىٰ مدرسة للدعوة، يطرح القضية الضخمة التي تعيش في وجدانه يعرض التوحيد ويندد بعقيدتهم، وأنه برئ هو منها هو وأبوه.

٣ـ سيدنا يعقوب عليه السلام:

لا ينسون الدعوة حتىٰ في الأوقات الصعبةإنها ساعة الموت، لقد جمع بنيه ليطمئن منهم علىٰ عقيدة التوحيد. .

لم يجمعهم ليسألهم: ماذا تصنعون في الأموال؟ كيف تبنون القصور؟ كيف تزرعون. . .؟. . لكن كما حكىٰ القرآن: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي** ﴾ (البقرة: ١٣٢).

يطمئن علىٰ رسالته وهو يودع الدنيا، فيأتيه الجواب: ﴿ **قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (البقرة: ١٣٢).

٤ ـ النبي ﷺ :

استقرت الحمىٰ في بدنه خمسة أيام، هذا البدن أنهكه المرض وانهزمت فيه العافية، ولكن همَّ الدين وهمَّ الرسالة وهَمَّ الدعوة والعمل لا ينهزم، يذكرهَمَّ أمته ورسالته في آخر يوم يعيشه علىٰ الدنيا، بل في أخر ساعات حياته يتفقد أمته ويرفع ستر الحجرة وينظر إلىٰ المسجد ويضاء وجهه آخر الأنفاس واللحظات وآخر الثواني لا يترك أمته وفي السكرات ينادي علىٰ الأمة: «**الله الله .. الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»(١)، حتىٰ غرغر بها صدره واحتبس لها نفسه.

---

(١) رواه ابن ماجة، وصايا ١، جنائز ٦٤، وأحمد ١/ ٧٨، ٣/ ١١٧، ٦/ ٢٩٠، وفي الزوائد: إسناده حسن لقصور أحمد بن المقدام عن درجة أهل الضبط، وباقي رجاله علىٰ شرط الشيخين.

٥ ـ جعفر بن أبي طالب:

قضىٰ إحدىٰ عشرة سنة في المنفىٰ في الحبشة لم يأخذ خلالها إجازة عرضية أو مرضية أو رعاية أسرية . . عاد في السنة السابعة من الهجرة ، وبماذا كافأه النبي ﷺ؟ هل أصدر مرسوماً بتعيينه أميراً أو جعل له مخصصات شهرية ، أو أهداه قصراً ، أو أعطاه إجازة؟

لم يعطه شيئاً من هذا ، بل دفعه للعمل والجهاد أكثر ، فالطاعة تجلب طاعة ، والجهاد يتلوه جهاد ، فجعله أميراً للجيش بعد زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ، فكانت المكافأة التي يرنو إليها ، ويتلهف كل مسلم مجاهد صادق للحصول عليها ، وهي الشهادة في سبيل الله ، قال تعالىٰ : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ (آل عمران : ١٦٩) .

المحور الثالث: العمل للدين ليس وقفاً على فئة وليس مسئولية طائفة:

إنه ليس فقط مسئولية أصحاب هيئات مخصوصة ، أو الدعاة والخطباء ، أو وزارة كذا ، أو جماعة كذا . . لا . . إنما هو مسئولية المسلمين جميعاً ، فثمة فروق جوهرية بين العمل للدين والفُتيا ، إذ العمل للدين يستطيع أن يضرب كل مسلم فيه بسهم ، فهناك من يجاهد بلسانه ، وهناك من يجاهد بماله . ومن يرىٰ في نفسه القدرة علىٰ الجهاد بنفسه ، والتضحية بها إن لزم الأمر .

أما الفُتيا . . فلا يقدر عليها إلا العلماء الأثبات المتخصصون . .

ولا صحة لقائلٍ يقول : إن الدعوة والجهاد نصرةً للدين ، وإقامةً لبنائه ، واجباً كفائياً ، ثم يستدل بقوله تعالىٰ :

﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران : ١٠٤) .

حيثُ لا مُكَلَّف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إما بيده ، أو بماله ، أو بلسانه ، أو بسلوكه بين الناس ، إذ يشرح ابن كثير فيقول :

« والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقةً من هذه الأمة متصديةً لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه»(١) .

أما قولُه بأن مَنْ في الآية للتبعيض، فهناك من المفسرين من قال إنها للتبيين، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ﴾ (الحج: ٣٠).

كما ذكر الإمام الرازي في تفسيره(٢) .

وقد يسول الشيطان لك، ويذكرك بذنوبك ومعاصيك التي فعلتها، ويوسوس: كيف تعمل لهذا الدين يامن فعلت الذنوب والمعاصي؟ فإن أطعته فقد أضفت إلى ذنوبك ذنباً جديداً، والعياذ بالله، ولنأخذ لذلك مثالين:

١ ـ كعب بن مالك:

حينما تخلف عن غزوة تبوك(٣) وما حدث له وبعد رسالة ملك غسان له قام وسجَرها تنوراً إن الولاء للإسلام يبقى. . أتحمل الألم طالما أنني أنتمي لهذا الدين.

٢ ـ أبو محجن الثقفي:

فها هو أبو محجن الثقفي رضي الله عنه يُرسل رسالة إلى كل العصاة الآيسين من رحمةالله مفادُها: ﴿ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف: ٨٧).

فعند اشتداد وطأة المعركة على المسلمين في القادسية، وكان المسلمون في مواجهة الفُرس، وقد كان أبو محجن مشدوداً إلى القيد، موثوق القدمين في الحديد بسبب شربه الخمر، غير أنه عَلِمَ أن لله عليه حقاً لابد أن يؤديه، وللرسول ﷺ عليه نُصرةً لابد أن يبذلها، فأنشد يقول على مسامع سجانته زوجة سعد بن أبي وقاص:

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا ... وأُترك مشدوداً عليَّ وثاقيا

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ ٢ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٢) تفسير الرازي، جـ ٧ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٣) للمزيد اقرأ تفسير هذه الآيات في سورة التوبة «وعلى الثلاثة الذين خلفوا . .»

ثم قال لها: أطلقيني ولك ـ والله ـ عليَّ إن سلّمني الله أن أرجع حتى أضع رجليَّ في القيد، وإن قُتِلْتُ استرحتم مني.

فأطلقت أبو محجن، وأعرته فرس سعد وسلاحه! إذ كان سعد جريحاً يتابع المعركة من بعيد، وينظر في عجب إلى ذلك الفارس المُلثم الذي كسر شوكة الفُرْسِ، وشتَّتَ حملتهم على المسلمين، ثم يقول: «الوثبُ وثبُ البلقاء، والطعن طعن أبي محجن، ولولا أنه في القيد لقُلْتُ أنه هو».

فلما هُزِم العدو، وفَّى أبو محجن بعهده، وعاد واضعاً قدميه في القيد، فأخبرت زوجة سعد سعداً عندما عاد من المعركة بما كان.

فقال سعد: «والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى للمسلمين ما أبلاهم».

فقال أبو محجن: «أما وقد عفوتَ عني، فوالله لا أشربها أبداً»(١).

المحور الرابع: العمل للدين موزع في أدوار بين المسلمين:

«ولا يعجز مسلم أن يجدله دوراً، فليس ذلك فقط للخطباء والدعاة والمحاضرات والإفتاء، بل الكل له دور، و مسارب الدعوة بعدد أنفاسنا»(٢).

١ ـ **الهدهد** كان من جنود سليمان عليه السلام، ولم يقل: ما دوري بجوار الملك؟ بل أوجد لنفسه دوراً في خدمة الدين. . ألا تجد لك دوراً. . ؟

ألقى أمام سليمان القضية الخطيرة. . وحوى القرآن ذلك فقال: ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ**﴾ (النمل: ٢٢).

٢ ـ **الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى**: مدينة فيها ثلاث رسل من عند الله، ولم يقل هذا الرجل: ما دوري؟ ولذلك لا يكفي وجود الدعاة بل يتعين عليك أن تقف معهم وتسير معهم. . قال تعالى: ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١)**﴾ (يس).

---

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم، ص ٨، الجزء الثاني، ط. دار الحديث.

(٢) د. عبد الوهاب الطريري.

المحور الخامس: نماذج من العمل للدين يمكن أن يقوم بها كل أحد:

١ ـ التوهج العاطفي واشتعال الاهتمام بشأن الدين وإقامته :

« كم تساوي مساحة الإسلام في خريطة عواطفك وخواطرك حتىٰ تكون مسروراً سعيداً لانتصار الإسلام وعزته وتحقيق العاملين فيه أي تقدم. . وحتىٰ تكون مهموماً بأمر الدين إذا تم الاعتداء علىٰ حرمة من حرمات المسلمين، فتكون كسفيان الثوري الذي كان يقول: «كنتُ أجد المنكر لا أستطيع تغييره فأبولُ دماً».

فكم من ساعة انشغل فيها فكرك؟ والتاع فيها قلبك من أجل الإسلام؟

هل تفاعل قلبُك مع مقاصد القرآن، ومرامي الوحي، حتىٰ تنطق به قبل سماعه، مثلما فعل عمر بن الخطاب في موافقاته للقرآن في عدة مواضع منه؟

أم انعقد العبوس علىٰ وجهك، وقلت مجيباً لمن يسأل عن سرِّ عبوسك: «كيف أضحك وبيت المقدس أسير» كما فعل صلاح الدين الأيوبي»[(١)] .

هل اشتعلت عواطف قلبك حُباً للنبي ﷺ، فكنتَ مستعداً للتضحية بحياتك دفاعاً عنه، وحرصاً علىٰ ألا يُسَبَّ ويُشتَم في وجودك كما فعل خُبيب بن عدي عندما سأله المشركون بعد أن صلبوه علىٰ خشبة: «أتحب أن تكون سليماً مُعافىٰ بين أهلك، وأن محمداً مكانك؟». **فأجابهم قائلاً**: «لا والله لا أُحب أن أكون بين أهلي سليماً مُعافىٰ ويُشاكُ محمداً ﷺ بشوكة»[(٢)] .

٢ ـ هل يوجد همّ الدين في دعائك وأنت ساجد:

قال تعالىٰ: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ (النمل: ٦٢).

٣ ـ إقامة حلقات تحفيظ القرآن :

ليتخرج لنا عدد كبير من حفظة القرآن ومن الذين يعظمون القرآن.

---

(١) د. عبد الوهاب الطريري.

(٢) رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، ص ٢٣٥، طبعة دار المقطم.

٤ ـ توزيع الكتيبات والأشرطة:

اجعل لهذا البند جزءاً من راتبك، فإذا اشتريت شريطاً لنفسك فإشترِ لمسلم شريطاً مثله وأهده إليه لتعم الاستفادة، أو أعطه شريطك ليسمعه.

٥ ـ مساعدة العلماء الذين يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر..

٦ ـ توزيع النصائح الكتابية والنشرات والمطويات على المحلات والأماكن التي فيها منكرات كمحلات السجائر ومحلات الفيديو والأشياء المخالفة حتى يتلقى الشخص صاحب المحل أو المكتب خطاباً باسمه الشخصي يخاطب فيه إيمانه ويذكره بالمنكر الذي يساعد به على تدمير الأمة.

٧ ـ دعوة واحد من غير المسلمين:

هذا إثم كبير أن نترك هذا الباب ومعظم الذين أسلموا لم يبلغهم أحد الإسلام.

وإليك قصة رجل أسلم من الفلبين: سألناه: من الذي دعاك للإسلام؟

قال: لا أحد.. إذن ما الذي رغبك في الإسلام؟

قال: مررت بدورة مياه مسجد وكانت خارج المسجد، فرأيت شخصاً يتوضأ ويغسل رجليه وأطرافه، فقلت هذا دين نظيف الذي يغسل أصحابه أطرافهم قبل الصلاة، فاهتديت.. وأسألك: لماذا لا يقوم كل مسلم بدوره في هداية غير المسلمين، وماذا لو أرسلت له مطويات أو نشرات؟.

٨ ـ أماكن لجمع شباب الشواطئ والأرصفة والمنتزهات وكلهم في سن متقاربة:

هل زرناهم في أماكن تجمعهم واخترقنا الحاجز الذي بيننا وبينهم بدل نظرتهم للشباب الملتزم على أنه منغلق، كان النبي ﷺ يغشى مجالس القوم ونواديهم وأماكن تجمعهم ليدعوهم.

٩ ـ الاستفادة من العلاقات الاجتماعية ..

أهلك وأسرتك.. فتقول مثلاً: أنا أكفي الأمة الإسلامية أسرتي فَانتشَر بينهم أَهْدي ضَالَّهم وآخذ بيده.

---

(١) د. عبد الوهاب الطريري.

(٢) هذه نماذج لبعض الوسائل الدعوية، وسيأتي في المبحث الرابع إن شاء الله نماذج أخرى.

١٠ - مراعاة الأحوال الدنيوية للناس :

فلا ننشغل عن حالات الفقر والبيوت القديمة المشققة.

١١ - دعوة نساء المسلمين وبناتهم :

إذ إن للمرأة في الإسلام مكانة لا تُنكر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (النساء: ١٢٤). وعليها واجبٌ لابد أن تُذَكَّر به، لتؤديه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١). لتسير علىٰ درب أمها خديجة بنت خويلد التي كانت تواسي النبي ﷺ بنفسها ومالها، والرميساء التي وقفت تدافع عن النبي ﷺ بسيفها.. وغيرهما من قافلة المجاهدات مثل: نسيبة بنت كعب، وأم حِرام، وكثير من التابعيات، والمسلمات المعاصرات، كزينب الغزالي[١].

١٢ - إعمال الفكر للعمل للدين :

اسأل نفسك: كيف أعمل للدين؟ واستشر غيرك في كيفية نشر الإسلام.

١٣ - فليستثيرنا ويدفعنا حماس أهل الباطل لباطلهم ..

فانظر أخي الحبيب الذي قرر أن يكون مجاهداً وداعية - وتفكَّر في حجم الجهد والبذل الذي قدمته يهود لاحتلال أرضنا، وانتهاك مقدساتنا، خمسون عاماً من مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٨٧م إلىٰ ١٩٤٨م، مالٌ، وسلاحٌ، وقتلاهم من الرجال والنساء؟

كم يبذل المُبشِّرون في شرق آسيا؟ وكم يبذلُ المُبشِّرون في مجاهل إفريقيا لإخراج المسلمين من نور الإسلام إلىٰ ظلمات ضلالهم؟

وكم دولاراً يرصدون للصد عن سبيل الله؟

أفلا تتأجج الدماء في عروقنا غيرة وحمية بعد كل هذا؟

---

(١) نساء حول الرسول، محمد قطب، ط. دار الدعوة، ط. العاشرة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

النتيجة الثانية : معرفة فقه الأولويات

الأولوية لغةً نسبة إلى الأولى، بمعنى الأجدر والأحق نشأة، جاء في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦).

وفقه الأولويات من الأهمية بمكان في حياة المسلمين قديماً وحديثاً، ولو لم يكن له أهميــة لما دارت مـادة هذه الكلمـة في القـرآن الكريم من الأول، وأولى، والأولى، والأولون ثمانين مرة.

إذ يشير القرآن الكريم إلى وجوب ترتيب مواضع الاهتمام في حياة المسلمين، فليس أولى بالاهتمام في حياتهم من الله تبارك وتعالى، فهو الأول والآخر، كما أشارت سورة الحديد.

كما أومأت آياتٌ أُخر إلى مسألة الدين والعقيدة بمفهومها الصحيح الشامل: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ١٤)

وأبرزت منزلة أولئك الذين يحرصون على السبق وبذل الجهد في سبيل هذا الدين، فقالت: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

فمن مجموع هذه الآيات نستطيع أن نقول: إن القرآن الكريم يؤكد على مسألة ترتيب الأمور حسب أهميتها في حياة المسلمين..

والمعنى اصطلاحاً هنا هو فقه مراتب الأعمال حتى يعرف المسلم قيمة الأعمال، ومراتبها الشرعية، والاحتفاظ بكلٍ منها بموضعه في سُلم المأمورات أو المنهيات دون خلطٍ أو إخلالٍ بالنسب، أو تفريق بين المتماثلات، أو تسوية بين المختلفات[1].

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ص ١٧٥.

حيث أشارت النصوص الشرعية قرآناً وسُنَّة إلىٰ تفاوت الأعمال مرتبة وثواباً كما في قول الله تعالىٰ: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: ١٩).

وجاء في سُنَّة النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى من الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان**»(١) .

ولهذا فقد أدرك صحابة النبي ﷺ هذا الفقه، فقه مراتب الأعمال، وأتقنوه، ولم ينشغلوا بسفاسف الأمور، والساقط من المسائل، فاهتموا بالمعالي حتىٰ سادوا العالم شرقه وغربه.

واسمع لوصية أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وهو يوصي عمر بن الخطاب عندما استخلفه علىٰ المسلمين: «إن لله عملاً بالليل لا يقبلُه بالنهار، ولله عملٌ بالنهار لا يقبله بالليل، وإن الله لا يقبل النافلة حتىٰ تؤدىٰ الفريضة»(٢) .

ترتيب الأولويات:

١ ـ أولوية العلم قبل العمل:

في البخاري باب العلم يبدأ به قبل العمل، قال تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد: ١٩)، وقال تعالىٰ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ﴾ (سورة العَلَق).

القراءة مفتاح العلم ثم العمل.. ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (المدثر).

العلم أولاً؛ لأنه هو الذي يميز بين الصحيح والخطأ.

العلم شرط في العمل القيادي..

---

(١) رواه البخاري، إيمان ٣، ومسلم، إيمان ٥٧، ٥٨ .

(٢) الزهد، لابن المبارك، ص ١٦١ .

١ ـ **الخليفة**: لابد أن يكون مجتهداً وليس مقلداً.

٢ ـ **المفتي** : لحديث النبي ﷺ: «**قتلوه قتلهم الله..**»(١) ، وينعي فيه ﷺ على من أفتى بغير علم فقتل نفساً.

٣ ـ **الداعي**: قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (يوسف: ١٠٨).

فالعامل بغير علم، كالسالك على غير طريق، لا يؤمن زيغه، ولا يُرجى صلاحه.

العلم فريضة: مبدأ إسلامي، وعاهُ أعداؤنا فتقدموا به، وغفلنا عنه فانتهت بنا الغفلة إلى التخلف والانحطاط، ومع ذلك فعلينا أن ندرك أن **العلم** ليس الحفظ فقط، ولكنه هو الفهم والإبداع والابتكار، وأن الأمَّة لا تنهض بهذه النسخ المكررة.

قالوا للشيخ محمد عبده فلان حفظ سنن أبي داود قال: زادت النسخ واحدة.

٢ ـ أولوية النوع والكيف على الحجم والكم:

ترى الفتيان كالنخل . . وما يدريك ما الدخل . . أجسام البغال . . وأحلام العصافير . . فنحن نفخر بأننا مليار ونصف المليار مسلم . . لكن للأسف تجمعهم صفارة . . وتفرقهم عصا . .

يقول أحد المستشرقين : «يا له من دين لو كان له رجال».

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: « **يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**». فقال قائل: «أومن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟»، قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن**»، قالوا: «وما الوهن؟»، قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»(٢).

---

(١) رواه أبو داود، طهارة ١٢٥، وابن ماجة، طهارة ٩٣، والدارمي، وضوء ٧٠، وقال: حديث حسن بشواهده، وصححه ابن القيم عن جابر قال: «كنا في سفر فأصاب رجل منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم، فقالوا ما نجد لك رخصة، فاغتسل فمات، فقال النبي ﷺ: «**قتلوه قتلهم الله، إنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جرحه خرقه ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده**».

(٢) رواه أبو داود في الملاحم ٥، رقم ٤٢٩٧ واحمد جـ٥/ ٢٧٨، وكنز العمال ١١/ ١٣٢ .

ويقول الرسول ﷺ: «تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة»(١).

لقد غفلنا عن البُعد النوعي للنسل، ووقفنا عند البُعد العددي المجرد، وهو القائل: «المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله..»(٢)

فهل يباهي الرسول ﷺ بالعاطلين؟

لا يهم الكم.. لكن المهم الكيف.. نريد رجلاً، كعمر بن الخطاب، أو خالد بن الوليد، أو صلاح الدين الأيوبي، أو محمد الفاتح أو..

إن عمر بن الخطاب جلس مع صحابة رسول الله ﷺ يوماً فقال لهم: تمنوا، فتمنى كل واحد أمنيته، ثم قالوا له: «تمنَّ أنت يا أمير المؤمنين»، فقال: «أتمنى أن تُملأ الدار رجالاً أمثال أبي عبيدة بن الجراح».

ولقد وجهنا الله سبحانه وتعالى إلى هذا في كتابه فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤).

آلاف الخريجين.. ولكن من المبدع؛ من المتفوق؟

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»(٣).

إتقان العمل وإحسانه فريضة:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»(٤). وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (المُلك: ٢).

---

(١) رواه أبو داود، نكاح ٣، والترمذي، طهارة ٢، وابن ماجة، مناسك ٧٦، فتن ٥، نكاح ١، وفي الزوائد: إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف عيسى بن ميمون المديني، لكن له شاهد صحيح، وأحمد في المسند ٢/ ١٧٢، ٥/ ٤١٢.

(٢) رواه مسلم، قدر ٣٤.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وأبو يعلى، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان.

(٤) رواه مسلم، صيد ٥٧.

وقال رسول الله ﷺ: **«إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة»**(١).

قديماً: فتح عمرو بن العاص مصر بأربعة آلاف جندي كل جندي بألف .

٣- إصلاح النية لله عز وجل .. وسلامة القلب :

فقد قال تعالىٰ : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ (الكهف: ١١٠).

للتأكيد علىٰ وجوب إخلاص النية، كما نبّه علىٰ ضرورة سلامة القلب: ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)** ﴾ (الشعراء).

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد، ألا وهي القلب»**(٢) .

أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح، لأن معاصي القلوب أخطر من معاصي الجوارح، قال تعالىٰ يبين أن من أسباب الفلاح: ﴿ **مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ** ﴾ (ق : ٣٣).

أعمال الجوارح: لا تقبل إلا بالقلب (النية). . إذن لابد من الإخلاص. . ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ (البينة: ٥).

عن أمير المؤْمِنِينَ أبِي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ الخطَّاب رضي اللّه تعالىٰ عنه قال: سمعْتُ رَسول اللّه ﷺ يقول: **«إنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيَّات وإنَّما لكُل امْرِيءٍ ما نَوَي. فمَنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إلي اللّه ورَسُوله فهجْرَتُهُ إلي اللّه ورَسُولَه، ومَنْ كانَتْ هجْرَته لدُنْيا يُصيبهَا أو امْرأة ينْكحهَا فهجْرَتُهُ إلي ما هَاجَرَ إليه»** (٣) .

---

(١) رواه البخاري ، رقاق ٣٥، ومسلم، فضائل الصحابة ٢٣٢ .

(٢) رواه البخاري، إيمان ٣٩ ، ومسلم، مساقاة ١٠٧ .

(٣) رواه البخاري ، بدء الوحي ١ ، إيمان ٤١ ، ومسلم، إمارة ١٥٥ .

الذي يطلبه الإسلام: التقوى، وهي ليست عمامة تكور، أو جلباب يقصر، أو لحية تطول، أو ثوب يُرَقَّع، فلقد أشار النبي ﷺ إلىٰ صدره وقال: «**التقوى ها هنا**»، وليس معنىٰ ذلك أننا نقلل من أمور السُنَّة في الجلباب أو اللحية أو غيرها.. لا والله.. بل نهتم بكل أمور الإسلام من السواك حتىٰ الجهاد، ولكن نرفض أن يشغل مسلم كل وقته بحكم شرعي أو بعض الأحكام ويترك باقي الإسلام، وقد يقيم حرباً شعواء لأمر مسموح فيه بالاختلاف، وفي الوقت نفسه يهدر فرائض كبرىٰ.

ولذلك نركز علىٰ التقوىٰ لأنها إذا تحققت في الفرد، سيأخذ حتماً بفقه الأولويات، فهي وصية الله لجميع الأمم أولين وآخرين، ولأن التقوىٰ لا تُضاف للأبدان، بل تُضاف للقلوب، التي إن صلحت ستصلح حركات الأبدان: ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ (الحج: ٣٢).

فالدين هو العقيدة، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات، والسُنن، والجلباب، واللحية، والحجاب.. ولكن علىٰ أن نضع كل شيء في مكانه الصحيح.

٤ ـ تقديم الفريضة على النافلة:

من القواعد المهمة أن الله لا يقبل النافلة حتىٰ تؤدىٰ الفريضة، فمثلاً لا يحج عن غيره وهو لم يحج حجة الفريضة، ولا يحج وعليه ديون ـ من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ـ ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

ـ حديث: «**لا يحل للمرأة أن تصوم تطوعاً وزوجها شاهد إلا بإذنه**»[1].

ـ لا يجوز أن تصوم الاثنين والخميس إذا قعد بك الصوم عن العمل كسلاً أو ضعفاً.

ـ فريضة العين مقدمة علىٰ فريضة الكفاية، قال رسول الله ﷺ للرجل الذي أراد الجهاد: «**أحيٌّ والداك؟**»، قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»[2]، لأن الجهاد فرض كفاية، وبر الوالدين فرض عين، وفرض الكفاية له درجات.

---

(١) رواه البخاري، نكاح ٨٤.

(٢) رواه البخاري، الجهاد بإذن الوالدين ١٠، ومسلم، بر ٥، ٦.

- إذا كان هناك خمسون فقيهاً في قرية، ولا يوجد بها إلا طبيب واحد من أهل الذمة، فيكون الفرض الآن هو تعلم الطب.
- فرض العين المتعلق بحق العباد مقدم على فرض العين المتعلق بحق الله المجرد لأن حقوق العباد متعلقة بالمشاحة وحقوق الله مبنية على المسامحة.
- حديث: عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيـــن**»(١). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته**»(٢)
- حقوق الجماعة مقدمة على حقوق الفرد: لكن إذا دخل الأعداء بلداً خرج الولد بدون إذن أبيه، والمرأة بغير إذن زوجها، والمرؤوس بدون إذن الرئيس.

هناك قواعد تميز بين الفاضل والمفضول، والراجح والمرجوح، (ليس هناك أفضل على الإطلاق)، أولوية العمل ليست أمراً دائماً مطرداً، فقد يكون العمل أفضل في وقت، ولا يكون أفضل في وقت آخر.

سُئِل ابن القيم: أي العمل أفضل هل الشاق أفضل؟

قال: «ليس هناك أفضل بإطلاق، كل وقت له أفضل، فعندما يشيع الجهل يكون العلم أفضل، وعندما يشيع الجوع تكون الصدقة أفضل..».

الزراعة أفضل.. التجارة أفضل.. الصناعة أفضل.. صناعة عسكرية - صناعة مدنية.. لا نزرع ما يقوتنا ولا نصنع ما يحمينا فكيف نعيش!!

٥ - اعلم أن سنناً أو أعرافاً قد تعطل فرائض أو تؤخر واجبات:

١ - المسلم مأمور بصلة الأرحام، ولكن الكثير في الواقع يقصر في تلك الفريضة.. لماذا؟ إن أحدهم يتمنى صلة أخيه أو أخته، أو.. ولكن يصده عنها أنه لا يجد ثمن الهدية التي يأخذها معه لأخيه أو أخته، كأنها ركنٌ من أركان الصلة.. إن مثل هؤلاء في

---

(١) رواه مسلم، إمارة ١١٩.

(٢) رواه الترمذي، فضائل الجهاد ٢٥، وابن ماجة، جهاد ١٦، وأحمد ٤/ ١٣١، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، «للشهيد عند الله ست خصال»، وهو عند الترمذي برقم ١٦٦٣.

حاجة إلى وعي فقهي يدركون به أن الهدية سُنَّة، وأن صلة الرحم فرض، وأن السُّنَّة عَطَّلت الفرض، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**الرحم متعلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**»(١).

٢ ـ زيارة المريض من حقوق المسلم على المسلم، فقد جاء في الحديث الصحيح: «...**وإذا مرض عدته...**»، والواقع أن كثيراً يقصرون فيها، لأجل الهدايا.. اذهب إلى المريض لعله بمجرد رؤيته لك يبتسم ويبتهج ويحدث له البشر والسرور وقد تدخل عليه وهو مريض ومعك كافة أنواع الهدايا والأطعمة ومع ذلك حينما ينظر إليك قادماً يتمنى ألا تحضر.

٣ ـ يترك بعض المسلمين تعلم القرآن والعلوم الدينية، لشيوع العُرف بأنه واجب فقط على العلماء والخطباء، ولا يدرون أن تَعلُّم أحكام التجويد والتلاوة والأحكام الشرعية التي لا تصح عبادة المسلم إلا بها، واجبة على كل مسلم.

٤ ـ ينقطع بعضهم الآخر في المسجد لتعلم التجويد والقرآن.. نعم ذلك مما ينبغي على كل مسلم علمه، ولكن على ألا يعطل واجب المذاكرة مثلاً.

٥ ـ تؤدي زكاة المال في وقتها.. لكن يجوز دفعها مقدماً إذا دعت حاجة المسلمين لذلك، إذا لم توجد صدقات تكفي.

٦ ـ في تربية الأولاد يقوم الفرض الذي عليه الآن الأساس كما يقول بن سنيا «على توجيه الصبي إلى المهنة التي يريدها إذا تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة»(٢).

٧ ـ الأولوية الفقه في الحاضر الآن زراعة المحاصيل الأولية الأساسية (قمح ـ قطن..) بدلاً من الكنتالوب وما شابهه(٣).

---

(١) رواه مسلم، بر ١٧. (٢) تربية الأولاد في الإسلام، جـ٢، ص ٩٢٩.

(٣) أيضا من الخلل في ترتيب الأولويات:

ـ تحويل المكروهات إلى محرمات.

ـ تحويل الخطأ إلى خطيئة: المخطئ معذور وقد يُرفع عنه العقاب يقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ...﴾ (الأحزاب: ٥)، وللحديث: «رُفِعَ عن أمتي الخطأ...»، بينما الخطيئة من الكبائر: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً...﴾ (النساء: ١١٢).

ـ نسبة الخطيئة إلى الكفر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ...﴾ (النساء: ٤٨).

النتيجة الثالثة

نملة أنقذت أمة .. فمن ينقذ أمتنا ؟!(١)

يقول الله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ١٨).

ماذا فعلت النملة؟

فعلت النملة أحد عشر شيئاً لكي تنقذ أمتها . .

النملة لم تشجب، ولم تستنكر، ولكنها كانت إيجابية . .

فتحركت وفعلت الآتي :

١ ـ نادت يا . .

٢ ـ ونادت أي . .

٣ ـ ونبهت ها . .

٤ ـ وسمت النمل . .

٥ ـ وأمرت ادخلوا . .

٦ ـ وحددت مساكنكم . .

٧ ـ وحذرت لا يحطمنكم . .

٨ ـ وخصت سليمان . .

٩ ـ وعمت وجنوده . .

١٠ ـ وأشارت وهم . .

---

(١) من محاضرة د. سعيد النوتي، أستاذ البلاغة بجامعة الأزهر.

١١ ـ والتمست العذر: لا يشعرون. .

تقرير النملة : ومن هنا نستنبط هذه الأشياء:

أولاً : النملة حملت الهمّ فسعت لإنقاذ أمة النمل!

وحمل الهم يستدعي التحرك لإنقاذ الأمة والعمل للإسلام.

ثانيًا : أنذرت النملة باقي أمم النمل بالخطر القادم عليهم قبل وقوعه، ولم تنتظر حتى يأتي العدو.

ثالثًا : أدركت خطورة المسئولية وأهميتها.

رابعاً : أنقذت النملة بهذا أمة النمل من الهلاك.

خامساً: قدمت كل ما تملك لأمتها!! فماذا قدمنا لديننا؟

سادساً: ضحت النملة بنفسها في سبيل المملكة والرعية حيث ينزل جيش سليمان من قمة الجبل إلى الوادي، ولن يرى هذه النملة، وكأنها تقول ليس المهم أن أموت، ولكن المهم أن يعيش الباقي في عزة، ولم تقل: نفسي نفسي مصلحتي ومصلحة عيالي.

سابعاً: لم تهرب النملة بعد الإحساس بالخطر، وهي الوحيدة من بين النمل التي شعرت بالخطر، ولاحظته من بعيد.

ثامنًا : لم تقل ماذا أفعل بمفردي أمام هذه القوة؟ كما نقول نحن الآن (إحنا مش قدهم). . ولم تقل: «لا قِبَل لنا بجيش سليمان. . اتفضل يا سليمان اقتل ما تقتل. . واسجن ما تسجن. . اعفـ عما تعفو عنه».

عندها صبر وجلد وجدية وقوة تحمل، علمت النملة أنه لا حياة لها ولا نجاة لها بدون نجاة أمتها، فالنملة جزء لا يتجزأ من أمة النمل، وهذا هو سر تسمية السورة باسم سورة النمل، وليس سورة النملة، بخلاف سورة البقرة لم يقل سورة البقر، لأن البقرة يمكن أن تعيش وحدها، وكذلك سورة العنكبوت فإنك نادراً ما تجد عنكبين معاً، وكذلك سورة

الفيل لم يقل سورة الفيلة، لأن الفيل ممكن يعيش بمفرده، فالنملة لا تعيش إلا في حياة النمل.

تاسعاً: كانت حريصة على الخير لأمتها كحرصها على الخير لنفسها، فعن معاذ بن جبل سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان قال: «أن تحب لله، وتبغض لله، وتُعمل لسانك في ذكر الله»، قال: «ثم ماذا يا رسول الله ﷺ؟»، قال: **«وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك»**[(١)] النملة عضو في جسد ولا حياة للعضو إذا انفصل عن الجسد.

عاشراً: كانت ثمرة صدق الدعوة أن استجاب النمل لها ولم يقل: من أنت؟ ماذا تقولين؟ ولماذا أنت بالذات؟ ولم تعترض نملة واحدة عليها، أو تتهمها بحب الظهور... إلى غير ذلك مما فعلته الأمم من البشر مع رسلها، وهم يحذرونهم خطراً أعظم بكثير من خطر سليمان وجنوده!!

إحدى عشرة: أنصفت الخصم، والتمست له العذر، ولم تتهمه بالاعتداء على المملكة، فقالت: ﴿**لايَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾.

وهنا سؤال: لماذا قالت النملة: ادخلوا مساكنكم ولم تقل دياركم أو بيوتكم، مع أن القرآن ذكر في سورة النحل، آية ٦٨: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...**﴾.

وفي سورة العنكبوت، آية ٤١: ﴿ **كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ...**﴾.

الإجابة: **أن النملة قدَّرت ما أثارت من ذعر في نفوس النمل، إذ فعلت فيهم فعل صافرة إنذار انطلقت في أعقاب غارة من الغارات، وأن النمل بات في أمسّ الحاجة إلى ما يُهدئ من ثائرته، وما يُسكن روعته، فكان اختيار «مساكن» أنسب من بيوت، لما توحي به من سكن وسكينة، أصبحا مطلب النمل الأول في**

---

(١) رواه البخاري، إيمان ٧، ومسلم، إيمان ٧١، ٧٢.

هذا المقام، ولذلك يقول ربنا: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا.. ﴾ (الروم: ٢١).

يقول الله: ﴿ لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾.. وليس لتبيتوا عندها.

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ (غافر: ٦١).

الفصل الثاني

فـن الـدعــوة

وفيه أربعة مباحث :

١ ـ تعريـف الدعـوة والداعـي .

٢ ـ آداب الـدعــــاة .

٣ ـ فن الحوار، وأدب الاتصال .

٤ ـ وسائل دعويـــة .

الفصل الثاني
فـن الـدعـوة

المبحث الأول
تعريف الدعوة والداعي

يقول الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ (فُصِّلَت).

الدعوة لغة:

من الدعاء إلى الشيء.

بمعنى الحث على قصده والترغيب في فعله.

الدعوة في الإصطلاح :

حث الناس على الخير والهدى والرشاد والاستقامة، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ليفوزوا بعز الدنيا وسعادة الآخرة[1].

حكم الدعوة :

واجبة على كل مسلم ومسلمة في كل عهد، فكل عاقل بالغ ذكر كان أو أنثى مكلف بها . . الكل مكلف بهذا الواجب.

---

(١) كتاب منهج الدعوة الإسلامية، للشيخ عبد المنصف محمود.

الداعي : هو المكلف شرعاً بالدعوة إلى الله تعالى .

الدعوة إلى الله :

هي وظيفة رسل الله جميعاً إلى أقوامهم بنصوص القرآن . .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف : ٥٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأعراف : ٧٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ (هود : ٥٠) .

الداعي الأول :

هو رسول الله ﷺ، رسول لجميع من يأتي بعد بعثته إلى يوم القيامة ، وشاهد على الرسل قبله أنهم بلغوا رسالاتهم إلى أقوامهم . .

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأحزاب) .

انتبه : الأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة :

لأن الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أمته فيه ، إلا ما استثنى وليس من هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى بالدعوة إليه ، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم

هذه الأمة وشرفها بأن أشركها مع رسوله الكريم ﷺ في وظيفة الدعوة إليه بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

لماذا كلف الله المسلم بالدعوة ؟

هل أنت صالح مهتدٍ أم مصلح هادٍ؟

الإسلام لا يكتفي من المسلم بأن يكون في نفسه صالحاً مهتدياً. . وإنما يجب أن يكون مُصلحاً وهادياً. . فما تعليل ذلك؟ (١)

السبب في ذلك.. هذه الوجوه :

- **الوجه الأول**: أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الناس جميعاً: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).
- **الوجه الثاني**: بقاء الشرك والكفر في الأرض يؤثر على الإسلام. . فقيام المسلم بدعوة أهل الشرك والكفر إلى الله وإلى دينه يفيده ويقيه شرور الكفر.
- **الوجه الثالث**: دفع الهلاك والعذاب عن المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ٢٥).

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.

المبحث الثاني

آداب الدعـــاة

للدعاة آداب [(١)] لابد أن يتحلوا بها حتىٰ يكونوا رسل هداية، ومشاعل حق وخير، يؤدون الرسالة كما أرادها الله.

يقول د. **يسري هاني** [(٢)] : الداعية الذي يقابل المجتمع بكافة أصنافه لابد له من ركائز ثلاث:

١ ـ الفقه الواعي.

٢ ـ العمل المخلص.

٣ ـ الدعوة الصادقة .

١ ـ الفقه الواعي:

أعلىٰ درجات الفقه، لأنه أعلىٰ درجات الفهم لهذا الدين، ولأن الفقه المطلق يحصله كثير من الناس (المتون ـ الشروح ـ الحواشي) وهذا فقه غير واعٍ، لأنه لايستطيع أن يخرج الفقه بطريقة تنفع دينه.

مثال: رجل أغلق جوال قمح وتركه للسوس.

الداعية صاحب الفقه الواعي يحتاج إلىٰ:

١ ـ يقينٌ في الدعوة، وثقة في منهاجها، وأنها دعوة الإنقاذ إلىٰ قيام الساعة، فها هو ربعي بن عامر يدخل إيوان كسرىٰ راكباً جواده، يخرق الستائر برمحه، فيبادره قائلاً: ما الذي أتىٰ بكم؟ فما عهدنا العرب إلا أناساً يأكلون فتات موائدنا؟

---

(١) هذه تسمية الشيخ: عائض القرني.

(٢) الدكتور يسري هاني، أستاذ ورئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر الشريف، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة.

فأجابه في يقين المؤمن، وعزة المسلم، وثبات منقطع النظير: «لقد ابتعثنا الله لِنُخْرِجَ العباد من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله الواحد القهار، ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعة الدنيا والآخرة».

٢ ـ التبصير بها ، بحيث لا تضره زركشة الباطل وأفانينه في الدخول علىٰ قلب الداعي، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨).

٣ ـ إذا قرأ فإن له طريقته الواعية في القراءة والتحصيل. . يحفظ كتاب الله أو ما تيسر، يُعنىٰ بالأحاديث الصحيح فيها والضعيف، ويحافظ علىٰ أوقاته في إقامته وسفره، وعليه عمل فهارس للنشرات والفتاوىٰ وعناوين الأشرطة والكتيبات وعمل ملفات لذلك.

٢ ـ العمل المخلص:

عمل بلا إخلاص شجر بلا ثمر، قال تعالىٰ:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة: ٥).

وهناك شرطان لقبول العمل، قال تعالىٰ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠).

أي أن يكون:

١ ـ علىٰ سنة وليس علىٰ بدعة.

٢ ـ الإخلاص. . تسأل نفسك سؤالين: لِمَ؟ وكيف؟

(لِمَ) عن الإخلاص، و(كيف) عن الاتباع.

أن ينطلق الداعية بالإخلاص وأن يمسك الميزان في يده، والميزان هو: «لا يَقِلّ العمل سواء مُدح أو ذُمَّ» لأن علامة الرياء أن «يكثر العمل بالمدح ويقلّ بالذم»، فقد قال أبو حامد الغزالي: «الإخلاص أن يستوي لديك المدح والذم».

ثمرة الاخلاص:

١ ـ البركة في الدنيا والآخرة . . والداعية المخلص يكون حركة دائبة لا تعرف التعب والملل ولا اليأس، مثل أبي بكر الصديق بعد إسلامه بعدة ساعات، خرج يدعو وكله حركة، وفي يوم وليلة يسلم على يده ستة بشروا بالجنة.

٢ ـ من ثمرات الإخلاص التوفيق . . فتنفتح القلوب ،لقد سمع الحسن البصري لخطيبٍ يتحدث ولم يتأثر به، فقال للرجل: «إما في قلبي أو في قلبك شيء».

أما الحديث الذي ينبغي أن يهز شعور المرائين هزة عنيفة، فهو قوله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يُقضَى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرَّفه نعمته فعرفها، وقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال هو جرئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمَهُ وقرأ القرآن، فَأُتي به فَعَرَّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت ليُقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار..**»(١) ، وكذا صاحب المال . .

٣ـ الدعوة الصادقة:

أولها تجرد من الدنيا وشهواتها، وما أسئلكم عليه من أجر . . وعلى الداعية أن يتفكر في الارتحال من هذه الدنيا، وأنه سوف يموت وحده، ويُحشر وحده، ويُقْبَر وحده. وأن الله سوف يسأله عن كل كلمة قالها . . فيتأمل:

لماذا يدعو؟ ولماذا يتكلم؟ وبماذا يقول؟ ولماذا ينطق؟ حتى يكون على بصيرة.

وإضافة إلى هذه الركائز الثلاث اللازمة للداعية..

نذكر تتمة لهذه الآداب التي يجب أن يتحلى بها الداعية :

---

(١) رواه مسلم، إمارة ١٥٢ .

٤ ـ تحديد الهدف :

يجب أن يكون هدف الداعية واضحاً، وهو إقامة الدين، وهيمنة الإصلاح، وإنهاء أو تقليص الفساد في العالم، قال تعالىٰ: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ (هود: ٨٨).

٥ ـ التحلي بصفات المجاهدين :

المجاهد علىٰ ثغر، وأنت علىٰ ثغر فعليك بالصبر علىٰ الأعداء الذين يريدون انتشار الشهوات، وانحطاط الأمة وإيقاعها في الرذيلة، قال تعالىٰ: ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء: ٢٧).

٦ ـ ألا يعيش المثاليات :

ويعلم أنه مقصرٌ والناس مقصرون، قال تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (النور: ٢١).

فعلىٰ الداعية أن يتعامل مع جيله تعاملاً واقعياً، بما هو عليه من سلبيات وأخطاء.

٧ ـ عدم اليأس من رحمة الله :

فعلىٰ الداعية ألا يغضب إن طرح عليه شاب مشكلة، وأنه وقع في معصية.

فقد أُتي الرسول ﷺ برجل شرب الخمر وهو من الصحابة أكثر من مرة، فلما أُتي به أقام عليه الحد، فقال بعض الصحابة: «أخزاه الله، ما أكثر ما يُؤتىٰ به الخمر»، فغضب ﷺ وقال: **«لا تقل ذلك، لا تعن الشيطان عليه، والذي نفسي بيده ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله»**(١).

(١) أخرجه البخاري، حدود ٤.

فما أحسن الحكمة، وما أعظم التوجيه، لا تيأس من الناس مهما بدرت منهم المعاصي والمخالفات والأخطاء.. وإن أبواب التوبة سوف تفتح لهم في يوم من الأيام، وسوف تراهم مخلصين صادقين، فعلى الداعية ألا ييأس من بطء استجابة الناس، فعلى الداعية ألا ييأس من الناس، فربهم يناديهم: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (النور: ٣١).

ويرصد لهم الحوافز والجوائز التي حتماً ستأتي بالصادقين منهم: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾ (طه: ٨٢).

بل عليه أن يصبر ويسأل الله لهم في السجود، ولا يستعجل عليهم فإن رسول الله ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة، ومع ما تعرض له من الإيذاء لم يغضب، فلو جمعت المصاعب التي يتعرض لها الدعاة لا تساوي ذرة من المصاعب التي تعرضها لها النبي ﷺولم يغضب، لقد سأله ملك الجبال أن يُطبق عليهم الأخشبين، فقال ﷺ: «**لا.. إني أسأل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً**»(١).

فأخرج الله من أصلاب الكفرة القادة..

فمن صُلب الوليد بن المغيرة.. جاء خالد بن الوليد..

ومن صُلب أبي جهل.. جاء عكرمة بن أبي جهل..

فالعاصي قد يتحول إلى عالِم تقي ورع.

وأقول لك: اترك الباب مفتوحاً لصاحب المعصية، وتعلم من كلمات القرآن حتى مع الكافرين، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ (المُلك: ٢٨).

كان الحديث مع الكافرين.. ومع ذلك لم يقل الله لهم: فمن يجيركم أيها الكافرون؟.. فالإسلام لا يغلق الباب حتى أمام الكافرين.

---

(١) أخرجه البخاري، بدء الخلق ٧، مسلم، جهاد ١١١.

يقول الشاعر:

مـــن ذا الـذي ما ســاء قــط؟ ومـن لـه الحسنــة فقـط؟

ويقــول :

ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلها؟ كفى المرء نبلاً أن تُعد معايبه

ويقول الشاعر :

تريــد مهـذباً لا عيـب فيـه وهـل عود يفـوح بلا دخـان؟

من الواقـع :

يحكي أحد الدعاة قائلاً: وأنا في الاعتكاف في المسجد، جاءني شاب وقال: إن لي علاقة بنت فلان وبيننا قصة حب، فقلت له: إنها إنسانة على خُلق وأنت أيضاً تريدني أن أخطبها لك من والدها؟

فقال: لا ، لم يحن الوقت بعد، فما زلنا بعد في الدراسة .

فقلت له : قل لي متى تستطيع أن ترتبط بها، فأخبر أسرتها وتكون هي لك.

فقال لي : لا تفعل شيئاً، واندمج معنا في الاعتكاف، وقطع صلته بها واستقام بعدها ولله الحمد.

وبعد فترة قال لي هذا الشاب: أنا كنت متوقعاً أنني حينما أقول لك أحب فلانة وبيننا قصة حب، أنك سوف تصرخ في وجهي وتنهرني وتسبني وتطردني من الاعتكاف في المسجد، ولكن ذلك لم يحدث فكان ردك وتصرفك هو الأسلوب الأمثل لكي أترك ما أنا عليه من الخطأ.

وفي الحديث القدسي الذي رواه أحمد والترمذي بسند صحيح، يقول الله عز وجل: **«يا ابن آدم.. إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك ولا أبالي.. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي.. يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»**[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٣٥٤٠ ، دعوات ٩٨، والدارمي، رقاق ٧٢، وأحمد ٥/ ١٥٤، وقال الترمذي: حسن غريب .

فلا تيأس أيها الداعية من المدعوين وخذ بيدهم رويداً رويداً، ولا تُجابهه فلا تُقنط شارب الخمر من توبته، ولا تُقنط السارق، ولا الزاني، ولا القاتل وعلِّمهم التوبة والاستغفار وصلاة التوبة[1]. قال تعالىٰ: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

وفي المقابل . . على الداعية ألاَّ يُهَوِّن علىٰ الناس المعاصي، بل يخوفهم من الواحد الأحد، بل كن وسطاً بين التخويف من الله والتأميل في رحمته، ولا تكن دائماً متساهلاً في كل شيء، فتقول لصاحب الكبيرة (سهلة) أمرها بسيط، وليعلم أن الله يغار، كما في الصحيح من حديث ابن مسعود، ومن غيرته سبحانه وتعالىٰ أنه يغار علىٰ عبده المؤمن أن يزني، وعلىٰ أَمَتِه المؤمنة أن تزني.

٨ـ تجنب غيبة الأشخاص، وتجريح الهيئات، ولا تذكر أحداً إلا بخير:

فقد كان رسول الله ﷺ غاية في السمو الخُلُقي، قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم: ٤).

فيعرِّض بالمخالفين تعريضاً: «**مابالُ أقوام يفعلون كذا وكذا**».

أما إن كان الرجل ظالماً أو مجاهراً بالمعصية، فكلٌ بذنبه وحسابه: ﴿ **لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ** ﴾ (النساء: ١٤٨).

ولا يُجَرِّح هيئة أو مؤسسة من المؤسسات، فإن التعميم خطأ يقع فيه بعضُ الغيورين المتحمسين، حيث رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من أفرى الفرى أن يهجو الشاعر القبيلة بأسرها**»[2].

---

(١) صلاة التوبة تكون بعد الذنب، يقول النبي ﷺ: «إن العبد إذا أذنب ثم قام فتوضأ وأحسن الوضوء وصلىٰ ركعتين ثم استغفر الله لوجد الله غفاراً رحيماً»، رواه أبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجة، وابن حبان، وفي المتجر الرابح، برقم ١٤٠٣ .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم ١٢٦ .

٩ ـ أن يتواضع الداعية لمن يدعوهم :

ولا يتعالىٰ علىٰ الناس ، فقد أمر الله رسوله ﷺ وهو يؤدي الرسالة كاملة : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ (النصر) .

فعلىٰ الداعية أن يستغفر الله ، فلا يزكي نفسه ، فلا يقول : أنا آمركم دائماً وتعصونني ، وأنهاكم ولا تمتثلون ، أنا دائماً ألاحظ عليكم كذا . . أنا دائماً أقول . . أنا دائماً أحدث نفسي إلىٰ متىٰ تعصي هذه الأمة ربها . . فإنه بذلك يُخرج نفسه من اللوم والعقاب وكأنه بريء ، بل عليه أن يتعامل مع المدعوين كفرد منهم ، وعلىٰ أنه في دائرة التقصير معهم ، فيقول وقعنا كلنا ـ إلا من رحم الله ـ في هذه المسألة ، وأخطأنا كلنا ـ إلا من رحم الله ـ في كذا ، والواجب علينا كذا وكذا . .

فربما يكون من الجالسين من هو أزكىٰ عند الله من الداعية .

كان الرجل يدخل علىٰ المجلس ولم يكن يعرف النبي ﷺ قبل ذلك ، فيسأل : «أيكم محمد بن عبد الله ﷺ؟» .

لأنه لم يكن يجلس في مكان مخصوص ، ولا جلسة مخصوصة .

فلا يُزكي الداعية نفسه عملاً بقوله تعالىٰ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ (النجم : ٣٢) .

وأن يتواضع لمن يدعوهم ، حيث وصف الله عز وجل عباد الرحمن بقوله : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان : ٦٣) .

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ ... علىٰ صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... علىٰ طبقات الجو وهو وضيعُ(١)

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق ، ط . مؤسسة اقرأ ، ص ٣٥٢ ، المجلد الأول .

وليتجنب كما قال ابن القيم [(١)] : «ثلاث كلمات : أنا ـ لي ـ عندي ـ فإن إبليس حينما قال له الله : ﴿ ما منعك ألاَّ تسجد إذ أمرتك ﴾ (الأعراف : ١٢).

ـ قال إبليس : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (الأعراف : ١٢).

ـ وفرعون قال : ﴿ يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ﴾ (الزخرف : ٥١).

ـ وقارون قال : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ (القصص : ٧٨).

١٠ ـ عدم اليأس من كثرة الفساد والمفسدين.. ويعرف فقه الواقع :

بعد هذا الجهد وهذه السنوات في الدعوة من نوح عليه السلام . . يقول الله : ﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴾ (هود : ٤٠).

ذكر ربنا أن أهل المعصية أكثر، وأن الضلال أكثر، وأن المفسدين أكثر.. ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ﴾ (سبأ : ١٣). ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ (الأنعام : ١١٦). ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ (يوسف : ١٠٣).

وعلى الداعية أن يعرف ويقرأ واقعه ويستفيد من المجتمع . . ويعرف ماذا يدور في البلد . . وماذا يقال . . وما هي القضايا المطروحة . . ويتعرف على الباعة والتجار والفلاحين، وطبقات الناس . . حتى يكون صاحب خلفية قوية يتكلم من واقع يعرفه . . ولذا جعل أهل العلم من لوازم الداعية إذا أتى إلى بلد أن يقرأ تاريخ هذا البلد . .

---

(١) زاد المعاد، جـ ٢ ، ص ٤٧٥ ، أقول : إذا قيلت هذه الكلمات في الحق فلا شيء في ذلك، المهم ألا تقال غروراً واستكباراً .

١١ ـ الانضباط الفقهي والشرعي :

بعض الدعاة تأخذه الغيرة فإذا تكلموا عن معصية جعلوا عقابها أكثر مما جعل الله عز وجل، فمثلاً يهول على الناس في قضية النهي عن الدخان، فيقول «يا عباد الله، إن من شرب الدخان حرم الله عليه الجنة وكان جزاؤه جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً». . وهذا في ميزان الشريعة خطأ. . فهناك شرك يُخْرِج من الملة، وهناك كبائر، هناك صغائر، وهناك مباحات[1] .

وكذلك لا تهول في جانب الحسنات. . مثل المروي باطلاً : «من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، بني الله له سبعين قصراً في الجنة، في كل قصر ٧٠ حورية، على كل حورية ٧٠ وصيفة، ويبقى في ٧٠ من صلاة العصر إلى صلاة المغرب». .

فعلى الداعية أن يضبط مفردات خطابه الدعوي بميزات الشرع، فيضع كل مسألة مأمور بها، أو منهي عنها في نصابها الصحيح، فلا يُقنِّط الناس من رحمة الله، ولا يُهوِّن عليهم ارتكاب المعاصي، فخير الأمور الوسط، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

وعليه الاتزان في كلامه، وتصرفاته، بل وحركاته، فقد كان النبي ﷺ يُشَرِّع للناس بقوله، وفعله، وتقريره، وكذلك فإن قول العالم والداعية وفعله، وإقراره عند البسطاء من الناس شرع[2] .

١٢ ـ عدم الاستدلال بالأحاديث الموضوعة:

فالأحاديث الضعيفة يؤخذ بها بشروط :

١ ـ ألا يكون شديد الضعف.

٢ ـ أن تكون القواعد الكلية في الشريعة تسانده وتؤيده.

٣ ـ ألا يكون في الأحكام بل في فضائل الأعمال، وفي الصحيح غنية وكفاية.

---

(١) راجع باب الفقه في هذه الموسوعة .

(٢) الموافقات للإمام الشاطبي، بتصرف يسير.

١٣ ـ اللين في الخطاب.. والشفقة في النصح :

كان النبي ﷺ ليناً بشوش الوجه، لا يُرىٰ إلا متبسماً، إلا أن تنتهك حرمات الله تعالىٰ، يحب الكبير والصغير، ويتواضع للعجوز، ويحمل الطفل، ويتحمل جفاء الأعراب، لا يترك يد من يصافحه إلا إذا تركها أولاً.

وإذا تكلم مع أحد أقبل عليه بوجهه، قال فيه ربه: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

إن الله تعالىٰ أمر موسىٰ وهارون أن يذهبا إلىٰ فرعون وقال لهما: ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾ (طه: ٤٤).

إنَّ السحر الحلال هو الكلمة الطيبة، والرحمة بكل الخلق، قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

فالرسول ﷺ رحمة.. وأتباعه رحمة.. وتلاميذه رحمة.. والدعاة إلىٰ منهج الله رحمة.. وعلىٰ الداعية أن يكون رحمة..

١٤ ـ وعلى الداعية أن يكون شورياً :

شورياً في حركته، ملتزماً بنتيجة الشورىٰ إن دعا الناس إليها، حيث وصف الله جماعة المؤمنين بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (الشورىٰ: ٣٨).

ثم أمر النبي ﷺ وهو سيد الدعاة وإمامهم فقال: ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

فعلىٰ الداعية أن يتشاور مع أهل الخير والمحبين تفعيلاً لهم، ولملكاتهم في خدمة الإسلام والمسلمين، ولا بأس أن يطلب نصح المجتمع الدعوي الذي يقوم بالدعوة فيه من خلال استبيانات، أو استطلاعات رأي، أو بطاقات تُوزّع عليهم، فيدُ الله مع الجماعة.

١٥ ـ أن يعلن الدعوة للمصلحة.. ويسر بها للمصلحة:

إذا كان الإعلان طيباً كالمحاضرة العامة والموعظة العامة، فإذا أراد أن ينصح شخصاً بعينه فعليه أن يسر الدعوة، فيأخذه على حدة ويتلطف له في العبارة.

قال الشافعي:

تعمدني بنصحك في انفرادي وجنّبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوعٌ من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت قولي فلا تجزع إذا لم تُعْطَ طاعة

وقالوا قديماً: «المؤمن ينصح ويستر .. والفاجر يهتك ويُعَيِّر».

١٦ ـ متابعة القضايا المعاصرة، ورصد الشبهات الواردة:

فالداعية رائد في مجتمعه، مستشارٌ في مسجده، أو مجال عمله الدعوي، ومن ثم فعليه متابعة القضايا المعاصرة والإلمام بأحكامها الشرعية من خلال متابعة الدوريات العلمية المتخصصة، وتتبع أخبار المجتمع عبر وسائل الإعلام المختلفة، ولا حرج في الاستعانة بمساعد مخلص له في الأمور المهمة من هذه المصادر حتى يتمكن من رصد الشبهات الواردة على الإسلام، والرد عليها تحصيناً للمسلمين، ودفاعاً عن دينه وعقيدته.

أولسنا أمة «اقرأ»، فعلينا أن نكون مثقفي الفكر، موسوعيي الثقافة، وكلٌ بحسب قدرته واستطاعته.

١٧ ـ مخاطبة الناس على قدر عقولهم:

فإذا ذهب إلى مجتمع قروي حدثهم على قدر عقولهم، وتحدث بألفاظ يعرفونها، ومسائل يعيشونها، وإذا ذهب إلى طلبة العلم في الجامعة حدثهم على قدر عقولهم من الثقافة والوعي، وتُحدثهم عن الأفكار الواردة عليهم من: علمانية ـ إلحاد ـ حداثة ـ شبهات وشهوات .. ومن المستوى الأدنى تحدثهم عن: الجليس ـ بر الوالدين ـ حقوق الكبار ـ حفظ الوقت ـ قراءة القرآن.

فالنبي ﷺ خاطب معاذ بن جبل عن العلم، وحفظ العلم، وأثر العلم، وحدود الله، وخاطب الأعراب بالتوحيد وجنة عرضها السماوات والأرض.

ففي صحيح مسلم مرفوعاً عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة**»(١).

١٨ ـ أن يكون أول الملتزمين بدعوته :

فعلى الداعية أن يلتزم بما يدعو إليه، ولتذكر حديث النبي ﷺ عن أبي زيد أسامه بن زيد بن حارثة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهي عن المنكر وآتيه**»(٢).

١٩ ـ أن يكون عند الداعية ولاء وبراء نسبي:

فلا تُحب مطلقاً، ولا تبغض مطلقاً، فأنت قد تحب الشخص لأنه يحافظ على صلاة الجماعة، وتبغضه لأنه يغتاب الناس، فلتكن عدلاً في الحكم تحفظ، جوانب الكمال عند الناس، وتنبه على جوانب النقص.

حيث رُوي عن علي بن أبي طالب: «أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما».

٢٠ ـ أن يكون الداعية اجتماعياً :

يحضر حفلات الزواج ويبارك للعريس ويبارك لأهل البيت، ويشارك الناس أحزانهم وأفراحهم. كيف يراك الناس تدعوهم يوم الجمعة ثم لا يرونك في فرحهم وأحزانهم تساهم في حل مشكلاتهم.

فالداعية مصلح، ولقد تأخر النبي ﷺعن صلاة الظهر مرة كما في البخاري

---

(١) رواه مسلم، مقدمة، جزء ١، ص ٢١.

(٢) رواه البخاري، بدء الخلق ١٠، مسلم، زهد ٥١.

لأنه ذهب إلى بني عمرو بن عوف يحل مشكلاتهم ويصلح فيما بينهم. وكان إذا سمع عن مريض حتى من الأعراب البدو في طرق المدينة ذهب بأصحابه يزورونه.

٢١ ـ مراعاة التدرج في الدعوة :

على الداعية أن يتدرج في دعوته فيبدأ بكبار المسائل قبل صغارها، فبعض الدعاة يذهب إلى القرية مثلاً فيريد أن يصب لهم الإسلام في خطبة جمعة واحدة، فمن الممكن الحديث في خطبة عن: المحافظة على الصلوات أو الحجاب.. أما أن تذكر لهم في خطبه واحدة أو في درس واحد: مسائل التوحيد ـ مسائل الشرك ـ السحر ـ الحجاب ـ المحافظة على الصلاة ـ حق الجار.. فإنهم لا يمكن أن يحفظوا شيئاً.. فكثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً.

والرسول ﷺ أرسل معاذاً إلى اليمن وقال له: «**إنك تأتي أناساً أهل كتاب.. فليكن أول ما تدعوهم إليه، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة..**»(١).

فلا تأتي إلى أُناس لا يُصلون الفرائض، ثم تطالبهم بقيام الليل، فلا تطالب الناس بصغار المسائل حتى تنفذ أنت وإياهم إلى المسائل الكبرى، وعليك بتنويع الأساليب: مرة موعظة ـ ومرة خطبة ـ ومرة رسالة ـ ومرة ندوة ـ ومرة أمسية ـ أو تتصل بالهاتف به أو ترسل بعض الدعاة.

وأرى أن تجديد الأسلوب مطلوب في عصر جُددت فيه أساليب الباطل. ولا تيأس من كثرة مال أهل الباطل وإنفاقهم له، قال تعالى: ﴿**فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ**﴾ (الأنفال: ٣٦).

ولا تيأس أنت من قلة وسائلك، فقد كان حول النبي ﷺ إمبراطورية كسرى، وإمبراطورية قيصر يملكون كل الإمكانات، والنبي ﷺ يعيش في بيته المبني من الطين بوسائله البسيطة، ولكن مع الإخلاص والصدق والأخذ بالأسباب والعمل، بلغ الدين مشارق الأرض ومغاربها.

---

(١) رواه البخاري، زكاة ١، ٦٣، مغازي ٦٠، ومسلم، إيمان ٢٩، ٣١.

٢٢ ـ أن يكون الداعية محاسباً لنفسه :

للوقوف على حسناتها، فيزيدها، ويسأل الله القبول، ويتعرف مواضع الزلل فيتجنبها، ويستغفر الله منها، ورائده في ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبُوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزَنَ عليكم» .

وليتدبر قول الله عز وجل : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ (الأنبياء : ٤٧) .

ولنصغ جميعاً إلى قول **ميمون بن مهران**: «لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، والشريكان يتحاسبان بعد العمل»(١) .

٢٣ ـ أن يكون الداعية مجاهداً لنفسه، مجتهداً في عبادته :

فيكون للداعية نوافل من العبادات وأوراد وأذكار، فلا يكون عادياً مثل سائر الناس، ويكون له أوراد بعيداً عن أعين الناس في آخر الليل، أو عزلة يوم الجمعة ولو ساعة أو ساعات . . وفي عزلته هذه لا يجلس مع زائر ولا يتصل بهاتف .

طلباً للتأييد الإلهي، والمدد الرباني، إذ يقول الله عز وجل : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (العنكبوت : ٧٩) .

وأن يكون ممن قال الله فيهم : ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾ (الأحزاب : ٣٥) .

بالمواظبة على وظائفه ومأثوراته تعميراً لقلبه، وترطيباً للسانه بذكر الله : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ (الرعد : ٢٨) .

ثم الانتظام في مدرسة الرسول ﷺ ، مدرسة قيام الليل : ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾ (المزمل : ٦).

ولنعلم أن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل .

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، جـ ١ ، ص ١٦٤ .

٢٤ ـ أن يكون للداعية شخصيته المستقلة:

فلا يتقمص شخصية غيره، فهناك من يقلد غيره حتىٰ في الصوت والمشية، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت، وأن أساءوا أسأت**»(١) .

٢٥ ـ لكل مقام مقال :

ليعلم الداعية أن ما يقال في مناسبة الزواج غيره في حالة الوفاة، فلكل مقام مقال. . ولقد سمعت خطيباً يبدأ خطبة العيد بكلام سيدنا علي: «يا دنيا طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، مالي وللدنيا غري غيري. . ».

أو خطيب يحدث الناس في خطبة الزفاف أن يكون مهر العروس مثل مهر السيدة فاطمة وهي سيدة نساء العالمين، وأن يكون في بيتها وسادة محشوة بالليف وكذا وكذا. . . وليس عندنا مانع أن يتبسط الناس في المهور والجهاز، لكن أقول لهذا الخطيب: إنك أمام الناس كتاب مفتوح، فهل تزوجت هكذا؟!

فعليك بالتطابق التام بين ما تدعو وما تفعل حتىٰ لا تدخل في قول الله: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ (الصف: ٢).

٢٦ ـ مقابلة الإساءة بالإحسان:

قال تعالىٰ: ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ (فصلت: ٣٤).

فعليك أخي الداعية بالصبر والجلد، وامتصاص غضب الآخرين بالإحسان إليهم، أما من يرد الإهانة بالإهانة، والسباب بالسباب، فإنه لا يصلح أن يكون داعية، ولذا عليك أن تتخلص من جانب الغضب للنفس والثأر والانتقام، لذلك: «**ماغضب رسول الله ﷺ لنفسه قط، إلا أن تُنتهك حرمات الله**»(٢) .

---

(١) رواه الترمذي ٢٠٠٧ ، البر والصلة ٦٣، وقال الترمذي: حديث حسن غريب .

(٢) رواه البخاري، مناقب ٢٣، أدب ٨٠، حدود ١٠، ومسلم، فضائل ٧٧، ٧٩ .

ومن أمثلة السيرة في مقابلة الإساءة بالحسنة:

١ ـ ذكر القاضي عياض في كتابه (الشفا) هذا الحديث: جاء الرجل يطلب من النبي ﷺ أن يعطيه فأعطاه، فقال الرجل: ما أحسنت ولا أجملت، فزاده النبي ﷺ، فقال الرجل: لا أحسنت ولا أكرمت، فأخذه النبي ﷺ وأعطاه والرجل مازال يكرر ثلاث مرات: «لا أحسنت ولا أجملت»، حتى رضي الرجل فقال: «أحسنت وأجملت فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً»، فقال له النبي ﷺ: **«عُد إلى أصحابي وقل لهم ما قلت فإن في نفوسهم منك شيئاً»**، ثم قال النبي ﷺ لأصحابه: **«مَثَلُ هذا الرجل ومثلكم كمثل بعير (جمل) هرب من صاحبه، وكلما تجمع الناس وازدادوا ازداد البعير هرباً، فقال صاحبه للناس: دعوه فانصرفوا فأخذ شيئاً من قُمَام الأرض وأخذ يشير إلى البعير ويتبعه حتى عاد البعير إلى صاحبه، وعاد يركبه..»**، ثم قال النبي ﷺ: **«لو تركتم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»**(١).

٢ ـ رُوي أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد احمل لي على بعيري من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك»، فَجَبَذَ الرسول ﷺ من ثيابه جَبذةً شديدة أثرت في عنقه الشريف، فقال له النبي ﷺ: **«المال مال الله، وأنا عبد الله، ولكن يُقاد منك يا أعرابي»**. فقال الرجل: **«إنك لا تفعل»**، فقال الرسول ﷺ: **«لماذا؟»**. **قال: «لأنك لا تجزئ بالسيئة السيئة، ولكنك تجزئ السيئة بالحسنة»**.

فعفا عنه الرسول ﷺ، وحمل له على بعيره فانطلق الرجل ولما وصل إلى قومه قال لهم: «أسلموا فقد جئتكم من عند خير الناس.. إن محمد ليعطي عطاء من لا يخشى الفقر»(٢).

ولذلك على الداعية أن يعطي للناس ولو كانت كلمة ثناء.. والدليل على

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ص ٩٧، الجزء الأول.

(٢) الشفا للقاضي عياض، ص ٨٣، ج١، مطبعة صُبيح.

ذلك ما قاله النبي ﷺ أثناء الفتح : « **من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن**»(١) .

ولذلك يقول **عمر بن عبد العزيز** : «ما أمرتُ الناس بشيء من الحق إلا أعطيتهم شيئاً من الدنيا ليسيغوه (ليتذوقوه) » .

٢٧ ـ أن يكون الداعية فصيح اللسان .. في غير تكلُّف ولا إغراب :

وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ، فقد أُوتي جوامع الكلم، يعبر عن مقصده بأبلغ عبارة، وربما استعان عليها بالإشارة . .

ويتجنب تكلف الكلام المسجوع بشكل مرذول، فلا تكون عبارته قصيرة مُخلة، ولا طويلة مملة، وأن يكون صوته مسموعاً دون إيذاء للسامعين .

يحدوه قول ربنا عز وجل : ﴿ **وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً** ﴾ (الإسراء: ١١٠) .

ينتقي كلامه كما ينتقي أطايب الثمر، أو كما ينتقي الصائغ حبات من اللؤلؤ، فينظمها عقداً في جيد الحسان، وليس أحسن عند الله ممن جاء راغباً في الاستماع إلى هديه، والبحث عن رضاه .

أقول: وملاك ذلك كله القدوة: فالسيرة الحسنة تُعد المفتاح السحري للقلوب، والحل الناجح لتربية النفوس، والطريق اليسير لشفاء القلوب من أدران الصدور .

فالداعي هادئ النفس لا يستفزه الغضب ولا يستثيره حمق الجاهلين ولا يقابل عنت ونكران المعاندين والضالين بمثله وصدق الله : ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

وسيرة الداعية مرآة للمجتمع، تبين الحق وتعلي الرسالة وتعلن الهداية وتبدد الظلمات .

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٢١٥، والحديث رواه مسلم، جهاد ٨٦ .

وقد يواجه الداعية بغي وظلم أصحاب السير الملوثة والأفكار الهدامة، الأمر الذي يتطلب الصبر والاحتساب والعمل والاجتهاد، حتى يغير الواقع الأثيم والعرف المتخلف والعادات المميتة.

لذا ينبغي علينا التحلي بحسن الخلق، وأن نطابق العمل بالقول لأن الناس تنظر إلى الداعي فإن التزم التزموا وإن سقط سقطوا.

فالسيرة الحسنة مثال عملي على سماحة الإسلام ودليل واضح على حقيقة الدين(١).

يقول د.عبدالحي الفرماوي: الحرص على طهارة القدوة وبراءة السيرة لمن يتصدى للدعوة؛ لأنه إذا فسدت القدوة ضاعت الدعوة(٢).

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي العدد ٥١٩ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ نوفمبر ٢٠٠٨م ص٥.

(٢) سورة يوسف، مشاهد ودروس، ص ١٢٠، د. عبدالحي الفرماوي.

المبحث الثالث

فن الحوار .. وأدب الاتصال

نصائح مهمة للداعية

أهمية هذا المبحث: إنه وسيلة عملية لتنمية فن الحوار . .

بينك أيها المسلم وبين أولادك وزوجتك وجيرانك وزملائك .

بينك أيها الداعية وبين المدعوين . . .

الحوار: مراجعة الكلام والحديث بين طرفين بدون خصومة .

الجدال : اللدد في الخصومة ـ أو التخاصم بالكلام ـ العناد ـ التمسك بالرأي والتعصب له .

الجدال في القرآن :

وردت كلمة الجدال في القرآن في تسعة وعشرين موضعاً، يغلب عليها جميعاً إما سياق عدم الرضا عن الجدال أو عدم جدواه .

يقول الله تعالى : ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** ﴾ (غافر : ٥) . ويقول تعالى أيضاً : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ** ﴾ (الحج : ٨) .

نماذج الحوار في القرآن : (١)

النماذج كثيرة جداً نذكر منها :

---

(١) أوراق في فن الحوار وأدب الاتصال، بحث تربوي د . أحمد مؤمن .

١ ـ ما دار من حوار بين إبراهيم عليه السلام وربه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

٢ ـ حوار صاحب الجنتين مع صاحبه في سورة الكهف.

٣ ـ وحوار إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام عند الذبح، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢).

٤ ـ حوار داود مع الخصمين اللذين تسورا عليه المحراب، قال تعالىٰ: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ... ﴾ (ص: ٢١).

نماذج من الحوار في السنة:

النموذج الأول:

حارت قريش بعدما جهر النبي ﷺ بالدعوة، وارتبكت وفكرت ودبرت وأرسلت عتبة بن ربيعة إلىٰ النبي ﷺ يحادثه ويفاوضه ويغريه.

يروىٰ (١) أن عتبة بن ربيعة جلس إلىٰ رسول الله ﷺ فقال له: «يا ابن أخي، إنك منَّا حيث قد علمت من السطة (٢) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرَّقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم، وكفَّرت به من مضىٰ من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها»، فقال رسول الله ﷺ: **«قل يا أبا الوليد..أسمع»**، فقال له عتبة ما قال، حتىٰ إذا فرغ قال له رسول الله ﷺ: **«أو قد فرغت يا أبا الوليد؟»**، قال: «نعم»، قال: **«فاسمع مني»**، قال: «أفعل..»، فأخذ رسول الله ﷺ يتلو من سورة

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ، ص ٣١٣ .

(٢) السطة: المكانة.

فصلت حتى انتهى إلى الآية موضع السجدة وهي الآية سبعة وثلاثون سجد، ثم قال لعتبة: «**قد سمعت أبا الوليد فأنت وذلك**».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم: «نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به»، وطلب إليهم عتبة أن يتركوا الرسول ﷺ وشأنه، فأبوا وقالوا له: «سَحَرَك يا أبا الوليد بلسانه».

وإليك الدروس من هذا الحوار الرائع:

١ ـ أحسن الرسول ﷺ الاستماع لعتبة فقال له: «يا أبا الوليد أسمع».

٢ ـ أعطاه الرسول ﷺ الفرصة لإضافة شيء يود أن يقوله ربما نسيه أو غفل عنه، فقال له: «أوقد فرغت يا أبا الوليد؟»، فمعنى ذلك أن النبي أحسن الاستماع تماماً وأعطى محدثه الفرصة ليقول من جديد دون أن يعاجله فلما تأكد بدأ هو كلامه.. وهذا قمة في الأدب والذوق مما يجعل الطرف الآخر تنفتح نفسه للسماع.

٣ ـ لم يفرض عليه النبي ﷺ شيئاً، فبعد التلاوة والسجدة قال لعتبة: «قد سمعت يا أبا الوليد، فأنت وذلك».. (أي لك ما تختار).

٤ ـ ومع هذا الأدب العالي والذوق الرفيع وحسن الاستماع منه ﷺ يستدعي حسن إصغاء من عتبة يناديه النبي ﷺ: «يا أبا الوليد..»، ولم يقل: «يا عتبة».

التوصية العملية للدعاة: أن ننفذ هذه الدروس في أي حوار مهما كان صغيراً أو كبيراً، ومهما كان محدثك، فعليك (حسن الاستماع له ـ إعطاء الطرف الآخر فرصة ليقول ما نسيه ـ الأدب في الألفاظ)، ولابد أن نترك هذا الواقع السيئ لنا عند الحوار، فأحياناً تكون الألفاظ: (شوف يا بني.. اسمع يابني.. بقول إيه يا عم إنت..)، حتى أن بعض الزوجات تقول هذه الألفاظ لزوجها عند الخلاف.

النموذج الثاني:

في أعقاب (غزوة حنين) وتوزيع الغنائم على المهاجرين، لم يعط النبي ﷺ للأنصار شيئاً من الغنائم.. ودار حوار رائع بين الأنصار ورسول الله ﷺ[1].

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ١/ ٨٦.

النموذج الثالث :

حوار الحباب بن المنذر مع النبي ﷺ في غزوة بدر، حينما عرض عليه أن يقف بالجيش أمام بئر بدر. .(١) .

النموذج الرابع :

حينما يأتيك شاب يفعل المعصية أو يرتكب بعض الأخطاء تثور في وجهه وتنهره، وربما اضطررته إلى اليأس . . روى أبو أمامة رضي الله عنه، أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: «يا نبي الله، أتأذن لي في الزنا؟»، فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ: «**قربوه.. ادن مني**»، حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﷺ: «**أتحبه لأمك؟**»، قال: «لا . . جعلني الله فداك»، قال ﷺ: «**كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم**»، فقال النبي ﷺ: «**أتحبه لابنتك؟**»، قال: «لا، جعلني الله فداك»، قال: «**كذلك الناس لا يُحبونَه لبناتهم**». . اتحبه لأختك. . . وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة لا جعلني الله فداك، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «**اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصِّن فرجه، فلم يكن شيء أبغض إليَّ من الزنا**»(٢) .

النموذج الخامس :

مر بك في هذا الباب حديث الأعرابي الذي جاء يطلب من النبي ﷺ وقال: «أعطني فإنه ليس مالك ولا مال أبيك»(٣) .

النموذج السادس :

أتى رجل أنكر ولده إلى رسول الله ﷺ، فقال لرسول الله ﷺ:

«إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال رسول الله ﷺ: «**هل لك من إبل؟**».

قال: «نعم»، قال: «**ما لونها؟**»، قال: «حمر».

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١٩٥، طبعة دار الوفاء .

(٢) رواه أحمد ٥/ ٢٥٧، والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح .

(٣) الشفا، للقاضي عياض ١/ ٨٣، مطبعة صبيح .

قال: «**هل فيها من أورق؟**»، قال: «نعم».

قال ﷺ: «**فمن أين ذلك؟**»، قال: «لعل عرقاً نزعه».

فقال النبي ﷺ: «**وهذا الغلام لعل عرقاً نزعه**»(١).

النموذج السابع:

ناظر الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ مجموعة من الملاحدة يقولون بالمصادفة وينكرون وجود الله، وحينما تعب من المناظرة العقلية، استعمل معهم طريق الحيلة والذكاء، فقال لهم نتقابل غداً في نفس الموعد، وأكد على اللقاء.

وفي الغد جاء موعد اللقاء لكنه حضر متأخراً والجميع ينتظرونه، وحينما أتى لاموه على تأخره، فقال لهم: «دعوني أشرح لكم ما الذي أخرني لعل لي عذراً.. تعلمون أني أقيم في الطرف الآخر من النهر، وحين وصلت النهر لأعبره إليكم لم أجد مركباً تحملني، فكان هذا هو سبب تأخيري»، فقال أحدهم: «وكيف جئت؟»

فقال: «أتاني الحظ، وأسعفتني المصادفة بلوح خشب يطفو على النهر فتوقف أمامي، ثم جاءت مجموعة ألواح أخرى التقت باللوح من جهاته الأربعة بشكل عمودي ثم قذف النهر بحبال غليظة حول الألواح بإحكام حتى تثبتها، فركبت وعبرت النهر إليكم»، فقالوا: «ويحك أتستهزئ بعقولنا؟»، قال لهم: «لقد خسرتم وأقررتم على أنفسكم!! أين عقولكم!! لم تصدقوا أن مركباً صغيراً يصنع نفسه، وسمحتم لعقولكم أن تقتنع أن هذا العالم المعجز صنع نفسه؟»..

ثم عادوا إلى عقولهم وجددوا إيمانهم بالله.

فوائد للمسلم الداعية في فن الحوار:

أولاً: وجود الخلاف والإقرار به:

١ ـ حديث: «**لا يصلين العصر إلا في بني قريظة...**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في الطلاق، باب ٢٦، حدود ٢٦، ومسلم، لعان، ١٨، ٢٠.

(٢) راجع باب الفقه لهذه الأحاديث كلها.

٢ ـ وكذلك حديث البخاري عن عبد الله بن مسعود في التيمم والوضوء، ارجع إليه في باب الفقه.

ومن هنا نتأكد أن نبذ الخلاف في كل الأمور، وفي كل وقت غير مقدور عليه، لأنه مغاير لطبيعة الأشياء، فالواجب علينا إذن أن نعرف كيف نختلف.

وقد أرشد القرآن إلى السلوك السوي عند الخلاف فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء: ٥٩).

فإذا عُدنا للكتاب والسنة ووجدنا النص واختلفنا في فهمه، في حدود اختلاف الفقهاء وآرائهم، فيأخذ كلٌ منا برأي، ولا يعيب أحدنا على الآخر.

واختلاف الآراء لا يعني تجاوز الأصول، والانسياق وراء الأهواء، وإنما الالتزام بالضوابط المنهجية، والاستناد إلى المنطق السليم، واعتبار المخالف طرفاً في حوار متكافئ، لا يجوز رفض رأيه سلفاً، أو التعصب ضده.

وفي القرآن آية نطبقها مع غير المؤمنين؟ ونفعل عكسها مع المؤمنين !!

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) ﴾ (سبأ).

فإذا كان هذا خطاب المؤمنين لغيرهم، أفلا يكون هذا درساً بليغاً لهم فيما يجب عليهم في حوارهم مع بعضهم البعض عند اختلاف الرأي بينهم.

ويجب ألا يتجاوز المتحاورون حدودهم فيصعدوا الأمر إلى الإثارة والاستفزاز والدس والوقيعة والسخرية، لأنهم ينزلقون إلى هوة سحيقة.. وانتبه واحذر أخلاق المنافقين: «..إذا خاصم فجر»(١).

(١) رواه البخاري، إيمان ٣٤، مظالم ١٧، جزية ١٧، ومسلم، إيمان ٦.

ثانياً : النيـة الخالصة[١] :

ينبغي ألا يدخل الداعية في حوار ما لم يكن متأكداً من أن نيته لله تعالىٰ، فليس المقصود أن يظهر من خلال الحوار براعته وثقافته وتفوقه علىٰ الآخرين، وينتزع الإعجاب والثناء.

قال أحد الأبناء لأبيه: «يا أبت أراك تنهانا عن المناظرة وقد كنتَ تناظر».

فقال له أبوه : «يا بني كنا نتناظر وكأنَّ علىٰ رأس أحدنا الطير، مخافة أن يزل صاحبه، وأنتم تناظرون ويتمنىٰ كل منكم أن يزل صاحبه».

وورد أن الإمام أبا حنيفة نهر ابنه محمداً عندما كان يناظر الشباب، فقال ابنه له: «ياأبت تنهاني عن المناظرة وأنت تناظر؟»،

فقال له الإمام أبو حنيفة: «أنا أناظر لأصل بالناس إلىٰ الحق، وأنت تناظر لتنتصر لنفسك».

ثالثاً... تعلَّم قَولَ : لا أعلم:

إذا واجهك مناقشك أو مناظرك بشيء لا تعرفه فلا تخجل من قول: لا أعلم هذا الأمر، أو لا تخجل من السؤال والاستيضاح، لأنك إذا سكتَّ فربما تُحرج فيما بعد، وتتهم بالجهل والتستر علىٰ الجهل، رُوي عن الإمام مالك أنه سُئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنين وثلاثين منها: لا أدري، وكان علماء السلف يقولون: «إذا أخطأ العالم قول لا أدري أصيب مقتلة».

رابعاً : لا تتعصب وسلم بالخطأ :

روىٰ أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: **«كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»**[٢] .

---

(١) فن الحوار وأدب الاتصال، ص ٣٠ـ٣٥ .

(٢) رواه الترمذي، قيامة ٤٩ ، وابن ماجة، زهد ٣٠، وأحمد ٣/ ١٩٨ ، والدارمي، رقاق ١٨ ، وقال الترمذي: حديث غريب.

خامساً : الأمانة والتوثيق :

على الداعيـة أن يُرجع الأفكار والنصوص إلى مصادرها ، وعليه أن يذكر الإحصائيات والمراجع . .

سادساً : احترام الطرف الآخر :

على الداعية أن يحترم الأطراف الأخرى التي حاورها مسلمة أو غير مسلمة ، ويلتزم أدب الحوار وإن لم يلتزم به الطرف الآخر .

سابعاً : الفكرة وصاحب الفكرة :

يراعي الداعيـة عـدم الفحش في القـول ، للحـديث الذي رواه عبـد الله بن مسعـود أن رسـول الله ﷺ قـال : «**ليس المؤمن بطعـان ولا لعـان ولا فـاحش ولا بذيء**»(١) . وعنه ﷺ أنه قال : «**سباب المسـلم فسوق وقتالـه كفر**»(٢) . ومما يجعل الفكرة أكثر قبولاً أن يكون صاحبها مقتنعاً بها وحريص على نشرها .

ثامناً : التي هي أحسن :

على الداعيـة الحوار بالتي هي أحسن ، قـال تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (النحل : ١٢٥) . ﴿ **اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)** ﴾ (طه) .

تاسعاً : التحدي والإفحام :

إن أسلوب التـحدي في المناقشـة ولو كـان بالحجـة الدامغة والدليل المبين ، يبـغض صـاحـبـه للآخـرين . . لا تـلجـأ إليـه لأن كـسـب القلوب أهم من كـسب المواقف(٣) ، ولكن يستثنى من ذلك حالات :

---

(١) رواه الترمذي ، بر ٤٨ ، وأحمد ١/ ٤٠٥ ، ٤١٦ ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) رواه البخاري ، إيمان ٣٦ ، أدب ٤٤ ، فتن ٨ ، مسلم ، إيمان ١٦ .

(٣) قديماً قيل : ليس أحـد من أهل العلم إلا رَدَّ وَرُدَ ، ويُروَىٰ عن الشـافعي قـوله : «ما نَاظَرْتُ أحداً إلا أحببتُ أن يُظْهِرَ اللَّهُ الحقَ على لسانِه» ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٨ ، ص ٩١ .

مثال : رجل فاسد يعادي الحق جمع مجموعة من الشباب وأثار أمامهم شبهات وأكاذيب حول الإسلام ، فالأفضل للداعية أن يوقعه في تناقض فكري أمام الآخرين بحيث يحرجه ويسكته ويقلل من قدر ما يقول لديهم . . ويقطع عليه طريق إفسادهم .

عاشراً : الخلاف لا يفسد المحبة..

الخلاف لا يفسد قضية الود بين المتحاورين . . **يقول الإمام حسن البنا** ـ رحمه الله ـ :

«الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ، ولا يؤدي إلىٰ خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف ، في ظل الحب في الله ، والتعاون علىٰ الوصول إلىٰ الحقيقة من غير أن يجر ذلك إلىٰ المراء المذموم والتعصب»

حادي عشر: الوصول إلى نتيجة القاعدة الذهبية:

« ننفذ ما اتفقنا عليه . . ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه» .

ثاني عشر: لا تغضب :

فإن الغضب يذهب بالفكرة ، وقد يجعلك تخطئ في حق الآخرين .

ثالث عشر: الإقناع:

لا تتوقع أن يوافقك الناس علىٰ رأيك حتىٰ ولو كنت مصيباً وأقمت عليهم الدليل ، واقتنعوا هم به ، ومن ذلك نجد هذه الأمثلة :

١ ـ ففي قصة إبراهيم قال تعالىٰ : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** (٥١) ﴾ (الأنبياء) . لم يقتنعوا بهذا الرشد . . ولكنهم حاكموه وقالوا : ﴿ **حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** (٦٨) ﴾ (الأنبياء) .

٢ ـ ويوسف عليه السلام أيضاً رغم براءته ، حكىٰ القرآن : ﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ** ﴾ (يوسف : ٣٥) .

رابع عشر: حين لا يجدي المنطق:

في بعض الأحيان لا ينفع المنطق والبرهان إنما يجدي التودد والإحسان. . حينذاك ألق عصا المنطق واحمل راية الحنان لتفوز في الميدان، وهذه النصيحة تنفع وبخاصة الآباء اللائمين، والأزواج المتنقدين، والمدرسين القُساة، والرؤساء الغاضبون، فعن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**»(١).

خامس عشر: لا ترفع صوتك:

أكثر مما يحتاج إليه السامع فذلك رعونة وإيذاء - ولا يكون الصوت ضعيفاً لدرجة لا يسمعه - وأفضل الأصوات المعتدل - الهادئ - المتأني - ولا تسرد الكلام سرداً، بل تجزئه وترتبه وتتأنى فيه.

آداب الحوار:

- **الأدب الأول**: لابد لنجاح الحوار أن يكون الظرف مناسباً زماناً ومكاناً وحضور الأشخاص.
- **الأدب الثاني: العلم**: لا تناقش موضوعاً لا تعرفه جيداً.
- **الأدب الثالث: ليس الناس طرازاً واحداً**: فاختر طريقة المناقشة المناسبة لكل محاور.
- **الأدب الرابع: لا تستأثر بالكلام**: لأن الاستئثار بالكلام كالاستئثار بالطعام وكلاهما منقصة بصاحبه فيجب مراعاة الوقت.
- **الأدب الخامس: حسن الاستماع**: المتحدث البارع مستمع بارع، فكن حسن الاستماع ولا تقاطع من تحاور، بل استمع إليه كما تحب أن يستمع إليك. . «إذا كنت تريد أن ينفض الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك؟ فهاك الصفة: لا تعط أحداً فرصة التحدث!! تكلم بغير انقطاع، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديثه فهو

---

(١) رواه مسلم، بر ٧٤، ٧٦.

ليس ذكياً مثلك . . فلماذا تضيع وقتك في الاستماع إلىٰ حديثه السخيف . . اعترض في منتصف كلامه»[1].

- **الأدب السادس: راقب نفسك:** انتبه إلىٰ نفسك وأنت تحاور أو تناقش : هل ترفع صوتك؟ وتذكر نصيحة لقمان لابنه ، كما حكي القرآن الكريم : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان : ١٩) .

وإذا أسأت فاعتذر ولا تكرر نفسك ، فإن الناس سئموا التكرار ، جرت عادة معظم الناس أن يراقبوا الطرف الآخر لمعرفة وسماع حجته لكن الذي يغفلون عنه أن يراقب الإنسان نفسه ليحكم سيطرته عليها وعلىٰ نوازعه ، ولسانه وصوته ، وعلىٰ طريقته فلا تفلت منه كلمة نابية أو عبارة حادة ، واحذر من أن تستدرج إلىٰ ما يفقدك السيطرة علىٰ نفسك أو أمانتك العلمية ، فهناك بعض الناس لا يبحثون عن الحقيقة ولا يجادلون إلا بالباطل ، وقد يعمدون إلىٰ الكذب لإحراج من يناظرون من العلماء أو المفكرين أو الدعاة .

لا تركز علىٰ شيء لا يستحق ، وكن في حدود الموقف الذي أنت فيه ، فلاتسارع بالحديث في غيره .

يقول أبو عمرو بن العلاء : «ليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك ، أو تسأل من لا يجيبك ، أو تحدث من لا ينصت لك» .

- **الأدب السابع: البيان :** إن قوة التعبير وفصاحة اللسان ، وحسن البيان من أركان المناقشة الجيدة ، والحوار الناجح . . فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه . . وعليك أن تعتمد علىٰ اللفظ السهل المألوف . . بل وقد تغني الإشارة عن العبارة .

- **الأدب الثامن: ضرب الأمثلة:** فالمتحدث الناجح والمحاور الذكي هو الذي يحسن ضرب الأمثلة ويتخذها إما وسيلة لتقريب وجهة نظره من السامع

---

(١) ديل كارنجي . . كيف تكسب الأصدقاء ، وتؤثر في الناس؟

أو شرحها، وإما لإقناعه بفكرته، ومن الأمثلة لأحد العلماء وهو يضرب مثلاً لعظمة الخالق وقدرته فقال: «هذه ورقة التوت لونها واحد وطعمها واحد يأكلها الدود فيخرج منها الحرير.. ويأكلها النحل فيخرج منها العسل، وتأكلها الشاة أو البقرة فتلقيه بعراً أو روثاً، وتأكلها الظباء فتخرج منها المسك.. وهو شيء واحد ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

- **الأدب التاسع: النقاط المشتركة:** دائماً ابدأ الحديث بنقاط الاتفاق.. ثم ناقش نقاط الاختلاف شيئاً فشيئاً دائماً اطرح عليه الأسئلة التي يجيب فيها بنعم، وخل ما استطعت بينه وبين الأسئلة التي يجيب فيها بـ(لا).
- **الأدب العاشر: إقفال باب المناقشة:** إذا بدأت شقة الخلاف تتسع، أو كان هناك خلاف في أمور سياسية، اقفل المناقشة بطريقة لبقة ذكية.

ففي حوار ذكي بين أحد الدعاة وزميل شيوعي لا يعترف بوجود الله، قال الداعية لمحاوره: أنت مدرس رياضيات أرجو أن تجيب على هذا السؤال: «هل يمكن دراسة معادلة من الدرجة الثالثة أو حل مسألة رياضية معقدة دون الاتفاق على الأساسيات ومعرفة أساسيات الجمع والطرح والجمع الجبري في الرياضيات؟».

قال له: «بالطبع لا».

قال له الداعية: «كذلك الإسلام لا يمكن أن نناقش قضية الحجاب في الإسلام إلا إذا اتفقنا على الأساسيات الأولى وهي الإقرار بأن الله موجود».

معوقات الاتصال بالآخرين:

بالرغم من صعوبة التخلص نهائياً من معوقات الاتصال، إلا أنه ينبغي تجنبها قدر الطاقة، وأشد هذه المعوقات:

١ ـ التسرع في التقييم أو التعليق.

٢ مقاطعة الآخرين:

فالمقاطعة تشل تفكير الآخرين، وتسبب لهم ارتباكاً، أما مقاطعة الرؤساء للمرؤوسين فإنها تسبب أثراً نفسياً سيئاً لهم، لأنها تشعرهم بعدم الاهتمام من رئيسه.

٣ ـ استخدام العبارات التقريرية والتخصصية :

مثلاً مع أحد العاملين معك تقول له : «دائماً تأتي متأخراً»، أو : «لم يحدث أن جئتني بمذكرة خالية من الأخطاء»، فأنت تضطره للدفاع عن نفسه .

وإليك هذا الجدول لبعض العبارات التقريرية (التي تثير غضب الآخرين)، والبديل لها من العبارات التقريبية (التي تلين القلب وتقرب وجهات النظر) :

العبارات التقريرية	العبارة التقريبية
اسمك دائمًا يتصدر قائمة المتأخرين	لا أعرف كيف حدث هذا!! ولكن على كل حال لاحظت أنك تأخرت عشر دقائق يوم الأربعاء وكذلك اليوم فلعل الأسباب خير إن شاء الله .
لم يحدث مطلقًا أن وجدتك جالسًا على مكتبك	في الأيام الثلاثة الأخيرة التي ترددت فيها على حجرتكم لاحظت أنك لا تجلس على مكتبك والواقع أني أتعجب كيف حدث هذا!!
حجرتكم تبدو دائمًا مزدحمة بالأوراق المبعثرة	لاحظت بالأمس وأمس الأول أن هناك بعض الأوراق على المكاتب فهل مازالت قيد البحث؟

٤ ـ الغضب عند المقاطعة أو الاستفسار :

استخدم لذلك التعليقات غير المباشرة التي تنفس بها عن غضبك، بدلاً من التعليق المباشر الذي يزيد الأمر حدة . .

وإليك هذا الجدول لبعض العبارات:

التعليق المباشر	التعليق غير المباشر
لماذا لا تنتظر دعني أكمل حديثي	لا تقلق بشأن هذه المسألة
لقد استمعت لك حتى النهاية أليس كذلك.	أعتقد أنها ستكون أكثر وضوحًا عندما أنتهي من الحديث (بعد أن ينتهي المقاطع من تعليقه)
إذا لم تتوقف عن مقاطعتي س . . . س . . سوف ألقي بهذا التقرير في سلة المهملات	لم أشأ أن استوقفك لأني أعلم مدى اهتمامك بهذه المسألة ولكني أعتقد أنه من المفضل أن يعطي كل منا الآخر فرصة كاملة للتعبير عن نفسه دون تدخل؟ ما رأيك؟
يبدو أنك لم تسمع كلمة واحدة مما قلت.	والآن قبل أن ننهي اجتماعنا أشعر أني لم أكن واضحًا تمامًا فيما قلت فهل لك أن تخبرني بمفهومك.

٥ ـ الاستئثار بالحديث:

إن عدم مشاركة الآخرين في الحديث لمدة طويلة يفقدهم الاهتمام.

٦ ـ تكرار النصح والإرشاد:

يميل الإنسان بطبعه إلى اتخاذ موقف الأب الروحي. . ويقضي الكثير من وقته في الإدلاء بآرائه في مشاكل الآخرين وما ينبغي أن يفعلوه، ولكن هل هذا هو الموقف الصحيح!! بالطبع لا! **فالحكمة الصينية تقول**: من الأفضل له أن تعلمه كيف يصطاد بدلاً من أن تقدم له سمكة، وذلك حتى لا تقيم السلبية ركنًا في حياتهم فلا يفعلوا إلا ما تأمر به أو تشير إليه أنت، ومن القواعد المهمة في ذلك:

١ ـ اسأل أكثر مما تجيب.

٢ ـ استخدم مهارة الاستماع الجيد.

٣ ـ لا تعط المشكلة الطابع الفردي أو الشخصي. . فلا تكرر عبارات التقرير مثل (مشكلتك كذا. .).

٤ ـ شارك الآخرين في مشاكلهم دون أن تتدخل في شئونهم.

٥ ـ تجنب الإطالة والإكثار من الحديث.

٦ ـ استرشد بالجدول الآتي :

التعليق المباشر (خطأ)	المدير المشارك (صح)
أعتقد أنه ينبغي عليك أن تشتري ساعة حائط لتساعد على الاستيقاظ	يحدث هذا لكثيرين منا ويسعدني أن أعرف رأيك
أنت بحاجة إلى المزيد من التنظيم حتى يمكنك أداء واجبك.	النظام والترتيب هما أصعب ما يواجه الإنسان في عمله فما أفضل الطرق.
أنا أعرف هذا الإنسان لماذا لا؟	ما الأخطاء التي ارتكبها؟ وكيف تساعده؟

٧ ـ التعالي عند الحديث :

من الأمثلة للكلمات التي تفسر على أنها نوع من التعالي والتكبر :

ـ ما هذا أيها الرجل إن حجرتكم غير مرتبة . . (اتهام بالفوضى) .

ـ عليك بالقراءة حتى تزيد معلوماتك . . (اتهام بالغباء) .

ـ أمرك عجيب يا أخي . . (اتهام بالخجل أو المعايرة) .

ـ انتظرني في مكتبي . . (عدم احترام) .

ـ اسمعوا أيها الشباب حديث الخبرة . . (استصغار) .

٨ ـ التهكم والسخرية.

٩ ـ التركيز على الأخطاء.

١٠ ـ المجادلة.. فعبارة (أنا على حق وأنت على خطأ) تُفسد العلاقة الطيبة.

١١ ـ أسئلة الاستدراج : هذه الأسئلة تؤدي إلى فقدان ثقة الآخرين . .

ـ أعتقد أنك لا تظن بي ذلك؟! ـ لقد كانت غلطتك أليس كذلك؟

والقاعدة في ذلك: لا تكثر من الأسئلة المباشرة بل استعن بالأسئلة المقترحة في الجدول.

السؤال الاستدراجي	السؤال المقترح
أنت لا تحبذ النموذج الجيد أليس كذلك؟	كيف تشعر إزاء النموذج الجديد؟
ألا توافقني أنك كنت مخطئًا عندما اتخذت هذا القرار .	ما تقييمك لنتائج قرارك؟
لا تظن أنه يجب أن أفعل هذا ـ أتظن ذلك؟	أظن أنك تعتقد أني أنا المسئول عن الكتابة إليك؟
أليس صحيحًا أن واحدًا على الأقل من أيام الخميس التي تغيبها لم يكن بسبب المرض؟	من المعلومات التي قدمتها أستنتج أنك لم تكن تحت الإشراف الطبي طوال هذه الفترة لذلك يصعب التصديق أن تغيبك أيام الخميس من كل أسبوع كان بسبب المرض .

١٢ ـ ممارسة بعض العادات المعوقة مثل:

ـ الإفراط في طلب المكالمات الهاتفية يشعر المتحدث بعدم أهمية حديثه .
ـ السماح بدخول الآخرين بصورة متكررة .
ـ محاولة ترتيب الأوراق والملفات التي على المكتب .
ـ تحويل النظر بعيداً عن المتحدث .
ـ الانشغال برسم الخطوط والأشكال العشوائية .
ـ العبث بما على المكتب من دبابيس وأقلام .
ـ بلاهة في تعبيرات الوجه (التجهم أو الابتسامة طول الوقت) .
ـ كتابة بعض ما يقوله المتحدث (وخاصة إذا لم تطلعه على سبب ذلك) .
ـ الرقص في المقعد (التأرجح بالمقعد) .
ـ تكرار النظر إلى ساعة المعصم أو الحائط .

ومن هنا أصبح لزاماً على الداعية أن يعرف كل هذه المعوقات التي تحول بين اتصال الناس وبينه . . فهذه مفسدات ينبغي على الداعية أن يتجنبها حتى لا ينزغ الشيطان بينه وبين الناس . . قال تعالى : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴾ (الإسراء: ٥٣) .

المبحث الرابع

وسائل الدعوة

وسائل الدعوة أكثر من أن تحصى، ولا يمكن حصرها.. فكل يوم يمر تبتكر فيه وسائل للدعوة إلى الله عز وجل.. وحسبك أن القرآن لايخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولاتمله العلماء.

ويقول **د.عبد الوهاب الطرير:** « مسارب الدعوة بعدد أنفاسنا . . وحيث إن أعداد الأنفاس لاتُحصىٰ، كذلك وسائل الدعوة ومساربها لا تحصىٰ . . ولذا سنأخذ منها ما نستطيع ونترك للعقول المسلمة أن تبتكر كل يوم بل كل لحظة آلاف الوسائل . . وكل من ابتكر وسيلة له أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة» .

ومن وسائل الدعوة : (الخطابة ـ الدرس ـ بعض الوسائل الأخرىٰ) .

أولاً : الخطابة (١)

نبدأ بهذه الوسيلة التي هي العمدة لوسائل الدعوة كلها وما تحويه من فنون القول . . محاضرات . . دروس . . خواطر . .

والآن يظهر سؤال: هل هناك فرق بين الخطيب والداعية؟

الخطيب: يقول كلمته وينتهي دوره .

الداعية: يقول كلمته ويحرص أن تكون مبنية علىٰ كلام سابق ومقدمة لكلام لاحق ، ويتابع أفكاره بالمحاضرات والندوات والعظات والزيارات ، حتىٰ يصل إلىٰ إقناع الناس وتأثرهم به(٢) .

ولذلك سوف أحدثك أيها الخطيب المبارك علىٰ أنك خطيب داعية .

---

(١) الخطابة : فن مشافهة الجمهور ، وإقناعه ، واستمالته .

(٢) منهج الدعوة الإسلامية من الكتاب والسنة ، للشيخ عبد المنصف محمود .

إن الله سيجمع عليك القلوب، فإن أحسنت أُجرتَ وأُجروا معك، وإن أسأت أجروا وتحملت الوزر.. ولذا نبدأ بتذكير الخطباء أن يقولوا لأنفسهم: **«نحن أولى بالتذكير من غيرنا».**

يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾ (الصف).

ويقول النبي ﷺ: **«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحى....»**(١). وفي الدعاء: **«اللهم اغفر لي مالا يعلمون.. واجعلني خيراً مما يظنون.. ولا تؤاخذني بما يقولون»**.

ويقول الشاعر:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا ... إذ عبت فيهم أمورًا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً ... والموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسًا راغبين لها ... وأنت أكثر فرد رغبة فيها

وتذكر أيضًا:

مواعظ الواعظ لن تقبل ... حتى يعيها قلبه أولا
يا قوم ما أظلم من واعظ ... خالف ما قد قاله في الملا
أظهر بين الناس إحسانه ... وخالف الرحمن لما خلا

ويقول الشافعي:

يا أيها الرجلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدي ... بالقول منك وينفع التعليم

(١) رواه البخاري، بدء الخلق ١٠ ، ومسلم، زهد ٥١ .

يقول ابن القيم : «لقد أدركت رجالاً من طلاب العلم . . أهملوا نظر الله إليهم في الخلوات ، فمحى الله محاسن صورهم في الجلوات ، فأصبحوا موجودين كالمعدومين ، لا حلاوة لرؤيتهم ، ولا قلب يحن للقائهم . . فالله الله . . في الخلوات فإن عليكم من الله عيناً ناظرة» .

الخطبة والخطيب في موكب الدعوة...

وإن من فنون القول وأنواع التبليغ : (الخطبة ـ الدرس)(١) . . .

الخطبة

إن الخطبة عمل هادف ، فلابد أن يحسن الخطيب إعدادها ، وعلى قدر الاهتمام بالإعداد وبذل الجهد فيه يكون نجاح الخطبة بعون الله وتوفيقه .

والخطبة قد تكون سياسية ـ قضائية ـ حفلية ـ وعظية ـ حربية ـ جهادية .

كيف تؤلف خطبة؟ أو كيف تُعد خطبة ؟

استعن بالله تعالى واستحضر أنك فقير إلى الله ، محتاج إليه ، ليفتح عليك الله من أبواب رحمته ، فهي الوقود الذي يدفع صاحبها للأخذ بالأسباب وهو مطمئن بحول الله وقوته . .

الخطبة تتألف من : (الافتتاحية ـ المقدمة ـ موضوع الخطبة ـ الإلقاء) .

١ ـ الافتتاحية :

النموذج الأول للافتتاحية :

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

---

(١) سوف نتحدث عن الخطبة لكثرة القائمين بها ، أما الدرس فيُراجع في كتاب «الخطابة والتوجيه» ، للدكتور يسري هانئ .

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ (الأحزاب).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

النموذج الثاني للافتتاحية:

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله إليه.

الحمد لله الذي قال في محكم كتابه الكريم: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله، عظمت على العباد نعمه، وتكاثرت آلاؤه، وأشهد أن محمداً رسول الله.. حديثي معكم اليوم عن الأمانة.

النموذج الثالث للافتتاحية :

قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) ﴾ (سبأ).

٢ ـ المقدمة:

هي أول ما يطرق ذهن المستمع فإما يقظة وانتباه وإما استرخاء.. ولذا يُسْتَحَب أن تكون مُشَوِّقة وجاذبة للأسماع، لافتة للانتباه، والأمثلة على ذلك منها.. (عناصر التشويق).

١ ـ قد يلفت نظرهم بحادثة وقعت في محيطهم وما زالت تشغل حيز من تفكيرهم ولها صلة بالموضوع(١) .

٢ ـ قد يشوقهم بحسن الافتتاح بالألفاظ المناسبة، وتدل الألفاظ على موقف الرحمة والمغفرة والتوبة إن كان موقف مصاب، وتدل على سعادة وتوفيق وعشرة حسنة إذا كانت الموقف زواج، ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** ..﴾ (الروم: ٢١) .

٣ ـ ومن محاسن الافتتاح أن تبتدئ الخطبة بآية أو حديث أو حكمة في الموضوع أو يبدأ فيوقع الرعب في النفوس(٢) .

٤ ـ الافتتاح بما يفاجئ السامع، ويشير الخطيب إلى الانتباه . . مثل حديث «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟**»(٣) .

٥ ـ قد يبدأ الخطيب خطبته بالثناء على السامعين ليلفت نفوسهم إلى حديثه، ويبدأ بالتودد إليهم وأنه واحد منهم أو أخ لهم .

ويراعى في المقدمة الآتي :

١ ـ أن تكون قصيرة موجزة حتى لا يشغل السامع .

٢ ـ أن تكون حاملة لعناصر التشويق .

٣ ـ أن تكون موافقة للموضوع ، مشيرة إليه، وليست بعيدة عنه .

٣ ـ موضوع الخطبة :

يتم إعداد موضوع الخطبة (٤) من خلال النقاط التالية :

---

(١) فن الخطابة والتوجيه، د. توفيق الواعي، د. يسري هاني .

(٢) ومن أبرز أمثلتها : افتتاحية الشيخ كشك ـ رحمه الله ـ في خطبة الجمعة التالية ليوم الزلزال : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾ (البقرة: ٢٤٣) .

(٣) رواه البخاري، تفسير سورة ١١١، المسند، ومسلم، إيمان ٣٥٥ .

(٤) متى تبدأ في إعداد موضوع الخطبة؟ أقول : إن الخطيب المتميز يبدأ في إعداد موضوع الخطبة الجديدة من يوم الجمعة عصراً بمعنى أن يُفكر فيها سبعة أيام، ويحلم بها ثماني ليال .

١ ـ حسن اختيار الموضوع : اختيار الموضوع بما يناسب مقتضى حال السامعين، لأن اختيار الموضوع ثلاثة أرباع الموقف الخطابي، فهناك مناسبات هجرة ـ عاشوراء ـ تحويل قبلة ـ رمضان. . ويجب على الخطيب أن يراعي مستوى الناس وما يناسب ظروفهم، من أسلوب ولغة ومعان وأفكار، عوام ـ طلاب ـ مثقفون ـ علماء. . أي: تعايش الخطبة الواقع والمشاكل.

٢ ـ التحضير الجيد للموضوع: بالاطلاع على المراجع في الموضوع وتحديد النصوص وحفظها، وإعداد الشواهد، ويدون هذه الشواهد. . وفي القرآن يستعين بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، أما شواهد السنة فيستعين بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ولابد من تخريج الحديث من مصدره. . ويُعد الشواهد من السيرة النبوية وقصص الأنبياء، ويعد الشواهد من الشعر، ويتحرى الدقة في السهولة والوضوح، ويعد الشواهد التي تعد وثائق تاريخية، ويعد الأمثال الحكم التي لها صلة بالموضوع، ويعد الأحداث التي سيشير إليها من الصحف والمجلات والتقارير.

٣ ـ تقسيم الموضوع إلى عناصر: بحيث تكون العناصر متناسقة ومرتبة عقلياً مقدمة . . ثم عناصر أو فقرات كل منها يسلم للآخر.

فمثلاً للحديث عن **التقوى**: تعريف التقوى ـ من المتقون؟ ـ صفاتهم ـ جزاؤهم ـ حاجة المجتمع إليها (التقوى) ـ الواقع ـ المطلوب ـ الوصايا العملية.

ومثلاً للحديث عن **النصر** : مقدمة عن فرحة النصر وعظمته ورفعة أصحابه ـ ثم يتكلم عن العناصر ـ الإعداد الروحي ـ الإعداد الجسدي ـ ثم الإعداد بالعدة والعتاد ـ التدريب والقيادة ـ إعداد الخطة الثبات واليقظة ـ وطلب الثواب من الله.

ويراعى في الموضوع:

١ ـ البعد عن الخلافات الفقهية بين العلماء ما أمكن .

٢ ـ البعد عن الآراء الشاذة.

٣ ـ البعد عن القصص الوهمي وخاصة المستغرب منه .

٤ ـ تجنب الأحاديث الضعيفة .

٥ ـ تجنب الجدليات العقيمة ، أو مديح الأشخاص لدواعٍ شخصية .

٦ ـ مراعاة الأحداث والوقائع .

٧ ـ عدم استغلال المنبر والخطب والدروس لمصلحة عائلية أو شخصية .

٨ ـ عدم تكرار عنوان بعينه في مدة زمنية وجيزة .

٩ ـ تجنب الإكثار من العناصر الفرعية ، لأنها ترهق المستمع .

٤ ـ الصياغة الخطابية : واختيار الأسلوب الأمثل لها ، وذلك من حيث الكلمة الفصيحة ، والعبارة القوية ، و الحديث الواضح . . وعلىٰ الداعية أن يتحدث مع كل قوم بما تبلغه عقولهم ، وإلا كان فتنة تؤدي إلىٰ العمل بالباطل ، والتكذيب بالحق .

وأخرج أبو داود أن النبي ﷺ نهىٰ عن الأغلوطات . .

وأخرج شعبة عن كثير بن مرة قال : «إن عليك في عملك حقاً ، كما أن عليك في مالك حقاً ، لا تحدث بالعلم غير أهله فتجهل ، ولا تمنع العلم أهله فتأثم ، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيغلوك» .

سئل سفيان الثوري عن العالم قال : «من يضع العلم موضعه ، ويؤتي كل شيء حقه» .

٥ ـ الالتفات إلى طبيعة الخطبة : وينبغي أن تمس شغاف القلوب ، وتعمل علىٰ إثارة العواطف وشحذ الهمم ، ومخاطبة الوجدان ، وتبعد عن البحث والتحليل وتجنب ـ قدر الطاقة ـ التفصيلات المعقدة ، ولأنه يحضر الخطبة من الناس : العامي ـ المتعلم ـ الطبيب ـ الموظف .

فالموضوعات تكون عامة يشترك فيها الجميع ، والاهتمام بها ، وتقودهم بحب إلىٰ الخير ، ولابد أن يخرج كل واحد من الجمهور بزاد وكأنك تحدثه هو . . حتىٰ يخرج كل واحد بشيء يتركه إن كان سيئاً . . وشيء يطبقه إن كان حسناً .

٦ـ **عدم صرف الألفاظ الشرعية عن ظواهرها المفهومة (ذكر الواقع)**: إلىٰ أمور باطنة لا تحتملها الألفاظ، كما فعل الباطنية[1]، وألحق كل دليل بمدلوله.

٧ـ **عدم الإطالة في الكلام غير المطلوب**: وسبب ذلك عادةً يكون عدم التحضير الجيد، أو عدم استطاعة الخطيب هضم الموضوع واستيعابه، وقد يرجع ذلك إلىٰ حب الكلام وشهوة الحديث.

٨ـ **ختام الخطبة (الختام)**: عبارة عن تلخيص سريع ومركز لموضوع الخطبة، أي: للنقاط الأساسية، ثم الوصية العملية، أي: الأشياء المطلوب تنفيذها.

٤ـ الإلقاء: مواصفات الإلقاء الجيد:

١ـ لا تصعد المنبر قبل أن تخطب الخطبة لنفسك أولاً.. (قم بالتدرب عليها في المنزل مرات).

٢ـ وأنت تصعد علىٰ درجات المنبر تَخَلَّص من حظ نفسك، وقل إذا وفقني الله هذا اليوم فهذا من فضل الله تعالىٰ وكرمه، ولا تقل: سوف تكون الخطبة اليوم رائعة بفضل الإعداد الجيد الذي أعددتها به!!

٣ـ كان النبي ﷺ إذا تكلم تكلم بمهل، وترك لأذن المستمع فرصة للالتقاط، مع عدم الإسراع في الإلقاء وكذا عدم البطء الذي يؤدي إلىٰ الملل.

٤ـ لا تكثر من التكرار بدرجة تبعث علىٰ الملل.

٥ـ لا تكثر من الفواصل (اللوازم) مثل كلمة: كلامي واضح ـ خذ بالك ـ أنت معايا؟.

٦ـ تجنب التكلف والافتعال المكشوف، أما الانفعال والتفاعل مع المعاني المطروحة فهو عين المراد، ولكن قد يكون الخطيب منفعلاً وهو الاندماج مع المعنىٰ الملقىٰ، مثلما ورد أن النبي ﷺ كان كأنما ينذر جيشاً.

---

(١) الباطنية: هي طائفة من طوائف الشيعة، يتفقون مع الشيعة الاثنىٰ عشرية حول الأئمة السبعة، الأول حتىٰ جعفر الصادق، ثم يختلفون معهم.

٧ ـ **الصوت** . . من أهم العوامل في جذب المستمع وتأثره بالخطيب، لذلك ينبغي عليك التدرب على هندسة الصوت رفعاً وخفضاً حسب الموقف، ولاتبدأ الخطبة بصوت عال بل عليك بالتدرج، وكان النبي ﷺ في الاستفهام يستفهم، وفي النداء ينادي، وإذا جاء القسم أقسم.

٨ ـ **الإشارة:** قد تحتاج الإشارة للإفهام سواء بالوجه أو اليد، وشروط الإشارة:

أ ـ أن توافق المعنى الذي تريده.

ب ـ ألا تسبق الإشارة القول ولا تتأخر عنه.

جـ ـ ألا تكثر منها.

٩ ـ **الوقفة والهيئة:** على أهل العلم أن يظهروا مروءتهم في ثيابهم.

١٠ ـ **لاحظ** ان أركان الخطبة هي:

١ ـ الحمد والثناء على الله بما هو أهله.

٢ ـ الشهادتان.

٣ ـ الصلاة على النبي ﷺ.

٤ ـ قراءة شيء من القرآن.

٥ ـ الدعاء لعامة المسلمين وخاصتهم.

١١ ـ **عليك بترتيب الاستدلالات والشواهد** . . بالطريقة الآتية:

١ ـ استدلال قرآني. ٢ ـ استدلال نبوي.

٣ ـ فعل الصحابة والسلف. ٤ ـ علماء الأمة والمجتمع.

٥ ـ الواقع. ٦ ـ المطلوب[1].

---

(١) من المهم جدًا التركيز في كل خطبة على هذه المعاني أو العناصر:
١ ـ حاجة الأمة، والمجتمع لهذا الأمر.
٢ ـ الواقع الذي نعيشه.
٣ ـ المطلوب تنفيذه للخروج من الواقع المؤلم. . وللإسهام في نهضة الأمة.

وذلك من خلال عرض الموضوع في بداية الخطبةوبعد المقدمة، بأن تقول مثلاً: سوف نتحدث اليوم عن العمل وإتقانه وسوف يكون حديثنا من خلال العناصر أو المحاور الآتية: تعريف العمل ـ إتقانه ـ حاجة المجتمع للعمل ـ الواقع الذي نحياه ـ المطلوب تنفيذه.

آداب عامة ينبغي اتباعها في الخُطبة:

١ ـ **تخير الوقت المناسب والمكان الصالح** . . كالتقديم والتأخير في وقت الحر، أو المطر الشديد، أو بعد سماع الناس لخطبة طويلة جداً ومللهم منها، أو مناسبة عاجلة أو تجهيز ميت ودفنه.

٢ ـ **اللباقة واليقظة وحسن التخلص**: مثلاً سؤال لا تعرفه أو خطأ وقعت فيه أو أشياء سهوت عنها . . فعليك بالحذر ولا تتورط في إجابة باطلة، أو ثورة جاهلة، وعليك تأجيل السؤال بلباقة . . فمثلاً: الوقت أصبح لا يسمح . . هذا السؤال إجابته تكون على انفراد مع صاحبه حتى لا نشغل الناس بأمور شخصية . . اكتب السؤال في ورقة ليكون أكثر تحديداً وتأتيك الإجابة في ورقة أيضاً.

٣ ـ **المجاملة والآداب** : كأن يذكر الناس بما يحبون، ويوقر الكبير، ويعطف على الصغير.

٤ ـ **تفادي الاصطدام**: فلا يبدأ الخطبة بتسفيه الناس ومهاجمة المذاهب، وعليه أن ينتقل من المعلوم إلى المجهول، ومن المسلمات إلى الظنيات.

٥ ـ **الا يكون في الخطيب ما يثير السخرية والاستهزاء** . . كالإكثار من الحركات واللفتات، أو يكون ذا ملابس قذرة ومضحكة، أو لها رائحة كريهة، أو مكثراً للتهريج، أو منفعلاً في غير ضرورة، ولا يلبس لبساً يخالف الذوق العام، أو ملابس مثل ثياب المراهقين.

٦ ـ **قوة شخصية** الخطيب والسيطرة على الأفكار والعقول وتجنب إثارة الهرج والمرج.

٧- احـذر من :

١ ـ ألفاظ التعميم . . كأن تقول مثلاً : « كل الناس يفعلون كذا» .

٢ ـ الخروج إلى موضوعات جانبية .

٣ ـ الأحكام الفقهية الخلافية ، وتبنيك لحكم منها .

٤ ـ الإطالة . . وإذا حدث لا تعتذر عن الإطالة .

فائدة : خطورة المسئولية :

أقول لأخي الخطيب المُوَفَّق . . افترض أنك ستذهب اليوم إلى المسجد مستمعاً . . واسأل نفسك هذا السؤال :

ماذا احب ان اسمع من الخطيب اليوم؟!

الحقيقة أن كل واحد من جمهور الخطبة له طلب خاص به يريد أن يسمع عن إجابة له من خطيب الجمعة .

فأنت مُكَلَّف ـ أخي الخطيب الموفق ـ أن تعطي كل واحد من جمهور الخطبة مايطلبه ويريده ويحتاج إليه . . وإلا . . .

أ ـ انصرف عنك إلى النوم وغيره . . وينفر الناس من المساجد . .

ب ـ كان خصمك يوم القيامة بين يدي الله تعالى ، فقد أَضَعْتَ وقته ولم يستفد منك بشيء .

الخطـيب

يتضمن الإعداد الفني للخطيب مقومات عملية ، وتنقسم إلىٰ :

أولاً: المقومات الأخلاقية للخطيب :

الخطيب بمركزه الخطير والمؤثر في المجتمع قدوة يحتذىٰ بها ، ولربما كان للقدوة من الأثر ما لا تبلغه آلاف الخطب ، يقول النبي ﷺ : «**إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**»، **قالوا: «قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟»، قال: «المتكبرون»**[١] .

فهل هناك أحد جدير بهذا أكثر من الخطباء؟

ولذلك لابد من تربية الخطيب الداعية علىٰ دستور الأخلاق الإسلامي ، لينشأ ومعه كل مقومات الأخلاق الحسنة اللازمة له . . ومن هذه المقومات والصفات :

١ ـ أن يكون الخطيب داعية ذا **عقيدة صحيحة**، لكي يكون علىٰ اقتناع كامل بما يدعو إليه مؤمناً به كل الإيمان .

٢ ـ **الثقة بالنفس وسداد الرأي،** لأن عدم الثقة بالنفس يصيبه بالفزع والعرق . . وإن من أسباب عدم الثقة بالنفس :

ـ قلة الدراية بفن الخطابة ، مع قلة التدريب علىٰ مواجهة الجماهير .

ـ عدم تحضير الخطبة ، لأن سداد الرأي لا يكون إلا بدراسة موضوع الخطبة دراسة جيدة .

ـ ضحالة الثقافة وقلتها ، فيبدو بعد صعود المنبر مهزوزاً أما الواثق بنفسه الواسع الثقافة تلحظ في كلامه سداد الرأي مع قوة الحجة ، وجمال العرض ورباطة الجأش .

---

(١) رواه البخاري ، فضائل الصحابة ٢٧ ، مناقب ٢٣ .

٣ ـ **التودد للسامعين** أي المشاركة الوجدانية، وهذا للخطيب الدائم في مكانه فهو بمثابة المربي القدوة، ويتم اكتساب هذا الخلق بما يلي :

ـ التواضع للناس .

ـ أن يألفهم ويألفوه، ويكون رقيق القلب، سليم الطوية .

ـ يظهر لهم أنه يسعىٰ لمصلحتهم ويؤثرهم علىٰ نفسه .

ـ ألا يحركه غرض شخصي أو هوىٰ حتىٰ لا تتطرق الريبة إلىٰ قوله .

ـ يشاركهم حياتهم في كل شيء ليشعر بهم، ولا يفضل غنياً علىٰ فقير، أو رئيساً علىٰ مرؤوس . . فالجميع واحد والفضل للأتقياء .

هذه المشاركة تضفي إحساساً عملياً برباط القلب الحقيقي، ويربط العقل بالعقل والجسم بالروح، وبهذا يحتل الخطيب مكانهُ عملياً بين الناس، ويقدمونه عليهم وينهجون نهجه : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الحشر : ٩) .

وفي السيرة يطمئن النبي ﷺ رجلاً صافحه فهابه، فقال له : «**أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد بمكة**»[١] .

٤ ـ **العمل بعلمه** «الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ» .

٥ ـ الإخلاص والصدق .

٦ ـ القناعة والعفة، واليأس مما في أيدي الناس .

٧ ـ الصبر والحلم والرحمة بالمدعوين .

٨ ـ **الجراة والشجاعة** لحديث عبادة بن الصامت : « **بايعنا رسول الله ﷺ على أن**

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وقال : حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

نقــول الحق أينمــا كنا لا نـخـاف فـي الله لومـــة لائم»[1] ، لا يعـرف الجبن ولاالخور، ولا يكون متهوراً.

٩ـ مراعاة أحوال السامعين، وملاحظة الروح الجماعية فيهم، فالشباب لهم خطاب، والشيوخ لهم خطاب، وعليه أن يدرس الموضوع دراسة عميقة ليعرف ما يُقدم فيوافق الشباب والشيوخ، والغني والفقير، والمثقف والأمي، والرجال والنساء.

١٠ ـ إذا ذهبت لإلقاء خطبة أو درس في مكان لا تعرف عنه شيئاً ، فإن عليك أن تتحرىٰ أهله عن المشكلات الموجودة في هذا المكان؟ . . أو الأخلاق التي تحتاج إلىٰ تركيز فتتحدث فيها، حتىٰ لا تكون في واد، والمستمع في واد آخر، وحتىٰ تلبي حاجاته ورغباته.

ثانياً: المقومات الفنية العملية للخطيب :

١ـ **سرعة البديهة وقوة الذاكرة والملاحظة:** هي التي تسعف الخطيب في المواقف الحرجة ويمكن تنميتها بكثرة القراءة وسعة الاطلاع والدراسة. . ولأن ضعف الذاكرة ضار بالإنسان. . نُذَكِر بطرق تحسين الذاكرة. .

طرق تحسين الذاكرة :

١ ـ التركيز: يركز في المطلوب عند قراءته، ويستحضر المعنىٰ، ويقرأ بصوت ويسجل الخطبة في جمل قصيرة، ويجب البعد عن الضوضاء.

٢ ـ التكرار: وهو القانون الطبيعي لسرعة البديهة وتقوية الذاكرة، وبهذا يحفظ القرآن.

٣ ـ الترابط: أن يربط الأشياء التي تُنسىٰ بأشياء موجــودة في العقل والذاكرة.

٢ـ **أسلوب الخطيب:** فحسن البيان عند الخطيب دليل علىٰ نجاحه في خطبته وهو منَّة من الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ **الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)** ﴾ (الرحمن).

---

(١) جزء من حديث متفق عليه أخرجه البخاري، أحكام ٤٣ ، ومسلم ، إمارة ٤١ .

وفي الحديث : «وإن من البيان لسحراً»[١] .

وقيل : إن **يوسف** عليه السلام استولى بالفصاحة والبيان على حكم مصر .

وقال الله لسيدنا **داود** عليه السلام : ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ (ص : ٢٠) .

٣ ـ **إلقاء الخطيب ونطقه وصوته** . فإن الإلقاء من أصل النطق الحسن ، وهو الدعامة الأولى للإلقاء :

أ ـ عناصر الإلقاء الحسن:

١ ـ النطق الحسن .

٢ ـ تجنب الغريب وعدم التقعر ، وكما ذكرنا قبل ذلك الوحشي من الناس يذكر الوحشي من الألفاظ .

٣ ـ ترك التشادق كتفخيم القاف شديداً .

٤ ـ ترك العي[٢] ، وهو التكلم فوق ما تقتضيه الحاجة ، فالبلاغة قلة الكلام مع الإصابة .

٥ ـ ترك الاستعانة : مثل استمعوا إليَّ واسمعوا مني ـ خذ بالك ـ ألست تفهم مني أما قولي كذا . . فأعني به كذا . . ويعيد نفس الكلام .

٦ ـ مجانبة اللحن : فإن اللحن يذهب ببهاء الألفاظ ورونقها ، واللحن في القرآن أشنع ، كان الوليد بن عبد الملك لَحُنَة (يعني كثير اللحن) خطب الناس يوماً فقال في خطبته : ﴿ **يا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ** ﴾ ضم التاء ، فقال عمر بن عبد العزيز : «**عليك ، وأراحنا الله منك**» .

٧ ـ تصوير المعاني : فإذا كان هناك استفهام استفهم . وإذا كان هناك تعجب تعجب . والبشارة ابتسامة . والإنذار تخويف وصوت متقطع .

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح ٥١٤٦ ، ومسلم في الجمع ٨٦٩ .

(٢) السلامة من العي ، وهو ضد الإفصاح ، ويقع إما بالعجز عن التعبير مطلقاً ، أو الدوران حول المعنى دون القدرة على النفاذ إليه .

٨ ـ التمهل في الالقاء فليست البلاغة إسراعاً في النطق ولا تدفقاً في المعاني يقول البعض أن البلاغة في أعلىٰ صورها أن تقول فلا تبطىء وأن تسرع فلا تخطىء . . ولكن المطلوب إعطاء فرصة لأذن المستمع أن تجمع معاني الكلمات وتفهم .

٩ ـ التوقف قبل وبعد كل فكرة . . أن يتوقف قبل كل فكرة وبعدها ولو لحظة حتىٰ يشعر المستمع والانتقال من فكرة إلىٰ فكرة .

ب ـ الصوت:

١ ـ مطابقة الصوت لمقتضىٰ الحال .

٢ ـ أن يجعل صوته مناسباً لسعة المكان وعدد المستمعين .

٣ ـ عند الابتداء أنصح الخطيب أن يكون صوته منخفضاً ثم يعلو به شيئاً فشيئاً .

٤ ـ التنوع في سرعة الصوت .

٥ ـ تجنب العيوب الصوتية .

٤ ـ وقفة الخطيب وهيئته .

٥ ـ حركة الخطيب وملامحه .

قدوة الخطباء : عمر بن الخطاب رضي الله عنه وثقافته الواسعة :

ثقافته الاجتماعية :

من وصاياه لأبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه «مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا» ، إن التحاسد بين الأقارب وارد ، والتنافس بينهم شديد ، ومضاعفات ذلك أشد وفراراً من الصدام المتوقع ، فيُوصي بالتباعد بين دورهم ليظل الود قائماً[(١)] .

ثقافته الاقتصادية:

خطب يوماً فقال : «يا أيها الناس لا تأكلوا البيض ، فإن أحدكم يأكل البيض أكلة واحدة فإن حضنها خرجت منها دجاجة فباعها بدرهم» .

---

(١) العقد الفريد ، جزء ٢ نقلاً عن الخطابة د. محمود عمارة جزء ٢ .

إنها الروح الاستثمارية التي تتنامىٰ بها الثروة حين يوازن رب الأسرة بين الاستثمار والاستهلاك فلا يسرف في استهلاك ما يمكن أن يكون عطاؤه وافراً.

ولا يقصد أمير المؤمنين تحريم ما أحل الله، إنما هو درس في الاقتصاد الإسلامي، يصلح به الخلل الذي تصنعه الأمة بيدها ثم تذرف من بعده الدموع أسفاً.

وفي موقف آخر يقول: «إياكم والبطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة ـ مفسدة للجسم ـ مؤدية إلىٰ السقم، وعليكم بالقصد في قوتكم، فهو أبعد من السرف، وأصح للبدن وأقوىٰ علىٰ العبادة، وأن العبد لن يهلك حتىٰ يؤثر شهوته علىٰ دينه».

وكتب إلىٰ سعد بن أبي وقاص لما استأذنه سعد في بناء بيت له قال:

«ابن ما يكنك عن الهواجر وأذىٰ المطر».

ثقافته الزراعية:

قال: «لا تُنهِكوا وجه الأرض فإن شَحمتها في وجهها».

ولذلك أدرك الفلاحون أن المبالغة في كشط الأرض يؤثر علىٰ الزراعة سلباً.

كما أدرك القانون الزراعي هذا الخطر، فإذا قام المستأجر بتجريف سطح الأرض تُسلب منه الأرض وتعود لصاحبها المالك فهو أرأف بها.

إذا كانت الخطبة أول وسيلة دعوية.. وغالباً تكون
في المسجد، يأتي هذا السؤال الواقعي والمُحيِّر:

لماذا ينفر الناس من الخطب والدروس في المساجد؟

الإجابة: أن لذلك أسباباً متعددة، نذكرها في محورين:

المحور الأول: أسباب متعلقة بالخطيب.

المحور الثاني: أسباب متعلقة بالمسجد.

أولاً: الأسباب المتعلقة بالخطيب:

١ ـ عدم التوفيق في اختيار الموضوع.

٢ ـ تجاهل الواقع.

٣ ـ الصراخ السلبي الذي يبدأ من أول الخطبة إلى نهايتها في النقد والتجريح دون أن يذكر وسائل للعلاج.

٤ ـ تفكك الخطبة.

٥ ـ الإطالة المملة، إذ يحلو لبعض الخطباء أن يتعامل مع جمهوره على أنهم أسرى بين يديه، لا فكاك لهم إلا بإذنه، وهو بذلك يُفْقِد المنبر قداسته عندما يصفق لك الناس، والنبي ﷺ أنكر على معاذ ذلك التطويل وقال له: **«أفتان أنت يا معاذ؟»**. . وكان ذلك في الصلاة، فما بالك بالخطبة؟

ثانياً: أسباب متعلقة بالمسجد:

١ ـ عدم النظافة وسوء التهوية.

٢ ـ فساد المرافق.

٣ ـ انعدام الأنشطة المصاحبة كقارئ جيد ـ دروس فقه ـ مكتبات صوتية.

٤ ـ سوء خلق بعض القائمين عليه.

وعلاجاً لزهد الناس في المساجد وهجرهم لها نذكر أنه على الخطيب أن يأخذ بهذا المبحث المهم له، ويأخذ به جميع المسلمين. .

تجديد الخطاب الديني (١) :

من الضروري أن نواجه عدداً من الأسئلة قبل أن نتصدى لهذا الموضوع، وهي:

ـ كيف نجدد الخطاب الديني؟

---

(١) د. سالم محمود عبد الجليل، الناشر: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ٢٠٠٣م.

- كيف نطوره حتىٰ نصل بالإسلام إلىٰ كل القلوب والعقول؟
- كيف يطور الداعية نفسه ليصل إلىٰ مستوىٰ العصر الذي نعيشه؟
- كيف يكون الداعية نموذجاً راقياً يقدم الإسلام بصورة حية، تتعامل مع المشارب والألوان والثقافات؟
- هل يتطور كل شيء من حولنا ولا يتطور الخطاب الديني إلىٰ الناس؟
- هل معنىٰ التطور أن يكون هناك تغيير في الثوابت والأصول الإسلامية؟
- أم أن التطور يجب أن يكون في الوسيلة لا في أقوىٰ ثوابت الدين؟
- هل نكون نحن أصحاب القرآن الكريم الذي يقول: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فُصِّلَتْ: ٣٢).

نقول نحن أصحاب ﴿ أَحْسَنُ ﴾ ولا نُحْسِنُ ؟

إن هذا يكون انقلاباً في السنن، وبعداً عن الحقائق.

أولاً: تجديد الخطاب الديني في إيجاز:

الخطاب الديني حاضر في حياتنا كلها، فالدعوة إلىٰ الإسلام أجدىٰ من الدفاع عنه، لأن القيم الإنسانية العامة التي يدعو إليها الإسلام تنتهي حتماً باكتشاف الإنسانية المنفتحة في العالم المتقدم لمدىٰ خصوبة وثراء القيم الإسلامية.

إن الخطاب الديني يمثل عقل الأمة، لذلك نقول: إن تجديد الخطاب الديني يعني أن الخطاب موجَّه إلىٰ فكر المسلمين وسلوكهم، فالتجديد تجديد لأمر الدين ومكانته وسلطانه وليس تجديداً للدين نفسه.

ويطلب من الإمام: «البلاغة والإيجار، وأن يتقي الله في الكلمة، وأن يتحاشىٰ المناقشات التي تضر أكثر مما تفيد، إذ ليس كل ما يعرف يقال.. وعرض الموضوع بأسلوب سهل، وأن يعايش الأحداث والمستجدات.. وأن يتعلم كيف يتعامل مع رواد مسجده.. وأن يأخذ سلاح المداراة، فيبتسم في وجه المسلم ولو كان علىٰ غير الصلاح، وأن يعلم أن الدعوة واجبة.

وأن يعلم حقيقة التجديد، فالتجديد ليس معناه التجديد في الدين، ولكن أن ينظر الدعاة في عقولهم . . مراجعة فهمهم لكتاب الله واستمساكهم بشرع الله، وترتيب الأولويات . . إعادة ترتيب عقل الداعية المسلم، أي أن التجديد يوجه إلى فكر المسلمين وسلوكهم. ومن هنا تكون ضرورة التجديد في الخطاب الديني . . وألا يكون التجديد في الخطاب فقط ولكن في الإيمان»(١) .

ثانياً : التجديد المقبول والتجديد المرفوض :

الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني في هذا الوقت بالذات، ألا ترى أنها تحمل خلفها الكثير من علامات الاستفهام؟(٢)

إن اختيار هذا الوقت بالذات لتجديد الخطاب الديني يدل على أنه كلمة حق أُريد بها باطل .

إذا كان تجديد الخطاب الديني يعني التجديد في الأسلوب فإن هذا لا يستطيع أحد أن يعترض عليه، مثلاً إذا تطرقتم إلى طريقة الخطابة المنبرية القديمة تجدون أن الخطبة تكون عبارة عن مجموعة من المقاطع المسجوعة ولا يهم ما فيها من معان، وإنما يهم أن يكون لها مثل هذا الرنين بعد ذلك حسب تجديد الخطاب الديني كان الاهتمام بالمعاني، وطبعاً العصر الحديث دخل فيه العديد من الأمور التي تجعل ذلك واجباً، ويعود بكم إلى حديث رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للأمة هذا الدين**»، وبالطبع فليس هذا التجديد المقصود تجديداً في الأساليب، وفي الوقت نفسه ربما يكون فيه تجديد في الفروع كالقضايا التي لم تحدث في الأزمنة السابقة فتحتاج إلى اجتهاد جديد، لكن أن يُفهم التجديد الفهم الأمريكي بأن تحذف بعض الآيات الكريمة كالآيات التي تحث على الجهاد، وأن تعلن بعض الاجتهادات الفقهية التي يعتبرونها مصدراً لما يسمى إرهاباً أو تطرفاً، وأن تعدل المناهج الدراسية لتدرس السماحة بالمفهوم النصراني من ضربك على خدك

(١) المصدر السابق .

(٢) المستشار الدكتور علي جريشة، في حوار أجرته معه مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٥٠٩، يناير ٢٠٠٨، محرم ١٤٢٩هـ.

الأيمن فأدر له خدك الأيسر، فإن هذا لن يحدث ولن يقبل المفكرون المسلمون ولا أهل الحل والعقد بأن يسمحوا بأن يضرب المسلمون على الخد الأيمن وأن يديروا الخد الأيسر، وإنما ستتمسك بإذن الله بما قاله رب العالمين في كتابه الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (المائدة: ٤٥).

هذا هو حكم الله عز وجل ولا تبديل ولا تغيير فيه، فإن كانت السماحة معروضة في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ، فإن السماحة ليست كما هي معروضة عندهم، بل السماحة في موضع القوة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

ثالثاً: بعض من أساليب الدعوة:

يقول الله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (النحل: ١٢٥)، هذه الآية تحمل من الأساليب ثلاثة:

الأسلوب الأول: الحكمة: مراعاة المتحدث للأحوال ـ عدم تسفيه المخاطب ـ احترام عقلية المستمع ـ اختيار اللغة والمهمة ـ الوقت والزمان.

الأسلوب الثاني: الموعظة: والملاحظ فيها اختيار الموعظة الحسنة، وليست القبيحة ـ الإيجاز غير المخل ـ استخدام الترغيب والترهيب.

الأسلوب الثالث: المجادلة بالتي هي أحسن: ومن فطنة المُجادل أن يفترض صحة كلام الخصم حتى يصل معه إلى الحق، كما فعل سيدنا إبراهيم مع عبدة الكواكب، قال تعالى: ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦)** ﴾ (إبراهيم).

ومن الأساليب أيضاً:

الأسلوب الرابع: القصة : ذكر القرطبي لما حصل للصحابة ملل أنزل الله عليهم سورة يوسف للعبرة والعظة. . مشروعية السياحة في الأرض: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

وما فيها من القضايا، وقصة أصحاب الغار، ودروسها: التوكل ـ الأمانة الإخلاص ـ بر الوالدين ـ الحقوق ـ جواز التوسل بالأعمال الصالحة ـ وكذلك قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً.

الأسلوب الخامس: السؤال والجواب : كما فعل النبي ﷺ في حديث: «الإسلام والإيمان والإحسان».

الأسلوب السادس: ضرب الأمثال: مثل حديث: «**إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها، وإنها مثل المسلم.. فحدثوني ما هي ؟**»(١).

الأسلوب السابع: التعليم العملي: كتعليمه الصلاة لأصحابه، وكذا القرآن، والتي تُسمىٰ الوسائل التعليمية، والأشكال التوضيحية، كما ثبت من فعل النبي ﷺ في الحديث: «**خطَّ رسول الله خطوطاً، فقال: هذا الأمل، وهذا أجله...**»(٢).

وهناك أساليب أخرى كالنداء والمثل والقياس. ..

ونختم فنقول: إن تجديد الخطاب الديني يقتضي من الداعية اطلاعاً واسعاً وعلماً غزيراً بحيث يستطيع أن ينوع في أسلوب الخطاب.

---

(١) رواه البخاري، علم ٤، ٥، ٥٠، ومسلم، منافقين ٦١ .

(٢) رواه البخاري، رقاق ٤ .

ثانياً : بعض الوسائل الدعوية الأخرى

١ ـ الدرس.

٢ ـ الاستفادة من هواة المراسلة عبر المجلات العربية والأجنبية، ويقوم الداعية بعمل ملف لهم ومراسلتهم ببعض الكتيبات والمطويات.

٣ ـ تصميم كروت دعوية صغيرة الحجم، وتكتب فيها عبارات دعوية شيقة بمعاني وتعبيرات سلسة.

٤ ـ تقصي أخبار الجيران الملاصقين وجمع المعلومات عنهم وعن أولادهم وصلاتهم، وعمل ملف دعوي لهم بالهدايا والزيارات.

٥ ـ تصميم ألعاب تعرض بواسطة الكمبيوتر، وتأخذ هذه الألعاب الاتجاه الإسلامي.

٦ ـ تصميم حقيبة للطالب المسلم لتقدم هدية لطلاب مسلمين محتاجين تحتوي على بعض الكتب ـ أقلام ـ أدوات هندسية ـ دفاتر ـ بعض الشعارات الإسلامية صور لمكة والمدينة ـ وشعار على الحقيبة نفسها.

٧ ـ عمل حفلات لأصحاب المحلات التي لا تبيع الدخان أو المجلات الساقطة أو الأشياء المحرمة، وذلك في المسجد مع دعوة أصحابا المحلات المخالفة وتوزيع جوائز وحث أئمة المساجد والناس على التعامل مع هذه المحلات.

٨ ـ تصميم صناديق جميلة الشكل لعرض الكتب والمجلات وتوزيع هذه الصناديق على الحلاقين والمستوصفات ووسائل النقل وأماكن تجمع الناس في المصالح ولو قام كل داعية بتصميم صندوق واحد ومتابعته لانتشرت.

٩ ـ تصميم لوحات الوقاية من الشمس (الشماسات) على زجاج السيارات الأمامي تحمل جملاً دعوية مفيدة.

---

(١) أقول: إن الخطبة والدرس يقوم بهما عدد مُحدد من الخطباء، أما باقي هذه الوسائل وغيرها يقوم بها جميع المسلمين، كلٌ حسب طاقته واستطاعته.

١٠ ـ محاولة الاستفادة من اللوحات الإعلانية المضيئة في الشوارع المهمة وعند التقاطعات، وعمل جمل دعوية مؤثرة.

١١ ـ التركيز على الهدايا الخاصة وتصميم مظاريف لذلك تناسب المهنة، فمظروف لطبيب، وثانٍ لصيدلي، وآخر لتاجر ، ورابع لعامل، ومدرس، وموظف.

١٢ ـ الاستفادة من صناديق البريد، وذلك بدعوة إنسان بعينه عن طريق صندوقه.

١٣ ـ عمل ملف للمخالفات الشرعية التي يرصدها الداعية ثم يبدأ في الإصلاح والعلاج وتعديل المسار.

١٤ ـ عمل مجلة أسرية مختصة بالأسرة فقط، فيها فوائد ووقفات وطرائف توزع على الأُسر أسبوعية أو شهرية ولو قامت النساء بعمل مجلة نسائية يتفرع منها مجلة صغيرة للأطفال تمول من المقتدرين أو اشتراك شهري.

١٥ ـ تبني قضية لمواجهة منكر معين موجود بين الناس ودراسته دراسة وافية، وإيجاد الحلول له.

١٦ ـ المشاركة في المجلات الإسلامية بدعمها معنوياً بالمراسلة، أو مادياً بالاشتراك فيها وحث الآخرين على ذلك.

١٧ ـ عمل اشتراك في مجلة إسلامية وترسلها إلى من تريد دعوتهم وإيصال الخير لهم دون أن يشعروا بهذا العمل منك.

١٨ ـ الاستفادة من الكمبيوتر في عمل نشرات دعوية وكل ميادين الدعوة المختلفة.

١٩ ـ تجهيز لوحة جميلة توضع في صالة المنزل وتقوم الأسرة بإعداد ملصقات تربوية دعوية مفيدة ومنوعة ليستفيد منها أهل المنزل والزوار ثانياً.

٢٠ ـ نداء موجَّه إلى أصحاب التسجيلات الإسلامية بنشر العلم بسهولة ويسر.. أرخص وبأحسن طريقة.

٢١ ـ وسيلة لإنهاء المعاكسات الهاتفية.. جهز أحد الأشرطة المؤثرة في التلاوة وعند المعاكسة أسمعه القراءة مباشرة.. جُرِبَت هذه الوسيلة وكان يتصل بعدها المعاكس ويتعذر ويندم على ما فعل.

٢٢ـ طبع أقوال مأثورة ومؤثرة على الأقلام والميداليات وإهداؤها .

٢٣ـ صمم حقيبة للسائقين فيها مجموعة من الشرائط وفوطه للسيارة يكون من بينها شريط سلوك السائق المسلم والأذكار ومعها سجادة للصلاة .

٢٤ـ الاستفادة من بعض العادات ، ففي زيارة المتزوجة حديثاً أو التي رزقت بمولود يكون من ضمن الهدية مجموعة من الكتب والأشرطة والمطويات .

٢٥ـ حاول وضع بعض نسخ من كتاب (كلمات القرآن تفسير وبيان) مع بعض التفاسير الموجزة في المساجد .

٢٦ـ توزيع الأشرطة الزائدة والمجلات الزائدة على الأماكن النائية .

٢٧ـ تصميم حقيبة المرأة المسلمة تحتوي على (عباءة ـ حجاب ـ جوارب ـ مجموعة أشرطة خاصة بالمرأة) وتوزيعها على رواد الحدائق العامة ممن لا يهتمون بالحجاب .

٢٨ـ يركز الأخ الداعية على عدم خلو جيبه وبيته وسيارته من مجموعة مناسبة من الأشرطة والكتيبات والمطويات لاستخدامها عند الحاجة أو توزيعها في إشارات المرور والأسواق .

٢٩ـ الاستفادة من مواسم الخير كرمضان والأعياد والحج وتوزيع هدايا على الجيران .

٣٠ـ عمل درس أسري أسبوعي أو شهري أو نصف شهري يشارك فيه أفراد الأسرة كلهم درس من القرآن ، ووقفة مع السيرة ، و قصة من الواقع ، ومعالجة بعض القضايا الأسرية ويكون ذلك مع وجبة شاي خفيفة وبعض الحلوى .

٣١ـ وضع صندوق في المسجد للفتاوى وحث الناس على الاستفادة وتوضع لوحة صغيرة بجواره تكتب فيها إجابات الفتاوى .

٣٢ـ الاستفادة من المستشفيات وذلك بالمطويات والملصقات وكذا المؤسسات .

٣٣ـ استغلال المصايف والشواطئ وإقامة حفلات سمر ومسابقات ثقافية .

٣٤ ـ أنت أيها المدرس من أعظم وأخطر الوسائل الدعوية فعندك سفراء من كل المنازل، فالنبي ﷺ يقول: «**إنما بعثتُ معلماً**»(١) ، ويقول: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»(٢) .

وروىٰ البيهقي عن جابر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**يُبعث العالم والعابد، فيُقال للعابد ادخل الجنة، ويُقال للعالم قف حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم**»(٣)، وعند ابن ماجة: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**»(٤) .

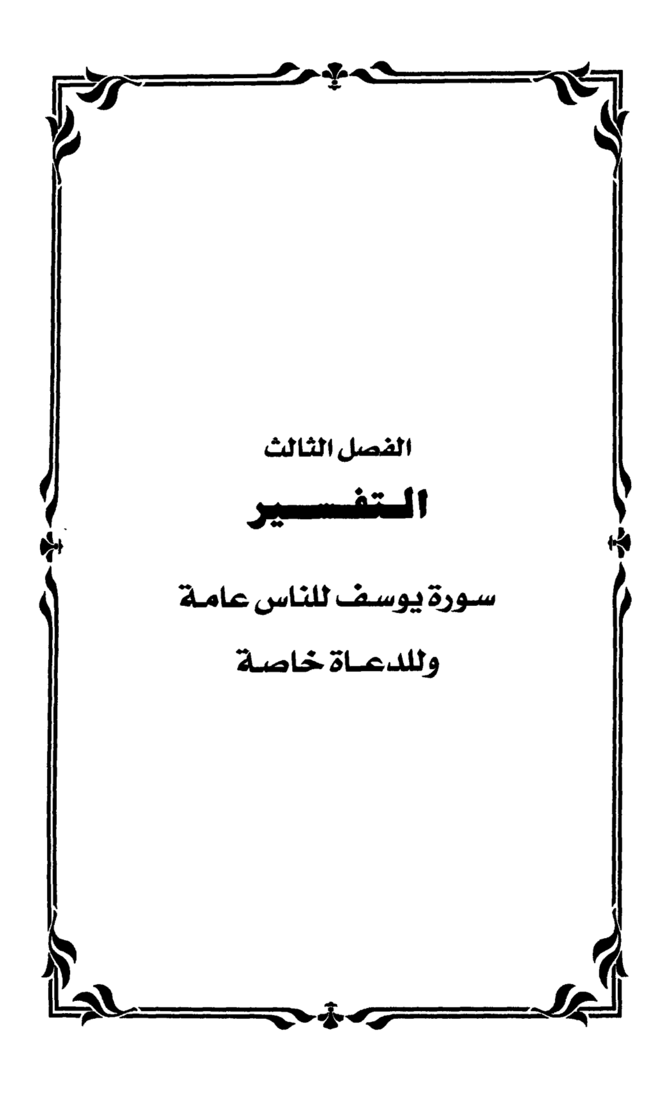
---

(١) رواه ابن ماجة ، المقدمة ١٧ ، عن عبد الله بن عمرو، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف، كنز العمال، جـ١٠ ص ١٤٧ .

(٢) رواه أبو داود ، علم ١ ، وابن ماجة، مقدمة١٧ ، والدارمي، مقدمة ٢٩ ، وأحمد ٥/ ١٩٦ ، والترمذي، علم ١٩ ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وفي الترغيب والترهيب رقم ١٣٠ ، وفي رواية: «**كفضل القمر على سائر الكواكب**» .

(٣) رواه البيهقي وغيره، وفي الترغيب رقم ١٣٤ .

(٤) رواه ابن ماجة، زهد ٣٧، برقم ٤٣١٣، ضعيف، ففي الزوائد في إسناده عِلاق بن أبي أسلم.



الفصل الثالث

التفسير

سورة يوسف للناس عامة وللدعاة خاصة

الفصل الثالث

التفسير

سورة يوسف للناس عامة.. وللدعاة خاصة (١)

قال تعالى: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣ ﴾ (يوسف).

هذه السورة التي هي أحسن القصص، ليست للتسلِّي وقضاء وقت طيب مع قصة طيبة.. وليست هذه السورة لحكاية موقف شهوة من جانب امرأة تجاه رجل أعجبها.. وليست هذه السورة محكمة للدفاع عن يوسف وإثبات براءته..

إن الحق سبحانه وتعالى خلقنا وأنزل لنا القواعد والقوانين التي نعيش عليها حتى لا نضل ولا نشقى بعيداً عن المتاعب والمشاكل.. فالقرآن منهج لحياة كريمة ليست للمسلم وفقط بل للبشرية كلها..

والآن لنضع هذه السورة أمامنا لنخرج كنوز أحسن القصص، ونرى عظمة الدروس التي فيها، والفائدة التي تعود علينا من تطبيق هذه الدروس عملياً.

ولنبدأ بهذا السؤال قبل عرض الدروس:

من الذي يستفيد من سورة يوسف؟

المستفيدون من السورة:

---

(١) كتبت العناصر الأساسية لهذا الفصل في الروضة الشريفة في فجر الجمعة ١٢ من رمضان المعظم سنة ١٤٢١هـ الموافق ديسمبر ٢٠٠٠م، وتم استكمال باقي الموضوعات في جوار الكعبة المشرفة في حرم الله الآمن ١٤ رمضان سنة ١٤٢١هـ.

١ ـ **الآباء** في قضية العدل بين الأبناء، قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا** ﴾ (يوسف: ٤).

٢ ـ **علماء التربية والمجتمع** : فالتربية هي نقل الفرد من حالة إلى حالة تقربه إلى الله تعالى، وكيف تُربَى الأسرة التي هي لبنة المجتمع، كيف يُربَى الأبناء على الحب والوفاء فيما بينهم : ﴿ **قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ** ﴾ (يوسف).

٣ ـ **النساء**: عدم تعلق المرأة المتزوجة بغير زوجها، عدم خلوة المرأة برجل حتى لاتحدثها نفسها بالمعصية.

٤ ـ **الشباب**: عفة هذا الشاب التي كانت سبباً في نجاته، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ (يوسف: ٥٠).

فخرج من السجن، وأصبح أميناً على خزائن الأرض.

٥ ـ **علماء الزراعة**: أرشد يوسف عليه السلام إلى حفظ الحبوب من التسوس أن تظل في السنابل، قال تعالى: ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ** ﴾ (يوسف: ٤٧). . وأهمية الزراعة عن الصناعة.

٦ ـ **علماء الاقتصاد**: وضع خطة للاقتصاد لمدة سبع سنوات، وليس له خبرة في المحاسبة والرياضيات ولم تخطئ الخطة ولم تُعدل.

٧ ـ **وزارة التموين** : كيفية الصرف من المخزون الاستراتيجي في حالات الطوارئ والأزمات.

٨ ـ **الأطباء**: أثر الحزن على الإنسان ووظائف أعضائه، قال تعالى: ﴿ **وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ (يوسف: ٨٤).

٩ - **وزارة العدل:** القضاة والشهود واستنباط الأدلة، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾ (يوسف).

والاعتراف سيد الأدلة حيث سأل العزيز النسوة: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾ (يوسف: ٥١)، فكان ردهن: ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ (يوسف: ٥١)، ثم كان أن اعترفت امرأة العزيز : ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾ (يوسف).

١٠ - **الدعاة إلى الله تعالى ..** يقرؤون السورة وشرحها، ويتعلمون كيف دعا يوسف عليه السلام إلىٰ التوحيد الحق . . والمشاركة في قيادة الأمة حينما وجد أنها في موقف صعب. . . ثم نقرأ هذه الدروس لعرضها علىٰ الناس.

والآن هيا بنا جميعاً نأخذ من دُرر هذه السورة ونملأ صدورنا من أريجها الفواح، لتستفيد الأمة من دروس هذه السورة في هذه الأوقات العصيبة من مراحل حياتها.

الدرس الأول: إلى كل أب : لا تذبح ابنك بيدك..

أيها الآباء والأمهات إن شعور الأبناء بعدم العدل من الوالدين يؤدي إلىٰ الحقد والغل والكراهية بين الأولاد، وليس ذلك وفقط، بل ويؤدي إلىٰ الجريمة والقتل بين الأولاد. . ولا يوجد أب يريد أن يتحول أولاده إلىٰ مجرمين!!

كان ليعقوب عليه السلام أبناء من زوجة، وكان له يوسف وأخوه من زوجة أخرىٰ، وكان يعقوب عليه السلام يشفق علىٰ يوسف وأخيه لصغر سنهما، أو

لعلمه بمكانة يوسف وخاصة بعد أن قصَّ عليه الرؤية : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ، وقد حذَّره أبوه فقال : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يوسف : ٥)، لكن إخوة يوسف ائتمروا به فيما بينهم وقالوا : ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ .

فهذا الميل لأحد الأولاد يغير صدور باقي الأبناء . . وقد قال رسول الله ﷺ : «**اعدلوا بين أولادكم حتى ولو في القبلات**»(١) .

وهنا أخطأ إخوة يوسف في أنهم لم يصارحوا أباهم بما في صدورهم ويعرضوا عليه مشكلتهم . . لكنهم جلسوا يخططون في كيفية الاستيلاء على أبيهم وعلى حبه دون يوسف ، فجلسوا يخططون ويقولون : ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف : ٩) .

أين الصلاح بعد القتل؟..

هذه مشكلة من أخطر المشاكل التي تعتري أي أسرة فتعصف بنظامها وتذهب باستقرارها ، وتؤدي إلى ضياعها وتفككها ولا تظهر النتائج لها إلا على المدى البعيد ، و لاحل لها بقوانين مُنَظِمَة للحقوق ، ولا قواعد ولا لوائح ، لأن كل هذه القوانين واللوائح والقواعد تنظم الأشياء المادية ، ولا يمكن أن تنظم عاطفة الحب العادلة من الأب للأبناء .

إن فيض الحنان من الأب للأبناء لا يكون بقانون ، ولا يكون إلا بالإسلام ، ولا حل لهذه المشكلة إلا في الإسلام .

هذا نمط من أنماط التربية العالية لا يوجد في أي مرجع ، ولا أي كتاب في علم النفس ، فالتربية نقل الفرد من حال إلى حال تقربه إلى الله .

ولذلك **يقول الشيخ الشعراوي . رحمه الله .** معلقاً على : ﴿ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ :

---

(١) رواه البخاري، هبة ، ١٢ ، ١٣ ، ومسلم، هبات ١٣ .

إن الإنسان الطيب إذا فكر في فعل الشرّ، تجده يتدرج من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل، أما الإنسان المجرم فيتدرج من الأسفل إلىٰ الأعلىٰ.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، حيث بلغ به الغضب مبلغه يوم مقتل عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وحلف لئن أمكنه الله تعالىٰ منهم ليمثلن بكذا وكذا منهم، ثم سكن عنه الغضب حتىٰ انتهىٰ به الأمر إلىٰ الصفح عمن قتل عمه.

ولهذا الدرس شق ثانٍ وهو (معاملة الأبناء للأباء) سوف يأتي في حينه لأننا سوف نشير في هذه الدروس حسب ترتيب الآيات في السورة.

الدرس الثاني : وردة في وسط الشوك:

مهما شاع الباطل وانتشر، وكثر أتباع الشيطان، وأظلم الأفق، فلابد من بزوغ بارقة أمل حتىٰ ولو كان بصيصاً من ضوء.. وهاهم إخوة يوسف يخططون لقتله، ولكن: ﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ (يوسف: ١٠).

فبعد أن أجمع إخوة يوسف علىٰ قتل يوسف وأُخِذَت الأصوات، وأصبح المصير المحتوم هو القتل، وخيم علىٰ مصير يوسف الإعدام، جاء هذا الصوت ليخفف حكم الإعدام لحكمة يعلمها الله، ولنعلم أن القلوب بيد الله يحركها كما يحب.

ومما نستفيده من هذا الدرس :

١ ـ لابد أن تقول رأيك فيما حولك.. ولا تحقر رأيك، فربما ينقذ حياة إنسان.

٢ ـ عليك أن تؤيد رأيك بالدليل من الحلول.. كما قال أخو يوسف: ﴿ **لاتَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ أي: إن كنتم مصممين علىٰ إبعاده عن أبيه.

الدرس الثالث : لا تُعطِ للباطل فرصة الخروج من المأزق :

الباطل غالباً ما يكون أحمق، ويريد نتيجة فورية، ويحسب تحت قدميه فقط، لأنه غير مؤيد من الله تعالىٰ . . لكن صاحب الحق يحرص علىٰ ألا يعطي للباطل المبرر والفرصة للخروج من المأزق.

لقد خطط إخوة يوسف لقتله، ولإلقائه في الجُبّ . . وبعد أن نفَّذوا خطتهم عادوا إلىٰ أبيهم، فماذا قالوا: ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** ﴾ (يوسف: ١٧).

ولـماذا قالوا له ذلك، ومن الذي أعطاهم هذه الفكرة وهذا المبرر للتخلص من يوسف؟ إنه أبوهم، فحينما قالوا له: ﴿ **يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ⑪ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑫** ﴾ (يوسف).

قال لهم: ﴿ **إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ** ﴾، وحينما عادوا قالوا له: أكله الذئب، لقد حدث ما كنتَ تخشاه.

والواضح أيضاً أن إخوة يوسف لم يكسبوا ثقة أبيهم . . وهم يعلمون ذلك فقد قالوا له: ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** ﴾ (يوسف: ١٧).

الدرس الرابع : عِلم[1] الله تعالىٰ:

الله سبحانه تعالىٰ هو خالق هـذا الكون ومدبره، يعلم كل ذرة فيه، وماذا تصنع، ولم تصنع، ونحن فقط نعرف الظاهر من الأمور . . ولذا يجب علىٰ المسلم أن يترك اختياره لاختيار الله له فهو عين الصواب، فقط عليك الأخذ بالأسباب والتوكل علىٰ الله.

لقد ترك إخوة يوسف أخاهم في البئر وانصرفوا لكي يخلو لهم وجه أبيهم، ولكن ما خلا لهم وجه أبيهم، وإنما الذي حدث :

---

(١) لا يجوز أن نقول: الله يعرف كذا، أو نقول ربنا عارف، ولكن نقول: الله يعلم، لأن المعرفة لا تكون إلا عن جهل سابق بحقيقة الشيء، وهذا محال علىٰ الله تعالىٰ.

١ ـ ابيضت عيناه من الحزن.

٢ ـ لم يكونوا بعد يوسف قوماً صالحين، بل دب الشقاء والحزن إلىٰ الأسرة.

٣ ـ أصبح أخوهم عبداً يُباع.. تلك هي عواقب اختيارنا البشري.

ولكن الذي كان في علم الله غير ما أراده إخوة يوسف.. فلقد مرت بعض السيارة وأرادوا السقيا من البئر، فخرج يوسف في الدلو، فاستبشروا به، وبيع يوسف إلىٰ حاكم مصر، فأكرمه ونعمه، ويحكي القرآن ذلك فيقول: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾ (يوسف: ٢١).

ليس ذلك فقط، بل إن الله أخبر أن هذه خطوة علىٰ طريق التمكين ليوسف: ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ** ﴾ (يوسف: ٢١)

ولعل العجب يذهب بنا كل مذهب حين نتصور كيف يتسنىٰ لعبد أن ينتقل من مصاف الأحرار، بُلَّه[1] إلىٰ مصاف السادة، بُلَّه إلىٰ حكم مصر، ولكنه تقدير العزيز العليم.

فعلىٰ المسلم أن يقوم بالمطلوب منه وينفذ ويرضىٰ بِقَدر الله تعالىٰ.. والنتائج علىٰ الله «علىٰ العبد أن يسعىٰ وليس عليه إدراك النتيجة» ألا ترىٰ معي أن هذه السورة وأحداثها وما حفلت به من آداب وحِكَم، تكفي وحدها لبناء أساس متين لعلاقات مجتمع فاضل؟

صحيح أن يوسف الآن دخل فتنة الرق بعد فتنة الجُبِّ، وسيدخل فتنة السجن بعد ذلك، لكن بعد كل هذه الفتن، ومع تقواه وإحسانه التي شهد بها صاحباه في السجن، ومع فضل الله وكرمه، يُمَكِّن الله ليوسف: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)** ﴾ (يوسف).

فإن الابتلاء بداية التمكين.. كما قال الشافعي.

---

(١) البُلَّه، الخير والعافية، المعجم الوسيط، جـ١، ص ٧٢، مادة: بلم.

ومن صور التمكين ليوسف:

١ ـ من غيابة الجب (سجن البئر) إلىٰ تكريمه هو وأهله : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف: ١٠٠).

٢ ـ من دار العزيز (سجن الرق) إلىٰ القيادة : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٥٥).

٣ ـ من الزنزانة (السجن) إلىٰ قمة الحرية ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ (٥٦).

الدرس الخامس: الصراع ينتهي بأفضل شيء وهو السجن :

النفوس البشرية صنفان ، طيبة وخبيثة ، فالنفس الطيبة تريد الخير وتهرب من الشر ، أما النفس الخبيثة فتريد الشر وتهرب من الخير وهذه هي صورة الصراع : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٢٥).

لنذكر بالآيات مرتبة . . وعليك أن تتأمل هذا الصراع حتىٰ تصلك النتيجة :

١ ـ الاعتراف سيد الأدلة :

وامرأة العزيز قدمت اعترافين في هذه القضية التي أثارت هذا الجدل :

أ ـ **اعتراف امرأة العزيز أمام النسوة:** ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (يوسف: ٣٢).

ب ـ **اعتراف امرأة العزيز أمام الملأ، وأمام زوجها:** ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (يوسف: ٥١)، ثم إنها في لفتة عجيبة ذكرت المتهم الحقيقي فقالت : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾ (يوسف).

وتأتي هذه الآيات السابقة، فترفع امرأة العزيز الحرج عن يوسف وتبرئه، ثم تصرح بالمتهم الأصلي المحرك لهذه القضية وهي نفسها، ثم تنبذ خلقاً من أسوأ الأخلاق وهو الخيانة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**يُطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب**»(١) .

وكأن لسان حالها يقول: حتىٰ لو أَمَرَتْنِي نفسي بالفاحشة قبل ذلك، فلن أكون اليوم خائنة فالخيانة أمر ممقوت يكرهه أصحاب الطباع السليمة. .

وإني أتساءل: لقد أشفقت هذه المرأة علىٰ نفسها من الخيانة، بالرغم من أنها ستكون خيانة لفرد واحد، فكيف بمن يخونون أمتهم؟ ويطعنون ويجرحون في دينهم الإسلام وهم ينتمون إليه؟

ولذلك يحذر الشرع من أسوأ خلقين علىٰ الإطلاق، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٢) .

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»(٣) .

وعن سفيان بن أسعد الحضرمي قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كبرت خيانة أن تُحدِثَ أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب**»(٤) .

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٥٢، وأخرجه المنذري في الترغيب، رقم ٤٢٥٢، وقال: رواه البزار وأبو يعلىٰ، ورواته رواة الصحيح .

(٢) رواه البخاري، إيمان ٢٤، جزية ١٧، ومسلم، إيمان ١٠٦ .

(٣) رواه أحمد ٥/ ٣٢٣، برقم ٢٢٨٢٤، والطبراني في الأوسط، وفي الزوائد: رجاله ثقات، وفي كنز العمال ٤٣٥٣١ .

(٤) رواه أحمد ٤/ ١٨٣، وابن أبي الدنيا، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الاسناد.

وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«ويلٌ للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له»**(١).

ونختم بهذا الحديث الذي يأمر بفعل ويحذر من فعل، فعن بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»**(٢).

٢ ـ شهادة النسوة أمام العزيز:

قال تعالىٰ: ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ** ﴾ (يوسف: ٥١). مع أنه لا عبرة بالشهود في حالة اعتراف الجاني فيها بدون إجبار أو إكراه في اعترافين صريحين.

ثم ذكر الحق سبحانه وتعالىٰ لفظ (المحسنين) في هذه السورة أكثر من غيرها حتىٰ في السور الطوال.. قال تعالىٰ:

﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (يوسف: ٢٢)

﴿ **نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (يوسف: ٣٦).

﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (يوسف: ٥٦).

﴿ **قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (يوسف: ٧٨).

---

(١) رواه أبو داود، أدب ٨٠، والترمذي، زهد ١٠، والدارمي، استئذان ٦٦، وأحمد ٥/ ٣، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه البخاري، أدب ٦٩، ومسلم، بر ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.

﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠).

والإحسان كما عرفه جبريل للنبي ﷺ في الحديث الثاني من الأربعين النووية والذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «..**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**..».

والإحسان أعلىٰ درجة في درجات المراقبة والترقي، والقرآن ذكر الإحسان في هذه السورة كما نرىٰ خمس مرات، ولعل في ذلك إشارة واضحة إلىٰ أن الإحسان خلق ودين عند يوسف عليه السلام[1] .

الدرس السادس: السجن :

بمجرد إعلان أهل الحق عن تمسكهم بالحق تكون مواجهة الباطل وتهديده بالقتل: ﴿ اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ (غافر: ٢٥). وبالحديد والنار : ﴿حَرِّقُوهُ﴾، أو النفي ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ (الأعراف: ٨٢)، أو السجن: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩).

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف: ٣٥).

السجن لغة هو: المحبس.

سجنه: أي حبسه، وهو المكان الذي يوضع فيه المجرم.

أنواع السجن :

١ ـ **السجن المعروف (الزنزانة)** وهو مكان ضيق معروف ذو مواصفات سيئة ينام المسجون فيه علىٰ الأرض، أو يفترش (البرش)، وبجواره صفيحة (أو دلو) يقضي فيه حاجته من بول وغائط وهو مظلم ولك أن تتخيل أسوأ مكان وأسوأ مواصفات فهو السجن. .

(١) إذا أردت المزيد في هذه النقطة ارجع إلىٰ (كتاب عصمة الأنبياء) للفخر الرازي، أوالمسألة الثانية والثلاثين من كتاب (الأربعين في أصول الدين).

والأشد إيلاماً من ذلك أن يوضع في هذا السجن الأبرياء كما حدث ليوسف وكما يحدث في كل عصر ، فالأبرياء داخل السجون الآن أكثر من المجرمين .

٢ ـ **تحـديد الإقـامـة** : وذلك بالمنع من الحركة إلا في إطار معين قد يكون المنزل . . وقد يكون حدود الدولة وقد يكون حدود أي مكان يحدد لإقامته .

٣ ـ **أمـا السجن الأخطر والأشد ألماً وحسرة هو سجن المعصية..** ولذلك فالنوع الأول أسهل منه وأقل خطراً ، لأنه له نهاية محددة بالأعوام أو المؤبد مدى الحياة ، أو ينتهي بانتهاء الحياة ، أما سجن المعصية فلا يخرج منه الشخص المصر على المعصية أبداً . . ولذلك أنعم الله على يوسف فقال : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: ٣٣) . أي هذا السجن (الزنزانة) أفضل عندي وأحب من سجن المعصية ، وهي فعل الفاحشة التي تطلبها امرأة العزيز منه .

أما هذا الشاب يوسف:

١ ـ لم يقل لنفسه : أنت عبد وهي امرأة أكبر مسئول ولها سطوة ونفوذ ، فأنت مغلوب على أمرك ومضطر لفعل الفاحشة . . كلا .

٢ ـ لم يقل لنفسه : أنت ليس لك هنا أسرة أو من يدافع عنك ولا يعرف مكانك نقابة المحامين أو لجنة حقوق الإنسان . . أَفعْلَ الفاحشة . . كلا .

٣ ـ لم يقل لنفسه : لو ذهبت إلى السجن فلن تخرج منه أبداً وسوف تنسى لأن من مصلحة الوزارة أن ينسى الناس اتهامها بالفساد وتكون أنت كبش الفداء . . أَفْعلَ الفاحشة . . كلا .

٤ ـ لم يقل في نفسه : إذا فعلتُ ما تريده امرأة العزيز سأكون مقرباً منها ، وعند ذلك أطلب أن أكون حراً أو أفعل لها كل ما تريد . . ساعتها توافق وأتحرر وأتوب . . أَفعْلَ الفاحشة لذلك . . كلا .

٥ ـ لم يكن بجواره رفاق سوء وإلا قالوا له : (إنها مرة واحدة وعليك أن تتوب بعدها ـ أنت هنا مستضعف ولا حيلة لك ولا ناصر لك ، فأنت مضطر لذلك) .

نتيجة المعصية :[١]

(قلة التوفيق ـ فساد الرأي ـ خفاء الحق ـ فساد القلب ـ خمول الذكر ـ إضاعة الوقت ـ نفرة الخلق ـ ضيق الصدر ـ لباس الذل ـ منع إجابة الدعاء ـ الوحشة مع الرب ـ قسوة القلب ـ محق البركة في الرزق والعمر) .

ما الذي يصل بك إلى المعصية؟

الفم . . والفرج . .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه : سئل رسول الله ﷺ :

« ما أكثر ما يُدخل الناس النار ؟ » .

قال : «**الأجوفان: الفم والفرج**»[٢] .

أما الفرج فرأينا درساً رائعاً في حفظ الفرج فتمثل في هذا الشاب الطاهر العفيف يوسف عليه السلام .

أما الفم (اللسان) عن عبد الله بن مسعود يقول النبي ﷺ : «**والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى سجن من لسان**»[٣] .

وحديث النبي ﷺ لمعاذ : «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»[٤] .

ولذلك ذكر **الإمام الغزالي** في الإحياء للسان عشرين آفة[٥] .

ربما يقول قائل : للسان فقط عشرون آفة ، إذن هلكتُ ، ولكن القرآن يُطمئنك : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ (النساء : ٤٨) .

---

(١) من الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن القيم .

(٢) رواه ابن ماجة في الزهد ٢٩ ، وأحمد ٢/ ٢٩١ ، وفي كنز العمال ، جـ١٥ ، ص ٨٠٢ .

(٣) رواه الطبراني موقوفًا بإسناد صحيح ، وفي الترغيب رقم ٤١٣٧ .

(٤) رواه البخاري ، إيمان ١٩ ، زكاة ٥٣ ، مناقب ٢ ، أحكام ٢ ، ومسلم ، إيمان ٢٣٧ .

(٥) آفات اللسان . . راجع إحياء علوم الدين .

اشتغل يوسف في السجن بتبليغ دعوة ربه للسجناء، وحينما علم بخروج أحد السجناء، طلب منه يوسف أن يذكره عند العزيز، فأنساه الشيطان ذلك، وكأن الله عز وجل يقول له: ألم تخرج من سجن المعصية برحمتنا؟ ودخلت السجن الأخف منه عقوبة.. فَلِمَ تتعلق بغيري؟ فلن يفك أسرك سواي..

وظل يوسف في السجن حتى رأى الملك رؤيا في منامه، وطلب ممن حوله تفسيرها فلم يستطيعوا، فأخبرهم الذي نجا من السجن أنه يعلم من يفسر الرؤيا، وعندما سألوا عنه؟ قال: يوسف.

فائـــدة:

عندما جاء الطلب إلى يوسف لكي يخرج إلى العزيز لتأويل الرؤيا.. قال: ﴿ **ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ (يوسف: ٥٠).

وهنا لم يتأهب يوسف مسرعاً للخروج.. بل طلب إثبات براءته، وفعلاً سأل العزيز النسوة فشهدوا بأنه من المحسنين..

كلمة إلى الداعية المسلم الذي سجن ظلماً: لا تحزن. فقد يكون ذلك:

١ - إما لصالح دعوته.

٢ - أو تمحيصاً له وابتلاءً واختباراً وتربية.

٣ - أو يريد الله أن يبعده عن مواطن الفتنة وسجن المعصية.

وكلمة إلى كل مسئول.. أو كل من يستطيع توصيل ذلك إلى اي مسئول كان: رئيس، أو ملك، إو وزير، أو قاض .. لنعذر امام الله عز وجل:

إن سجن الأبرياء الأطهار الذين يبلغون دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة نذير سوء، وعلامة خطر، وإشارة حمراء لمن يفعل ذلك في الدنيا بالمعيشة الضنك، وفي الآخرة بالخلود في نار جهنم - والعياذ بالله.

وفي المقابل فإن الذي يقدم على إطلاق سراح داعية مظلوم مسجون، أو ينادي بإطلاق سراحه، أو يكتب في ذلك أو يوحي لمن بيده الأمر، أو يحكم ببراءته: نبشره بجنة عرضها السماوات والأرض، وإليك الدليل الساطع القاطع: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها...**»(١) .

انظر.. إنها هرة (قطة ـ حيوان) ليست إنساناً.. حبست هرة ولم تحبس إنساناً داعية مبلغ عن الله تعالى.. وفي المقابل دخل رجل الجنة لأنه سقى كلباً(٢).

انظر إنها الجنة دخلها لأنه سقى كلباً.. فيا من سجنتم الأبرياء، يا من تتشدقون بحقوق الإنسان.. كم في بلادكم مسجون مظلوم يُضرب ويُصعق ويُهان.. هذا تحذير للذين يظلمون الناس.

فاحذر أيها الأب أن تظلم أولادك، واحذر أيها الزوج أن تظلم زوجتك، واحذر أيها الحاكم أن تظلم المحكومين.

الدرس السابع: لا تمت وأنت حي:

الداعية إلى الله عز وجل لا يجب أن يهدأ، أو تلين له قناة، أو يكف عن الدندنة بدعوته، كما كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه نشيد خاص يدندن به لنفسه: «يا عمر ماذا تقول لربك غداً..؟».

وعلى الداعية ألا يرهب شيئاً ولا يخشى في الله لومة لائم، وألا يكف عن دعوته في أي وقت وفي أي مكان، فيوسف في السجن يدعو ويقول: ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ (يوسف: ٣٩).

ماذا يعاني يوسف؟

يوسف عليه السلام يعاني: ألم البعاد، وألم السجن، ومرارة الظلم، وظلم ذوي القربى، ولوعة الغربة.

---

(١) رواه البخاري، بدء الخلق ١٦، ومسلم، توبة ٢٥ .

(٢) رواه البخاري، مظالم ٢٣، أدب ٢٧، ومسلم، سلام ١٥٣ .

فهل توقف عن الدعوة إلى الله ؟

إنه مع ذلك لم يكف عن دعوته . . وحينما وجد فيه أصحابه في السجن الصفات اللازمة للداعية أباحوا له بكل أسرارهم وأحوالهم وقالوا : ﴿ **إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (يوسف : ٣٦) .

لك أن تتخيل أن يعترف المجرم لغيره بحسن الأخلاق ، بل بالإحسان . .

تماماً مثلما رضى أهل مكة أن يحكم بينهم النبي ﷺ في وضع الحجر الأسود ، وقالوا : «هذا الصادق الأمين رضينا به حكماً» . .

فالأخلاق عند الداعية أفضل شيء لتبليغ دعوته ، فقد يفعل خلق واحد ما لا تفعله مائة خطبة ، ولذا نقول للداعية : دع المجتمع يحبك ، ويثق فيك ، ويشاهد السلوك الطيب لك . . ساعتها توجهه إلى حيث رضا الله تعالى .

الدرس الثامن: الحزن له مقدار:

الحزن أمر وارد على النفس البشرية . . وهناك عام أسماه النبي ﷺ عام الحزن ، وقال النبي ﷺ في موت ابنه إبراهيم : « . . . وإن القلب ليحزن» ، ولكن المطلوب هو التغلب على الأحزان وعدم العيش بداخلها ، بل نتعامل مع الأفراح والأحزاب كما أمر الله تعالى : ﴿ **لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ (الحديد : ٢٣) .

وكذلك حزن يعقوب، فماذا فعل؟

- ﴿ **وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ (يوسف : ٨٤) .

ومع شدة الحزن هذه لا ينسى الأمل في الله عز وجل ، ولا ييأس بعد هذه السنين ، فهو على يقين من رحمه الله تعالى : ﴿ **و قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)** ﴾ (يوسف) .

ومن هذه الآيات نستخلص هذه النتائج العظيمة الفائدة :

١ ـ لا تحزن وتحمل هموم الدنيا، ولكن توسط في الأمر، واعلم أن كل شيء بقدر الله تعالىٰ، لأن الحزن هلاك للبدن.

٢ ـ لا تشكو إلا إلىٰ الله، ولا تنتظر الفرج إلا من الله تعالىٰ.

٣ ـ لا تيأس من روح الله مهما عظمت مصيبتك.

الدرس التاسع: أنت قائد فلا تترك القيادة:

علىٰ الداعية ألا يقطع صلته بالمجتمع أبداً. . فالمجتمع لا محالة سوف يحتاج إليه ليساعده في حل مشكلاته، ويأخذ رأيه ويستنير بفكره، ويطمئن إلىٰ إخلاصه، خاصة عندما تشتد الكروب وتعظم المصائب. . يهرع المجتمع إلىٰ الداعية (الداعية الذي اضطهده الحكام وسجنوه من قبل). . فيلبي الداعية حاجة المجتمع قائلاً: «لاتثريب عليكم»، ويلبي النداء وهو مرفوع الرأس، موفور الكرامة، مصمماً علىٰ المضي في طريق الحق، وعلىٰ إظهار كلمة الله وشريعته.

وليتأكد الداعية أنه لابديل لمشاكل العالم عن الحل الإسلامي، فإذا وجدت مشكلة فاعلم أنها بسبب البعد عن شرع الله تعالىٰ وتعاليمه. . وإذا أردت الحل فعليك بدعوة الناس إلىٰ العودة إلىٰ شرع الله وكتابة العزيز، ففيه كل شيء: ﴿ **وَمَامِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ (الأنعام: ٣٨).

لقد لجأ المجتمع إلىٰ يوسف الصديق، فلم يخذله، ذهبوا له: ﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (يوسف: ٤٦).

فرد عليهم يوسف، ولم ينتقم منهم، فقال في الحال: ﴿ **تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)** ﴾ (يوسف).

الدرس العاشر: نداء إلى وزارات (الزراعة - والاقتصاد - والتموين):

تأملوا في تأويل الرؤيا كما فسرها يوسف عليه السلام، تجدوا:

في الاقتصاد: وضع يوسف عليه السلام خطة اقتصادية لمدة سبع سنين ولاخبرة له في المحاسبة والرياضيات ولم تخطئ الخطة ولم تعدل الخطة.

في الزراعة والتخزين: أرشد إلى حفظ الحبوب هذه الأعوام السبعة دون أن يتسرب إليها السوس فقال: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ . .

أي يُترك الإنتاج في سنابله كما هو فلا يتلف، وكانت هذه من أعظم وسائل حفظ المحصول لأعوام طويلة أن يظل الحب في أبراجه (سنابله وأغلفته) كما هو.

وفي التموين: أرشد إلى كيفية الصرف من المخزون الاستراتيجي في حالة الشدة والقحط . . حتى تمر الأزمة بسلام.

الدرس الحادي عشر: أنت عالم فلا تجلس في صفوف التلاميذ:

على الداعية واجب التفقه والتعلم، والأخذ بأسباب الثقافة في شتى العلوم حتى يلبي حاجة المجتمع، فيتعلم الداعية بعض العلوم الأخرى، وليس الفقه والتفسير والحديث وفقط . . بل علوم الزراعة والاجتماع (١) وغيرها فإذا تحدثت في ناحية من هذه النواحي تفيد من حولك . . وهكذا كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم جميعاً، وهذا ما دفع يوسف أن يقول للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥).

الدرس الثاني عشر: استفد من القوانين الموجودة في حدود شرع الله:

أراد يوسف عليه السلام بعد أن أصبح مسئولاً عن الاقتصاد والتموين، وإن شئت فقل رئيساً للوزراء . . أن يأخذ أخاه معه ولا يتركه مع إخوته . . فاستغل القانون المعمول به في ذلك الوقت ليأخذ أخاه معه، وكان القانون يقضي بأن (من

---

(١) راجع في مبحث الخطيب من هذا الفصل: أسوة الخطباء عمر بن الخطاب (ثقافته الاجتماعية، والاقتصادية، والزراعية) ففيها الفائدة.

يسرق شيئاً يؤخذ مقابل هذا الشيء)، فجعل السقاية في رحل أخيه ليأخذ أخاه معه، وحكى القرآن ذلك فقال: ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٧٦).

الدرس الثالث عشر: الأدب في معاملة الولدين:

الإسلام يرفض بأي حال من الأحوال أن يقول الابن لوالديه مجرد «أف»، ولذلك لا يجوز أن يُحِدَ الولد النظر إلى والديه، وهذه معاملة الأبناء لأبيهم في ظروف محنته، بالرغم من أنهم السبب فيها: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾.

وهذه المعاملة السيئة لا تجوز أبداً بحال، يقولون لأبيهم: ستظل هكذا حزيناً على يوسف حتى تذوب وتهلك من شدة الحزن..

هذا في مقابل يوسف عليه السلام الذي يحب والديه ويجلهما ويعرف لهما مقامهما: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف: ١٠٠).

وهكذا يجب أن يكون كل داعية مع والديه.. قدوة لغيره.

الدرس الرابع عشر: أخلاق سيئة يجب تركها:

الأخلاق السيئة تدمر المجتمع فماذا تقول لرجل قال لك: أسرع فإن القطار مازال واقفاً في المحطة، تذهب مسرعاً، فإذا ذهبتَ ووجدت القطار قد مضى منذ نصف ساعة مثلاً، فإنك تحتقر هذا الرجل لسوء فعلته وهي: الكذب..

فالأخلاق السيئة تنشئ الحقد والضغينة في المجتمع، وفي الأسرة أيضاً.

١ - الكذب.. فقد بدأت مشاكل هذه الأسرة بالكذب: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (يوسف: ١٧).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «..**ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(١) .

وقال أيضاً: «**يُطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب**»(٢) .

وعن صفوان بن سليم قال: «يا رسول الله . . أيكون المؤمن بخيلاً؟»، قال ﷺ: «**نعم**» . . قال: «أيكون المؤمن جباناً؟»، قال ﷺ: «**نعم**»، قال: «أيكون المؤمن كذاباً؟»، قال: «**لا**»(٣).

٢ ـ **عمى القلب**: ومنه كان إنكارهم لأخيهم، فمهما كبر أخوهم فالملامح لا تكاد تخفى على الصديق، فضلاً عن ذي النسب الوثيق، ولذلك فهو عرفهم وهم له منكرون.

٣ ـ **سلوك المنافقين**: قالوا وهم يحدثون يوسف ولا يعرفونه ولو كانوا يعرفون أنه يوسف ما قالوا: ﴿**قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾ (يوسف: ٧٧).

ولذلك يجب على المسلم حتى يخرج من هذه الأخلاق السيئة، أن يلتزم الأخلاق القويمة، ويصاحب من يتصفون بها.

الدرس الخامس عشر: أخلاق طيبة تمسك بها:

١ ـ **شكر النعمة**: حتى لا تزول النعمة، قال تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (يوسف: ١٠٠).

---

(١) رواه البخاري، أدب ٦٩ ، ومسلم، بر ١٠٢ ، ١٠٥ .

(٢) رواه أحمد ٥/ ٢٥٢ ، وهذه الرواية منقطعة بين الأعمش وأبي أمامة، وفي مجمع الزوائد: «**يُطبع المؤمن على كل خُلة غير الخيانة والكذب**»، رواه البزار وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه مالك في الموطأ، كلام ١٩ ، وقال في الموطأ: حديث حسن مرسل.

وقال: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١).

٢ ـ **كيفية الوصول للإحسان،** وذلك بالتقوىٰ ـ الصبر ـ عدم سؤال الأجر: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠). ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف: ١٠٤).

٣ ـ **العفو عند المقدرة:** فبعد كل ما فعله إخوة يوسف به، من إلقائه في الجب، وقولهم أنه قد سرق، يقول لهم: ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢).

٤ ـ **الاعتذار عند الخطأ .. وطلب العفو..** فقد اعتذر إخوة يوسف فقبل اعتذارهم، وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم.

فقه الاعتذار [١]

« **كل ابن آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابون**»[٢] . . هكذا قال رسول الله ﷺ . . وبهذا العموم . . كل بني آدم لا يخلو من الخطأ . . فهو لم يستثن أحداً . . فكلهم لم يخلقوا للعصمة . . ولم يخلقوا شياطين . . فهم أناس يخطئون ويصيبون . غير أن خيرهم من إذا أخطأ اعترف . وبعد الاعتراف . . الاعتذار . . وهو ما يعبر عنه بالتوبة، والإنسان يخطئ في حق:

١ ـ ربه.

٢ ـ نفسه.

---

(١) من خطبة جمعة للأستاذ: وهبة سالم.

(٢) رواه الترمذي، قيامة ٤٩، حديث رقم ٢٤٩٩، وابن ماجة، زهد ٣٠، وأحمد ٢/ ١٩٨، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤٤، قال ابن حجر في بلوغ المرام: وسنده قوي، وفي سبل السلام: ٤/ ٣٤٦، والدارمي، رقاق، حديث رقم ٢٧٢٧ .

٣ ـ الناس من حوله .

٤ ـ الحيوان .

٥ ـ البيئة التي يعيش فيها .

والذي نحن بصدده هو **الخطأ في حق الناس** . . وكيفية الاعتذار منه .

إن الاعتذار في حق من أخطأت في حقه يتم على مراحل حتى يؤتي ثماره:

١ ـ الاعتراف بأنني أخطأت في حق فلان . . واعتديت على حرمة ماله أو نفسه أو عرضه . . وما كان لي أن أعتدي عليه . . وأخالف أمر ربي وأمر النبي الكريم بحرمة المسلم . . وأنني ظلمته وأحزنته وأهنته .

٢ ـ المسارعة إلى الاعتذار . . وعدم المكابرة والتباطؤ حتى لا تكبر شجرة الكبر في نفسي . . وتنمو شجرة الحقد في نفس من أخطأت في حقه .

٣ ـ أداء الاعتذار . . ويكون بنفسية المخطىء . . الظالم الذي يطلب الصفح . . الذي يستشعر أن حق هذا المظلوم سيؤخذ منه يوم القيامة . . وأن هذا المظلوم سوف يتحكم يوم القيامة في دخولي الجنة أو النار إن لم يعف ، ومن ثم لابد من كلمات اعتذار . . لا كلمات مهانة . . أو كلمات في استعلاء . . إن الاعتذار بشكل لا يليق ، مع عدم الندم على الخطأ . . فإنه اعتذار يحتاج إلى اعتذار .

وبالمثال يتضح المقال.. ففي سورة يوسف.. نجد أن من أخطأوا في حقه:

١ ـ أخوته وقد تآمروا عليه بالقتل . . ثم ألقوه في البئر وحرموه من أبيه . . وأخيه . . ووطنه . . ثم اتهموه بالسرقة .

٢ ـ امرأة العزيز . . حيث ادعت عليه زوراً أنه راودها عن نفسها .

٣ ـ النسوة اللاتي راودنه عن نفسه .

وكلها جرائم لا يستهان بها.. ولاقى يوسف ما لاقى من نتيجتها ولكن انظر إلى اعتذار كل منهم :

١ ـ اعتذار إخوته له :

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ (يوسف: ٩١)، فهو اعتراف منهم بأنه أفضل وأعلىٰ وأكمل خلقاً . . ثم اعتراف بأنهم أخطأوا في حقه .

ثم انظر ـ يرحمك الله ـ كيف قبل عذرهم . . لنتعلم : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٩٢) .

لا . . والله . . لن أوجه إليكم كلمة عتاب . . أو أدني ملام . . ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فقد سامحتكم ولكنكم أخطأتم في حق الله . . حيث اعتديتم علىٰ حرمة إنسان، وقد اكتسب هذه الحرمة بشرع الله . . وقد عصيتم الله في شرعه . . فأسأله أن يغفر لكم، وكأنه يستعطف لهم الله وقدم الحيثية ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

٢ ـ امرأة العزيز..

اعترفت بالخطأ وأنها هي المخطئة : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ ﴾ (يوسف: ٥١) . ثم بينت موقفه هو وقالت : ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (يوسف: ٥١) . بالله عليك لو قدم لك أحد اعتذاره بهذا الشكل أترفضه . . أم تقبله؟

٣ ـ النسوة ..

اعتذارهن : ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ (يوسف) . هكذا . . ما علمنا عليه أي شيء ولو قليل من السوء، ومن هنا للتبعيض، ـ وكلمة سوء منكرة، يعني : أي سوء . . إنه فقه الاعتذار .

نماذج اعتذارات الأنبياء (١) :

ليس هناك أرفع مقاماً وأعلىٰ درجة من رسل الله وأنبيائه .

ولقد ذكر القرآن الكريم نماذج لاعتذارات الأنبياء والرسل ليقتدي بهم المسلم،

---

(١) ثقافة الاعتذار، عصام تليمة، مجلة الوعي الإسلامي، ، ص ٧٢، العدد ٥١٨ شوال ١٤٢٩هـ، أكتوبر ٢٠٠٨م .

ولا يتعلل أحد بكبر مقامه، ولا بعلو مكانته، ولا برفيع منصبه ليعتذر عندما يصدر منه الخطأ، فقد اعتذر خير خلق الله جميعاً: رسل الله وأنبيائه.

اعتذار محمد ﷺ:

قص علينا القرآن الكريم موقفاً لاعتذار النبي مع رجل كفيف (عبدالله بن أم مكتوم) في أول عشر آيات من سورة ﴿عَبَسَ﴾ وهذه الآيات خير مثال على شفافية الإسلام ونموذج واضح لعتاب الله لنبيه ﷺ: يقول المفسرون: ﴿عَبَسَ﴾ أي كلح، وهي حركة وجهية لا يراها إلا المبصر، وابن أم مكتوم كفيف لا يرى، أي أن تحقق الأذى له لم يحدث ولم يشعر بعبوس وجه النبي ﷺ، فماذا إذن يتنزل العتاب على رسول الله ﷺ في قرآن يتلى إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها وكان يكفي كلمة لابن أم مكتوم تُطيب خاطره في الخفاء إلا أن الله يريد للأمة أن تتعلم من هذا الموقف من حياة رسول الله ﷺ الشجاعة الأدبية في الاعتراف بالخطأ وفي علاج الخطأ بالاعتذار اللائق بمن أخطأنا في حقهم.

وأقول: إن هذه الآيات ترشدنا إلى الاعتذار إلى من أخطأنا في حقه حتى ولو لم يعرف بهذا الخطأ وبهذا يتربى المسلم على نقاء السر والسريرة.

موانع الاعتذار:

١ - **الجهل:** جهل الإنسان بطبيعته كبشر وأصله الخطأ «**كل ابن آدم خطاء**»، وجهله بدينه الذي يوجب عليه الاعتراف بالخطأ، وجهله بأجر الاعتراف بالخطأ والاعتذار.

٢ - **الكبر:** فهو يغرس في نفس صاحبه الغطرسة والبطر وعدم الاعتراف بحقوق الناس: ﴿ **إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (البقرة: ٣٤).

٣ - **الخوف من النقد:** الحقيقة أنه باعتراف الإنسان بالخطأ يرتفع عن النقد، ويغلق، باب النقد الهدام في شخصه وكان شعار السلف «مرحباً بالناصح أبد الدهر».

ما يعين على الاعتذار:

١ ـ **معرفة أجر الاعتذار:** ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان : ٧٠).

٢ ـ **إشاعة ثقافة الاعتذار،** بذكر قصص الأنبياء والمرسلين ومواقف الصحابة في اعتذاراتهم.

٣ ـ **مراقبة الله سبحانه وتعالى،** واستحضار عظمته والخوف من عقابه.

ثمرات الاعتذار:

هذه الثمار يجنيها المسلم ومنها :

١ ـ رضا الله عز وجل ، وأن الله يفرح لتوبة عبده.

٢ ـ **إنهاء الخصومات التي غدت بين الناس:** ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) ﴾ (فُصِّلَتْ).

٣ ـ **إشاعة روح الإخاء:** فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم**»[1].

حاجتنا إلى ثقافة الاعتذار:

ـ في بيوتنا بين الزوج وزوجته والابن وأبيه.

ـ في العمل بين الزملاء.

ـ مع الجيران.

ـ في أي موقف نخطئ فيه فكم من كلمة اعتذار قصيرة أطفأت نار حقد وخصام يأكل الأخضر واليابس.

---

(١) رواه البخاري، أدب ٢٧ ، ومسلم، بر ٦٦ .

الدرس السادس عشر: أهم ما شرطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة (١) :

لا أستطيع أن أقول أن هذا الدرس أهم من سابقيه برغم خطورته، فدروس السورة كلها مهمة وخطيرة وتحتاج إلىٰ واقع تنفيذي، ولذلك قال الله تعالىٰ في أول سورة يوسف: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف: ٣).

شروط يجب أن تكون في رئيس المدينة الفاضلة (١) :

١ ـ العفة عن الشهوات ليضبط نفسه وتتوافر قوته النفسية، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف: ٢٤).

٢ ـ الحلم عند الغضب ليضبط نفسه، قال تعالىٰ: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف: ٧٧).

٣ ـ وضع اللين في موضعه والشدة في موضعها، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ (٦٠) ﴾ (يوسف). فبداية الآية لين ونهايتها للشدة.

٤ ـ ثقته بنفسه بالاعتماد علىٰ ربه، قال تعالىٰ: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف ٥٥).

---

(١) السيرة النبوية، للصلابي، جـ١، ص ١٣٨ .

(٢) هذه الشروط يجب أن تنطبق علىٰ أي مسئول «رئيس دولة ـ وزير ـ رئيس شركة»، طالما أنه في موقع المسئولية.

٥ ـ قوة الذاكرة ليمكنه تذكر ما غاب ومضت عليه السنون، ليضبط السياسات ويعرف للناس أعمالهم، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ (يوسف: ٥٨).

٦ ـ جودة المصورة والقوة المخيلة حتى تأتي بالأشياء تامة الوضوح، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف: ٤).

٧ ـ استعداده للعلم وحبه له وتمكنه منه، قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يوسف: ٣٨)، ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (يوسف: ١٠١).

٨ ـ شفقته على الضعفاء وتواضعه مع جلال قدره وعلو منصبه فخاطب الفتيين المسجونين بالتواضع فقال: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (يوسف: ٣٩)، وحادثهما في أمور دينهما ودنياهما بقوله: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ (يوسف: ٣٧)، والثاني بقوله: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (يوسف: ٣٧)، وشهد له بقولهما: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (السورة).

٩ ـ العفو مع المقدرة، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٩٢).

١٠ ـ إكرام العشيرة، قال تعالى: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ

بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (يوسف: ٩٣).

١١ ـ قوة البيان والفصاحة بتعبير رؤيا الملك واقتداره على الأخذ بأفئدة الراعي والرعية والسوقة ما كان هذا إلا بالفصاحة المبنية على الحكمة والعلم: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف: ٤٧).. تالله، ما أجمل القرآن وما أبهج العلم.

لا شك أن العلاقة بين القصص القرآني والأخلاق متينة؛ لأن من أهداف القصص القرآني التذكير بالأخلاق الرفيعة التي تفيد الفرد، والأسرة والجماعة والدولة والأمة والحضارة كما أن من أهداف القصص القرآني التنفير من الأخلاق الذميمة التي تكون سبباً في هلاك الأمم والشعوب.

الدرس السابع عشر: فن الدعوة إلى الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨).

ثم تأتي النتيجة: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠).

ثم في الختام: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

الباب السادس

المرأة - الأسرة - تربية الأولاد

الفصل الأول: المرأة .. ويشمل :

المبحث الأول : حقائق عن المرأة .

المبحث الثاني : تكريم الإسلام للمرأة .

المبحث الثالث : ألغام في طريق المرأة .

الفصل الثاني: الأسرة .. ويشمل :

المبحث الأول : أهمية الأسرة .

المبحث الثاني : الاختيار .

المبحث الثالث : الخطبة والعقد.

المبحث الرابع : ليلة الزفاف .

المبحث الخامس : الزوجة .. ما لها وما عليها .

المبحث السادس : الزوج .. ما له وما عليه .

المبحث السابع : منهج النبي ﷺ في بيته .

المبحث الثامن : الاختلافات الزوجية: الأسباب والعلاج.

المبحث التاسع : فقه الحياة الزوجية للمرأة .

المبحث العاشر : بيوت لا تدخلها الشياطين.

المبحث الحادي عشر : نماذج عملية للسعادة الزوجية .

الفصل الثالث: تربية الأولاد .. ويشمل :

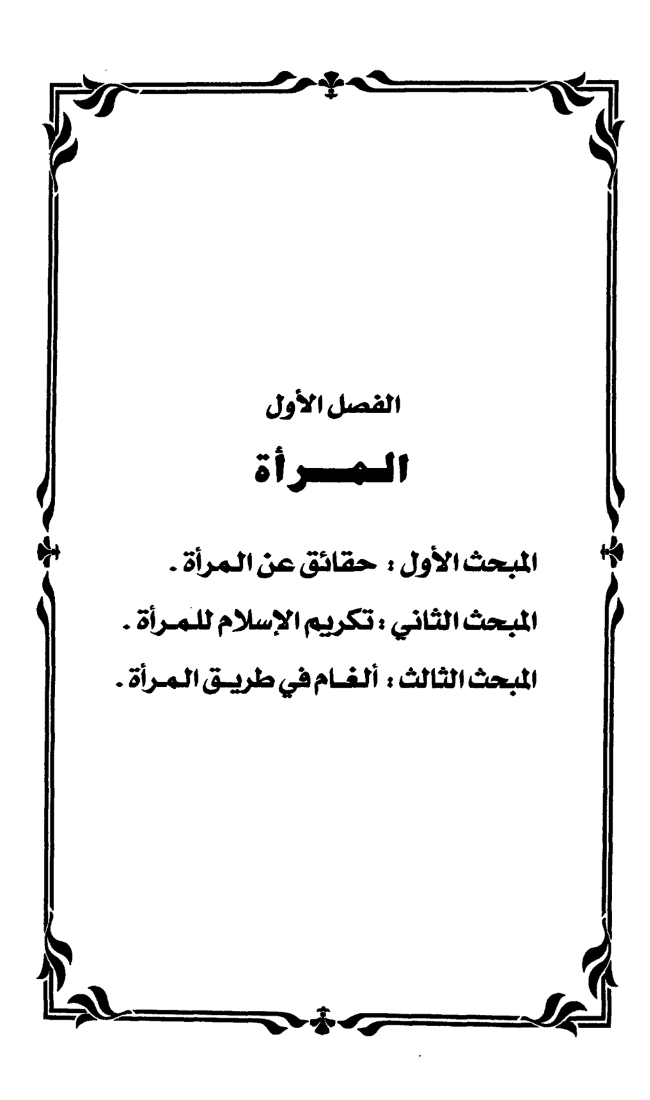
أولاً: الأولاد في القرآن والسنة.

ثانيًا : تعريف التربية . ثالثًا: فضل التربية .

رابعًا : خطورة التهاون . خامساً : محاور التربية.

سادساً : أساليب تربوية خاطئة .

سابعاً: التربية الناجحة (دعائم - أساليب صحيحة - نتائج طيبة).



الفصل الأول

المـــــرأة

المبحث الأول : حقائق عن المرأة .

المبحث الثاني : تكريم الإسلام للمـرأة .

المبحث الثالث : ألغـام في طريـق المـرأة .

الفصل الأول
المـــرأة

المبحث الأول
حقائــق عــن المـــرأة

الحقيقة الأولى: الذكر والأنثى:

امرأة تعني أن لها مقابل هو الرجل . . امرأة تعني أنثى، ورجل يعني ذكر، يجمعهما جنس الإنسان .

ووجب لذلك أن نقول إنه (الإنسان) انقسم إلى نوعين لأداء مهمتين ربما كانتا مختلفتين، ولكنهما متكاملتان، وإلا لو كانت مهمتهما واحدة لما انقسم جنس الإنسان وبقي واحداً . . فهذا الانقسام دل على أن لكل منهما خصوصيات تدل على ذاته مثل الزمن، حيث يشمل الليل والنهار وهما ظاهرتان قد يظن البعض أنهما متعارضتان أو متناقضتان، ولكن النور لم ليأت ليعارض الظلام، ولا الظلام يعارض النور، ولذلك لا يصح أن تقارن بين نور وظلام . . لأن كل واحد منهما له مهمة يؤديها ولا يستطيع الآخر أن يؤديها بدلاً عنه .

فالليل للسكن والهدوء والراحة والاستجمام، أما النهار للدأب والسعي والعمل، يقول الله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ (القصص : ٧١) .

فلا يصح أن نقارن بين اثنين من جنس واحد، لكل منهما مهمة .

والنتيجة: لا يصح أن نقارن بين الرجل والمرأة فهما جنس واحد[1] ، فلم

---

(١) الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ط . دار الشروق .

يأت هذا ليعارض هذا أو يحتقره، ولكن لكل منهما مهمة يؤديها لا يستطيع الآخر أن يؤديها بدلاً منه(١) .

الحقيقة الثانية: كل شيء في الحياة عبارة عن زوجين :

قال تعالىٰ : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات : ٤٩) .

والزوجية مثلها في الإنسان مثلها في الحيوان مثلها في النبات، مهمتها التناسل والتكاثر لاستمرار بقاء النوع والحفاظ عليه من الانقراض .

إذن متى يحدث الفساد؟

يحدث الفساد في نظام الكون عندما يريد نوع أن يعتدي علىٰ حقوق نوع آخر، أو علىٰ واجبات نوع آخر .

مثال تطبيقي: يقول الله تعالىٰ : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ (طـه : ١١٧) .

- فهذا (آدم) مخلوق للكفاح ولمقابلة مصاعب الحياة، وحواء مخلوقة سكناً له .
- آدم يتحرك حركته في الحياة ويأتي ليهدأ ويسكن عندها .
- آدم يتعامل مع الجماد ومع الحيوان ومع النبات ومع الصخور، أما المرأة تتعامل مع الجنس الراقي مع الإنسان في كل أطواره مع الزوج ومع الجنين في بطنها، ومع الوليد تحمله وتعطي له المثل وتربيه، فالرجل يذهب إلىٰ عمله والمرأة هي التي تتعامل مع الطفل أليس هذا تشريفاً وتكريماً لها عن الرجل؟!

الحقيقة الثالثة: الإسلام دين الفطرة :

فالإسلام يعترف بأن الرجل يتميز عن المرأة في بعض الأمور . . فهو غالباً أطول منها قامة وهيكله العظمي أضخم منها، وعضلاته أصلب، وهي يعتريها

---

(١) الإسلام والمرأة، للشيخ الشعراوي -رحمه الله .

عارض الحيض فيهز جسمها بضعة أيام كل شهر، وبعد الزواج والإنجاب لا يبدو للرجل أي عارض، ولكن العوارض تمس جسم المرأة بسبب الحمل.

والرجل يتميز على المرأة حتى في الأمور الخاصة بها، فهي لا تطبخ كما يطبخ، فالرجل يفوقها في الطهي، وفي الأزياء، وفي صناعة التجميل ولم تبرز المرأة كما الرجل، فلم تخترع المرأة الجبر أو المجهر أو مضخات النار ولا حتى صناعة الجوارب[١] . . ومن هنا يأتي الفساد أن تخالف المرأة الفطرة.

ولذلك كتب أحد العلماء الغربيين إلى إحدى بناته يقول: «إذا ادعى فولتير أن النساء قادرات على أن يعملن كل ما يعمل الرجال فما ذاك إلا للتقرب من قلوب بعض الغواني»[٢].

الحقيقة الرابعة : جموح امرأة[٣]

يقول الكاتب: ارتقى الأسد إلى عرش الغابة ليس لقوته، ولكن لعفته عن ملامسة أنثى أخرى غير قرينتـه، فضلاً عنه أنه لا يأكل الجيفة، ولا يقرب فريسة أكل منها غيره.

يقول الكاتب: جاءتني امرأة تطلب المساواة بالرجل في بعض الأشياء، مثل أن تكون وزيرة ـ رئيسة دولة ـ قائدة في الجيش. . فقلت هذه أشياء لا مانع منها. . أما أن تطلب مني امرأة متعلمة المساواة مع الرجل وإباحة تعدد الأزواج للمرأة فهذه هي الطامة الكبرى ومنتهى الجموح والشذوذ. . وسوف آخذ من هذا المقال بعض الأسئلة التي وجهها إليها[٤].

---

(١) مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، معهد الدراسات الإسلامية .

(٢) المصدر السابق : Larnac : Histuaeo de la Litterature Feminine .

(٣) جموح امرأة، مقال للأستاذ جلال عيسى في الصفحة الأخيرة بجريدة الأخبار المصرية، باب يوميات الأخبار في عددها ٩٩٠٩ الصادر يوم الأربعاء ١١ جمادى الآخر ١٤٠٤هـ الموافق ١٤ مارس ١٩٨٤م بتصرف شديد.

(٤) يمكن الاستفادة من هذه الأسئلة في تعلم فن الحوار مع الخصم ليسلم لك في النهاية بأن تفترض معه صحة ما يقول ثم يتبين هو الخطأ.

يقول: قلتُ لها : ونحن في العام العالمي للمرأة هل سبقك أحد إلى هذا المطلب الغريب منذ خلقت البشرية؟

قالت: لا، ولم لا أكون سباقة؟!(١) .

ثم قالت: ما الذي يزعجك في ذلك، ووسائل منع الحمل كثيرة الآن؟!

ثم تحدث معها عن موضوع التعدد بالنسبة للرجل وقال لها ضوابطه وأسبابه والظروف التي بها يعدد الرجل (٢) .

يقول الكاتب: قلت لها: ليست الحكمة في منع تعدد الأزواج الخوف من اختلاط الأنساب فقط. ولكن منع تعدد الأزواج هو منتهى التكريم للمرأة تجلس في بيتها ملكة متوجة ويسعى الزوج على رزقه ليل نهار ثم يعود إليها.

أنتِ تريدين أن تصبح المرأة هي المخلوق المتحرك المتنقل والرجال ينتظرونها في بيت الزوجية. فهي بذلك تتحول إلى داعرة بصورة رسمية.

وقلت لها: ينبغي أن تعلمي أن الرجل يعاف المرأة التي عاشرها رجل آخر، كما أن الحيوانات لا تكتفي إلا بأزواجها فقط، وذكرت لها الأسد.

فقالت: هناك حيوانات تقبل العِشرة المتعددة.

قلت لها: نعم إنها الكلاب والخنازير، وهناك ياسيدتي أدنى المخلوقات من ترفض العشرة المتعددة فنجد ملكة النحل وأنثى العقرب تقتلان الذكر عقب المعاشرة حتى لا يقرب أنثى أخرى، ويبقيان على قيد الحياة ليس لمعاشرة زوج آخر ولكن لاستمرار الحياة ورعاية الصغار لا ترتبط أي منها بزوج آخر، شأن العديد من النساء الفضليات اللاتي لا يتزوجن وهن في ميعة الصبا والشباب بعد أن يفقدن أزواجهن فليس الزواج للمتعة الجنسية فقط.

---

(١) قالت له إنها زوجة، وتحب زوجها، ولا خلاف بينهما، وهي أم، ولها أولاد ذكور!!

(٢) سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في المبحث الثالث : (ألغام في طريق المرأة)، اللغم الأول: تعدد الزوجات .

وسألتها : ياسيدتي لو مرض أحد الأزواج الذين تطالبين بتعددهم مع من تقف المرأة لتحديد المساعدة؟

وهل تفضل العلاقة الإنسانية أم تفضل من يمدها بالشهوة؟

وماذا لو رغب الآباء معاً الإنجاب في وقت واحد فماذا يكون موقفها؟

وممن تفضل الإنجاب . . ؟ وكيف توقف الآخرين عن طلب الإنجاب؟

فصرخت في وجهي وقالت : ستحتار المرأة المسكينة؟

قلت لها : إذن اتفقنا أن ما تنادين به مستحيل . .

قالت : نعم للأسف .

الحقيقة الخامسة : تخويف المرأة من الإسلام :

حرص أعداء الإسلام كل الحرص على إدخال المرأة في لعبة الخوف من الإسلام، بل أولوها عناية خاصة لأنهم وجدوا فيها القاسم المشترك لجميع أبعاد تلك اللعبة فلا بد من تخويفها من الإسلام أيضاً ولأنهم يعلمون أنها أول النبع الذي يشرب منه الأجيال فإنهم إن لوثوها بالخوف من الإسلام ضمنوا بعد ذلك تلويث المجتمع كله بهذه اللوثة فإنها الأم التي يتربى على يديها الأجيال .

وكم اشتكى المبشرون في مؤتمراتهم من فشل مخططاتهم في إفساد الأمة الإسلامية بسبب صلابة المرأة المسلمة وتمسكها بالإسلام وإرضاعها لبان الدين لأطفالها فكان لابد من اصطيادها أيضاً فاخترعوا لها قضية مع الإسلام وجعلوها فيها مدعية والإسلام مدعى عليه وهي قضية التحرر والمساواة : التحرر من الستر والأخلاق والطهارة والهروب من الوظيفة الشريفة في تربية الأجيال لتقع آخر الأمر في شباكهم ويسترقوها ويستعملوها طعماً فعالاً في تديث المجتمعات وخنزرة الأخلاق، وتحطيم القيم، وإشاعة الفاحشة، وفضح المستور، وإلغاء العيب، وطمس معاني الشرف والعرض والعار والحرام والحلال كيلا يعرف ابن أباه، ولا يركن زوج إلى زوجته، ولا يسلم لزوجة زوجها، ولا يبقى كيان لأسرة فتنقلب المجتمعات إلى حياة القطيع الذي لا يعرف إلا الأكل والفرار أمام ذئاب البشرية وطواغيت الأرض .

وبهذه التمثيلية الماكرة استطاعوا أن يصطادوا فريقاً من نساء قومنا فألبسوهن ثوب البطولة والريادة في تحرير المرأة حتى صدقن أنفسهن وصرن من ألد الأعداء لمبادئ الإسلام وأخلاقه وأحكامه خشية أن ينزع عن رؤوسهن شارات البطولة فالتحقن بذلك القطيع الهارب بشهواته الخائف من الإسلام(١) .

أيتها المسلمة.. إن الغرب هيأ لك الحبل فلا تضعي رقبتك في حبل المشنقة فيقف مصفقاً لك مشجعاً وأنت تلفظين انفاسك، فإذا مالت رأسك على كتفك وخارت قواك وفاضت روحك وأصبحت جثة داسك بأقدامه، ويبصق في وجهك، وانصرف ليحضر ضحية أخرى وأخرى وهكذا..

قال أحد الغربيين : «كأس وغانية يفعلان بالأمة المحمدية مالا يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المادة والشهوات» .

فكوني حذرة ولا تنخدعي بما يثيرونه من شبهات وشكوك ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) ﴾ (آل عمران) .

قال الشاعر :

قل للجميلة أرسلت أظفارها ... إني لخوف كدت أمضي هاربًا
إن المخالب للوحوش نخالها ... فمتى رأينا للظباء مخالبًا ؟
بالأمس أنت قصصت شعرك غليه ... ونقلت عن وضع الطبيعة حاجباً
وغداً نراك نقلت ثغرك للقفا ... وأزحت أنفك رغم أنفك جانباً
من علّم الحسناء أن جمالها ... في أن تخالف ربها وتجانباً

بعد هذا الظلام الدامس.. والظلم الواضح الواقع على المرأة وهي في انتظار المزيد نرى شعاعاً يلوح في الأفق إنها ومضات الخير، إنها ومضات النور.. هيا ندلف إلى هذا النور، إلى العزة والفخر، إلى الرقي والحضارة إلى السعادة والأمان.

---

(١) الخائفون من الإسلام لماذا ؟ د. محمد نعيم ياسين، ص ٥٨ ، ٥٩ .

المبحث الثاني

تكريم الإسلام للمرأة

الإسلام كرَّم المرأة أعظم تكريم من أول لحظة في حياتها.. ومن صور هذا التكريم نأخذ هذه اللمحات :

١ ـ طهر القلوب من بغضها :

بل وطالب المجتمع أن يفرح لميلادها، وألا تكون كالجاهلية التي نعىٰ الله تعالىٰ عليها فيما نعىٰ ضيقها بالأنثىٰ ونفورها منها، تلك الجاهلية التي كانت كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (النحل: ٥٨).

هذه أعظم لفتة من التكريم الإلهي للمرأة حيث يزيل البغض والكره من القلوب عند استقبالها فلا تستقبل في هذه اللحظات التي هي فيها قمة الضعف بالاشمئزاز والغيظ والكره.

يرسم السياق صورة منكرة لعادات الجاهلية ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ﴾ يقول القرآن إن الأنثىٰ هبة الله كالذكر وما يملك أحد أن يصور في الرحم ولا ينفخ حياة، إن مجرد تطور الحياة من نطفة إلىٰ بشر لجدير وحده باستقبال المولود (أياً كان جنسه) بالفرح والترحيب وحسن الاستقبال لمعجزة الله تعالىٰ.

انتبهي أيتها المرأة المباركة: اذكر لك واقعاً حياً ليس نظرية أو أخباراً تنقل ولكن تشاهدينه أنت وقد تفعلينه إذا كنت أماً..

يقول **صاحب الظلال** ـ رحمه الله ـ : «كلما انحرف المجتمع عن العقيدة الصحيحة عادت تصورات الجاهلية تطل بقرونها، وفي كثير من المجتمعات اليوم تعود تلك التصورات إلىٰ الظهور»(١).

---

(١) في ظلال القرآن، للشهيد سيد قطب، جـ ٤، ص ٤٧٢، تفسير سورة النحل.

فإذا سألت الأب عن المولود الذي رُزِق به تجد له صورة من اثنتين :

أ - فإذا قال : «الحمد لله ألف حمد، نحمده ونشكر فضله»، فاعرف أنه ولد .

ب - إذا قال : «والله الحمد لله على كل حال»، على الفور تستنج أن المولود أنثى . فالأنثى الآن لا يُرَحب بمولدها كثير من الأوساط وكثير من الناس ولاتعامل معاملة الذكر من العناية والاحترام .

٢ - أعطاها حق الحياة :

وهذه نتيجة طبيعية للتكريم الأول، فطالما أنه فرح بمولدها وقدومها وعلم أن ذلك عبادة وطاعة وسوف يرعاها ويحافظ عليها . . ويربيها أحسن تربية، ولن يئدها، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ** ⑧ **بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ⑨ ﴾ (التكوير) .

فقد كان الوأد يتم في الجاهلية قبل الإسلام بصورة قاسية، إذ كانت البنت تدفن حية، وكانوا يتفننون في ذلك بشتى الطرق :

- فمنهم من كان إذا ولدت له بنت تركها حتى تكون في السادسة من عمرها ثم يقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها (أي : أهل زوجته)! وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها أنظري فيها ثم يدفعها دفعاً ويهيل التراب عليها .

- ومنهم من كانت الوالدة إذا جاءها المخاض جلست فوق حفرة محفورة فإذا كانت المولودة بنتاً رمت بها فيها وردمتها وإن كان ابناً قامت به معها .

- وبعضهم كان ينوي ألا يئدها فيمسكها مهينة ترعى الإبل في البادية .

- وصورة أخرى للإهانة كانت إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه وألقى عليها ثوبه فيمنعها من الناس ولا تتزوج وأن تحبس حتى تموت .

ولذلك نهى القرآن عن الوأد، وذكره في حساب يوم القيامة، قال تعالى : ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ① **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ② **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ** ③ **وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ** ④ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ⑤ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ⑥ **وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ** ⑦ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ** ⑧ **بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** . . . ﴾ (التكوير) .

٣ - قدم الحياة القائمة على الحياة التقديرية :

فالمرأة في المخاض . . إذا قرر طبيب مسلم أن حياة الجنين ستكون خطراً على حياة الأم ، وأن سلامتها في التضحية به ، تعينت التضحية به ذكراً كان أو أنثى . . وهكذا فإن الحكم (يقتل الجنين إذا خيف على حياة الأم) .

٤ - ترث ولا تُورث :

كانت المرأة تُوَرَّث (أي يتم توزيعها على الورثة ضمن التركة . .) ، أما الإسلام فأعطاها الحق في الميراث . .

٥ - في الناحية العملية والسلوكية:

رفع الصلاة عن الحائض . . ففي أيام الدورة الشهرية لا تصوم ولا تصلي ، وتقضي ما فاتها من أيام رمضان بسبب الدورة ، أما الصلاة فلا تعاد ، أما تأويل حديث «ناقصات عقل ودين» ، فالصواب فيه أن نقص الدين عندهم رفع الصلاة والصيام أثناء الدورة الشهرية ، أما نقص العقل فهو سرعة نسيانها للإساءة ورقة قلبها وعاطفتها ، وهذا مدح لها وليس ذم فيها ، فهي تقسم بأغلظ الأيمان لابنها أنها ستخبر أباه بما فعل ، وحينما يهم الأب بمعاقبة الولد فإنها سرعان ما تندفع للدفاع عنه فوراً .

٦ - من ناحية حفظ كرامة المرأة :

أ - **حرَّم ظهار الرجل للمرأة**، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا** ﴾ (المجادلة : ٢) . ووضع عقوبة شديدة على ذلك ، وهي صيام ٦٠ يوماً .

ب - **تحريم الإيلاء:** حرص الإسلام على مراعاة شعور المرأة وعدم إذلالها واحترام إنسانيتها فحرَّم الإيلاء ، وهو أن يقسم الرجل ألا يقرب زوجته سنة أو سنتين أو شهور . . بقصد إهانتها وإذلالها ، فحدد الإسلام أن أكثر مهلة يبتعد فيها الزوج عن زوجته أربعة أشهر ، فإذا تضررت تم التفريق بينهما ، قال تعالى : ﴿ **لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)** ﴾ (البقرة) .

جـ - تحريم العضل:[١] وهو أن يسيء الرجل معاملة المرأة ويسيء عشرتها لتفتدي نفسها منه برد ما أتاها من المال كله أو بعضه، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)** ﴾ (النساء).

٧- الأساس الصالح لتربية البنات:

١ - **إنكار عادة التشاؤم من ولادة البنت،** فقد روىٰ أبو داود عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة**»[٢] .

٢ - **كراهة الإساءة إليها وضربها** : فإن جارية عبد الله بن رواحة عندما أكل الذئب من الغنم ضربها علىٰ وجهها، ثم ندم، فأخبر الرسول ﷺ بما فعل ، فغضب غضباً شديداً . فقال له النبي ﷺ: «**ضربتَ وجه مؤمنة، ماعسى أن تفعل الصبية بالذئب؟**»[٣].

٣ - **عدم إكراهها على الزواج إلا بمن ترغب** . . جاءت فتاة إلىٰ النبي ﷺ فأخبرته أن أباها زوجها من ابن أخيه وهي له كارهه . . فجعل النبي ﷺ الأمر إليها، قالت: «قد أجزتُ ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء»[٤].

٤ - **إشعارها بمكانتها عند والديها** . . «**كانت فاطمة إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وأخذ بيدها وقبَّلها وأجلسها في مكانه**»[٥] .

---

(١) للمزيد في موضعي (العضل، والإيلاء) راجع أي كتاب من كتب الفقه.

(٢) رواه أبو داود، أدب ١٢١ ، وأحمد ١/ ٢٢٣، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٣) جامع مسانيد أبي حنيفة ٢-١٦٢ ، نقلاً عن أخلاقنا الاجتماعية، د. السباعي، ص ١٠٠ .

(٤) رواه ابن ماجه، ١٨٧٤، نصب الراية: ٦/ ٦٥ ، والمسند الجامع: ٦/ ٤٢٨، وقال البيهقي: حديث مرسل.

(٥) رواه البخاري، مناقب ٣٦٢٤، ومسلم، فضائل الصحابة ٢٤٥٠ .

وأخرج البخاري ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ: **« كان يحمل أمامة بنت أبي العاص بنت ابنته زينت وهو في الصلاة على كتفيه ثم يضعها في السجود ويأخذها بعد الرفع »**(١).

٥ ـ **عدم تفضيل أخيها عليها**. . فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده ـ يعني الذكور ـ عليها، أدخله الله الجنة»**(٢).

وقال أيضاً: **«من خرج إلي سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً محمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعذبه»**(٣).

٦ ـ **رفع مكانة من يقوم على تربيتها والعناية بتأديبها**، فعن أنس بن مالك كان رجلٌ مع رسول الله ﷺ فجاء ابنٌ له فقبله، وفي رواية (وضمه) وأجلسه على فخذه ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه. فقال النبي ﷺ: **«فهلاً عَدَلْتَ بينهما؟»**. وفي رواية: **«لو عدلت كان خيراً لك، قاربوا بين أبنائكم ولو في القبل»**(٤).

وقال رسول الله ﷺ: **«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين»**. . وضم أصابعه(٥).

روى الإمام أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وسقاهن وكساهن من جِدَتِه (أي ماله) كُنَّ له حجاباً من النار»**(٦).

---

(١) رواه البخاري، صلاة ١٠٦ .
(٢) رواه أبو داود، والحاكم، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وفي الترغيب رقم ٢٨٨٦ .
(٣) رواه الخرائطي. . نقلاً عن أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي، ص ١٠٠ .
(٤) أخرجه عبد الرازق في مصنفه: ٩/ ١٠٠ .
(٥) رواه البخاري، استقراض ١٨، ومسلم، البر والصلة والآداب ٢٦٢٩ .
(٦) رواه البخاري، زكاة ١٤١٨، ومسلم في البر والصلة والآداب ٢٦٢٩ .

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن وصبر عليهن، واتقى الله فيهن دخل الجنة**»(١) .

وجاءت امرأة إلى عائشة ومعها بنتان، فأعطتها السيدة عائشة رضي الله عنها تمرة فشقتها بينهن، فذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**من ابتُلي بهن فأدبهن وعلمهن كُن له حجاباً وستراً من النار**»(٢) .

٨ ـ القرآن ضمان لحقوق النساء:

لضمان وصول الحقوق لها كاملة وعدم الإساءة إليها جعل الإسلام لها سوراً خاصة بها تضع قوانين لحمايتها وسعادتها وربطها الحق سبحانه بالإيمان. ففي سورة النساء تجد توضيح لحقوق المرأة وكذلك في سورة الطلاق (سورة النساء الصغرىٰ) وسيتضح كل هذا عندما نتحدث في المبحث التالي عن ذلك.

٩ ـ أيتها المسلمة.. أنتِ ذكية فلا تجلسي في صفوف الأغبياء (٣) :

احترم الإسلام عقل المرأة وقدرتها على التفكير الراجح، ولكن لغفلة الناس، ونسيانهم تعاليم الإسلام، وعدم التزامهم بها أشاعوا:

«إن المرأة لا ينبغي أن تُشَاوَرْ في شيء»، ثم نسبوا زوراً وبهتاناً إلىٰ سيدنا عمر أنه قال: «شاوروهم وخالفوهم».

ثم نجد المثل العامي يقول: «استشارة المرأة لو أصابت يكون نتيجتها خراب سنة، ولو أخطأت يكون نتيجتها خراب العمر كله».. معادلة شديدة الغرابة محصلتها النهائية: «الصواب = الخراب» .

---

(١) رواه الترمذي، بر ١٣، وأبو داود، ضحايا ٢٨٢٤، وابن ماجة، ذبائح ٣١٧٧، وقال الترمذي: حديث غريب.

(٢) رواه البخاري، زكاة ١٤١٨ .

(١) تأصيل مسألة مشاورة النساء، من كتاب: (تحرير المرأة في عصر الرسالة)، للأستاذ محمد عبدالحليم أبو شقة، دار القلم.

والآن نذكر كيف احترم الإسلام عقل المرأة وقدرتها على التفكير الراجح :

١ - **بلقيس ملكة سبأ** : يقول الله تعالى : ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ . .** ﴾ (النمل) . وبعد عرض الأمر والتفكير الجاد فيه . . قالت : ﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (النمل : ٤٤) .

٢ - **آسية زوجة فرعون**: ما شغلها ما هي فيه من النعيم والخدم والرغد الواسع في العيش ووجود الماشطات ، كان من الممكن أن تعيش حياتها في نعيم ورغد لايوجد منغص لها ، ولكن عقلها وتفكيرها هدياها إلى أن تقول : ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (التحريم : ١١) . في الوقت الذي أودى فيه عقل زوجها (الرجل) إلى أشد العذاب ، وإذا أردت أن تعرف شناعة التعذيب التي تعرضت له فارجع إلى تفسير هذه الآيات لترى أن عقلها وذكاءها جعلاها تصبر على العذاب إرضاءاً لربها ، الذي لا تؤمن بغيره لهذا الكون إلهاً خالقاً متصرفاً في كل شئونه ، وهو الأولى بالاتباع والطاعة والتقديس والعبادة .

٣ - **السيدة أم سلمة في صلح الحديبية**(١) : لما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب ، قال : «**قوموا فانحروا**» ، فوالله ما قام منهم أحد ، حتى قال ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد ، قام فدخل على أم سَلَمَة رضي الله عنها ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقال : «يارسول الله ، أتحب ذلك؟ اخرج ، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك» . فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بُدْنَه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً .

٤ - **السيدة خديجة** رضي الله عنها ، الذكية الحكيمة تبحث عن زوج وتختار النبي ﷺ لما أحسته فيه من كريم الأخلاق ، وحسن السلوك . . فكان ذلك من توفيق الله لها ، ثم من ذكائها وفطنتها .

---

(١) الرحيق المختوم ، للمباركفوري ، عمرة الحديبية ، ص ٢٩٩ ، ط . دار الوفاء .

١٠ ـ جعل الإسلام لها ذمة مالية خاصة بها [١] :

فلا دخل لزوجها بما لها حتىٰ ولو كانت ثرية وهو فقير فلا سبيل له إلىٰ مالها، ولا إلىٰ أن يتطلع إليه، ولها أن تعطيه زكاة من مالها، وهذا قمة التكريم للمرأة علىٰ الرجل أنه يأخذ من زكاة مالها، ولا تأخذ هي من زكاة زوجها لأنه مكلف بالإنفاق عليها.. والله لو علمت البشرية هذا لهتفت كل النساء في العالم نريد الإسلام.

أبعد هذا تريد تكريماً؟ وبعد هذه المكانة العالية تريد مساواة بالرجل؟

والأعظم من ذلك أنها إذا أعطت لزوجها زكاة مالها لا يجوز له أن يشتري لها من هذه الأموال ثياباً أو أشياء خاصة بها، بل يشتري لها الأشياء الخاصة بها من أصل ماله، وليس من زكاته.

ودائماً اقول : إن الإسلام لم يظلم المرأة، فإذا رأيتها مظلومة فاعلم أن ذلك من سلوك بعض المسلمين.

١١ ـ جعل الإسلام لكل امرأة كافلاً شرعياً :

هذا الكافل مسئول عنها إنفاقاً وتربية ورعاية وعناية، فإذا كانت بنتاً فإن لها أباً يقوم علىٰ رعايتها، وإذا كانت أماً كفلها ابنها، وإذا كانت زوجة فلها زوج مسئول عنها يحميها ويحافظ عليها، وإذا كانت أختاً فلها أخ يقوم علىٰ رعايتها ومكابدة أعباء الحياة دونها.

١٢ ـ حقها في الطلاق:

فالطلاق يعدونه عدواناً علىٰ المرأة وظلماً لها، وقد دافع الإسلام عن المرأة أعظم دفاع وكرمها، فقال للأزواج الذين يريدون طلاق زوجاتهم: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ (النساء: ١٩)[٢].

---

(١) لكي يتضح تكريم الإسلام للمرأة يجب أن تعرف حال المرأة بعيداً عن الإسلام، راجع لذلك كتاب مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، باب المرأة في غير حمىٰ الإسلام، ص ٢٩٦ ومابعدها، طبعة معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٨٥م.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك إن شاء في المبحث القادم: (ألغام في طريق المرأة).

١٣ ـ من تكريم الإسلام للمرأة : «ألا تشقى» :

يقول الله تعالىٰ : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ (طه : ١١٧) . فإذا شقيت المرأة في أي شأن من شئونها ولو بسيط ، فاعلم أنها بعيدة عن الإسلام .

كلنا يعلم ما في السفر [١] من مشقات وصعاب ، ولذلك كان من تكريم الإسلام للمرأة أن جعلها لا تسافر إلا مع محرم ، يتحمل عنها متاعب السفر ومعاناته ، ويحمل عنها المتاع ، ويوفر لها الطعام والشراب ، ويزاحم عنها .

١٤ ـ لكل عمل طيب نتيجة طيبة وثمرة يانعة :

فبعد هذه التكريم نجد هذا النموذج الفذ . . امرأة أسعدت البشرية كلها . . إنها ليست من عِلْيَة القوم ولا من أثرياء القوم وأشرافهم بل من الطبقة الفقيرة الكادحة المحتاجة ولكنها بعقلها وذكائها وإيمانها بقضية الرزق .

فعن أسلم قال [٢] : بينما أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة إذ عيي (أي : تعب) فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل ، وإذا امرأة تقول لابنتها : « يا بنتاه ، قومي إلىٰ ذلك اللبن فامذقيه بالماء» . فقالت لها : «يا أمتاه ، أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟» . قالت : «وما كان من عزمته يا بنية؟» . قالت : «إنه أمر مناديه فنادىٰ : لا يُشاب اللبن بالماء» . فقالت لها : يا بنية قومي إلىٰ اللبن فامذقيه بالماء ، فإنه بموضع لا يراكِ عمر ، ولا منادي عمر» .

فقالت الصبية لأمها : «يا أمتاه ، والله ما كنتُ لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء» .

وعمر يسمع ذلك كله ، فقال : «يا أسلم ، عَلِّم الباب ، واعرف الموضع» .

ثم مضىٰ في عسسه ، فلما أصبح قال : «يا أسلم إمض إلىٰ الموضع فانظر من القائلة ، ومن المقول لها ، وهل لهم من بعل؟» .

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في فقه المرأة : «سفر الزوجة» .
(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لأبي الفرج بن عبدالرحمن الجوزي ، ط . دار المنار .

فأتيتُ الموضع فنظرتُ فإذا الجارية أيم لا بعل لها، وإذا تيك أمها ليس لها بعل، فأتيتُ عمر وأخبرته، فدعا عمر ولده فجمعهم فقال: «هل فيكم من يحتاج امرأة فأزوجه؟» لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية».

فقال عبدالله: «لي زوجة»، وقال عبدالرحمن: «لي زوجة».

وقال عاصم: يا أبتاه، لا زوجة لي، فزوجني». فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

هل كانت هذه البنت تحلم في يوم من الأيام مجرد تفكير عابر أن تتزوج ابن أمير المؤمنين؟ وأنىً لها ذلك؟

إنه الإسلام الذي رفع شأنها ومكانتها فلا غرابة أن يتزوج ابن أمير المؤمنين فتاة بائعة لبن أمينة.

هذه ومضات سريعة من نور هائل أشرق على الدنيا وأعطى للمرأة كل هذه الحقوق.. ألا ليت المرأة تعلم ذلك، فتعود إلى ربها، فيرتفع شأنها، وتصان كرامتها، فإن الإسلام العظيم جعلها شريكة الرجل فقال النبي ﷺ: «**النساء شقائق الرجال**»(١)، وكان آخر كلام له من الدنيا: «**استوصوا بالنساء خيراً**..»(٢).

يروى أن أميراً من العرب يُكنَى بأبي حمزة تزوج امرأة وطمع أن تلد له غلاماً فولدت بنتاً فهجر منزلها، وصار يأوي إلى بيت غير بيتها فمر بخبائها بعد عام وإذا هي تداعب ابنتها بأبيات من الشعر تقول فيها:

ما لأبي حمزة لا يأتينـا ؟ يظل في البيت الذي يلينا
غضبـان ألا نلـد البنينـا تالله ما ذلك في أيدينـا
وإنمـا نأخـذ ما أُعطينـا

فغدا الرجل حتى دخل البيت بعد أن أعطته درساً في الإيمان والرضى وثبات اليقين، فقبَّل رأس امرأته وابنته، ورضي بعطاء الله المقدر(٣).

(١) رواه مسلم، حيض ٧، حديث رقم ٣١٠.
(٢) رواه البخاري، أنبياء ١، نكاح ٨٠، ومسلم، رضاع ٦٢.
(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان.

المبحث الثالث

ألغام في طريق المرأة

اللَّغَمُ(١) : هو شبه صندوق أو علبه تُحشَىٰ بالمواد المتفجرة، ثم يوضع مستوراً (يُخفَىٰ) في الأرض فإذا احتك به شيء انفجر.

جمعها: ألغام. . والذين يزرعون هذه الألغام يضعون لها خريطة يسيرون عليها، ويعرفون بها مكان اللغم وإلا انفجر في أصحابه الذين يزرعونه.

إذا أردت أن أسير في مكان به ألغام!! ماذا أفعل؟

١ ـ إما أن أنطلق من تلقاء نفسي وأسير بعشوائية وتخبط فما هي إلا لحظات حتىٰ ينفجر في وجهي كل لحظة لغم أو اثنين، وتكون النتيجة بعد لحظات أن أتناثر أشلاءً ممزقة مبعثرة.

٢ ـ أو أن أذهب إلىٰ فريق الألغام لأسترشد به وأسير خلفه ويهديني الطريق السليم حتىٰ أنجو من هذه الألغام وأخرج سليماً، وهذا هو التصرف الأمثل والصواب.

٣ ـ أو أن آخذ الخريطة من فريق الألغام وأذهب بنفسي وأحاولُ السَير عليها وهذا التصرف نتيجة قد تفيدني للحظات حتىٰ إذا ما توغلت داخل الألغام ولم أستطع أن أطبق الخريطة وفشلت في ذلك تناوشتني الأهواء حتىٰ أكون أشلاء ممزقة.

وكما نقول في التعليم لا ينبغي أن يكون الكتاب أستاذاً للتلميذ، ولكن أهمية الأستاذ خطيرة جداً فهو الذي يرشد إلىٰ ما في الكتاب ويوضح المبهم. . فأنت لايجوز أن يكون دليلك في هذا الحقل من الألغام ورقه لابد من عالم يعطيك من علمه وأستاذ يعلمك.

---

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية باب ألغم الغام.

ولقد وضع أعداء المرأة في طريقها الغام كثيرة وذلك:

١ ـ إما لصد المرأة التي تريد أن تدخل في الإسلام عن الإسلام وإثارة الشبهات حوله حتىٰ تنفر منه المرأة.

٢ ـ أو للتأثير علىٰ المسلمة فتتمرد علىٰ شرع ربها وتترك دينها وتعيش حياة الذل والهوان.

اللغم الأول: تعدد الزوجات

يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ...** ﴾ (النساء: ٣).

من حق الزوج أن يتزوج أكثر من واحدة ولا يزيد عن أربع، وذلك لأغراض مهمة في التشريع الإسلامي:

١ ـ **حكم تعدد الزوجات:** تعدد الزوجات ليس واجباً أو مندوباً.. إنما هو مباح والمباح يجوز فعله وتركه، فهو خاضع لتقدير الشخص نفسه، فإن رأىٰ المصلحة فيه فعله وإلا تركه.

٢ ـ **مبررات التعدد:** هناك مبررات للتعدد لا حصر لها.. نأخذ علىٰ سبيل المثال منها:

أ ـ عقم الزوجة.

ب ـ مرض الزوجة وعدم قدرتها علىٰ القيام بمهام الزوجية.

جـ ـ نبل الزوج وكرم أخلاقه فيتزوج يتيمة أو أرملة أو قريبة فاتتها فرص الزواج.

٣ ـ **ضرورته:** كما أن التعدد علاج حاسم لمشكلة اجتماعية خطيرة تتعرض لها المجتمعات البشرية في أعقاب الحروب، بل حتىٰ في الأوقات العادية وهي كثرة عدد النساء وقلة عدد الرجال، وهذه المشكلة لا يمكن حلها بطريقة شريفة إلا بإباحة التعدد وإلا حلت نفسها عن طريق السفاح والعلاقات غير المشروعة.

ماذا يقول العقل النسائي .. والواقع .. والعلماء والمفكرون ؟

أولاً: العقل النسائي :

أ ـ يقول د. **أحمد شلبي**(١) : «دعيت للكلام في حفل نسائي عن المرأة وموقف الإسلام من التعدد، وقلت لهن : إن كنتن لا تردن تعدد الزوجات فما عليكن إلا أن تتفقن فيما بينكن على ألا تتزوج واحدة منكن أي زوج متزوج وأنتم الآن مؤتمر نسائي ولتكن هذه توصيات المؤتمر للنساء، أما إذا قبلت المرأة أن تتزوج من رجل متزوج فاللوم عليها»، ويقول : «وحينما انتهيت من هذه الكلمات فإذا بصراخ النساء داخل المؤتمر تقول : يا دكتور أنا أُفَضل أن أعيش مع رُبع رجل أفضل من أن أعيش بلا رجل».

ب ـ كل امرأة عاقلة تفضل أن تكون زوجة ثانية لها كل الحقوق ولا تكون عشيقة لرجل ليس لها أي حقوق وحتى لا تظهر طبقة المتاجرات بأجسادهن المحرومات من جميع الحقوق الزوجية ومن الاستقرار النفسي في ظل الزواج المشروع.

جـ ـ ماذا تقول مجلة الأسرة على ألسنة النساء؟!

نساؤنا.. عاقلات ملتزمات.. إلا في التعدد (٢) .

طالعت مقالات عديدة تناقش قضية التعدد في الزواج، وأنا هنا لن أؤيدها ولن أعارضها، فالحق أحق أن يتبع، فالتعدد لم يشرع عبثاً، وشروطه لم توضع لتنتهك لكني أناقش هنا «مدى تعصب موقف بعض نسائنا ـ هداهن الله ـ من هذه القضية».

فما إن يذكر في المجالس النسائية ذلك الرجل الذي تزوج بثانية حتى ترفع الأكف وتلهج الألسن بالدعاء عليه بأشنع الدعوات.

وفي الوقت نفسه تجد التناقض الكبير إذا كان هذا الرجل الذي عدد قد صار قارب النجاة الذي انتشل أخت فلانة المطلقة من وحدتها، أو أخرج بنت فلانة من

---

(١) مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي.

(٢) مجلة الأسرة، مارس ١٩٩٩ جمعتها أمة برس في مجلة المرأة في الصحافة العربية.

عنوستها لأن فلانة هذه قريبتها أو من جيرانها، أو يكفي أن تكون عرفتها في لقاء عابر جمعهما يوماً ما. . فتنقلب كل تلك الدعوات المهلكة إلىٰ دعوات بالتوفيق والذرية الصالحة وطول العمر علىٰ عمل صالح. . فسبحان مغير الأحوال ومقلب القلوب.

وإذا أردت تناقضاً أكبر من هذا فلتسأل هذه المرأة التي ستزف كزوجة ثانية لهذا الذي جاء ينقذها مما هي فيه ماذا لو تزوج بأخرىٰ ثالثة بعد زواجه منك؟

فتجد الإجابة بأنها قد تموت لو حصل هذا، فهذا جرم لا يغتفر، وإن استفسرت أكثر أجابتك بأن هذا إهانة لكرامتها ووضع من قيمتها، فإن قلت: إذن كيف ترضين أن تكوني زوجة ثانية وضرة لتلك الأولىٰ، أليس لها مشاعر كمشاعرك أم هي يا ترىٰ امرأة من جنس آخر؟ فتأتي إجابة تزيدك حيرة فأين حديث الرسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(١).

د ـ تقول المرأة الألمانية (٢): «لأن أكون شريكة لرجل مع عشرة نساء خيرٌ لي من أن أكون له والخليلات فوق المائة».

ثانياً: ماذا يقول الواقع؟

يقول **الشيخ محمد الغزالي** رحمه الله (٣): بالنسبة للعالم الغربي بنىٰ علاقاته الجنسية علىٰ فوضىٰ رهيبة، فبالنسبة للتعدد فإن تنقل الرجل بين لفيف من النساء أمر مفهوم. وقد ذكرت امرأة كندي (رئيس أمريكا الأسبق) أنه كان لزوجها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ صديقة.

والصعاليك في العالم الغربي لا الملوك يستطيعون السطو علىٰ مئات الأعراض، والذي يستحق الدهشة أن يدور الرجل بين جيش من العشيقات دون حرج، فإذا دار بين بضع زوجات داخل سياج من الأخلاق المحكمة وضع في قفص الاتهام.

---

(١) رواه البخاري، إيمان ٧، ومسلم، إيمان ٧١، ٧٢.
(٢) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، للشعراوي، ط. مكتبة التراث الإسلامي.
(٣) كتاب فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، الشيخ: محمد الغزالي.

من زعماء الغرب الكبار وساسته المشهورين رجل له في ميدان الفاحشة قدم راسخة! ومع استفاضة خبثه ونسبة الخنا إليه، فإن هذا لم يخدش شيئاً من عظمته عندهم.

كتب **الأستاذ انيس منصور** يقول (١) : لم يكن غريباً أن يصدر في فرنسا كتاب عن نمر السياسة الفرنسية (جورج كلمنصو) (١٨٤١ م ـ ١٩٢٩ م) فهذا الرجل خاض معارك سياسية مخيفة، واستطاع أن يتغلب على الجميع، وكان قادراً على أن يتحدث إلى عشرين شخصاً في عشرين موضوعاً في وقت واحد، ولم يكن أحد يتصور أن هذا الرجل كانت له ثمانمائة عشيقة وكان له أربعون أبناً غير شرعيين، ترى كم الشرعيون الذين نسلهم هذا الذئب؟

يقول أنيس منصور: لكنه عندما علم أن زوجته الأمريكية خانته نهض عند منتصف الليل وفتح لها الباب لتهبط إلى الشارع بقميص النوم.

ونعجب نحن لماذا حرم الرجل على غيره ما استباحه لنفسه؟

يقول الصحافي المعلق: (كلمنصو) مثل كل الذئاب البشرية من أكثر الناس احتقاراً للمرأة ولم يقل أحد في المرأة أسوأ ولا أبشع مما قاله هو، سواء على فراش اللهو أو على فراش المرض، ومع ذلك أصدر مساعد وزير الدفاع الفرنسي كتابه عنه وقادة العالم الغربي يعدونه من قممهم الرفيعة لماذا؟ لأنه زنى ولم يتزوج!!

أرأيت عندهم أن الزنى شيء يسير.. أما التعدد فمنقصة تهوى بصاحبها ولو كان من العباقرة!!

هم يريدون مجتمعاتنا هكذا كما الحال عندهم ولكن لن يحدث إن شاء الله تعالى وسيبقى مجتمع العفة والطهارة بإذن الله.

ثالثاً: ماذا يقول علماؤنا؟

١ ـ **يضع أبو حامد الغزالي تقنيناً لذلك فيقول:** «ومهما يكن الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة، لأن المراد تسكين النفس ولابد من النظر إلى

---

(١) الأهرام ١٣/ ٩/ ١٩٧٩م.

ذلك في القلة والكثرة. . ثم يشدد النكير على الذين يعددون زوجاتهم لا لشيء إلا قصد التذوق من امرأة أخرى دون نظر إلى تحصين النفس من الانحراف، وإحقاق الحق والعدالة بين الزوجات»[1] .

٢ ـ **يقول ابن القيم :** «كيف يستقيم حال امرأة فيها شركاء متشاكسون؟ . . وكيف يستقيم حال الشركاء فيها؟ ومن ثم كان تحريم زواج المرأة بأكثر من زوج في وقت واحد حتماً مقضياً»[2] .

٣ ـ **يقول العقاد** [3] تحت عنوان : حرية المرأة في التعدد. . «إن الإسلام قد حفظ للمرأة حريتها التي يتشدق بها نقاد الشريعة الإسلامية في أمر الزواج، لأن إباحة تعدد الزوجات لا يحرم المرأة حريتها ولا يكرهها على قبول من لا ترتضيه زوجاً لها ولكن تحريم العدد يكرهها على حالة واحدة لا تملك غيرها حين تلجئها الضرورة إلى الاختيار بين الزواج بصاحب زوجة أو زوجات. . وبين عزوبة قد تدفعها إلى الانحراف، وربما لا يعولها أحد، وقد تعجز هي أن تعول نفسها» .

٤ ـ **يقول الشيخ الشعراوي** [4] ـ رحمه الله ـ : قيل للمرأة المسلمة : إن الإسلام لا يجعل للمرأة حق الزواج بالرجل بينما يجعل الرجل منفرداً بالزواج من المرأة، أو المرأتين، أو الثلاث، أو الأربع .

نقول : إن هذه القضية عُولِجت اجتماعياً، وعُولِجت اقتصادياً، وعولِجت صحياً، فلم يجدوا حلاً لها إلا ما قضى به الإسلام .

الحل المنطقي : أن نقول للمرأة التي تعترض على هذا الحكم :

هل أنتِ متزوجة أم غير متزوجة؟ .

---

(١) إحياء علوم الدين، جـ ٢، عن كتاب اتفاقية القضاء على أشكال التميز ضد المراة من المنظور الإسلامي، الشيخ : جاد الحق علي جاد الحق .

(٢) ابن القيم، كتاب (إعلام الموقعين)، جـ ٢، ص ٢٠٥، واتفاقية القضاء على أشكال التميز، الشيخ : جاد أحمد علي جاد الحق، هدية مجلة الأزهر يوليو ١٩٩٥م .

(٣) المرأة في القرآن الكريم .

(٤) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام . . للشيخ محمد متولي الشعراوي، ص ٧٧ .

الجواب : أن خمساً وتسعين في المائة من المعترضات متزوجات.

فنقول لها : لا رأىٰ لك في ذلك، لأنك متهمة في إبداء هذا الرأي لأنك لاتحبين الشريكة لك، ولكن آخذ رأي من لم تتزوج، وتكون علىٰ الحياد.

نقول لها : ألا تكونين زوجة ثانية بدلاً من ألا تكوني زوجة؟

وسيكون الجواب حتماً: أكون زوجة ثانية بدلاً من ألا أكون زوجة(١).

والثالثة كذلك.. والرابعة كذلك..

ولو استقصينا آراء النساء اللاتي لم يتزوجن لما وجدنا واحدة منهن تقول علىٰ غير حكم الإسلام... إذن فالرجل ليس ضد المرأة، والدين ليس ضد المرأة، وإنما المرأة هي التي ضد المرأة.

وأيضاً ففكرة التعدد منطقية وواقعية وفلسفية.. فالفكرة تقول:

لا يمكن أن يتعدد شيء علىٰ شيء إلا إذا كان المتعدد فائضاً، فإذا كان المتعدد فائضاً فطبيعي أن يتعدد، وهب أن جماعة دخلوا حجرة فيها عشرة كراسي وهم عشرة، فكل واحد يجلس علىٰ كرسي، فإذا دخل العشرة فوجدوا اثني عشرة كرسياً، فإن واحداً يمكن أن يجلس علىٰ كرسي، ويتكئ علىٰ كرسي آخر.. ولايمكن أن يعدد لنفسه كرسيين إلا إذا كان هناك فائض.

إذن فالتعدد لا يأتي إلا عن فائض، وهذه القضية خدمتها الإحصاءات الحديثة، ولو استطاع واحد منا أن يقوم بإحصاء في منطقته لوجد نتيجة الإحصاء منطقية، فإذا نظرنا إلىٰ عالم التكاثر في الكون، وعالم التكاثر نعرفه في الإنسان، ونعرفه في الحيوان، ونعرفه في النبات.

وهذا التكاثر ينشأ من لقاء بين الموجب والسالب، أو بين الذكر والأنثىٰ، فإذا ما نظرنا بالاستقراء إلىٰ عدد الذكور وعدد الإناث، وجدنا دائماً أن الإناث هن الكثيرات، والذكورة محصورة في عدد ليس بالكثير.

ولننظر إلىٰ مزرعة نخيل، ونحصي عدد الإناث والذكور، نجد أن الذكورة

---

(١) والسؤال : ماذا تقول العانسات والمطلقات والأرامل؟ أرىٰ أنه من الإنصاف أن نستمع إليهن.

مرة تكون واحداً، ومرة تكون اثنين، لم تكن ثلاثة إلىٰ عشرة في المائة، وذلك لأن الذكر يخصب أكثر من أنثىٰ، والأنثىٰ لا تخصب من ذكرين.

وكذلك إذا ما جئنا بمائة بيضة وفرخناها، ثم أحصينا ما بها من ديوك وما بها من إناث، وجدنا أن عدد الإناث أكثر، وكذلك الإنسان إناثه أكثر من ذكوره، وهذا إذا صرفنا النظر عما يطرأ علىٰ الذكورة من صدمات وأحداث وحروب.

إذن فعنصر الذكر أقل من عنصر الأنثىٰ في كل عالم من عوالم التكاثر. فإذا كان الأمر كذلك، ولا تعدد إلا عن فائض فسنقول لمن يقول ضد الإسلام ويعيب الإسلام: أعط كل ذكر أنثىٰ، ثم ستجد الفائض عدداً، وهذا العدد ما موقفه في المجتمع؟

موقف الأنثىٰ حينئذٍ إما أن تقف فتكبت، أي تستطيع أن تكتم السبب الأصيل ليحصل تنفيس بأسباب فرعية أخرىٰ، والسبب الأصيل لا يوجد، وهذا التنفيس ستكون نتيجته إثارة الاضطراب والقلاقل في بيئاتها، فإذا كانت فتاة لم تتزوج فنحن نعرف كثيراً من المآسي من هذه المسألة، وتأخذ في جانبها الأم، تعكر صفو الحياة كلها، لأنها لم تتزوج. وهذا السبب مستور، والحياء يمنع من إظهاره، ولكنه يأخذ أسباباً أخرىٰ حتىٰ نواجهها بالحلول وبالعلاجات، ومع ذلك لا تشفىٰ. لأننا نعالج في غير الداء.

إذن فالتعدد يمنع كارثة، مادام لا فائض إلا بتعدد، فلابد أن تحل قضية ذلك المتعدد، فشرع الإسلام أن يتزوج اثنين أو ثلاثة أو أربعة.

أما إذا لم تعف الفائضة فمع من يكون ميدانها؟

يكون ميدانها مع متزوج، أو مع فتىٰ لم يبلغ مرحلة احتمال تبعات الحياة، وبذلك يفسد المجتمع كله.

فالحل الإسلامي حل طبيعي لظاهرة الفائض، ولا أقول إن الفائض مشكلة، لأن الفائض لم يطرأ علىٰ من شرع، لأن المُشَرِّع الأعلىٰ يعلم أنه سيوجد فائض فيمن خلق، ولكنه فائض لحكمة، وهذه الحكمة لجأ إليها كثير من الدول الآن حين لاحظوا نقصاً في عدد الرجال نتيجة للحروب، فأحبوا أن يعددوا حتىٰ يخصب الرجل الواحد عدداً من الإناث.

والحكمة في هذا ليس تشريع التعدد، ولكنها في آثار التعدد في الأسر، فأخذوا من واقع الآثار ما ينفرد من أصل الحكم، وذلك تبعاته دائماً تعود إلىٰ المسلمين، لأن المسلم الذي عدَّدَ نقول له: إنك عَدَّدْتَ بحكم الله، فهل التزمتَ حكم الله في كل الأمر؟

أخذتَ التعدد بحكم الله، فلماذا لا تأخذ العدالة بين المتعددات بحكم الله؟

لماذا أخذتَ ما يمتعك ويريحك بحكم الله، وقلتَ: الله شرع التعدد، وحين عَدَّدْتَ لم تعدل، ولم تقل: الله شرع العدل.

لقد أرحتَ أيها المعدد نفسك، وأرحت شهواتك، فإن لم تحترم الدوافع الأخرىٰ الإنسانية في زواجك، فقد أخذتَ لنفسك المنفعة، وأبقيت أثر متعتك، استداركاً ونقداً، لأنك ضيعت حكم العدالة بين المتعددات.

ولكن لو أنك أخذتَ الحكمين معاً، واحترمت العدل بين زوجاتك، لم تجد النساء اللائي يثرن علىٰ هذا التعدد مثاراً للسخط، لأنها ستجد حظها لم يؤثر فيه حظ الأخرىٰ، وعيشها لم يؤثر فيها عيش الأخرىٰ، وحفاوتك بتبعات الزواج من الأولىٰ وهي الأولاد لم تؤثر في حفاوتك بتبعات الزواج من الثانية، لأنك عدلت بين كل الذرية.

لكن حين نأخذ حكم الله في التعدد، ولا نأخذه في العدل، تنشأ تلك الآثار المنفرة والبغيضة، والتي يستغلها خصوم الإسلام، فانظر أيها المسلم كيف أعنت خصوم الإسلام علىٰ الإسلام، أعنتهم علىٰ أن يدخلوا علىٰ نقد الإسلام، وتشوه قانون التطبيق نفسه، لا لتشوه الأمر المتعلق بالمُطَبِق (بكسر الباء).

والعدالة تقتضي ألا تنظروا يا أعداء الإسلام إلىٰ القانون من خلال المُطَبِقِين لأن الناس قد يكونون طائعين، وقد يكونون عُصاة، فإذا كانوا عصاة فلاتأخذ من عصيانهم حجة تبرر بها السخط علىٰ ما قنن الله من قوانين.

وعلىٰ المسلم أن يعتبر نفسه في كل قضية من قضايا دينه داعية لدين الله، أو هادياً بالدين إلىٰ الله، فإن هو طبق ما أخذه عن منهج الله بحق، كان أسوة لغيره،

فلايجرؤ أحد أن يدخل على الدين من ناحية المتدينين، ولا يدخل على الإسلام من ناحية المسلمين.

وأيضاً فإن الذي يختار بين أمرين فلابد أن يتكون عنده الحجة في ترجيح أحد الأمرين على الآخر، فالمرأة التي لم تتزوج، ثم يأتي لها رجل متزوج ليخطبها، لو أنها رأت أن تكون زوجة واحدة، ووجدت لذلك مجالاً لما بقيت للرجل المتزوج حتى يأتي ليخطبها، فهي قارنت بين أن تكون زوجة ثانية أو لا زوجة، واختارت أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة، فالذي جعلها ترجح هو سبب عندها هي، لا عند من ينتقد الإسلام.

فلا تنتقد أنت لمختار أمراً هو خير الأمور له، فامرأة اختارت الخيار لنفسها.

فما حدود تدخل المجتمع في تلك الظاهرة ؟

الذي يتدخل ليمنع يجب أن تقول له المرأة: هات لي زوجاً لأكون الأولى في حياته، والثالثة تقول: هات لي زوجاً لأكون الثانية في حياته، والرابعة تقول: هات لي زوجاً لأكون الثالثة في حياته.. إذن يؤخذ المعترض بالحجة التي تلزمه، فلايتدخل في أمر لا يفيده.

ثم التعدد هل هو أمر مفروض فرضه الله، أو أمر مباح؟

الذي يعجبه ألا يعدد.. لا يعدد..

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (النساء: ٣).

إذن فالله أباح التعدد لمن لم يخف أن يظلم، فإن خاف أن يظلم فلا يعدد..

إذن فيجب أن يؤخذ الحكم بكل ظروفه وبكل ملابساته.

هذا من ناحية المرأة..

ومن ناحية الرجل.. فمعنى أن الرجل يعدد.. أن امرأة أولى في حياته لم تكف طموحاته، من أي نوع كانت: عقلية، أو اجتماعية، أو جنسية، وأهمها: الطموحات الجنسية، لأننا لم نرَ واحداً تزوج بأخرى لأنها مثقفة أكثر من الأولى.

ومادامت الأولى لا تكفيه فسيكون شديد النهم إلى أخرى يظن فيها كفايته، فماذا لو كانت هذه الأخرى عرضاً لرجل آخر، أفنسمح له أن يُشبع نهمه إلى أعراض الغير، ولا نسمح له بأن يأتي بزوجة ثانية على مرأى ومسمع من الجميع؟

امرأة محسوبة عليه، وذريتها محسوبة عليه، هي منه، وهو منها تماماً كالأولى، وكل إنسان محسوب عليه شيء فهو مسئول أمام المجتمع عن ذلك الشيء، فإذا لم نبح له في طموحاته الجنسية أن يتزوج حليلة، فقد أبحنا له أن يتخذ خليلة، إذن فالحلائل خير، أم الخلائل؟

هذا ما يتعب بال الغربيين الآن.. لا يحصرون الخليلات.. ويوحدون الحليلة.. والخليلات غير محصورات هناك، والنساء يعلمن ذلك جميعاً.

يجب أن تدرس قضية التعدد من كافة أبعادها، من ناحية الرجل، ومن ناحية الزوجة الأولى، ومن ناحية الزوجات المتعددات.

ينبغي سؤال الزوجة : أيطلقك حتى لا يعدد؟ أم تظلين معه؟

كل امرأة عاقلة تقول: بل أظل معه، وأكون شريكة لغيري.

إذن فانظروا إلى التشريع من كل ناحية، تجدوه تشريعاً حكيماً من جميع زواياه، فالمهم أن تأخذ الحكمة من كل زواياها، حتى لا نأخذ شيئاً من الله، ونرد من أشياء، فردنا شيئاً واحداً مما شرع بجوار أخذنا شيئاً مما شرع، فالثانية تشوه الأولى، وتكون حجة علينا عند خصومنا.

ويقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله - أيضاً سُئلت في نيجيريا: لماذا جامل الإسلام الرجل فعدد له المرأة ولم يسو المرأة به فيعدد لها الرجال؟

فقلت لهم: هل في بلادكم أماكن ليريح الشباب فيها نفسه جنسياً؟

فكان الجواب بالإيجاب..

قلت: فبماذا احتطتم لصحة المترددين؟

قالوا: إننا نكشف صحياً على هؤلاء الفتيات في كل أسبوع مرتين.. وهناك أيضاً مفاجآت لا نظام لها حتى نتأكد من الأمن الصحي للمتردد على النساء.

فقلت : أفعلتم ذلك مع المتزوجات؟

قالوا : لم يحدث صحياً مثل هذه الأمراض إلا في تلك البيئات . .

فقلت : أبحثتم عن الحكمة؟ قالوا : لا!!

فقلت لهم : السبب أن المرض الخبيث لا ينشأ إلا من تعدد ماء الرجل في المحل الواحد . أما أن يكون في المحل ماء واحد فلا يمكن أن يكون مرض خبيث!

فعجبوا من أن الإسلام قد وصل إلىٰ هذه النتيجة .

٥ ـ يقول د.عبد الستار فتح الله : « أمران تعاب بهما الشريعة وهما من إعجازها (تعدد الزوجات ، والطلاق) .

ويتساءل الدكتور عبدالستار فيقول: هل ابتدع الإسلام نظام التعدد؟

ويجيب علىٰ ذلك بأن «التعدد كان شائعاً في أمم الأرض من أقدم العصور ، وقد أقرته التوراة والإنجيل اللذان بين أهل الكتاب الآن ، ولم يزل معمولاً به في العالم المسيحي كله واعترفت به (الكنيسة الكاثوليكية) في القرن السابع عشر الميلادي كما يقول (وستر مارك) العالِم الثقة في تاريخ الأزواج ، وكان بداية تحريم الكنيسة له عملاً سياسياً في حقيقته ، وكان زعيم البروتستانت (مارتن لوثر) يؤيد التعدد ويستشهد بأن الرب لم يحرمه علىٰ إبراهيم نفسه ، وكان يرىٰ أن تعدد الزوجات أفضل يقيناً من الطلاق»(١) .

وهنا يتضح أن تعدد الزوجات ضرورة حياة لهذه الشعوب ، فماذا كانت نتيجة حكم الله عز وجل الذي يقوم علىٰ العلم والحكمة؟

وماذا كانت نتائج شريعة الكنيسة المبتدعة؟ وقوانين الغرب المحرمة للتعدد؟

يقول المؤلف عن التعدد إنه : نظام تذهب جذوره بعيداً في أعماق الحياة الأفريقية وليس من السهل علىٰ الأفريقيين التخلي عنه طالما بقيت الأسباب

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع ، د. عبد الستار ، ص ٥٨٢ عن كتاب تعد الزوجات لدىٰ الشعوب الأفريقية .

والظروف التي دعتهم وتدعوهم إلىٰ ممارسته ومن هنا كان ترحيبهم بالإسلام وانتشاره بينهم انتشاراً سريعاً علىٰ الرغم من عدم وجود حركة تبشيرية منظمة وراءه(١).

هزيمة الكنيسة مرة أخرى:

ثم يتحدث المؤلف عن أمر بالغ الخطورة ينبغي أن يعيه كل مسلم، ليوقن بعظمة هذه الشريعة التي شرفنا الله بها، مهما بدا لصغار النفوس والعقول من رأىٰ في بعض مبادئها.

فقد تناول المؤلف البعثات التبشيرية المسيحية التي تمت برعاية دول الاحتلال وجيوشه والمجهزة بإغراءات مادية كثيرة لجذب الشعوب الأفريقية إلىٰ كنائسها ولكنها اصطدمت اصطداماً مروعاً بضرورة الحياة في المجتمع الأفريقي حين طلبت إلىٰ أهله أن يتخلوا عن (التعدد ـ بحكم الدين.

لذلك فلم يكن موقف الأفريقي الذي يرغب في اعتناق المسيحية سهلاً، فالديانة الجديدة تلزمه بالتخلي عن كل زوجاته إلا واحدة، وتحرمه من ثانية في المستقبل إذا لم يكن له الآن سوىٰ واحدة بينما ظروف حياته تدعوه إلىٰ عدم التخلي عن هذه الرخصة وكثيراً ما ضحىٰ الأفريقيون بالديانة الجديدة في سبيل الاحتفاظ بحقهم في ممارسة تعدد الزوجات.

يقول Ashton عن الباسوتو: لقد هاجمت الكنائس بأجمعها تعدد الزوجات واعتبرته خارجاً علىٰ القانون، لكن من الملاحظ أن كثيراً من الرؤساء وغيرهم مستعدون؛ لأن يطردوا في سبيله من الكنيسة.

وتعارض (النساء) أيضاً بشدة دعوة الكنيسة لتحريم التعدد كما جاء في أقوال المبشرين أنفسهم، وقد يثير هذا دهشتنا ولكن: إذا تعمقنا المسألة قليلاً وجدنا أن موقف النساء ينطوي علىٰ إدراك سليم لحقيقة الأمر بالنسبة لهن، فذكاؤهن العملي وخبرتهن اليومية جعلتهن يدركن أن النتيجة الطبيعة للأخذ بنظام الزوجة الواحدة،

---

(١) الكتاب السابق، ص ٦٩.

هي أن يبقىٰ عدد من النساء لا يجدن طريقة إلىٰ الزواج وتكوين أسرة والزواج والأسرة هما هدف الأفريقية وغاية حياتها فوحدة الزوجة معناها حرمان عدد غير قليل من النساء من مزايا الأمومة والحياة العائلية، ولا أشق علىٰ نفس المرأة من أن يُحكم عليها بهذا المصير، فالمرأة الإفريقية تدرك إدراكاً فطرياً أنها ستكون الضحية الأولىٰ بهذه الدعوة الجديدة[1] .

شر البدائل عن التعدد:

ولذلك: «يكاد يجمع الباحثون علىٰ أن النتيجة التي ترتبت علىٰ حمل الإفريقيين علىٰ التخلي عن تعدد الزوجات هي اتجاه متزايد نحو الانحلال وفساد الأخلاق»، فيحدثنا إكسابيرا (Schopera) عن أثر محاربة البعثات التبشيرية المسيحية لتعدد الزوجات لدىٰ (الكجاتلا) إحدىٰ قبائل جنوب إفريقية: إن عددا من الأعضاء المحترمين في الكنيسة يتخذون عشيقات في الخفاء علىٰ غير علم من المبشرين لاستخدامهن في زيادة أفراد القبيلة ويقول إن النتيجة الحتمية لمحاربة تعدد الزوجات هي انتشار الأخدان.

(١) المرجع السابق، ص ٧٤-٧٦، وراجع في هوامشه مراجعة العديدة.

اللغم الثاني: القوامة

القوامة:

تقسيم للأدوار وليست تفضيلاً، فللمرأة قوامة في الميادين التي هي فيها أبرع. . وللرجل قوامه في الميادين التي هو فيها أبرع، للحديث: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالرجل راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية....»(١) .

القوامة في القرآن:

في ظل المفهوم الصحيح لهذه القوامة تحررت المرأة المسلمة من تقاليد الجاهلية، وشاركت في العمل العام، وفي مشهد قرآني عجيب يقرن القرآن في آيات القوامة بين مساواة النساء للرجال، وقدم المساواة على تلك الدرجة عاطفاً الثانية على الأولى، أي أن المساواة والقوامة مقترنان يرتبط كل منهما بالآخر، وليسا نقيضين.

١ ـ يقول الله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨). وليس له أن يطلب من زوجته مطلباً غير عادل لقول الله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .

٢ ـ في سورة النساء(٢) كان الحديث عن الأسرة، وتوزيع العمل بين الرجل والمرأة، ثم جاءت آية القوامة لتتحدث عن توزيع الأنصبة والحقوق. قال تعالى: ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ

---

(١) رواه البخاري، جمعة ١١، جنائز ٣٢، استقراض ٢٠، وصايا ٩، عتق ١٧، ١٩، نكاح ٨١، ٩٠، أحكام ١، ومسلم، إمارة ٢٠ .

(٢) التحرير الإسلامي للمرأة، د. محمد عمارة.

عَلِيمًا (٣٢) وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣) الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) ﴾ (النساء).

٣ ـ درجة القوامة هي رعاية ربان الأسرة (الرجل) لسفينتها وأن هذه الرعاية مسئولية وعطاء وليست ديكتاتورية.

٤ ـ وفي السنة كان المعصوم ﷺ في خدمة أهله وأزواجه ويتشاور معهن.

٥ ـ القوامة ليست للرجل على الإطلاق ولا للمرأة على الإطلاق، ولكنها قيادة محكومة بالمساواة والتناصر والتكامل بين زوج وزوجته للمرأة الحق في اختيار زوجها، ولهذا تشترك المرأة في اختيار القيم عليها، وهذه القوامة في الأمور المختلف فيها، أما في الحياة العادية فلكل سلطانه وسلطاته حتى الخادم مسئول عما تحت يده في عالم الأسرة[1].

ونختم فنقول: أي مؤسسة لها مدير مسئول يدبر شئونها ولا توجد مؤسسة لها مديران فمن باب أولى مؤسسة الأسرة التي هي المجتمع كله.

---

(١) مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي.

اللغم الثالث : الطلاق وظلم المرأة

إباحة الطلاق حسنة من حسنات الإسلام، وحسبك أن حتميات الحياة أرغمت خصوم الإسلام أنفسهم على إباحته، لأن الزواج قائم على المودة والسكن والرحمة، فحيث ينعدم هذا الأصل فكيف ترغم طرفاً على أن يعايش الطرف الآخر؟

وقد أباحوه في الفاتيكان(١).

الطلاق من حق الرجل وهو غير مرغوب فيه للحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**»(٢).

والطلاق من محاسن الشريعة وواقعيتها(٣).

ما الذي فعله الإسلام لابقاء هذه الرابطة الزوجية قوية متينة؟

أولاً : شرع الخطبة ، ورؤية المخطوبة.

ثانياً : طالب الزوج بالصبر.

ثالثاً : ولا عيب في تحضير العلاج استعداداً لحالات الطوارئ والمرض.

قد ينشب الخلاف بين الزوجين مما يؤدي إلى الطلاق.. ولعلاج هذه الحالة قرر الإسلام ما يلي :

١ ـ شكك الإسلام الزوج في وجدانه إذا أحس بكره زوجته، قال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ (النساء: ١٩).

---

(١) الإسلام والمرأة ، للشعراوي.

(٢) رواه ابن ماجة، طلاق ١، عن عبدالله بن عمر حديث رقم ٢٠١٨، ورواه أبو داود برقم ٢١٧٨، طلاق ٣، وصححه الحاكم، كنز العمال ٢٧٨٧٢ .

(٣) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.

٢ ـ إذا استمرت الزوجة في مشاكستها فللزوج أن يؤدبها بالوعظ أو النصيحة أو الهجر، قال تعالىٰ: ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ (النساء: ٣٤).

٣ ـ إذا اسشترىٰ الخلاف وجب اللجوء للتحكيم، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء: ٣٥).

٤ ـ إذا لم ينفع التحكيم وظل الخلاف وأراد الزوج الفراق فعليه أن يسلك مسلك يقيه شر العجلة والتسرع والغضب، فأوجب عليه الإسلام أن يوقع الطلاق بهذه الكيفية:

١ ـ أن يطلقها وهي طاهرة غير حائض.

٢ ـ احتاط الشرع للأمر احتياطاً آخر فأوجب عليه أن يطلقها طلقة واحدة رجعية وأن يراجعها في عدتها إذا فكر بهدوء وروية، ونذيراً للمرأة ألا تعود.

٣ ـ إذا ندم علىٰ ذلك وأراد أن يعيدها فبرضاء الزوجة وعقد جديد ومهر جديد.

٤ ـ إذا تكرر ذلك بالكيفية السابقة فطلقها الثالثة فإنها لا ترجع إليه إلا بعد أن تتزوج بغيره زواجاً دائماً ليس بقصد التحليل وعقد جديد ومهر جديد.

وهذا الحق (الطلاق) للزوج دون الزوجة، لأن الرجل أكثر سيطرة علىٰ عواطفه من المرأة والطلاق قد يحمله أعباء مالية كثيرة.

والسؤال: لماذا لا يشترط إذن القاضي لصحة وقوع الطلاق؟

لا فائدة لهذا الإذن، إذ إن هناك من الأسرار الزوجية ما لا يحسن كشفه أمام القاضي فمن الخير ومصلحة الزوجة أن تظل هذه الأسرار مكتومة غير مفضوحة[(١)].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.

يقول د. عبد الستار فتح الله : ظل ألوف بعد ألوف من الرجال والنساء في ظل الكنيسة يسلكون طريق السفاح والخدان، وما إن تحررت شعوب الغرب نفسه من قبضتها، حتىٰ اضطرت تحت وطأة المآسي الاجتماعية الفادحة إلىٰ إباحة الطلاق المدني بعيدا عن الكنيسة ودينها.

ولا يكاد اليوم يخلو قانون وضعي من قوانين الأمم المتحضرة من النص علىٰ الطلاق والاعتراف به، ولكن هذه القوانين تختلف في مدىٰ الأخذ بمبدأ الطلاق، فالبعض يتوسع في تطبيق المبدأ، والبعض يضيق من الدائرة التي يطبق فيها، فالقانون الروسي يبيح الطلاق للرجل والمرأة دون قيد ولا شرط، فهو يأخذ بالمبدأ الذي وضعته الشريعة للرجل ويطبقه علىٰ المرأة والرجل جميعاً.

وأكثر القوانين الوضعية تبيح الطلاق بناء علىٰ طلب أحد الزوجين في حدود ضيقة ولأسباب معينة، فهذه القوانين تطبق علىٰ الرجل والمرأة ما جعلته الشريعة حقا للمرأة، ولكنها تحدد أسباب الطلاق وتضيق من دائرتها(١).

أي أنها جميعاً عادت ـ بعد مرارة المعاناة والتجارب وانسحاق الأجيال ـ إلىٰ حكم الفطرة الذي قرره الإسلام ولكنها لم تستطع أن تأخذه علىٰ نمطه الإسلامي الحكيم بقيمه وحدوده الأخلاقية وضوابطه الشرعية، فوقعت بذلك في شر أنواع الطلاق علىٰ حين عابوا علىٰ الإسلام إباحته المنظمة.

هزيمة الكنيسة في عقر دارها:

ولقد ظلت دولة واحدة في أوربا تخضع لتأثير الكنيسة وتحرم الطلاق القانوني حتىٰ شقت دواعي الفطرة طريقها في النهاية لتحطم القيود والأغلال التي أشقت الملايين عدد مئات من السنين.

فلقد وجدت (الحكومة الإيطالية) ما لا يحصىٰ من المشاكل الاجتماعية الناجمة عن الزواج (الميت) الذي انفصل فيه الزوجان مادياً ومعنوياً ومارسا حياة مستقلة تماماً بما فيها المعاشرة الجنسية ورغم ذلك فإنهما لا يستطيعون إنهاء هذا

---

(١) التشريع الجنائي الإسلامي، جـ١، ص ٤٩ نقلاً عن المنهاج القرآني، ص ٥٧٨.

الزواج بطريقة قانونية مدنية أو دينية (وقد قدروا في بعض الإحصاءات بنحو خمسمائة ألف أسرة).

وتحت إلحاح الجماهير، وضغط المشكلات الاجتماعية اضطرت الحكومة إلى إصدار قانون يبيح الطلاق أمام القاضي وكان لهذا القانون دوي هائل في إيطاليا كلها، وعلى الفور انبرت (الكنيسة الكاثوليكية) لمقاومته، وجمعت ألوف الأصوات حتى ترغم الحكومة على إجراء استفتاء شعبي عليه، ورغم جهود (الفاتيكان) ونفوذ الكنيسة، ودعاواها الدينية إلا أن نداء الفطرة كان أقوى وأندى، وقد جاءت النتيجة محدثة ضجة عالمية واسعة النطاق لانهزام (الكنيسة) في عقر دارها.

ابتهاج الشعب الإيطالي بإباحة الطلاق:

وننقل هنا بعض ما نشرته الصحف على سبيل المثال: (روما ـ وكالات الأنباء: احتفل مئات الألوف من الإيطاليين مساء أمس الأول بنتيجة الاستفتاء الذي أسفر عن الإبقاء على إباحة الطلاق، فساروا في مواكب نظمت في المدن الكبرى وهم يحملون المشاعل والأعلام.

وتعتبر هذه النتيجة هزيمة قاسية للحزب المسيحي والكنيسة، ومما يذكر أن النتيجة كانت ٥٩,١٪ مؤيد لإباحة الطلاق بينما عارضت الطلاق ٤٠,٩٪(١).

وهذا كله من أجل حقيقة واحدة قررها القرآن العظيم وأغنى البشر فيها بشريعته عن متاعب وتجارب القرون ولم تلحق به أوربا فيها إلا بعد أن ذاقت الويلات الهائلة نفسياً واجتماعياً(٢).

ترى كم سيحتفلون ويحملون من مشاعل وأعلام يوم تهتدي البشرية إلى منهج ربها العظيم وتؤمن بالكتاب كله!(٣).

(١، ٢) جريدة الجمهورية، القاهرة، الأربعاء ١٥ مايو ١٩٧٤م، ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ، وراجع المقالات الإضافية التي كتبتها صحافة العرب كلها تعليقاً على هذا، وكيف وصفت ابتهاج الشعب الإيطالي، وقد نقلتها مجلة الاعتصام القاهرية، العدد الثالث من السنة السابعة والثلاثين، رمضان ١٣٩٤هـ ـ أكتوبر ١٩٧٤م.

(٣) المنهاج القرآني في التشريع، ص ٥٧٩.

مقارنات ومفارقات في إحصاءات الطلاق:

ونود في النهاية أن نلفت النظر إلى إحصاءات الطلاق المروعة في العالم الغربي ورغم وضعه في يد القضاء فقد بلغت نسبته في أمريكا ٤٨٪ وفي ألمانيا الغربية ٣٥٪ فيمن دون الخامسة والعشرين على سبيل المثال.

بينما بلاد المسلمين التي أبيح فيها الطلاق منذ قرون وجعل في يد الزوج نفسه، ورغم ظروف هذه المجتمعات اقتصادياً وتعليمياً، ورغم أنهم لا يمثلون أخلاق دينهم تمثيلاً صحيحاً ومع ذلك تنخفض فيه نسبة الطلاق انخفاضاً ملحوظاً.

ففي سوريا ـ على سبيل المثال ـ بلغت نسبته في المدة من عام ١٩٥٠م ـ ١٩٦٥م بين (٢,٩٪ إلى ١١٪)، بل إن معدلات الطلاق تتأثر طرداً وعكساً في ارتفاعها وانخفاضها بدرجة تأثر البيئة بأنماط الحضارة الغربية وأفكارها ومذاهبها الشاذة.

ففي مدينة (دمشق) عام ١٩٦٦م كانت نسبة الطلاق ١٩,٨٧٪ بينما في مركز محافظة حماة بلغت فقط ٧٧,٥٪ لبعده نسبياً عن التأثر الواسع بالمفاسد الوافدة.

يقول **الأستاذ سيد قطب** ـ رحمه الله (١) : «إن الإسلام أنشأ للمرأة ما أنشأ من القيمة والاعتبار والحقوق والضمانات، فهي وليدة لا توأد ولا تُهان.. ومخطوبة لا تُنكح إلا بإذنها ثيباً أو بكراً.. وزوجه لها حقوق الرعاية فوق ضمانات الشريعة.. ومطلقة لها هذه الحقوق المفصلة في هذه السورة وفي سورة البقرة وغيرها».

ثم يقول: «هذا دين رفيع لا يعرض عنه إلا مطموس، ولا يعيبه إلا منكوس، ولا يحاربه إلا موكوس، فإنه لا يدع شريعة الله إلى شريعة الناس إلا من أخلد إلى الأرض واتبع هواه».

ونختم فنقول: رغب الفقهاء في هدية المطلقة من باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَاتَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

---

(١) في ظلال القرآن، مقدمة تفسير سورة الطلاق.

اللغم الرابع: المساواة وخاصة في الميراث

طلب مساواة المرأة بالرجل ظلم شديد وشنيع للمرأة والرجل معاً، لأن المرأة في الإسلام أخذت في كثير من الأحيان حقوقاً تفوق الرجل، وليس هذا كلاماً نظرياً . . بل إنه واقع كما سترئ الآن فالمرأة مثلاً ليست نصف الرجل في الميراث، بل هي أضعاف الرجل في بعض الأحيان، بل إنها ترث في بعض الأحوال وهو لا يرث .

قضية المساواة لها محوران:

- المحور الأول: المساواة في كل شيء (في الخلق - التفكير - الحرية - التملك - المسئولية).

- المحور الثاني: المساواة في الميراث .

المحور الأول: المساواة العامة :

١ - المساواة في مجال الخلق :

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً .. ﴾ (النساء: ١)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ (الحجرات: ١٣)، وحتى في التداخل الفطري والميل الغريزي: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وهذه الآية تعطيك قمة المساواة بين الرجل والمرأة.

ويقول الرسول ﷺ: **«النساء شقائق الرجال»** (١) .

ويقول النبي ﷺ في حجة الوداع: **«أيها الناس إن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لأفضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى»**(٢) .

---

(١) رواه مسلم، حيض ٧ ، حديث رقم ٣١٠ .

(٢) رواه مسلم، باب خطبة النبي ﷺ، وأحمد ورجاله ثقات، ورواه الطبراني في الأوسط، والبزار ورجال البزار رجال الصحيح، وفي مجمع الزوائد: جـ٣ ، ص ٤٠٥ .

٢ - المساواة في حرية التفكير والرأي:

للمرأة حرية الرأي، فحينما خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحض على عدم المغالاة في المهور، قالت له المرأة: «كيف ذلك والله يقول: ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطاراً**﴾»، فقال عمر: «أصابت امرأة وأخطأ عمر»(١) .

للمرأة حق التفكير: «قلن يا رسول الله ﷺ اجعل لنا يوماً من نفسك فجعل لهن يوماً وعظهن فيه»(٢) .

ومن أبرز نماذج الوعي النسائي، وأوفرها استشعاراً للمسؤولية : قصة الظهار المشهورة التي وقعت بين خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت، حينما قالت: «يا رسول الله زوجي ظاهر مني . . »(٣) .

كما كان من بين تلك النماذج المشرقة حديث وافدة النساء حينما أتت الرسول ﷺ تبحث حظ النساء من المنافسة مع الرجال في الفضل، حيث قال لها رسول الله ﷺ: «**أَعْلِمي مَنْ وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل ذلك كله**»(٤) ، ومعنى التبعل أن تحسن المرأة طاعتها لزوجها.

٣ - المساواة في حق التملك والحماية والتدين:

حق التملك . . يقول الله تعالى: ﴿ **وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ** . . ﴾ (النساء: ٣٢).

حق الحماية: فإن أم هانئ بنت أبي طالب أجارت أحد المشركين يوم فتح مكة فأراد أخوها الإمام علي أن يقتله فأخبرت النبي ﷺ فقال لها: «**قد أجرنا من أجرتِ، وأمنّا من أمنت يا أم هانئ**»(٥) .

---

(١) قال ابن كثير: إسناده جيد.

(٢) رواه البخاري في باب العلم ٣٦ ، هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم ؟

(٣) راجع تفسير بداية سورة المجادلة في الظلال.

(٤) كنز العمال: ٤٥١٥٧ .

(٥) رواه البخاري، جزية ٩ ، صلاة ٤ ، أدب ٩٤ ، ومسلم، مسافرين ٨ .

٤ ـ المساواة في مجال العطية والمسئولية والجزاء:

قال رسول الله ﷺ: «**ساووا أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً لأحد لفضلت النساء**»(١).

في مجال المسئولية والجزاء قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (النحل: ٩٧).

ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . .** ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

وهذه صورة كاملة للمساواة بين الرجل والمرأة وأنهما يقفان في نظام الإسلام من حيث المسئولية والجزاء على منصة واحدة(٢).

ويقول تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ . . .** ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

انظر ما أروع هذه العبارة الأخيرة في الآية ﴿ **بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ** ﴾ سما القرآن بالمرأة فجعلها بعضاً من الرجل، وأنزل الرجل من برجه الموهوم وجعله بعضاً من المرأة، فكلاهما يكمل الآخر.

ويقول ﷺ في الحديث: «**كلكم راع وكلكم مسئول... والمرأة راعية ومسئولة عن رعيتها...**»(٣).

٥ ـ المساواة في حرمة الدم وضمانه:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ . . .** ﴾ (البقرة: ١٧٨).

---

(١) رواه البخاري، هبة ١٢ .

(٢) الشيخ: جاد الحق علي جاد الحق.

(٣) رواه البخاري، جمعة ١١، جنائز ٣٢، ومسلم، إمارة ٢٠، (سبق تخريجه).

٦ ـ المساواة في المسئولية:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

كل نفس مسئولة عما كسبت فلا يتحمل أحدهما خطأ الآخر أو خطيئته: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)﴾ (التحريم).

المحور الثاني: المساواة في الميراث:

ثم نصل إلى أخطر قضية في موضوع المساواة، ألا وهي: المساواة في الميراث.

من أفضل ما كُتب في هذا الباب بحث بعنوان: «ميراث المرأة بين الحقائق والافتراءات»، للدكتور عبد الحميد بدوي[1].

والملاحظ أن الفروق في أنصبة المواريث هي أساس قضية المواريث في الفقه الإسلامي، حيث لا تختلف الأنصبة في المواريث طبقاً للنوع وإنما تختلف الأنصبة طبقاً لمعايير ثلاثة هي:

المعيار الأول: درجة القرابة بين الوارث والمورث ذكراً كان أو أنثى، فكلما اقتربت الصلة زاد النصيب في الميراث والعكس دون النظر إلى الجنس.

مثال: إذا ماتت الأم وتركت زوجها وابنتها، فإن البنت ترث نصف تركة أمها (وهي أنثى)، بينما أبوها يرث ربع التركة (وهو ذكر).

المعيار الثاني: موقع الجيل الوارث، فالأجيال التي تستقبل الحياة وتستعد

(١) د. عبد الحميد بدوي، مجلة الرسالة، رجب ١٤٢٧هـ، أغسطس ٢٠٠٦م، العدد ٢٠، ص ٩٨.

لتحمل أعبائها نصيبها في الميراث أكبر من الأجيال التي تودع الحياة وتتخفف من أعبائها بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة .

مثال ١: بنت المتوفىٰ ترث أكثر من أمه (وكلتا هما أنثىٰ) .

مثال ٢: بنت المتوفىٰ ترث أكثر من أبيه في حالة وجود أخ لها .

المعيار الثالث : العبء المالي، وهذا المعيار الوحيد الذي يبدو فيه التفاوت بين الذكر والأنثىٰ لكنه تفاوت لا يفضي إلىٰ أي ظلم للأنثىٰ أو انتقاص من حقها . . بل ربما كان العكس هو الصحيح، وحكمة هذا التفاوت أن الذكر هو المسئول عن إعالة الأنثىٰ، أُمًّا كانت أو زوجة أو أختاً أو بنتاً، بينما تقع إعالة الأنثىٰ الوارثة علىٰ ذكر : ابناً كان أو زوجاً أو أخاً أو أباً .

من أعباء الرجل المالية :

١ ـ منذ بداية حياته الزوجية يكلف الرجل (الزوج) بدفع المهر .

٢ ـ بعد الزواج يُكلف الرجل بالإنفاق علىٰ المرأة والأسرة .

٣ ـ الرجل مكلف بالإنفاق علىٰ الأقرباء وغيرهم، وإذا كان الإسلام قد أعطىٰ المرأة نصف ميراث الرجل فإنه لم يكلفها بنفقة، أي أن ميراثها أصبح حقاً خالصاً لها، أما الرجل فإذا كان الله تعالىٰ قد خصَّه بحظ الأُنْثَيين فقد كلفه بنفقات ومسئوليات قد تستغرق ميراثه كله، وما أكثر ما يعجز نصيبه من الميراث عن الوفاء بها .

أضواء مشرقة :

أولاً : هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل مثل:

١ ـ البنت مع إخوتها الذكور، وبنت الابن مع ابن الابن .

٢ ـ الأب والأم ولا يوجد أولاد ولا زوج ولا زوجة .

٣ ـ الأخت الشقيقة مع إخوتها الذكور .

٤ ـ الأخت لأب مع إخوتها الذكور .

ثانياً: الحالات التي ترث فيها المرأة مثل الرجل هي:

١ ـ الأب والأم في حالة وجود ابن الابن.

٢ ـ الأخ والأخت لأم.

٣ ـ أخوات مع الإخوة والأخوات لأم.

٤ ـ البنت مع عمها أو أقرب عصبة للأب (مع عدم وجود الحاجب في الميراث).

٥ ـ الأب مع أم الأم، وابن الابن.

٦ ـ زوج وأم وأختان، وأخ شقيق ـ على قضاء سيدنا عمر رضي الله عنه، فإن الأختين لأم، والأخ الشقيق شركاء في الثلث.

٧ ـ انفراد الرجل أو المرأة بالتركة بأن يكون هو الوارث الوحيد، فيرث الابن ـ إن كان وحده ـ التركة كلها تعصيباً، والبنت ترث النصف فرضاً والباقي رداً، وذلك لو ترك أباً وحده، فإنه سيرث التركة كلها تعصيباً، ولو ترك أماً فسترث الثلث فرضاً، والباقي رداً.

٨ ـ زوج مع الأخت الشقيقة فإنها ستأخذ ما لو كانت ذكراً، بمعنى لو تركت المرأة زوجاً وأخاً شقيقاً، فسيأخذ الزوج النصف، والباقي للأخ تعصيباً، ولو تركت زوجاً وأختاً فسيأخذ الزوج النصف والأخت النصف أيضاً.

٩ ـ الأخت لأم مع الأخ الشقيق، وهذا إذا تركت المرأة زوجاً وأماً، وأختاً لأم، وأخاً شقيقاً، فسيأخذ الزوج النصف، والأم السدس، والأخت لأم السدس، والباقي للأخ الشقيق تعصيباً، وهو السدس.

١٠ ـ ذوو الأرحام ـ وهي حالة أهل الرحم ـ المعمول بها في القانون المصري في المادة ٣١ من القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣م، وذلك ما لم يكن هناك أصحاب فروض ولا عصبة فإن ذوي الأرحام هم في حالة الورثة ولذلك تقسم التركة بينهم بالتساوي، كأن يترك المتوفي (بنت بنت، وابن بنت، وخالاً وخالة) فكلهم يرثون نفس الأنصبة.

١١ ـ هناك ستة أشخاص لا يحجبون حجب حرمان أبداً، وهم ثلاثة من الرجال، وثلاث من النساء فمن الرجال (الزوج الابن والاب)، ومن النساء (الزوجة والبنت والأم).

ثالثاً: حالات ترث فيها المرأة أكثر من الرجل نذكر منها:

١ ـ الزوج مع ابنته الوحيدة.

٢ ـ الزوج مع ابنتيه.

٣ ـ البنت مع أعمامها.

٤ ـ إذا ماتت امرأة، والورثة هم (زوج وأب وأم وبنتان)

٥ ـ لو ماتت امرأة، وتركت زوجاً وأباً وأماً وبنتاً.

٦ ـ إذا ماتت امرأة وتركت زوجاً وأماً وأختاً شقيقة.

٧ ـ لو ترك رجل (زوجة وأباً وأماً وبنتاً وبنت ابن).

رابعاً: حالات ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال وهي:

١ ـ لو ماتت امرأة وتركت زوجاً وأباً وأماً وبنتاً وبنت أم.

٢ ـ لو تركت امرأة زوجاً وأختاً شقيقة وأختاً لأب.

٣ ـ ميراث الجدة، فكثيراً ما ترث الجدة، ولا يرث نظيرها من الأجداد.

٤ ـ لو مات شخص وترك (أب أم، وأم أم).

٥ ـ لو مات شخص وترك (أب أم أم، وأم أم أم) فتأخذ أم أم الأم التركة كلها.

ولذلك نجد أن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل، أو أكثر منه، أو ترث هي، ولا يرث نظيرها من الرجال في مقابل أربع حالات فقط محددة، ترث فيها المرأة نصف الرجل.

يقول الشيخ: الشعراوي ـ رحمه الله ـ (١) : جاء الشرع وأعطاها نصف أخيها لأن النصف سيكفيها بلا زوج، وإن تزوجت فسيكون هذا النصف خالصاً لها لأنها ستلحق بمن ينفق عليها ولا يطالبها الشرع حتى بأن تقرضه من مالها لينفق عليها، ولكن الأخ الذي أخذ ضعفها مطلوب منه أن يبني حياته بزوجة يأتي بها لينفق عليها فمادام هو سيأتي بزوجة ينفق عليها وهي ستذهب إلى زوج ينفق عليها فكان يجب أن يقال: لماذا حابى الإسلام المرأة؟

هذا هو الكلام المنطقي الذي يتسق مع الواقع.

نقول: نعم حاباها ولكن لماذا حاباها الإسلام؟

لأن الإسلام راعى أن المرأة قد يكون من سلاحها في الحياة أنوثتها، فهو أراد أن يحصنها من أن تستعمل أنوثتها لحياتها.. حتى إذا ما ظلت بلا عائل كفاها حقها.. فإذا ما كان لها عائل كان هذا الحق وفراً لها.. أما الرجل فسلاحه في الحياة رجولته وكدحه في الحياة والأمر في المرأة مبني على الستر.

كلام النساء عن ميراث النساء:

وازنت السيدة **هدى هانم شعرواي**ـ وهي من رائدات تحرير المرأة! ـ بين المرأة المسلمة والمرأة الغربية فقالت(٢) : نرى المرأة الغربية أكثر حظاً، لأنها حائزة لقسط كبير من الحرية المدنية(٣) ، بيد أنها أقل حظاً من أختها الشرقية في الحرية الاقتصادية، فبينما نرى الشرقية غير المتساوية في الميراث، تتمتع بكافة أنواع الاستقلال في إدارة أعمالها وأموالها تجد الغربية المساوية لأخيها في الميراث محرومة من هذه النعم، إذ لا يمكنها أن تنفق أي مبلغ من مالها، ولا أن تتعاقد مع الغير، ولا أن تحترف حرفة دون تصديق زوجها وموافقته، لذلك نراها ثائرة في جميع بلدان أوروبا على تلك القيود التي تحول بينها وبين الحرية الحقيقة والاستقلال اللذين تتمتع بهما الشرقية منذ عصور طويلة.

---

(١) كتاب: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام.. والرد عليها، للشيخ الشعراوي.

(٢) مجلة الأزهر، أغسطس ٢٠٠١ م، لغو عن ميراث المرأة، د. رجب البيومي.

(٣) الكلام الذي ذكرناه آنفًا عن المساواة في الخلق والتفكير والحرية والتملك يرد على ذلك.

اللغم الخامس : الحجاب

بهدوء . . فالعفة والطهارة في قفص الاتهام!!

- إذا تحدثنا عن العلم وحث الناس على طلب العلم ورصدنا أموالاً للبحث العلمي ، هل في ذلك إهانة للعالم وتخلف ورجعية؟ بالطبع لا .

- إذا تحدثنا عن عمل لجان لإغاثة المنكوب والرفق بالضعيف والعون للمحتاج ، هل في ذلك إهانة للعالم وتخلف ورجعية؟ بالطبع لا .

- إذا تحدثنا عن عمل حلف لنصرة المظلوم ونشر العدل بين الناس والمساواة ، هل في ذلك إهانة للعالم وتخلف ورجعية؟ بالطبع لا .

- إذا تحدثنا عن عقاب المجرم الذي ينتهك ويهدر المال العام للدولة ، هل في ذلك إهانة وتخلف ورجعية؟ بالطبع لا .

- إذا تحدثنا عن الأمراض الفتاكة (إيدز - وسرطان) ومنعنا أسباب انتشارها ، هل في ذلك إهانة وتخلف ورجعية؟ بالطبع لا .

- إذا تحدثنا عن الحرية وأنه لابد أن يعيش الناس أحراراً ، هل في ذلك للعالم تخلف ورجعية؟ بالطبع لا .

- أما إذا تحدثنا عن العفة والطهارة . . فلن تجد إلا صراخاً وعويلاً ، ولن ترى إلا سجناً واتهاماً بالرجعية والتخلف . . مع أن العفة والطهارة هي أصل العلم ، وأصل الرفق ، وأصل العدل ورفع الظلم ، وأصل السعادة وعدم الشقاء ، وأصل الحرية والمساواة .

فلم تحظ فريضة إسلامية من فرائض الإسلام بالهجوم والطعن والتشويه والتعتيم مثلما حظيت فريضة الحجاب التي فرضها الله على كل من بلغت من بنات ونساء المسلمين.

ما السبب في ذلك؟

يقول **الشيخ الشعراوي** - رحمه الله - : «في العصر الحاضر تفشت ظاهرة الاستهزاء والسخرية من الملتزمات، وهذه ظاهرة نفسية طبيعية لأن الإنسان لا يحب أن يتهم بالعجز عن شيء قدر عليه سواه لأن ذلك يطعن في قدرته فإذا رأىٰ ملتزماً (رجل أو امرأة) حاول أن ينال منه، ويقلل منه شأنه حتىٰ لا تهتز شخصيته أمام نفسه فيشعر بالعجز.

يقول الله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ** ﴾ (المطففين)(١) ».

وكثيراً ما يفعل بعض هؤلاء المستهزئين ذلك عن جهل، وبعضهم يفعلها عن عمد، نظراً لوقوعه في الزنا أو اللواط أو الشذوذ، فهو لا يريد أن يرىٰ رموز العفاف سواء كانوا رجالاً أو نساءً، ومن قديم السنين يحكي القرآن علىٰ لسان قوم لوط: ﴿ **أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ..** ﴾ (النمل: ٥٦).

ما السبب؟ هل سرقوا؟ هل زنوا؟ هل ارتشوا؟ هل . . . . .

ما أعجب حيثية الحكم: ﴿ **إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾ (النمل: ٥٦).

إنها تهمة قديمة حديثة قالوها ويرددونها الآن، حملها إليهم منطق الشيطان عبر هذه الحقب الطويلة، فعندما يستشري الباطل ويحكم ويسود، يريد ألا يرىٰ الحق وأهله، فرؤيتهم تذكره بالمعصية التي عليها.

لكن الله مع أهل الحق، قال تعالىٰ: ﴿ **فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ** ﴾ (النمل: ٥٧).

لقد وصل البعض إلىٰ درجة الانحطاط: رجل يتزوج رجلاً؟ وامرأة تتزوج امرأة؟ لا يوجد هذا في عالم الحيوانات الراقية، ولا حتىٰ الحيوانات المنحطة.

صور محاربة الحجاب والعفاف:

الصورة الأولى: انتشر رجال الشرطة في كل أرجاء المدينة يبحثون عن المتهم الهارب جابوا الشوارع كلها والمحلات والمكتبات والسوبر ماركت. . وبعد لحظات

(١) الإسلام والمرأة، الشيخ محمد متولي الشعراوي.

وقف الحاجب ونادىٰ بأعلىٰ صوته محكمة: لقد قبضنا علىٰ المتهم الهارب وها هو أمام عدالتكم يقبع في قفص الاتهام ووقف محامي الادعاء يناشد عدالة المحكمة سيدي القاضي حضرات المستشارين ها هو المتهم يقبع أمامكم في قفص الاتهام أرجو توقيع أقصىٰ عقوبة عليه وهي الإعدام، وقفت عدالة المحكمة وقالت أن المتهم الموجود أمامكم في القفص إنها صورة الطفلة (فُلة) والجريمة الخطيرة التي ارتكبتها أنها (صورة الطفلة فُلة) ظهرت في الأسواق محجبة، وبعد المداولة والإطلاع علىٰ الحيثيات وشهادة الشهود وتقرير الخبراء في البيت الأبيض والأحمر والأزرق قررنا إعدام صورة الطفلة (فلة) المحجبة(١).

الصورة الثانية: أثناء استقبال البرلمان لأعضائه الجدد بعد انتخابات تشريعية نظيفة حضر النواب في الجلسة الأولىٰ، وكلما دخل نائب يبدأ الترحيب به.. وفجأة ظهرت أمامهم نائبة وبدأت تخطو خطوات داخل قاعة البرلمان.. فإذا بالصراخ والهتاف.. والعويل.. أخرجوها أخرجوها.. ما الذي حدث؟ من هذه؟ إنها نائبة منتخبة شرعية.. ووقف أعضاء البرلمان واعترضوا وتجمهروا وثاروا وهتفوا لا نريدها.. فتقدم ناحيتها رئيس البرلمان وقال لها: إما أن ترفعي الحجاب أو ترفع عنك الحصانة.

وقفت **النائبة التركية مروة قاوقجي** بشموخ المؤمنة الواثقة الطائعة لربها وقالت: «فلتذهب الحصانة إلىٰ الجحيم.. لن أخلع حجابي»، فدهش الجميع، وساد صمت رهيب.

وكان الأمر الثاني: إما أن ترفعي الحجاب وإما أن نرفع عنك الجنسية.. فقالت في شموخ رائع: «لن أخلع حجابي.. لن أخلع حجابي»(٢).

---

(١) هذه ليست طرفة، ولا مشهد مسرحي، ولكنها الحقيقة، فقد نشرت مجلة الزهور العدد ٧٢ شوال سنة ١٤٢٧هـ. نوفمبر ٢٠٠٦م تقول: حملة أمنية واسعة لملاحقة الدمية (فلة) في إطار منع، ومحاربة الحجاب في تونس، ثارت حملة أمنية استهدفت جمع كل كميات اللوازم المدرسية المحتوية علىٰ صورة الدمية الشهيرة (فلة) من كل الأسواق في تونس بسبب ارتدائها للحجاب الممنوع في البلاد.

(٢) كان ذلك في البرلمان التركي في عام ١٩٩٩م، وتم منعها من دخول البرلمان كما أُسقطت جنسيتها التركية.

ومن ذلك تشعر أن الحجاب غصة في حلوق هؤلاء حتى قال بعضهم : «لايستقيم حال الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطي به القرآن» .

ولقد حاول اليهود كشف عورة المرأة المسلمة منذ بداية الدعوة ـ ولا يزالون ـ فقد عمد يهودي إلى طرف ثوب امرأة وربطه في أعلى ظهرها ، فلما قامت إنكشفت سوءتها فصاحت فوثب المسلم على اليهودي فقتله ، فتكاثر اليهود على المسلم فقتلوه ، فكانت غزوة بني قينقاع ، وحاصرهم النبي ﷺ حتى نزلت يهود بنو قينقاع على حكم النبي ﷺوعلى مراده(١) .

وهم الآن يحاولون ليل نهار نشر العري والسفور والرذيلة والانحلال من خلال المسرحيات والأفلام ونوادي اللوينز والروتاري ، ومسابقات ملكات الجمال ، والموضة ، و بيوت الأزياء . . فالمؤامرة مستمرة قديماً وحديثاً .

والآن قليل من العقل : ففي الغرب عندهم تمثال الحرية ، لكل أنواع الحرية ، حرية الرأي ، وحرية الأكل والشرب ، وحرية الملبس والزينة . . فالإنسان حر في كل ما يفعل ، وهذه الحرية مباحة لقطاع ، ومحرمة على قطاع آخر ، فالمرأة التي تسير في الشارع عارية حرية . . والمرأة التي ترتدي الميني جيب ـ والميكروجيب . . أو الملط جيب حرية . . وكل هذه الأزياء حرية ولا تؤرق أحداً . . وليست طغياناً على حقوق الآخرين ، ولا إثارة للآخرين ، ولا تغضب الآخرين .

ولكن زي المرأة المسلمة الحجاب . . تخلف . . اعتداء على حرية الآخرين . . تضييع لحقوق الآخرين . . في المدارس طالبات متبرجات مستهترات ولا تمنع هذه الطالبات من المدرسة . . والمدرسة مفتوحة على مصراعيها لمثلهن للدراسة أو الألعاب ولا تطالب بأن تحضر إقراراً من ولي الأمر بالموافقة على ارتداء ابنته الشورت في المدرسة ، أو تطالب بالصيغة التنفيذية لحكم المحكمة ، أما إذا لاحت في الأفق فتاة محجبة ترنو ببصرها ناحية بوابة المدرسة ، أغلقت بوابة المدرسة في وجهها ، وعلت الأصوات : اطردوها . . افصلوها . . انزعوا حجابها . . أين

---

(١) راجع في السيرة غزوة بنو قينقاع .

خطاب ولي الأمر بالموافقة على غطاء الرأس؟ . . انزعوا حجابها حتى لو كانت اللعبة الدمية (فلة) . . كأنهم يقولون: حرام على بلابله الدوح . . حلال على كل جنس . . لتنقلب المعادلة أشنع انقلاب .

والتساؤل الآن: ألم ينشر الغرب على كل منتجاته صوراً لنساء عاريات؟ حتى على علبة الكبريت؟ ولم يقل أحد هذا عيب أو ممنوع.. أو.. أو.. بالرغم من أنه يؤذي المسلمين!

ألسنا نحن أحراراً في أن نضع على منتجاتنا صوراً لدمية محجبة؟

أم أن هذا يهدد السلام العالمي؟

إن الذي يهدد السلام العالمي هو : القنابل الذرية، والمفاعلات النووية، والوقوف في وجه هذا الدين الحنيف الذي جاء رحمة للعالمين .

وإن الحجاب هو الذي يعيد الأمن والاستقرار ويؤمن السلام العالمي، لأن العفة والطهارة هي التي تبني عالم السعادة والحضارة والرقي .

الحجاب .. هو التأمين الجمالي للمرأة :

على الفتاة أن تعلم أن الإسلام إنما أراد أن يؤمن شيخوختها الذابلة المنهكة، وأن يدفع إليها البشر والتفاؤل والأمان والاستقرار مع زوجها وشريك العمر . . فالمرأة لن تظل جميلة طوال العمر . . ولا فاتنة ساحرة مدى حياتها، فإذا ما ذبلت الزهرة (بتقدم العمر) وانمحت نضارتها، واعتصرت محاسنها، ولم تعد تصلح لإثارة غرائز الزوج، ونزل إلى الشارع ثم رأى فتاة في خير عمرها، وفي كامل زينتها ورونقها وبهائها، جرت شهوته إلى غمار المقارنة بين ما ينظر في الشارع وما يراه في البيت، وبين الشارع والبيت تتكالب عليه الهموم والحسرات وهو يندب حظه ونفسه، وهذه المقارنة لا تسر أي امرأة في طور حياتها المتقدمة التي هي أحوج ما تكون فيها إلى زوجها .

إذن فالإسلام حينما يطلب منك أن تحتجبي طلب ذلك من كل النساء أيضاً، كي لا يحدث إغراء لأي من الرجال، إغراء من هو لك (زوجك) وهذا هو التأمين الجمالي للمرأة فإذا نظر زوجك في الشارع إلى جمال سافر وحسن باهر متهتك

متبذل قمة التبرج يلهب غرائزه ويحرك شهواته وأنت أصبحت دون ذلك في الإغراء والاستحالة من هنا تتفكك روابط الأسر وتنحل الأسرة الزوجية فافهمي أيتها الفتاة أن الذي منعك منع من أجلك والذي منع ليحافظ عليك(١).

حقائق بين يدي الحجاب :

الحقيقة الأولى : إن الالتزام بشرع الله مسئولية فردية لا تتوقف على موافقة الغير، ولا تحتاج إلى إذن من وزير ولا أمير ولا زوج، لأن الله أمر فلابد على المسلم أن يطيع، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

الحقيقة الثانية : أمر الله تعالى آدم عليه السلام وحواء أن يسكنا الجنة ويأكلا من كل شيء فيها إلا شجرة واحدة عيَّنها لهما الحق سبحانه وتعالى، وحرمها عليهما فمازال بهما الشيطان يوسوس ويقسم لهما كاذباً أن الأكل من هذه الشجرة سيجعلهما ملكين ويكونا خالدين فلا يموتان فأكلا منها وعصيا ربهما وهنا انكشفت عورتهما وجعلا يسترانها بورق الجنة، ليسترا ما كشفته المعصية، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ...** ﴾ (الأعراف: ٢٢).

يقول الشيخ الشعرواي : «أراد الله تعالى أن يعلم الإنسان ـ خليفة الله في أرضه ـ علماً تجريبياً معملياً واقعياً لا نظرياً بأن الذي يخالف عن أمر ربه لابد أن تبدو عورته وتنكشف سوأته، فقبل المخالفة لم تظهر العورة، وإنما ظهرت بعد المخالفة وبسبب المعصية، فإذا أردت أن تعرف أمنهج الله مطبق أم لا فانظر من حولك فإن لم تجد في الأرض عورة من العورات ولا سوأة من السوءات فاعلم أن منهج الله مطبق».

فعصيان الله يؤدي إلى كشف العورات والسوءات..

الحقيقة الثالثة: التبرج معناه : إظهار المرأة لزينتها ومحاسنها للرجال الأجانب، يدخل في ذلك إظهار الحلي وغيره أو التمايل في المشية والحركة، أو

---

(١) الإسلام والمرأة، للشيخ محمد متولي الشعرواي.

إبراز محاسن ثيابها لغير زوجها أو محارمها، والتبرج عنوان فساد المرأة وبُعدها عن دينها، يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ثم قال الله بعد الأمر بعدم التبرج: ﴿ ... وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما**.... وذكر منهما: «**نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيره كذا وكذا**»(١).

ومن ذلك نجد أن:

١ ـ التبرج خلق فاسد للمرأة نهىٰ عنه الله ورسوله.

٢ ـ المتبرجة معرضة للعنة رسول الله واللعن هو الطرد من رحمة الله.

٣ ـ المتبرجة لا تشم رائحة الجنة ولا تدخلها بتبرجها.

٤ ـ المتبرجة لا يقبل منها ـ مع تبرجها هذا ـ صلاة.

مظاهر التبرج:

١ ـ كشف جزء من جسد المرأة شعرها.. صدرها.. لغير المحارم، قال تعالىٰ: ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (النور: ٣١).

٢ ـ الخضوع بالقول يعني: الليونة والتمايل بالكلام، قال تعالىٰ: ﴿ فَلاتَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ (الأحزاب: ٣٢).

٣ ـ التكسر في المشي والتمايل فيه والضرب بالقدم، قال تعالىٰ: ﴿ وَلايَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ (النور: ٣١).

---

(١) رواه مسلم، لباس ١٢٥، جنة ٥٢، وأسنمة جمع سنام وهو المكان المرتفع من ظهر الإبل، يقصد ما يفعلون في شعورهن علواً وظهوراً كشكل السنام.

٤ ـ الطيب والعطر للمرأة خارج المنزل لقول الرسول ﷺ: «**إن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا..**» (يعني زانية)(١).

٥ ـ النمص والوصل والتفليج ووصل الشعر، فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله**»(٢).

فبمقدار ما أغرت المرأة من أناس يُزهد فيها، وبمقدار ما استمالت من أنظار وجذبت من نفوس يَذِل الله آخرتها في الدنيا بأن ينصرف عنها الناس انصرافاً مذرياً شائناً، والذي كان يريد أن يحظى منها بنظرة واحدة وهي صغيرة، يشمئز من النظر إليها وهي كبيرة. . وفي محيط كل منا أمثال هذه الصورة كثيراً.

خطورة التبرج في الدنيا:

١ ـ شيوع الفسق والرذيلة والزنا.

٢ ـ تدمير الرجال والنساء والمجتمع والأخلاق.

٣ ـ انهدام كيان الأسرة باتخاذ العاشقات المتبرجات وترك العناية بالأولاد والزوجة وانتشار الطلاق.

٤ ـ انهيار الاقتصاد وتجارة الزنا والميسر والربا والخمور.

٥ ـ إهمال الواجبات الدينية وترك الجهاد.

٦ ـ انتشار العادات القذرة مثل: لواط ـ سحاق ـ إستمناء.

٧ ـ الإساءة إلى المرأة التي كرمها الإسلام فاتخذوها هم سلعة للعرض.

---

(١) رواه أبو داود، ترجل ٧، والترمذي، أدب ٣٥، زينة ٣٥، والدارمي، استئذان ١٨، والإمام أحمد في المسند ٤/ ٤٠٠، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري، بيوع ٢٥، ١١٣، تفسير سورة ٥٩، طلاق ٥١، لباس ٨٢، ٨٧، ٩٦، ومسلم، لباس ١١٩، ١٢٠.

خطورة التبرج في الآخرة:

١ ـ غضب الله.

٢ ـ عدم دخول الجنة.

٣ ـ عدم قبول صلاتهن كما في رواية الطبراني والبخاري.

الصورة الصحيحة للزي الشرعي:

١ ـ أن يستر جميع البدن ما عدا الوجه والكفين.

٢ ـ لا يصف ولا يشف.

٣ ـ لا يشبه لباس الرجال ولا الراهبات ولا ثوب شهره.

إن المرأة لن تعود إلىٰ عزها ومجدها إلا في ظل الإسلام، لأنه هو الذي كرمها وصانها وأعطاها كل حقوقها، وحتىٰ تحصل علىٰ تلك الحقوق مرة أخرىٰ لابد أن تعود إلىٰ الإسلام.. فإن المرأة إن التزمت شرع ربها أصبحت مؤهلة أن تكون راعية وأماً في أسرة تربي أولادها علىٰ الفضيلة..

فإلىٰ الأسرة..

الفصل الثاني

الأســـرة

المبحث الأول : أهميـة الأســرة .

المبحث الثاني : الاختيــــار .

المبحث الثالث : الخطبة والعقد .

المبحث الرابع : ليلـة الزفــاف .

المبحث الخامس : الزوجـة .. ما لها وما عليها .

المبحث السادس : الــزوج .. ما له وما عليـه .

المبحث السابع : منهج النبـي ﷺ في بيتــه .

المبحث الثامن : الاختلافات الزوجية: الأسباب والعلاج.

المبحث التاسع : فقه الحياة الزوجيـة للمـرأة .

المبحث العاشر : بيوت لا تدخلها الشياطـين.

المبحث الحادي عشر : نماذج عملية للسعادة الزوجية .

الفصل الثاني

الأســـرة

يا إبني . . حينما تشرف على سن البلوغ يتوقد في نفسك شيء كان خامداً وتحس حره في أعصابك ولم تعد ترى المرأة إنساناً من لحم ودم (على حقيقتها) ولكن بدأت تنظر إليها نظرة شهوه وغريزة .

وتأتي عليك أشد سنين العمر اضطراماً للشهوة، واضطراباً للجسد وهياجاً.. فماذا تصنع :

١ ـ هل تظل في أحلام اليقظة والرؤيا في المنام التي لا تنتهي بك إلا إلى الهوس أو الجنون أو انهيار الأعصاب .

٢ ـ أو تعمد إلى العادة السيئة (الاستمناء) ولكنه إن جاوز حده ركب النفس بالهم والجسم بالسقم وجعل صاحبه الشاب كهلاً محطماً كئيباً مستوحشاً يفر من الناس ويجبن عن لقائهم ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها وهذا حكم على المرء بالموت وهو في رباط الحياة .

٣ ـ وإما أن تغرف من حمأة اللذة المحرمة وتسلك سبيل الضلال وتؤم بيوت الفحش، وتبذل صحتك ومستقبلك ودينك .

٤ ـ وإما الزواج فنعود بذلك إلى سنة الله وطبائع الأشياء فإن الله تعالى ما حرم شيئاً إلا أحل شيئاً مكانه ، فقد حرَّم الربا وأحل التجارة ، وحرَّم الزنا وأحل الزواج ، فالدواء هو الزواج وحده طريق الإصلاح .

ويقترح **الشيخ علي الطنطاوي** على الجمعيات الإسلامية والنوادي الإصلاحية أن تؤسس قسماً جديداً يُرَغِّب الشباب في الزواج ، ويدعوهم إليه ، ويسهل عليهم، ويدل الخاطب على الفتاة التي تصلح لها ويصلح لها ، ويقرضه المال إن كان معسراً[1] .

(١) رسالتان إلى شباب العشرين . . يا ابني . . يا ابنتي . . للشيخ علي الطنطاوي .

ويضرب الشيخ مثالاً يقول فيه : أترى إلى إبريق الشاي الذي يغلي على النار:

١ ـ إنك إن سددته فأحكمت سده وأوقدت عليه فَجَّره البخار المحبوس.

٢ ـ وإن خرقته سال ماؤه فأحرق الإبريق.

٣ ـ وإن وصلت به ذراعاً كبيراً كذراع القاطرة أدار لك المصنع وسير القطار وعمل الأعاجيب فالأولى حالة من حبس نفسه عن شهوته يفكر فيها ويغلق عليها والثانية حال من يتبع سبل الضلال ويؤم مواطن اللذة المحرمة، والثالثة الذي نفس عن نفسه بجهد روحي أو عقلي أو قلبي أو جسدي يستنفد هذه القدرة المدخرة ويخرج هذه الطاقة المحبوسة بالالتجاء إلى الله والاستغراق في العبادة والإقبال على الرياضة والتربية البدنية أو بالبطولة الرياضية.

يقول الشيخ : يا بني : الإنسان مُحب لنفسه لا يقدم أحداً عليها فإذا وقف أمام المرآة ورأى استداره كتفيه ومتانة صدره وقوة يديه كان هذا الجسم الرياضي المتناسق أحب إليه من كل جسد أنثى ولا يرضى أن يعود جلد على عظم من أجل سواد عيني فتاة ولا من أجل زرقتهما، وهذا يا بني هو الدواء ـ الزواج ـ أو الاعتصام بخوف الله والانغماس في العبادة والدرس والرياضة.

يقول الشيخ : يا ابنتي أنا رجل يمشي إلى الخمسين قد فارق الشباب وودع أحلامه وأوهامه، وذكر الشيخ كيف أن الفساد والعري قد انتشر في كل البلدان الإسلامية حتى الشام التي كان فيها الملاءة السابغة خرج نساؤها سافرات حاسرات كاشفات السواعد والنحور.

وقد تحدثنا كثيرا ولازال المنكر كما هو وما نجحنا في إزالته . . . وما أظن أننا سننجح أتدرين لماذا؟! لأننا لم نهتد إلى اليوم إلى باب الإصلاح ولم نعرف طريقه إن باب الإصلاح أمامك أنت يا ابنتي ومفاتحه بيدك فإذا أمنت بوجوده وعملت على دخوله صلحت الحال.

صحيح أن الرجل هو الذي يخطو الخطوة الأولى في طريق الإثم لا تخطوها المرأة أبداً لكن لولا رضاك ما أقدم ولولا لينك ما اشتد أنت فتحت له وهو الذي دخل قلت للص تفضل فلما سرقك اللص صرخت أغيثوني يا ناس سُرقت . . .

ولو أن الرجال ذئاب وأنت النعجة لفررت منهم فرار النعجة من الذئب ولو أنهم لصوص لاحترست منهم احتراس الشحيح من اللص.

وإذا كان الذئب لا يريد من النعجة إلا لحمها فالذي يريده منك الرجل أعز عليك من اللحم على النعجة وشر عليك من الموت عليها يريد منك أعز شيء عليك. . عفافك الذي به تَشرفين وبه تفخرين وبه تعيشين وحياة البنت التي فجعها الرجل بعفافها أشد عليها بمئة مرة من الموت على النعجة التي فجعها الذئب بلحمها أي والله. ولا تصدقي ما يقوله بعض الرجال أنه صديق لك أو رفيق لك، كذب والله لو سمعت أحاديث الشباب في خلواتهم لسمعت مهولاً مرعباً وما يبسم لك الشباب ولا يلين لك كلمة ولا يقدم لك خدمة إلا وهي عنده تمهيد لما يريد.

وماذا بعد؟ ماذا يا بنت فكري!!

تشتركان في لذة ساعة ثم ينسى هو وتظلين أنت تتجرعين غصصها يمضي (خفيفاً) يفتش عن مغفلة أخرى يسرق منها عرضها وينوء بك(١) أنت (ثقل) الحمل في بطنك والهم في نفسك والوصمة على جبينك يغفر له هذا المجتمع الظالم ويقول: شاب ضل ثم تاب وتبقين أنت في حمأة الخزي والعار طول الحياة لا يغفر لك المجتمع أبداً ولو أنك إذا لقيته زويت عنه بصرك وأريته الحزم والإعراض.

فإذا لم يصرفه عنك هذا الصد وإذا وصلت به الوقاحة أن ينال منك بلسان أو يد نزعت حذاءك من رجلك ونزلت به على رأسه لرأيت من كل من يمر في الطريق عوناً لك عليه، ولما جرؤ بعدها فاجر على ذات سوار.

حقائق:

١ ـ اعلمي أن البنت مهما بلغت من المنزلة والغنى والشهرة أو الجاة لا تجد أملها الأكبر وسعادتها إلا في الزواج في أن تكون زوجة صالحة وأماً موقرة وربة بيت.

---

(١) هذا هو التعبير الأصح، قال تعالى: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (القصص: ٧٦).

٢ ـ الزواج أقصىٰ أماني المرأة ، ولو صارت عضو البرلمان وصاحبة السلطان .

٣ ـ الفاسقة المستهترة لا يتزوجها أحد حتىٰ الذي يغوي البنت الشريفة بوعد الزواج إن هي غوت تركها وذهب إذا أراد الزواج فتزوج غيرها من الشريفات لأنه لا يرضىٰ أن تكون ربة بيته وأم ابنته امرأة ساقطة .

٤ ـ الأديبات والمعلمات . . . قلن للفتيات أنكن صبايا جميلات فلذلك يقبل الشباب عليكن ويحومون حولكن ولكن هل يدوم عليكن الصبا والجمال ولا شيء في الدنيا يدوم فكيف لكن إذا صرتن عجائز منحنيات الظهور مجعدات الوجوه من يهتم يومئذ بكن؟؟ ومن يسأل عنكن أتعرفن من يهتم بالعجوز ويكرمها ويوقرها أولادها وبناتها وحفيدتها هنالك تكون العجوز ملكة في رعيتها ومتوجة علىٰ عرشها علىٰ حين تكون الأخرىٰ أنتم أعرف بما تكون عليه فالعفة العفة .

المبحث الأول
أهميـــة الأســـرة

الأسرة هي أهل الرجل وعشيرته (١)، أو هي الجماعة التي يربطها أمر مشترك، وجمعها: أُسر، والأسرة: أصل راسخ من أصول الحياة البشرية (٢)، وهي ضرورة لا يستغني عنها شعب ولا جيل، ولذلك يعد الهجوم على الأسرة في هذا العصر نزعة طائشة حاول بها أصحابها مسخ الفطرة، وإخفاء الحقيقة، فجلبوا الشقاء لأنفسهم، والوهن لمجتمعاتهم، فالأسرة رغبة نابعة من الفطرة، فإذا حُرِم الإنسان النشأة في أسرة امتد الخلل إلى آفاق حياته.

لا أمة حيثُ لا أسرة .. بل لا آدمية حيث لا أسرة (٣) ولذلك الأسرة في الإسلام أهم محضن من محاضن التربية للأولاد، ويتضح ذلك من خلال :

١ ـ حث الإسلام على تكوين الأسرة :

لأنها تلبي رغائب الإنسان، وتفي بحاجاته منذ فجر الخليقة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (الرعد: ٣٨).
وقال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم: ٣٠).

٢ ـ وظائف الأسرة :

١ ـ تنمية المشاعر والعواطف، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ (الروم: ٢١)

٢ ـ الطفل يحتاج إلى أن ينشأ في أسرة، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً .. ﴾ (النحل: ٧٢).

---

(١) المعجم الوجيز.
(٢) آداب الحياة الزوجية، للشيخ خالد عبد الرحمن العك.
(٣) الإبداع في تربية الأولاد، ص٦، لجنة البحوث والدراسات، إشراف: د. توفيق الواعي.

٣ ـ يحتاج الإنسان إلى الأسرة شاباً ورجلاً وكهلاً، لا يجد رعاية في غيرها.

٤ ـ هي العامل الوحيد للحضانة والتربية، ولا تستطيع دور الحضانة ولا دور الكفالة أن تقوم بذلك.

٥ ـ الأسرة تقوم بالتربية الخلقية والوجدانية والدينية.

إذن الأسرة هي التي تجعل من الطفل إنساناً مدنياً، وتزوده بالعواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع وفي البيت.. وهي التي تذكر الناس بمصدرهم الذي صدروا عنه، تذكر البشرية بأن لها رحماً واحداً، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ (النساء: ١).

٣ ـ حماية الإسلام للأسرة:

أ ـ قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته..**»(١).

ب ـ حمى الإسلام الأسرة من الفساد والهدم، وأقام سداً يعصمها من البوار.

جـ ـ وحمى الإسلام الأسرة من الخارج ومنع عنها تيار الفتنة، قال ﷺ: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها**»(٢).

٤ ـ تأسيس الأسرة الصالحة من العبادات:

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٣٢).

ويقول النبي ﷺ:

١ ـ «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»(٣).

---

(١) رواه البخاري، وسبق تخريج هذا الحديث.

(٢) رواه أبو داود برقم ١٩٠٦، أدب ١٢٦، ومعنى خبب امرأة.. أي أفسدها عليه.

(٣) رواه البخاري، صوم ١٠، نكاح ٢، ٣، ومسلم، نكاح ١، ٣.

٢ ـ «النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني»(١) .

٣ ـ «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر»(٢) .

٤ ـ « إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٣) .

حقائق لنظام الأسرة :

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء : ١) .

- الحقيقة الأولى : تذكر الناس بمصدرهم الأول، أي تردهم إلى خالقهم .
- الحقيقة الثانية : تذكر الناس أنهم صدروا عن رحم واحدة «خلقكم من نفس واحدة» .
- الحقيقة الثالثة : إشارة إلى النفس الواحدة ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ . . وهذه الآيات تقرر أن الزوجة إنسان كامل الحقوق .
- الحقيقة الرابعة : توحي الآية أن قاعدة الحياة البشرية هي الأسرة، فلقد بدأت الحياة على الأرض بأسرة واحدة . . خلق الله نفساً واحدة . . وخلق منها زوجها فكانت أسرة من زوجين .

ولم يحظ نظام من الأنظمة بكامل عناية الإسلام كما حظي نظام الأسرة والترابط الأسري، ولذلك يحاول أعداء الإسلام تدمير هذا النظام البَنَّاء منذ الصدر الأول للإسلام، وحتى مؤتمرات القاهرة وبكين التي أقيمت في نهاية القرن الماضي ما أقيمت إلا لتدمير تلك الأسرة .

---

(١) رواه ابن ماجة ، نكاح ١ وفي الزوائد له شاهد صحيح .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، والهيثمي في مجمع الزوائد، وفي الصحيح جـ ٢ : ٢٠٠ .

(٣) رواه مسلم ، وصية ١٤ .

ولذلك نجد الإسلام ـ منذ البداية . . :

١ ـ يضع ضوابط لجميع مراحل تكوين الأسرة، من خطبة ـ زواج ـ إنجاب ـ تربية أولاد.

٢ ـ يرعىٰ الإسلام جميع الأسر، حتىٰ ولو كانت صغيرة فقيرة، فنرىٰ التشريع ينزل لأسرة فقيرة لها مشكلة في عهد رسول الله ﷺ، وذلك عندما حدث خلاف بين أوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبة(١).

٣ ـ يتابع الإسلام نظام الأسرة باستمرار، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يذهب ليرىٰ حال أسرة ابنه، وحينما لم يجدها مناسبة له يترك له رسالة يقول له فيها: «غير عتبة بيتك»، ثم يذهب له مرة أخرىٰ، فيرىٰ أسرة مناسبة لابنه، فيترك له رسالة يقول له فيها: «أبق علىٰ عتبة بيتك»، ويأمر الإسلام بإصلاح الأسرة إذا حدث فيها خلل، قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** . . ﴾ (النساء: ٣٥).

٤ ـ يحرص الإسلام علىٰ المحافظة علىٰ الوالدين مهما كان الأمر، حتىٰ ولو كان الجهاد، يقول النبي ﷺ للصحابي الذي أراد الذهاب للجهاد: «**أحيٌّ أبواك؟**» فيقول الصحابي: نعم. فيقول له الرسول ﷺ: «**ارجع ففيهما فجاهد**»(٢).

٥ ـ الأسرة هي الأمة الصغيرة، ومنها تعلم النوع الإنساني أفضل أخلاقه الاجتماعية، وأنبل مواقفه، وأكرم عاداته، ومن الأسرة تعلم النوع الإنساني الرحمة والكرم، وليس في أخلاقه جميعاً ما هو أجمل منهما، وأنفع له في مجتمعاته، هذا وقد أصّل الأستاذ العقاد معنىٰ الأسرة فعرّفها بالرحمة والفضائل الكريمة(٣).

---

(١) راجع سبب نزول سورة المجادلة في كتب التفسير.

(٢) رواه البخاري، الجهاد بإذن الوالدين ١٠، ومسلم، بر ٥، ٦ .

(٣) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد، ص ٢٢٢ ، نقلاً عن الإبداع في تربية الأولاد، ص٥ .

المبحث الثاني

الاختيـــار

تزوج من شحاذة [١] أي: متسولة.. فأعطت ابنه لزميلتها تتسول به :

في نهاية التسعينات ورد سؤال إلى إذاعة القرآن الكريم المصرية.. وأجاب عليه الشيخ: إبراهيم جلهوم شيخ مسجد السيدة زينب بالقاهرة..

يقول السائل : أعمل نجاراً وعندي ورشة للنجارة وحالتي المالية ميسورة ، وأنا شاب لم أتزوج بعد ، وذات يوم وأنا واقف في ورشتي دخلت عليَّ فتاة تحمل طفلاً تتسول به وتسألني ، فنظرت إليها فإذا هي شديدة الجمال . .

فقلت لها : هل أنت متزوجة؟ قالت : لا . .

قلت لها : وهذا الطفل . . قالت : استأجرته من أهله لأتسول به . .

قلت لها : تتزوجينني؟ . . فوافقت .

وجهزتُ لها كل شيء فهي لا تملك شيئاً . . ومضى على زواجنا عام وأنجبت طفلاً . . وبعد أشهر قليلة من ولادتها أقف في الورشة كعادتي أعمل فمرت عليَّ فتاة تحمل طفلاً تتسول به فنظرت إلى الطفل فإذا هو ابني ولكن لم أصدق . . فقلت : لعله يشبهه . . ثم قلت لها : انتظري حتى أحضر لكِ نقوداً من المنزل . .

وذهبت إلى المنزل فهو بجوار الورشة . . ودخلت منزلي . . وبحثتُ عن ابني فلم أجده ، فقلت لزوجتي أين ابننا؟ فقالت : موجود وتلعثمت ، ثم قالت لي الحقيقة المرة أنها أعطته لزميلاتها للتسول؟

فانصرفتُ مسرعاً كالمجنون إلى الورشة وأخذت الطفل من المتسولة . . وعدت به إلى منزلي . . والآن أنا أريد أن أطلقها فهل عليَّ ذنب لو طلقتها؟ رغم أنني أغدق عليها الأموال الكثيرة فهي في رغد من العيش . .

---

(١) الشحاذ : السائل الملح (المعجم الوجيز) .

والحقيقة أن الشيخ رحمه الله قد أجاب إجابة وافية بعد أن شد على السائل في أنه هو المخطئ لأنه لم يتحرَّ، ولم يدقق في الاختيار حينما أراد أن يتزوج، ولم يفتش ويسأل كما قال: النبي ﷺ «تخيَّروا لنطفكم»(١) ، وذكره الشيخ بأن الجمال ليس وحده المعيار للاختيار، فالدين هو السياج الذي يحمي المال، ويحمي الجمال ويحمي النسب، فالجمال بدون دين وبال على صاحبه، ونصحه الشيخ ألا يطلقها بل يعلمها ويؤدبها ويوجهها، ويحاول أن يجعل لها صديقات مؤمنات.. فأهم شيء في تغيير السلوك هو تغيير الوسط الذي يعيش فيه الإنسان.

... وشاب مستهتر «متفلت» يطلب الزواج من محجبة!!

والآن أذكر واقعاً للشباب الذين يُقبلون على الزواج فيخطئون في الاختيار.. في ذات يوم انتهيت من إعطاء درس في المسجد.. وإذا بشاب يدخل ويجلس بجواري ويقول لي: أريد أن أتزوج.. وأريد أن أخطب فتاة محجبة من الفتيات التي تأتي المسجد وتحافظ على الصلاة والحجاب وتخاف من ربها..

فقلت له: لماذا لا تخطب من الوسط الذي تعيش فيه أنت؟ وأنت لك صديقات كثيرة وتسير مع فتيات كُثُر فلماذا لا تخطب واحدة منهن؟ ولن تحتاج إلى جهد فكلهن على يقين أنك سوف تتزوجهن. أو على الأقل واحدة منهن؟

فأطرق قليلاً لا يتكلم ثم رفع رأسه وقال لي: أما عن البنات اللاتي أعرفهن ولي بهن علاقة ونتقابل سوياً، وتقسم كل واحدة منهم لي أنني الوحيد في حياتها ولا تحب غيري ولا تعرف غيري.. الخ هذه الألفاظ الخادعة.. فالواحدة منهن طالما ارتضت أن تكون على علاقة بي فهي كانت على علاقة بغيري، وسوف تنشيء علاقة مع غيري فأنا لا آمن معها. فهي خرجت مع غيري وخرجت معي وسوف تخرج مع غيري.. أرجوك أريد فتاة متحجبة أتزوجها لأنها ستكون أمينة على أولادي وأمينة على نفسها وأمينة عليَّ.. وأنا من الآن سوف أقطع علاقاتي الكثيرة بالبنات وأتوب إلى ربي وألتزم طاعته. حتى لا يُقص من أهلي بعد ذلك.. فكان له ما أراد بعد أن حسنت نيته وخلصت سريرته.

---

(١) رواه ابن ماجة، نكاح ٤٦ .

والآن بعد هذا الواقع .. نعرض لقواعد الاختيار الصحيح..

من هدي النبي ﷺ في قواعد الاختيار الصحيح :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « **تُنْكَح المرأة على إحدى خصال: لجمالها ومالها وخلقها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يمينك**»(١) .

وعن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال ؛ إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟»، فنهاه ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة، فقال له رسول الله ﷺ: « **تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**»(٢) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: « **ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة ؛ إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**»(٣) .

وقال ﷺ أيضاً: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»(٤) .

وقال ﷺ أيضاً: «**إياكم وخضراء الدمن؟**»، قالوا: «وما خضراء الدمن يا رسول الله؟»، قال: «**المرأة الحسناء في المنبت السوء**»(٥) .

---

(١) رواه البخاري، نكاح ١٥ .

(٢) رواه أبو داود، نكاح ٣، وابن ماجة، نكاح ١ والحاكم، واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه ابن ماجة، نكاح ٥، وأبو داود، زكاة ٣٢ .

(٤) رواه مسلم، رضاع ٥٩ .

(٥) رواه الدارقطني، والعسكري، وابن عدي.

المبحث الثالث

الخطبة والعقد

فقه الخطبة وآدابها :

الخاطب ينظر إلى مخطوبته (١) . .

ليس معنى هذا أن الإسلام يجبر الرجل أن يتزوج بمن لا تقع في نفسه موقع الرضا، إنما معناه أنه ينصب لنا أهدافاً عليا للزواج، هي : النسل، والإحصان، والسكن الفطري الذي يشير إليه قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم : ٢١) .

وهو سكن يتحقق بأكمل معانيه مع الخُلُق الكامل، والدين القيِّم .

يريد الإسلام أن تُستهدف تلك المثل أولاً، ولا بأس على المرء بعد ذلك أن ينشد في مخطوبته خلوها من العيوب لتقع في نفسه موقعاً يرضاه ؛ وقد رُوي أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة، فقال له النبي ﷺ : «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»(٢) ، أي فإنه أحرى أن تحصل بينكما الموافقة والملاءمة . .

وفي حديث جابر عندما خطب الجارية قال : «**كنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها**»(٣) .

ولم يحدد رسول الله ﷺ للمغيرة بن شعبة القدر الذي يراه من مخطوبته، بل أطلق له ذلك في حدود ما يسيغه عُرف البيئة .

---

(١) آداب الحياة الزوجية ، نقلاً عن المرأة في البيت والمجتمع للخولي .

(٢) رواه الترمذي، نكاح ٥ ، والنسائي، نكاح ١٧ ، وقال الترمذي : حديث حسن .

(٣) رواه أبو داود، نكاح ١٨ ، وابن ماجة، نكاح ٩ .

والمعروف أن الإسلام لايجيز للرجل أن ينظر من المرأة الأجنبية إلىٰ غير الوجه والكفين، ولكنه استثنىٰ ظرف الخطبة، فقال عليه السلام: **«إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»**(١) .

وما دام الأمر محدوداً بقيود الذوق العام وتقاليد أهل البيئة، فللخاطب في عصرنا الحالي أن يراها في الملابس التي تظهر بها لأبيها وأخيها ومحارمها بلا حرج. . بل له ـ في نطاق الحديث الشريف ـ أن يصحبها مع أبيها أو أحد محارمها ـ وهي بزيها الشرعي ـ إلىٰ ما اعتادت أن تذهب إليه من الزيارات أو الأماكن المباحة، ليختبر عقلها وذوقها وملامح شخصيتها، فإنه دخل في مفهوم «البعضية» التي تضمنها قوله عليه السلام: «فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه إلىٰ زواجها»، وهي بعضية إذ أباحت للخاطب رؤية الوجه والكفين، فأولىٰ أن تبيح له معرفة الخُلق والفضيلة، ومدىٰ لباقتها في بعض أنواع التصرف، فإن ذلك أحرىٰ ـ كما يقول الرسول عليه السلام ـ أن يؤدم بينهما. . أي يوفق بينهما.

وإطلاق الأحاديث النبوية في شأن الخطبة علىٰ هذا النحو بدون تحديد مدلول معين، هو من المرونة التي امتاز بها الإسلام، ويجوز بها لأهل كل عصر أن يعيشوا في نطاقها بما يلائم عرفهم وآدابهم ومصالحهم. . ذلك طرف من سماحة الإسلام ويسره واعتداله بين الأطراف المتناقضة . .

ولكن مما يدعو إلىٰ الأسف أن من المسلمين من تزمت فرفض سنة رسول الله ﷺ، فلم يبح للخاطب حتىٰ مجرد الرؤية. ومنهم من قلد الفرنجة فأباح بيته وعرضه، فيخلو الخاطب بخطيبته، أو يخرج معها دون محرم بلا قيد ولا شرط، ويكون من عواقب ذلك ما يكون. . والخير فيما اختار لنا الإسلام. . وعلىٰ العاقل الحكيم أن يستقبل كل أمره في ذلك علىٰ بصيرة وحذر وأناة، فلا يُمَكِّن خاطباً من حقه إلا بعد أن يدرسه ويطمئن إلىٰ دينه وخلقه وعقله، ويستبين جديته في الأمر، وصدق رغبته فيما يريد. . والله الموفق.

وروىٰ الإمام أحمد والطبراني عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه عن

---

(١) رواه الدارمي، نكاح ٥ ، والترمذي، نكاح ٥ ، وقال الترمذي: حديث حسن .

رسول الله ﷺ قال: « **إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته**»(١) .

يقول الإمام النووي في شرح الحديث: «وفي هذا دلالة لجواز ذكر مثل هذا للنصيحة وفيه استحباب النظر إلى وجه من يريد تزوجها . . ثم إنه إنما يباح له النظر إلى وجهها وكفيها فقط، لأنهما ليسا بعورة، ولأنه يستدل بالوجه على الجمال أو ضده، وبالكفين على خصوبة البدن أو عدمها . .

وقال أصحابنا: يستحب أن يكون نظره إليها قبل الخطبة حتى إن كرهها تركها من غير إيذاء بخلاف ما إذا تركها بعد الخطبة . . والله أعلم» .

الأمانة أيها الخاطب :

هذا ويجب على الرجل الخاطب أن يخبر بحقيقة حاله من غير غش ولاتدليس، فإن الغش مناف للدين، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من غشنا فليس منا**»(٢) .

وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لمن تزوج وهو لا يولد له: «أخبرها أنك عقيم» .

عن عائشة رضي الله عنها قال النبي ﷺ: «**إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها أنه يخضب**»(٣) .

فوائد وتوصيات :

١ ـ الفتيات ليست معروضات في الفاترينات تذهب تتفرج عليهن ثم تنصرف عن الفتاة لتجتر حسرتها، فإذا أردت الخطبة فعليك أن تراها بدون أن تعرف هي أو تشعر بذلك . . فهذا سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يتربص للمرأة عند الشجرة حتى رآها ثم خطبها .

(١ ، ٢) سبق تخريجهما .

(٣) رواه الديلمي في مسند الفردوس .

٢ ـ الخطبة وعد بالزواج ، فلذا يحرم على الخاطب الخلوة بمخطوبته، لأنها محرمة عليه حتى يعقد عليها فإذا وجد محرم جازت الخلوة ولا يترتب عليها أي حقوق شرعية من ميراث وغيره. . ولا يجوز تبادل الخطابات أو المكالمات.

٣ ـ الخاطب في فترة الخطبة ذو مظهر طيب وأنيق، ورائحة عطرة ذكية، وألفاظ رقيقة، وابتسامات عذبة. . وهدايا متواصلة. . والمأمول من الله أن تظل هذه الأخلاق بعد الزواج كما هي في فترة الخطبة، وترقى إلى الأحسن.

٤ ـ أيها الخاطب الكريم. . احذر الزيارات اليومية أو نصف اليومية، أو الإقامة شبه الدائمة عند المخطوبة حتى ولو كنت عاقداً. . خفف الزيارات لتكون لها بهجة وحدد لها موعداً أسبوعياً أو نصف أسبوعي على الأكثر. . وأن يكون له وقت محدد فلا تطيل السهر. . فأهل البيت لهم ظروفهم. ولا تكن كمن يسهرون إلى وقت متأخر من الليل. فيكفيك أن تجلس هنالك ساعتين مثلاً أو أي وقت محدد يطول أو يقصر حسب الظروف المهم ألا يتجاوز حد الوسط.

العقـد :

١ ـ **أركان الزواج** «إيجاب وقبول» الإيجاب ما صدر أولاً. . القبول ما صدر ثانياً.

٢ ـ **شروط الانعقاد:** لا يتحقق العقد ويترتب عليه الآثار الزوجية إلا إذا توافرت فيه الشروط الآتية:

١ ـ تمييز العاقدين «فالمجنون والصغير» لا ينعقد زواجهما.

٢ ـ اتحاد مجلس الإيجاب والقبول.

٣ ـ ألا يخالف القبول الإيجاب

٤ ـ سماع كل من المتعاقدين بعضهما من بعض.

شروط صيغة العقد: أن تكون بلفظين وضعاً للماضي أو أحدهما وضع للماضي والآخر للمستقبل.

مثال للأولى: أن يقول العاقد: زوجتك ابنتي، ويقول القابل: قبلت.

مثال للثاني: يقول للخاطب: أزوجك ابنتي، فيقول له: قبلت.

٣ ـ **شروط صحة الزواج:** إذا تم العقد ووقع صحيحاً فإنه يشترط لصحته الولي والشاهدان، لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها **«لا نكاح إلا بوليّ وشاهدي عدل»**(١) .

٤ ـ **شروط نفاذ العقد:** إذا تم العقد ووقع صحيحاً فإنه يشترط لنفاذه وعدم توقفه على إجازة أحد :

١ ـ أن يكون كل من المتعاقدين بالغاً عاقلاً حراً .

٢ ـ أن يكون كل من العاقدين ذا صفه تجعل له الحق في مباشرة العقد فلو كان العاقد فضولياً باشر العقد لا بوكالة ولا بولاية . فإذا استوفى شروط الانعقاد والصحة ينعقد صحيحاً موقوفاً على إجازة صاحب الشأن .

سلوك المسلم العاقد :

١ ـ ها قد أصبحتَ بعد العقد زوجاً يحل لك كل شيء إلا الجماع . . والجماع ليس حراماً . . ولكن لو حدث لابد وأن تعلن عن ذلك ويعرف الناس بذلك . لأنها الآن مدخول بها بعد العقد ولكن دخول حكمي .

ما هو الدخول الحكمي؟

في حكم المدخول بها لأن المعقود عليها في حكم المدخول بها .

ما هو الدخول الشرعي؟

بعد الدخلة يكون مدخولاً بها دخولاً شرعياً . . يُعْلَنْ أمام الناس .

انتبه: في الدخول الحكمي لابد من الإعلان . . لأنه لو حدث بينك وبينها شيء وحدث انفصال فماذا تقول فيها؟ بكر مطلقة ، أم ثيب؟

وماذا لو مات الزوج عنها؟ سيقال : إنه مدخول بها دخولاً حكمياً . . ومعنى ذلك أنها مازالت بكراً .

---

(١) رواه الدارقطني، واستدل البعض بهذا الحديث على أنه إذا شهد الشهود وأوصاهم المتعاقدان بكتمان العقد وعدم إذاعته كان العقد صحيحًا .

همسة: لذلك نهمس في أذن المعقود عليهما . . لا تدعي العاقد أبداً يصل إلىٰ درجة الدخول بك ولا مقدماته قبل الزفاف مهما كان هناك من مبررات وأسباب .

واقعة حدثت: جاءني أحد زملائي في عام ١٩٨٥م وكان مواظباً علىٰ حضور خطبة الجمعة في المسجد الذي أخطب فيه ، وقال لي : عقدت عقد زواجي منذ ما يقرب من عام ومنذ أيام كنت عند زوجتي (هي معقود عليها وما زالت في بيت أسرتها) ، وجامعتها وحان موعد الدورة ولم تأت وقمت بالتحليل لها فاتضح أنها حامل . . فماذا أصنع ؟ وما حكم هذا الجنين ؟ !

فقلت له : أما عن الجنين فهو ابن شرعي لك ، ولا توجد هناك شبهة زنا ، فأنت زوجها ، ولكن لم تدخل بها فهي مدخول بها دخولاً حكمياً ، ولكن عليك أن تعلن ذلك حتىٰ يعرف الناس ، وحينما يظهر حملها لا تُتَهم .

ثم قلت له : ما موعد الزواج المتفق عليه؟ قال : بعد ثمانية أشهر . .

قلت له : ألا تستطيع أن تنتهي من التجهيز في خلال شهرين ثم تتزوج؟

قال لي : إذن ستضع المولود بعد ستة أشهر من الزواج ، قلت له : ذلك جائز .

وذكرتُ له ما حدث بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، حينما أراد عمر أن يرجم المرأة التي ولدت لستة أشهر ، فقال له علي : قال الله : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (الأحقاف : ١٥) .

وقال عز ومن قائل : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ (لقمان : ١٤) .

إذن يجوز أن تلد المرأة لستة أشهر ، وذلك بعد طرح من الثلاثين شهراً العامين حيث يتبقىٰ ستة أشهر ، ثم قلت له : ولكني أحذرك من شيء إياك إياك أن تحاول في عملية الإجهاض ، لأنك بذلك تكون قد قتلت نفساً .

وانتظرت فترة طويلة ولم أسمع أنه تزوج . .

ثم قابلته فسألته : لماذا لم تتزوج كما اتفقنا؟ . .

قال : أنا قمت بعملية الإجهاض لها عند طبيب .

فقلت : سبحان الله يصر العبد على أن يرتكب الذنب وأي ذنب؟

إنه ذنبٌ قال عنه النبي ﷺ : « **لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»(١) .

٢ ـ أيها العاقد الكريم . . لا تتأخر في الزيارات وإياك من البقاء وقتاً طويلاً إلى ما بعد منتصف الليل .

٣ ـ لا تكثر من الخروج مع الزوجة . . لأن ذلك يجعلها في ضغط نفسي . . فالأهل يرفضون ذلك . . وأنت تصر عليه وهي حائرة بينكما .

٤ ـ حينما تخرج للفسحة معها عُد بها إلى منزلها مبكراً لا داعي للتأخر وليكن ذلك عند المغرب أو على الأقصى يكون عند العشاء .

٥ ـ لا تتحكم في خروجها مع أهلها مادامت في بيت أهلها . . فإذا طلب أبوها أن تخرج معه لشيء فلا تمنعها ، ثم تقول لها : اسمعي كلامي . . أقول لك : هي في بيت أهلها وعليها أن تطيع من ينفق عليها فإذا كنت تنفق عليها في بيت أبيها من مأكل ومشرب وملبس وكل شيء فالطاعة لك عليها لأن الطاعة لمن ينفق .

٦ ـ تعرَّف على أخلاقها وطباعها وصفاتها خلال فترة العقد ، وحاول أن تصلحها .

٧ ـ اتفق معها على كيفية حل المشاكل . . هل نقوم بحلها سوياً دون علم أحد أو ننتدب أحداً؟ . . وأنا من الآن اختار فلاناً . . وتقول : وأنا من الآن أختار فلانة في حالة المشاكل .

---

(١) رواه البخاري ، ديات ١ .

المبحث الرابع

ليلة الزفاف . . ليلة العمر

يسميها الشباب : «ليلة العمر»، والواقع أنها ليلة مجيدة في حياة الأسرة، ولاأقول عنها ليلة لأنها ليست ليلة واحدة بل هي بداية الليالي المهمة . . الليالي السعيدة . . وضعيف النظر هو الذي يراها ليلة واحدة . إنها بداية للسكن والمودة والرحمة . . والذكي هو الذي يبدأ هذه الرحلة الجميلة بداية صحيحة فمن صحت بدايته صحت نهايته . . وإليك هذا النموذج الرائع لهذه الفتاة .

عروس تعصي شيطانها ليلة زفافها (١) :

أخي القارئ . . هذه القصة التي بين يديك ليست من ضرب الخيال فهي واقعية حدثت بالفعل وكثيراً ما يحدث مثلها ولكن مَنْ المُعتَبِر والمتعظ؟

لذلك أرجو منك ـ أخي القارئ ـ أن تذكر لنفسك ما أنت فاعله بعد الانتهاء من قراءتها . . وإليك ملخصاً للقصة .

الليلة موعد زفاف العروس، وكل الترتيبات قد اكتملت، الكل مهتم بها : أمها وأخواتها وجميع أقاربها . . الجميع بانتظار الكوافيرة التي ستأتي بعد العصر لتجهيز العروس للحفل . . تأخرت الكوافيرة ومضى الوقت ثم وصلت وبدأت عملها حتى اقترب موعد أذان المغرب طلبت العروس من الكوافيرة أن تعجل في عملها قبل أن يؤذن للمغرب .

وتمضي اللحظات . . وفجأة انطلق صوت الحق «الله أكبر . . الله أكبر» . . إنه أذان المغرب . . العروس تقول : بسرعة فوقت المغرب قصير، الكوافيرة ترد قائلة : نحتاج إلى بعض الوقت . . اصبري .

---

(١) مجلة منار الإسلام، رمضان ١٤٢٧هـ .

ويمضي الوقت ويكاد وقت المغرب ينتهي والعروس تصر على الصلاة، والجميع يحاول أن يثنيها إلى أن تنتهي الكوافيرة من عملها قائلين: «إذا توضأت فستهدمين ما عملناه في ساعات»، لكن العروس تصر على موقفها.

وفجأة قامت العروس بشموخ المسلمة لتتوضأ ضاربة بعرض الحائط نصائح أهلها.. فتبدأ وضوءها: بسم الله، وتفرش السجادة لتبدأ بالصلاة: الله أكبر.

نعم.. الله أكبر من كل شيء.. أكبر مهما كان الأمر..

وها هي العروس في التشهد الأخير من صلاتها وما إن سلمت عن يسارها.. حتى أسلمت روحها إلى بارئها.. ورحلت طائعة لربها.. عاصية لشيطانها..

ندعو الله أن تكون قد زُفَتْ إلى جنات الخلد.

من فقه الأفراح:

١ ـ **الإعلان عن الزواج**، لأن النبي ﷺ كان يكره نكاح السر حتى يُضرب بدف.

٢ ـ **استعمال الدف** في حفل الزواج مشروع للرجال والنساء على السواء للحديث: «**أعلنوا .. واضربوا..**».. وهذه الألفاظ جمع مذكر.. والنساء تُخَاطَب ضمن الرجال[1].

٣ ـ **الأناشيد الإسلامية** التي تحث على الفضيلة مشروعة للرجال والنساء أيضاً على السواء[2]..

الوصية الأولى: من آداب ليلة الزفاف:

١ ـ فقه القُبْلَة:

إنها همزة وصل بين قلبين متحابين.. تلك هي القبلة[3].. وقبلة الزوج لزوجته.. وهي القبلة التي أولاها الإسلام عناية بالغة فقال ﷺ: «**لا يقعن أحدكم**

(١، ٢) راجع هذه المسألة في باب الفقه (الباب الثاني) من هذه الموسوعة.

(٣) آداب الحياة الزوجية، مصدر سابق.

على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول. قيل: «وما الرسول يا رسول الله ﷺ ؟»، قال: «**القُبْلَة والكلام**»[١].

ولقد كان رسول الله ﷺ يُقَبِّل السيدة عائشة رضي الله عنها ويمص لسانها[٢].

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «**نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل المداعبة**»[٣].

والرسول ﷺ بذلك الحديث الاجتماعي النفسي يقنن مبدأ من أهم مبادئ الحياة الجنسية العملية القويمة، فلابد للنتيجة من مقدمة، ولابد للغاية من وسيلة وطريقة، وأول طريقة للتجاوب الجنسي السعيد: قُبلات وكلمات وهمسات تهيئ الجسد.. وتوجد الرغبة.. وتوصل للامتزاج والتجاوب الحق.

والعملية الجنسية إذا كان فيها تجاوب ووفاق فإنها تحجب وتُبْعِد كل ما يقف في طريق الحياة الزوجية من عقبات.. وذَلَّلَت كل صعب، وسارت سفينة الحياة الزوجية ثابتة وسط الأنواء والأعاصير.

أما إذا انعدم التجاوب جَدَّت المشاكل ووجدت المشاكسات والمنازعات، لأن كثيراً من المشاحنات والاهتزازات الأسرية، ولا سيما في بدء الحياة الزوجية، مردها إلى اضطراب الحياة الجنسية.. فكم من أسر تقوضت لأن التوافق الجنسي والتكافؤ الجسدي معدوم بين الزوجين، أو لأن معاشرتهما الجنسية قائمة على الفوضى وعدم الانسجام.. فلا وسائل ولا مقدمات، بل قَسْرٌ وتوحش واغتصاب أو أنانية؛ يقضي الرجل وطره من زوجته ويتركها قبل أن تقضي وطرها منه.

يقول **الإمام الغزالي**: «**ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضاً نهمتها، فإن إنزالها ربما تأخر فيهيج شهوتها.. ثم القعود عنها إزاء لها**

(١) رواه أبو منصور والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) رواه أبو داود، صوم ٣٤، أحمد: ٦/ ١٢٣ ـ ٢٣٤.
(٣) ابن القيم، زاد المعاد، جـ٣، ص ٣٠٩، ط. السنة المحمدية، نقلاً عن فتاوى معاصرة، للدكتور يوسف القرضاوي.

والاختلاف في طبع الإنزال يوجد التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال. والتوافق في وقت الإنزال ألذ عندها وليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحي»(١).

وملاعبة الرجل امرأته من أهم المسائل التي عني بها علماء فلسفة التناسليات في العصر الحديث، ووضعها الإسلام قبلهم بأكثر من ثلاثة عشر قرناً، وذلك لتنبيه الغافلين إلى أمور تتحقق بها السعادة الزوجية، وتزكو بها إلى نار الحب عند الزوجة وتجعل العلاقة بين القرينين أرفع من أن تكون مجرد عمل آلي بعيد عن العطف والمودة، عار من الحب والحنان.

والقُبْلَة الزوجية (٢) عند الفراق ولدى اللقاء، ليست وليدة المدنية الحاضرة، ولانابعة من عادات الغرب، إنما هي تقليد إسلامي حرص عليه أكثر المسلمين الأوائل، وبخاصة بعد أن جعل الإسلام القبلة لا تفسد صوماً ولا تنقض وضوءاً.

وذَكَرَتْ عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قَبَّلها وهو صائم وقال: «**إن القُبلة لا تنقض الوضوء، ولا تفطر الصائم**»(٣).

وعند البخاري «**أن النبي ﷺ قَبَّل وقام إلى الصلاة ولم يتوضأ**»(٤).

وكذلك قالت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ زوج الرسول أنه كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر ولا يجدد وضوءاً.

---

(١) كتاب إحياء علوم الدين، جـ ٢، باب أدب المعاشرة.

(٢) أنواع القُبَل: * قُبلة الشوق: على الخدين.
* قبلة الرضا: على الجبين.
* قبلة الاعتراف بالفضل: على اليدين.
* قبلة الاعتذار الرقيق: على الرأس.
يقول: د. صلاح سلطان: اجعل هذه القبلات سبيلاً إلى قبلات الاشتهاء.. راجع كتاب: مفاتيح الحب القلبي، ص ٤١.

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه وأخرجه البزار بسند حسن. (سبق تخريجه).

(٤) رواه البخاري، وضوء ٥، ٥٠، ٥١، ٥٤، أذان ٤٣، ٧٧، جنائز ٨، جهاد ٩٢، مغازي ٣٨، أطعمة ١٨، ومسلم، حيض ٩١ ـ ٩٤.

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : «هششت فقبلت وأنا صائم، فقلتُ: يا رسول الله ﷺ ، صنعت اليوم أمراً عظيماً: فقبلت وأنا صائم».

فقال ﷺ : **«أرأيت لو مضمضت من الماء وأنت صائم؟»**(١) .

قلتُ: «لا بأس»، فقال : «فمه ؟ » .

٢ ـ المداعبة(٢) :

من سنن الإسلام مداعبة الزوجة. والمرح معها وملاعبتها قد كان رسول الله ﷺ يمزح مع نسائه وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روى النسائي وأبو داود وابن ماجة أنه كان يسابق عائشة في العدو ؛ فسبقته يوماً، ثم سبقها في بعض الأيام فقال : «هذه بتلك» .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ بالرغم من خشونته المعروفة ـ: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وُجِدَ رجلاً».

وعن جارية بن وهب الخزاعي، أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»**(٣) .

وفي رواية لأبي داود: **«لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري»**.

أي الشديد على أهله، المتكبر في نفسه.

أنواع اللمسات(٤) :

* المصافحة في أول اللقاء .

---

(١) الدارمي، صوم ٢١، وابن ماجة في صحيحه، وأبو داود، صوم ٣٣، وابن حُميد في مسنده ١/ ٣٧، والترمذي، صوم ٣١، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) آداب الحياة الزوجية . . مصدر سابق.

(٣) رواه البخاري، إيمان ٩، أدب ٦، تفسير سورة٦٨، ومسلم، جنة ٤٦ . .

(٤) مفاتيح الحب القلبي بين الزوجين، أ.د. صلاح سلطان، ص ٤٧، الطبعة الثانية، سلطان للنشر ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، والحديث جزء من حديث رواه البخاري عن عائشة.

* لمسة على الشعر .
* لمسة على الحاجبين .
* لمسة على الخدين .
* لمسة على اليدين .
* لمسة للأرجل عند الجلوس قريباً .
* لمسات أثناء الكلام .

استشهاد نبوي : زوجي . . «المس مس أرنب، والريح ريح زرنب، وأنا أغلبه والناس يُغْلَب» . . بهذه الكلمات أثنت الزوجة على لمسات زوجها الرقيقة، ورائحته الجميلة، وشخصيته الشفيقة .

وفي حديث النبي ﷺ لجابر : «**هَلاَّ بكراً تلاعبها وتلاعبك**»(١) .

ولكن التوسط في المداعبة خير كالتوسط في كل الأمور، ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى، ويقرأ: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤** ﴾ (الإخلاص) .

أولاً . . ويكبر ويهلل ويقول: «**بسم الله تعالى العلى العظيم، اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدَّرْت أن تخرج ذلك من صلبي**» .

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: « **لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: اللهم جنِّبْني الشيطان، وَجَنِّب الشيطان ما رزقتنا.. فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان**»(٢) .

وإذا قربت من الإنزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾ (الفرقان: ٥٤) .

---

(١) رواه البخاري ، نكاح ٩ ، باب نكاح الأبكار .

(٢) رواه البخاري، بدء الخلق ١١ ، وضوء ٨ ، نكاح ٦٦ ، دعوات ٥٥ ، توحيد ١٣ ، ومسلم، طلاق ٦ .

ثم ينحرف عن القِبْلَة، ولا يستقبلها بالوقاع، إكراماً لِلْقِبْلَة .

ولا يجامع الرجل زوجته في المحيض، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل فهو مُحَرَّم في القرآن والسنة، وقد أثبت العلم الحديث أضراراً جسيمة تتعرض لها المرأة والرجل إذا التقىٰ ختاناهما في المحيض أو النفاس، كما أن إزالة غشاء البكارة قد يصحبه تسرب بعض الميكروبات إلىٰ الدم مما قد يؤدي إلىٰ إصابة الصمامات التالفة بالالتهاب الخبيث وما جرىٰ عليه العوام من إزالتها بالإصبع بوحشية عمل غير إسلامي .

قال **الغزالي** ـ رحمه الله ـ: «وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في الدبر وهو أشد تحريماً من إتيان الحائض، قال تعالىٰ: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

يعني: أي وقت شئتم وله أن يستمني بيديها وأن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهي سوىٰ الوقاع «الجماع» ينبغي أن تتزر المرأة بإزار من حقوها «الخصر» إلىٰ فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب، وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها .

ويأثم من أتىٰ أمرأته في دبرها ولكنها لا تُطلق، كما هو مفهوم العوام ولم يخرج بعمله من الإسلام ما لم يستحل ذلك بعد علمه بالتحريم، بل هو مذنب عليه أن يستغفر الله . وفعله شذوذ في العلاقة الجنسية وعقوق لحق الأنثىٰ .

ثم قال الغزالي: «وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرىٰ فليغسل فرجه أولاً تنشيطاً لنفسه، وإن احتلم فلا يجامع حتىٰ يغسل فرجه أو يبول» .

ومن الآداب ألا يعزل **«فما من نسمة قضى الله أن تكون إلا وهي كائنه»**(١) .

---

(١) رواه البخاري، بيوع ١٠٩، قدر ٤ .

وصايا قبل الزفاف :

واوصت امرأة عوف بن محلم الشيباني ابنتها عند زفافها إلى ملك كندة، فقالت لها: أي بنية . .

إنك قد فارقتي بيتك الذي منه خرجت . .

وعشك الذي فيه درجت إلىٰ وكرٍ لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه . .

فكوني له أمة يكن لكي عبداً . .

واحفظي له عشر خصال يَكُنَّ لكي ذخراً :

- أما الأولىٰ والثانية : فالصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .
- وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك علىٰ قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء والصابون أطيب الطيب المفقود .
- وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيض النوم مغضبة .
- وأما السابعة والثامنة : فالعناية ببيته وماله ، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله .
- وملاك الأمر في المال حسن التدبير .
- وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشي له سراً ، ولا تعصي له أمراً فإنك إن أفشيت سره لم تأمنىٰ غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره .

ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً . .

فإن الخصلة الأولىٰ من التقصير ، والثانية من التكدير . .

وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً ، يكون أشد ما يكون لك إكراماً . .

وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما يكون لك موافقة . .

واعلمي أنك لا تَصِلين إلىٰ ما تحبين حتىٰ تؤثري رضاه علىٰ رضاك ، وهواه علىٰ هواك فيما أحببتِ وكرهتِ . . والله يخير لك .

وأوصي بناتي (١) فأقول لهن:

أولاً: عمدة الوصايا كلها: «اصدقي الله في معاملة زوجك ?عامليه معاملة طيبة بصدق وإخلاص إرضاءً لله تعالىٰ».

ثانياً: وصايا المواقف:

الموقف	من ينفذ الوصية؟	الوصية
الزوج في المنزل	عينك	دائماً عليه لا يغيب عنك حتىٰ ولو نام تفقدية بين الحين والآخر
الزوج في العمل	لسانك	دائم السؤال عليه والاتصال به والدعاء له
الزوج في السفر	قلبك	دائما مشغول به ماذا تأكل - ماذا تشرب - أخبار صحتك.
الزوج في المحنة	عينك ولسانك وقلبك	أصدق توصية في ذلك موقف سُعدي(٢) مع زوجها

ثالثاً: ما يحتاجه الزوج:

الزوج	الاحتياج	النصيحة
عقل الزوج	الاحترام	احترم تُحترم (قاعدة عامة : الزوج أولي بها)
جسم الزوج	اللمس	اللمسة الرقيقة الحانية أفضل في جميع المواقف
قلب الزوج	الرحمة	لا تعرضي عليه إلا المشاكل التي لا تستطيعي حلها
أذن الزوج	القول الحسن	احذري أن يسمع منك لفظاً قبيحاً أو رداً سيئاً
عين الزوج	الجمال	احرصي علىٰ جمال المظهر والجوهر ، فالجمال روح
أنف الزوج	الطِيب	أطيب الطِيب الماء
جيب الزوج	الرفق	تجنبي كثرة الطلبات وخاصة الشخصية لك

(١) أريد بذلك البنوة الخاصة والعامة .

(٢) راجع : الزوجة الوفية كأنك تراها في هذا الباب .

رابعاً : أعظم وصية عملية :

عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

«ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟» .

قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : **«كل ودود ولود إذا غَضبت أو أُسيئ إليها أو غَضب زوجها قالت : هذه يدي في يديك لا اكتحلُ بَغمض حتى ترضى»**(١) .

---

(١) رواه الطبراني، ورواته محتج بهم في الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشي، فإنني لم أقف فيه على جرح ولا تعديل، وقد روي هذا المتن من حديث ابن عباس وكعب بن عجرة وغيرهما، وفي الترغيب رقم ٢٨٤٤ .

المبحث الخامس

الزوجـــة.. ما لهـا وما عليهـا (١)

يقول الزوج : ما حقي . . وتقول الزوجة : حقي . . إن حقي أكبر منك .

وأقول لهما : الحقوق ذكرها الله في كتابه فقال :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .

هذه الدرجة درجة إنفاق وقيادة وريادة . . وليست درجة تفضيل .

أقول للزوجة : تزيني لزوجك . .

وأقول للزوج : تزين لزوجتك . .

أقول للزوجة : عليك بالألفاظ الطيبة . .

وأقول للزوج : عليك بالألفاظ الطيبة . .

أما الفصل بين واجبات الزوجة وواجبات الزوج فهو فصل نظري . . أما الحقيقة أن السعادة الزوجية يصنعها الاثنان معاً، والدليل على ذلك أن الله قال : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ لم يقل الله جعل منكم . . ولم يقل جعل منكَ . . ولم يقل جعل منكِ . . فأنتما شركاء فيه . . لأنه أمر متبادل .

دستور الحقوق بين الزوجين :

يضع مواده رسول الله ﷺ :

---

(١) لماذا نبدأ بالزوجة قبل الزوج؟ . . أليس الرجل هو رب الأسرة وقائد المنزل؟ . . أليس له القوامة أليس . . أليس . . ؟ نعم . . ولكن الزوجة تقوم بأخطر الأدوار، ألا وهي :

١ - تربية الأولاد، فالأم مدرسة إن أعددتها . . أعددت شعباً طيب الأعراق .

٢ - قول الرسول ﷺ : «أمك ثم أمك ثم أمك..» وذلك للصحابي الذي سأل : «من أحق الناس بحسن صحابتي أمك . . ثم أمك . .» .

عن عمرو بن الأحوص الجشمي أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعد أن حمد الله وأثنىٰ عليه، وذكَّر ووعظ قال: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم، وليس تملكون منهن شيئاً غير ذلكم إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**»(١) .

وعن معاوية بن عميرة قلت: «يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟».
قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**»(٢) .

نصائح للزوجة :

١ ـ احرصي علىٰ الاستيقاظ قبله وتجهيز الإفطار والملابس له.

٢ ـ الوقوف بين يديه عند ارتدائه ملابسه وحتىٰ خروجه وتوديعه عند الباب.

٣ ـ الاهتمام بمظهره ـ حتىٰ لو كان لا يهتم بذلك ـ إلا أنه سيسعد كثيراً إذا ما أثنىٰ زملاؤه علىٰ أناقته.. والفضل لك.

٤ ـ حسن استقبال الزوج عند عودته من الخارج، وذلك بـ :

أ ـ طلاقة الوجه عند لقائه، والتفاعل دائماً مع أحواله.

ب ـ التزين له بالثياب النظيفة الجميلة، والعطر الفواح، فيشعر بالسرور والارتياح.

جـ ـ ملاقاته بالأخبار السارة السعيدة والابتعاد تماماً في هذه اللحظة عن الشكوىٰ والألم مهما كان الأمر صعباً.

د ـ عبارات الشوق والانتظار لعودته، والأنس بقربه، والسعادة في ظله، وإشعاره بذلك كله عند استقباله.

---

(١) رواه البخاري، نكاح ٨٠، أنبياء ١، ومسلم، رضاع ٦٢ .

(٢) رواه أبو داود، نكاح ٤١، وابن حبان في صحيحه.

هـ ـ إشراك الأولاد في استقبال الأب عند عودته من الخارج .

و ـ استقبلي كل ما يأتي به للبيت من مأكل وأشياء أخرىٰ بشكر وثناء عليها .

ز ـ إعداد الطعام، واتقانه ، وعدم تأخيره .

٥ ـ عدم تقديم شكوىٰ للزوج من الأولاد لحظة عودته ، أو استيقاظه من النوم ، أو علىٰ الطعام لأن لذلك آثاراً سيئة علىٰ الوالد وعلىٰ الأولاد .

٦ ـ تذكري دائماً أنوثتك وحافظي عليها .

٧ ـ خاطبي زوجك بأرق صوت لك ، لتدخلي السرور والطرب عليه ، وأقبلي عليه أثناء مخاطبتك وناديه بأحب الأسماء إليه .

٨ ـ كوني كل ليلة عروس له ، ولا تسبقيه للنوم إلا لضرورة .

٩ ـ استجيبي لزوجك بسرعة ، إذا دعاك إلىٰ فراشه ، وتلمسي لذلك أوقاته ، مثل : العودة من السفر ، ليالي الأعياد والأفراح ، والصلح بعد الهجر ، وأوقات النجاح ، وأوقات الفتن ويجب عدم الاتكال علىٰ أنه هو الذي يبادرك دائماً ، ويبدي رغبته فيك ، فإذا ما شعرت من كلامه أو نظراته برغبته فيك عليك بالاستجابة والمبادرة فإن ذلك يرضىٰ رجولته وكل ذلك ينعكس عليك .

١٠ ـ تذكري دائماً أن كل ذلك وسيلة تتقربين بها إلىٰ الله تعالىٰ (مع عدم تذكيره بذلك ، ولكن ليكن هذا الأمر بينك وبين ربك ، أي : لا تقولي له إني أطيعك اتقاء لربي أو شيئاً من هذا القبيل) .

١١ ـ الرضا بما قسمه الله لك من رزق ، ومال ، وجمال ، وتعليم ، وجميع حظوظ الدنيا وانظري لمن هو دونك في الدنيا فالسعادة الحقيقية هي التزين بلباس التقوىٰ ، وفي حسن الخلق ، وصالح الأعمال .

١٢ ـ الاعتراف لزوجك بالجميل ، حتىٰ تدوم بينكما الألفة والمحبة ، فهو الذي ستر عرضك وعفك عن الحرام ، وهو الذي يتعب ويتحمل المشاق من أجل الإنفاق عليك وعلىٰ أولادك وتوفير احتياجاتكم بدون من ولا أذىٰ .

١٣ ـ إشعاره دائماً أن تربيتك لأبنائه ستكون أفضل ما تكون بفضل دعائه واستشارته ـ وذلك رغم انشغاله ـ واستشيريه دائماً، فيما يخصك، ويخص البيت والأولاد دون عرض التوافه من الأمور، وعدم الاستقلال تماماً عنه بدعوىٰ إنشغاله إذ يجب أن يكون له دور ولو بالمتابعة والنصيحة.

١٤ ـ طاعته في كل أمر، فلا تخرجي من بيته إلا بإذنه، ولا تصومي نافلة إلا بإذنه، ولاترددي أو تتباطئي عند طلبه شيئاً منك، بل الحرص دائماً علىٰ تقديمه بروح طيبة.

١٥ ـ ابتعدي عما يغضب زوجك واجتنبي كل ما يكرهه من قول أو عمل سواء كان ذلك صغيراً أو كبير، والتمسي له العذر دائماً عندما يغضب، فقد يكون سبب ذلك الإرهاق من العمل أو مشاكل في عمله . . إلخ، فتحلي بالصبر والهدوء في هذه اللحظات ولا تكثري من الأسئلة في هذا الوقت، وإياك من مبادلة الغضب بغضب أو بصوتٍ عالٍ، بل التزمي الصمت مع الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وعليك بطاعته الفورية، ولا تضطريه إلىٰ أن يعبر عن ضيقه من أي أمر بالعبارات، بل يكفي التلميح، فتبادرين بأخذ خطوة.

١٦ ـ لا يغريكِ لين شخصية زوجك وطيبته، أو قلة ماله، أو علمه، أو حسبه بمعصيته، ولكن اتق الله فيه، وأديه حقه، فإن أكرمكم عند الله أتقاكم.

١٧ ـ عليك بالاعتذار عند حدوث خطأ منك واحذري الكبر، والعناد، والجدل، والمراء ولا تنتظري، أو تتوقعي منه كلمة أسف أو اعتذار إذا ما كان هو المخطئ، بل لا تضعيه في هذا الموضع إلا إذا فعلها من تلقاء نفسه، وكان الأمر محتاجاً للاعتذار فعلاً، بل يجب أن يغلب عليك التراضي، والتسامح، والتغافل عن صغائر الأمور فإن ذلك من شيم الكرام ومن أسباب دوام الود والألفة والوئام.

١٨ ـ احتفظي بأسرار زوجك ولا تبوحي بها لأي أحد مهما كانت الظروف.

١٩ ـ الحفاظ علىٰ أوراقه وأدواته الخاصة وعدم إهمالها.

٢٠ ـ احفظيه في أولاده بحسن التربية والتعليم والتأديب والاهتمام بصحتهم.

٢١ ـ عدم التدخل عند مؤاخذة الأب لأبنائه على أي أمر.

٢٢ ـ الحرص على إيجاد علاقة جيدة بين الأبناء والأب مهما كانت مشاغله، ولكن بحكمة ودون تعطيل لأعماله.

٢٣ ـ احفظيه في ماله، فلا تتصرفي في شيء إلا برضاه، ولا تبذري، ولا تسرفي فإن ذلك من فعل الشيطان.

٢٤ ـ حسن إدارة البيت وعدم إشعاره بالارتباك في الأمور المنزلية.

٢٥ ـ احفظيه في نفسك وعرضك، بالابتعاد عن مواطن الريب والفساد، والاختلاط بالأجانب، ومجالسة الفسقه من النساء والرجال، وبغض البصر عن المحارم.

٢٦ ـ عدم التفريق في المعاملة بين والديك ووالديه.

٢٧ ـ أكرمي أهله وأحسني استقبالهم وتعاملي معهم دائماً بالعفو والصفح وتحمل الإساءات، ولا تقابلي الخطأ بالخطأ، بل عالجي الأمور بحكمة وهدوء.

٢٨ ـ الاهتمام بضيوفه وعدم الامتعاض من كثرة ترددهم عليه، بل الحرص على إكرامهم لأن هذا يشرفه.

٢٩ ـ واسي زوجك عند المصيبة للتخفيف عنه، واستقبلي المصائب بالصبر الجميل والرضى والتسليم، فلا جزع، ولا هلع، ولا ضيق، ولا سخط.

٣٠ ـ اصبري على ضيق المعيشة بالزهد، والرضا بالقليل، والقناعة بالموجود وتخفيف الطلبات والاستغناء عن الكماليات والخدمة بنفسك مهما كانت المشقات.

٣١ ـ كوني كثيرة الذكر لربك، محافظة على وردك اليومي ـ ولو قليلاً ـ واجلسي أنت وزوجك بعد صلاة الفجر، لتلاوة الأذكار والتسبيح.

٣٢ ـ تعاوني مع زوجك في صيام بعض الأيام المسنونة، وساعديه على الصدقات وسائر الطاعات وعلى بر والديه وأقاربه.

٣٣ ـ أشعريه دائماً بأن واجباته لها الأولوية الأولى مهما كانت أهمية مشغولياتك.

٣٤ـ إعتني بشئون منزلك من نظافة، ونظام، واتقان لصنع الطعام، والحلوىٰ مما يشجع النفس ويفتح الشهية ويزيل الملل من النفوس.

٣٥ـ التجديد الدائم في كل شيء شكلك، والبيت، وتغيير موضع الأثاث خاصة قبل عودته من السفر وإشعاره بأن ذلك من أجل إسعاده.

٣٦ـ لا بأس بإعداد حفل أسري صغير بمناسبة: عودته من السفر، أو ترقيته في عمله، أو شفائه من مرض.. إلخ.

المبحث السادس

الـــزوج .. ما لــه وما عليــه

أولاً : واجبات على الزوج.. أو حق الزوجة على زوجها :

١ ـ الإحسان إليها في الكسوة والطعام :

أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت . . والإنفاق يكون في حدود الطاقة، قال تعالىٰ: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: ٧).

وليس من المروءة والرجولة أن ينفق الزوج علىٰ نفسه بسعة . . ثم يبخل علىٰ زوجته وبنيه، فعن وهب بن جابر أن مولىٰ لعبد الله بن عمر قال: «إني أريد أن أقيم هذا الشهر ههنا في بيت المقدس» . فقال له ابن عمر: « هل تركتَ لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر؟» . قال: «لا» . قال: فارجع إلىٰ أهلك فاترك لهم ما يقوتهم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت**»[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دينار أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار تصدقتَ به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك.. أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**»[2].

عن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر**» . قال: فأتيتُ زوجتي فسقيتها وحدثتها بما سمعت من رسول الله ﷺ[3] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح ٢/ ١٦٠ ، وأبو داود، زكاة ٤٥ .

(٢) رواه مسلم، زكاة ٣٨ .

(٣) رواه أحمد ٤/ ١٢٨ ، والطبراني في الكبير والأوسط .

هذا الإنفاق من أسباب القوامة للرجل على المرأة، قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (النساء: ٣٤). والنفقة واجبة على الزوج ولو كانت زوجته موسرة.

٢ ـ من حق الزوجة على زوجها حسن المعاشرة:

جعل الإسلام العشرة بالمعروف فريضة على الرجال حتى في حالة كراهية الزوج لزوجته، قال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ (النساء: ١٩).

١ ـ إذا أذنبت وجب أن يكون العقاب بقدر الذنب تأديباً لا انتقاماً، يقول **الإمام الغزالي**: «للمرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف، وأن يحسن خلقه معها، وليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها. . بل احتمال الأذى منها».

٢ ـ وكان النبي ﷺ يمزح مع نسائه، وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق لقول الله تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾.

٣ ـ فإذا حدث الملل لطول العشرة تذكر قوله تعالى: ﴿ **فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾. والنبي ﷺ ينصحك أن تتذكر ما فيها من فضل فيقول: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضى منها آخر**»(١).

٤ ـ نهى الإسلام عن كل ألوان الغدر حتى ما تقتضيه طبيعة الرجل وهو الغيرة والرغبة في الاستيثاق، فنهى عن سوء الظن، وقد رُوي «**نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهن أو يطلب عثراتهن**»(٢).

نماذج من حسن المعاشرة «من عوامل استقرار الأسرة»:

عن أنس قال: كان النبي ﷺعند السيدة عائشة رضي الله عنها مع بعض أصحابه فأرسلت السيدة صفية له صحفة فيها طعام فضربتها السيدة عائشة فسقطت

---

(١) رواه مسلم، رضاع ٦٣، ومعنى لا يفرك، أي: لا يهنها.

(٢) رواه الحاكم.

من يدم الخادم فانكسرت، فقال النبي ﷺ: «**غارت أمكم**»، وجمع الطعام وأرسل الخادم بصحفة من عند السيدة عائشة رضي الله عنها إلىٰ السيدة صفية مكان التي كسرت(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: «حسبك من صفية كذا وكذا» (تعني قصيرة) قال لها: «**لقد قُلتِ كلمة لو مزجت جاء البحر لمزجته**»(٢).

وكان النبي ﷺ في غاية السماحة والصفح مع أزواجه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**إني لأعلم إن كنت عني راضية وإذا كنت عليَّ غضبى**». قالت: قلت من أين؟ قال: «**أما إذا كانت راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإن كنت غضبى تقولين لا ورب إبراهيم**». . قلتُ: «أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك»(٣).

كيف كان عمر بن الخطاب؟

غاضب أعرابي زوجته فعلا صوتها صوته، فساءه ذلك منها، وأنكره عليها، ثم قال: «والله لأشكونك إلىٰ أمير المؤمنين»، وما إن كان بباب بيت أمير المؤمنين ينتظر خروجه حتىٰ سمع امرأته تستطيل عليه وتقول: «اتق الله يا عمر فيما ولاك»، وهو ساكت لا يتكلم.

فقال الرجل في نفسه وهو يهم بالانصراف: «إذا كان هذا هو حال أمير المؤمنين فكيف حالي»، وفيما هو كذلك خرج عمر ولما رآه قال له: «ما حاجتك يا أخا العرب؟»، فقصَّ الأعرابي قصته، فتبسم عمر وقال: «يا أخا الإسلام إني احتملتها لحقوق عليَّ، إنها طباخة لطعامي، خبازة لخبزي، مرضعة لأولادي، غاسلة لثيابي، وبقدر صبري عليها يكون ثوابي».

---

(١) رواه البخاري، كما ذكر ذلك الدارمي، بيوع ٥٨ .

(٢) رواه أبو داود، أدب ٣٥، والترمذي، قيامة ٥١، وقال: حسن صحيح، ومعنىٰ مزجته: أي خالطته وعكرته.

(٣) رواه البخاري، نكاح ١٠٨، ومسلم، فضائل الصحابة ٨٠ .

٣ ـ أن يحافظ على دينها ويرعى سلوكها :

فعلى الرجل أن يهتم بتوجيه زوجته إلى الخير فلا يدعها تنحرف أو تعوج : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ...** ﴾ (التحريم : ٦).

وعليه أن يرشدها إلى الخير ، ويبعدها عن الشر ، ويعلمها دينها ، ويعلمها العفة ، أي يكون غيوراً عليها .

وهذه صورة رائعة لزوجين مخبتين يتذوقان حلاوة الطاعة ، قال تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (التوبة : ٧١).

ويقول النبي ﷺ : «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، ثم أيقظ زوجته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء...**»(١) .

٤ ـ أن يتزين لها :

فقد اتت امراة بزوجها وهو اشعث اغبر إلى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقالت : «يا أمير المؤمنين لا أنا ولا هو لي خلصني منه» . . فنظر إليه عمر ، وعرف ما كرهت منه . . فأشار إلى رجل وقال له : «اذهب بهذا وحممه وقلم أظافره ، وخذ من شعره وائتني به» . . فذهب وفعل ذلك ثم أتاه ، فأومأ إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (للزوج) أي خذ بيد زوجتك . . وهي لا تعرفه . .

فقالت : «يا عبد الله سبحان الله أبين يدي أمير المؤمنين تفعل هذا؟» .

تقول : «فما عرفته» .

فقال عمر : «هكذا فاصنعوا لهن ، إنهن يحببن أن تزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم»(٢) .

---

(١) رواه أبو داود، تطوع ١٨ ، وتر ١٣ ، والنسائي ، قيام الليل ٥ ، وأحمد ٢/ ٢٥٠ .

(٢) الحقوق الإسلامية ، للشيخ : طه عفيفي .

لقد نفرت المرأة من زوجها شعره الأشعث ، وطول أظافره ، وقذارة جسمه ، فعافت العشرة في ظلاله ، وكرهت العيش في كنفه . .

وروىٰ أن **شيخاً أشيب رأى امرأة أعجبه حسنها** فسألها : ألك بعل؟ قالت : لا ، فقال لها : فإني أخطبك ، قالت : لمن تخطبي؟ ، قال : أخطبك لنفسي . . قالت : ولكن فيَّ شيء قد لا يعجبك ، قال : ما هو؟ ، قالت : شيبٌ في رأسي ، فأعرض عنها وهمَّ أن يفر ، فقالت له : مهلاً أيها الشيخ ، فوالله ما في رأسي شعرة واحدة بيضاء . . وإني لبنت عشرين ، فقال لها : ولماذا تكذبين؟

قالت : لأعلمك أننا معشر النساء نكره من الرجال ما يكرهون منا ، ونحب فيهم ما يحبون فينا ، فتجمل الرجل وانصرف .

أيها الأزواج نظفوا أسنانكم!!

ذهبت امرأة إلىٰ أمير المؤمنين تشكو زوجها ، فسألها أمير المؤمنين عن سبب الشكوىٰ ، فقالت قصيدة من الشعر تشكو رائحة فم زوجها .

٥ ـ ألا يزهد فيها ويهجر مضجعها بدون سبب شرعي :

فعن أنس أنه جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته . . فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها . . فقال أحدهم : «أما أنا أصوم النهار ولا أفطر» ، وقال الثاني : «أقوم الليل لا أنام» ، وقال الثالث : «أعتزل النساء ولا أتزوج» . .

فخرج عليهم النبي ﷺ ، وقال : **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا.. أما إني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**(١) .

ثم تأمل هذا الموقف الرائع: روىٰ أن امرأة أتت إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقالت : «يا أمير المؤمنين ، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه وهو في طاعة الله» ، فقال لها : «نعم الزوج زوجك!» ، ثم كررت ذلك .

---

(١) رواه البخاري ، نكاح ١ ، ومسلم ، نكاح ٥ .

فقال كعب الأسدي: «يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها من مباعدته إياها عن فراشه»، فقال عمر: «كما فهمتَ كلامها فاقض بينهما». .

فقال كعب: «عليَّ بزوجها»، فَأُتِي به فقال له: «إن امرأتك هذه تشكوك»، قال: «أفي طعام أو شراب؟»، قال: «لا».

فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم رشده ألهى خليلي عن فراشي مسجده
زَهَّده في مضجعي تعبده فاقض القضا كعب ولا تردده
نهاره وليله ما يرقده فلستُ في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدني في فراشها وفي الحجل أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

أن لها حقًا عليك يا رجل تصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال له كعب: «إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، أي: ولها الليلة الرابعة».

فقال عمر: «والله ما أدري من أي أمريك أعجب. . أمن فهمك أمرها؟ أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك قضاء البصرة».

همسة للزوج:

من المعلوم أن المرأة تستحي أن تطلب الرجل، لأن الله جل شأنه خلقها مطلوبة فأصبح لزاماً عليه أن يراعي حاجتها بدون أن يعنتها، وكل رجل حصيف يدرك بالإشارة أو بغير الإشارة رغبة زوجته.

٦ - أن يحفظ سرها ولا يتحدث هو ولا هي عن أسرار الجماع :

يحلو لبعض النساء أن تحدث صديقتها عن أسرار الجماع بينها وبين زوجها، وبعض الرجال يفعلون ذلك، وهذا شرٌ حذرنا الرسول ﷺ منه، فقال: «**إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**»(١).

ولا يدخل النهي من تحدث بذلك لضرورة، فقد ادَّعت زوجة علىٰ زوجها أنه عنين (أي عاجز عن الجماع) فقال الرجل مدافعاً عن نفسه: «إني لأنفضها نفض الأديم» ولم ينكر عليه الرسول ﷺ ذلك(٢).

٧ - يعاملها بالسماح :

عامل زوجتك بالسماح كما يعاملك الله تعالىٰ، فأنت تخطئ في حق الله في اليوم مرات كثيرة ويسامحك الله تعالىٰ في اليوم خمس مرات، لقول الرسول ﷺ: «**والصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما..**»(٣)، فعليك أن تسامحها في اليوم خمس مرات علىٰ خمس أخطاء.. حتىٰ تكون من المتخلقين بأخلاق الله والنبي ﷺ.

٨ - ألا يكلفها فوق استطاعتها :

فلا يأمرها بمسح البيت مثلاً يومياً، مع كثرة الأولاد أو مرضها، فالرسول ﷺ نهىٰ عن تكليف الخادم فوق طاقته فما بالك بالزوجة التي هي شريكة حياته وأم أولاده، قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»(٤).

تحذيرات للزوج :

١ - احذر (الخرس الزوجي) بينك وبين زوجتك، ونضوب المشاعر، فإن

---

(١) رواه مسلم، نكاح ١٢٣، ١٢٤.
(٢) نيل الأوطار للشوكاني.
(٣) رواه مسلم، طهارة ١٤، ١٥.
(٤) رواه الترمذي، وابن حيان في صحيحه، وابن ماجة، نكاح ٥، والدارمي، نكاح ٥٥.

ذلك يحولّ الألفاظ العذبة الرقيقة إلى ألفاظ غليظة، ويحولّ نظرة الحب والود إلى نظرات حادة، ويحولّ الأيدي الناعمة على الخدود إلى صفعات قوية قاسية، ويحولّ الابتسامة الحلوة إلى نظرة شديدة المرارة. . واحذر ساعي البريد في البيت، فمثلاً تنادي على الولد (بعد أن يخيم الخرس الزوجي على البيت) قل لأمك تعمل كذا وهي بجوارك، وهي تنادي على البنت قولي لأبوك نريد كذا. . ويعمل كذا ويتحول الأبناء إلى سعاة بريد في المنزل بين الوالدين. . وساعي البريد من كثرة الرسائل إما أن يضيق ذرعاً بأصحابها. . أو يمزق هذه الرسائل.

٢ ـ احذر أن تضرب زوجتك في كبيرة أو صغيرة. . فإذا شعرت بالظلم فسوف تربي أولادك على ذلك، وسوف تجد عاقبة ذلك خطيرة ووخيمة، لأن الله تعالى قال: ﴿ **وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾ (طه: ١١١).

٣ ـ إياك والسب والشتم والألفاظ الفاحشة البذيئة.

ثانياً: وصايا للزوج (العريس):

ومن عوامل استقرار الأسرة أيضاً:

١ ـ **شاورها.. ولا تسفه رأيها**.. وخذ به إن كان فيه المصلحة، فإن هدي النبي ﷺ كان كذلك، ففي صلح الحديبية دخل النبي ﷺ على أم سلمة في خيمته والغضب الشديد ظاهر في وجهه، ثم قال لها: «**هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا**»، فقالت: «يا رسول الله لا تلمهم فإنهم قد داخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح»، ثم أشارت عليه أن يخرج ولا يُكلم أحداً منهم وينحر بَدَنَة ويحلق رأسه، ففعل النبي ﷺ كما قالت، «فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وحلقوا حتى كاد بعضهم يجرح بعض من شدة مسارعتهم للاقتداء بفعل النبي ﷺ»[(١)]، ونجا المسلمون من الهلاك بمشاورة النبي ﷺ لإحدى نسائه.

واحذر من هذه الأقوال:

---

(١) دلائل النبوة، للبيهقي، والسيرة الحلبية.

- شاوروهم وخالفوهم . .

- شورة المرأة لو صحت تخرب الدار سنة ولو خابت تخرب العمر كله .

٢ - كن ظريفاً خفيف الدم بساماً رفيقاً، وليكن وجهك بالبشر صبيحاً، ولسانك بالحب صريحاً .

٣ - حب الزوجة دين ومفخرة لا يستحيي منه ولا يُستخفى .

٤ - بقدر ما تسعدها يعود ذلك عليك فبقدر ما تزرع تحصد .

٥ - احذر فإنهن لا يحببن العبوس والعتب والتوبيخ والبخل بالمال والكلام .

٦ - الكلام عن الزواج بأخرىٰ عند الزوجة جَدُّهُ جَدْ، وهزله جَد، فلا تذكر هذا الأمر وإن كنت مازحاً ولا تسمي أمامها امرأة .

٧ - احذر أيها الزوج أن تذكر محاسن امرأة أخرىٰ أمام زوجتك ولو كانت ميتة . . ولك في رسول الله ﷺ أسوة فكان يثني علىٰ السيدة خديجة بعد موتها فغارت عائشة وقالت : «والله ما كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها»، فيقول النبي ﷺ : **«لا والله»** .

٨ - لا تنس الهدية ولو كانت رخيصة الثمن .

٩ - ساعدها كلما أمكن في أعمال المنزل : كما كان يفعل النبي .

١٠ - لا تَشْكُها لأحد، وإياك أن تفشي أسرارها أو تتحدث مع أحد مهما كانت قرابته منك فيما يدور بينكما في المعاشرة الزوجية .

١١ - اطمئن دائماً أنها صلت وصامت ما عليها .

١٢ - اجلس إلىٰ زوجتك وحدثها وانظر إليها ومازحها وداعبها .

١٣ - اصبر علىٰ أذاها فالحور العين في انتظارك تقول : لا تؤذيه قاتلك الله إنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا .

١٤ - ازهد في نساء الناس وعف عنهم تعف امرأتك وتزهد في الرجال ولاترىٰ أمامها غيرك .

١٥ - ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف مَنْ ليس من معاشرته بُد .

١٦ ـ المرأة تخاف كبر السن وتحرص أن تبدو أصغر من عمرها الحقيقي دائماً، والزوج العاقل يعطي هذا الإحساس لزوجته . .

ومن نوادر ما يحكىٰ في ذلك، ما رواه الإمام الطبراني عن أنس بن مالك خادم النبي ﷺ مع أمه أم سليم وهي من الصحابيات العاقلات، وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويقيل في بيتها . . يقول أنس: دخلتُ دار أبي طلحة زوج أم سليم وهو مغلق الباب علىٰ أم سليم يضربها وهي أم أنس بن مالك . . يقول أنس: فناديت من وراء الباب: «ما تريد إلىٰ هذه العجوز تضربها»!! فنادتني من وراء الباب فقالت: «تقول العجوز، عجز الله ركبك».

١٧ ـ احذر أن تظلمها . . قال تعالىٰ: ﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾ (طه: ١١١).

ومن صور الظلم الخفية بين الزوجين، أنك في الطعام مثلاً تأكل اللذيذ من الطعام وتترك لها الخشن الباقي إن لم يكن الفضلات . . وأثناء جلوسها لتناول الطعام كل لحظة تطلب منها أريد ماء . . أريد خبزاً . . أريد الشاي . . أريد . . أريد . . فلا تهنأ هي بالطعام، وكذلك في اللباس، فعن حكيم بن معاوية عن أبيه، قال: قلتُ يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال ﷺ: « **أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولاتقبحه، ولا تهجر إلا في البيت**»(١).

أخلاق لازمة للزوج :

١ ـ التغافل من حُسن الخُلُق :

قال الإمام أحمد: «تسعة أعشار حُسن الخُلق في التغافل» . . ومعنىٰ التغافل تكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يُتغافل عنه، فلا داعي لأن تدقق في كل شيء، وتتوقف عند كل كلمة وكل لفظة . . طالما أن الذي يُقال أو يحدث ليس في دائرة الحرام . . وطالما أنه خرج من دائرة الحرام فهو في منطقة المباح . . حتىٰ ولو كان مكروهاً، ثم يعدل له هذا المكروه برفق ومن باب: « ما بال أقوام يفعلون كذا . . ».

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، وأحمد في المسند، وابن حبان في صحيحه، وأبو داود، وابن ماجة في السنن، والبيهقي، وابن أبي شيبة.

٢ ـ حسن الظن :

أنت مُطالَب بحسن الظن تجاه الآخرين، وابتداءً بحسن الظن مع الله تعالىٰ لقول رسول الله ﷺ: « **أنا عند ظن عبدي بي..** »(١) ، والأوْلَىٰ بحسن الظن هي الزوجة، وليكن لك في هذ الآية الأصل الشرعي لهذا الخُلق الكريم: ﴿ **قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ (النمل: ٢٧). ولم يقل: «أكذبت أم كنت من الصادقين».

٣ ـ لا تنظر دائماً إلى تقصيرها بل انظر إلى فعلها والصواب منه..

فهذا رجلٌ ذهب إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو زوجته، فسمع زوجة أمير المؤمنين تستطيل عليه بالكلام، وعند خروج عمر من الباب وجد الرجل يهمّ بالانصراف، فسأله عن سبب مجيئه وعودته، فقال له: «جئتُ أشكو إليك مما تشكو أنت منه»، فقال له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «إنها طاهية لطعامي، مربية لأولادي، منظفة لبيتي، غسالة لثيابي، بقدر صبري عليها يكون ثوابي»، وكأن عمر بن الخطاب يريد أن يقول للرجل: اصنع من الليمونة الملحة شراباً حلواً(٢)، فلا تنظر دائماً إلىٰ تقصيرها..

نُقِلَتْ سيدة مع زوجها الضابط إلىٰ صحراء موحشة، فضاقت ذرعاً بالمعيشة وهمت بترك زوجها وحده والعودة إلىٰ أهلها.

ولكن تقول وصلتني رسالة من والدي من سطرين اثنين قال لي:

« من خلف قضبان السجن تطلع إلىٰ الأفق اثنان من المسجونين.. فاتجه أحدهما ببصره إلىٰ وحل الطريق.. أما الآخر فتطلع إلىٰ نجوم السماء..».

تقول: فخجلتُ من نفسي.. وقلتُ: لماذا لا أتطلع إلىٰ نجوم السماء؟

وأنت أيها الزوج لماذا تنظر دائماً إلىٰ تقصيرها؟

لماذا لا تتطلع إلىٰ جوانب الخير فيها كما ذكرها عمر بن الخطاب للأعرابي.

---

(١) رواه البخاري، توحيد ١٥، ٣٥، ومسلم، توبة ١، ذِكر ٣، ١٩.

(٢) جدد حياتك، الشيخ الغزالي.

٤ ـ الاعتذار بلسم الحياة الزوجية (١) :

هل الاعتذار يلزم المخطئ . . أو يلزم صاحب الحق؟ ! !

هب أن الزوجة أخطأت في حق الزوج ، هل ينتظر هي أن تأتي لتعتذر له أو يذهب هو ليعتذر لها . . أرىٰ أنه من المستحب ولا أكون مغالياً إذا قلت : من الواجب أن يعتذر الزوج لزوجته التي أخطأت في حقه وذلك للآتي :

أ ـ أنت صاحب الحق وسوف تذهب إليها معتذراً وأنت مرفوع الرأس فأنت صاحب حق عزيز ولست منكس الرأس ولا أثر عليك من ذل الخطيئة . . فلاتستطيع هي أن تقول لك لقد جئت رغماً عنك فأنت مخطئ .

ب ـ أنت بذلك تضعها في دائرة الإحراج فتنتبه من غفلتها وتعود إلىٰ رشدها بالطريق الصواب .

جـ ـ أنت بذلك قد أخذت أجراً كبيراً علىٰ تطبيق سنة النبي ﷺ .

د ـ شهد لك النبي ﷺ بالخيرية . . فقد قال ﷺ : «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث...**»(٢)، وقال ﷺ أيضاً : « **وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(٣) ، ولم يقل وخيرهما صاحب الحق . . وشرهما من عليه الحق . . كلا ، ولكنه قال : «**وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» .

هـ ـ **يقول الشيخ علي مطر ـ رحمه الله .** مصوراً الأخوة الإسلامية ومدىٰ تمكنها من القلوب والعقول ، يقول الأخ لأخيه : «وتخطئون فنأتيكم فتعتذر» ، أليس هذا من باب أولىٰ للزوجة لقول رسول الله ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»(٤) .

---

(١) البلسم : دواء تُضَمَّد به الجراحات . المعجم الوجيز ، راجع فقه الاعتذار في الباب الخامس .

(٢ ، ٣) رواه البخاري ، أدب ٥٧ ، ٦٢ ، استئذان ٩ ، ومسلم ، بر ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) رواه الترمذي (سبق تخريجه) .

المبحث السابع

منهج النبي ﷺ في بيته

كيف تجعل بيتك بعد الزواج عسلاً دائماً.. وليس شهر عسل واحد؟!

عليك بمنهج النبي ﷺ في بيته كما ترىٰ ذلك واضحاً . .

وكيف أطبق هذا المنهج في بيتي؟ إليك فقرات هذا المنهج :

١ ـ حرص النبي ﷺ على إضفاء جو من المرح والسرور والبهجة في البيت(١) :

عن أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ حينما قالت : كان رسول الله ﷺ بيننا، يداعبنا ونداعبه، ويلاطفنا ونلاطفه، حتىٰ إذا نودي للصلاة خرج إليها كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه، وبقولها : أيضاً عن النبي ﷺأنه : «**إذا خلا بنسائه كان ألين الناس، وأكرم الناس، ضاحكاً بساماً**»(٢) .

بل وأعظم من ذلك حرص النبي ﷺ وهو خير خلق الله وخاتم رسل الله، وفي الوقت ذاته رئيس الدولة وقائد الأمة ـ حرصه علىٰ تخصيص وقت كاف لبيته وأسرته، نشراً لروح البهجة والسعادة فيه، فنجده يسابق السيدة عائشة رضي الله عنها في الجري، فتسبقه في المرة الأولىٰ حينما كانت صغيرة السن خفيفة الوزن، فلما سبقها في المرة الثانية بعد عدة سنوات قال لها مداعباً وملاطفاً : «**هذه بتلك**»(٣) .

٢ ـ ما هو الخرس الزوجي وكيف نعالجه؟

الخرس الزوجي بمعنىٰ نضوب المشاعر وخفوت الأحاسيس بين الزوج والزوجة بعد فترة من الزواج، نتيجة ضغوط الحياة ومشاكلها، أو انشغال الرجل بالبحث عن لقمة

---

(١) في ذكرىٰ المولد النبوي ، د. ياسر أبو شبانة .

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم ١٨٣٢٧ ، وعزاه لابن سعد وابن عساكر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه أبو داود ـ كتاب الجهاد .

العيش، وتوفير الحياة الكريمة لأسرته، وانشغال المرأة بمشكلات الأطفال وتربيتهم، أو نظرة بعض الأزواج إلىٰ مسألة التعبير عن عواطفه والحديث عن مشاعره تجاه زوجته باعتبارها شيئاً يقلل من كرامته، وينال من رجولته.. إلىٰ غير ذلك من الأسباب.

في حين نجد في حياة أسوتنا الحسنة وقدوتنا الطيبة رسول الله ﷺ حرصه الكامل وعنايته الفائقة باستمرار جريان نهر العاطفة، وتدفق تيار المحبة، وحرصه علىٰ إظهار مشاعره تجاه زوجته، بل وإعلام أصحابه بذلك دونما حرج أو حساسية.

فقد سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه ذات يوم: «يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟»، فقال ﷺ: «**عائشة**». قال عمرو: «إنما أقصد الرجال؟»، فقال ﷺ: «**أبوها**»(١).

فتأمل ـ أخي الكريم ـ هذه العاطفة في إظهار مشاعر الحب للزوجة وإعلام الناس بها، بل واعجب معي لقول النبي ﷺ: «**أبوها**» فإنه لم يقل مثلاً ـ أبو بكر ـ وإنما آثر هذا اللفظ «أبوها» ليكون لعائشة أيضاً ذكر وحضور، فقد ذكرها مرة صراحة باسمها، ومرة اخرىٰ بضمير الغيبة العائد إليها..

فما أعظمك يا رسول الله.

وتراه يبالغ في تدليلها حينما يناديها باسمها مرخماً فيقول:

«**يا عائش**» وأحياناً يقول لها: «**يا شقراء**» أو «**يا حُميراء**».

وذات يوم كانت تشتكي رأسها قائلة: «وا رأساه».

فيقول ﷺ: «**بل أنا، والله يا عائشة وا رأساه**».

ثم يلاطفها ويضاحكها قائلاً:

«**وما ضرك لو مت قبلي، فقمتُ عليك وصليت ودفنتك؟**».

فهاجت وقالت: «ليكن ذلك حظ غيري، والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلىٰ بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك» فتبسم رسول الله ﷺ(٢).

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة، فتح الباري ٣٣٦٢.

(٢) البخاري، كتاب المرضىٰ، باب ما رُخِص للمريض أن يقوله إن وجع، فتح الباري ٥٦٦٦.

وهي بدورها تبادله الحب والمشاعر الطيبة، فقد قال لها يوماً:

« **إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غاضبة**».

قالت: فقلتُ: «ومن أين تعرف ذلك؟».

قال: «**أما إذا كُنت عني راضية، فإنك تقولين: لا.. ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلتِ: لا.. ورب إبراهيم**».

قالت: قلتُ: « أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك»(١).

وهي تقصد أنها لا تهجر سوىٰ اللفظ، في حين تظل روحها السامية متعلقة بحبه ﷺ.

٣ـ مساعدة الزوجة في شئون المنزل وأعمال البيت:

قد يستنكف ويستثقل كثير من الأزواج فعل ذلك.. فقد كان رسول الله ﷺ وهو خير خلق الله، وخاتم رسل الله، وفي الوقت ذاته رئيس الدولة وزعيم الأمة ـ لا يستنكف ولا يشعر بحرج حينما يساهم في أعمال المنزل، فلماذا نستنكف نحن من هذا الأمر ونتحرج منه ونعده دليلاً علىٰ الخنوع والذلة؟!

ثم نسوق لك ما جاء عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها حينما ذكرت أن النبي ﷺ: «**كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته**»(٢).

وفي بعض الألفاظ: «**يحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويقم البيت**»، أي: يكنسه وينظفه.

وحينما سأل الأسود بن يزيد عائشة رضي الله عنها قائلاً: «ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟»، قالت رضي الله عنها: «يكون في مهنة أهله (تعني: خدمة أهله)، فإذا حضرت الصلاة خرج إلىٰ الصلاة»(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة.
(٢) رواه أحمد في المسند ٦ / ١٦٧ (سبق تخريجه).
(٣) رواه البخاري، كتاب الآذان.

٤ ـ التعامل مع المواقف الحرجة بذكاء وهدوء يؤدي إلى الوقاية من الأزمات :

حينما كان النبي ﷺ في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها، وجاءت الخادمة بإناء من الحلوىٰ قامت بإعداده السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، ودبت الغيرة في قلب السيد عائشة ـ لما كانت تعلمه من حب النبي ﷺ لهذا النوع من الحلوىٰ ـ فأخذت الإناء من الخادمة ويداها ترتعشان من شدة الغيرة، فوقع الإناء علىٰ الأرض وانكسر، وانسكب ما فيه من طعام، فما كان من النبي ﷺ إلا أن خاطبها بكل هدوء وروية قائلاً: « **يا عائشة، إناء مثل إناء، وطعام مثل طعام**»(١).

أي عليك بإعداد طعام مثل الذي انسكب، وإعطائه للسيدة زينب بنت جحش في إناء بدل الذي انكسر.

وهناك مواقف كان يتعامل معها النبي ﷺ بحزم وحسم شديد. فذات مرة دفعت الغيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلىٰ أن تقول للنبي ﷺ: «حسبك من صفية كذا وكذا»، قال بعض الرواة: «تعني أنها قصيرة»، فقال النبي ﷺ: «**لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**»(٢).

٥ ـ منهج النبي ﷺ في التعامل مع زوج البنت (٣) :

يحتاج المسلمون أيما احتياج إلىٰ التأسي بنبيهم ﷺ في هذا الجانب.. فالعلاقة بين الحمو وزوج البنت في مجتمعنا المعاصر تحتاج إلىٰ إعادة نظر وتصحيح للأوضاع، وهاك بعض المواقف الكريمة والمشاهد العظيمة في حياة النبي ﷺ تلقي بعض الضوء علىٰ تكريمه ﷺ بناته ومحبته لهم وتقديره لمكانتهم.

---

(١) رواه أبو داود، وأحمد في المسند (سبق تخريجه).

(٢) مزجته: تعني في اللغة خَلطت به، أي أن هذه الكلمة لخطورتها تخلط ماء البحر كله، أي غلب فسادها علىٰ صلاحه، فماء البحر مالحة تحفظ الأشياء من التلف، وهذه الكلمة تُفسد خواص هذا الماء الكثير بحارًا أو محيطات.

(٣) هذه النقطة ذكرها د. ياسر أبو شبانة، في كتاب (ذكرىٰ المولد الشريف)، أذكرها هنا كما هي إتمامًا لفائدتها ولحاجة الناس إليها.

الموقف الأول :

فهذا ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، أطلق عليه هذا اللقب ـ كما هو معروف ـ لأنه حظي بزواج اثنتين من بنات الرسول ﷺ، تزوج أولاً بالسيدة رقية رضي الله عنها، فلما ماتت زوجه النبي ﷺ أختها أم كلثوم رضي الله عنها، وعندما ماتت هي الأخرىٰ قال له النبي ﷺ: «**لو كان لنا ثالثة لزوجناك**»، وهذا يدل علىٰ محبة النبي ﷺ له، ويدل في الوقت ذاته علىٰ حسن معاشرته، وكرم معدنه، وطيب أخلاقه.

لهذا أحبه النبي ﷺ وأكرمه، وأسبغ عليه كثيراً من الفضائل والمحامد والمناقب التي تضمنتها أحاديث كثيرة للنبي ﷺ، ولم لا؟ وهو واحد من العشرة المبشرين بالجنة، وثالث الخلفاء الراشدين، وسيرته وجهاده وإنفاقه في سبيل الله لايخفىٰ علىٰ أحد العلم به. . ومن هنا سأكتفي بنموذج واحد يبرز تقدير النبي ﷺ لسيدنا عثمان وتكريمه له.

فقد كان ﷺ مضطجعاً في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه لابساً مرطاً لها (هو كساء من الصوف) فاستأذن أبو بكر، فأذن له النبي ﷺ وهو علىٰ هذه الحال، فقضىٰ أبو بكر حاجته وانصرف، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو علىٰ حاله تلك أيضاً، ففرغ من حاجته وانصرف، ثم استأذن عثمان، فجلس النبي ﷺ وسوىٰ ثيابه وأذن له، فلما انصرف سألت السيدة عائشة رسول الله ﷺ عن سبب جلوسه وتسوية ثيابه عند دخول عثمان بالذات، فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟**».

وفي رواية أخرىٰ: «**إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ حاجته**»(١).

الموقف الثاني :

وهذا هو أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ يقف موقفاً كريماً، حينما يتصدىٰ بكل قوة للضغوط الني مارستها عليه قريش ليطلق

---

(١) تراجع القصة كاملة في صحيح مسلم، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، فضائل عثمان رضي الله عنه ٢٤٠١، ٢٤٠٢.

زوجته ويفعل كما فعل ابنا أبي لهب، حينما طلقا ابنتي الرسول ﷺ، وساوموه في ذلك أكثر من مرة، عارضين عليه الزواج بأي امرأة يريدها، ولكنه يرفض بكل قوة قائلاً: «لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن بامرأتي امرأة من قريش».

ويحفظ له النبي ﷺ هذا الموقف الكريم، وتمر الأيام ويقع أبو العاص بن الربيع أسيراً في أيدي المسلمين في غزوة بدر، فتبعث زوجته في فدائه بمال، ضمنته قلادة كانت أمها السيدة خديجة رضي الله عنها وهبتها لها عند زواجها، فلما رآها الرسول الكريم ﷺ رق قلبه رقة شديدة لذكرىٰ الزوجة الحنون، ولوفاء ابنته لزوجها صاحب الموقف الكريم.

وكان يمكن له ﷺ أن يصدر قراراً بالعفو الفوري عن زوج ابنته، ولكنه ﷺ رغم وفائه لذكرىٰ زوجته الغالية ورغم حبه لابنته العزيزة، ورغم تقديره لزوج ابنته صاحب الموقف الكريم ـ رغم هذا كله يريد أن يربي أولاده، وأن يعطي الأسوة الحسنة والمثل الأعلىٰ للدنيا كلها، فلا يستخدم حقه في العفو عن زوج ابنته أبي العاص وإطلاق فداء بمال ـ كما فعل مع بعض الأسرىٰ ـ ولكنه يعرض الأمر علىٰ أصحابه ويفوضهم في إصدار القرار قائلاً: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا**».

فلا يترددون في الاستجابة لحظة واحدة، ويتم إطلاق سراح أبي العاص، بعد أن أخذ عليه النبي ﷺ عهداً بان يسمح للسيدة زينب رضي الله عنها بالهجرة إلىٰ المدينة، وكان أبو العاص وفياً كريماً فأوفىٰ بعهده.

ثم دارت الأيام دورتها، ووقع أبو العاص مرة أخرىٰ أسيراً في يد سرية للمسلمين، أصابوا ما معه من أموال كان عائداً بها من رحلة تجارية في الشام، ولكنه استطاع الإفلات منهم، وكمن في مخبأ حتىٰ أرخىٰ الليل سدوله، فدخل المدينة قاصداً بيت زوجته رضي الله عنها مستجيراً بها، فلم تتردد في إجارته وحمايته، وفوجئ المصطفىٰ ﷺ حين كبر لصلاة الصبح بزينب تقول من المكان المخصص للنساء: «أيها النساء إني قد أجرت(١) أبا العاص بن الربيع».

---

(١) الإجارة أو الجوار: هو أن يعلن شخص ما أن فلانًا في حمايته، فلا يتعرض له أحد بسوء، =

فلما انصرف ﷺ من صلاته أقبل على الناس قائلاً: «**أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟**»، قالوا: نعم، قال: «**أما والذي نفسي بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم**».

وانصرف النبي ﷺ قاصداً بيت زينب رضي الله عنها، ولا شك أنه وهو في الطريق قد تنازعته إحساسات شتى بشأن ابنته المسلمة التي يكن لها كل حب وحنان، وبشأن زوجها المشرك الذي فرّق الإسلام بينها وبينه ولكنها - مع ذلك - لم تجد بأسًا في أن تجيره، وأخيراً بشأن السرية التي غنمت أمواله فصارت حقاً لهم لا منازع فيه.. ومن غير سيد الدعاة ﷺ يستطيع أن يعطي كل ذي حق حقه؟!!

وهكذا: دخل رسول الله ﷺ على ابنته فقال لها مؤكداً حكم الله تعالى في زوجها: أي بنية، أكرمي مثواه، ولكن لا يخلص إليك، فإنك لا تحلين له، وبعث رسول الله ﷺ إلى رجال السرية الذين غنموا أموال أبي العاص، يعرض عليهم مايظنه خيراً، دون أن يُلزمهم بأمر أو ينازعهم في حق قائلاً: «**إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم به مالاً، فإن تُحسنوا تردوا عليه الذي له - فإنا نحب ذلك - وإن أبيتم فهو فئ الله، فإن أفاءه عليكم فأنتم أحق به**»!!

وقد كان لهذا الأسلوب النبوي الكريم أثره الطيب في كل ناحية لم يتردد رجال السرية في رد ما أخذوه عن طيب نفس منهم.. وأيقن أبو العاص من موقف النبي ﷺ منه أن الإسلام هو بحق الدين المبعوث بمكارم الأخلاق، وأن محمداً ﷺ هو الصادق فيما يدعو إليه، الأمين فيما يبلغه عن ربه، فعاد إلى قومه، ورد إليهم أموالهم، وأعلن إسلامه، ولحق برسول الله ﷺ إلى المدينة.

تأمل معي هذه المواقف النبوية الجليلة، إن فيها من المعاني والدلالات ما يحتاج إلى مجلدات ضخام لبيانه وتوضيحه، ويكفي في مقامنا هذا - مقام الحديث عن الأسوة الحسنة في تعامل النبي ﷺ مع زواج ابنته - ما تؤكده هذه المواقف من

= وقد دخل النبي ﷺ مكة عند عودته من الطائف في جوار المطعم بن عُدي، وقد جعل النبي ﷺ هذا الحق لكل مسلم رجلاً كان أو امرأة، غنيًا كان أو فقيراً.. بشروطه وضوابطه التي يمكن الوقوف عليها في كتب الفقه.

تكريم النبي ﷺ وتقديره لزوج ابنته حتى وهو على شركه وكفره، الأمر الذي كان له أثره العظيم في اهتداء الرجل أخيراً إلى الصراط المستقيم والطريق القويم، فشهد شهادة الحق، وأعلن إسلامه، بعد أن عاد إلى مكة وأعطى الحقوق لأهلها والأموال لأصحابها.

فرضي الله عنك أبا العاص بن الربيع، وصلى الله وسلم وبارك على صهرك محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين ويا ليت أتباعه يقتدون بنهجه ويسلكون دربه، ليسعدوا ويفوزوا في الدنيا والآخرة(١) .

الموقف الثالث :

لنتابع معاً هذا المشهد الجليل، في تعامل النبي ﷺ مع مشكلة وقعت بين أحب بناته إليه فاطمة الزهراء رضي الله عنها وزوجها الذي تربى في كنف النبوة، ابن عم النبي ﷺ وحبيبه وزوج ابنته علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وأرضاه، ليقتدي الناس برسولهم ﷺ فتعمر البيوت، ويسعد الناس بدلاً من المشكلات التي تقضي على المودة والرحمة، وتجعل الزوجين يقفان أمام بعضهما في ساحات القضاء خصمين عنيدين بدلاً من أن يكونا في بيتهما زوجين سعيدين.

يروي الإمام مسلم بسنده في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد علياً في البيت فقال: «**أين ابن عمك؟**».

فقالت: «كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يَقِل عندي» (يُقِل، أي: لم ينم في بيته وقت القيلولة).

فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو؟**».

فجاء فقال: «يا رسول الله هو في المسجد راقد».

---

(١) يمكنك الاستشهاد بمواقف النبي ﷺ مع ابنته زينب وزوجها أبي العاص بن الربيع في العنصر الثالث، عند الحديث عن تربية الأولاد على المساواة بين الناس، وعدم الاستفادة من مكانة ومناصب وثروات آبائهم في مخالفة الشرع والتعالي على الناس.

فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «**قم أبا التراب! قم أبا التراب**»(١) .

فتأمل ـ أخي القارئ ـ بعض ما تضمنه الحديث الشريف من معانٍ جليلة..

انظر إلىٰ أدب بيت النبوة الرفيع . . إن فاطمة حينما سألها أبوها عن زوجها لم تزد علىٰ أن قالت: «**كان بيني وبينه شيء، فغاضبني فخرج فلم يُقِل عندي**» .

إنها لم تفعل كما تفعل بنات اليوم، حينما لا تكاد الواحد منهن ترىٰ أباها أو أمها إلا وتأخذ في سرد ما كان بينها وبين زوجها، مما يكون بعضه صحيحاً وأغلبه لا يخلو من مبالغات وتضخيم لأشياء تافهة لا تستحق الذكر ولا تستأهل الاهتمام.

بل إن بعض الروايات تذكر أن الرسول ﷺ هو الذي لاحظ تغيراً في وجه ابنته، فلما سألها قالت: «ما كنت لأفشي سر زوجي علي، ولو كان ذلك لأبي النبي» . . فيا للعظمة ويا للروعة.

ثم انظر إلىٰ سؤال النبي ﷺ عن زوج ابنته، بل إلىٰ اجتهاده في البحث عنه، وتكليفه إنساناً بمحاولة العثور عليه . . كل هذا بهدف استرضائه وإنهاء الخصومة الطارئة بينه وبين زوجته . .

وليس كما يفعل بعض الآباء والأمهات حينما يكتفيان بسماع شكاية ابنتهما، ثم يأخذان في سبه ولعنه بأقذع السباب وأشنع الشتائم، دونما انتظار لسماع قوله ودفاعه، وربما تكون ابنتهما هي الظالمة المعتدية، ولكنهما يندفعان للحكم عليه، بناء علىٰ دموع ابنتهما، التي ربما تكون دموع التماسيح.

والأجمل والأروع أن يذهب النبي الكريم ﷺ بنفسه إلىٰ زوج ابنته النائم في المسجد، ليوقظه ويمسح التراب عن ظهره، ويمازحه هذا المزاح اللطيف، ويداعبه هذه المداعبة الطريفة، فيناديه بهذه الكنية «أبا التراب»، التي ظل علي كرم الله وجهه يعتبرها ـ كما يقول سهل بن سعد في الحديث ـ أحب أسمائه إلىٰ قلبه.

وتذكر بعض الروايات أن الرسول ﷺ أخذ بيد علي رضي الله عنه وعاد إلىٰ البيت وتعمد أن يتأخر قليلاً ليدخل زوج ابنته أولاً، ليلقىٰ السلام علىٰ زوجته،

---

(١) مسلم: فضائل الصحابة، من فضائل علي بن أبي طالب (٣٨، ٢٤٠٩).

فترد عليه السلام بدورها، فينتهي الإشكال وتنتهي الخصومة دون أن يعلم النبي ﷺ من أسبابها شيئاً، وقد كان ذلك بحمد الله.. فما أشد احتياج المسلمين إلى الاقتداء بهدي نبيهم سيد المرسلين.

٦ ـ منهج النبي ﷺ في التفاهم مع أم الزوجة وأبيها (الحموين) :

فها هي أم رومان زوجة أبي بكر، وأم السيدة عائشة رضي الله عنها، وحماة النبي ﷺ كانت تحظى من زوج ابنتها النبي ﷺ بأسمى معاني التقدير، قال عنها في حديثه الشريف: «**من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان**»(١)، وعندما ماتت رضي الله عنها حزن النبي ﷺ لفراقها ونزل قبرها ليلحدها بيديه الشريفتين ثم دعا لها بقوله: «**اللهم إنك تعلم ما لاقت أم رومان في سبيلك**»(٢).

فما عليك إلا التأسي برسول الله ﷺ في تقدير أم الزوجة تاركاً هذه الأباطيل الكاذبة والترهات الفارغة التي يروج لها أصحاب الفن الهابط والفكر الرخيص.

نصائح لتحسين العلاقة بين الزوجة وحماتها:

١ ـ أن تعتبر أم زوجها أماً ثانية لها.

٢ ـ أن تذكرها بكل خير سواء في وجودها أو في وجود غيرها لاسيما أمام الأقارب والجيران.

٣ ـ تتفقد أحوالها وتُكثر من الهدايا كباقة ورد أو...

٤ ـ أن تغرس الزوجة في أبنائها حب جدتهم فإذا فرح الأولاد بزيارة جدتهم كان ذلك دليلاً على نُبل مشاعر الزوجة وحسن تربية أولادها.

٥ ـ احترام الخصوصية بين الزوج وأمه فلا تحشر نفسها في الأسرار التي بين الزوج وأمه.

٦ ـ الابتسامة الدائمة مع الحماة تزيل التوتر(٣).

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ٤ : ٤٥١.

(٣) مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٩١.

معاملة الحمو (والد الزوجة) :

أ - فهذا أبو بكر وحادث الإفك وعلاقته الأسرية والعائلية بالنبي ﷺ، فبالرغم من ما حدث لم يحدث شيء بين النبي ولا بين أبي بكر بل ظلت العلاقات الأسرية كأحسن ما يكون.

ب ـ وهذا الفاروق عمر صهر رسول الله ﷺ ووالد زوجته حفصة أم المؤمنين. . يقول عمر لابنته عندما أخبرته أن نساء النبي ﷺ يراجعنه حتى يظل يومه غضبان: «والله لقد علمت أن رسول الله لا يُحبك ولولا أنا لطلقك». وبالفعل طلقها مرة النبي ﷺ فجزع عمر من ذلك وقال: «لو كان لله في آل عمر حاجة ما طلق رسول الله ﷺ حفصة»، فلما خرج رسول الله ﷺ جاء بلال فأذن ثم أقام للصلاة، فلما قام رسول الله ﷺ في القبلة رجع حتى أتى بيت حفصة فقال: « **إن جبريل عرض لي في القبلة فقال راجع حفصة فإنها صؤوم قؤوم وإنها زوجتك في الجنة**»، وفي رواية: «**رحمة بعمر**»(١) .

جـ ـ وصهر آخر لرسول الله ﷺ ، إنه أبو سفيان بن حرب ووالد أم حبيبة أم المؤمنين في يوم الفتح استجاب النبي ﷺ لطلب عمه العباس: «يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً»، فقال ﷺ: « **من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن**».

٧ ـ منهج النبي ﷺ في التعامل مع الأولاد (٢) :

١ ـ إظهار العاطفة تجاه الأولاد وتخصيص وقت لهم، كما كان يفعل مع السيدة فاطمة، فقد كان ﷺ يقوم ويجلسها مكانه، وكذا الحسن والحسين، وأُمامَة بنت أبي العاص بنت ابنته. وقال للرجل الذي لم يُقَبِّل أولاده: «**من لا يرحم لا يُرحم**»(٣) .

---

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنز، وعزاه لابن سعد والطبراني في الكبير عن قيس بن زيد.
(٢) كلمة ولد تشمل الذكر والأنثى.
(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، إنه الأقرع بن حابس (سبق تخريجه).

٢ ـ المساواة بين الذكور والإناث في المحبة والحنان للحديث : **«سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء»**(١).

٣ ـ اهتمام النبي ﷺ بتربية الأولاد تربية إسلامية شاملة من حيث :

أ ـ غرس العقيدة في قلوب وعقول الصغار، فقد وجدناه يلقن ابن عباس : **«إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فأسأل الله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك...»**(٢).

ب ـ تعويد الأطفال على أداء العبادات منذ الصغر، للحديث : **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»**(٣).

جـ ـ اهتمامه ﷺ بتربية الأطفال على القيم والفضائل الخلقية مثل :

* الصدق والوفاء بالعهد واحترام الكلمة : يقول للأم التي نادت ابنها ووعدته بأن تعطيه شيئاً : **«أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتب عليك كذبة»**(٤).

* تربية الطفل على عدم أخذ ما ليس من حقه ولو كان شيئاً يسيراً، فعندما رأى مع الحسن تمرة من تمر الصدقة فنهره النبي ﷺ بشدة قائلاً : **«كخ كخ.. ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة»**(٥).

* تربية الأطفال على المساواة بين الناس جميعاً وعدم الاستفادة من مكانة ومناصب آبائهم، ومن ذلك ما فعله رسول الله ﷺ أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ حين أتاه مستشفعاً في المرأة المخزومية التي سرقت قائلاً :

---

(١) أورده بن حجر في فتح الباري (سبق تخريجه).

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٢٥١٦ وقال : حديث حسن.

(٣) رواه أبو داود (سبق تخريجه).

(٤) رواه أبو داود (سبق تخريجه).

(٥) رواه مسلم عن أبي هريرة (سبق تخريجه).

«أتشفع في حد من حدود الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»(١).

* تعليم الأطفال الآداب والسلوكيات، مثل: إفشاء السلام، وآداب الطعام: **«يا غلام سمِّ الله، وكُل بيمينك وكل مما يليك»**(٢)، والنبي ﷺ يُخبر أن أفضل عطية او هبة من الوالد للولد أدب حسن.

٨ ـ منهج النبي ﷺ في الثبات على المبدأ والوقوف في وجه الانحراف مهما كانت المغريات والعواقب (٣):

يحدث أحياناً أن يكون الزوج صاحب منصب أو صاحب حرفة أو تجارة.. الخ، المهم أنه في مكان أو مكانة تسمح له ـ بطريق غير مشروع أحياناً ـ أن يكون صاحب ثروة طائلة، ولكنه إنسان ملتزم بدينه ومراقب لربه، ويخشى على نفسه وأسرته من عواقب الكسب الحرام.. بيد أن الله جل شأنه ابتلاه بزوجة غفلت عن مراقبة ربها، وتغلبت عليها النفس الأمارة بالسوء، فتراها صباح مساء تلاحق زوجها بمطالبها ومطالب أولادها التي لا تنتهي، والتي هي ـ أيضاً ـ فوق طاقاته وأكبر بكثير من إمكانياته.

وتظل هذه الزوجة ـ الغافلة عن مراقبة ربها ـ تلح على زوجها باستغلال منصبه أو حرفته أو تجارته لتحقيق الثروة الكبيرة التي ترضى أطماعها وتشبع رغباتها ـ إن كان لها أن ترضى وتشبع ـ ثم تأخذ في توبيخه وتقريعه ووصفه بأنه إنسان متزمت جامد، لايفهم كيف تجري الحياة من حوله، ولا يدري من أمر الدنيا وأحوالها شيئاً.

وتستخدم الزوجة في حربها غير الشريفة هذه كافة الأسلحة والوسائل الكفيلة بتحقيق أهدافها، فتراها ـ تارة ـ تستخدم أسلوب الترغيب، حينما تذكر لزوجها

---

(١) (سبق تخريجه).

(٢) (سبق تخريجه).

(٣) في ذكرى المولد النبوي، د. ياسر أبو شبانة.

فلاناً وفلانا من الناس الذين هم ـ في نظرها ـ أذكياء أجادوا فهم قواعد اللعبة، وأحسنوا استغلال الفرص المتاحة لهم، فسكنوا القصور الفاخرة، وركبوا السيارات الفارهة، وارتدوا الملابس الأنيقة . .

وتعيد الزوجة القول وتزيد: نحن لسنا أقل من هؤلاء، وأولادنا ليسوا أقل من أولادهم، فدعك من الشرف والمبادئ فإنها ستؤدي بك إلى المهانة والحضيض في حين يرفل غيرك في النعيم، ولستَ أنت الذي سيصلح موازين الكون ويعدل معايير الحياة.

وتراها ـ تارة أخرى ـ تستخدم سلاح الترهيب، فتتمنع على زوجها وتضغط عليه بسلاح الأنثى ـ خاصة إذا كانت تعلم من حال زوجها التعلق بها ـ أو تضغط عليه بسلاح أولاده وحقهم في التمتع بمباهج الحياة . . أو . . الخ.

وهنا ـ وفي مواجهة هذه الضغوط العصبية الهائلة ـ قد تضعف مقاومة الزوج وتلين قناته، فيستجيب ـ في لحظة ضعف إيماني وتسلط شيطاني ـ ويأخذ في استغلال كافة الإمكانات المتاحة، وبكافة الطرق غير المشروعة، فينحرف إلى مستنقع الانحراف، ويهوى إلى حضيض الكسب الحرام.

وللخروج من هذه الدائرة نذكر نموذجاً واقعياً في حياة المصطفى ﷺ للثبات على المبدأ، ومقاومة الخطأ بقوة، مهما كانت المغريات والعواقب، مع ملاحظة أن البون شاسع والفارق كبير بين حالة الزوجة التي صورتها لك في السطور السابقة، وبين حال أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين، زوجات سيد المرسلين ﷺ.

فأين الثرى من الثُريا؟! .. وأين التراب من التبر؟!

ولكننا نحرص على إيراد هذا النموذج الواقعي ليكون مجرد مثال للتأسي بالنبي ﷺ فيما نحن بصدده، مع التأكيد على حفظ المقامات.

تذكر كتب السنة المطهرة ما خلاصته أن زوجات النبي ﷺ اجتمعن إليه يسألنه التوسعة في النفقة، ويبدو أنهن قد أكثرن القول في هذا لدرجة أن النبي ﷺ ابتعد عنهن شهراً، حتى أشيع بين الناس أنه فارق نساءه، ولدرجة يصورها ما جاء في

حديث جابر رضي الله عنه قال: أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس، والنبي ﷺ جالس، فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن، فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت.

فقال عمر رضي الله عنه: «لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك».

فقال عمر رضي الله عنه: «يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد (امرأة عمر) سألتني النفقة آنفاً فوجأت (كسرت) عنقها؟!».

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: « **هن حولي يسألنني النفقة** ».

فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها.

وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة، كلاهما يقولان: «تسألان النبي ﷺ ماليس عنده؟!»، فنهاهما رسول الله ﷺ، فقلن: «والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده؟».

قال جابر رضي الله عنه: وأنزل الله عز وجل الخيار، فبدأ النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها فقال: «**إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك**». (أي: تستشيري أبويك).

قالت: وما هو؟ قال: فتلا عليها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾**﴾ (الأحزاب).

قالت عائشة رضي الله عنها: «أفيك أستأمر أبوي؟، بل اختار الله ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت». فقال ﷺ: «**لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتاً ولامتعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً**»(١)، وتذكر الروايات أنهن جميعاً اخترن الله ورسوله ﷺ، والدار الآخرة.

---

(١) رواه مسلم، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، جـ٧، ص ٤٣٩ .

المبحث الثامن

الاختلافات الزوجية.. الأسباب.. العلاج

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء: ٣٥). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء: ١٣٥).

أيها الزوج الكريم.. أيتها الزوجة المباركة.. الحقوق واضحة.. والواجبات معلومة.. والتشريعات ثابتة..

فلماذا تزداد الخلافات الزوجية؟

لماذا تخرج من باب حجرة النوم؟

ألا تستطيعان حل هذه الخلافات؟..

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولىٰ منصب القضاء في عهد أبو بكر الصديق.. وبعد عام قدم عمر استقالته.. والسبب أنه لم تأته خصومة ولا شكوىٰ طوال عام كامل.. وقال لأبي بكر قولته المشهورة: «الناس عرفوا ما عليهم فقاموا به، وعرفوا ما لهم فطالبوا به».

وإنني أتساءل: ألا يعرف الزوج ماله وما عليه؟!

ألا تعرف الزوجة مالها وما عليها!

والاختلاف أمر طبيعي.. ولذلك أحاطه التشريع الإسلامي بالضوابط والحدود وسبل الوقاية حتى لايحدث، ووضع له علاجاً إن حدث.

من الوقاية أن جعل الإسلام للأسرة عوامل استقرار هي:

١ ـ مسئولية رب الأسرة وتنحصر في العمل والكسب ـ وإعطاء الزوجة حقها.

٢ ـ حرمة المساكن، وحماية أسرار الأسرة.

٣ ـ آداب الاختلاط في البيوت وخاصة الحمو وهم أقارب الزوج للحديث: «الحمو الموت» (١).

٤ ـ عدم تبرج النساء.

٥ ـ من عوامل استقرار الأسرة أيضاً نبذ (علاج) أسباب الخلاف..

أسباب الاختلافات الزوجية:

١ ـ أسباب خاصة بالوالدين (٢):

فمن ذلك تحكيم العاطفة أو المصلحة المادية عند اختيار الزوج أو الزوجة، فكثيراً ما ينشأ الزواج عن حب عاطفي مشبوب لا يلبث أن يفتر بعد الزواج بأشهر قلائل، وما يلبث أن يكتشف الزوجان أن بينهما بوناً شاسعاً في الأخلاق أو المزاج أو الثقافة أو الميول.. وكثيراً ما ينشأ الزواج عن الإعجاب بالجمال في الزوج أو الزوجة، يعجب الشاب بجمال فتاة، فيطلب إلىٰ أهله أن يخطبوها له، ثم سرعان ما ينكشف له الجمال الجسمي عن قبح نفسي ودمامة خلقية.

وقد تُعجب الفتاة بشباب وسيم الطلعة فتسرع إلىٰ إجابة طلبه، ثم يشتد بها الأسىٰ حين تكتشف فيه خلقاً سيئاً أو طبعاً دنيئاً، وكثيراً ما ينشأ الزواج عن طمع في الثروة.. فهذا خاطب ذو وظيفة، أو دخل كبير، أو غني طاغٍ.. أولىٰ في نظرها من خاطب ليست له ثروة واسعة، أو ليس له أب غني.. وكثيراً ما يكون مع الغني المفرط الفساد المتلف.

وأقبح ما يكون الزواج في مثل هذه الحالة أن تزف الفتاة التي لم تبلغ العشرين إلىٰ الشيخ العجوز الذي جاوز الستين.. وما حمل أهل الفتاة علىٰ تزويج فتاتهم منه إلا الطمع في ثروته الكبيرة أو أراضيه الواسعة.. وما يدري هؤلاء أنهم جنوا علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري، نكاح ٥٢٣٢، ومسلم، سلام ٢١٧٢.

(٢) هذه الأسباب من كتاب: أخلاقنا الاجتماعية، للدكتور السباعي.. بتصرف.

فتاتهم جناية أبشع من القتل، فالقتيل يذوق مرارة الموت لحظات ثم يرتاح. . وهذه الفتاة المسكينة تذوق مرارة الشقاء كل لحظة. .

إن الله شرع الزواج لسكن النفس، فكيف تسكن نفس الفتاة في أول تفتحها للحياة إلىٰ نفس ودعت الحياة واستقبلت الموت؟

٢ ـ أسباب خاصة بالزوج:

أ ـ ومن أسباب المشاكل الاجتماعية تدخل الزوج في الشئون المنزلية أكثر مما ينبغي، وكم من رجل فارغ من العمل يقف مع زوجته في المطبخ فيقول لها: الماء الذي وضعته قليل. . أكثري من الملح. . خففي النار. . حركي الطعام. . وهكذا تضيق زوجته بفضوله، فما تلبث يوماً بعد يوم أن تنفجر وتثور. . وإذا كان من حق الزوج أن يبدي رغبته في الطعام الذي يأكله فليس من حقه أن ينصب نفسه طاهياً يعلم امرأته أصول الطهي كل يوم.

ب ـ ومن أسباب المشاكل العائلية: سوء الظن. . فقد يسيء الرجل بزوجته الظن في أمانتها المالية، ويتهمها بأنها تسرق من جيبه بعض نقوده وهو نائم، فإذا راجع نقوده فوجدها ناقصة بادر إلىٰ اتهام زوجته قبل كل شيء من غير تحقيق ولا تثبت، فينشب النزاع ويتعالىٰ الصراخ، ثم ما يلبث الزوج أن يتذكر أنه كان قد اشترىٰ شيئاً قبل قدومه للبيت، أو دفع مالاً لأحدٍ كان عليه، أو أقرض إنساناً، أو أعطىٰ بعض أولاده نقوداً، وهذا أمر يقع كثيراً. .

وأنا لا أنكر أن بعض النساء يفعلنه بغير حق. .

وقد يسيء الرجل ظناً بزوجته في حشمتها، أو مشيها في الطريق، أو نظرها من النافذة، فيتهمها بما يسيء إلىٰ كرامتها وسمعتها وهي بريئة محتشمة عفيفة، ولكن الشيطان يسول لبعض النفوس الجاهلة أن تشتد في الغيرة أكثر مما أمر الله سبحانه وتعالىٰ. .

وكثيراً ما وقعت جرائم قتل وطلاق من سوء ظن لا يلبث بعد التحقيق أن يتبين خطؤه.

٣ـ أسباب خاصة بالزوجة :

أ ـ ومن أسباب المشاكل العائلية : عدم مراعاة الزوجة لأوضاع زوجها المالية . . فهي تريد أن تلبس كما تلبس صديقتها تلك ، وتريد أن تستكثر من الزينة أو أثاث البيت كما استكثر فلان من أثاث بيته وزينته . . دون أن تلاحظ الفرق بين ثروة زوجها وزوج صديقتها أو جارتها . . وما أكثر المناسبات عندنا لشراء الثياب . . فكلما تزوج قريب للمرأة وجب أن تخيط للعرس ثوباً جديداً تلبسه فيه ، وكلما تغيرت الأزياء وجب أن تتغير الثياب . .

وهكذا يرهق الزوج في ميزانيته ، ويضطر إلىٰ أحد أمرين : إما أن يستدين الزوج ويرهق نفسه نزولاً عند رغبة زوجته ، وأما أن يتحمل الخصام والخلاف بينه وبينها ليحافظ علىٰ ميزانيته ، وكرامته بين الناس . .

وأنا لا أنكر أن بعض الأزواج يبخلون بالإنفاق علىٰ زوجاتهم مع القدرة ولست أتكلم في مثل هؤلاء ، فقد أعطىٰ الإسلام الحق للمرأة التي يبخل زوجها بالنفقة عليها بما تحتاج إليه من ثياب وطعام يليق بها وهو قادر علىٰ ذلك أن تأخذ من ماله بغير إذنه .

فقد جاءت امرأة أبي سفيان إلىٰ رسول الله ﷺ تشكو إليه زوجها وتقول له : إن أبا سفيان شحيح ولا يعطيني ما يكفيني وأولادي ، فقال لها ﷺ : **«خذي من مال زوجك ما يكفيك وولدك بالمعروف»**(١) .

وهذا كما قلنا في النفقات الضرورية التي يمتنع عنها شحاً وبخلاً . . أما إذا كان امتناعه عن الإنفاق فيما يكون سرفاً وتبذيراً ، أو فيما فيه إرهاق له بما لا يتحمله ، فليس من حق الزوجة أن تعرضه وتعرض بيتها للفقر والضيق .

ب ـ ومن أسباب المشاكل العائلية عدم تقدير الزوجة لأعباء زوجها وواجباته الاجتماعية فقد يكون الزوج سياسياً ، ومن واجبه أن يجتمع إلىٰ الناس ويستقبلهم . . وقد يكون عالماً أو أستاذاً من واجبه أن يقرأ ويكتب ، فتضيق زوجة

---

(١) أخرجه البخاري ـ نفقات ١٤ .

بالاجتماعات العامة، وتتبرم من قراءاته وكتاباته، بل تتبرم من كتبه وتتأفف منه حين تراه يدخل البيت وفي يده كتب جديد. .

ولقد كانت **زوجة الإمام الزهري** تتبرم منه حين تراه منكباً على كتبه وتقول له: «والله لهذه الكتب أشد عليَّ من ثلاث ضرائر».

ولئن كان من حق الزوجة أن يخصص لها وقتاً ليؤنسها ويأنس بها، فليس من حقها أن تنكر عليه تفرغه لواجبه الاجتماعي أو العلمي، أو أن تظهر السخط على عمل يرتاح إليه ضميره وتطمئن إليه نفسه.

٤ ـ أسباب مشتركة بين الزوج والزوجة:

أ ـ ومن أكبر أسباب المشاكل العائلية سوء خلق الزوجين، فيثور أحدهما لأقل سبب ويغضب لأقل كلمة. . وإني لأعرف من اشترىٰ مرة قطعة من القماش وأتىٰ بها إلىٰ بيته، وأفهم امرأته أنه اشتراها ليخيطها لنفسه، وجاء في اليوم التالي يسألها عن القماش فمازحته زوجته بأنها خاطتها لنفسها وهي لم تفعل ذلك وإنما أرادت مداعبته، فما كان منه إلا أن فتح خزانتها وكانت حديثة عهد بالزواج منه وأخذ يلقي بثيابها الجديدة في بركة الماء حتىٰ لم يُبق لها ثوباً.

ولم يكتف بذلك بل أخذ يفتش عن جواربها ليمزقها بالمقص، ودهشت المرأة وأسرعت فأخرجت له قطعة القماش كما هي وأرته أنها كانت تمازحه، فندم الأحمق، ولكن بعد أن أتلف ماله ومال زوجته. .

وكم ثارت في البيوت مشاكل من ضيق الصدر وسوء الخلق! وكم انهارت بيوت لحمق الزوج أو الزوجة يضيق أحدهما ذرعاً بكلمة قد تبدر من الآخر فلا يجد لها مخرجاً حسناً، وخيل له سوء الخلق أن كرامته أهينت أبلغ الإهانة، وأنه لا يمكن أن يتحمل هذه الإهانة.

وأنا أشهد أن الأزواج أكثر تجنياً في ذلك من الزوجات، فالمرأة تتحمل من زوجها غالباً أكثر مما يتحمل زوجها منها، لغروره وشعوره بسلطته وقوته. . اللهم إلا في حالات تكون فيها بعض الزوجات سليطة اللسان، شرسة الخلق، فإن الزوج

مهما كان حليماً لابد من تخرجه عن حلمه وسماحته بلسانها الطويل، ولفظها القبيح . . ويا ويل من كانت زوجته أقوىٰ منه جسماً، وأطول منه لساناً.

ب ـ ومن أسباب المشاكل العائلية : سوء فهم كل من الزوجين لطباع الآخر . . فقد يكون الزوج حاد المزاج شديد الإحساس يتأثر لأقل الأشياء التي يراها مخالفة لذوقه، فلا تراعي زوجة فيه هذا . . فتضحك وهو غضبان، وتعرض عنه وهو يوجه إليها الخطاب، ويتكلم الكلمة فتجيبه عليها بعشر كلمات . . فما هي إلا أن تثور العاصفة وينفجر البركان . .

وقد تعجب الزوجة باللون الأحمر من الثياب فيجبرها الزوج علىٰ أن تلبس الأبيض مثلاً . . وقد تحب شرب اللبن وهو لا يميل إليه، فيجبرها علىٰ أن تترك ما تميل إليه إلىٰ ما يميل هو إليه . . فما تلبث الزوجة أن تشعر بالانقباض، ثم ينقلب الانقباض إلىٰ تبرم، ثم يؤدي التبرم إلىٰ النزاع لأقل سبب .

علاج الاختلافات الزوجية:

هناك أسباب أخرىٰ للاختلافات الزوجية ذكرنا كثيراً منها . . وهناك أسباب لاتحتاج أن تكون موضع خلاف إذا التزم كل زوج بماله وما عليه .

أسباب المشاكل الزوجية ـ التي ذكرناها ـ وقد تخص الوالدين أو الزوجين . . كان من الحكمة أن نتداركها إذا تذكرنا الحقائق التالية :

الحقيقة الأولى :

أننا ننظر إلىٰ الحياة الزوجية بمنظار مادي فنحن نعتبر الزواج الموفق هو الذي توفر فيه الجمال أو الجاه أو الثروة، وهي مقاييس قد يكون معها السعادة ولكنها وحدها لا تعطي السعادة، ثم هي لا دوام لها، فالجمال يذبل، والجاه قد يزول، والثروة قد تتبدد، وما بُنِي علىٰ ما يتغير ويتبدل فهو معرض للزوال، والخير أن ننظر إلىٰ الحياة الزوجية بمنظار معنوي روحي قبل كل شيء، أي أن نجعل أساس الاختيار في الزوج أو الزوجة ما يبقىٰ فيهما لا ما يتبدل، وما يقوىٰ مع الزمن لا ما يضعف ويفنىٰ . . ذلك هو الدين والخلق . .

إن المتدين عن عقيدة واقتناع وتربية لن يكون في البيت - زوجاً أو زوجة - إلا ريحانة مملوءة بالحب والسلام . . وإن صاحب الخلق الكريم الأصيل لن يكون في البيت - أماً أو أباً - إلا دوحة مثمرة تجني منها الأسرة أطيب الثمار : أبناء صالحين وعملاً اجتماعياً كريماً . . وصدق رسول الله ﷺ حين وضع لنا أسس الحياة الزوجية التي تدوم سعادتها وتثمر أزهارها بقوله : «**لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن.. ولكن تزوجوهن على الدين**»(١) .

ويقول أيضاً : «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة وفساد عريض**»(٢) .

الحقيقة الثانية:

إننا كشعب متدين يأمره دينه بحسن الخلق يجب أن تكون من أحسن الناس أخلاقاً مع أزواجنا وزوجاتنا . . يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً الرجال : ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ (النساء : ١٩)

ويقول رسول الله ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله** » (٣) .

ولستُ أرىٰ أقبح من رجل يتزين للناس ببشاشة الوجه ، وحلاوة اللسان ، حتىٰ إذا عاد إلىٰ أهله وبيته بدا فظاً غليظاً عابس الوجه ثقيل الظل . .

وكذلك المرأة تتزين للزائرات وتحسن لهن الكلام واللقاء ، ثم تكون مع زوجها سيئة اللقاء والكلام والمعاملة . . وكما تثير الكلمة السيئة عواصف من الشر ، فإن الكلمة الطيبة تعطر الأجواء بالحب والسعادة .

---

(١) رواه ابن ماجة ، نكاح ٦ ، قال في الزوائد : في إسناده الإفريقي وهو عبد الله بن زياد بن أنعم ، ضعيف ، والحديث رواه ابن حبان في صحيحه بإسناد آخر .

(٢) رواه الترمذي ، نكاح ٣ ، وابن ماجة ، نكاح ٤٦ ، ورواه الديلمي في الفردوس بلفظ : «**إذا جاء الأكفاء فأنكحوهن**» ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب

(٣) رواه ابن ماجة ، نكاح ٥٠ ، والدارمي ، نكاح ٥٥ ، وابن حبان في صحيحه ، والحديث صحيح كما ذكر الدارمي .

الحقيقة الثالثة :

أننا ننسىٰ التكافل العائلي بين الزوج والزوجة . . فالزواج قد ربط مصير الزوجين في غالب الأمر حتىٰ نهاية الحياة ، فما يصيب أحدهما من ضيق أو عسر أو مهانة يصيب الآخر . . فإذا لم يذكر الزوج إلا نفسه ، ولم تذكر الزوجة إلا نفسها ، فقد مزقا هذا الرباط المقدس وجعلا نفسيهما كشريكين همّ كل واحد منهما أن يربح علىٰ حساب الآخر ! وإنه لشقاء ما بعده شقاء . .

لقد كان من عادة نساء السلف إذا خرج الرجل من منزله أن تقول له زوجة أو بنته : «إياك وكسب الحرام ، فإنا نصبر علىٰ الجوع والضر ولا نصبر علىٰ النار» .

ومما أخرجه البخاري عن **أسماء بنت أبي بكر** رضي الله عنها قالت : «تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا شيء غير فرسه وناضحه (أي بعيره) ، فكنتُ أعلف فرسه وأسوسه ، وأدق النوىٰ لبعيره ، وأستقي الماء وأخرز غربه (أي : أضبط دلوه) وأعجن ، وكنت أنقل النوىٰ علىٰ رأسي من ثلثي فرسخ (أي مسافة ساعة تقريباً) حتىٰ أرسل إليَّ أبو بكر بخادم يكفيني سياسة الفرس كأنما أعتقني» .

وكان **نساء السلف الصالح** يشجعن أزواجهن علىٰ الجهاد ، ويصحبن معهن أولادهن في المعارك فيجد الأزواج والأبناء فيهن خير معين علىٰ القيام بالواجب والنشاط فيه . . لما نزل قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾ (البقرة : ٢٤٥) .

قال أبو الدحداح الأنصاري[1] : «يا رسول الله ﷺ وإن الله ليريد منا أن نقرضه؟» . قال : «**نعم يا أبا الدحداح**» . .

قال : أرني يدك يا رسول الله ، فناول الرسول ﷺ يده ، فقال أبو الدحداح : «أشهد يا رسول الله أني قد أقرضت ربي حائطي» (أي : بستاني) .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم ، وأخرجه ابن مردويه عن عمر مرفوعًا بنحوه ، انظر تفسير ابن كثير في تفسير الآية رقم ٢٤٥ من سورة البقرة .

وكان له بستان فيه ستمائة نخلة، وفي البستان زوجته أم الدحداح وأولاده يسكنونه، ثم جاء إلى البستان فنادى زوجته: يا أم الدحداح. .

قالت: لبيك، قال: أخرجي أنت وأولادك فقد أقرضت الله بستاني. .

فما أعولت زوجته ولا عنفته ولا صرخت في وجهه، ولكن استبشرت وقالت: ربح بيعك يا أبا الدحداح، ثم نقلت متاعها وصبيانها. .

هكذا يعيش الأزواج سعداء حين يعين كل منهما الآخر على رسالة الحياة وأعباء تلك الرسالة .

الحقيقة الرابعة:

التي يجب أن نتذكرها أزواجاً وزوجات. . أن الحياة والصحة والسعادة أثمن من أن تضيع في الخصام والنزاع. . وأن ما ينفقه أحدنا من صحته ووقته وراحته وهدوء أعصابه حيث يثور في البيت ويغضب، هو أغلى وأثمن من المال الذي يغضب له، أو الكرامة التي يثور لها، أو الخلل الذي يريد أن يصلحه. . وخصوصاً إذا كان في البيت أولاد صغار يتأثرون بما يشاهدون من خلق الأب أو الأم، وينشأون على ما ينشأ عليه الآباء والأمهات من خلق حسن أو ذميم.

أيها الأزواج. . أيتها الزوجات. . إن السعادة في الحياة هي كل ما في الحياة، فالتمسوا أسباب السعادة في أنفسكم وفي بيوتكم قبل أن تلتمسوها في الأسواق أو الشوارع أو المدارس أو المنتديات(١).

الحقيقة الخامسة:

اتباع منهج النبي ﷺ في حل الخلافات الزوجية. . لنفترض أن الوقاية لم تنجح وأن الخلاف بين الزوجين قد وقع بالفعل. . فماذا يفعل الزوج؟ هنا تكون الأسوة بالنبي ﷺ واجبة وضرورية.

---

(١) كتاب أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي رحمه الله تعالى.

منهجه ﷺ في حل الخلافات الزوجية :(١)

حدث خلاف (ذات مرة) بين النبي ﷺ والسيدة عائشة رضي الله عنها فقال لها :

«**من ترضين حكماً بيني وبينك؟ أترضين بعمر؟**» .

قالت : «لا ، إني أهاب شدته وغلظته» . .

فقال : «**أترضين بأبي عبيدة؟**» .

قالت : «لا ، إنه يحبك وسيحكم لك» .

فقال : «**أترضين بأبيك أبي بكر؟**» ، فقالت : «نعم» .

فبعث إليه النبي ﷺ فلما دخل عليهما قال النبي ﷺ للسيدة عائشة :

«**تتكلمين أنت أولاً أم أتكلم أنا؟**» .

فقالت : «تكلم يا رسول الله ولا تقل إلا حقاً» .

فقام سيدنا أبو بكر رضي الله عنه إلى ابنته ليضربها ، فاحتمت بظهر النبي ﷺ الذي قال لأبي بكر : «**دعوتك محكماً، ولم ندعك مؤدباً، فأخرج لهذا دعوناك**» .

فلما خرج أبو بكر تنحت السيدة عائشة جانباً ، فأراد النبي ﷺ أن يلاطفها فقال لها : «**أدنى مني**» ، فلم تقترب ، فقال لها : «**لقد كنت من قبل شديدة اللزوق بظهري**» . (يقصد أنها كانت منذ لحظات تحتمي خوفاً من أبيها) .

فضحكت ـ رضي الله عنها ـ وضحك المصطفى ﷺ ، ودخل عليهما الصديق رضي الله عنهما وهما يضحكان فقال لهما : «أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما»(٢) .

لنتأمل هذا الموقف لنرى فيه مبادئ سامية ومعاني جليلة منها :

١ ـ لجأ النبي ﷺ إلى أسلوب التحكيم بالرغم من أنه كان يملك عليها حق الطاعة الكاملة ، للأسباب الآتية :

---

(١) د. ياسر أبو شبانه ، في ذكرى المولد النبوي .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٧٢ بعدة ألفاظ يُفهم منها أن الموقف قد تكرر أو أن بعض الرواة ذكر ما نسيه الآخرون .

أ ـ فهو رسول الله ﷺ وطاعته جزء من طاعة المؤمن لربه، قال تعالىٰ:

﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠).

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ (آل عمران: ٣٢).

ب ـ كان يملك عليها حق الطاعة بمقتضىٰ أنه ولي الأمر، وقائد الأمَّة، ورئيس الدولة

جـ ـ كان يملك عليها حق الطاعة بمقتضىٰ أنه الزوج. .

٢ ـ لم يحدد النبي ﷺ شخصية معينة للتحكيم، ولم يفرض عليها اسماً بعينه.

٣ ـ خَيَّرها النبي ﷺ في أولوية الكلام: «**تتكلمين أنت؟ أم أتكلم أنا؟**».

٤ ـ كيف تصرَّف النبي ﷺ تجاه قولها: «ولا تقل إلا حقاً؟». . ماذا تفعل أنتَ لو كُنتَ مكان النبي ﷺ؟ . . لكنه تحمَّل منها، ولم يتحمل أبو بكر.

٥ ـ كان النبي ﷺ هو المدافع الأول عن زوجته في مواجهة أبيها وثورته العارمة ورغبته في إصلاح خطئها.

٦ ـ طلب النبي ﷺ من أبي بكر الخروج لأنه تجاوز المهمة التي جاء من أجلها.

٧ ـ نتيجة لهذا الهدوء النبوي والحكمة في مواجهة الموقف، تبددت غيوم النزاع، وهبت علىٰ البيت نسائم المرح والمودة والرحمة.

توصية عملية: الوضع الصحيح أثناء الخلافات:

عند احتدام الحوار بينك وبين الزوج اتبعي الآتي:

١ ـ لا تقفي أمامه.

٢ ـ اجلسي بجواره وضعي يدك في يده.

٣ ـ قولي الكلمات الهادئة الطيبة في الرد حتىٰ وإن كانت ألفاظه غير ذلك، وتذكري قول الله تعالىٰ: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾ (الإسراء: ٥٣).

٤ ـ التزمي فقه اللمسة والقُبلة حتىٰ يكون الحوار هادئاً، ويزول الخلاف، وتحل المودة والرحمة.

تنبيـه:

الملل عدو الحياة الزوجية . . ولكي نتغلب عليه يجب أن نُغيِّر دائماً في أسلوب الحياة الرتيب كل فترة زمنية . .

مرة مسابقة، ومرة رحلة، ومرة زيارة، ومرة تغيير شكل أثاث المنزل . .

حتىٰ التغيير في أسلوب الكلام والحوار، حتىٰ تبدو الألفاظ جديدة وأكثر جمالاً، ولها مذاقها الخاص . .

فتغرد علىٰ المنزل طيور المودة والرحمة .

المبحث التاسع

فقه الحياة الزوجية للمرأة

نعرض لبعض الأحكام الفقهية التي تحتاج إليها المرأة في حياتها الزوجية حتى تكون على علم بالحلال والحرام ومالها وما عليها . .

وسوف نتناول هذه المسائل في النواحي الآتية:

أولاً : أحكام في النواحي الفقهية للمرأة :

١ ـ الطهارة والصحة في الحياة الزوجية .

٢ ـ الختان .

٣ ـ فقه المعاشرة الزوجية .

٤ ـ سن الزواج .

ثانياً : أحكام في النواحي السلوكية :

(الطلاق ـ الخلع ـ زواج المسيار ـ خدمة المرأة لزوجها ـ فقه الهجر ـ سفر المرأة ـ المصافحة ـ قدم المرأة ـ الكوافير) .

ثالثاً : أحكام في النواحي المالية :

(مرتب الزوجة ـ اقتصاديات الأسرة) .

أولاً: أحكام في النواحي الفقهية للمرأة (١)

١ ـ الطهارة والصحة في الحياة الزوجية:

أولاً : مفرزات الفرج عند الزوجة :

إن الأحكام الفقهية المتعلقة بمفرزات الطهر أو الرطوبة النسائية تختلف باختلاف منشئها : هل هي من الفرج الخارجي؟ أم من الفرج الداخلي؟ أم مما وراء هذا؟ وهل هي مفرزات طبيعية أم مرضية؟

ولذا فإن تمييز أنواعها بعضها عن بعض وتفريقها عما يتلبس معها من مفرزات غريزية أو مرضية أساس في إصدار الحكم الشرعي من حيث الطهارة من الخبث، والطهارة من الحدث(٢) .

إن التمييز والتفريق الدقيقين يعتمدان على المعلومات الطبية الغريزية والمرضية، وعلى الصفات المميزة لكل من رطوبة الفرج الخارجي، ومذي المرأة، ورطوبة الفرج الداخلي، وماء الرعشة الجنسية، والرطوبة الآتية مما وراء الفرج الباطن.

١ ـ رطوبة الفرج الخارجي:

إن تمييز المفرزات العرقية والمفرزات الدهنية البادية على الفرج أمر سهل لامجال لالتباسهما مع رطوبة الفرج الداخلي.

إن المهم تمييز مفرزه المخاطي الذي يخرج من أسفل الفرج عن مفرزات المهبل الخارجة من أسفله أيضاً.

وتتصف رطوبة الفرج الخارجي بأنها مخاطية رقيقة لزجة شفافة ومقدارها قليل، وإن إفرازها وخروجها لم يقارنه تهيج الشهوة الجنسية عند الأنثى.

---

(١) هذه المادة من كتاب : آداب الحياة الزوجية ، للشيخ خالد عبدالرحمن العك.

(٢) الطب النبوي، والعلم الحديث : للدكتور : محمود ناظم النسيمي جـ ١ ، ص ٢٠١، ٢٠٥، ط ـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢ ـ مذي المرأة :

هو المفرز التناسلي الذي يخرج عند تهيج الشهوة أو الرغبة الجنسية بسبب من الأسباب دون تُرافقه برعشة جنسية، ولذا فإنه لا يعقبه فتور ولا شعور بالارتواء الجنسي، وربما يشعر به إذا كان قليلاً.

أما صفاته .. فقد قال الإمام النووي في المجموع: وأما المذي فهو ماء أبيض رقيق لزج يخرج عند شهوة، لا بشهوة ولا دفق ولا يعقبه فتور، وربما لا يحس بخروجه، ويشترك الرجل والمرأة فيه.

قال إمام الحرمين: «وإذا هاجت المرأة خرج منها المذي»، قال: وهو أغلب فيهن منه في الرجل.

وقال **العلامة ابن عابدين** في حاشيته في تعريف المذي: «هو ماء أبيض يخرج عند الشهوة لا بها، وهو في النساء أغلب، قيل: هو منهن القذي».

إن وصف المذي بالبياض في كلام الفقهاء يراد به إلى الشفاف الذي لا لون له، أي أن الأبيض في وصفهم من الألفاظ المشتركة قد يطلق على الذي لا لون له كما يطلق على اللون الأبيض المشابه للون اللبن.

٣ ـ رطوبة الفرج الداخلي:

تتألف من المفرزات المخاطية القلية الآتية من عنق الرحم ومن ارتشاحات المهبل ولذا يغلب عليها صفات مفرز المهبل.

فهي مفرز أبيض اللون لبني قوامه قشدي، ويحتوي على قطع متجمدة بيضاء كاللبن المتخثر. هذا الوصف الطبي الغريزي يقاربه وصف الفقهاء، قال: ابن حجر الهيثمي في تحفة المحتاج: رطوبة الفرج هو ماء أبيض متردد بين المذي والعرق، يخرج من باطن الفرج الذي لا يجب غسله. لقد وصفه بالبياض، وقلنا في وصفه الطبي إن لونه الأبيض لبني، وأما قوله متردد بين المذي والعرق، أي: من حيث اللزوجة.

هذا وقد تكون الحركة أو تغيير من اضطجاع إلى جلوس أو قيام، أو من

جلوس أو قيام سبباً في انصباب رطوبة الفرج الداخلي (أي مفرز المهبل) والشعور بخروجها.

فإذا كانت الرطوبة الصادرة عن الفرج متصفة كلها أو قسم منها بصفات مفرزات المهبل، قيل: إنها رطوبة داخلية من حيث الحكم الشرعي، أي سواء أكانت مفرزاً مهبلياً صرفاً أو مخلوطاً مع المفرزات المخاطية للفرج الخارجي.

ثانياً: حكم رطوبة الفرج الداخلي لدى الزوجة:

إن رطوبة الفرج الداخلي (غير المرضية) طاهرة على المعتمد ولكنها ناقضة للوضوء، وإليكم بعضاً من النصوص الفقهية المتعلقة بأحكام رطوبة الفرج(١).

١ ـ من نصوص المذهب الحنفي:

في كتاب الدر المختار في بحث الغسل: «وسيجيء أن رطوبة الفرج طاهرة عنده» أي عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى خلافاً لصاحبيه، ثم أوضح العلامة ابن عابدين في حاشيته هنا: أن محل الخلاف بين أبي حنيفة والصاحبين إنما هي رطوبة الفرج الداخلي (وهو الذي لا يجب غسله في حال لزوم الغسل من الجنابة) أما رطوبة الفرج الخارجي فهي طاهرة بالاتفاق لأنها كرطوبة الفم والأنف والعرق.

وفي حاشية ابن عابدين أيضاً ـ في باب الأنجاس ـ (رطوبة الفرج) أي الداخلي طاهرة عند أبي حنيفة فقط، وأما رطوبة الفرج الخارجي فطاهرة اتفاقاً.

٢ ـ من نصوص المذهب الشافعي:

في المنهاج **للإمام النووي** في باب النجاسة وإزالتها: «وليست العلقة والمضغة ورطوبة الفرج ينجس في الأصح».

قال **ابن حجر الهيثمي** في شرحه المسمى (تحفة المحتاج بشرح المنهاج) بعد قول النووي: (في الأصح): لأنها كالعرق وتولدها من محل النجاسة غير متيقن،

---

(١) الطب النبوي، والعلم الحديث: للدكتور: محمود ناظم النسيمي، جـ١، ص ٢١٠، ٢١٤، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت.

أما ما يخرج مما يجب غسله فإنه طاهر قطعاً، أما الخارج من وراء باطن الفرج فإنه نجس قطعاً، ككل خارج من الباطن كالماء الخارج من الولد أو قبله.

وقال **العلامة الشيخ عبد الحميد الشرواني** في حاشيته على تحفة المحتاج: «والحاصل أن رطوبة الفرج ثلاثة أقسام: طاهرة قطعاً وهي ما تكون في المحل الذي يظهر عند جلوسها وهو الذي يجب غسله في الغسل والاستنجاء، ونجسه قطعاً وهي ما وراء ذكر المجامع (أي المهبل) وطاهرة على الأصح وهي ما يصله ذكر المجامع، فرطوبة الفرج الداخلي أو المهبل طاهرة على الأصح في مذهب الشافعية».

ثالثاً: حكم مني الزوج والزوجة:

إن أحكام مني المرأة أو ماء رعشتها الجنسية كأحكام مني الرجل، فإن النساء شقائق الرجال، وإليكن هذه الأحكام (١):

أن ماء الرعشة الجنسية من الأنثى موجب للغسل كوجوبه على الرجل بخروج منيه بشهوة، فإن الحديث النبوي يوجب الغسل على المرأة إذا احتلمت ورأت الماء.

فعن أم سلمة رضي الله عنها، أن أم سليم ـ وهي امرأة أبي طلحة ـ قالت: «يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت؟» قال: «**نعم إذا رأت الماء**»، فقالت أم سلمة: «أو تحتلم المرأة؟»، فقال: «**تربت يداك فبم يشبهها ولدها؟**»(٢). وفي رواية زيادة: قالت: «فضحت النساء»..

وفي رواية أخرى: «فغطت أم سلمة ـ يعني وجهها ـ وقالت: يا رسول الله ﷺ: «أو تحتلم المرأة؟»، قال: «**نعم، ترتبت يمينك، فبم يشبهها ولدها؟**».

وفي رواية أخرى: «فضحكت أم سلمة».

وقال الترمذي ـ بعد روايته المشابهة للحديث ـ: «وهو قول عامة الفقهاء، إن المرأة إذا رأت في المنام مثل ما يرى الرجل فأنزلت أن عليها الغسل».

---

(١) الطب النبوي، والعلم الحديث: للدكتور: محمود ناظم النسيمي ج١ : ٢١٦، ٢١٩، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) رواه البخاري، أنبياء ١، علم ٥٠، ومسلم، حيض ٣٢.

أ ـ السبيلان :

هما السوأتان أو العورتان المغلظتان أعني : القُبُل والدُبُر ، وإذا كان الأنبوب الهضمي ينتهي بالدبر ، فإن الجهاز البولي والجهاز التناسلي يلتقيان وينتهيان في القبل الذي تتغلب فيه المظاهر العائدة للتناسل على المظاهر العائدة للتبول وخاصة عند الأنثى . فالقضيب عضو التناسل عند الذكر بمعظم صفاته التشريحية والغريزية ، ويشترك معه جهاز البول بالإحليل الذي يمتد داخله في الوجه السفلي مشكلاً قسماً نحيلاً منه . أما قبل المرأة فصفاته الأنثوية راجحة جداً ، ليس فيه من جهاز البول إلا صماخ البول أي فوهة الإحليل . ولذا يقال في الطب : يحتوي جسم الإنسان على جهاز هضمي وجهاز بولي وجهاز تناسلي ، ويقال : يحتوي على جهاز هضمي وجهاز بولي تناسلي .

وبالرجوع إلى أحكام المجتهدين والفقهاء فيما يخرج من قبل المرأة ، نرى منها ما يدل على اعتبار كل ما يخرج من ثقبة البول والفوهة الفرجية المهبلية خارجاً من السبيل الأمامي ، أي أنه نجس وناقض للوضوء ، ومنها ما يدل على التفريق بينهما فيعتبر ما يخرج من ثقبة البول نجساً ناقضاً للوضوء لأنه سبيل البول قطعاً ، ويعتبر ما يخرج من المهبل كمفرز طبيعي طاهر ولكنه ينقض الوضوء ، على قول بعض الفقهاء ، وعند ابن حزم لا ينقض الوضوء .

ومن الخطأ أن يقال : إن القُبُل هو سبيل البول وأن سبيل التناسل هو سبيل آخر ثالث . . فالصحيح أن القبل عند البالغ والبالغة هو سبيل بولي تناسلي تتغلب فيه تشريحياً ووظيفياً الصفات التناسلية لا البولية .

رابعاً : طهارة فرج الزوجة ظاهراً وباطناً :

ينقسم السبيل البولي التناسلي عند المرأة من وجهة الأحكام الشرعية وخاصة فيما يتعلق برطوبة الفرج وأحكام الطهارتين الحسية والحكمية(١) ، كما يلي :

---

(١) الطب النبوي ، والعلم الحديث : للدكتور : ناظم النسيمي ، جـ١ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١ ـ الفرج الخارجي:

هو ما يظهر من الفرج عند جلوس الأنثىٰ لقضاء حاجتها، ولقد أشار بعض الفقهاء أن أقصىٰ ما يشاهد من الفرج الخارجي في تلك الوضعية هي الحلقة يعني الفوهة الفرجية المهبلية بالتعبير الطبي. ولقد ثبت أن هذه الفوهة وكذلك الثقبة البولية تقعان في الطبقة العميقة من الفرج، مما يؤكد أن الفرج الخارجي عند الفقهاء يقابل من الوجهة التشريحية الطبية الفرج بطبقاته الثلاثة. ومن أحكام الفرج الخارجي أن يلحقه حكم التطهير في الغسل وبعد التبول. وأن مفرزاته الطبيعية، العرقية والدهنية والمخاطية، طاهرة غير ناقضة للوضوء بالإجماع.

وإذا كان ما يظهر من قبل الأنثىٰ يختلف بين أن يكون بكراً أو ثيباً، ولوداً أو غير ولود، كما يختلف باختلاف صحتها وطبيعة تكوين جسمها فالتطهر يصب الماء علىٰ المنطقة، يجب أن يتم وهي في وضعية القرفصاء.

٢ ـ الفرج الداخلي:

هو الذي يلي أعماق الفرج الظاهر، ولا يبدو في وضعية الجلوس، وهو مكان تمام المناسبة الجنسية، ويقابل من الوجهة التشريحية المهبل ويتصل بالفرج الخارجي بالفوهة الفرجية المهبلية. ومن أحكامه أنه لا يجب غسله أي لا يلحقه حكم التطهير. أي لا يلزم المرأة أن تدخل الماء إلىٰ داخل فرجها في العمق بغية تطهيره.

خامساً : الحيض والطهر عند الزوجة :

قد يخرج من النساء مفرزات كدرة مصفرة في ظرفين [1] :

١ ـ خلال أيام الطمث أو نهايته.

٢ ـ في زمن الطهر ولذا تعرضت لبحث الكدرة والصفرة في موضوع مفرزات الطهر، وقد تقدمت معنا.

---

(١) الطب النبوي، والعلم الحديث: للدكتور: نظام النسيمي، جـ١، ص ٢٢٣، ٢٢٥، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣ـ أما في أيام الحيض أو في نهايته فقد ترىٰ الصفرة والكدرة عندما يخف دم الطمث، ولكن دون انقطاعه، وكذلك عندما ينقطع من قريب حيث إن ما يبقىٰ منه في المسلك التناسلي يلوث المفرزات غير الدموية ويعطيها لون الصفرة والكدرة. إذا استمر امتداد لون الصفرة والكدرة في المفرزات دل علىٰ وجود حالة مرضية تستدعي مراجعة مختصة أو مختص بالأمراض النسائية.

٤ ـ أما الصفرة والكدرة في غير أيام الحيض فإنها تدل علىٰ حالة مرضية ولاتعتبر طمثاً من الوجهة الطبية.

أ ـ الأحاديث النبوية:

١ ـ عن أم عطية رضي الله عنها قالت: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئاً»(١).

٢ ـ عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه مولاة عائشة قالت: «كان النساء يبعثن إلىٰ عائشة بالدرجة فيها الكراسف، فيه الصفرة من دم الحيضة يسألنها عن الصلاة فتقول لهن: لا تعجلن حتىٰ ترين القصة البيضاء، تريد بذل الطهر من الحيضة».

قال البخاري تعليقاً: «كان النساء يبعثن إلىٰ عائشة بالكرسف فيه الصفرة فتقول: لا تعجلن حتىٰ ترين القصة البيضاء»(٢).

قال ابن الأثير: القَصَّة الْجَصُّ، ومعناه: أن تخرج الخرقة أو القطنة التي تحتشىٰ بها المرأة كأنها قصة لا يخالطها صفرة ولا كدره.

ب ـ فقه الحديث:

لقد كان اختلاف المجتهدين في الترجيح أو الجمع بين أحاديث الباب هو السبب في اختلاف فتاويهم قال ابن رشد القرطبي في بداية المجتهد ونهاية المقتصد: اختلف الفقهاء في الصفرة والكدرة هل هي حيض أم لا؟ فرأت جماعة أنها حيض في أيام الحيض وبه قال: الشافعي وأبو حنيفة، ورورىٰ مثل ذلك عن مالك. وفي المدونة عنه أن الصفرة والكدرة حيض في أيام الحيض وفي غير أيام الحيض رأت

---

(١) أخرجه أبو داود، والنسائي ١/ ١٨٦ ـ ١٨٧، والدارمي، وضوء ٩٤، حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ، حيض ١٩.

ذلك مع الدم أو لم تره . وقال داود وأبو يوسف : إن الصفرة والكدرة لا تكون حيضة إلا بأثر الدم . . والسبب في اختلافهم مخالفة ظاهر حديث أم عطية لحديث عائشة . . فمن رجح حديث عائشة جعل الصفرة والكدرة حيضاً سواء ظهرت في أيام الحيض أو في غير أيامه مع الدم أو بلا دم . فإن حكم الشيء الواحد في نفسه ليس يختلف . ومن رام الجمع بين الحديثين قال : إن حديث عائشة هو في أيام الحيض ، وحديث أم عطية في غير أيام الحيض .

بعد الإطلاع على الحديثين السابقين وعلى الناحيتين الغريزية والمرضية ترى أن الطب يؤيد مذهبي الإمامين أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى في هذه المسألة مع اعتبار ملاحظة أبي يوسف .

فائدة توضيحية :

أ ـ الطهر هو انقطاع دم الحيض أو النفاس عند المرأة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ (البقرة : ٢٢) ولا يُجامع الرجل زوجته إلا بعد التطهر .

ب ـ علامة الطهر : خروج القصة البيضاء .

جـ ـ التطهر : الاغتسال أو التيمم بعد ظهور علامة الطهر ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ .

سادساً : سيلان الفرج عند الحامل :

أ ـ المعلومات الطبية (١) :

١ ـ تزداد مفرزات المهبل أثناء الحمل ولا تخرج عن كونها رطوبة تخرج من الفرج الداخلي وقد مر بيان حكمها .

٢ ـ وتفرز غدد الغشاء المخاطي لعنق الرحم خلال الحمل إفرازاً غزيراً ينتج عن تراكمه السدادة المخاطية التي تسد العنق طوال أيام الحمل ، وإن وظيفة هذه السدادة هي منع وصول الجراثيم إلى جوف الرحم ومتى بدأ إمحاء العنق في بدء المخاض

(١) الطب النبوي ، والعلم الحديث : للدكتور : محمود ناظم النسيمي ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

تنقذف هذه السدادة المخاطية فتسيل من المهبل بشكل مخاط كثيف أبيض إلىٰ الصفرة، ثم إن إمحاء العنق وتوسعه يترافقان بظهور شقوق فيه فيحدث نزف خفيف يلون المخاط بلون أحمر. وقد عزىٰ إلىٰ هذا المخاط المدمي المعروف بعلامة المخاض وظيفة طلي المسير التناسلي وتسهيل انزلاق الجنين فيه.

٣ ـ وبعد اتساع عنق الرحم يتكون من الأغشية المحيطة بالجنين والمتبارزة عبر عنق جيب المياه، وإن أغشية جيب المياه نفوذة يرتشح من خلالها قسم من السائل الأمنيوسي في أثناء المخاض، فينصب في المهبل ويطليه ويساعد في انزلاق مجيء الجنين فيه.

٤ ـ وبعد تمزق جنيب المياه يخرج قسم كبير من السائل الآمنيوسي الذي كان ضمن الرحم يحيط بالجنين فينظف بخروجه المسلك التناسلي ويجدد طليه.

ب ـ الأحكام الفقهية:

١ ـ إن خروج علامة المخاض أو السائل الأمنيوسي (مَّية الرأس) ناقض للوضوء. . وقد تقدم البيان الفقهي بأن خروج رطوبة الفرج الداخلي ناقض للوضوء، وأن كل ما يخرج من السبيلين ناقض للوضوء طاهراً كان أم نجساً.

٢ ـ إذا خالطهما دم فهما نجسان لنجاسة الدم المسفوح.

٣ ـ أما إذا كانا غير مدميين فقد اختلف الفقهاء في حكم السائل الذي يخرج مع الولد أو قبله:

أ ـ ذهب المالكية إلىٰ طهارة السائل الذي يخرج قرب الولادة ويدعونه الهادي.

ب ـ أما الحنفية فلا يوجد في كتبهم نص صريح في حكم هذا السائل.

أقول والله أعلم: «إن النصوص الفقهية القائلة بطهارة رطوبة الولد عند الولادة قد تشير إلىٰ طهارة السائل الأمنيوسي الذي هو السبب الأكبر في رطوبة الولد».

قال **ابن عابدين** في حاشيته: «قوله رطوبة الفرج طاهرة» أما الدم الخارج عقب الولادة فهو دم نفاس وهو نجس، ولذا نقل في التاتارخانية أن رطوبة الولد عند الولادة طاهرة».

٢ - الختـــان :

تعريف الختان : لغة : قطع (القلفة)(١) من الذكر ، والنواة من الأنثىٰ ، أي التي فوق مخرج البول دون مبالغة في قطعها ودون إستئصال لها وسمىٰ هذا بالنسبة لهن (خفاضاً) .

خلاصة القول : أن الفقهاء اتفقوا علىٰ أن الختان في حق الرجال . . والخفاض في حق الإناث مشروع ولكن اختلفوا في وجوبه :

١ - قال : الإمام أبو حنيفة ومالك : هو مسنون في حقهما . ليس بواجب ولكن يأثم بتركه تاركه .

٢ - الشافعي قال : هو فرض علىٰ الذكور والإناث .

٣ - الإمام أحمد : هو واجب في حق الرجال وعنده للنساء روايتان أظهرهما الوجوب .

روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **«الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان.. والاستحداد.. ونتف الابط.. وقص الشارب.. وتقليم الأظافر »**(٢) .

الدليل على خفاض النساء :

عن أم عطية قالت : إن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبي ﷺ : **«لاتنهكي.. فإن ذلك أحظى للزوج وأشرق للوجه»** .

وجاء ذلك مفصلاً في رواية أخرىٰ تقول : «إنه عندما هاجر النساء كان فيهن أم حبيبة ، وقد عرفت بختان الجواري ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال لها : **« يا أم حبيبة هل الذي كان في يدك هو في يدك اليوم؟ »** .

فقالت : «نعم يا رسول الله ﷺ ألا أن يكون حراماً فتنهاني عنه» .

فقال رسول الله ﷺ : **«بل هو حلال ، فادني مني حتى أعلمك»** .

---

(١) القلفة : الجلدة التي تغطي الحشفة بحيث تنكشف الحشفة كلها .

(٢) رواه البخاري ، استئذان ٥١ ، لباس ٦٣ ، ٦٤ ، ومسلم ، طهارة ٤٩ ، ٥٠ .

فدنت منه ، فقال: « **يا أم حبيبة إذا أنت فعلتِ فلا تنهكي فإنه أشرق للوجه وأحظى للزوج**»(١).

وفي الحديث: «**يا نساء الأنصار اختفضن** (أي اختتن) **ولا تنهكن** (أي: لاتبالغن في الخفاض)» (٢).

وللحديث رواية أخرىٰ عن ابن عمر: «**فإنه أشرق للوجه وأحظى للزوج**».

وهذا التوجيه النبوي إنما هو لضبط ميزان الحس الجنسي عند الفتاة(٣).

فأمر بخفض الجزء الذي يعلو مخرج البول لضبط الاشتهاء، ونهىٰ عن إبادة مصدر هذا الحس واستئصاله.

قال **الإمام البيضاوي** عن الحديث الذي رواه البخاري: «**خمس من الفطرة**»: إنه عام في ختان الذكر والأنثىٰ.

الختان من شعائر الإسلام:

ولذلك قال الشافعي: «إنه واجب علىٰ الرجال والنساء».

والأحناف قالوا: «لو اجتمع أهل بلدة علىٰ ترك الختان حاربهم الإمام كما لو تركوا الأذان».

ومما تقدم يتضح أن ختان البنات من فطرة الإسلام.. وطريقته علىٰ الوجه الذي بينه رسول الله ﷺ في حديثه لأم حبيبة.

---

(١) في (تحفة المودود بأحكام المولود) لابن القيم أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد عن أم عطية، وأخرجه الحاكم في المستدرك، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير، وللحديث شواهد كما في فتح الباري شرح صحيح البخاري، أن الحديث له شاهدان من حديث أنس، ومن حديث أم أيمن، ويشهد له أيضًا حديث «**خمس من الفطرة**» المتفق عليه، وحديث: «**إذا التقى الختانات، وجب الغسل**»، قال الإمام أحمد: «وفي هذا أن النساء يختتن كما في تحفة المودود لابن القيم».

(٢) نيل الأوطار للشوكاني جزء ١ .

(٣) الختان للإمام الأكبر الشيخ: جاد الحق علي جاد الحق، كتاب مجلة الأزهر ١٤١٥هـ.

رأي الأطباء :

اختلف الأطباء في ذلك. فمنهم من يرىٰ ترك ختان النساء . . والبعض الآخر يرىٰ ختانهن لأن هذا يهذب من إثارة الجنس ولا سيما في فترة البلوغ. وأضافوا أن الفتاة التي تعرض عن الختان تنشأ من صغرها وفي مراهقتها حادة المزاج، سيئة الطبع . . ومع أن الختان طريق للعفة إلا أنه يقطع تلك الإفرازات الدهنية التي تؤدي إلىٰ التهاب مجرىٰ البول وموضع التناسل والتعرض بذلك للأمراض.

مقدار ما يقطع في الختان:

مقدار ما يقطع في ختان الذكر : الجلدة التي تغطي الحشفة وتسمىٰ (القلفة) .

مقدار ما يقطع من الأنثىٰ: الجلدة أو النواة التي كعرف الديك فوق رأس البظر، والسُنَّة ألا تقطع كلها بل جزء منها، والختان أو الخفاض للفتيات أنواع كما هو في رأي الأطباء:

النوع الأول: تم قطع النواة التي فوق رأس البظر.

النوع الثاني: يتم استئصال جزء من البظر وجزء من الشفرين الصغيرين.

النوع الثالث: يتم فيه استئصال كل البظر وكل الشفرين الصغيرين.

والنوع الأول هو الواجب الاتباع.

وقت الختان :

عند الشافعية والحنابلة أن الوقت الذي يصير فيه الختان واجباً هو ما بعد البلوغ لأن الختان من أجل الطهارة وهي لا تجب عليه قبل البلوغ . .

ويستحب عندهما الختان في الصغر إلىٰ سن التمييز لأنه أرفق به وأسرع برءاً.

والمالكية قالوا: في اليوم السابع بعد الولادة، والمستحب عندهم ما بين العام السابع إلىٰ العاشر من عمرة لأنها السن التي يؤمر فيها بالصلاة. وكره الحنفية والحنابلة والمالكية الختان يوم السابع لأن فيه تشبهاً باليهود كما أنه لم يرد نص صريح من السنة بتحديد وقت للختان. . فيترك لولي الأمر بعد الولادة صبياً أو صبية إذ إن

ما ورد أن النبي ﷺ ختن الحسن والحسين يوم السابع غير ثابت من البيهقي ومن الذهبي، وقال ذلك في الميزان.

يقول **الإمام الأكبر الشيخ : جاد الحق علي جاد الحق**(١): « أميل إلى الفتوى بتفويض أمر تحديد وقت وسن الختان للولي بمشورة الطبيب من طاقة المختون ـ ذكراً أو أنثى ـ ومن مصلحته ويكون هذا قبل البلوغ الطبيعي لكل منهم».

وأرى: أن الأفضل في ختان الذكر يكون في الشهر الأول أو الثاني لولادته ليس هذا تحديداً ولكن كلما كان الختان وهو صغير كان ذلك أفضل وذلك لسرعة برء الجرح ولسهولة العناية به صغيراً غير الكبير ونشأة هذا المكان نظيفاً منذ بداية حياته.

أما البنت أرى ألا يكون ذلك مبكراً، والأفضل أن يكون قبل البلوغ بوقت قليل، لأن هذا الجزء الذي يخفض قد ينشأ صغيراً عند الفتاة فلا يحتاج إلى خفض، فإذا ظهر بارزاً عند البلوغ خفض وإلا تُرِكَ إن كان صغيراً غير بارز، وذلك لقول النبي ﷺ لأم حبيبة : «**أشمي ولا تنهكي**»، أي اتركي الموضع أشم أي مرتفع . .

وقال **الماوردي** : «وأما خفض المرأة فهو قطع جلدة في الفرج فوق مدخل الذكر ومخرج البول على أصل كالنواة ويؤخذ منه الجلدة والمستعلية دون أصلها»(٢).

آداب الختان:

١ ـ تشرع الوليمة للختان وتسمى الاعذار والعذار والعذرة والعذير.

٢ ـ السنة إظهار ختان الذكر وإخفاء ختان الأنثى، وصرح الشافعي بأنها تُستحب في الذكر، ولا بأس بها في الأنثى للنساء فيما بينهن.

وجاء في مذهب الإمام أبي حنيفة «لو اجتمع أهل بلد على ترك الختان قاتلهم الأمام (أي ولي الأمر) لأنه من شعائر الإسلام وخصائصه(٣) . . إذ مقتضى هذا لزوم الختان للذكر والأنثى وأنه مشروع في الإسلام». والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) كتاب الختان، للشيخ : جاد الحق علي جاد الحق، والكتاب هدية مجلة الأزهر في جمادي الأولى سنة ١٤١٥هـ.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم في الفصل الثامن : بيان ما قد يؤخذ في الختان.

(٤) الاختيار شرح المختار.

٣ ـ فقه المعاشرة الزوجية:

أ ـ كم مرة يأتي الرجل زوجته؟

قال كعب للرجل الذي انشغل بالصيام والقيام عن زوجته : « إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنىٰ وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، أي ولها الليلة الرابعة يعني كل ثلاث ليالي يأتيها ليلة» .

ولم يحدد الشرع عدد المرات التي يجامع الرجل فيها ، وإن كان هناك آراء للأئمة في هذا .

ورأي ابن حزم: «يأتيها مرة في كل طهر ـ إن قدر علىٰ ذلك ـ وإلا فهو عاص لله تعالىٰ ، وبرهان ذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وإذا كان هذا حق للزوجة علىٰ زوجها فهو كذلك حق للزوج علىٰ زوجته ، فللرجل أن يستمتع بزوجته ، ومن واجبها أن تمكنه من نفسها في كل ما أحل الله وللمرأة كذلك أن تستمتع بزوجها وعلىٰ الرجل أن يعطيها حقها ولا يحل له أن يهجرها إلا كما شرع الله (في المضاجع) يعني ينام معها علىٰ نفس الفراش ولكن يعطيها ظهره . .

ب ـ متى يأتي الرجل زوجته بعد الحيض:

يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

فعندما ينقطع دم الحيض وترىٰ المرأة علامة الطهر[١] لا يجامعها زوجها إلا إذا اغتسلت لقول الله تعالىٰ : ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ .

أي تظهر علامة الطهر . .

---

(١) علامة الطهر هي خروج القطنة بيضاء (راجع باب الفقة) .

﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أي: اغتسلن ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾.

أي: أنه لا يجوز إتيان المرأة إلا بعد الاغتسال من الحيض.

كما أنه لا يجوز إتيان المرأة وهي حائض لقول رسول الله ﷺ: «**من أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدقه، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ**»(١).

ومن حديث أحمد والترمذي قال: « **اتقوا الدبر والحيضة** ».

رأي الطب: أن الحيض أذىً يضر بالرجل عند الجماع لأن (ذكره) يتأثر مسامه بدم الحيض، وقد يمتص شيئاً من الجراثيم ساعة تدفق المني. كما يحدث ذلك التهابات عند المرأة.

وللزوج من زوجته الحائض كل شيء إلا الجماع، لحديث عائشة رضي الله عنها: «**كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه وهي حائض أمرها أن تأتزر ثم يباشرها**»(٢)، أي من فوق ملابسها.

جـ - كيف يكون وضع المرأة أثناء الجماع؟

يقول الله تعالىٰ: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

الذي حدده الشرع هو المكان فيكون جماع الزوجة في مكان الحرث أي الفرج وهو قُبُل المرأة، أما ما هي الصورة والهيئة التي يتم بها ذلك؟

فللزوج أن يتمتع بزوجته علىٰ أية صورة إما أن يعلوها أو تعلوه هي. أو يأتيها علىٰ جنبها أو يأتيها من خلفها في فرجها، فكل ذلك جائز له لما قيل من سبب نزول الآية هو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: «**هلكت**»، فقال النبي ﷺ: «**ما أهلكك؟**»، قال: «**حولت رحلي**»، أي: غيرت طريقة الجماع

(١) رواه أحمد ١/ ٨٦، والترمذي، طهارة ١٠٢، رضاع ١٢، وابن ماجة، نكاح ٢٩، والدارمي، وضوء ١١٤، حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري، حيض، ٥، ومسلم، حيض ١، ٢.

فأتيت زوجتي من الخلف لكن في فرجها، فلم يرد عليه النبي ﷺ بشيء فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

فقال له الرسول ﷺ: «**أقبل وأدبر واتقوا الحيضة والدبر**»(١).

٤ ـ سن الزوج وسن الزوجة:

ليس له سن معينة.. وفي ذلك أقوالٌ كثيرة.. ولكن أن تُزف امرأة إلى رجلٍ لا تريده، أو تُزف فتاة دون العشرين إلى رجل جاوز الستين ليس لها فيه رغبة، ولكن ضغط عليها الأهل لماله، فإنها تذوق مرارة الشقاء كل لحظة، لأنها تعيش مع نفس ودعت الحياة وتستقبل الموت، فكيف تكون حالتها النفسية؟(٢).

---

(١) رواه أحمد ١/ ٢٩٧، والترمذي، تفسير سورة ٢، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) أخلاقنا الاجتماعية. د. مصطفى السباعي. بتصرف.

ثانياً: أحكام في النواحي السلوكية للمرأة

الطلاق - الخلع - زواج المسيار - خدمة المرأة لزوجها - فقه الهجر - سفر المرأة بدون محرم - الكوافير - المصافحة - قدم المرأة

١ - الطـلاق :

يقع الطلاق بكل ما يدل على إنهاء العلاقة الزوجية سواء كان باللفظ أم بالكتابة إلى الزوجة، أو بالإشارة من الأخرس، أو بإرسال رسول .

فلو نوى شخص على طلاق زوجته بقلبه من غير لفظ أو ما يقوم مقامه لم يقع طلاق، وهذا رأي الجمهور للحديث قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها ما لم تتكلم به أو تعمل**»(١) .

صيغ الطلاق :

أولاً: الصريح ك : طلقتك - انت طالق - انت مطلقة - يا طالق.

هذه الألفاظ صريحة يقع بها الطلاق بمجرد التلفظ بها سواء نوى وقوعه أم لا ما دام عارفاً بمدلول اللفظ، سواء كان جاداً أم هازلاً لقول رسول الله ﷺ: «**ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة**»(٢) .

فإن خاطبها بأحد هذه الألفاظ ثم قال: «أردت غيرها فسبق لساني إليها . . لم يقبل قوله لأنه يدعى خلاف الظاهر للحديث: «**أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر**»(٣) .

---

(١) رواه البخاري، عتق ٦ ، طلاق ١١ ، أيمان ١٥ ، ومسلم، إيمان ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، طلاق ٩ ، وابن ماجة، مقدمة ٧، طلاق ١٣ ، والترمذي، طلاق ٩ ، وحسنه، والحاكم، وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري، مغازي ٧٩ ، ومسلم، توبة ٥٣ بلفظ: «ووكل سرائرهم إلى الله».

ثانياً: الألفاظ المختلف فيها هل هي من الصريح أم كناية :

١ ـ الفراق : يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ﴾ (النساء: ١٣٠) والسراح : يقول الله تعالىٰ : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٩). الرأي الراجح أنها من كنايات الطلاق .

٢ ـ اختلف الأئمة في ترجمة لفظ الطلاق فمن قال : أنها (الترجمة) صريحة وذلك لشهرة استعمالها في معناها عند أهلها شهرة استعمال العربية عند أهلها ، والثاني : أنها كناية اقتصاراً في الصريح علىٰ العربي لوروده في القرآن .

٣ ـ لو اشتهر في بلد لفظ الطلاق كالحلال عليَّ حرام أو حلال الله علىٰ حرام الراجح أنها من ألفاظ الكناية .

٤ ـ لفظ عليَّ الطلاق : اختلف فيه علىٰ ثلاث أوجه :

الأول أنه كناية ، الثاني : أنه صريح ، الثالث : لا يقع به الطلاق مطلقاً سواء نوىٰ وقوع الطلاق أم لا ، وعليه يلزمه كفارة يمين سواء كان هذا الكلام موجهاً لزوجته (عليَّ الطلاق) أو موجهاً لأي إنسان آخر .

ثالثاً: كنايات الطلاق:

من هذه الألفاظ علىٰ سبيل المثال لا الحصر : «أنت خلية (أي مقطوعة) ـ بائن ـ اعْتَدِّي ـ استبرئي رحمك ـ الحقي بأهلك ـ حبلك علىٰ غاربك ـ ابعدي ـ اغرُبِي» . . كل هذه الألفاظ لا تقع طلاقاً إلا إذا كان الزوج ينوي الطلاق . . ولذلك المُعَوَّل عليه هنا هو النية فإن كان ينوي طلاقاً وقع الطلاق .

ماذا إذا قال الرجل لزوجته: أنتِ عليَّ حرام.. أو حرمتك.. كناية تحتمل الطلاق والظهار..؟ يترتب الآتي :

أ ـ لو نوىٰ به الطلاق وقع طلاقاً ؛ لأنه يحتمل التحريم بالطلاق وإن نوىٰ فيه عدداً وقع ما نواه من العدد .

ب ـ إن نوىٰ به الظهار حصل الظهار لأن الظهار يقتضي التحريم إلىٰ أن يكفر فجاز أن يكني عنه بالحرام .

جـ- فإن نواهما معاً (الطلاق والظاهر) تخيَّر وثبت ما اختاره منهما.

د- فإن لم ينو شيئاً فلا يقع ظهار أو طلاق لأن اللفظ ليس بصريح في واحد منهما، بل كناية تحتاج إلى نية تُعَيِّن المراد.

هـ- أما لو نوى بقوله: أنت عَليَّ حرام، أو حرمتك تحريم عينها، أو فرجها أو وطئها لم تحرم، وعليه كفارة يمين، ودليل ذلك ما رواه سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: «إني جعلت امرأتي عليَّ حراماً»، قال: «كذبت ليست عليك بحرام»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ..** ﴾ (التحريم: ١). ويجب عليه كفارة يمين.. عن عائشة قالت: «**آلي رسول الله لله من نسائه وحَرَّم، فجعل الحرام حلالاً.. وجعل في اليمين كفارة**»[١].

و- وإذا قال لها ذلك ولم ينو شيئاً فهل تجب الكفارة؟، فيها قولان: القول الأول: تجب عليه الكفارة، والقول الثاني: لا تجب.

ونذكر الآن بعض الأحكام في الطلاق موجزة دون تفصيل..

١- **طلاق المكره:** لا يقع.. لقول رسول الله ﷺ: «**رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[٢].

٢- **طلاق السكران:** ذهب جمهور الفقهاء إلى أن طلاق السكران يقع لأنه المتسبب بإدخال الفساد على عقله بإرادته.

٣- **طلاق الغضبان:** الراجح أن طلاق الغضبان يقع، بل إن الغضب يدل على قصد الطلاق، وقال **ابن السبكي**: «لو كان طلاق الغضبان لايقع.. لم يقع على أحد طلاق لأن أحداً لا يطلق حتى يغضب»[٣]، وبذلك يرد كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[٤].

---

(١) رواه البخاري، صوم ١١، صلاة ١٨، نكاح ٩١، ٩٢، طلاق ٢١، أيمان ٢٠، مظالم ٢٥.

(٢) رواه ابن ماجة، طلاق ١٦، في الزوائد: إسناده صحيح، إن سلم من الانقطاع.

(٣) نيل الأوطار للشوكاني ٦ / ٢٦٥.

(٤) كتاب إرشاد الأنام إلى ما يخص الأسرة من الأحكام، د. إبراهيم صالح، جامعة الأزهر.

٤ ـ **طلاق البدعة:** وهو أن يطلق زوجته في الحيض أو طهر جامعها فيه، اتفق الأئمة الأربعة على أن طلاق البدعة صحيح وواقع، غير أن موقعه يأثم لمخالفته السنة إذن طلاق البدعة يقع ويأثم فاعله.

٥ ـ **الطلاق ثلاثاً في لفظ واحد:** كأن يقول لزوجته أنت طالق ثلاثاً، يقع طلقة واحدة، عن ابن عباس قال: طلّق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، فسأله النبي ﷺ: «**كيف طلقتها؟**»، قال: ثلاثاً في مجلس واحد، فقال ﷺ: «**إنما تلك واحدة فارتجعها**»[١]، فلا عبرة هنا للألفاظ، بل العبرة للمرات، فمثلاً طلب في الأذان تكرير التكبير، فلا يجوز للمؤذن أن يقول: «الله أكبر مرتين»، بدلاً من «الله أكبر الله أكبر»، وفي الحديث: «**من قال في يومه سبحان الله وبحمده مائة مرة، حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر**»[٢]، فإن قال: مرة واحدة «سبحان الله وبحمده» مائة مرة، لا يقال إنه أتى بالمطلوب[٣].

٦ ـ **طلاق المريض مرض الموت:** إذا طلق زوجته في مرض الموت ترثه طالما في العدة، فقد ورث عثمان بن عفان تماضر بنت الأصبغ امرأة عبد الرحمن بن عوف.. وكان قد أبانها في مرضه بمحضر من الصحابة.. وذلك لقصد الزوج الهروب من إرثها فيرد عليه قصده.. وكذلك إذا كانت الفرقة من جانب الزوجة وهي في مرض الموت.. أن ترتد أو تفعل منكراً مع أحد أصوله فإنها تُعتبر فارة من ميراث الزوج، وإذا ماتت وهي في العدة يرثها الزوج لقصدها الآثم.

٧ ـ **طلاق الهازل:** يرى الجمهور أن طلاق الهازل يقع كما أن نكاحه يصح للحديث المتقدم.

٨ ـ **الطلاق قبل الدخول:** إذا طلق زوجته قبل الدخول تعود إليه بعقد جديد ومهر جديد ويبقى له عليها طلقتان أي تعود إليه بطلقة.

---

(١) رواه أحمد ١/ ٢٦٥، راجع نيل الأوطار للشوكاني، جـ١، ص ٨١.

(٢) الدر المنثور ٥/ ٢٠٥، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٠.

(٣) بحوث في التشريع الإسلامي، الإمام المراغي، ص ٧٦، طبعة ١٩٢٧م.

٩ـ **الطلاق المُعَلَّق** (١) : صورته : أن يقول الزوج : إن فعلتُ كذا فزوجتي طالق، أو يقول لزوجته : إن خرجت من المنزل فأنتِ طالق، أو يقول لشخص : إن فعلتَ كذا فزوجتي طالق.

يُفرق الإمام المراغي بين نوعي التعليق :

١ ـ التعليق القسمي (الحلف بالطلاق).

٢ ـ التعليق الشرطي (المحض).

بالرغم من أنه يرىٰ أن نوعي التعليق لا يقع بهما طلاق.

المُعَلَّق عند الفقهاء :

١ ـ التعليق القسمي (الحلف بالطلاق) : أخضعوه لأحكام اليمين، فإن وقع المحلوفُ عليه يكون علىٰ الحالف كفارة يمين، وإذا لم يقع فلا يجب عليه شيء.

٢ ـ التعليق الشرطي (المحض) : يبقىٰ علىٰ أصل حكمه، وهو وقوع الطلاق إذا تحقق الشرط، ولمَّا كان نوعا التعليق واحد من حيث الصيغة صار التعليق القسمي شبيهاً بكنايات الطلاق التي تحددها النية، فإذا قال الحالف أقصد الطلاق، طُلِّقَتْ زوجته، وإذا قال أقصد التهديد لا يقع طلاقه، ويتعين عليه كفارة يمين(٢)، وعند الإمام المراغي لا يقع الطلاق المُعَلَّق بنوعيه.

(١) المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٠ وما بعدها.

٢ ـ الخُلع :

هو نوع من الطلاق مشروع :

١ ـ بالكتاب : ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

٢ ـ وبالسُّنَّة : قوله ﷺ: «**الخلع تطليقه بائنة**»(١) .

٣ ـ وبالإجماع من إجماع الصحابة على جوازه، ويسمى الفداء، لأن المرأة تفتدي نفسها بما تبذله لزوجها.

أصل الخلع :

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله ﷺ، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام»، فقال رسول الله ﷺ: «**أتردين عليه حديقته؟**»، قالت: «نعم». فقال رسول الله ﷺ: «**اقبل الحديقة وطلقها تطليقه**»(٢) .

ولذلك استحسن الشارع ألا يأخذ منها أكثر مما أعطاها في الزواج، ويجوز أن يأخذ زيادة وذلك للآية: ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

ألفاظ الخلع وأحكامه :

لابد أن يكون بلفظ الخلع، أو بلفظ مشتق منه مثل المبارأة والفدية. . فإذا قال: «أنت طالق مقابل مبلغ كذا»، كان طلاقاً على مال وليس خلعاً. . ويجوز الخلع في الطهر والحيض. . ويحرم على الزوج الإساءة أو الضغط على زوجته لتخلع نفسها منه.

---

(١) رواه الدارقطني والبيهقي، ورواه ابن عدي في الكامل، وأعَلَّهُ بعباد بن كثير الثقفي، وأسند له البخاري، وسكت عنه الدارقطني، نصب الراية، جـ٦، ص ٤٠٩، ٤١٠ .

(٢) رواه البخاري، طلاق ١٢، وهي لا تريد مفارقته لسوء خلقه، ولا نقصان دينه، ولكن كانت تكرهه لدمامته، وهي تكره أن تحملها الكراهية على التقصير فيما يجب له من حق، والمقصود بالكفر كفران العشير، أي كراهية الزوج.

ويرىٰ الجمهور ومنهم الأئمة الأربعة أن الرجل إذا خالع امرأته ملكت نفسها . . وكان أمرها إليها ولا رجعة له عليها فالخلع طلاق بائن . ويجوز للزوج أن يتزوجها برضاها في عدتها ويعقد عليها عقداً جديداً .

عدة المختلعة:

تعتد المختلعة بحيضة واحدة ، لأن في قصة ثابت أن النبي ﷺ قال له : «**خذ الذي لها عليك وخل سبيلها**» . قال : «نعم» . فأمرها رسول الله أن تعتد بحيضة واحدة وتلحق بأهلها(١) .

وللحديث : «**عدة المختلعة حيضة**» (٢) .

وإذا نظرنا إلىٰ مقتضىٰ قواعد الشريعة : فإن العدة إنما جعلت ثلاث حيضات ليطول زمن الرجعة ويتروىٰ الزوج ويطول زمن الرجعة في مدة العدة . . فإذا لم تكن عليها رجعة (كالخلع) فالمقصود براءة الرحم . . وذلك يكفي فيه حيضة لاستبراء الرحم .

الميراث :

إذا ماتت في العدة فللزوج الأقل من ميراثه ومن بدل الخلع ومن الثلث .

مثال : إذا كان إرثه منها خمسين جنيهاً وبدل الخلع ستين جنيهاً والثلث مائة فقد خرج الإرث والبدل من الثلث فله الأقل منهما وهو خمسون . وإذا كان الثلث أربعين في هذا المثال فله الأقل منه ومن الإرث وهو أربعون(٣) .

---

(١) رواه النسائي بإسناد رجاله ثقات ، انظر فقه السنة ، للشيخ سيد سابق ـ رحمه الله .

(٢) رواه أبو داود ، طلاق ١٦ ، والنسائي ، طلاق ٥٣ ، ومالك في الموطأ ، طلاق ٣٣ ، ٦٠ ، وكلهم في الطلاق ، والترمذي ، طلاق ١٠ ، قال الترمذي عن الحديث رقم ١١٨٥ ، حديث الرُبيِّع بنت معوذ الصحيح ، وفي رواية ابن عباس قال : حديث حسن غريب .

(٣) كتاب إرشاد الأنام ، مصدر سابق .

٣ـ زواج المسيار:

ما حكم زواج المسيار ؟ (١)

شرع الله الزواج لأهداف متعددة منها تكاثر النسل والحفاظ على النوع الإنساني وإنجاب الذرية ومنها تحقيق العفاف وصون الإنسان عن التورط في الفواحش والمحرمات ومنها التعاون بين الرجل والمرأة على شئون العيش وظروف الحياة والمؤانسة ومنها إيجاد الود والسكينة والطمأنينة بين الزوجين ومنها تربية الأولاد تربية قويمة في مظلة من الحنان والعطف.

وزواج المسيار يحقق بعض هذه الأهداف لا كلها فالزوجة تتنازل عن حقها في النفقة وفي المبيت إن كان للزوج امرأة أخرى والغرض الظاهر منه هو الاستمتاع إما بسبب واضح من الرجل لزيادة رغبته في المتعة وإما من المرأة التي فاتها قطار الزواج لأسباب عديدة.

وحكم هذا الزواج في تقديري أنه صحيح لاستكمال أركانه وشرائطه المطلوبة شرعاً من رضا الولي والشهادة والإعلان فإن فقد أحد هذه الشروط لم يصح عند جماعة من الفقهاء.

ولكن ضماناً لمصلحة الزوجة وحقوقها على المدى البعيد ينبغي أن تحرص المرأة على تسجيله في سجلات الدولة الرسمية إذ أنه قد يموت الزوج فيطلب منها العدة وتستحق الميراث.

وقد تغير رأيها فتطالب بحقها في النفقة أو القسم الواجب وما دام هذا الزواج لا يحقق جميع مقاصد الزواج الشرعية والإنسانية والاجتماعية على النحو الصحيح أو الأفضل فإني أحذر منه ولا أرغب فيه وأكرهه فإن التزم أهداف الزواج الذي هو ميثاق غليظ أي شديد الحرمة ومؤكد التعظيم والمضرة لا تظهر فيه بنحو واضح فإن أصر الزوجان عليه جاز وتحملا آثاره.

---

(١) أجاب عن هذا السؤال فضيلة د. وهبة الزحيلي، رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بكلية الشريعة جامعة دمشق، جريدة الدستور المصرية رمضان ١٤٢٩ هـ

وربما قصر أحد الزوجين في رعاية الحقوق والقيام بالواجبات، وأخصها العشرة الزوجية التي قد تحتجب أو تغيب فترة بعيدة فيصبح ذلك حراماً وإن كان العقد صحيحاً.

يقول د.صلاح سلطان: زواج المسيار نوع من إسقاط الحق كما فعلت السيدة سودة مع عائشة، وقد أجازه عدد من العلماء على رأسهم العلامة القرضاوي[١].

وأرى أنه وسيلة مشروعة يُحافظ على عفة المجتمع وتحل كثيراً من مشكلاته.

٤ ـ خدمة المرأة لزوجها:

الأصل عدم تكليفها أكثر مما تطيق، لقول رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[٢]. وقد أوصى النبي ﷺ بعدم تكليف الخادم ما لا يطيق، فما بالك بالزوجة؟

آراء العلماء في خدمة المرأة لزوجها[٣]:

١ ـ قال بعض العلماء: ليس للزوج أن تخدمه زوجته إنما ينفق عليها لاستمتاعه بها لا لخدمته.

٢ ـ عليها الخدمة الباطنة أي داخل البيت وليس عليها الخدمة الظاهرة.

٣ ـ عليها خدمته وليس عليها خدمة أهله أو ضيوفه.. وهو رأي الإمام مالك رضي الله عنه.

٤ ـ على الزوج نفقة خادم لزوجته إن كانت تُخْدَم في بيت أبيها.. وهو رأي الشافعي رضي الله عنه.

٥ ـ على الزوجة خدمة زوجها، واحتج من أفتى بهذا بأن فاطمة الزهراء رضي الله عنها كانت تقوم بخدمة علي كرم الله وجهه.

---

(١) فتاوى فقهية للمسلمين في الغرب أ.د. صلاح سلطان، ص ١٦٧، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م، سلطان للنشر الولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) كتاب الحقوق، لعبد الله عفيفي.

الترجيح :

١ ـ وأما استمتاعه بها فهي تتمتع به أيضاً ، فتكون النفقة مقابل الخدمة المنزلية .

٢ ـ أن فاطمة لما اشتكت إلى أبيها ﷺ ما تلقى من مشقة الخدمة ، لم يقل لزوجها علي : لا خدمة عليها بل الخدمة عليك أنت ، والنبي ﷺ لا يُحابي في الحكم أحداً .

٣ ـ كما أقر استخدام الزبير لأسماء بنت أبي بكر أخت السيدة عائشة رضي الله عنها زوجته . . كما أقرَّ باقي الصحابة على مثل ذلك .

٤ ـ خدمة المرأة لزوجها يُرجع فيه إلى العرف ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ فلو اشترطت المرأة قبل الزواج أن تُخْدَمْ كان لها ذلك .

والخلاصة:

أنه إذا كان هناك وفاق وحب بين الزوجين فإن الزوجة ستبذل قصارى جهدها في خدمة هذا الزوج الذي يتربع على عرش قلبها .

وأقول للزوج :

كيف تعامل زوجتك معاملة سيئة ثم تخدمك بنفس راضية؟

﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ (الرحمن : ٦٠) .

تماماً مثل الذي يضرب زوجته في أول النهار ثم يجامعها في آخر النهار . .

كيف يكون شكل كلمات الملاعبة والملاطفة أثناء الجماع؟ . .

كيف يُقَبِّل وجهها وقد ضربه؟

كيف يمسك بيدها وقد كسرها؟

كيف يتحسس جسدها وقد أحدث فيه بقعاً زرقاء من الكدمات؟

كيف يضع يده على رقبتها ملاطفاً وهي تتأوه من أثر ضربه فيها أول النهار؟

كيف يقول لها : أنت أجمل إنسانة . .

وفي بداية النهار قال : لها أنت أسوأ من رأيت في حياتي؟

أخي الزوج المبارك:

إذا أحسنت معاملة زوجتك فسوف تقوم بخدمتك بكل جوارحها . .

وسوف تمنحك كل ما لديها .

٥ ـ فقه الهجر :

سؤال: كيف يهجر الزوج زوجته ؟

يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ (النساء : ٣٤) .

حددت الآية الكريمة كيفية الهجر فلا يزيد علىٰ أن يكون في الفراش بترك الجماع ، لأن الله قال : ﴿ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ ، ولم يقل : «عن المضاجع» ، يعني تنام بجوارها في فراش واحد ولكن توليها ظهرك ، فلا ينبغي له أن يترك المضجع أو الغرفة أو المنزل حتىٰ يظل طريق العودة موصلاً بينهما بأي تحرك من أحدهما ولو بسيط . .

لأن الهدف من ازدياد العقوبة هو الإصلاح وليس الانتقام[١] .

ولذلك جاءت نهاية الآية : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ (النساء : ٣٤)

بين الهجر والمقاطعة :

ليس معنىٰ الآية المقاطعة بدليل أن :

١ ـ الهجر لا يكون خارج مكان الإقامة .

٢ ـ لا يكون باجتناب الكلام أو التعامل لضرر ذلك ويزيد الأطراف ابتعاداً ويجعل الصلح صعباً .

٣ ـ المقاطعة التامة تكون إذا غلب علىٰ الظن الإصرار بعد كل هذه الأساليب للإصلاح . . مع مراعاة ألا تزيد المقاطعة عن ثلاثة أيام ، وإلا بدأ الإثم لقوله ﷺ : «.. **ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** .. »[٢] .

---

(١) كتاب : ٣٠ سبب للسعادة الزوجية ، د. محمد منصور .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ، أدب ٥٧ ، ٦٠ ، استئذان ٩ ، ومسلم ، بر ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ .

٦ - سفر المرأة بدون محرم :

يجب أن يصاحب المرأة - بكراً كانت أو متزوجة - أُمًّا، أو أرملة يجب أن يصاحبها في السفر محرم لقول رسول الله ﷺ: « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو حرمة منها**»(١) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم** »(٢) .

وعن أبي هريرضة رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لامرأة مسلمة أن تسافر مسيرة ليلة وإلا معها رجل ذو حرمة منها**»(٣) .

يقول **الشيخ المودودي** في كتابه الحجاب: «أما الاختلاف في تعين مقدار السفر في هذه الروايات فيدل على أن الأهمية ليست لمدة اليوم أو اليومين، بل الأهمية كلها لئلا يباح للمرأة من حرية التنقل والأسفار ما يؤدي إلى الفتنة، لذلك ما اهتم النبي ﷺ بتعيين مقدار لهذا السفر بل قال: فيه أقوالاً مختلفة مراعاة للوقت والمناسبة في مختلف أحوال السائلين، وعلى هذا يكون سفر المرأة داخل بلدها والتنقل للدراسة والعمل لا شيء فيه لأن ذلك السفر داخل القطر دون مسافة الأيام الثلاثة . . أيضاً مراعاة للطالبات والعاملات اللائي يسافرن يومياً» .

ويقول **السيد محمد رشيد رضا** : « الحكم يختلف باختلاف الأحوال والأزمنة في الأمن على الأنفس، ففي صحيح البخاري من حديث عدي بن حاتم أن النبي ﷺأخبره بما سيكون من أثر انتشار الإسلام وعدله وأمنه «أن الظعينة (٤) سترتحل وحدها من الحيرة (٥) حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله تعالى»(٦).

ارجع إلى رقم ١٣ من تكريم الإسلام للمرأة في بداية هذا الباب، وذلك لأن فيها فائدة مهمة متعلقة بسفر المرأة.

(١ ، ٢) رواه البخاري، تقصير ٤ ، مسجد مكة ٦ ، صيد ٢٦ ، صوم ٦٧ ، ومسلم، حج ٤١٣ ، ٤١٤ .

(٣) رواه أبو داود، باب المرأة تجمع بغير محرم، أحمد ٢/ ٣٤٠ ، ٤٩٣ .

(٤) الظعينة: المسافرة. (٥) الحيرة: مكان قرب المدينة . (٦) كتاب نداء للجنس اللطيف.

٧ ـ الكوافير :

على الأخت المسلمة أن تتذكر أنها إذا ذهبت إلى الكوافير لكي يمشط لها شعرها، وربما كان هذا في خلوة، فإنها ستكون قد ارتكبت جرماً كبيراً وفعلت حراماً لا يقره عقل سليم، أو دين قويم.

وعلى زوجها المسلم أن يكون غيوراً عليها وأن يمنعها من الذهاب إلى الكوافير ولو بالضرب غير المبرح إذا استطاع الشيطان أن يركب رأسها، وذلك بعد وعظها وتخويفها من عذاب الله وغضبه.

ولا يمكن أبداً أن تتصور رجلاً بمعنى كلمة رجل يسمح لزوجته بأن تذهب إلى رجل لكي يمشط لها شعرها ويقص لها أظافرها ويمسح لها وجهها بيديه.. ويفعل أشياء لا تذكر حياءً.. ثم هو يكتب على الباب ممنوع دخول الرجال، ألا يمكن أن يدخل معها زوجها!! الإجابة.. ممنوع.. على الزوج أن يسلمها للكوافير ثم يجلس الزوج في حجرة الانتظار مع باقي الناس.. إن زوجاً كهذا ربما كان ذكراً، ولكنه لا يمكن أن يكون رجلاً.

إن زوجته هذه تلك التي فقدت الرجولة فيه قد تستريح نفسياً إلى صاحب الكوافير هذا لأنه يُجَمِّل نفسه كالنساء، وربما كان أجمل من زوجها (المغفل) الذي يسلمها للذئب وهو يدري.. وربما كان (محل الكوافير) مكاناً لالتقاء الرخيصات اللاتي يتفقن على مخاونة الرجال أمثالهن..

فلينتبه الزوج المسلم لكل هذا وليكن رجلاً مع زوجته وإلا احتقرته وأسقطته من عينها عندما ستفقد الرجولة فيه(١).

---

(١) الحقوق الإسلامية للشيخ: طه العفيفي.

٨ ـ المصافحة بين المرأة وغير محارمها [١] :

لما قَدِمَ رسول الله ﷺ من الحديبية عام ست من الهجرة جمع نساء الأنصار وأرسل إليهن عمر بن الخطاب للمبايعة فتلا عليهن آية المبايعة من سورة الممتحنة فقلن : «نعم» .

فمد عمر يده خارج الباب ومدت النساء المبايعات أيديهن من داخل ثم قال : «اللهم اشهد» . . وقد وضع عمر يده في أيديهن مبايعاً وبلا حائل .

وعمر هو عمر ـ غِيرةً وورعاً وشدة .

وقد أخرج هذه الواقعة الأئمة : أحمد والبيهقي وابن خزيمة وابن حيان .

أما الرسول ﷺ فلم يبايع النساء بيده ، أو لم يسلم على امرأة أجنبية . .

فتلك من خصوصياته كالوصال في الصوم .

حكم المصافحة بين الرجال والنساء:

عدم المصافحة بين الرجال والنساء يدخل في باب التورع الشخصي ، وليس مُحَرَّماً إذ لم يرد مُحَرِّمٌ حاسم .

أما ما يفعله بعض الناس من الإمساك بيد امرأة أجنبية بحجة المصافحة والتسليم ، فذلك يدخل في باب المحظور سداً للذرائع والإثارة .

حُكم اللمس .. هل ينقض الوضوء؟

- يقول الشافعي : «لمس الرجل يد زوجته أو جزءاً من جسدها مباشرة ناقض لوضوئهما»
- المالكية والحنابلة قالوا : «اللمس بشهوة ناقض للوضوء وإلا فلا ينقض» .
- الأحناف قالوا : «إن لمس المرأة ، سواء زوجته أو غيرها لا ينقض الوضوء . . ويفسرون قوله تعالى : ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (النساء : ٤٣) ، بالتعامل بين الزوجين . . وهذا الرأي أرجح وأقوى .

---

(١) الشيخ : جاد الحق على جاد الحق . كتاب الأزهر .

٩ ـ هل قدم المرأة عورة يجب سترها؟

الأحناف والمالكية يقولون : إن القدم ليست من العورة، وغيرهم يرىٰ أنها عورة للآية في سورة النور : ﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** ﴾ (النور : ٣١) .

والراجح والأولىٰ ستر القدم لأن الساق والقدم لافتة للنظر ومدعاة للفتنة .

ثالثاً: في النواحي المالية

مرتب الزوجة ـ اقتصاديات الأسرة

١ ـ حكم عمل المرأة:

محظور في الأصل . . فالأولىٰ أن تتفرغ المرأة لمهمتها كزوجة وأم، ويُباح عملها عند الحاجة لنفسها أو لأمتها.

وللمرأة أن تعمل استثناءاً من هذا الأصل في حالات أربع:

- **الحالة الأولى:** أن تكون المرأة ذات نبوغ خاص يندر في الرجال والنساء. مما يعود علىٰ المجتمع بنفع عام . . تنشغل بالمصلحة العامة عن أمومتها.
- **الحالة الثانية:** أن تتولىٰ عملاً أليق بالنساء كتربية الأطفال في سن الحضانة وتطبيب النساء. كالقوابل[١] من فروض الكفاية.
- **الحالة الثالثة:** أن تعين زوجها في عمله[٢] إذا كان عاملاً زراعياً أو صاحب أغنام، أو مستأجراً لمساحة صغيرة يزرعها.
- **الحالة الرابعة:** أن تكون في حاجة إلىٰ العمل لقوتها وقوت عيالها، بأن فقدت العائل.

والخلاصة . . أن المرأة لا تخرج للعمل إلا إذا احتاجها العمل، أو احتاجت هي العمل . . فالعمل خارج البيت للمرأة ليس ترفاً ولا مهنة وإنما حاجة أو ضرورة . . لأن صناعة الأولاد في المنزل أعلىٰ وأغلىٰ صناعة.

ضوابط عمل المرأة:

علىٰ المرأة إذا خرجت للعمل الالتزام بالآداب الإسلامية . . كما فعلت بنات

---

(١) القابلة: هي التي تقوم بعملية التوليد للمرأة.

(٢) كما حدث من امرأة ابن مسعود، وكانت حاذقة في الصنعة تنفق عليه، وعلىٰ ولده.

العبد الصالح ، فعليها الاحتشام في الملبس ـ غض البصر ـ عدم الخضوع بالقول أو الخلوة والمزاح ـ عدم اللقاء الطويل المتكرر مع الرجال .

أهم الاختلافات الزوجية بسبب عمل المرأة:

١ ـ مسئولية الإنفاق : نفقة الزوجة واجبة على الزوج لأنها محبوسة لحق الزوج، ورعاية بيته، وتربية أولاده ، وحينما تخرج الزوجة للعمل ، فإن ثمة أسئلة تطرح نفسها :

ـ هل يأخذ الزوج الراتب كاملاً ثم يعطيها نفقات قليلة لا تكفي؟

ـ هل يترك الزوج الإنفاق على المنزل ويغض الطرف عن النفقات المنزلية حتى تكدح الزوجة؟

ـ هل تخفي الزوجة ما تحصل عليه من حوافز وبدلات لتنفق على ثيابها وعلاجها منه وإذا عرف الزوج ذلك اتهمها بالكذب؟

ـ وبعض الزوجات يضعن دخلهن مع دخل الزوج للإنفاق سوياً على البيت .

٢ ـ مسئولية رعاية الأولاد مسئولية مشتركة .

٣ ـ التوتر العصبي بسبب إرهاق المرأة العاملة .

٤ ـ مسئولية التعاون في أعمال البيت أمر مشترك : عن أسماء بنت أبي بكر كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله وكان له فرس فكنت أسوسه وأحسن له وأقوم عليه . . وإذا كان التعاون بين الزوجين محموداً عند قرار الزوجة في البيت وعدم خروجها للعمل . فإن هذا التعاون يصبح آكد في الاستحباب ، وقد يصل إلى درجة الضرورة عند خروجها للعمل .

٥ ـ زيادة دخل الزوجة من العمل عن دخل زوجها :

أ ـ إما أن يتطلع الرجل إلى مال المرأة فكلما جلس على المائدة يريد ألواناً شتى من الأطعمة حتى تضيق الزوجة بذلك فإذا كثر عتابه لها آثرت فراقه لأن إنفاقها على اثنين وهما الولدان، أولى من إنفاقها على ثلاثة .

ب - قد لا يتطلع الزوج إلى مال الزوجة ولكن إحساسه بالنقص يفسر كل تصرف من الزوجة أنه إساءه إليه وتعايره بفقره.

٦ - الندية أو التمرد على القوامة.

وسائل العلاج :

١ - إما أن يتفق الزوجان عند العقد على كيفية الانفاق ومن الآراء الفهقية مايتيح لهما أن يشترطا على قسمة النفقات.

٢ - إذا لم يحدث ذلك فأكثر المذاهب الإسلامية تلزم الزوجة إقراض الزوج قدراً من مالها للمساهمة في النفقات المالية أو أن تتصدق عليه.

٣ - ذهب بعض المعاصرين إلى ما يلي :

أ - يتحمل الزوج نفقات البيت الأصلية كاملة فهو المسئول الأصلي عن الإنفاق.

ب - تتحمل المرأة نفقات البيت الإضافية الناتجة عن العمل المهني باعتبارها متسببة في هذه النفقات الإضافية سواء تعلقت بخادم أو حضانة أو شراء طعام جاهز وما إلى ذلك.

جـ - تقدم المرأة قدراً من المال إلى الرجل تعويضاً عن تحمله بعض آثار العمل المادية والنفسية ويختلف هذا القدر حسب حال كل من الزوجين المالية(١).

همسة للزوج:

أهيب بك - أيها الزوج المبارك - أن تحسن معاملة زوجتك وسوف تعطيك كل شيء عن طواعية نفس وطيب خاطر.

---

(١) كتاب العلاقات الزوجية المعاصرة من منظور إسلامي : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية العدد ١٣٨ سنة ٢٠٠٦ لجنة الدراسات الفقهية المقارنة، نقلاً عن : تحرير المرأة في عصر الرسالة، جـ٢، للأستاذ محمد عبد الحليم خفاجة.

وعليك بالآتي:

١ ـ يمكنك أن تترك لها جزءاً من دخلها تتصرف فيه بحرية كاملة ولا تحاسبها أو تسألها ماذا فعلت في هذا المال الذي تركته لها لأن التضييق قد يضطر الزوجة إلىٰ أن تقع في ضائقة مالية أثناء السفر والخروج للعمل. مما يضطرها إلىٰ الاقتراض من زملائها وقد تقارن بين نفسها وبين زميلاتها.

٢ ـ عليك أن تسألها كل يوم وهي تستعد للخروج إلىٰ العمل هل معك نقود أو تأخذي معك نقود! حتىٰ تشعر هي أنك تطمئن عليها باستمرار.. أنها لا تسير بدون نقود.

٣ ـ عليك أن تفتح حقيبة يدها لتضع لها فيها نقوداً.. لا أن تفتحها لتأخذ ما فيها من نقود، فهناك بعض الأزواج لا يهدأ إلا إذا التهم ما في حقيبة زوجته من النقود.. عافانا الله جميعاً من هذا التصرف. واعلم **«أن الرجل يؤجر في اللقمة الحلال يرفعها إلى في زوجته»**(١)، ومن أمثلة اللقمة الحلال أن تضع لها نقوداً في حقيبة يدها.. وبذلك تدوم الرحمة والمودة.

أيها الزوج، أرجوك أرجوك:

لا تتطلع إلىٰ ميراث زوجتك.. ولا تتدخل مع أسرتها في تقسيم الميراث.. ولا تحاول أن تختار لها في الميراث إلا إذا طلبت إليك ذلك، فتُحْدِثْ شروخاً بينك وبين أسرتها، وبينك وبينها، ولا تظل دائماً تتحدث معها في تقسيم الميراث الخاص بها.. فتقول لها: أَعْطُوكِ كذا.. و أخذوا منك كذا.. كان الأفضل لك كذا.. إخوتك فيهم طابع الطمع.. أبوك لم يعدل في الميراث.. كل هذه الكلمات أرجو ألا تخوض فيها.. فأنت تزوجتها ليس لمالها.. فتوكل علىٰ الله.. وإن كنت فقيراً فلا تنظر لما ليس لك فيغنيك الله من فضله سبحانه وتعالىٰ.

أذكر هذا الرجاء لما رأيت من أزواج طلقوا نساءهم.. وهناك من يهدد

(١) رواه البخاري في الإيمان، ٤١.

بالطلاق . . وهناك من يقطع الصلة والرحم حتى يأخذ ميراث زوجته . . ومنهم من يشرد الأسرة لأنه يريد أن يأخذ ميراث زوجته في مكان معين من المنزل أو الأرض مثلاً . . أقول لك : الله الله في العفة .

فعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **ازهد فيما عند الناس يحبك الناس** »(١) .

٢ ـ اقتصاديات الأسرة(٢) :

كل أنظمة الاقتصاد التي اخترعها الناس بعيداً عن الإسلام هي أنظمة اقتصادية تأكد للعالم كله فشلها أما النظام الاقتصادي الإسلامي فلا عيب فيه ولا يحتاج إلى تجربة فهو للتطبيق العملي الفوري كما ذكرنا قبل ذلك وأول من يقوم بتنفيذه هو الأسرة فمن أهم العوامل في استقرار الأسرة استقرار اقتصادها ،

والسؤال : ما هي الخطوات العملية لاستقرار اقتصاد الأسرة؟

أولاً : زيادة الإيرادات « الدخل » :

وذلك بأن يكون أفراد الأسرة كلهم منتجين سواء ذكور (وظيفة ـ أو حرفة أو الاثنين معاً) أو إناث (وظيفة ـ حرفة منزلية ـ أو إنتاج متطلبات الأسرة منزلياً) وذلك يعني تحويل البيت إلى خلية إنتاجية يعمل فيها الزوجة والأولاد بجانب عمل الأب فالأنبياء كلهم كانوا منتجين ولهم حرف ،

ولم يكونوا عالة على غيرهم بحجة أنهم مشغولون بتبليغ الرسالة وفي الحديث : «**وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»(٣) .

---

(١) رواه ابن ماجة ، زهد ١ ، وقال النووي : رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة .

(٢) مصدر الفكرة : جلست إلى مائدة الطعام يوماً بين أولادي وزوجتي وتأملت الموجود على المائدة فوجدت كل ما عليها تم إنتاجه منزلياً عندنا وبأيدينا ، فقمت بعمل موازنة بين ما ننتجه في المنزل ونظيره الجاهز في السوق فوجدت فرقاً مالياً هائلاً غير الفروق الأخرى التي سنذكرها ، فقلت كم تخسر الأسر المسلمة من اقتصادها يومياً ! !

(٣) رواه البخاري ، وسبق تخريجه .

وفي الحديث: «**ما بعث الله نبياً إلا ورعي الغنم**»(١).

ثانياً: تقليل المصاريف: وذلك عن طريق:

١ - **ترشيد الإنفاق**، وذلك بان يكون الإنفاق في المباح شرعاً (الحلال) ويكون الإنفاق في مجال الطيبات لا الخبائث ومراعاة الاعتدال في الإنفاق (الوسطية)، فلا إسراف ولا تقتير، والالتزام بسلم الأولويات الإسلامية، فيبدأ المسلم بالضروريات، فالحاجيات، ثم التحسينات حسب الأرزاق الواردة له، مع تجنب نفقات التقليد والبدع المخالفة لشرع الله، كما في الحديث الذي رواه الطبراني: «**إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب، وللخادم مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئًا**». ولحديث البخاري ومسلم: «... **والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها**...».

٢ - **التدريب على القيام بالأعمال البسيطة في المنزل** (تركيب وإصلاح الحنفية - الأحواض - كهرباء..)، ولا ينبغي إحضار فني لكل صغيرة في المنزل ففي الحديث: «**كان النبي ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ويساعد الخادم**»(٢).. إنه القيام بالأعمال البسيطة التي توفر الكثير من النفقات.

٣ - **عدم التوسع في الشراء بالتقسيط** إلا لضرورة ويمكن بيع الأشياء غير المستعملة والإفادة من ثمنها في سد العجز في ميزانية الأسرة.

ثالثاً: الادخار:

لابد للأسرة من صندوق ادخار مهما قل المُدخر فيه لتستطيع الأسرة مواجهة الظروف الطارئة (أفراح أو أتراح) فلا تتعرض للاضطرابات والهزات العنيفة التي تعصف باستقرارها كما في الحديث: «**خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس**»(٣).

---

(١) رواه ابن ماجة، تجارات ٥.

(٢) رواه البخاري، هبة ٣، أطعمه ١٩ بلفظ: «وأنا مشغول أخصف نعلي».

(٣) رواه البخاري، جنائز ٣٦، وصايا ٢، ومسلم وصية ٥، ٨.

وفي الحديث الذي رواه مسلم وأحمد : «**رحم الله امرءًا اكتسب طيبًا، وأنفق قصدًا، وقدَّم فضلاً ليوم فقره وحاجته**».

معادلة الادخار هي :

الادخار = الكسب الطيب ـ الإنفاق المقتصد .

ولذا يجب على الأسرة تدريب الأولاد على الادخار للمستقبل وأن تزودهم بالوسائل والأساليب المشجعة على ذلك وتربيهم على القناعة والتقشف وقت الأزمات .

رابعاً: كيف تساهم الزوجة في زيادة دخل الأسرة؟

١ ـ **الاستفادة من مواسم الوفرة** (مواسم الإنتاج) حيث الأسعار منخفضة فتشتري ما تحتاج إليه .

٢ ـ **الإنتاج المنزلي:** سواء أطعمة لأفراد الأسرة أو أعلاف للطيور وغيرها ، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت : «تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته ، وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه ، وأستقي الماء وأخرز غربهُ (الغرب : الدلو الكبير) ، وأعجن ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبز لي جارات من الأنصار ـ وكن نسوة صدق ـ وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي على ثلثي فرسخ (الفرسخ ثلاثة أميال)»[١] .

ومن مميزات الإنتاج المنزلي:

ـ كثرة المنتج وقلة التكاليف ، فهناك أطعمة يرجع ارتفاع ثمنها إلى تصنيعها .

ـ نظافة المنتج والاطمئنان إليه فهو منتج طازج .

ـ وقاية الأسرة من تقلبات السوق مثل (المحلات مغلقة ـ المنتج رديء ـ السعر مرتفع ـ لا يوجد النوع المطلوب) .

---

(١) رواه البخاري ، نكاح ٧ ، ومسلم ، سلام ٣٤ .

- نماذج لأطعمة تُنتج في المنزل[1] (الخبز بأنواعه - الشيبسي - كل أنواع المخللات - معجون الطماطم (الصلصة) معظم أنواع المربي - أنواع مختلفة من العصائر • أنواع الفطائر - الزبادي، بعض أنواع الحلويات. . .)[2].

التوصية العملية: كل ما ذُكر واقعي وموجود في أُسر كثيرة - المطلوب منك أن تبدأ بالتنفيذ خطوة خطوة، وابدأ بالأسهل ولاحظ النتيجة ستجدها طيبة وتشعر بالفارق الهائل مادياً وصحياً ونفسياً فالبيت فيه كل ما يحتاجه وملاك ذلك كله الرضا والرخاء في حسن الثواب من الله.

---

(١) أقول: إن وسائل الطهي الآن متطورة ومختلفة الأحجام وموجودة في معظم المنازل (أفران الغاز، أفران الكهرباء، البوتاجازات ذات الشوايات وغيرها) كما أن أدوات التجهيز تطورت وأصبحت في متناول الجميع (خلاطات، مضارب للبيض، مفارم، قطاعات بصل وشيبسي. . .).

(٢) لمزيد من التفاصيل في هذه النماذج للأطعمة يمكن مراجعة المجلات التي تنشر أبواباً لذلك مثل مجلة الزهور وغيرها.

المبحث العاشر

بيوت لا تدخلها الشياطين

نموذج عملي لبيت لا يدخله شيطان :

١ ـ حينما تتوجه عائداً إلى بيتك :

اقترب من الباب وقل : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . . بسم الله الرحمن الرحيم» . ثم اطرق الباب وابدأ في التسبيح فإذا فُتح الباب دخلت . . وإذا لم يُفتح كرر الطرق وابدأ التسبيح ، ثم ادخل قائلاً : «السلام عليكم ورحمه الله وبركاته» .

ثم تنادئ علىٰ زوجتك بأفضل اسم لها كما ذكرت سابقاً : «يا لولو . . ياسوسو . . يا فوفو . . » ، كما كان يفعل النبي ﷺ ، ولايمنعك عدم وجود أحد بالمنزل من إلقاء السلام ، لأن الله طلب منك ذلك :

﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاعَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (النور) .

٢ ـ يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :

«ثلاثة يُصفين لك ود أخيك :

أ ـ أن تبدأه بالسلام .

ب ـ تفسح له في المجلس .

جـ ـ تناديه بأحب الأسماء إليه» .

إذا كانت هذه الأشياء الثلاثة تُصفي لك ود إنسان لم تعرفه قبل ذلك، وتزيل ما داخل نفسه، ليس ذلك فقط، بل تزيل كل الحواجز التي بينهما، فادخل أيها الزوج بعد أن تلقي السلام على زوجتك وتناديها بأحب الأسماء إليها ثم أجلسها بجوارك على المائدة.

٣ ـ صورة مائدة الطعام:

شاركها في وضع الطعام على المائدة حتى تجلسا معاً ولا تجلس أنت قبلها وتبدأ في الطعام.. فإذا جلست بعيداً عنك قل لها: «أريدك بجواري»، وأجلسها بجوارك وعلى فترات ارفع يدك إلى فمها بالطعام للحديث الذي رواه الترمذي عن النبي ﷺ: «**أعظم الصدقة اللقمة ترفعها إلى فم زوجتك**»(١).

فإذا أحسست أنها في حاجة إلى الماء لتشرب سارعت فأحضرت لها الماء(٢).

واستشعر أن الرجل دخل الجنة لأنه سقى كلب.. فما بالك إذا سقى الرجل امرأته ونفذ حديث النبي ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»(٣).

أخي الزوج.. عش هذه الصورة: سلمت عليها.. ناديتها بأحب الأسماء إليها.. أجلستها بجوارك.. أطعمتها بيدك.. وسقيتها بيدك.. لم تؤثر نفسك عليها بالطعام.. ولم تُعطها بواقي الطعام..

وبعد انتهاء الطعام دعوت لها قائلاً: «بارك الله فيك يا حبيبتي»، ثم طبعت قُبلة على خدها.. ما النتيجة؟

٤ ـ إنها بيوت المتطهرين:

أ ـ إنها طهارة القلب.. هذه هي النتيجة.. لا توجد فيه بعد ما حدث أي خَلَجَة من غل أو كراهية أو أنانية، فالسلام ومائدة الطعام أراحت القلب من

---

(١) عندما يُنجبان الأولاد، اجعل جلسة للأولاد بجوارك على المائدة يتناوبون فيها، أما مكان الزوجة بجوارك فيكون ثابتًا.

(٢) بعض الأزواج يستنكف من أدنى خدمة أو ملاطفة لزوجته.

(٣) سبق تخريجه.

الكلاب النابحة الموجودة في قلوب الناس.

ب - إنها الطهارة الحسية: التي لا تجعل للشيطان مكاناً في البيت.. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال عن الرجل الذي كان يعذب في قبره: «..**كان لا يستبرئ من بوله**»(١).

إنها طهارة الثياب، وطهارة المكان وطهارة البدن فلا يشم من الزوجين إلا أطيب ريح مما يحمل على الميل والتقارب، أما عدم الطهارة فإنه يحمل على النفور والهجر، وتلك امرأة ذهبت إلى أمير المؤمنين تشكو زوجها في قصيدة طويلة تعيب على زوجها رائحة فمه الذي باض الشيطان وأفرخ رائحة كريهة في فمه بعدم النظافة.

٥ - إنها بيوت الذاكرين:

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان واضع خَطْمَهُ** (أي: فمه) **على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه**»(٢).

لأن الذاكر في معية الله تعالى، والشيطان لا يحضر مكاناً فيه ذكر لله تعالى.

وفي الحديث: «**أنا مع عبدي إذا ذكرني أو تحركت بي شفتاه..**» (٣).

ويقول الرسول ﷺ أيضاً: «**من ذَكَرَني في ملأ ذَكَرتُهُ في ملإ خيرٌ منه، وأطيب، وإن تقرب مني شبراً تقربتُ منه ذراعاً،وإن تَقَرَّبَ مني ذراعاً تَقَرَّبْتُ منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة**»(٤).

٦ - إنها بيوت لا تدخلها صور عارية ولا مناظر فاضحة..

---

(١) رواه البخاري، باب ما جاء في غسل البول: ١/ ٣٦٥، ومسلم، باب الدليل على نجاسة البول: ٢/ ١٤٧، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى، والبيهقي، وفي الترغيب رقم ٢١٧٥.

(٣) ورد في موضوع الذكر.

(٤) أخرجه البخاري، توحيد ٥٠، توبة ١، ومسلم، ذِكر ٢، ٣، ٢٠، ٢١، ٢٢.

٧ - إنها بيوت العقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة..

تلك بيوت يُطَبَق فيها شرع الله تعالى، وفي أركانها تقام الصلاة، وفي فنائها يُتلى القرآن . . إنها بيوت يُداوى فيها المريض بالصدقة ..

فعن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»(١) .

إنها بيوت يُحسن فيها إلى الأيتام لقول رسول الله ﷺ: «**خيرُ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسن إليه**»(٢) . . إنها بيوت العفة والطهارة والمال الحلالَ .

٨ - إنها بيوت الدعاء(٣) ..

الدعاء عند الطعام، وعند النوم، وعند المذاكرة، وعند الاستيقاظ، وعند الخروج، وعند الدخول، وعند الجماع . . وعند كل عمل وكل حركة وسكنة . . إنها بيوت المودة والرحمة . . اللهم اجعلها كذلك . .

٩ - إنها بيوت المعروف (٤) :

لم يفرض الإسلام ما فرض للمرأة من إحسان العشرة، وكرم المخالطة إلا ليستقيم نظام البيت ويصلح أمره، فلن يفيد معها البطش والانتقام، ولن يصلحها الإيذاء والضرر . . قال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ .

فالمعروف . . هو أصل لقيام حياة كريمة للزوجين والأولاد والمجتمع كله، بل والعالم بأسره، والقرآن الكريم يرتب المعروف في كل المراحل :

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط، كنز العمال: ١٠/ ٢٣، رقم ٢٨١٨١، وأبو الشيخ في الثواب عن أبي أمامة، وقال: حسن، «حصنوا أموالكم بالزكاة، وأعدوا للبلاء الدعاء».

(٢) رواه ابن ماجة، أدب ٦ ، وفي الترغيب رقم ٣٦٧٤ ، وفي الزوائد: في إسناده يحيى بن سليمان أبو صالح، قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج ابن خزيمة حديثه في صحيحه.

(٣) راجع الأدعية في الباب الثالث من هذه الموسوعة.

(٤) المعروف هو اسم لكل فعل يُعرف حُسنه بالشرع أو العقل، وهو خلاف المنكر، والمعروف هو الصنيعة يسديها المرء إلي غيره. . المعجم الوسيط، مادة : عرف.

١ ـ المعروف في بداية الحياة الزوجية، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

٢ ـ المعروف في المعاشرة والمعاملة، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء: ١٩).

٣ ـ المعروف في الحقوق المالية وغيرها، قال تعالى: ﴿ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ.. ﴾ (النساء: ٢٥). وقال تعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٣٦).

٤ ـ المعروف عند الطلاق، وبعد الطلاق، والحقوق المالية بعد الطلاق، ومقابل الإرضاع، حتى قال الفقهاء: «من المعروف هناك هدية المطلقة»، قال تعالى: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ (البقرة: ٢٣١). وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ (الطلاق: ٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٤١).
وقال تعالى: ﴿ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾ (البقرة: ٢٤٠). وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ (الطلاق: ٦).

وقال تعالىٰ : ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٢٣). وقال تعالىٰ : ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٣٤).

٥ ـ المعروف في معاملة الأبناء للآباء ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان: ١٥).

المبحث الحادي عشر

نماذج عملية للسعادة الزوجية

الزوجة الوفية كأنك تراها (١) :

عن طلحة بن يحيىٰ عن جدته سُعْدَىٰ رضي الله عنها قالت: دخلت يوماً علىٰ طلحة (تعني طلحة بن عبيد الله زوجها، وهو من العشرة المبشرين بالجنة)، فرأيتُ منه ثقلاً فقلت له: «ما لك؟ لعله رابك منا شيء، فنعتبك (أي: نترك ما تكره ونفعل ما يرضيك)، قال: «لا، وَلِنِعْمَ حليلة المرء المسلم أنتِ . . ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع؟»، قالت: «ويغمك منه . . ادع أهلك وقومك، فاقسم بينهم»، قال: «يا غلام عليَّ بقومي»، فسألت الخادم: «كم قَسَّم؟»، قال: «أربعمائة ألف».

وقبل أن نحلل موقف سُعْدَىٰ وكيف قامت بحل مشكلة زوجها المالية.

نحرص دائماً علىٰ عدم خروج شرارة الخلاف بين الزوجين خارج المنزل فإنها سريعة الانتشار كالخلية الواحدة تتكاثر بالانقسام، وإنَّ غضب الزوج أو الزوجة أمر وارد علىٰ أن تظل القضية محصورة بينهما وتحت سقف البيت لا تتعداه.

إذن لا بأس من الغضب لكن البأس أن تنتقل الأسرار خارج الدار . . وعلىٰ هذا سار الأتقياء من سلفنا الصالح ومنهم الإمام أحمد قال: «تزوجت أم صالح فمكثت معي ثلاثين عاماً ما اختلفنا في كلمة واحدة».

دروس من فعل وتصرف سُعدى في الموقف :

١ ـ هدف سُعدىٰ هو إنقاذ الأسرة من الانهيار هذا الهدف العظيم لابد له من تضحيات عظيمة ومن هذه التضحيات التفكير بعمق لاكتشاف أسباب

(١) مجلة الأزهر، جمادىٰ الأول ١٤٢٢هـ، أغسطس ٢٠٠١م أ. د. محمود عمارة.

الاختلاف وجذوره لتبدأ مهمة الإصلاح وهنا لا تستطيع المجاملة العابرة ولا الكلام المعسول أن يحل العقدة.

٢ ـ تقطع سُعدىٰ هذا الصمت وتقترب من زوجها: مالك لعله رابك منا شيء، إن بعض الزوجات يلذن بالصمت بينما يبدو الزوج معتل المزاج لكنه الصمت المريب.. وكأن هذا الرجل لا يعرفونه قبل ذلك:

* في حالة الشدة تظهر المعادن، والحر وإن فقد كل شيء في حالة الشدة لكنه لا يفقد مروءته ولا وفاءه، فتراها تؤنس زوجها لأن الزوجة الوفية عند نزول البلاء تجدها جنة وارفة الظلال.

* إن الحب الصغير يضخم الهفوات لكن الحب الكبير بحر بعيد الشطآن لا تعكره الدلاء(١).

٣ ـ أتاحت الزوجة لزوجها فرصة ذهبية :

أ ـ أعفته من صعوبة الابتداء بالكلام فظل في موقف الرجولة والشموخ

ب ـ طردت بهذا التودد الشيطان الذي نزغ بينهما.

جـ ـ وضحت كيف كان اختياره للأصل.. يقول ابن الجوزي في اختياره الزوجة: «إياك أن تخالط إلا من له أصل يخاف عليه الدنس فالغالب معه السلام وإن وقع علىٰ غير ذلك كان نادراً»، ولذلك هي تذكر أخلاقه فتقول: «إن دخل ضاحكاً، وإن خرج خرج باسماً، وإن سألتُ أعطىٰ، وإن سكتُّ ابتدأ، وإن عملتُ شَكَرْ، وإن أذنبتُ غفر»، وها هو ذا لايكتفي بالمغفرة: ولكن يبالغ في الإحسان عندما سارع إلىٰ نفي التهمة عنها مؤكداً أصالتها وتفردها بقوله: «لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنتِ».

٤ ـ اقترحت عليه أن يقسم المال في أهله لا في أهلها فهي بذلك تحل أعقد المشكلات الأسرية وهي تلك العداوة التقليدية بين الزوجة وأهل زوجها، وهكذا تفعل

---

(١) الدلاء: جمع دلو.

الزوجة الأصيلة والتي لا يتخلىٰ عنها أصلها في ساعة العسرة. . فتقف بجوار زوجها، وتنقذ سفينة حياتهما.

إن الخاتم الحديد والخاتم الذهب كلاهما يُدفن في كومة من التراب لكن الحديد يصدأ بينما الذهب يظل محتفظاً ببريقه لا يصدأ وإن طال به المدىٰ.

وبذلك تكون سُعدىٰ قد ساهمت في حل مشكلة زوجها ووقفت بجانبه وانقذت الأسرة من الانهيار.

وبضدها تتميز الأشياء:

فهذه **نائلة بنت عبد الله** زوجة **طلحة بن عبد الرحمن بن عوف** تسقط في هذا الامتحان. . كان طلحة بن عبد الرحمن بن عوف زوجها أجود قريش في زمانه قالت له زوجته نائلة يوماً: «ما رأيتُ قوماً ألأم من إخوانك» (أي إخوته).

قال لها: «ولم ذلك؟»، قالت: «أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك»، فقال لها: «هذا والله من كرم أخلاقهم يأتوننا في حال قدرتنا علىٰ إكرامهم ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقهم».

ولذلك نجد أن من أهم صفات الزوجة الصالحة الوفية الوقوف إلىٰ جانب زوجها في المحنة.

مثال للزوجة المخلصة الوفية:

روىٰ البخاري ومسلم في صحيحهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة علىٰ رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال: «**اللهم هالة**»، فَغِرْتُ فقلت: «ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، أبدلك الله خيراً منها».

وفي رواية الإمام احمد في المسند وابن حجر في الإصابة من طريق أبي بشر الدولابي: فتغيَّر وجهه عليه السلام وزجر عائشة غاضباً فقال: «**والله ما أبدلني الله خيراً منها .. آمنت بي حين كفر الناس.. وصدقتني إذا كذبني الناس..**

وواستني بمالها إذ حرمني الناس.. ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء».

وزاد الطبراني في روايته قالت: قلتُ: يا رسول الله: «اعفُ عني ولاتسمعني اذكر خديجة بعد هذا اليوم بشيء تكرهه»(١).

(١) مؤمنات لهن عند الله شأن، د. محمد بكر إسماعيل.



الفصل الثالث

تربية الأولاد

أولاً : الأولاد في القرآن والسنة

ثانيًا : تعريف التربية .

ثالثًا : فضل التربية .

رابعًا : خطورة التهاون في التربية .

خامساً : محاور التربية .

سادساً : أساليب تربوية خاطئة .

سابعاً : التربية الناجحة (دعائم ـ أساليب صحيحة ـ نتائج طيبة).

الفصل الثالث

تربية الأولاد

أولاً : الأولاد في القرآن والسُنَّة

في القرآن :

قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان : ٧٤). ويقول تعالى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ .. ﴾ (القصص : ٩). ويقول أيضاً : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

معنى كلمة قرة :

مسرة وفرحاً ـ هذه هي الآيات الثلاثة في القرآن التي تحدثت عن «قرة عين» منها آيتان تتحدثان عن الأولاد . . والثالثة تتحدث عن وصف نعيم أهل الجنة، ولعله أيضاً من هذا النعيم قرة عين أهل الجنة بأولادهم ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ .

هذا هو الشعور الفطري الإيماني شعور الرغبة في مضاعفة السالكين في الدرب إلى الله، وفي أولهم الذرية والأزواج، فهم أقرب الناس تبعة وهم أول أمانة يُسأل عنها الرجال، والرغبة كذلك في أن يحس المؤمن أنه قدوة للخير يأتم به الراغبون في الله وليس في هذا من أَثَرَة ولا استعلاء، فالركب كله في الطريق إلى الله(١) .

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا ﴾ . . يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له .

ـ قال ابن عباس: «من يعمل بطاعة الله فتقرّ به أعينهم في الدنيا والآخرة» .

---

(١) في ظلال القرآن، للأستاذ : سيد قطب ـ رحمه الله ـ، تفسير سورة الفرقان .

- قال **عكرمة**: «لم ينالوا بذلك صباحة ولا جمالاً ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين»

- يقول **الحسن البصري**: «لا والله، لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرىٰ ولداً أو ولد ولد أو أخاً أو حميماً مطيعاً لله عز وجل»(١) .

الأولاد في السنة:

يقول الرسول ﷺ: «**إذا نظر الوالد إلى ولده فسرَّه، كان للوالد عتق نسمة**».

قيل: «يا رسول الله، وإذا نظر ثلاثمائة وستين نظرة؟»، قال: «**الله أكبر**»(٢) .

وقد رأىٰ النبي ﷺ عثمان بن مظعون يحمل ابنه ويقبله . . فقال:

«يا رسول الله، ابني . . ».

قال: «**أتحبه يا عثمان؟**»، إيه والله يا عثمان . . أفلا أزيدك له حباً . .

وقال ﷺ: « **من تَرَضَّى صبياً صغيراً من نسله حتى يرضى، تَرَضَّاهُ الله يوم القيامة حتى يرضى**.. **البسمة مكان الدموع**»(٣) .

الأولاد في عيون الشعراء:

إنمـــا أولادنا بيـنـنـــــا أكبادنا تمشي علىٰ الأرض
لو هبت الريح علىٰ بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض

تأمَّل لماذا لم يقل اضطرب قلبي، أو ذهب قلبي، أو ذهب عـقلي، أو . . أو . . ولكن قال: امتنعت عيني!! لأن الأولاد هم قرة العين.

لذلك ومن أجل قرة العين كان لابد من التربية . .

والتربية السليمة الصحيحة.

---

(١) تفسير ابن كثير، الجزء الثاني، سورة الفرقان.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وقال: لا يروىٰ عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، قال في مجمع الزوائد، جـ٣، ص ٤٤٨: إسناده حسن.

(٣) كنز العمال، جـ١٦ ، ص ٥٨٦ .

ثانياً : تعريف التربية

يقول **الشيخ الشعراوي** ـ رحمه الله ـ : « التربية معناها إيصال المُرَبَّىٰ إلىٰ مرتبة الكمال التي هيئ لها»(١) .

ويعرفها آخرون بأنها : نقل الفرد من حالة إلىٰ حالة تقربه إلىٰ الله تعالىٰ(٢) .

ثالثاً : فضل التربية(٣) :

أيها الوالد الكريم هل تريد كل الصدقات بطاعة واحدة؟

روىٰ الإمام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ : **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، وعِلم يُنتفع به ، وولد صالح يدعو له»**(٤) .

أيها الوالد الكريم . . تستطيع بتربيتك لولدك أن تحصل علىٰ خيرات هذا الحديث ، فإن الأعمال الثلاثة التي تنفع الإنسان بعد موته ، إنما هي ثمرات يجنيها المسلم من تربيته لأبنائه وربما لا يتوفر هذا في عمل آخر مثل تربية الأبناء :

١ ـ أنت علمته الإسلام فهو بار بوالديه يدعو لهما بعد مماتهما **«ولد صالح يدعو له»** .

٢ ـ أنت علمته الصلاة والصيام والخلق الحسن وغيرها من الأعمال الصالحة وهي **«علم ينتفع به»** .

٣ ـ أنت علمته الصلاة تُثاب علىٰ ذلك كما يثاب هو ، وعندما يتزوج يُعَلِّم أولاده كما علَّمه أباه فيصلون فتثاب كما يثابون وهكذا في باقي الأعمال الصالحة .

---

(١) كتاب : منهج الإسلام في التربية ، الشيخ الشعراوي .

(٢) تعريف الإخوان للتربية .

(٣) في هذا الفصل سيكون التركيز فيه علىٰ أمرين : الأول نقل الواقع العملي ، والخبرة العملية في موضوع التربية حتىٰ لا يكون فيه شيء نظري بل ، واقع يطبق . . والثاني : الأبحاث الجيدة العملية التي ، وجدتها للعلماء ذكرتها إتمامًا للفائدة ، وزيادة في النفع .

(٤) رواه مسلم ، وصية ١٤ .

ومصداق ذلك قول رسول الله ﷺ : **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.. ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»**(١) .

فمن تعلم من أبيه شرب الدخان أو مشاهدة المناظر الفاضحة في الوسائل المرئية كانوا في الاثم سواء، وزاد الأب إثماً، لأنه دعا إلىٰ ضلالة .

- هل رأيت(٢) ؟ هل رأيت ابناً يسب أباه . . وآخر يفرح لغيابه . . وثالثاً يتمنىٰ أن لو يموت فيستريح منه ويرثه؟ . .
- هل وجدت من يحجر علىٰ أبيه؟ ومن يسرقه؟
- هل وجدت من يطرد أمَّـهُ ويسخر منها؟
- هل رأيت من جاوز الخمسين ولم يُصَلِّ لله ركعة ولم يدخل المسجد إلا لقضاء الحاجة أو الشرب؟

إن هذه الأمثلة لأبناء ـ غالباً ـ لم يجدوا من يربيهم ولا يرشدهم إلىٰ الصواب . .

فهل تريدون أيها الآباء أن يكون أولادكم مثل هؤلاء؟(٣) .

(١) رواه البخاري، اعتصام ١٥ ، ومسلم، علم ١٦ .
(٢) فن تربية الأولاد . . محمد سعيد مرسي .
(٣) سيأتي نموذج تربوي بعد قليل عن الأولاد، وكيفية التربية، ولك الاختيار في أولادك .

رابعاً : خطورة التهاون في التربية

١ ـ من الناحية العقلية :

من المُسَلَّم به أن السائق الذي لا يتقن فن القيادة تتحطم سيارته . . وتتكسر أضلاعه ، وتشج رأسه ، وتتلف سيقانه ومفاصلة .

كذلك الأب الذي لا يعرف فن التربية . . يَضِل . . ويُضِل ولده ، وتتشرد أسرته . . فكثيراً ما ينال الطفل الأول الحظ الأوفر من الاهتمام الجشع والرقابة الصارمة من قِبَل الأبوين ، ثم ما يلبث الأبوان أن يشعرا بأنهما قد تعلما الكثير من الطفل الأول فيشعران أنهما بحاجة إلىٰ إعطاء الطفل الثاني المزيد من الحرية . . فيتصرفان مع الطفل الثاني بالمزيد من الثقة خلافاً للطفل الأول (وقد ينشأ مدللاً فينحرف) ، وعلىٰ هذا نقول إن الطفل الأول هو الضحية التي يتعلم فيها الوالدان فن التربية . . وقد يخرج الولد من قصور التربية مشوهاً . . وهو الطفل الأكبر الذي تحتاجه الأسرة مبكراً ليتحمل عنها . .

قد يحدث خطأ في بناء البيت . . إما أن يعدل أو يظل هكذا . . وقد يحدث خطأ في زراعة محصول معين وتكون النتيجة تدمير المحصول . . فتجد من يواسيك ويقول لك إن شاء الله تتحسن زراعتك في العام القادم ويحدث فعلاً ذلك ، ولكن . . إذا أخطأت في تربية ولدك وانحرف لسوء التربية ، وتشرد في المجتمع . . ماذا نقول لك؟ . . إنها حقيقة شديدة المرارة .

إن سوء التربية دمار للمجتمع ، وتخريب للأسرة ، وتحطيم للطاقات البشرية لجيل كامل ، والعلاج قد يكون صعباً ، وحتىٰ لا نصل إلىٰ هذه الدرجة من سوء التربية نتدارك سريعاً ، ونتعاون معاً لضبط حركة قطار هذا الجيل قبل أن تزل العجلات عن القضبان . . وسوف نقدم للوالدين محاور ووسائل للتربية ، يجب علىٰ الوالدين الأخذ بها حتىٰ يحصلا علىٰ ثواب التربية . . ويتقدم المجتمع ، وتسوده الأخلاق الفاضلة . . وتثمر الطاقات البشرية(١) .

---

(١) الواجب العملي : تدريس تربية الأولاد للأزواج قبل الزواج ، ولا ننتظر الإنجاب ، فالطبيب لا ينتظر حتىٰ تنفجر الزائدة ، ولكن بمجرد إحساس المريض بالتعب يبدأ الطبيب بالعلاج .

٢ ـ من ناحية الواقع وانعدام دور الأسرة في عملية تربية الأبناء :

لقد ارتكب المجتمع العصري غلطة جسيمة لاستبداله بتدريب الأسرة المدرسة استبدالا تاماً، ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى يستطعن الانصراف إلى أعمالهن، أو مطامعهن الاجتماعية، أو مباذلهن، أو هواياتهن الأدبية أو الفنية أو للعب (البريدج ـ أو ارتياد دور السينما وهكذا يُضعن أوقاتهن.

إنهن مسئولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعها التي يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم منهم أموراً كثيرة(١) .

ويبلغ نذير الدكتور (الكسيس كاريل) غايته حين يردف ذلك بقوله:

إن الكلاب الصغيرة التي تنشأ مع جِراء من نفس عمرها في حظيرة واحدة، لا تنمو نمواً مكتملاً كالكلاب الحرة التي تستطيع أن تمضي في أثر والديها.

وكذلك الحال بالنسبة للأطفال الذين يعيشون في وسط جمهرة من الأطفال الآخرين وأولئك الذين يعيشون بصحبة راشدين أذكياء؛ لأن الطفل يشكل نشاطه (الفسيولوجي) والعقلي والعاطفي طبقاً للقوالب الموجودة في محيطة(٢) .

وهكذا تبدو المسألة في مداها البعيد ذات أثر تدميري للإنسان نفسه ثم للمجتمع كله، تستوي في ذلك القيود الغلاظ في جاهلية الأولين أو الإرسال الشاذ في جاهلية الآخرين.

والمسألة راجعة في أصلها الأول إلى (منبع التشريع ومصدره)، فحين تولى أمره رب العالمين منحها أو منعها على علم وحكمة فكان ما شرعه هدى ورحمة وحين تولاه المبطلون أعطوها حرية مدمرة ومنعوها (في ذات الوقت) من حقوقها الأصلية الصحيحة(٣) .

---

(١) انظر: تفصيل هذه الإحصاءات في مقال: د. نور الدين عتر، بعنوان: هل نقيد تعدد الزوجات؟ مجلة الوعي الإسلامي، عدد ١١٢ ربيع الآخر ١٣٩٤هـ إبريل ١٩٧٤م.

(٢) الإنسان ذلك المجهول، ص ٣٠٥، ٣٠٦، والجراء، جمع جرو وهو الكلب الصغير وهذا قياس مع الفارق الكبير؛ لأن الإنسان أدق شعورا وأكثر تأثراً من سائر الأحياء، فالجناية عليه أدهى وأخطر.

(٣) المنهاج القرآني، مصدر سابق، ص ٥٥٢ .

خامساً : محاور التربية[1]

■ المحور الأول : الأب

إن الإسلام العظيم وقانا مرارة التجربة . . وأعطانا الأسس والقواعد التي نطبقها مباشرة ليكون الناتج أبناءاً صالحين . . قرة أعين لوالديهم .

مقدمة للتوجيهات :

١ ـ **الإقناع** . . اعلم ولي الأمر وفقك الله تعالىٰ . . أنه عندما يقترب ابنك من سن الرشد والتفكير يجب عليك أن تعرض علىٰ أولادك قضية الإيمان عرضاً جديداً ليكون إيمانهم عن إقتناع وليس عن تكليف . فإذا ما استقبل الشاب قضية إيمانه استقبال اقتناع فلن يمكن أبداً للأهواء ولا للانحرافات أن تصل إليه ، بعد أن تكوَّنت عنده مناعة .

أما أن يعتبر الأب مسألة الإيمان مسألة طبيعية لا يجب أن تدخل إلىٰ النقاش . . فإننا نقول له : إن مسألة كمسألة اختيار الكلية المناسبة لابنك تحتاج إلىٰ نقاش واستشارة ويشترك فيه أكثر من طرف وقد تشترك فيها الأم . فما أهون هذه المسائل بالنسبة لقضية مصيرية كقضية الإيمان ، فعلىٰ أولياء الأمور أن ينتبهوا بعد أن يكونوا قد نشَّأوا أبنائهم تنشئة إسلامية ، فرأوا مظاهر الإسلام وسمعوا اسم الله كثيراً وسمعوا أباهم يقرأ القرآن . . سمعوه يبدأ كل شيء باسم الله ، ويختمه بالحمد لله . . وإذا رأىٰ خيراً في ماله وولده قال : «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» ، فإن الأبناء سيتربون علىٰ خميرة إيمانية ، ولن يكون عندهم عناد ولا مكابرة . . وبهذا يقتنع الأبناء بقضية الإيمان علىٰ أنها من عملهم الذاتي لا عن تراث ورثوه . . وآفة إسلامنا اليوم أنه موروث عن الآباء[2] .

---

(١) المحور هو العود من حديد ، وغيره تدور عليه البكرة . . ، وقد تجد من يقول ركن ، والركن هو : أحد الجوانب التي يستند عليها الشيء ، ويقوم بها ، والمعنىٰ أن كليهما عليه مسئولية . . انظر : المعجم الوجيز .

(٢) الشيخ الشعرواي ـ رحمه الله .

٢ - **متابعة الأولاد** في العبادات . . في حفظ القرآن . . في الدراسة . . في الألفاظ . . في الصداقة . . وهذه المتابعة لها ضوابطها كما سيأتي .

نصائح جوهرية (١) :

١ - اعرف خصائص المرحلة السنية لطفلك .

٢ - عالج أخطاء طفلك بالتوجية والملاطفة والإشارة والتوبيخ والهجر والوعظ ثم الضرب .

٣ - علم ابنك غزوات الرسول ﷺ وحفظه أسماء الصحابة والقادة المسلمين الفاتحين واربط أفعاله بهم دائماً .

٤ - لا تقبيل ولا احتضان للطفل من غير الوالدين إلا لضرورة .

٥ - اجعل لابنك حرفة منذ صغره .

٦ - على المعلم إشراك ولي أمر الطفل في المتابعة التربوية .

٧ - الصاحب ساحب والمرء على دين خليله ، فوجه ابنك لاختيار أفضل الأصدقاء .

٨ - التخلف الدراسي لا يدل على غباء الطفل .

٩ - الطفل العبقري مشكلة كالطفل الغبي تماماً لما يشعر به من ملل عندما يعيد المدرس الشرح أكثر من مرة لزملائه وهو قد فهمه من أول مرة ، ولسخريته من أقرانه الأقل منه .

١٠ - أشعر طفلك بالحرية ، ولا تكن متسلطاً تتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياته .

١١ - إن أشبعت رغبات طفلك ولم تكلفه بأية واجبات فستولد عنده الأنانية وحب الذات وشدة التعلق بك ، وإن أشبعت رغبته وألزمته ببعض الواجبات فستولد عنده الاتزان ومعرفة الحقوق والواجبات وما له وما عليه ، وإن لم تشبع رغبته وفرضت عليه واجبات صارمة فستولد عنده الخضوع والمذلة .

---

(١) فن تربية الأولاد، محمد سعيد مرسي.

١٢ ـ اربط طفلك بالله وبالرسول ﷺ، وبالثواب الأخروي فإذا فعل شيئاً حسناً فقل له هذا شيء يرضىٰ الله، إذا فعل شيئاً سيئاً فقل له: هذا شيء يغضب الله، ولا تقل له: عيب فقط أو هذا خطأ فقط.

١٣ ـ اربط ابناءك بالإسلام وبالمبدأ، ولا تربطهم بشخصك حتىٰ إذا وقعت في خطأ معين لا يتهمون الإسلام أو المبدأ بالخطأ.

١٤ ـ الحماية الزائدة بالتدليل تولد الأناني ضعيف الشخصية، والحماية الزائدة بالتسلط تولد الخوف وعدم الثقة بالنفس والتردد والقلق والخجل، والإهمال يولد تحقير النفس والانطوائية والتذبذب وكره الآخرين.

١٥ ـ إن صادف الطفل ما يخيفه لا تساعده عن نسيانه، فالنسيان يدفن المخاوف في النفس ثم لا تلبث أن تصبح مصدراً للقلق والاضطراب النفسي، ولكن يجب التفاهم مع الطفل وتوضيح الأمور له بما يناسب سنه وعقله.

١٦ ـ من الضروري في معاملة الطفل: التصابي له واللعب معه، وهو هدي المصطفىٰ ﷺ مع الصغار: الحسن والحسين ـ أسامة بن زيد ـ عائشة، ولاتستعظم ذلك فهو يقرب الطفل منك ويعودك علىٰ التواضع والرحمة.

١٧ ـ لابد من مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال.

١٨ ـ خاطب ابنك علىٰ قدر عقله.

١٩ ـ لا تنصح ابنك أو توجهه أمام أحد أبداً.

٢٠ ـ الطفل المشاكس اجتماعي وطبيعي وأشد ذكاء من الطفل المنطوي الهادئ، فاحرص علىٰ تقويمه وتهذيبه ولا تيأس منه سريعاً.

٢١ ـ لا تلبِّ رغبات طفلك عندما ينفعل بالبكاء أو الرفض ـ مثلاً ـ لئلا يتعود علىٰ ذلك.

٢٢ ـ المصروف اليومي أفضل من الشهري ليتمكن طفلك من رؤيتك يومياً في الصباح وحتىٰ يشعر بحاجته إليك باستمرار ولأن المصروف الشهري يساهم في تلف الطفل عندما يرىٰ معه مالاً كثيراً فجأة كما أنه قد لا يحسن التصرف فيه فلا يكفيه في الشهر.

٢٣ ـ لا تقاطع ابنك وهو يتحدث .

٢٤ ـ انظر لطفلك ونقب عن مواهبه وميوله ونمها له وشجعه عليها وإن لم يكن له ميول معينة فاختر له عملاً أو رياضة يجد فيها ذاته فلا يشعر بالنقص .

٢٥ ـ علم ابنك ألا يخلو جيبه من مصحف وسواك ومسبحة وقلم وورقة ومنديل .

٢٦ ـ شاور ابنك وعلمه الشورىٰ وعدم الديكتاتورية .

٢٧ ـ ذاكرة الطفل حادة آلية فيحفظ كثيراً وسريعاً وبلا فهم للمعنىٰ لذا تستغل في حفظ القرآن والحديث والأدعية والأذكار والأناشيد الإسلامية .

٢٨ ـ التبول اللاإرادي قد يكون سببه ضعف المثانة نتيجة ضعف التغذية وقد يكون سببه الخوف أو الغيرة أو التدليل الزائد أو القسوة الزائدة أو وجود عاهة أو شدة الحساسية وعدم الثقة بالنفس وغيرها ، فالحذر كل الحذر من عقاب الطفل أو تعييره بسبب ذلك .

٢٩ ـ مربي غير قدوة ككاتب علىٰ الماء ، والطفل ينسي الكلام ولا ينسي السلوك ؛ لذلك احرص دائماً علىٰ التزام القدوة في كل حركة أو سكنة وقول وفعل ؛ فالطفل كالمرآة ترىٰ فيه نفسك ، فانظر بأي شكل تحب أن ترىٰ نفسك .

٣٠ ـ ضبط رد الفعل مهم جداً عند التعامل مع الأطفال ؛ لا سيما عند المفاجأة بموقف أو بسؤال غير متوقع .

٣١ ـ القصة والنشيد مع الهدية والابتسامة والتصابي للطفل أسرع طريقة لقلبه .

٣٢ ـ التزم بالقانون العمري لعمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أطفالك : «شدة في غير عنف ، ولين في غير ضعف» .

٣٣ ـ ناد ابنك بأحب الأسماء إليه .

٣٤ ـ الطفل يحب التشجيع فأكثر من قول : شكراً لله ـ جزاك الله خيراً ـ برافو عليك ـ أحسنت . . إلخ .

٣٥ ـ شجع ابنك عندما يسأل وعندما يجيب .

٣٦ ـ عود ابنك على الصلاة في المسجد منذ الصغر واصطحبه معك في كل صلاة .

٣٧ ـ عود ابنتك الصغيرة على ارتداء الحجاب وحببها فيه .

٣٨ ـ العقاب لا ينبغي أن يترك أثراً نفسياً أو بدنياً ، فلا عقاب بالسخرية أو الفضيحة ، ولا عقاب بالحرق بالنار أو الشك بالدبوس ، أو استعمال آلة حادة ، أو خرطوم أو عصا غليظة .

٣٩ ـ قل لابنك : لو سمحت أعطني كذا ، من فضلك لا تفعل كذا ، حتى وأنت غضبان . . حتى يتعود على ذلك .

٤٠ ـ علِّم ابنك حسن الخلق وعلى رأسه : الصدق والأمانة .

٤١ ـ تشجيع الطفل على الاستماع الجيد ليكون متحدثاً لبقاً فيما بعد .

٤٢ ـ التوازن بين أنواع وأساليب الثواب فلا يثاب الطفل مادياً فقط بل معنوياً أيضاً ،
ومن أساليب الثواب :

ـ مدحه والثناء عليه .

ـ عدم عقاب آخر بسببه .

ـ البدء به عند اختياره في رحلة أو لعبة .

ـ اصطحابه والتحدث معه . .

ـ الهدية : قلم ـ شيكولاته ـ كارت ـ قصة ـ شريط .

ـ زيادة مصروفه .

ـ العفو عنه عندما يخطئ .

ـ تخصيصه بالتحية .

ـ الكلمة الطيبة : شكراً ـ أحسنت ـ بارك الله فيك ـ جزاك الله خيراً .

٤٣ ـ ليس الضرب وحده هو وسيلة العقاب ، بل إنه قد لا يجدي في بعض الأحيان أو قد يأتي بنتيجة عكسية **ومن أساليب العقاب :**

ـ شد الأذن .

- التهديد.
- الهمهمة (صوت يدل على الإنكار).
- الهجر والخصام (أقصى مدة ثلاثة أيام).
- الحرمان من مصروف أو نزهة أو أي شيء يحبه.
- النظرة الحادة.
- الإهمال.
- مدح غيره أمامه.
- **الضرب مع مراعاة ما يلي عند الضرب:**

١ - آخر علاج، فآخر الدواء الكي.

٢ - الضرب للتأديب كالملح للطعام لا يزيد ولا ينقص.

٣ - لا تضرب بعد الوعد بعدم الضرب لئلا يفقد الثقة فيك.

٤ - مراعاة حالة الطفل المخطئ وسبب الخطأ.

٥ - لا ضرب على أمر صعب التحقيق.. (لأنه لم يحصل على المركز الأول مثلاً).

٦ - إظهار العصا للطفل دائماً حتى يهابها.

٧ - يعطي فرصة إذا كان الخطأ للمرة الأولى.

٨ - لا تضربه أمام من يحبه.

٩ - اضربه بنفسك ولا تتركه لغيرك خاصة إخوته وزملاءه.

١٠ - لا تضرب في مكان واحد، ولا تضرب في الأماكن المؤذية كالوجه والبطن والصدر.

١١ - الامتناع عن الضرب إن لم يكن ينفع ويجدي.

١٢ - عدم الضرب أثناء الغضب الشديد.

١٣ - عدم الانفعال أثناء الضرب.

١٤ - عدد الضربات من واحدة إلى ثلاث.

١٥ ـ لا ترفع يديك أكثر من اللازم لئلا يضاعف الألم .

١٦ ـ أن يكون بين الضربة والأخرىٰ زمن لتخفيف الألم .

١٧ ـ نسيان ـ أو تناسي ـ الذنب بعد الضرب وعدم تذكير الطفل به .

١٨ ـ العصا تكون متوسطة الطول والغلظة وألا تكون دقيقة جداً أو صلبه أو جافة أو بها سلك أو مسمار .

١٩ ـ عدم إرغام الطفل علىٰ الاعتذار بعد الضرب وقبل أن يهدأ لأن فيه إذلالاً له ومهانة .

٢٠ ـ لا تأمر الطفل بعدم البكاء أثناء وبعد الضرب .

٢١ ـ أشعره أنك عاقبته لمصلحته ، وابتسم في وجهه ، وحاول أن تنسيه الضرب .

الأب الذي نريد:

قال الأبناء :

ـ نريده أباً يحسن الكلام معنا ، ويجتمع بنا ويتناقش معنا في قضايانا .

ـ نريد الكلمة الحانية واللمسة العطوفة والقلب الواسع .

ـ نريد الأب الذي يباهي بنا ، ويفتخر بنا بين الناس ، ويحس بآلامنا ، ويفرح لفرحنا ، وتظهر مشاعره أمامنا ، ولا يكتفي بمجرد الحب الصامت في قلبه .

ـ نريد الأب الذي يحسن الكلام أكثر من الضرب ، ولا يستخدم يده إلا عندما يجد أن الخطأ استفحل ولم يعد يجدي معه علاج آخر .

وفي الختام أتوجه بنصحية لكل الآباء:

هذه أمامكم آراء أبنائكم فهل استفدتم منها شيئاً وإن كان كذلك فها هم الأبناء يمدون لكم أيديهم فضموا إليهم أيديكم وقدموا لأسرتكم كل الخير والسعادة فهي دائماً بانتظاركم .

■ المحور الثاني : الأم

بالرغم من أن الأم تشترك مع الأب في النصائح السابقة، إلا أننا نذكر لها دوراً خاصاً مميزاً في التربية عن دور الأب، فالأم تحتل مكانه مهمة وأساسية في التربية.. ويبدو ذلك من خلال الأمور الآتية:

الأمر الأول أثر الأسرة في التربية :

فالأسرة أولاً هي الدائرة الأولى من دوائر التنشئة الاجتماعية، وهي التي تغرس لدى الطفل المعايير التي يحكم من خلالها على ما يتلقاه فيما بعد من سائر المؤسسات في المجتمع، فهو حينما يغدو إلى المدرسة ينظر إلى أستاذه نظرة من خلال ما تلقاه في البيت من تربية، وهو يختار زملاءه في المدرسة من خلال ما نشأته عليه أسرته، ويقيم ما يسمع وما يرى من مواقف تقابله في الحياة، من خلال ما غرسته لديه الأسرة، وهنا يكمن دور الأسرة وأهميتها وخطرها في الميدان التربوي.

الأمر الثاني: الطفل يتأثر بحالة أمه وهي حامل :

تنفرد الأم بمرحلة لا يشركها فيها غيرها، وهي مرحلة مهمة ولها دور في التربية قد نغفل عنه ألا وهي: مرحلة الحمل؛ فإن الجنين وهو في بطن أمه يتأثر بمؤثرات كثيرة تعود إلى الأم ومنها: التغذية فالجنين على سبيل المثال يتأثر بالتغذية ونوع الغذاء الذي تتلقاه الأم، وهو يتأثر بالأمراض التي قد تصيب أمه أثناء الحمل، ويتأثر أيضاً حين تكون أمه تتعاطى المخدرات، وربما أصبح مدمناً عند خروجه من بطن أمه حين تكون أمه مدمنة للمخدرات، ومن ذلك التدخين، فحين تكون المرأة مدخنة فإن ذلك يترك أثراً على جنينها، ولهذا فهم في تلك المجتمعات يوصون المرأة المدخنة أن تمتنع عن التدخين أثناء فترة الحمل أو أن تقلل منه، نظراً لتأثيره على جنينها، ومن العوامل المؤثرة أيضاً: العقاقير الطبية التي تتناولها المرأة الحامل، ولهذا يسأل الطبيب المرأة كثيراً حين يصف لها بعض الأدوية عن كونها حاملاً أو ليست كذلك[1].

---

(١) أيها الزوج لا تعرض زوجتك للانفعالات والبكاء، فتربية الطفل تبدأ منذ اللحظة الأولى للحمل، ثم تأتي فترة الرضاعة، وهي أخطر في التربية، ثم يأتي العام الأول، والثاني للطفل فهما أخطر عامين في حياة الطفل، ثم تتوالى أساليب التربية كما سنرى.

وصورة أخرىٰ من الأمور المؤثرة وقد لا تتصوره الأمهات والأباء هذه القضية، وهي حالة الأم الانفعالية أثناء الحمل، فقد يخرج الطفل وهو كثير الصراخ في أوائل طفولته، وقد يخرج الطفل وهو يتخوف كثيراً، وذلك كله بسبب مؤثرات تلقاها من حالة أمه الانفعالية التي كانت تعيشها وهي في حال الحمل، وحين تزيد الانفعالات الحادة عند المرأة وتكرر هذا فإن هذا يؤثر في الهرمونات التي تفرزها الأم وتنتقل إلىٰ الجنين، وإذا طالت هذه الحالة فإنها لابد أن تؤثر علىٰ نفسيته وانفعلاته وعلىٰ صحته، ولهذا ينبغي أن يحرص الزوج علىٰ أن يهيئ لها جواً ومناخاً مناسباً، وأن تحرص هي علىٰ أن تتجنب الحالات التي تؤدي بها حدة الانفعال.

أمر آخر أيضاً له دور وتأثير علىٰ الجنين وهو اتجاه الأم نحو حملها أو نظرتها إلىٰ حملها فهي حين تكون مسرورة مستبشرة بهذا الحمل لابد أن يتأثر الحمل بذلك، وحين تكون غير راضية عن هذا الحمل فإن هذا سيؤثر علىٰ هذا الجنين، ومن هنا وجه الشرع إلىٰ تصحيح النظر حول الولد الذكر والأنثىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ **لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)** ﴾ (الشورىٰ).

فهو سبحانه وتعالىٰ له ما يشاء وله الحكم سبحانه وتعالىٰ، فيقرر للناس أنه عز وجل صاحب الحكم والأمر، وما يختار الله سبحانه وتعالىٰ أمراً إلا لحكمة، لذا فالزوجة والزوج جميعاً ينبغي أن يرضوا بما قسم الله، ويعلموا أن ما قسم الله عز وجل خير لهم، سواء كان ذكراً أو أنثىٰ، وحين تفقد المرأة هذه الشعور، وتكتشف أن جنينها أنثىٰ فإن نظرتها ستتغير، ومشاعرها ستتحول تجاه هذا الحمل أو العكس، وبالتالي فإن هذا لابد أن يؤثر علىٰ الحمل.

ونحن هنا لسنا في عيادة طبية حتىٰ نوجه المرأة الحامل أو نتحدث عن هذه الآثار التي يمكن أن تتركها حالة الأم علىٰ الحمل، إنما المقصود من هذا كله أن دور المرأة يبدأ من حيث حملها وأنها تعيش مرحلة تؤثر علىٰ مستقبل هذا المولود لايشاركها فيها غيرها.

الأمر الثالث: دور الأم مع الطفل في الطفولة المبكرة:

الطفولة المبكرة مرحلة مهمة لتنشئة الطفل، ودور الأم فيها أكبر من غيرها، فهي في مرحلة الرضاعة أكثر من يتعامل مع الطفل، ولحكمة عظيمة يريدها الله سبحانه وتعالى يكون طعام الرضيع في هذه المرحلة من ثدي أمه وهو أمرٌ ليست له آثار طبية أو صحية فحسب، وإنما له آثار نفسية أهمها إشعار الطفل بالحنان والقرب اللذين يحتاج إليهما، ولهذا يوصي الأطباء الأم بأن تحرص على إرضاع الطفل، وأن تحرص على أن تعتني به وتقترب منه لو لم ترضعه.

وهنا ندرك فداحة الخطر الذي ترتكبه كثير من النساء حين تترك طفلها في هذه المرحلة للمربية والخادمة، فهي التي تقوم بتنظيفه وتهيئة اللباس له وإعداد طعامه، وحين يستعمل الرضاعة الصناعية فهي التي تهيئها له، وهذا يُفقد الطفل قدراً من الرعاية النفسية هو بأمس الحاجة إليه وإذا ابتليت الأم بالخادمة والأصل الاستغناء عنها - فينبغي أن تحرص في المراحل الأولية على أن تباشر هي رعاية الطفل، وتترك للخادمة إعداد الطعام في المنزل أو تنظيفه أو غير ذلك من الأعمال، فلن يجد الطفل الحنان والرعاية من الخادمة كما يجدها من الأم، وهذا له دور كبير في نفسية الطفل واتجاهاته في المستقبل، وبخاصة أن كثيراً من الخادمات والمربيات في العالم الإسلامي لسن من المسلمات، وحتى المسلمات غالبهن من غير المتدينات، وهذا لا يخفي أثره، والحديث عن هذا الجانب يطول، ولعلي أكتفي بهذه الإشارة.

فالمقصود أن الأم - كما قلنا - تتعامل مع هذه المرحلة مع الطفل أكثر مما يتعامل معه الأب، وفي هذه المرحلة سوف يكتسب العديد من العادات والمعايير، ويكتسب الخلق والسلوك الذي يصعب تغييره في المستقبل، وهنا تكمن خطورة دور الأم فهي البوابة على هذه المرحلة الخطرة من حياة الطفل فيما بعد، حتى إن بعض الناس يكون مستقيماً صالحاً متديناً لكنه لم ينشأ من الصغر على المعايير المنضبطة في السلوك والأخلاق، فتجد منه نوعاً من سوء الخلق وعدم الانضباط السلوكي، والسبب أنه لم يترب على ذلك من صغره.

الأمر الرابع: دور الأم مع البنات:

لئن كانت الأم أكثر التصاقاً بالأولاد عموماً في الطفولة المبكرة، فهذا القرب يزداد ويبقىٰ مع البنات.

ولعل من أسباب ما نعانيه اليوم من مشكلات لدىٰ الفتيات يعود إلىٰ تخلف دور الأم التربوي، فالفتاة تعيش مرحلة المراهقة والفتن والشهوات والمجتمع من حولها يدعوها إلىٰ الفساد وتشعر بفراغ عاطفي لديها، وقد لا يشبع هذا الفراغ إلا في الأجواء المنحرفة، أما أمها فهي مشغولة عنها بشؤونها الخاصة، وبالجلوس مع جاراتها وزميلاتها، فالفتاة في عالم والأم في عالم آخر، إن من المهم أن تعيش الأم مع بناتها وتكون قريبة منهن، ذلك أن الفتاة تجرؤ أن تصارح الأم أكثر من أن تصارح الأب، وأن تقترب منها وتملأ الفراغ العاطفي لديها.

ويزداد هذا الفراغ الذي تعاني منه الفتاة في البيت الذي فيه خادمة، فهي تحمل عنها أعباء المنزل، والأسرة ترىٰ تفريغ هذه البنت للدراسة لأنها مشغولة في الدراسة، وحتىٰ إذا فرغت منها بقي عندها وقت فراغ يصعب عليها شغله في القراءة مثلاً؟ فنحن لم نغرس حب القراءة لدىٰ أولادنا.

وعادة ما تشعر الفتاة بأن بينها وبين الأم هوة سحيقة، وأن أمها لا توافقها في ثقافتها وتوجهاتها ولا في تفكيرها، وتشعر بفجوة ثقافية وحضارية بينها وبين الأم، فتجد البنت ضالتها في مجلة تتحدث عن الأزياء وعن تنظيم المنزل، وتتحدث عن الحب والغرام، وكيف تكسبين الآخرين فتثير عندها هذه العاطفة، وقد تجد ضالتها في أفلام الفيديو، أو قد تجد ضالتها من خلال الاتصال مع الشباب في الهاتف، أو إن عدمت هذا وذاك فإنها تتعلم من بعض زميلاتها مثل هذا السلوك.

الأمر الخامس: الأم تطلّع على التفاصيل الخاصة لأولادها:

تتعامل الأم مع ملابس الأولاد ومع الأثاث وترتيبه، ومع أحوال الطفل الخاصة فتكتشف مشكلات عند الطفل أكثر مما يكتشفه الأب، وبخاصة في وقتنا الذي انشغل الأب فيه عن أبنائه، فتدرك الأم من قضايا الأولاد أكثر مما يدركه الأب.

هذه الأمور السابقة تؤكد لنا دور الأم في التربية وأهميته، ويكفي أن نعرف أن الأم تمثل نصف المنزل تماماً ولا يمكن أبداً أن يقوم بالدور التربوي الأب وحده، أو أن تقوم به المدرسة وحدها فيجب أن تتضافر جهود الجميع في خط واحد.

غير أن الواقع يؤكد أن الطفل يتربىٰ علىٰ قيم في المدرسة يهدمها المنزل، ويتربىٰ علىٰ قيم في المنزل مناقضة لما يلقاه في الشارع، فيعيش ازدواجية وتناقضاً، المقصود هو: يجب أن يكون البيت والمدرسة والمسجد والشارع وحدة متكاملة.

نموذج قرآني تربوي لدور الأم:

يعرض علينا الكتاب التربوي الأعظم الذي أنزله رب كل شيء وخالق كل شيء علىٰ قلب المعلم الأمثل محمد ﷺ بعد أن أدبه سبحانه فأحسن تأديبه.. هذه النماذج الرائعة:

الولدان:

يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاتَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...** ﴾ (هود).

ويقول تعالىٰ: ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الصافات: ١٠٢).

هذان مثلان لفتيين يا فعين، ينتسبان إلىٰ بيتين عريقين من بيوت الرسالة أو النبوة، **احدهما** هو ولد نوح عليه السلام، **والآخر** هو إسماعيل ولد إبراهيم عليهما السلام، بَيَّنَ الله تعالىٰ هذين المثلين في كتابه التربوي المجيد، ليبين مدىٰ استجابة الأبناء لتوجيهات الأباء[1] والنتيجة لكل منهما..

الولد الأول:

١ ـ وقف الأب ينادي علىٰ ابنه خوفاً عليه من الغرق.. الأب ينادي بمنتهىٰ الشفقة

---

(١) مجلة الأزهر، جمادي الآخرة ١٤٢٢ هـ ـ سبتمبر ٢٠٠١ م، أ. محمد مصطفىٰ البسيوني.

حتىٰ لا نقول : إن الولد عصىٰ لأن أباه قسا عليه في الكلام، ولكن قال: ﴿يَابُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ . .

٢ ـ موقف الابن: الولد يستنكر علىٰ أبيه ويشير إليه بيده أن انصرف لن آتي معك، ولكن سأصعد إلىٰ الجبل . . الأب يكرر المحاولة، والولد يقول: ﴿ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ . . الأب يقول : ﴿ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾، وفجأة ينقطع الاتصال لا بسبب ارتفاع الماء ولكن بسبب ارتفاع الموج(١) ، ولك أن تعيش هذه اللحظات القاسية بين الأب وهو يشاهد ابنه وهو يغرق، ومدىٰ الألم والحسرة في قلب الأب كما حدث ذلك في المشاهد التي رأيناها في إعصار تسونامي الذي رآه الجميع .

٣ ـ قدرة الله: السرعة في أخذ الله تعالىٰ للظالمين، قال تعالىٰ: ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾، ولم يقل: (وحال بينهما الماء)، لك أن تتخيل كمية الماء علىٰ الأرض!

٤ ـ النتيجة: نهاية هذا الولد في الدنيا هلاك: ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾، وفي الآخرة: ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

الولد الثاني :

١ ـ موقف الأب: ينادي علىٰ ابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ . . انظر إلىٰ نفس اللفظ مع الولد الأول، ولكن انظر إلىٰ الطلب : فالولد الأول ينادي عليه أبوه حتىٰ لا يغرق ولا يموت . . الولد الثاني ينادي عليه أبوه ليذبحه .

٢ ـ موقف الولد: الولد يربت علىٰ كتف أبيه لكي يهون عليه الأمر ويقول له: ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ . . ولم يستنكر علىٰ أبيه هذا الأمر، ولم يقل الابن: «يا أبت هذا منام»، أو: «أنك كبرت في السن»، كما يقول الأبناء الآن . . ولكن الذي

(١) أيُّ ارتفاع للموج هذا؟ لقد رأينا في إعصار تسونامي في جنوب شرق أسيا في ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤ كيف بلغ ارتفاع الموج إلىٰ ٤٠ متر. السونامي: كلمة يابانية تعني الموجات المدية في ترجمة التسونامي تعني أمواج الموانى انظر في معنىٰ الكلمة منار الإسلام ١٣ فبراير، مارس ٢٠٠٥م.

نرى طاعة تامة لا تتوقف بعد أن يربت على كتف أبيه يوصيه : «يا أبت اشحذ السكين، وأدر وجهك عن وجهي حتى لا تأخذك الشفقة بي فتعصي الله، ياأبت لا تخبر أمي إلا بعد ذبحي حتى لا تتأخر عن أمر الله فتعص الله».

٣ـ قدرة الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) ﴾ (الصافات). فلك أن تتأمل في الولد الأول.. الماء ينزل من السماء ليغرق الأرض، أما الولد الثاني فينزل الله هذا الذبح العظيم من السماء ليفدي به إسماعيل.

٤ـ **النتيجة** : نهاية هذا الولد نجاة في الدنيا.. وتخليد لذكره أن يكون له جزء من الكعبة يُسَمَّىٰ (حجر إسماعيل).. انظر إنه في الكعبة وليس بجوار الكعبة فلايجوز الطواف من داخله لأن الطواف حول الكعبة.. فالحجر إذن من الكعبة، وأما في الآخرة يقول الله : ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.. أعلى الدرجات والمراتب درجة الإحسان، فهي نتيجة الطاعة، ونجد في الولد الأول أحط المنازل وأسوأ الدركات ﴿ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، يقول الله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (طه: ١١١).

وقفة تأمل :

الولد الأول ابن نبي، والولد الثاني ابن نبي، والنبيّان من أولي العزم من الرسل.. ويتضح من ذلك أن الأم هي الأساس في عملية التربية.. حيث كانت زوجة عاصية، أما زوجة إبراهيم فكانت طائعة.

المطلوب منك أيها الأب حتى لا يكون ابنك مثل النموذج الأول: حسن اختيار الزوجة، فالولد الأول قامت على تربيته أم كافرة: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا

امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم : ١٠) .

والولد الثاني قامت علىٰ تربيته أم مؤمنة، إنها السيدة هاجر، فحينما تركها سيدنا إبراهيم عليه السلام، هي وطفلها في مكان لا أحد فيه قالت : «يا إبراهيم لمن تتركنا؟»، وكررت ذلك مرات . . وفي النهاية قالت له : «يا إبراهيم آلله أمرك بهذا؟»، فأومأ برأسه أن نعم . . فقالت هذه المؤمنة الواثقة بربها : «إذن لن يضعينا الله أبداً» .

نصائح وتوجيهات للآباء :

في فصل تربية الأولاد قدمنا بعض النصائح والتوصيات، وكثيراً ما تكون تلك النصائح متشابهة في التسمية مع أنها ليست مكررة، فالطرح تحت العناوين المتشابهة مختلف في المعاني والتوجيهات، وسبب ذكرها هو الإفادة في نواحي التربية بأطروحات مختلفة لتعم الفائدة .

١ـ التعامل مع الأبناء فن له أصول (١) :

معاملة الأبناء فن يستعصي علىٰ كثير من الأباء والأمهات في فترة من فترات الحياة . . وكثيراً ما يتساءل الآباء عن إحدىٰ السبل للتعامل مع أبنائهم، والحقيقة أن إحساس الولد بنفسه يأتي من خلال معاملتك له، فإن أنت أشعرته أنه ولد طيب وأحسسته بمحبتك فإنه سيكون عن نفسه فكرة أنه إنسان طيب مكرم وأنه ذو شأن في هذه الحياة، أما إذا كنت قليل الصبر معه، تشعره أنه ولد غير طيب، وتنهال عليه دوماً باللوم والتوبيخ فإنه سينشأ علىٰ ذلك، يُكَوِّن فكرة سلبية عن نفسه، وينتهي الأمر إما بالكآبة والإحباط، أو بالتمرد والعصيان .

علمه أين العيب ..

إذا رأيته يفعل أشياء لا تحبها، أو أفعالاً غير مقبولة، فأفهمه أن العيب ليس فيه

---

(١) د. حسان شمس باشا .

كشخص بل إن الخطأ هو في سلوكه وليس فيه كإنسان. . .

قل له : «لقد فعلت شيئاً غير حسن»، بدلاً من أن تقول له : «إنك ولد غير حسن».

وقل له : «لقد كان تصرفك مع أخيك قاسياً»، بدلاً من أن تقول له : «إنك ولد شقي».

تجنب المواجهات الحادة:

ومن الأهمية أن يعرف الوالدان كيف يتجاوبان برفق وحزم في آن واحد مع مشاعر الولد، فلا مواجهة حادة بالكلام أو الضرب، ولا مشاجرة بين الأم وابنها علينا بإشعاره وبحزم أن ما قاله شيء سيئ لا يمكن قبوله، وأنه لن يرضى هو نفسه عن هذا الكلام، ولا يعني ذلك أن يتساهل الوالدان بترك الولد يفعل ما يشاء، بل لابد من وجود ضوابط واضحة تحدد ما هو مقبول وما هو غير مقبول، فمن حق الطفل أن يعبر عن غضبه بالبكاء أو الكلام، ولكن لا يسمح له بتكسير الأدوات في البيت، أو ضرب إخوته ورفاقه.

أحبب أطفالك ولكن بحكمة:

لا يمكن للتربية أن تكون بدون حب. . فالأطفال الذين يجدون من مربيهم عاطفة ينجذبون نحوه ويصغون إليه بسمعهم وقلبهم، ولهذا ينبغي على الأبوين أن يحرصا على حب الأطفال، ولا يقوما بأعمال تبغضهم بهما كالإهانة والعقاب المتكرر والإهمال، والحجر على حرياتهم، وعدم تلبية مطالبهم المشروعة، وعليهما إذا اضطرا يوماً إلى معاقبة الطفل أن يسعيا لاستمالته بالحكمة لئلا يزول الحب الذي لاتتم تربية بدونه، وليس معنى الحب أن يستولي الأطفال على الحكم في البيت أو المدرسة، يقومون بما تهوى أنفسهم دون رادع أو نظام، فليس هذا حباً، بل إنه هو الضعف والخراب، وأن حب الرسول ﷺ لأصحابه لم يمنعه من تكليفهم بالواجبات، ودفعهم إلى ميادين الجهاد، وحتى إنزال العقوبة بمن أثم، وخرج على حدود الدين وكل ذلك لم يسبب فتوراً في محبة الصحابة لنبيهم، بل كانت تزيد من محبتهم وطاعتهم لنبيهم.

قللوا من التوبيخ :

انتبهوا أيها الآباء والأمهات إلىٰ ضرورة التقليل من التوبيخ الأوتوماتيكي وغير الضروري وإلىٰ التقليل من الرقابة الصارمة علىٰ الأطفال، فالطفل ليس آلة تديرها كيفما نشاء، إن له إبداعه الخاص في إدارة أموره الخاصة، فلماذا تحرمه من لذة الإبداع؟

وكثيراً ما يواجه الطفل بالعديد من الأسئلة والأوامر : لماذا تضحك هكذا؟ لماذا تمشي هكذا؟ انطق الكلمات نطقاً سليماً . . لا تلعب بشعرك . . اذهب ونظف أسنانك، وكل ذلك قد ينعكس في نفس الطفل فيولد حالة من عدم الاطمئنان أو فقدان الثقة بالنفس، وكثيراً ما ينال الطفل الأول الحظ الأوفر من الاهتمام الجشع والرقابة الصارمة من قِبَل الأبوين، ثم ما يلبث الأبوان أن يشعرا بأنهما تعلما الكثير من الطفل الأول ليشعرا أنهما بحاجة إلىٰ إعطاء الطفل الثاني المزيد من الحرية، فيتصرفان مع الطفل الثاني بالمزيد من الثقة خلافاً للطفل الأول وعلىٰ الأم أن تنسىٰ عادة الحوار الهادئ مع طفلها فتطرح عليه بعض الأسئلة لترىٰ كيف يجيب عليها، وتعوده علىٰ عدم رفع الصوت أثناء الحديث، وعدم مقاطعة المتحدثين وهكذا . . .

تسأله مثلاً : ماذا تفعل لو رأيت أخاك يضربه رفاقه؟ وماذا تفعل لو رأيت طفلاً مجروحاً في الطريق؟ فالأطفال الذين لا يكلمهم آباؤهم إلا نادراً ينشأون أقل ثقة بالنفس عن الذين يعودهم آباؤهم علىٰ الكلام والحوار الهادئ .

سلوك أبنائك من سلوكك:

عندما يصرخ الأب قائلاً أنه يتعب كثيراً، ولا ينال شيئاً مقابل تعبه، وهو المظلوم في هذه الحياة، فإن ذلك ينقلب في ذهن طفله إلىٰ أن الرجل هو ضحية المرأة، وأنه من الأفضل عدم الزواج . .

وعندما تصرخ الأم أن الرجل هو الكائن الوحيد الذي يستمتع بالحياة، وهو الذي يستغل كل جهد المرأة، فإن هذا الصراخ ينقلب في وجدان الفتاة الصغيرة إلىٰ كراهية الرجل وعدم تقديره، ولهذا تجدها تنفر من الزواج عندما تكبر . .

إلا أن الذي يرىٰ أباه يحتقر أمه يعتبر ذلك الاحتقار هو أسلوب التعامل المجدي مع المرأة . . والبنت التي ترىٰ أمها كثيرة التعالي علىٰ الأب وتسيء معاملته يستقر هذا في ذهنها أن أساس التعامل مع الرجل التعالي عليه والإساءة إليه .

والخلاصة أنه ينبغي أن تكون معاملة الوالدين ثابتة علىٰ مبادئ معينة فلا تمدح اليوم ابنك علىٰ شيء زجرته بالأمس علىٰ فعله ، ولا تزجره إن عمل شيئاً مدحته بالأمس علىٰ فعله ، ولا ترتكب أبداً ما تنهي طفلك عن إتيانه .

احترام الزوج :

ويحتاج الأب لكي يظفر بصداقة أبنائه إلىٰ عطف زوجته واحترامها له فالزوجة الصالحة التي تشعر أبناءها في كل وقت بعظمة أبيهم وتقودهم إلىٰ احترامه وحبه وتؤكد في أنفسهم الشعور بما يملك من جميل المناقب والخصال ، وهي تقول للطفل تمسك بهذا الخلق فإنه يرضىٰ أباك ، وتجنب ذلك الخلق لأنه يغضب ربك ثم أباك .

هدية.. ولو قليلة :

وإذا أردت أن تصادق طفلك ، فلابد أن تعرف أن فمه أكثر يقظة من عقله ، وأن صندوق الحلوىٰ أفضل إليه من الكتاب الجديد ، وأن الثوب المرقش أحب إليه من القول المزخرف ، وأن الأب الذكي هو الذي يدخل البيت وفي يده هدية أو تحفة أو طرفة وليذكر دوماً أن في الدنيا أشياء هي عندنا أوهام وهي عند الأطفال حقائق ولن نظفر بصداقتهم إلا إذا رأينا الدنيا بعيونهم .

استمع إلى ابنك:

إذا أتاك ابنك ليحدثك عما جرىٰ معه في المدرسة ، فلا تضرب بما يقول عرض الحائط ، بل أشعره بأن حديثه لك في تلك اللحظة أهم ما يشغل بالك من أفكار فهو يريد أن يقول لك ما يشعر به من أحاسيس ، بل وربما يريد أن يعبر لك عن سعادته وفرحه بشهادة التقدير التي نالها في ذلك اليوم .

أعطه اهتمامك إن هو أخبرك أنه نال درجة كاملة في ذلك اليوم في امتحان مادة ثم شجعه على المزيد بدلاً من أن يشعر أنك غير مبال بذلك ولا مكترث لما يقول، وإذا جاءك ابنك الصغير يوماً يخبرك بما حدث في المدرسة قائلاً: «لقد ضربني فلان في المدرسة»، أجبته أنت: «هل أنت واثق بأنك لم تكن البادئ بضربه؟»، فتكون حقاً قد أغلقت باب الحوار مع ابنك، حيث تتحول أنت في نظر ابنك من صديق يلجأ إليه إلى محقق أو قاض يملك الثواب والعقاب.. بل ربما اعتبرك أنك محقق ظالم.

وأنك تبحث عن اتهام الضحية وتصر على اكتشاف البراءة للمعتدي عليه، فإذا تكلم الابن أولاً إلى والديه، فعلى الوالدين إبداء الاهتمام، وتواصل الحوار وينبغي مقاومة أي ميل إلى الانتقاد أو عدم الاكتراث بما يقوله الابن.

داعب أطفالك:

كان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال ويرأف بهم، ومن ذلك مواقفه الرائعة مع أحفاده وأبناء الصحابة رضوان الله عليهم.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَبَّلَ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: «إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحد»، فنظر الرسول ﷺ إليه قائلاً: **«من لا يرحم لا يُرحم»**(1).

وكان معاوية رضي الله عنه يقول: «من كان له صبي فليتصاب له».

وكان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال فيمسح رؤسهم، فيشعرون بالعطف والحنان، فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي وقال: **«اللهم اخلف جعفراً في ولده»**(2).

كما كان يمسح خد الطفل، فعن جابر بن سمره قال: «صليتُ مع رسول الله

(1) رواه البخاري في الأدب ٥٩٩٧، ومسلم في الفضائل ٢٣١٨.

(2) رواه الحاكم، والطبراني، وفيه عمر بن هارون وهو ضعيف، وقد وُثق وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد: جـ٤، ص ٢٢٩.

ﷺ ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان ـ أي صبيان ـ فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً»(١)، وروى النسائي أن رسول الله ﷺ كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح برؤوسهم.

اترك لطفلك بعض الحرية:

وأسوأ شيء في دورنا ومدارسنا.. كما قال أحد المربين: المراقبة المتصلة التي تضايق الطفل وتثقل عليه، فاترك له شيئاً من الحرية واجتهد في إقناعه بأن هذه الحرية ستسلب إذا أساء استعمالها لا تراقبه ولا تحاصره، حتى إذا خالف النظام فذكره أن هناك رقيباً.. إن الطفل يشعر بدافع قوي للمحاربة من أجل حريته فهو يحارب من أجل ألا يستسلم لا رتداء الجوارب بالأسلوب الصحيح والحقيقة الأساسية أن الابن يحتاج إلى أن تحبه وأن تحتضنه ولا تحاصره ويحتاج إلى الرعاية الممزوجة بالثقة ويحتاج أن تعلمه كل جديد من غير أن تكرهه عليه، وباختصار لاتثقل كاهل الطفل بأعباء قلقك الزائد عليه.

أوامر حازمة ولكن بحكمة:

ينبغي أن تكون الأوامر حازمة، وأن تتضمن اللهجة أيضاً استعداد الأب والأم لمساعدة الطفل، فإذا كان الطفل قد فرش أرض الغرفة بلعبه الكثيرة فيمكن للأم أن تقول له: هيا نجمع اللعب معاً، وهنا تبدأ الأم في جمع لعب الطفل، وسيبدأ الطفل فوراً في مساعدة الأم وكثيراً ما نجد الطفل يتلكا، بل قد يبكي ويصرخ عندما تطلب الأم منه بلهجة التهديد أن يذهب ليغسل يديه أو أن يدخل الحمام، ولكن الابن لو تلقى الأمر بلهجة هادئة فسيستجيب بمنتهى الهدوء فكلما زاد على الطفل الإلحاح شعر بالرغبة في العناد وعدم الرغبة في القيام بما نطلب منه من أعمال.

بعض الآباء يتفاخر بأن أبناءهم لا يعصون لهم أمراً، ولا يفعلون شيئاً لم يؤمروا به!! والبعض الآخر يتعامل مع أطفاله وكأنهم ممتلكات خاصة لا كيان لهم، وآخرون يكلفون أبناءهم فوق طاقتهم ويحملونهم من المسئوليات ما لا يطيقون في

---

(١) رواه مسلم: ٧/ ٨٠، برقم ٦١٢٢.

كل هذه الحالات مغالاة وبعد عن الأسلوب الحكيم في التربية وهو «خير الأمور أوسطها».

٢ـ أربع عشرة نقطة للآباء لا غنى عنها [١] :

١ـ **لا تضجر:** ولكن عالج الخطأ بهدوء وروية.

٢ـ **جالسه:** اجلس مع الأبناء يحل الود ويسهل التعامل.

٣ـ **لا تنفر منه:** إذا سمعت من ابنك شيئاً منفراً «لا تقول له أعوذ بالله» بل استمع منه واجعل غيظك بداخلك.

٤ـ **حاوره:** لا تقطع حوارك مع ابنك.

٥ـ **اسأله:** كرر السؤال مثل هل تحب أن يحدث هذا لأختك أو لأمك أو لعمتك ومع تكرار إجابته لها سوف يندم الابن دون توبيخ.

٦ـ **استمع إليه:** لابد أن تستمع إلى ابنك وبإنصات ولا تنشغل بقراءة جريدة وهو يتحدث.

٧ـ **شاركه:** اجعل ابنك يشارك في وضع الحل للمشكلة أو يختار العقوبة التي يراها مناسبة فذلك أدعى لالتزامه بها.

٨ـ **امنحه الحرية:** بدلاً من أن تأمره بالنوم . . خيره بين أن ينام في الثامنة أو التاسعة ليشعر بالحرية لنفسه.

٩ـ **اختر الوقت المناسب:** اختر الوقت المناسب لتحدث ابنك بعد الموقف مباشرة أو أثناء الموقف أو بعده بمدة طويلة، وذلك لتقديرك لحالة ابنك العصبية.

١٠ـ **لا تشهر:** لا تهدد ابنك بأنك ستغضبه أمام أصحابه وفي المدرسة لفعل ارتكبه.

١١ـ **لا تمس ذاته:** لا تقل لابنك أنك قليل الأدب أو لا أحد يلبس مثل ذلك فهذا يؤكد المفهوم السلبي عنده بل قل له . . لا يجوز أن تفعل ذلك . . لا أتوقع منك ذلك.

---

(١) فن تربية الأولاد، محمد سعيد مرسي، الجزء الثاني.

١٢- **اقنعه**: إعتمد أسلوب الإقناع لابنك .

١٣- **اعرف المشكلة**: فقد يضايق ابنك الآخرين . . المشكلة هنا ليست المضايقة ولكن هناك أسباباً لها عليك أن تعرفها وتفحصها فإذا قال: الابن «إنني وحيد ولا أحد يحبني»، فتلك الإجابة هي السبب الحقيقي وراء المشكلة فتوصل أنت لها إلى حل .

١٤- **ولا تنس اللمسة والكلمة الطيبة**: الكلمة الطيبة لها أثر طيب في نفوس أبنائنا ومن قبل الكلمة تكون اللمسة الحانية فلها مفعول السحر في الإنسان فلاتبخل بها على ابنك ولا تظن أنه كبِر عليها لأنه الآن في أمس الحاجة إليها .

■ المحور الثالث: الأبناء.. محور المُرَبَّى

وهو في الواقع أخطر محور . . ويمر الابن بمرحلتين :

أ - المرحلة الأولى : مرحلة الطفولة من سنة إلى ست سنوات .

ب - المرحلة الثانية : مرحلة البلوغ .

المرحلة الأولى : مرحلة الطفولة من سنة إلى ست سنوات :

ويتميز الطفل في هذه المرحلة بخصائص (١) :

١ - شدة التقليد .
٢ - كثرة الحركة وعدم الاستقرار .
٣ - حب التشجيع .
٤ - حدة الانفعالات .
٥ - التفكير الخيالي .
٦ - الميل للفك والتركيب .
٧ - النمو اللغوي سريع .
٨ - كثرة الأسئلة .
٩ - الذاكرة حادة آلية .
١٠ - حب اللعب والمرح .
١١ - حب التنافس والتناحر .
١٢ - عدم التمييز بين الصواب والخطأ .
١٣ - الميل لاكتساب المهارات .
١٤ - العناد .

حاجات الطفل في هذه المرحلة :

١ - الغذاء .
٢ - الحرية .
٣ - النجاح .
٤ - التقدير .
٥ - التقبل .
٦ - الأمن .
٧ - الحب .
٨ - البحث والاستطلاع .
٩ - اللعب .
١٠ - النوم .
١١ - الوقاية والعلاج .
١٢ - المسكن المناسب .
١٣ - الملبس .
١٤ - الإخراج .

---

(١) فن تربية الأولاد، محمد سعيد مرسي .

المرحلة الثانية: مرحلة البلوغ (١) :

ـ السن في البلوغ للذكور ١٤ ـ ١٧ سنة .

ـ السن في البلوغ للإناث ١٥ ـ ١٨ سنة .

خصائص المرحلة (٢) :

١ ـ أحلام اليقظة .

٢ ـ الرغبة الشديدة في التفرد والانعزال .

٣ ـ شدة الحياء .

٤ ـ النفور من العمل والنشاط .

٥ ـ الرفض والعناد .

٦ ـ الملل وعدم الاستقرار .

٧ ـ مقاومة السلطة .

٨ ـ الاهتمام بمسائل الجنس .

٩ ـ نقص الثقة بالنفس .

١٠ ـ الانفعال الشديد .

الحاجات المشروعة التي يحتاجها البالغ (المراهق):

١ ـ الحاجة الفسيولوجية الطعام والشراب .

٢ ـ الحاجة للأمن .

٣ ـ الحاجة للحب بحبه الآخرين ويحب الآخرين وحب الله له .

٤ ـ الحاجة للتقدير .

٥ ـ الحاجة للمعرفة .

---

(١) أفضل أن أسميها مرحلة البلوغ . ، وهي التي تذكر غالبًا باسم مرحلة المراهقة ، المراهقة في اللغة : الفترة من بلوغ الحُلُم إلى سن الرشد (المعجم الوجيز) لأن كلمة مراهق تُلْصَق دائمًا بالميل ناحية الشهوة . . يقولوا فلان أصله مراهق .

(٢) فن تربية الأولاد ، محمد سعيد مرسي ، مصدر سابق .

٦ - الحاجة إلى النجاح والرغبة في التفوق.

٧ - الحاجة للانتماء.

٨ - الحاجة للاستثارة.

٩ - الحاجة إلى الحرية.

١٠ - الحاجة إلى الضبط (الصحبة الصالحة مهمة).

مظاهر مرحلة البلوغ (المراهقة):

من حيث	الذكور	الإناث
١ - النمو الجسدي	يتسع الكتفان - وتطول الساقان	يتسع الوركان - أثقل من الشاب
٢ - النمو الجنسي	زيادة حجم الخصيتين وظهور الشعر حول الأعضاء التناسلية وزيادة حجم العضو التناسلي يظهر القذف المنوي في حدود العام الخامس عشر.	ظهور الدورة الشهرية في حدود العام الثالث عشر ولا يعني ذلك بالضرورة ظهور الخصائص الجنسية الثانوية (مثل نمو الثديين وظهور الشعر تحت الإبطين على الأعضاء التناسلية).
٣ - التغيير النفسي	مزيج من المشاعر السلبية والإيجابية	مزيج من الخوف والانزعاج نتيجة للدورة، بل والابتهاج أحيانًا.

وفي مرحلة البلوغ (المراهقة) سوف نتحدث إلى البنت أولاً ثم الولد..

أولاً: البنات البالغات:

البلوغ الجنسي أو الحيض عند البنات يعد مرحلة تحول كبيرة في حياة البنت، لما يصاحبه من تطورات، وهذه بعض النصائح والتوجيهات بما يخص البنات البالغات قبل البلوغ وبعده:

١ - تبدأ بعض البنات في البلوغ ابتداء من سن التاسعة.

٢ - ينبغي على الأمهات والمعلمات تهيئة البنات قبل البلوغ بتعريفهن معنى البلوغ ومعنى الحيض وهيئته وموعده ومدته، وما ينبغي على البنت عند نزوله من نظافة وطهارة وترك للصلاة والصيام، وأن هذا لحكمة يعلمها الله وهو خير للمرأة إذ إنها بذلك أصبحت مهيئة لأداء مهمتها الطبيعية في الحمل والولادة فلها أن تفخر بذلك.

٣ - إذا حاضت البنت فعلى الأم والمعلمة أن تعلماها أنها الآن أصبحت كبيرة في سن الزواج، فعليها ألا تخلع الحجاب، ولا تظهر سافرة متبرجة أمام الرجال، وأن تحتشم في مشيتها وفي جلوسها وفي حديثها لئلا يغضب الله عليها.

٤ - ينبغي تعريف البنت بالتغيرات الجسمية التي تصاحب البلوغ من كبر حجم منطقة البطن فوق السرة ورقة الصوت وبروز الثديين وتضخم الأرداف والفخذين.

٥ - ينبغي تعريف البنت بالتغيرات النفسية التي تحدث عند البلوغ كالخجل الشديد.

٦ - ينبغي تعريف البنت بأعراض الحيض والألم الذي يحدث أثناءه من تصلب العضلات والصداع وتقلصات البطن وآلام الظهر والتعب والإرهاق وسرعة الغضب والتوتر النفسي.

آداب البنات:

تلك آداب للبنات خاصة أردت أن أجمعها هنا في إطار حديثنا عن تربية البنات نرجو أن نعلمها بناتنا وننشئهن عليها حتى يصلح بصلاحهن المجتمع المسلم الذي نأمله إن شاء الله:

١ ـ عدم رفع الصوت من البنت، خاصة إن كانت وسط صاحباتها لئلا تتعود على ذلك.

٢ ـ لابد أن نعود بناتنا أن يجلسن محتشمات لا يضعن رجلاً على رجل ولا يفرجن بين أرجلهن خاصة في وجود أحد ولا يرفعن ملابسهن.

٣ ـ تعويد البنت دائماً أن تنام وهي ترتدي بنطلوناً مهما كانت صغيرة إلا إذا كانت تنام في حجرة وحدها أو مع أخواتها أو بنات مثلها مع التأكد من إغلاق الباب جيداً.

٤ ـ لا تخرج البنت وحدها إلا للضرورة القصوى خاصة في الأوقات المتأخرة ليلاً.

٥ ـ لا تخلع البنت ملابسها إلا بعد التأكد من خلو المكان وغلق الباب جيداً، ويفضل تعويدها إلا تخلع ملابسها خارج البيت مطلقاً.

٦ ـ لا تلعب البنت مع أولاد يكبرونها سناً ولو كانوا أولاد العم أو الخال.

٧ ـ ينبغي تدريب البنت على الحياء بالرقابة عن طريق تعويدها بالتحفيز والتشجيع على تغيير قنوات التليفزيون إذا ظهرت لقطات مخلة بالآداب أو نساء غير محتشمات ولو كانت تجلس وحدها.

٨ ـ ينبغي تعليم البنت الاستئذان عند الدخول على الوالدين أو أحدهما.

٩ ـ الفصل التام بين البنت الولد في سن أقصاه ١٠ سنوات ويفضل قبل ذلك.

١٠ ـ تعليم البنت الحياء والاحتشام في كلامها وملبسها حتى أمام إخوتها الذكور.

١١ ـ تعليم البنت ألا تتحسس عورتها وألا تسمح لأحد بذلك.

١٢ ـ البنت المسلمة ترضى ربها بمساعدتها لأمها في أعمال البيت من تنظيف وطبخ وغسل وغير ذلك.

١٣ ـ على الأم أن تعلم ابنتها ألا تطلب منها شيئاً أمام أحد خاصة أمام صديقاتها وأمام البائع.

١٤ ـ تتعلم البنت منذ صغرها ألا تشير لأحد بيدها غضباً منه .

١٥ ـ على البنت أن ترحم إخوتها الصغار وتكون لهم بمثابة الأم، فتذاكر لهم وتنظف ملابسهم وحجرتهم وأدواتهم ولا تضربهم أو تؤذيهم .

١٦ ـ لنعلم بناتنا اتخاذ الألعاب المناسبة لهن فالأراجيح ونط الحبل مناسب للأولاد ولا يناسب البنات حتى لا تتعود البنت أن تتكشف أمام الناس .

١٧ ـ على البنت ألا تتعود ألا تنقل لأبيها ما فعلته أمها ، ولا لأمها ما سمعته من عمتها لتنشأ على ذلك عندما تكون صاحبة بيت .

١٨ ـ تتعود البنت ألا تمسح يدها المتسخة بالطعام ونحوه في ملابسها أو شعرها .

١٩ ـ على البنت ألا تصاحب البنات غير المهذبات ، ولا تلعب معهن فالوحدة خير من جليس السوء خصوصاً للبنات .

٢٠ ـ لتتعلم البنت أن تقبل يدي أبيها وأمها ، وتمسح الحذاء لهما ، فهذا من تمام البر بهما ، وأن من تتعود ذلك لا ترفع صوتها عليهما بعد ذلك ، ولا ترفض لهما أمراً .

٢١ ـ على البنت ألا تتعود وضع يدها في وسطها وهي تكلم أحداً .

٢٢ ـ النظافة للبنت شيء بالغ الضرورة أكثر بكثير من الولد ، فهي محل مراقبة الجميع .

٢٣ ـ لا تتعود بناتنا ألا تشترك مع أحد يغتاب أحد وأن تبتعد عن مثل هذه المجالس .

٢٤ ـ لعب الفتاة بشعرها أو تعمد تضفيره أمام الغرباء يدل على طيشها وقلة حيائها .

٢٥ ـ لا يليق بالبنت حك الرأس (الهرش) أمام الآخرين .

٢٦ ـ علينا ألا نعود بناتنا عادة يصبح من اللازم وجودها بما يشبه الإدمان حتى لا تصير نقطة ضعف في البنت في وقت من الأوقات سواء كانت هذه العادة هي شرب مشروب معين في وقت معين أو طعام معين أو عمل معين . . وهكذا .

٢٧ ـ لا يسمح للفتاة بهز الكرسي الهزاز أمام الحاضرين .

٢٨ ـ البنت المسلمة المؤدبة تجلس غير مكتئبة ولا تَنَم أمام الآخرين وهي تتحدث معهم . . إلخ .

٢٩ ـ على البنت ألا تسرع في المشي ولا تمشي متمايله تتمختر، بل يكون مشيها في سكينة ووقار واحتشام.

٣٠ ـ لنعود بناتنا أن يمشين بلا التفاف إلى أحد ولا ينظروا في فترينة أحد المحلات إلا إذا نزلت من بيتها خصيصاً لذلك أو كانت مع والدتها أو معلمتها.

٣١ ـ كثرة النظر من النوافذ والبلكونات ينافي الاحتشام الذي يجب أن تتحلى بـه بناتنا.

٣٢ ـ البنت المؤدبة لا تسير وسط الطريق بل تسير على يمينه أو يساره.

٣٣ ـ لنعود بناتنا ألا يتعطرن أبداً عندما يخرجن من البيت مهما كان سنهن، وذلك يسهل عليهن العمل به عندما يبلغن التكليف فلا تلعنها الملائكة حتى ترجع.

٣٤ ـ لا يصح للبنت أن تشرب بصوت مرتفع ولا تأكل بصوت مرتفع ولا تضرب الأرض برجلها أثناء سيرها فكل هذا لا يليق ببناتنا المسلمات.

٣٥ ـ لنعود بناتنا على لبس الملابس الواسعة الفضفاضة والابتعاد عن الملابس الضيقة قدر الإمكان.

٣٦ ـ لابد أن تتعلم بناتنا أن ترقيق الحواجب، ووضع الأصباغ على الأظافر (المونوكير) ووضع ألوان على الشفاه.. وكل مكان من هذا القبيل إنما هو حرام يغضب لله ولا يصح للمسلمة أن تفعله.

٣٧ ـ ينبغي على كل أم وكل أب وكل معلمة أن تعود ابنتها الصلاة وهي صغيرة ليسهل عليها أداؤها وهي كبيرة.

٣٨ ـ لنبعد بناتنا عن القبور قدر استطاعتنا.

٣٩ ـ عدم تغيير الملابس وخاصة الداخلية أمام أي فتاة حتى ولو كانت شقيقتها أو خالتها أو عمتها أو أي درجة قرابة أو صداقة.

٤٠ ـ في حصة التربية الإسلامية يجوز لك تسميع القرآن أو القراءة في أثناء الدورة الشهرية سواء كان كل الفصل بنات أو كان فصلاً مشتركاً، وذلك حفاظاً على حيائك فلايخدش.

فائدة : سوف نُلخِّص ما ذُكر في صورة وصايا وإرشادات لسرعة وسهولة الاستفادة.

وصايا وإرشادات مناسبة لمرحلة البلوغ :

١ ـ تعليم البالغ البالغة آداب النظر وغض البصر والاستئذان والاحتلام والحيض والاغتسال .

٢ ـ إرشاد البالغ بعدم الدخول على النساء الأجنبيات (التي تحل له) وعدم النظر إليهن أو مصافحتهن .

٣ ـ التفريق بين الولد والبنت في المضاجع من سن عشر سنين .

٤ ـ ضبط العلاقات بين البنت والولد بعد البلوغ .

٥ ـ الإرشاد إلى عورتي الرجل والمرأة ووجوب سترهما .

٦ ـ مراقبة غير مباشرة لما يشاهده أو يقتنيه من أفلام وصور .

٧ ـ التهيئة قبل البلوغ لما يناسبه من معلومات بلا خجل .

٨ ـ توفير البيئة النظيفة والرفقة الصالحة .

٩ ـ الالتزام بالعبادات والإكثار من الصوم .

١٠ ـ ملء الفراغ بالهوايات الملائمة للفتى والفتاة .

١١ ـ التقرب من الفتى والفتاة لتحدث المصارحة بالمصاحبة فتكون الوقاية .

١٢ ـ الابتعاد ـ قدر الإمكان ـ عن السينما والمسرح والفيديو والتليفزيون والمجلات الخليعة وأماكن اللهو .

١٣ ـ تجنب الاختلاط بين الجنسين .

١٤ ـ تجنب الرفقة السيئة .

١٥ ـ عدم النوم على البطن .

١٦ ـ الحمامات الباردة في الصيف .

١٧ ـ الاقتصاد في استخدام البهارات في طعام البالغين (١) .

---

(١) الإسلام، والجنس : لعبد الله ناصح علوان .

برامج تربوية عملية للأولاد :

يقول الله تعالىٰ في سورة القصص : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) ﴾ (القصص) .

هذه الآيات من سورة القصص لها محوران :

أولاً: أسلوب التربية العملية والتوجيه من خلال سورة القصص .

ثانياً : كيفية حل المشكلات مهما كانت [1] .

أولاً: أسلوب التربية العملية والتوجيه من خلال سورة القصص :

١ - البنات : يجب أن تُرَبَّىٰ البنت علىٰ هذه القيم :

١ - **عدم الزحام للرجال** . . حتىٰ لو اضطرت المرأة للخروج إلىٰ العمل لا تنسىٰ في زحمة الحاجة أنها امرأة ، قال تعالىٰ : ﴿ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ أي : تمنعان الأغنام بعيداً حتىٰ لا يزاحموا الرجال علىٰ البئر .

٢ - **كيف تمشي البنت:** لا مسرعة فتصبح مصدر سخرية . . ولا بطيئة بميوعة وخلاعة ولكن ﴿ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ ، فالحياء أصبح بساطاً لها تمشي عليه ، وذلك

---

(١) سيأتي الحديث عنه في حل مشكلات الشباب من هذه الموسوعة .

(٢) لماذا نبدأ بتربية البنات ؟ لأن البنت إذا تربت تربية صحيحة صلحت بصلاحها الأمّة ، أما سوء تربيتها فإنه أخطر شيء علىٰ الأمّة ، بل دمار لها .

من شدة حيائها . . انظر إلى التعبير القرآني لم يقل : «تمشي على حياء» ، بل قال : ﴿ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ ، وزيادة المبني تدل على زيادة المعنى .

٣ـ **كيف تتكلم البنت:** صوت ليس فيه خضوع قال تعالى : ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾ (الأحزاب : ٣٢) ، إذ ليس من الفقه أن تتكلم البنت بصوت ناعم رخيم ، وانظر إلى كلمات الفتاتين : ﴿ **لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ** ﴾ ، وعدم الأخذ والرد والدردشة مع الرجال بل كلمات واضحة محددة ، والسبب في خروجهما : ﴿ **وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ ، حتى لا يدعن مجالاً لموسى أن يسأل : من أين أنتما؟ وأين أبوكما؟ أليس لكما أشقاء ذكور؟ .

وتكرر نفس الأسلوب الطيب حينما جاءته إحداهما تحمل رسالة والدها . . لم تقل «إن أبي يدعوك» وفقط . . فتترك مجالاً للرجل أن يتحدث معها : لماذا يريدني أبوك؟ هل أسأت إليك؟ هل سيطعمني؟ . . هل . . هل؟ ولكنها تدعوه وتنهي الكلام كله : ﴿ **إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾ .

٤ـ **لا تدخل بيتاً فيه رجال وفقط..** بل تكون دائماً في مكان واضح فيه أناس كثيرون وعليه فلا تركب الفتاة سيارة بمفردها وتعتذر إذا توقفت أمامها سيارة لتركب وليس فيها ركاب على الطريق العام ، وإذا ركبت تاكسي في المدينة تحاول أن تأخذ رقم التاكسي .

٥ـ **من أدب البنت وحيائها ألا تتحدث في أمور الخطبة والزواج** والرجال مباشرة بل على سبيل التعريض ، قال تعالى : ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾ . رأت البنت رأي العين قوته وأمانته . . فأرادت أن يكون لها زوجاً . . ولذلك يقول رسول الله ﷺ : « **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض..** »(١) .

٦ـ **استحضار البنت لمراقبة الله تعالى لها، وهو أمر وإن كان واجباً على كل مسلم ـ ذكراً كان أو أنثى ـ فإنه على النساء أوجب :**

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقل   خَلَوْتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ

(١) رواه الترمذي ، في باب النكاح ، وابن ماجة ، نكاح ، سبق تخريجه كاملاً .

٢ ـ البنين :

يجب أن يُربىٰ الولد علىٰ هذه القيم :

١ ـ **عدم الزحام للنساء** : موسىٰ لم يزاحم ويندس بين الفتاتين ولكنه دخل في وسط الرعاة، فهم ذكور مثله .

٢ ـ **الشهامة:** عندما رأىٰ المرأة خرجتا للعمل لابد أن ذلك لظروف قاسية، فأسرع موسىٰ لمساعدتهما ﴿ **فَسَقَىٰ لَهُمَا** ﴾، ولم يقل القرآن : «ثم سقىٰ» التي تفيد التراخي ولكن أتي بالفاء لتفيد السرعة .

٣ ـ **المشي السريع:** فلقد قطع مسافة طويلة فاراً من القوم الذين يبحثون عنه . ولذلك كان من صفة النبي ﷺ إذا مشىٰ كأنما ينحدر من علىٰ الجبل، وكذلك كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عنه : «كان إذا مشىٰ أسرع»، ولا يجوز للابن أن يمشي مشية الميوعة والتكسر بل يسير بهمة ونشاط وبسرعة .

٤ ـ **الكلام بصوت مسموع وواضح**.. بدليل أن الفتاتين سمعا منه الكلمة ثم ردا عليها لأن كلامه قوي مسموع . . أما الولد الذي يتحدث بهمهمة وغمغمة يحتاج مراجعة لأسلوب التربية ﴿ **مَا خَطْبُكُمَا** ﴾ .

٥ ـ **عدم الأخذ والرد (الدردشة) مع البنات**، وأن تكون هذه فرصة تجد ذلك واضحاً : ﴿ **فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ** ﴾، لم يقف معهن ويسألهن . . ويطلب منهن مساعدته ولكنه قام بالهمة ثم عاد إلىٰ مكانه .

٦ ـ **بالرغم من أن له مشاكل كثيرة جداً أقلها شدة الجوع**، ومع ذلك ترفَّع أن يطلب شيئاً ولو حتىٰ مقابل ما فعله لهن لأنه علم أن حل المشاكل يكون بالانضباط وليس الانفلات .

٧ ـ **لم يُعَلِّق على دعوة والد الفتاتين**.. ﴿ **إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾ ولكنه لبىٰ الدعوة .

٨ ـ **في الطريق إلى المنزل**.. إنها فرصة شاب وشابة في سن البلوغ . . يسيران في

الصحراء في صحبة الشيطان وعندما أرادت أن تسير أمامه قال لها : «بل سيري خلفي ، وإذا أردت توجيهي ناحية اليمين فارم لي حجراً ناحية اليمين» . . وهكذا ناحية الشمال حتىٰ لا يرىٰ شيئاً منها . . ولذلك قالت ﴿الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ قوته عند البئر . . وأمانته في الطريق إلىٰ المنزل .

٩ - **عفة الشاب المسلم** عن طلب ما في أيدي الناس أو يكون عالة علىٰ غيره . . وافق موسىٰ علىٰ العمل والعمل الشاق لـمدة عشر سنوات .

١٠ - **عدم دخول بيت لا يوجد فيه رجال**، ولذلك عندما قالت إن أبي يدعوك ، ذهب معها إلىٰ البيت . . يقول الرسول ﷺ : « **إياكم والدخول على النساء**» .

قيل : «يا رسول الله أرأيت الحمو؟ . قال : « **الحمو الموت**»(١) .

وقال ﷺ : «**لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له إلا وكان الشيطان ثالثهما**»(٢) .

١١ - **يتعلم الولد أن يتعلق بالله تعالى وأن يرجو ربه:** ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ . .

٣ـ الوالدين :

١ - **يجب عليهما متابعة الأولاد متابعة جيدة**، وحل ما يعترضهما من مشكلات ، لبناء جسور الثقة المتبادلة بين الآباء والأبناء ، تلك الثقة التي حملت الأب ـ لعدم قدرته علىٰ الخروج ـ علىٰ ترك الفتاتين تخرجان لقضاء الحوائج وهو واثق في أدبهما وأخلاقهما .

٢ - **متابعة الأولاد أثناء الخروج** : فإذا خرجت البنت مثلاً لمهمة يحتاج قضاؤها عشر دقائق ، وسواء تأخرت عن العشر دقائق أو تقدمت علىٰ العشر دقائق ينبغي عليه أن يسألها : أين كنت؟ لماذا تأخرت؟ . . وإذا أتت مسرعة اسألها : من الذي قضىٰ لك المهمة؟ أو الذي قام بتوصيلك عمك! أخوك! خالك! أحد المحارم ،

---

(١) متفق عليه . . سبق تخريجه .

(٢) رواه أحمد عن عامر بن ربيعة ، وفي الصحيحين عن عبدالله بن عباس : «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**» .

أما غير ذلك فلا ، ولذلك تعرف أن والد الفتاتين سألهما : لقد عدتما مسرعتين؟ فقصًا عليه ما حدث . . ولذلك أرسل يطلب موسىٰ ليكافئه . .

الواقع الآن: أن البنت تخرج وتغيب عن المنزل ولا متابعة . . ويتكرر تأخرها حتىٰ يحدث مالا يحمد عقباه .

٣ ـ يجب علىٰ الأب ألا يتحرج من عرض بناته علىٰ الصالحين للزواج منها ، وقد فعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما عرض حفصة علىٰ أبي بكر ليتزوجها فرفض . . فتزوجها النبي ﷺ ، وهنا نجد العبد الصالح عندما تأكد من هذا الشاب وأخذ بشهادة ابنته ، عرض عليه الزواج من إحدىٰ ابنتيه ، وكذلك فعلت السيدة خديجة مع رسول الله ﷺ .

٤ ـ أيها الآباء والأمهات : يسِّروا أمر الزواج . . لماذا لا نلتزم جميعاً بهذا المبدأ : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾ ، يا من تطلبون عشرات الآلاف في زواج بناتكم فإن ذلك يعجز الشباب فينزوي عن بيوت الصالحات ، ويتحول إلىٰ الفحش .

ثانياً: نصائح وتوجيهات للأبناء:

قال تعالىٰ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (الإسراء : ٢٣)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأَضِع ذلك الباب أو احفظه**»(١) .

البنت البارة بوالديها :

١ـ تقبل يد والديها عند استيقاظها من النوم ، حتىٰ وإن لم تكن قد تعودت علىٰ ذلك ، فلتسرع ، وتستدرك ما فاتها .

٢ـ تحرص علىٰ أن تكون البادئة بإلقاء السلام عليهما .

٣ـ تحرص علىٰ تلبية ندائهما بسرعة ، وتترك ما كانت تفعل مهما كانت أهميته لها ،

---

(١) رواه الترمذي ، بر ٣ ، وقال : حديث صحيح ، وذكره النووي في رياض الصالحين ، باب بر الوالدين ٤٠ ، ورقم الحديث ٢٣/ ٣٣٤ ، وابن ماجة ، أدب ١ .

وليكن ذلك برضىً نفسي، وسعادة.

٤ـ تستقبل والدها عند عودته من الخارج، وتبدي سعادتها لعودته، وتبادر بحمل أشيائه . . فقد سأل الرسول ﷺ: «**ألك والدان؟**» قال: «نعم». قال: «**الزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما**»(١) .

٥ـ تحرص على النظر لوالديها نظرة ود، وحب.

٦ـ عند غضبها، لا تنظر إليهما بحدة لأن الرسول ﷺ يقول: «**إن حدة النظر للوالدين من العقوق**»(٢) . وقال تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ (الإسراء: ٢٣).

٧ـ لا يعلو صوتها فوق صوت والديها أبداً مهما حدث.

٨ـ لا تتحدث معهما إلا بكل احترام، ودائماً تقول «حضرتك» ولا تقول أبداً أنت أو أنتِ.

٩ـ إذا أغضبتهما فإنها تسارع بالاعتذار لهما بكل الوسائل، والسكوت عند غضبهما، والاعتراف بالخطأ، حتى وإن لم تكن أخطأت، ولا تنصرف إلا وقد رضيا عنها، وسامحاها.

١٠ـ لا تنام أبداً، وهما غاضبان عليها، ولا تخرج من المنزل دون رضاهما.

١١ـ تحسن القول إليهما، وتحرص دائماً على أن تشكرهما على كل ما يقدمانه لها، قال تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ (الإسراء: ٢٤).

١٢ـ تحرص على أن تحضر لوالديها الحذاء عند خروجهما، وتنظفه لهما، وتحمله عنهما عندما يحضران من الخارج.

---

(١) رواه الطبراني، ورجاله ثقات، مجمع الزوائد: جـ٣، ص ٤٣٥ .

(٢) رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها.

١٣ـ لا تمد يدها للطعام قبلهما .

١٤ـ لا تجلس ، وهما واقفان .

١٥ـ عندما يدخلان عليها أن تقوم احتراماً لهما .

١٦ـ لا تنام ، ولا تضع ساقاً على ساق أمامهما .

١٧ـ تحرص على تقديم الطعام لهما وإحضار الشاي ، والعمل على خدمتهما .

١٨ـ تقوم بكي الملابس لهما ولإخوتها دون تأفف ، أو ضجر ، حتى في حر الصيف .

١٩ـ تحرص على الدعاء لهما في كل صلاة وفي أوقات استجابة الدعاء ، وفي كل وقت تدعو فيه لنفسها .

٢٠ـ تحرص على إيصال الخير الذي تتعلمه في المسجد إليهما ، وتعرفهما ما يجهلانه في أمور دينهما بكل أدب واحترام دون أن تشعرهما أنها تعلم أكثر منهما .

٢١ـ تدعوهما للذهاب معها للمسجد ، وحضور الدروس ، وصلاة الجمعة ، والقيام في رمضان .

٢٢ـ عندما تختم القرآن تحرص على أن تجمعهما حولها لينالا من الثواب والخير مانالها . . فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : «من أحق الناس بحسن صحابتي؟» . قال : **«أمك»** ، قال : «ثم من؟» ، قال : **«أمك»** ، قال : «ثم من؟» . قال : **«أمك»** ، قال : «ثم من؟» ، قال : **«أبوك»**[(١)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»**[(٢)] .

٢٣ـ تذهب مع والدتها إلى الطبيب عند مرضها ، وتذهب معها إلى السوق لتحمل عنها ، وعند زيارة الأقارب ، ولا تأنف من ذلك ولا تعتذر بانشغالها

---

(١) رواه الترمذي ، بر ١ ، وأبو داود ، أدب ٥١٣٩ ، وأحمد ١٩٥٢٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن .

(٢) رواه مسلم ، عتق ١٥١٠ .

٢٤ـ دائماً تقول لوالدتها جزاك الله خيراً، على كل عمل تقدمه لها، من طعام، أو شراب، أو ملابس أو أي شيء.

٢٥ـ تحرص دائماً على أن تشارك في تنظيف المنزل وتعاون أمها في الغسيل، والمطبخ ويكون هدفها في ذلك رضا والديها عنها، ورضى الله سبحانه وتعالى فإن الله تعالى لا يرضى، حتى يرضى الوالدان.

٢٦ـ تسهر بجانبهما إذا مرضا، وتخدمهما، وتنظم مواعيد الدواء لهما، فكم سهرا معها وهي صغيرة.

٢٧ـ تبادر بغسل الأواني بعد الغداء والعشاء، أو وجود ضيوف، ولا تنتظر حتى يطلب منها ذلك.

٢٨ـ تحرص على ترتيب سريرها، وكتبها ولا تحمل أمها عبء تنظيف غرفتها

٢٩ـ تحافظ دائماً على نظافة وترتيب البيت.

٣٠ـ تحرص دائماً على إدخال السرور على قلبيهما، بكلمة طيبة، أو هدية صغيرة.

٣١ـ تشيع دائماً جواً من المرح والسرور والحب، في البيت، وتبتعد عن كل ما يكدر صفوهما أو يغضبهما.

٣٢ـ تحرص على مذاكرتها، ونجاحها، وتفوقها لأن ذلك، جزء من بر والديها وإدخال السرور على قلبيهما.

٣٣ـ تفرح لفرحهما وتحزن لحزنهما.

٣٤ـ تؤثر هما على نفسها، عندما تشتهي شيئاً مما يريدانه أو يشتهيانه.

٣٥ـ لا تسبقهما أو تسير أمامهما، أو تخرج من الباب قبلهما، بل على الأقل إن لم تسير خلفهما، فلتسر بجانبهما، ولا تسرع في المشي بحيث ترهقهما.

٣٦ـ تحسن إلى إخوتها الصغار، وترعاهم، بنية بر والديها.

٣٧ـ تحرص على عمل أكله جديدة، أو أي نوع من الحلوى في المناسبات والأعياد ووضع ورد في البيت ـ مثلاً ـ بنية إسعادهما.

٣٨ـ تدعو الله تعالىٰ دائماً، أن يرزقها حسن برهما ورضاهما عنها، وأن تدخل الجنة برضاهما عنها فقد كاد أحد الصحابة أن يحرم من شهادة التوحيد بعد موته بسبب غضب أمه عليه.

- الاعتراف الدائم، بفضلهما، وتعبهما، كل يوم.
- معرفة الأكلة، والملابس التي يفضلونها، وتعود البذل والعطاء لهما.
- الأخذ بنصحهما، أو بنصائحهما.
- حل المشاكل بينهما.
- الحرص علىٰ استئذانهما قبل الجلوس مع الضيوف.
- الحرص علىٰ إطعامهما أفضل الطعام، علىٰ المائدة، وتقديم الطعام لهما.
- إشعارهما بالحنان والحرص عليهما والاطمئنان عليهما، عند الاستيقاظ من النوم.
- عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«من الكبائر شتم الرجل والديه، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه، فيسب أمه»**[(١)].

٣٩ـ تتحدث عن والديها أمام الناس، بكل احترام، ولا تسمح لأحد بأن يتكلم عنهما دون احترام، أو بطريقة غير لائقة، حتىٰ ولو علىٰ سبيل المزاح.

٤٠ـ تحترم آباء وأمهات زميلاتها، وتعتبرهم في محل، ومنزلة والديها.

٤١ـ تحترم أي شخص كبير في مثل سنهما، فليس منا من لم يوقر كبيرنا، يقول رسول الله ﷺ: **«إن أبـر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه»**[(٢)].

٤٢ـ تقوم بزيارة، وخدمة، جدتها وجدها، براً بوالديها.

٤٣ـ تقوم بزيارة أهل والدها ووالدتها، وتساعدهم، وتشاركهم أفراحهم، وأحزانهم، وتحترمهم.

---

(١) رواه البخاري في الأدب ٢٥٥٢، ومسلم، إيمان ١٤٥.

(٢) رواه البخاري في الأدب ٢٥٥٢، ومسلم، إيمان ١٤٥، وعند مسلم بثلاث روايات عن ابن عمر، وعن عبدالله بن دينار عن ابن عمر، وفي رواية عن ابن دينار.

٤٤ـ تحترم أصدقاء والدها، ووالدتها، وتحسن إليهم، وتصلهم براً بوالديها. قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الرجل انقطع عمله في الدنيا إلا في ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية، وعلم نافع**»(١).

٤٥ـ لا ينقطع برها بوالديها بوفاتهما، بل يستمر بالدعاء لهما والتصدق باسمهما وبر أقاربهما وأصدقائهما.

- تسمية الأبناء، باسمهما أو الأسماء التي يحبانها.
- مراسلتهما بانتظام خلال سفرهما.
- الاهتمام بالمناسبات.

ثالثاً: الطريق إلى الجنة.. توصيات عملية للأبناء لبر والديهما:

يكثر الحديث عن بر الوالدين، ولكنه لا يخرج عن كونه وعظاً وترغيباً وترهيباً، ويخلو من الجانب العملي، لذا آثرنا أن تكون هذه التوصيات عملية.. يقوم الأبناء بتنفيذها..

في القرآن:

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (الإسراء: ٢٤).

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان: ١٥).

في الأحاديث:

١ـ **رضى الله في رضاهما**.. فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محسناً إلا فتح الله له بابين** ـ يعني من الجنة ـ **وإن كان واحداً فواحداً، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه**».. قيل: «وإن ظلماه؟».. قال: «**وإن ظلماه**»(١).

---

(١) رواه مسلم (وسبق تخريجه).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد.

٢ـ **برهما مقدم على الجهاد في سبيل الله** . فعن عبد الله بن عمر قال: سأل رجل رسول الله ﷺ الجهاد، فقال: «**ألك أبوان؟**»، قال: «نعم»، قال: «**ففيهما فجاهد**»(١) .

٣ـ **من البر الدعاء لهما بعد مماتهما وإكرام صديقهما**..عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُرفع للميت بعد موته درجته، فيقول: أي ربي، أي شيء هذا؟ فيقول له: ولدك! استغفر لك**»(٢) .

وعن مالك بن ربيعه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: «يا رسول الله، هل بقي عليَّ من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟» قال: «**نعم .. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**»(٣) .

وهذا عبد الله بن عمر يضرب أعظم المثل للولد الصالح، فعن عبد الله بن دينار، أن عبد الله بن عمر لقيه رجل بطريق مكة فسلم عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه .

قال ابن دينار، قلنا له: «أصلحك الله، إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير» .

فقال عبد الله: «إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه**»(٤) .

٤ـ **تقديم الأم بالبر على الأب**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟» . قال:

---

(١) متفق عليه . (وسبق تخريجه) .

(٢) رواه البخاري في الأدب .

(٣) أبو داود، أدب ١٢٠، وابن ماجة، وأحمد: ٣/ ٤٩٨، والحاكم، كنز العمال، جـ١٦، ص ٥٧٩ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه (وسبق تخريجه) .

«أمك»، قال: «ثم من؟»، قال: «أمك»، قال: «ثم من؟»، قال: «أمك»، قال: «ثم من؟»، قال: «أبوك»(١).

عن بريده أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله، إني حملتُ أمي على عنقي فرسخين في رمضاء شديدة لو ألقيت فيه بضعة لحم لنضحت، فهل أديت شكرها؟»، فقال: «**لعله أن يكون لطلقة واحدة**»(٢).

والطلقة: دفع الرحم للجنين أثناء الولادة.

أما الآداب السلوكية التي يتربى عليها الأولاد مع آبائهم وأمهاتهم:

١ـ ألا يمشوا أمامهم. ٢ـ ألا ينادوهم بأسمائهم.

٣ـ ألا يجلسوا قبلهم. ٤ـ ألا يتضجروا من نصائحهم.

٥ـ ألا يأكلوا من طعام ينظرون إليه.

٦ـ ألا يرقوا مكاناً عالياً فوقهم.

٧ـ ألا يخالفوا أمرهم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما بر أباه من سدد إليه الطرف بالغضب**»(٣).

عن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: أتى رسول الله ﷺ رجل ومعه شيخ، فقال له ﷺ: «**يا هذا من هذا الذي معك؟**». قال: «أبي»، قال: «**فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستبب له**»(٤).

---

(١) متفق عليه. (وسبق تخريجه).

(٢) مجمع الزوائد، جـ٣، ص ٤٣٥، والطبراني في الصغير وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف من غير كذب.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صالح بن موسى وهو متروك، مجمع الزوائد: ٣/ ٤٤٢.

(٤) مجمع الزوائد، جـ٢، ص ٤٣٥، ورواه الطبراني في الأوسط وقال: لا يُروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد عن شيخه علي بن سعيد بن بشير وهو لين وبقية رجاله رجال الصحيح.

ومن أخبار السلف في ذلك:

ذكر صاحب عيون الأخبار هذا الخبر . . قيل لعمر بن زيد : «كيف بر ابنك بك؟» ، فقال : « ما مشيت نهاراً قط إلا وهو خلفي ، ولا ليلاً إلا مشى أمامي ، ولا رقى سطحاً وأنا تحته»(١) .

وذكر صاحب (مجمع الزوائد) هذه القصة: عن أبي غسان الضبي قال : خرجتُ أمشي مع أبي بظهر الحرة ، فلقيني أبوهريرة فقال : «من هذا؟» ، قلتُ : «أبي» ، قال : «لا تمش بين يدي أبيك ، ولكن امش خلفه أو إلى جانبه ، ولا تدع أحداً يحول بينك وبينه ، ولا تمش فوق جار (سطح) أبيك ، ولا تأكل عَرْقاً (العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم) قد نظرك أبوك إليه لعله اشتهاه»(٢) .

ومما جاء في عيون الأخبار . . قال المأمون - رحمه الله - : « لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحيي بأبيه ، بلغ من بره أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن وهما في السجن . . فمنعهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة ، فقام الفضل حيث أخذ أبوه يحيي مضجعه إلى قمقم كان يسخن فيه الماء فملأه ثم أدناه من نار المصباح فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح» .

فعل كل هذا براً بأبيه ليتوضأ بالماء الساخن(٣) .

نحذر الأبناء من العقوق :

العقوق : هو العصيان والمخالفة ، وعدم أداء الحقوق .

انتبه أيها الابن: هذه الأشياء من العقوق:

- أن ينظر الولد إلى أبيه نظرة شزر عند الغضب .
- أن يعتبر الولد نفسه مساوياً لأبيه .
- أن يتعاظم الولد عن تقبيل يدي والديه ، أو لا ينهض لهما احتراماً وإجلالاً .
- أن يكون للولد مركز اجتماعي فيستحي أن يُعَرَّف بأبيه .

(١ ، ٢ ، ٣) تربية الأولاد في الإسلام ، د . عبدالله ناصح علوان : ١/ ٣٨١ - ٣٨٢ .

ـ ألا يقوم بحق النفقة على أبويه الفقيرين.

ـ أن يتأفف الولد من أبويه ويتضجر منهما، ويعلو صوته عليهما.

ما حدود طاعة الوالدين؟

لا حدود لطاعتهما.. ولو أمراك أن تخرج من أهلك ومالك.. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات: «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتِّلْتَ وَحُرِّقْتَ.. ولا تَعُق والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولو أمراك بطلاق زوجتك**»(١).

بعض التوجيهات التي يجب أن يُلقن عليها الولد (٢):

١ـ إطاعة الأم والأب في كل ما يأمران به الولد إلا المعصية.

٢ـ مخاطبتهما بلطف وأدب.

٣ـ النهوض لهما إذا دخلا عليه.

٤ـ تقبيل يديهما صباحاً ومساءاً وفي المناسبات.

٥ـ المحافظة على سمعتهما وشرفهما ومالهما.

٦ـ إكرامهما وإعطاؤهما كل ما يطلبان.

٧ـ مشاورتهما في كل الأعمال والأمور.

٨ـ الإكثار من الدعاء والاستغفار لهما.

٩ـ إذا كان عندهما ضيف فعليه الجلوس بقرب الباب، ومراقبة نظراتهما لعلهما يأمران بشيء خفية.

١٠ـ العمل على ما يسرهما من غير أن يأمرا الولد به.

---

(١) رواه الإمام أحمد: ٥/ ٢٣٨، ورجاله ثقات، مجمع الزوائد: ٢/ ١٥٧، والطبراني في الكبير بإسناد متصل.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، د. عبدالله ناصح علوان، طبعة دار السلام: ١/ ٣٨٥.

١١ـ عدم رفع الصوت عالياً أمامهما .

١٢ـ عدم مقاطعتهما أثناء الكلام .

١٣ـ عدم الخروج من الدار إذا لم يأذنا .

١٤ـ عدم إزعاجهما إذا كانا نائمين .

١٥ـ عدم تفضيل الزوجة والولد عليهما .

١٦ـ عدم لومهما إذا عملا عملاً لا يعجبك .

١٧ـ عدم الضحك بحضرتهما إذا لم يكن ثمة موجب للضحك .

١٨ـ عدم تناول الطعام مما يليهما .

١٩ـ عدم مد اليد إلى الطعام قبلهما .

٢٠ـ عدم الدخول قبلهما ، أو المشي أمامهما .

٢١ـ تلبية ندائهما بسرعة في حال ندائهما .

٢٢ـ إكرام أصحابهما في حياتهما وبعد موتهما .

٢٣ـ عدم مصاحبة إنسان غير بار بوالديه .

٢٤ـ الدعاء لهما ولاسيما بعد الموت فإنهما ينتفعان به ، والإكثار من قول الله تعالى : ﴿ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ (الإسراء : ٢٤) .

سادساً : أساليب تربوية خاطئة (١)

أولادنا في البيوت :

لعل من أهم مشكلاتنا الاجتماعية تربية أبنائنا وبناتنا في البيوت، فالولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه في سلوكه الاجتماعي المستقيم، كما أن أبويه مسؤلان إلىٰ حد كبير عن انحرافه الخلقي والاجتماعي.

معجزة الإسلام في علم التربية :

ومن معجزات الإسلام في علم التربية أنه سبق إلىٰ تقرير هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً حين قال: الرسول ﷺ : « **كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو يُمجسانه**»(٢) .

وهذا صريح في أن اتجاه الولد الفكري والخلقي والاجتماعي متأثر أولاً وقبل كل شيء ببيئة الأبوين وأفكارهما وأخلاقهما وأسلوب تربيتهما.. ومن المؤسف أن بيوتنا ليست علىٰ نمط واحد في التربية، وأن أمهاتنا وآباءنا ليسوا علىٰ مستوىٰ متقارب معتدل في أساليب التوجيه..

- **فمن بيوتنا** ما ينشأ فيه الولد ـ ذكراً كان أو أنثىٰ ـ علىٰ اللين والخوف وضعف الشخصية واضطراب التفكير..
- **ومنها** ما ينشأ فيه الولد علىٰ الميوعة والفوضىٰ والدلال الذي يفسد الفطرة ويقتل الاستقامة.
- **ومن بيوتنا** ما ينشأ فيه الولد جاهلاً بعيداً عن الآداب الاجتماعية الراقية.
- **ومنها** ما ينشأ فيه الولد أرستقراطياً مترفاً بعيداً عن المشاركة الوجدانية للشعب في أفراحه وأحزانه..

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية د. مصطفىٰ السباعي.

(٢) رواه البخاري، جنائز ٨٠، تفسير سورة ٣٠، قدر ٣، ومسلم، قدر ٢٢ .

ـ **ومن بيوتنا** ما ينشأ فيه الولد متديناً يفهم الدين مليئاً بالأخطاء والخرافات .

ـ **ومنها** ما ينشأ فيه الولد متحرراً من العقيدة والدين تتحكم المدرسة في عقيدته كما يشاء المشرفون عليها من معلمين ومديرين . .

وهكذا ينشأ جيلنا نشأة متباينة متباعدة ليس بين أفراده انسجام في التفكير أو الثقافة أو الخلق أو السلوك الاجتماع العام . . وهذا هو سر ما نشاهده من انخفاض المستوىٰ الفكري والأخلاقي في أوساط الشباب ، حتىٰ ليذهب بعضنا في التشاؤم إلىٰ حد يقطع معه الأمل في كل خير يمكن أن تناله البلاد علىٰ أيدي الجيل الحاضر . . ولسنا معهم في هذا التشاؤم ؛ فعوامل الاضطراب والانحراف الذي يبدو علىٰ سلوك أولادنا في المجتمع ، هي عوامل داخلية نملك بأيدينا التحكم فيها أكثر من أن تكون عوامل خارجية لايد لنا في دفعها . .

أهم واجب الآن ما هو ؟

من أوجب الواجبات الآن علىٰ العلماء والمفكرين والمصلحين والكتاب والخطباء أن يتحدثوا للناس عن التربية وأساليبها الناجحة وعيوبها .

إننا ـ نحن الآباء والأمهات ـ نملك بأيدينا تقويم اعوجاج الجيل الحاضر والآتي من أولادنا ، كما نملك أن يزداد الأمر سوءاً وفساداً . . ولعل دراسة التربية المنزلية وأساليبها الناجحة وعيوبها القائمة ، هي خير ما يتحدث به العلماء والمفكرون والمصلحون والكتاب والخطباء إلىٰ الناس .

بل هي جديرة منا جميعاً بأن تُشاد من أجلها المعاهد ، وتعقد لها الحلقات ، وتُقام في سبيلها المناظرات ، ويُلفت إلىٰ الاستفادة منها جمهور الشعب ، ما دامت هي أخطر قضية في حياتنا العامة وأخلاقنا الاجتماعية .

إن أول ما يلاحظ علىٰ تربيتنا في البيوت ، سوء فهم نفسية الطفل ، وتجاهل عواطفه وعدم تقدير المراحل التي لابد أن يمر بها حتىٰ يصبح رجلاً تسري عليه قوانين الرجال نحن نجهل أن عالم الأطفال غير عالم الكبار ، ومن ثم فنحن نعاقبهم علىٰ الزلة بالقسوة أحياناً ، وبالتشهير أحياناً ، وبالازدراء والتحقير أحياناً أخرىٰ .

أية أم لم تغضب إذا قضىٰ طفلها الصغير حاجته في لباسه مرتين متتاليتين؟

وأية أم لم تضرب ولدها إذا كسر آنية زجاجية في البيت أثناء لعبه؟

وأية أم لا تعاقب طفلها إذا كفأ الدواة علىٰ الأغطية النظيفة في غرفة الاستقبال؟

أكثر الأمهات يفعلن ذلك . . ولقد حاولت مرة أن أقنع أمًّا تضرب ولداً لها لا يجاوز عمره سنة ونصف السنة ؛ لأنه قضىٰ حاجته في لباسه ، وكان عليه ـ في رأيها ـ أن يخبرها قبل أن يقضي حاجته ، أو أن يذهب بنفسه إلىٰ دورة المياه! حاولت أن أقنعها بخطأ ما تفعل وأن الطفل في مثل هذه السن لا ينتظر منه أن يكون له ذلك الإدراك ، فأبت أن تقتنع حتىٰ قلت لها[1] ، اسألي أمك : ألم تكوني تفعلين مثل ما يفعل ولدك الآن حين كنت في مثل عمره؟

فتضاحكت وأدركت خطأها حين تجاهلت قوانين الطفولة ، ومدىٰ إدراك الأطفال نتيجة ما يعملوه .

نماذج وأمثلة للتربية الخاطئة:

١ ـ **ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة..** أن تلجأ إلىٰ ضرب الأطفال حين يهربون من البيت مثلاً أو يتأخرون في العودة إليه ، أو يعتدون علىٰ أخواتهم اللائي دونهن في العمر ، أو يظهرون بعض التمرد علىٰ أوامرنا كأنهم جنود يجب أن يخضعوا لكل ما نريد . . إن مخالفة الطفل لأوامر أبويه ، أو للأنظمة السائدة في عالم الكبار ليست دائماً عنوان خبث الطفل ، وتمكن الشر من نفسه ، فقد تكون ـ وهذا هو الغالب في الأطفال ـ مظهر حيوية ونشاط وقوة شخصية ، ما أحرانا أن نتعهدها بالرعاية والتقويم الهادئ حتىٰ لا نقضي علىٰ معالمها في نفسه قبل أن يصبح رجلاً . وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : « **عرام الصبي نجابة**» ، أي طيشه وحيويته ، وكثرة حركته من علامة ذكائه . وفي رواية : « **عرامة** [2] **الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره**»[3] .

---

(١) د. مصطفىٰ السباعي .

(٢) عَرُمَ: شرس واشتد، العُرام من الجيش: كثرته وشدته، المعجم الوسيط: ٢/ ٦١٨، مادة: عَرُمَ.

(٣) رواه الترمذي الحكيم في نوادره، كنز العمال ٣٠٧٤٧ .

وكثيراً ما تكون للطفل أعذاره التي لا نعلمها حين يخالف النظام أو يهرب من المدرسة أو يتأخر عن البيت ولو استطاع أن يحسن الإبانة عن أعذاره بلغتنا نحن الكبار لكنا نؤيده فيما ذهب إليه، ولو استطعنا نحن أن نفهم بلغته هو لكنا أول من يعذره . . ولنا في القصة التالية خير مثل يوضح لنا هذه الحقيقة :

تأخر أحد الأولاد يوماً عن الحضور عن البيت مساءً في الموعد المعتاد وخشيت الأم أن يعلم الأب بتأخر ولده فيوقع عليه القصاص الأليم، فما كان منها إلا أن وقفت في دهليز الدار المظلم تحمل عصا طويلة وقد اشتد بها الغضب حتى إذا قدم الولد انهالت بالعصا ضرباً على رأسه دون أن تنتظر ما قد يبدي لها من عذر في تأخره . . فتبين بعد ذلك أن الأم كانت متسرعة في عقوبة ولدها فقد دعاه أحد جيرانه من الفلاحين ليعاونه في قطف الثمار لقاء أجرة يأخذها، فقبل الولد رجاءً أن يقدم هذه الأجرة هدية منه لأبويه الفقيرين، وتنازل عن وجبة عشائه التي يأكلها في البيت عادة ليقدم لوالديه هذا العون البسيط . .

كم كانت هذه الأم كانت قاسية في معاملة ولدها الذي لم يتأخر إلا بدافع نبيل يستحق أن تشكره عليه بدلاً من الضرب والتأنيب؟

٢ ـ **ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة أيضاً:** أن نشهر بالولد حين ينحرف أول مرة عن سنن الأخلاق الكريمة، فإذا كذب مرة ناديناه دائماً بالكذاب، وإذا لطم أخاه الصغير مرة واحدة ناديناه بالشرير، وإذا احتال على أخته الصغيرة فأخذ منها تفاحة كانت بيدها ناديناه بالمحتال، وإذا سرق من جيب أبيه قلماً ناديناه بالسارق، وإذا طلبنا منه كأس ماء للشرب فأبى ناديناه بالكسول .

وهكذا نُشَهِّر به أمام أخوته وأهله من الزلة الأولى، وهذا أقبح أسلوب للتأديب . . وخير من ذلك أن ننبهه برفق ونبين له بالحجة التي يقتنع بها عقله الصغير أنه بذلك يسئ إلى نفسه وإلى غيره في هذا الانحراف .

٣ ـ وثالث ما يلاحظ على أسلوبنا في التربية . . تخويف الأطفال حين يبكون ليسكتوا . . نخوفهم بالغول والبعبع والضبع والحرامي واليهودي والجني والعفريت، ونضمهم إلى صدورنا حين نذكر هذه الأسماء كأننا ننقذهم منها .

وأسوأ أنواع التخويف أن نخوفهم من الأستاذ أو الطبيب أو المعلمة أو المدرسة فينشأ الولد جباناً رعديداً يخاف مما لا يخاف منه ويخشىٰ ما ينبغي أن يقدم عليه، وأشد ما يغرس الخوف والجبن في نفس الطفل أن تجزع إذا وقع علىٰ الأرض فسال الدم من وجهه وركبته أو يده فتلطم الأم صدرها بيدها وتصرخ وتطلب النجدة فيزداد الطفل بذلك بكاءً، ويتعود الخوف من رؤية الدم، أو الشعور بالألم. . .

وخير من هذا أن تبتسم الأم، وتهدأ روع ولدها، وتشعره بأن ما حصل له أمر بسيط وأنه مُعَرَّض لمثل هذا فيما يستقبل من الأيام.

٤ - **ورابع الملاحظات على تربيتنا:** أننا في الوقت الذي نود فيه استقامة أخلاق أبنائنا وبناتنا نحيطهم بكل ما يؤدي بهم إلىٰ الانحراف، فنسمح لهم برفقاء السوء، وندفع بهم إلىٰ بعض المدارس الأجنبية التي لا تقيم للقيم الأخلاقية المعهودة في شريعتنا وعادتنا وزناً.

وقد نأخذهم بأيدينا إلىٰ السينما ليشاهدوا الأفلام الغرامية أو البوليسية وهي تفسد أخلاق الكبار فكيف بالصغار؟ ونضع بين أيديهم المجلات الماجنة التي تتجر بالغرائز، وتشجع علىٰ الإجرام، وتتسابق إلىٰ نشر أسرار العائلات أو مخازي البيئات (الفنية) السيئة في سلوكها وأخلاقها.

هذا هو الجو الذي نحيط به أولادنا، ثم نطمع منهم أن يكونوا مثلاً عليا في العفة والأمانة والاستقامة، ومما لا يختلف فيه أحد من علماء التربية أن لمثل هذه الأجواء أثراً بالغاً في نفوس الأطفال والمراهقين بحيث لا ينفع معه نصح الأباء، أو توجيه المعلمين. .

تلك هي أهم ما يلاحظ علىٰ أسلوبنا في التربية البيتية، ومنها نعلم أية جناية نجنيها علىٰ أبنائنا وبناتنا حين نقذف بهم إلىٰ الحياة في جو هذه التربية الخاطئة وما أسرعنا إلىٰ الشكوىٰ منهم حين نراهم منحرفين أو عاقين أو متمردين، وقد غرسنا بأيدينا في نفوسهم وهم صغار بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد.

جاء رجل إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنَّبه علىٰ عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه عليه.

فقال الولد: «يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟».

قال: «بلى»، قال الولد: «فما هي يا أمير المؤمنين؟».

قال عمر: «أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلِّمه الكتاب (أي القرآن)».

قال الولد: «يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي.. وقد سماني جُعَلاً (أي خنفساء)، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً».

فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: «جئت إليَّ تشكو عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك».

يرحم الله عمر.. ما أشد توفيقه في جعل الأب حين أهمل تربية ابنه هو المسئول عن عقوق ولده له، وقد غضب أبٌ يوماً من ابنه فعيَّره بأمه فقال له: «أتخالفني وأنت ابن أمة (جارية)؟». فقال الولد لأبيه: «إن أمي والله خير منك يا أبي»، قال الأب: «لم؟». قال الولد: «لأنها أحسنت الاختيار فولدتني من حر، وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أَمَة».

وهكذا يتحمل الآباء مسئولية انحراف أبنائهم منذ يختارون زوجاتهم، كما تتحمل الأمهات المسئولية منذ يخترن أزواجهن، وصلى الله على رسول الله ﷺ، حينما قال منذ أربعة عشر قرناً: **«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»**(١).

انحراف أبنائنا وبناتنا مسئولية من؟

أيها الآباء والأمهات.. نحن المسؤولون عن انحراف أبنائنا وبناتنا إذا أصررنا على انتهاج الأساليب الحاضرة في بيوتنا مع أولادنا!

نحن المسؤولون عن كذبهم إذا شجعناهم على الكذب في طفولتهم أو قسونا عليهم في العقوبة عليه (أي على الكذب) حتى جعلناهم لا يخجلون منه.

ونحن المسئولون عن سرقاتهم إذا نحن ابتسمنا لسرقاتهم في طفولتهم، أو عاقبناهم بالعقوبة البالغة التي يطيقونها فندعهم إلى التمرد والشقاوة دفعاً.

---

(١) رواه ابن ماجة، نكاح ٤٦، وعند البخاري باب أن يتخير لنطفه من غير إيجاب، نكاح ١٢.

ونحن المسؤولون عن جبنهم وخوفهم من الحروب والطيارات والكفاح الدامي في سبيل حرية البلاد واستقلالها، إذا جزعنا عليهم وهم في صغرهم من خمشة اليد، وعثرة الرجل، ونقطة الدم، ووحشة الظلام . .

ونحن المسؤولون عن ضعف أجسامهم إذا حفظناهم في صغرهم من لفح الشمس ووقذة البرد وثلج الشتاء ونسيم الربيع .

نادي السارق بأعلى صوته : اقطعوا لسان أمي:

حكمت إحدىٰ المحاكم علىٰ سارق بالعقوبة وهي : قطع يده، فلما جاء وقت التنفيذ قال لهم بأعلىٰ صوته : قبل أن تقطعوا يدي اقطعوا لسان أمي . . فقد سرقتُ أول مرة في حياتي بيضة من جيراننا، فلم تؤنبني ولم تطلب إليّ إرجاعها إلىٰ الجيران، بل زغردت وقالت : الحمد لله، لقد أصبح ابني رجلاً، فلولا لسان أمي الذي زغرد للجريمة لما كنت في المجتمع سارقاً»(١) .

أيها الآباء والأمهات . .

لنذكر دائماً مسؤوليتنا نحو أبنائنا وبناتنا، لنذكر قول الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم : ٦) .

وقول رسوله ﷺ : «**أوقفوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وأدبوهم**»(٢) .

وقوله أيضاً : « **أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم** » (٣) .

ولنذكر أن أسماء بنت أبي بكر قالت لابنها عبد الله بن الزبير قبل استشهاده في معركته مع الحجاج وقد جاء يستشيرها في مواصلة المعركة : « يا بني إن كنت تعلم أنك علىٰ حق فما ينبغي أن ترجع عنه، وإن قلتَ : كنت علىٰ حق ثم تبين لي خلافه فبئس المرء أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت قومك» .

---

(١) كتاب : أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفىٰ السباعي، رحمه الله .

(٢) رواه البخاري، تفسير سورة ٦٦ .

(٣) رواه ابن ماجة، أدب ٣، في الزوائد : في إسناده الحارث بن النعمان، وإن ذكره ابن حبان في الثقات فقد لينه أبو حاتم .

ولما قال لها : «أخشىٰ أن يُمَثَّلَ بي صبيان بني أمية بعد الموت».

فقالت له : «يا بني إن الشاه المذبوحة لا تتألم من السلخ ! ».

هذا مَثَلٌ للبنت التي رباها الإسلام . . فلما أصبحت أُمّـًا علَّمت ابنها كيف يضرب أروع الأمثال في الفداء والتضحية والاستشهاد في سبيل الحق !

لنذكر هذا حين نحاول أن نعرف سر النجاح في تاريخ عظمائنا الذين نذكرهم دائماً، وسر الإخفاق في تاريخ رجالنا المعاصرين؟

ابني . . أخطأت في حقك . . سامحني . .

أيها الآباء والأمهات . . ذكرنا نماذج لأخطاء في التربية . . وذكرناها تفصيلاً لتكون نماذج العلاج واضحة للسير علىٰ ضوئها . . والآن سوف نذكر بعض أخطاء الآباء في تربية الأولاد إجمالاً وبدون تفصيل . .

١ ـ مقارنته بغيره . . فالعقول مختلفة، والمهارات متفاوتة، لأن المقارنة تحبط الصغير وتوقد نار الغيرة والحقد والحسد.

٢ ـ عدم الوفاء بالوعد له، فعن عبدالله بن عامر قال : «دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا»، فقالت : «ها تعال أعطك» . . فقال لها النبي ﷺ : « وماتعطينه؟ »، قالت : «تمراً»، فقال لها : « **لو لم تعطه لكُتبت عليك كذبة**»(١).

٣ ـ اسمع الكلام حتىٰ تدخل الجنة . . الطفل لا يدرك هذا . . ولكن يدرك الملموس . . اسمع الكلام أعطك قطعة حلوىٰ.

٤ ـ غياب الاحترام في المعاملة : حيث تندر عبارات : لو تكرمت . . لو سمحت . . من فضلك . . حضرتك . . سيادتك . . في لغة الآباء مع أبنائهم.

٥ ـ الجائزة التي لا يحبها . . إثابة الطفل تكون بالجائزة التي يحبها هو وليس الجائزة التي يحبها الأب.

---

(١) رواه أبو داود ، أدب ٨٠، وأحمد ٣/ ٤٤٧، وفي الترغيب برقم ٤٢٦٤ .

٦ ـ إخـراج البنت من المطبخ . . بعض الأمـهـات تمنع بناتهـا من المطبخ ونظافـة البيت . . فمتى تتعلم ذلك؟! في بيت الزوجية!!

٧ ـ اختلاف الزوجين . . التشاجر بين الأب والأم تضحية حقيقية بالأبناء الذين يرون المهانة لأمهم والإساءة لأبيهم وتارة يرون الأب مخطئاً وتارة تكون الأم هي المخطئة .

٨ ـ إظهار نقاط الضعف : عندما يحدث للطفل انتكاسة في أي شيء لابد أن نركز على نقاط القوة فنشجعه قائلين له : أنت ذكي ولكنك لا تعمل عقلك . . أنت نشيط وهمتك عالية ، ونحاول أن ننسيه الفشل والإحباط .

٩ ـ إهمال الزوجة لنفسها وزينتها كما كانت ترى أمها فيضجر منها زوجها . . فهذه الأم ما كانت لأبنائها قدوة حسنة .

١٠ ـ الديكتاتورية . . يعتقد بعض الآباء أن الصواب أن تكون له الكلمة الأولى والأخيرة في البيت ، أنه لا يسمح بالنقاش ، ولا يجرؤ أحد على معارضته ، ويختار الملابس لأبنائه ويختار النزهة ويختار الألعاب ويختار الجوائز .

١١ ـ أنا تعبان : ينتظر الأبناء الأب ليعود ليتحدثوا معه ويلعبوا معه ويتعلموا فيدخل الأب متجهم الوجه ويطلب ألا يتحدث معه أحد وهذا مما يصيب الأبناء بالإحباط فلا يعود أبوهم هو ذلك الصديق . . فيلتمسون الصديق البديل .

١٢ ـ الانشغال عن الأبناء ، حتى ولو بالأعمال الخيرية . . فيمر على الآباء يومان أو ثلاثة لا يرون الأبناء . . العمل الخيري ليس عذراً ، فالله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، وما يسألون عن أعمالهم الخيرية قبل سؤالهم عن أبنائهم ، وما فعلوه لهم ، وحسن تربيتهم .

١٣ ـ الطفل يذاكر والأبوان أمام التلفاز : نهرت الأم ابنها ليكف عن اللعب ويعمل الواجب المدرسي وحبسته في حجرته وجلست هي أمام التلفاز .

١٤ ـ عدم السؤال عنه في المدرسة : أعرف(١) بعض الآباء مرت أعوام الدراسة على أبنائه ولم يذهب ليسأل عن واحد منهم . . فمتى يسأل؟

---

(١) محمد سعيد مرسي ، في كتابه ٧٥ خطأ للآباء مع الأبناء .

١٥ ـ تجريح الأشخاص: بعض الآباء تكون جلساته مع أبنائه قدحاً في المدرس والرئيس والوزير والعلماء إما تصريحاً بالاسم أو تعميماً فينشأ الأولاد لايحترمون أحداً، وهم بذلك يقتدون بآبائهم في تجريح الغير، وغيبته وإهانته.

١٦ ـ انعدام الرقابة: الرقابة غير التسلطية مطلوبة عند الأولاد في التلفاز ـ المواقع ـ المجلات ـ بدون إظهار للريبة والشك في الأبناء كل ذلك يساهم في تصويب الأخطاء بأسلوب جيد ويحل المشكلة قبل تفاقمها.

١٧ ـ النظر لغير الكل: مطلوب من الآباء توزيع النظرات على جميع الأبناء عند الحديث معهم.

١٨ ـ لا اعتذار: اعتذار الأب عن الخطأ لزميله أو لزوجته أو لابنه يزرع في نفس الصغير التواضع للناس وخفض الجناح لهم، أما رفض الاعتذار فإنه ينتج ابناً متكبراً لا يعترف بالخطأ الذي ارتكبه ولو كان واضحاً كالشمس.

١٩ ـ الصفع على الوجه: امتهان كرامة الصغير وإذلال لوجه كرمه الله.

٢٠ ـ النيابة عنه: من الخطأ أن ننوب عن أطفالنا فتتكلم بلسانهم فعندما يسأل الابن عن اسمه يسرع الأب فيقول اسمه فلان.. وعندما تجلس أسرة معاً في نقاش يجب أن يكون السؤال وما رأيك أنت يا بني.

٢١ ـ إظهار الخوف أمامه.. المخاوف كثير منها يكتسبها الإنسان ممن حوله فالأم تصرخ إذا رأت حشرة والأب ينزعج إذا رأى كلباً.

٢٢ ـ المكافأة المادية.. هناك أنوع من الإثابة غير الهدايا والمال كالتشجيع والكلمة الطيبة والمدح والتنزه معه، وذكر محاسنه.

٢٣ ـ اجلس مع الأولاد ودعهم يجلسوا مع الكبار، فالنبي ﷺ كان يُجلس بجواره ابن عباس، ويقدمه في الشرب على كبار القوم، لأنه عن يمينه فكان بعد ذلك حبراً للأمَّة، وترجماناً للقرآن.. فعلينا أن نشجع أبناءنا على الجلوس مع الكبار والحوار معهم.

٢٤ ـ التهديد المستمر بالأب. . ضعف شخصية الأم فيصبح الأب مصدر الردع في البيت فيقسوا الابن على الأم حينما يكبر وقد يسرقها.

٢٥ ـ لا معاقبة للصغير على خطأ يقع فيه الكبير . . فلا تخصم من مصروفه ثمن كوب كسره. . في حين أن الأم ينكسر منها الكوب فلا تعاقب.

٢٦ ـ إثارة الإحساس بالذنب: يقول الأب لابنه لو كنت تحبني ما فعلت كذا وهذا يشعر الطفل بالذنب وهذا سلوك تربوي خطأ والبديل التوجيه والتصحيح الإيجابي.

٢٧ ـ اتركوا تبكيت الأولاد. . تقول له: «لماذا لم تنجح مثل بقية زملائك؟ أنت فاشل»، قل له: «أنت لم تذاكر بشكل جيد لأنك لعبت كثيراً».

٢٨ ـ عدم تعودا الألفاظ الإيجابية ، قل له: «لقد حان موعد النوم ولم تنجز واجباتك»، بدلاً من أن تقول: «كم مرة أمرتك بغلق التلفاز»، قل للطفل: «كن نشيطاً»، أفضل من أن تقول: «لا تكن كسولاً»، قل له: «هذه الحجرة غير نظيفة»، أفضل من قولك: « هذه الحجرة متسخة». . قل له: «كن شجاعاً»، أفضل من قول: «أنت جبان وضعيف».

٢٩ ـ التهديدات الكاذبة والمُبالغ فيها مثل: سوف أذبحك. . سوف اقطع رقبتك. . كلها عبارات غير جدية وكاذبة. . تفقد الأبوين المصداقية أمام الطفل.

٣٠ ـ عدم الدخول إلى غرفة الطفل. . إحدى الفتيات اللاتي عبدن الشيطان في مصر منذ عدة أعوام، قالت في التحقيقات إن أبي وأمي لم يدخلا غرفتي منذ سنة ونصف، ولا يجب أن يكون ذلك تجسساً، ولكن بشكل طبيعي واضح.

٣١ ـ الإحراج أمام الآخرين. . من الأشقاء والزملاء والجيران والضيوف يكسره ويهينه ويجرح شعوره، ويجعله منطوياً.

٣٢ ـ أنت رجل لا تبك. . البكاء يرقق الحس والمشاعر والدموع تنظف العين وتمنع الالتهاب وهو تنفيس عن الانفعالات، فعن أسماء بنت يزيد، قالت: قال

رسول الله ﷺ: «إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا»(١). فلا نمنع الأبناء من البكاء ونأمرهم بالتوقف فوراً عند البكاء.

٣٣ ـ النوم في غطاء واحد: وهذا مخالف للسُنَّة، لقول رسول الله ﷺ: «**مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، وفرقوا بينهما في المضاجع**»(٢).

فعلينا أن نميز الأبناء في النوم، فنفصل البنين عن البنات، ونفصل البنين عن البنين، ونفصل البنات عن البنات في الغطاء الواحد على السرير الواحد، وليكن لكل واحد غطاء مستقل.. فالبنت بجوار البنت، ولكل منهن غطاء مستقل، وكذا الولد بجوار الولد لكل منهم غطاء مستقل.

٣٤ ـ افعل ولا تسأل.. لابد من اقتناع الطفل بما تأمره به فلا تتعامل معه على أنه آلة أو جماد فهو نفس له شعور وأحاسيس.

٣٥ ـ التناقض التربوي: من الخطأ أن يثاب الطفل على فعل أو قول ويعاقب أخوه على نفس الفعل، ومن الخطأ أن يثاب على فعل أو قول من أب ويعاقب عليه من الأم.. فهذه ازدواجية غير مرغوب فيها تربوياً وهي تشتت الطفل(٣).

---

(١) رواه البخاري، في الجنائز، ورواه مسلم في الفضائل.

(٢) رواه أحمد ٢/ ١٨٠، وأبو داود، صلاة ٢٦، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٣) محمد سعيد مرسي، في كتابه: أخطاء الآباء مع الأبناء.

سابعاً : التربية الناجحة

تقوم التربية الناجحة على : دعائم وأساليب ونتائج . . نذكرها كالتالي :

أولاً : دعائم التربية الناجحة :

يكاد يُجْمع علماء التربية في عصرنا الحاضر على أن التربية الناجحة التي تؤثر تأثيراً كبيراً في سعادة المجتمع وتماسك بنيانه هي التي تقوم على الدعائم التالية :

أولاً : تقوية شخصية الطفل بحيث يجد في جو البيت ما ينمي مواهبه ويصقلها ويعدها للبناء والإفادة .

ثانياً: تنمية الجرأة الأدبية في نفس الطفل بحيث يعيش شجاعاً صريحاً جريئاً في آرائه ، في حدود النظام والخير والأدب الإنساني الكريم .

ثالثاً: تقوية روح التعاون والحب في نفسه نحو إخوانه في المجتمع ، حتى يكون من رواد التكافل الاجتماعي في كل ما يعود على الأمة بالقوة والكرامة والأمن والسلام .

تلك هي دعائم التربية الصحيحة في البيوت، وبمقدار ما تتوفر للناشئة على أوسع مدى، يكون وضع الأمة الاجتماعي والسياسي والديني والخلقي والاقتصادي سليماً متماسكاً يتعاون بعضه مع بعض على صيانة المجتمع من الضعف والانهيار.

بصراحة:

لنكن صرحاء أجرياء (١) في معالجة هذا الموضوع الخطير . .

فهل تسلك بيوتنا السبيل الصحيح المؤدي إلى هذه التربية المثالية؟

وهل يقوم الوالدان بواجبهم نحو أولادهم في ميدان التربية والتوجيه السديد؟

كلا . . كلا . .

---

(١) صرحاء : من الصراحة ، وأجرياء : من الجرأة .

ثانياً : الأساليب التربوية الصحيحة :

لكي تكون الأساليب التربوية صحيحة وناجحة يُراعى أن يتحقق فيها الآتي :

١ ـ أن تكون متنوعة : (الأربعين التربوية) (١) :

١ ـ التربية بالقدوة :

كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب : ٢١).

وقوله ﷺ : «صلو كما رأيتموني أصلي » (٢) .

٢ ـ التربية بالثواب والعقاب (الترغيب والترهيب):

كقوله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٦٠).

وقوله ﷺ : «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله»(٣).

٣ـ التربية بالنصيحة:

كقوله ﷺ : «الدين النصيحة!»، قلنا لمن؟ قال: « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٤) .

---

(١) إعادة اكتشاف الأربعين التربوية، اكتشفها بمجلة منار الإسلام، رمضان ١٤٢٢هـ ـ نوفمبر ـ ديسمبر ٢٠٠١م، د. حسان داود، أبو ظبي .

(٢) رواه البخاري برقم ٦٣١ .

(٣) رواه مسلم برقم ٢٠٥، ٢/ ١٠٣ .

(٤) أخرجه مسلم رقم ٩٥، ٢/ ٣٢ .

٤ ـ التربية بالتعويد:

كقوله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع» (١) .

٥ ـ التربية باستثمار الطاقة وملء الفراغ:

كقوله تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ (الشرح : ٧) .

وقوله ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيله فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»(٢) .

٦ ـ التربية باستغلال الأحداث:

وذلك عندما قال رجل: «يا رسول الله ﷺ إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها» ، فغضب رسول الله ﷺ وما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذ ثم قال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن أمّ الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة»(٣) .

٧ ـ التربية بمجالسة العلماء والصالحين:

كقوله ﷺ: «مَثَلُ الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن تجد منه ريحاً خبيثة»(٤) .

٨ ـ التربية بالتشويق :

كقوله ﷺ: « إن أقربم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون»(٥) .

---

(١) رواه أبو داود في سننه، وهو صحيح ، سبق تخريجه .

(٢) رواه أحمد في المسند، جـ٣، ١٨٤ ، ١٩١ .

(٣) رواه البخاري ، رقم ٧٠٤ .

(٤) رواه البخاري رقم ٢١٠١ ، ومسلم رقم ٢٦٢٨ ، واللفظ لمسلم.

(٥) رواه الطبراني عن جابر، وسبق تخريجه .

٩ - التربية بالتلقين:

كقوله ﷺ لابن عباس: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»(١) .

١٠ - التعليم بالعمل والممارسة:

كقوله ﷺ: «من سَنَّ في الإسلام سُنة حسنة فعمل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»(٢) .

١١ - التعليم بالحوار:

كقوله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟». قالوا: «المفلس فينا من لا درهم له ولامتاع»، فقال: « إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته، فإن فَنِيَت حسناتُهُ قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرِح في النار»(٣) .

١٢ - التعليم بالحفظ والاستظهار:

كقوله ﷺ: «نضَّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه»(٤) .

---

(١) رواه الترمذي، قيامة ٥٩، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، رقم ١٠١٧، جـ١٦، ص ١٨٤ .

(٣) رواه مسلم رقم ٢٥٨١، جـ١٦ ، ص ١١١ .

(٤) رواه أبو داود، رقم ٣٦٦٠ ، جـ٢ ، ص ٤١١ ، والترمذي، علم ٧، وابن ماجة، مقدمة ١٨ ، مناسبك ٧٦، والدارمي، مقدمة ٢٤ ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

١٣ ـ التعليم بالاستقراء (من الجزئيات للكليات) :

كقوله ﷺ عن أنواع الصدقة : «على كل مسلم صدقة» .

قيل : «أرأيت إن لم يجد؟ قال : «يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق» .

قال : قيل : «أرأيت إن لم يستطع؟» ، قال : «يعين ذا الحاجة الملهوف!» .

قال : قيل له : «أرأيت إن لم يستطع؟» ، قال : «يأمر بالمعروف أو الخير!» .

قال : «أرأيت إن لم يفعل؟» قال : «يُمسك عن الشر فإنها صدقة»(١) .

وقال ﷺ : «إن بكل تسبيحه صدقة، وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة»(٢) .

وقال ﷺ : «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، ما أطعمك ولدك وزوجك وخادمك فهو صدقة»(٣) .

وقال ﷺ : «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديءْ البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»(٤) .

١٤ ـ التعليم بالقياس (من الكليات للجزئيات):

كقوله ﷺ : «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» (٥) .

١٥ ـ التعليم بالقصص:

قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (يوسف : ٣) .

---

(١) صحيح مسلم رقم ١٥٥٨ ، جـ ٧ ، ص ٨٢ .
(٢) صحيح مسلم ، رقم ١٠٠٦ ، جـ ٧ ، ص ٧٩ .
(٣) البخاري في الأدب المفرد .
(٤) رواه الترمذي ، بر ٣٦ ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .
(٥) رواه مسلم ، رقم ٢٠٠٢ ، جـ ١٣ ، ص ١٤٠٥ .

وقال: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ (هود: ١٢٠)

وقال أيضاً: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

قال عمر: «قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم»(١).

١٦ ـ التعليم بضرب الأمثال:

كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج: ٧٣).

وقوله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟». قالوا: «لا يبقى من درنه شيء».

قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»(٢).

١٧ ـ التعلم الذاتي:

مثال ذلك عندما أمر رسول الله ﷺ الصحابي الذي أساء صلاته أن يعيدها مراراً ليتفطن بالتجربة العملية إلى أخطائه فيصلحها، وبذلك يثبت لديه التعلم. فقد رُوي أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي ﷺ فرد قال: «ارجع فصل فإنك لم تصل»، ثلاثاً.

فقال: «والذي بعثك بالحق، ما أُحسن غيره، فعلمني».

فقال: «إنك إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، افعل ذلك في صلاتك كلها»(٣).

---

(١) رواه البخاري، رقم ٣١٩٢.

(٢) رواه مسلم، رقم ٦٦٧، جـ ٥، ص ١٤٤.

(٣) رواه البخاري، رقم ٧٥٧.

١٨ ـ التعليم بالتكرار:

كقوله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثاً) قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت**»(١) .

١٩ ـ التعليم بالوسائل التوضيحية:

مثال ذلك: خط رسول الله ﷺ خطاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خُططاً صغاراً إلىٰ هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: «**هذا هو الإنسان، وهذا أجله محيط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخُطط الصغار الأعراض، فإن أخطاء هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**»(٢) .

٢٠ ـ التربية بالاستمرار:

كجواب عائشة عندما سئلت: «أي العمل كان أحب إلىٰ النبي ﷺ؟».

قالت: «الدائم» (٣) .

٢١ ـ التربية بالأسئلة:

كرواية عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟**»، قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله فوقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: «حدثنا ما هي يا رسول الله ﷺ»، فقال: «**هي النخلة**»(٤) .

---

(١) رواه مسلم، رقم ١٤٣، جـ١، ص ٧٠ .

(٢) رواه البخاري، رقم ٦٤١٧ .

(٣) رواه البخاري، رقم ١١٣٢ .

(٤) رواه البخاري، رقم ٦٢ .

٢٢ ـ التربية بالمخالطة:

كقول أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عمير ما فعل النُغير؟**»(١).

٢٣ ـ التربية بالعدل في المعاملة:

كقول النعمان بن بشير: إن أباه نحل ابناً له غلاماً، فأتى النبي ﷺ يشهده فقال: «**أَكُل ولدك نحلته مثل ما نحلت هذا؟**»، قال: «لا!».

قال: «**فاردده**»(٢).

٢٤ ـ التربية بالمدح:

كقول أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ أبصر نساءً وصبياناً مقبلين من عرس فقام ممتناً فقال: «**اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ**»(٣).

٢٥ ـ التربية بالترويح:

كقول عائشة رضي الله عنها: «**كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله ﷺ وأنا انظر فما زلت انظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو**»(٤).

٢٦ ـ التربية بالاعتدال في بذل الجهد:

كقوله ﷺ: «**يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووم عليه وإن قل**»(٥).

---

(١) رواه البخاري، رقم ٦١٢٩، والنغير: عصفور مات.
(٢) رواه البخاري، هبة ١٢، ومسلم، هبات ٩، ١٠، ١٧، ونحله، أي: أعطاه وخصَّهُ.
(٣) رواه البخاري، رقم ٥١٨٠.
(٤) رواه البخاري، رقم ٥١٩٠.
(٥) رواه مسلم، رقم ٧٨٢، جـ ٢، ص ٦٢.

٢٧ـ التربية باللعب:

كقول عائشة رضي الله عنها : «**كنتُ ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيُسَرِّبُهن إليَّ فيلعبن معي**»(١) .

يتقمعن ، أي: يتغيبن وراء ستار ، ويسربهن ، أي: يخرجهن.

٢٨ـ التربية بتعلم اللغات لتوسيع المصادر:

كقول زيد بن ثابت رضي الله عنه : «**أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية**»(٢).

٢٩ـ التربية باستعمال اللغة البليغة والأناشيد:

كقوله ﷺ: «**إن من البيان لسحرا**»(٣) ، وقوله ﷺ: «**إن من الشعر حكمة**»(٤).

٣٠ـ التربية بمراعاة الفروق الفردية :

كقوله ﷺ: «**اعملوا فكل مُيَسَّر لما خُلِق له**» (٥) .

٣١ـ التربية باختيار الأقران:

كقوله ﷺ: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(٦) .

٣٢ـ التربية بالترغيب في العلم:

كقوله ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سَهَّلَ الله تعالى له طريقاً إلى الجنة**»(٧).

---

(١) رواه البخاري ، رقم ٦١٣٠ .
(٢) رواه الترمذي، رقم ٢٧١٥ ، وقال: حديث حسن صحيح.
(٣) رواه البخاري، نكاح ٤٧ ، طب ٥١ ، ومسلم، جمعة ٤٧ .
(٤) رواه البخاري ، رقم ٦٤١٥ ، جـ١٠ ، ص ٦٥٩ .
(٥) رواه مسلم ، رقم ٢٦٤٩ ، جـ١٦ ، ص ١٦٢ .
(٦) رواه الترمذي، زهد ٤٥ ، وقال الترمذي: حسن غريب .
(٧) رواه البخاري، علم ١٠ .

٣٣ـ التربية بالدعاء للاستعانة بالله تعالى:

كقوله ﷺ: « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل »(١) .

٣٤ـ التربية بالمحاجة :

وذلك عندما استعمل رسول الله ﷺ ابن اللتبية على صدقات بني سليم فلما جاء إلى رسول الله ﷺ وحاسبه قال: «هذا لكم، وهذه هدية أهديت إليّ»، فقال رسول الله ﷺ: «فهلا جلستَ في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا»(٢) .

٣٥ـ التربية بنشر العلم:

كقوله ﷺ: « من سُئلَ عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»(٣).

٣٦ـ التربية بالتذكير بالسابق:

كقوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات : ٥٥).

٣٧ـ التربية بالتوازن بين جوانب الشخصية:

جسمياً وعقلياً واجتماعياً كقوله ﷺ: «إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولضيفك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كلي ذي حق حقه»(٤).

٣٨ـ التربية بإجراء التجارب:

مر رسول الله ﷺ بقوم يلقحون فقال: «لو لم تفعلوا لصلح».

---

(١) رواه مسلم، رقم ٢٧٠٦ .

(٢) رواه البخاري ، رقم ٧١٩٧ .

(٣) رواه أبو داود، علم ٩ ، والترمذي، علم ٣ ، وابن ماجة، مقدمة ٢٤، وأحمد ٢/ ٢٦٣، وقال الترمذي: حديث حسن .

(٤) رواه البخاري، صوم ١٩٦٨ .

قال: «فخرج شيصاً».

فمرَّ بهم فقال: «ما لنخلكم؟»، قالوا: «قلتَ كذا وكذا».

فقال: « أنتم أعلم بأمر دنياكم »(١).

٣٩ ـ التربية بإصلاح الخطأ:

كقوله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخَالِق الناس بِخُلُقٍ حسن»(٢).

٤٠ ـ التربية بالعرض:

كما في الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن مجيء جبريل عليه السلام، وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة لِيُعَلِّم المسلمين دينهم.

٢ ـ أن تكون شاملة (٣) :

وسوف نتناول هنا: التربية الجنسية ـ التربية على الاهتمام بأمور المسلمين ـ التربية المهنية، أما التربية الخُلقية والتربية الجسمية، فقد ذُكرتا من خلال هذه الموسوعة.

١ ـ التربية الجنسية(٤) :

من المؤكد أن موضوع الجنس موضوع حيوي ينبغي أن يكون محل اهتمام كل فرد، سواء أكان ذكراً أم أنثى، فلايوجد فرد في هذا الوجود لم يهتم يوماً بالتفكير في موضوع الجنس من جميع جوانبه المختلفة..

---

(١) رواه مسلم، رقم ٢٣٦٣.

(٢) صحيح الترمذي، رقم ١٩٨٧، جـ ٢، ص ٣٧٣.

(٣) سنوجز في الحديث عن التربية الجنسية والتربية على الاهتمام بالمسلمين، أما التربية الخُلقية والجسمية فذُكِرتَا من خلال هذه الموسوعة، وأما التربية المهنية فستأتي في نهاية هذا الفصل.

(٤) د. محمد محمود العطار، من مقال أبناؤنا.. والتربية الجنسية، مجلة منار الإسلام، شهر شعبان ١٤٢٧ هـ، أغسطس ٢٠٠٦م.

فالجنس يلعب دوراً مهماً في حياة الإنسان، فالتوالد والتكاثر آية من آيات الله، وهو طاقة من أكثر الطاقات الموجهة لمشاعر الناس وسلوكهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**النكاح سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم، ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصيام، فإن الصوم وجاء له**»(١) .

والأبناء أمانة في أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، فالأسرة هي المدرسة الأولى للأبناء والمنزل هو اللبنة التي يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفي الأسرة الكريمة التي تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المودة والرحمة والمحبة والتعاون ينشأ رجال الأمة ونساؤها وقادتها وعظماؤها.

وليس المقصود بالتربية الجنسية المعاشرة الجنسية كما يظن كثير من الناس من وجهة النظر الطبيعية، بل إن التربية الجنسية من وجهة النظر المستنيرة، هي كل ما يتعلق بالسلوك والشعور النظري لدى كل من الذكر والأنثى كل منهما للآخر.

إن اهتمامات كل من الذكر والأنثى كل منهما بالآخر يدخل تحت نطاق علم التربية الجنسية، كذلك التغيرات المورفولوجية والسلوكية والوظيفية لكل من الجنسين يدخل تحت هذا العلم، لذلك يجب على الآباء والأبناء أن يكونوا مُسَلَّمِين بكل هذا حتى لا ينتابهم الذعر حين تحدث أية متغيرات في شكل ووظائف الأبناء أثناء مراحل حياتهم.

ولقد تميز الإسلام بشموليته في الطرح لجوانب حياة المسلم كافة، حتى قبل أن يولد، حين اهتم بالزواج والتناسل، ولم يتحرج عن التطرق إلى كل ما يشغل تفكير المسلم في أمور حياته الخاصة.

---

(١) رواه ابن ماجة، نكاح ١ ، وسبق تخريجه.

إنه أمرٌ فعله رسول الله ﷺ حين علّم الصحابة والصحابيات ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ بلغة راقية، وبأسلوب بسيط لا إفراط فيه ولا تفريط، كل ما يتعلق بالأمور الخاصة جداً، لأن الجنس جزء من الحياة، اعترف به الإسلام ووضع له الأطر الصحيحة للتعامل معه، فقد قال النبي ﷺ: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفَرِّقُوا بينهم في المضاجع»(١) .

لقد سعى ديننا الإسلامي الحنيف في الحفاظ على الناشئة، وإبعادهم عن المثيرات الجنسية، حتى لا يقعوا في دائرة الرذيلة، وأوصى المجتمع الإسلامي بالحفاظ عليهم حتى لا يقعوا في شراك أولئك الملعونين من تجار الحرام.

إن الانفتاح المعلوماتي الذي أسقط كل جدران الرقابة الرسمية ورقابة الأسرة على أبنائها ليدعونا إلى المزيد من اليقظة حتى لا نفقد فلذات أكبادنا وبناة أوطاننا فلنهب جميعاً إلى نشر ثقافة العفة في مجتمعاتنا، ولنضرب بيد من حديد على أولئك الذين يريدون أن يحولوا مجتمعاتنا إلى أسواق مفتوحة للمتعة المحرمة ولنقف جميعاً مع أبنائنا، حتى يصبحوا سواعد للخير والعطاء(٢) .

ما المقصود بالتربية الجنسية؟

يقصد بالتربية الجنسية إمداد الفرد بالمعلومات العلمية والخبرات الصحيحة والاتجاهات السليمة إزاء المسائل الجنسية بقدر ما يسمح به النمو الجسمي والفسيولوجي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، وفي إطار التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، مما يؤدي إلى حسن توافقه في المواقف الجنسية، ومواجهة مشكلاته الجنسية مواجهة واقعية تؤدي إلى الصحة النفسية.

---

(١) رواه أبو داود ، صلاة ٢٦ ، رواية ابن سبرة رقم ٤٩٤ ، ورواية عمرو بن شعيب رقم ٤٩٥ ، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ورواه أحمد ٢/ ١٨٠ ، والترمذي، صلاة ـ باب متى يؤمر الصبي بالصلاة ٢٩٩ ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) منار الإسلام العدد ٤ السنة ٢٨ من المجلة.

أهداف التربية الجنسية:

لا شك أن الهدف الأساسي من التربية الجنسية هو الإسهام في بناء الشخصية السوية خلقياً واجتماعياً وعقلياً وجسمياً وشعورياً والشخصية القادرة على القيام بواجبات الخلافة في الأرض بإعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله .

وهذا إنما يتأتى من خلال تحقيق مجموعة من الأهداف المباشرة أهمها :

١ ـ أن يدرك الآباء والأبناء والمربون مفهوم التربية الجنسية وأهميتها ودورها في توجيه السلوك الإنساني وتفسيره من دون مبالغة أو تفريط .

٢ ـ أن يدركوا خطورة الأفكار الغريبة على مجتمعنا التي تفسر السلوك الإنساني كله على أساس الجنس والغريزة الجنسية والجري وراء الشهوات .

٣ ـ أن يفهموا ويستوعبوا الحقائق والمعلومات الصحيحة عن الختان والطهارة والوظيفة الفطرية للجهاز التناسلي للذكر والأنثى .

٤ ـ القدرة على تهيئة جو الحوار والمناقشة مع الأبناء وتشجيعهم على طرح الأسئلة ، ومصارحتهم من خلال الإجابة عنها ، ومساعدتهم على حل مشكلاتهم ، وإعدادهم لاستقبال حياة البلوغ والشباب .

٥ ـ استيعاب الحقائق والمعلومات المتصلة بالجنس في مرحلة الصبا ، كالبلوغ والاحتلام والعادة الشهرية . . إلخ ، ومساعدة الأبناء على حل مشكلات هذه الفترة ، والمرور بها بطريقة يسيرة دون تعقيدات أو انحرافات .

٦ ـ توعية الآباء والأبناء والمربين بمشكلات الشباب الجنسية : كالاستمناء والزنى واللواط والسحاق ، وبأسبابها ، والنتائج المترتبة عليها على مستوى الفرد والجماعة .

التربية.. والجنس في الإسلام:

إن رب العالمين قد ذكر في كتابه العزيز في أكثر من موضوع آيات كثيرة تتحدث عن الاتصال بالجنس ، وعن خلق الإنسان ، وعن الفاحشة فقال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ ﴾ (المؤمنون).

وقال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وقال جل شأنه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ﴾ (المؤمنون).

وقال أيضاً: ﴿ وَلاتَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ (الإسراء: ٣٢).

وقال أيضاً: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝ ﴾ (الأعراف).

فهذه الآيات القرآنية تتحدث بوضوح عن:

- الإنسان الذي يحفظ فرجه وعمن لا يحفظه.
- عن المحيض واعتزال النساء فيه.
- عن النطفة وتكوينها في رحم المرأة.
- عن الزنىٰ وكونه فاحشة وساء سبيلا.
- عمن يأتون الرجال شهوة من دون النساء..

... إلىٰ آخر هذه المعاني التي تتصل بالجنس، وترتبط بالغريزة...

فهل نريد أن يمر أبناؤنا على هذه الآيات وغيرها دون فهم، وتصبح سور القرآن نصوصاً يحفظونها، دون فهم أو إدراك لمعانيها؟

وفي عالم اليوم المئات من القنوات الإباحية التي تملأ الفضاء، وما دار في فلكها من أفلام ومسلسلات وأغان ومجلات ومطبوعات تدور حول الجنس

الإباحي الصريح والهابط، علاوة على العدد غير المحدود من المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت، ومن المستحيل اعتراض هذا السيل المنهمر اعتراضاً تقليدياً مباشراً يعتمد على الرقابة الإعلامية بمفهومها البسيط بالمصادرة والتشويش والحجب.

إن التربية بجميع مجالاتها (دينية، اجتماعية، وطنية جنسية) هي حصن الدفاع الأول والأخير، ولابد للمجتمعات الإسلامية المحافظة على وجه التحديد في عصر الفضاء المفتوح على تربية إسلامية تستوعب الجنس كجانب جوهري من الحياة الإنسانية، وتوجه هذه الغريزة والحاجة البشرية وجهة ربانية سليمة، تكفل السعادة للزوجين والحياة الأسرية للأبناء وحفظ النوع الإنساني للمجتمع ككل، في وقت واحد.

ومن ناحية أخرى قد يترتب على نقص التربية الجنسية، في إطار التربية الإسلامية ارتكاب محرمات أو تجاوز حدود شرعية أو تجاوز آداب وأحكام إسلامية، كالأحكام المتعلقة بالطهارة والجنابة والحيض والوضوء ومحظورات الحج والاعتكاف في المساجد وغيرها.

ويمكن القول أن يكون محتوى منهج التربية الجنسية في إطار التربية الإسلامية يتناول كل ما يتعلق بحياة الذكر والأنثى من بني آدم بدءاً من الحمل، فالولادة، فالإرضاع، فالفطام، فستر عورة الصبي والفتاة، والتفريق بينهما في المضاجع، وتحجب النساء عن الأطفال اللذين اطلعوا على عورات النساء واستئذان الذين لم يبلغوا الحلم من الأولاد إذا دخلوا على من هو أكبر منهم في الأوقات الثلاثة: ﴿**مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ**﴾ (النور: ٥٨).

وكل الأحكام والسنن التي شرعها الخالق عز وجل والأسئلة التي وجهها الصحابة والصحابيات والمتعلقة بالزواج، وحفظ الفرج، وجهوها إلى النبي ﷺ كالاحتلام، والغسل، والحيض، والترغيب في الزواج الشرعي، وكل ما يدفع إليه، والباءة وآداب الفراش، والإخوة في الرضاعة والمحارم وغض البصر، والتحذير من إشاعة ما يحصل بين الزوجين، والتحذير من فاحشة الزنى واللواط والشذوذ الجنسي وغيرها.

إن التربية الجنسية جزء لا يتجزأ من التربية العامة، فالتربية العامة هي عملية إعداد الفرد للحياة، إذ إنه لن تتحقق النتائج التربوية المرجوة إذا لم يكن هناك فهم ومعرفة واسعة للمبادئ العامة: التربوية، والنفسية، والأخلاقية، والثقافية.

والتربية الجنسية كأحد جوانب التربية العامة تعتبر مسؤولية المنزل كما أنها مسئولية المدرسة أيضاً، ولكن بالنسبة إلى مجتمعنا الشرقي والعربي نجد أن المنزل لم يؤهل بعد للقيام بهذه المهمة، مما يلقي العبء الأكبر منها على المدرسة، ولكن ليس معنى ذلك أن المعلمين وحدهم هم الذين يحتكرون هذه المهمة، بل إن الأطباء، والعلماء والاختصاصيين النفسيين والاختصاصيين الاجتماعيين يسهمون أيضاً في أداء هذه الوظيفة، مع مشاركة ولي الأمر المستنير.

المهم أن يكون الشخص المشارك على قدر كاف من الثقافة في العلوم المرتبطة بالتربية الجنسية مثل العلوم البيولوجية والعلوم الدينية، والعلوم الاجتماعية، وأن يكون متمتعاً أيضاً بدرجة كافية من الاتزان الانفعالي والصفات الخلقية الطيبة.

كما أن التسلسل الطبيعي في نقل الثقافة الجنسية، لابد من إحاطته برؤية تربوية صحية، تنقل الأطفال من مرحلة نمو إلى مرحلة نمو أخرى، بشيء من الهدوء والتوازن، الأمر الذي يساعدهم على تقبل الأفكار الخاصة بالتربية الجنسية، من دون انفعالات أو حرج أو حياء علمي، وفي الوقت نفسه يتيح الفرصة لكل من الأبوين والمدرسين للقيام بأدوارهم التربوية من دون خجل.

دور الأسرة في التربية الجنسية:

إن أسلوب الأبوين في التربية واتجاهاتهما نحو الطفل خلال الطفولة المبكرة تلعب دوراً مهماً في بناء فكرة الطفل عن ذاته وفي اتجاهاته نحو جنسه ونحو الجنس الآخر.

وقد لعب أسلوب التعامل بين الأب والأم مع بعضهما بعضاً دوراً مهماً في تكوين الاتجاهات الجنسية الإيجابية أو السلبية. ولكي تحقق الأسرة دورها كاملاً في التربية الجنسية لأبنائها يجب مراعاة الآتي:

١ ـ البدء في تربية الطفل تربية جنسيه منذ طفولته والأم تستطيع أن تقوم بدور مهم في هذه الناحية عن طريق عملية الرضاعة حيث إن هذه العملية تتصل بحاجة ملحة كبرىٰ لدىٰ الطفل في شهوره الأولىٰ .

٢ ـ حسن مواجهة الآباء لمسلك الأبناء جنسياً في الطفولة المبكرة حيث إن الطفل يعتمد علىٰ حاسة اللمس في استكشاف العالم المحيط به .

٣ ـ ضرورة تحري الصدق والأمانة في الإجابة عن تساؤلات الأطفال فيما يتعلق بالميلاد والتناسل ، مع تحلي الآباء بسعة الصدر .

٤ ـ ضرورة تقديم إجابات فورية لما يبديه الطفل أو يصدر منه من تساؤلات ، فتساؤلات الطفل مهما كانت تعد أموراً طبيعية وهو علىٰ حق في توجيهها .

دور المدرسة في التربية الجنسية:

يعتبر دور المدرسة مكملاً لدور الأسرة ولابد للمدرسة من دور في التربية الجنسية يكون بمثابة امتداد طبيعي للتربية الجنسية التي يقوم بها الآباء وتكملة لها .

والتربية الجنسية في المدرسة يمكن أن تتم في صورة محاضرات أو ندوات تطرح فيها الأسئلة المتصلة بالتربية الجنسية ويجيب عنها المختصون ، ويتحاور حولها التلاميذ تحت إشراف المرشدين المتخصصين ، وقد يدعي الآباء لحضور هذه الندوات والمحاضرات والمشاركة فيها ، وبذلك يكونون أقدر علىٰ الإجابة عن تساؤلات الأبناء في البيت .

وقد تتم التربية الجنسية أيضاً عن طريق التعرض للقضايا الخاصة بها من خلال علوم الشريعة أو التربية الدينية ، حيث لابد أن تناقش من خلالها القضايا والأحكام والتشريعات الخاصة بالختان والسلام والاستئذان ، والحيض والنفاس والحمل والولادة والزواج والطلاق . . إلخ .

والذي ينبغي التأكيد عليه هو أن التربية الجنسية في المدرسة لا تشكل في حال من الأحوال بديلاً للتربية الجنسية داخل الأسرة ولا ينبغي أن تتخذ ذريعة لأن ينفض الآباء أيديهم من مسؤولياتهم في هذه النواحي.

وفي الوقت الذي يتحتم علينا فيه مواكبة عصرنا، وملاحقة الركب المتقدم يتعين علينا أن نحافظ على ذاتيتنا وشخصياتنا المميزة لنا عن غيرنا، لأنها المحصنة لنا من الذوبان في غيرنا، ومن ثم نوصي بما يلي:

١ ـ تربية الأبناء على أسس الدين الإسلامي عقيدة وعبادة أخلاقاً وآداباً.

٢ ـ تربية الأبناء على أساس القدوة الحسنة، فالقدوة الحسنة تفعل في النفس ما لا تفعله الكلمات وحدها.

٣ ـ وجود علاقة تمتاز بالدفء العاطفي والرعاية والحنان والمودة والرحمة بين الطفل ووالديه.

٤ ـ تنشئة أبنائنا تنشئة شاملة متكاملة لا تقف عند حدود المعرفة فحسب ولاتقف أيضاً عند حدود التربية فحسب وإنما تحققهما معاً لفائدة جيل عربي مسلم ينبغي أن يعيش قلباً وقالباً إنسانية الإنسان.

٥ ـ أن نعطي لكل مرحلة من مراحل السن ما يناسبها من التربية الجنسية فبعد الميلاد نهيئه للتربية الجنسية بالأذان والإقامة في أذنه، وحسن تسميته، وفي مرحلة الطفولة نهيئ له جو الحوار والمناقشة ونشجعه على طرح الأسئلة ونهتم بالإجابة عنها، وفي سن المراهقة نعلمه آداب الاستئذان وفهم السلوك الراقي، وفي مرحلة الشباب نعلمه آداب الاستعفاف وآداب التعامل مع الآخرين.

٦ ـ أن يكون منهج التربية الجنسية بعيداً عن إثارة الغرائز، وأن يهتم المنهج ببناء فكر الإنسان (الطفل ـ المراهق ـ البالغ) بشكل علمي مدروس وذلك لكي نحافظ على سلامة عقول أبنائنا ونفوسهم.

٢ ـ التربية على الاهتمام بأمور بالمسلمين (١) :

من أخطر أمراض المسلمين المعاصرين، انفراط عقدهم وتشرذم أمتهم حتى صاروا تجمعات صغيرة مبعثرة، واستبدلوا برابطة العقيدة روابط دنيوية، وضعفت رابطة العقيدة والأخوة حتى وصل الأمر إلى تبلد الحس الإسلامي نحو رابطة الأخوة الإسلامية، فلو سربت وسائل الإعلام العالمية أحياناً بعض الأخبار عن عملية الذبح المستمرة للمسلمين، يسمعها المسلمون فيحوقلون ويسترجعون ـ ويا ليت كلهم يفعل ذلك ـ فأين هذا من المسلمين الذين قال عنهم رسول الله ﷺ : **«مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**(٢) .

والمعروف في الطب أن ارتفاع الحرارة في الجسم تساعده على مقاومة الجراثيم والبطش بها، وإذا وخزت شوكة إصبع القدم ثم مرضت هذه الإصبع تعم الحمى الجسد كله، فيستجيب لهذه الإصبع ويحشد الجسد قدراته لرد الجراثيم عنها. هكذا أراد رسول الله ﷺ من المسلمين أن يكونوا كالجسد الواحد.

وقال **الإمام النووي** ـ رحمه الله ـ (١٦/ ١٢٩) : «هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه».

ويقول **ابن حجر** ـ رحمه الله ـ (١٠/ ٤٢٩) : « فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح وفيه تقريب الفهم. . وفيه تعظيم حقوق المسلمين على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً».

وقد عنون **الإمام أحمد** ـ رحمه الله ـ هذا الباب بقوله : «باب الترغيب في شد أزر المؤمن ووده والعطف عليه والتألم لألمه».

---

(١) منار الإسلام شوال ١٤١٨هـ، فبراير ١٩٩٨ الأستاذ : خالد أحمد الشنتوت، مرشد تربوي بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

(٢) رواه البخاري ١ / ٢٧، ومسلم برقم ٢٥٨٦ .

كيف نهتم بأمر المسلمين؟

قال رسول الله ﷺ : «**من أصبح وهمه الدنيا، فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»(١) .

وفي رواية الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : «**من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم**»(٢) .

فكيف نهتم بأمر المسلمين؟

هل نسمع أخبارهم.. وندعو الله لهم؟

وهذا أقل ما نستطيع أم نفعل غير ذلك؟

يقول **الشيخ محمد الغزالي** ـ رحمه الله ـ : « والتألم الحق هو الذي يدفعك دفعاً إلىٰ كشف ضوائق إخوانك فلا تهدأ حتىٰ تزول غمتها، وتدبر ظلمتها فإذا نجحت في ذلك استنار وجهك واستراح ضميرك»(٣) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «لو أن بغلة عثرت علىٰ شاطئ الفرات لخشيت أن يعذبني الله، لِمَ لَمْ أُمَهد لها الطريق؟» .

فهذا عمر يعلمنا مدىٰ اهتمام المسلم الحق بالمسلمين في كل مكان .

ومن بدهيات الاهتمام بالمسلمين موالاتهم، وعدم موالاة أعدائهم، وهذا أمر من الله سبحانه وتعالىٰ، قال عز وجل : ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾ (آل عمران : ٢٨) .

وقال تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا** ﴾ (النساء : ١٤٤) .

---

(١) رواه الطبراني في مجمع الزوائد : ١٠/ ٢٤٨ .

(٢) رواه الحاكم، كنز العمال، جـ١٦، ص ١١، وكشف الخفاء، جـ٢، ص ٢٢٧ .

(٣) كتاب : خُلق المسلم، للشيخ محمد الغزالي، ص ٢٨٦ .

وقال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١). وقال أيضاً: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥).

ما معنى الولاء للمسلمين؟

يطلق الولي في اللغة على المحب والصديق والنصير والحليف والتابع، ومن القرآن الكريم اتضح لنا ذلك في الآيات التي ذكرت:

١ ـ ننصر المؤمنين ولا نخذلهم.

٢ ـ نربط مصيرنا بمصيرهم.

٣ ـ ولا نطيع الكافرين فيهم.

٤ ـ ولا نتردد في فضح مؤامرات الكافرين والمنافقين ومخططاتهم ضد للمؤمنين.

٥ ـ ونحبهم ونودهم أينما كانوا.

٦ ـ ونجالسهم ونجعلهم خاصتنا ونكثر سوادهم إلا لضرورة وحكمة.

٧ ـ ونطيع قياداتهم السياسية والعلمية، ونتشبه بهم لأن التشبه بهم اقتداء برسول الله ﷺ، هذه هي الصفة الأساسية للمسلم التي بدونها لايكون مسلماً.

ويقول **محمد سعيد القحطاني**: «من مقتضيات الولاء والبراء حق المسلم على المسلم. . فما ذلك الحق؟

١ ـ المودة: وهذه للمؤمنين من بعضهم لبعض، فليس للكافر ولا للفاسق ولاللمبتدع فيها نصيب، ومن هذه المودة حب المسلم لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه كما قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**(١).

---

(١) متفق عليه، كتاب الإيمان عندهما.

٢ـ **النصرة** : وهي واجب أخوئ إيماني على كل مسلم لأخيه المسلم من أي جنس كان، وفي أي أرض حل، وبأي لون كان ينصره بنفسه وبماله ، وبالدفاع عن عِرضه، ولذلك ورد التهديد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه قال ﷺ: « **ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ نصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب نصرته**»(١) .

ولو أردنا تتبع النصوص في هذا الشأن لطال الحديث، ولقد كان التحام المسلمين ونصرة كل منهم لأخيه مثالاً فريداً في تاريخ التلاحم والتناصر، ولن ينتصر المسلمون إلا إذا تحقق فيهم ـ بعد صفاء العقيدة ووضوحها ـ حب المسلم لأخيه كحبه لنفسه، وشعوره بآلام أخيه كشعوره بما يصيبه هو، وحب نصرته كما يحب أن ينصره هو، والله ينصر من ينصره، إن الله لقوي عزيز .

وتتحقق النصرة بعدة أمور منها :

الدفاع بالنفس عن الأخ المسلم ـ وكسر شوكة الظالمين ـ وبذل المال له لإعزازه وتقوية جانبه ـ والدفاع عن عرضه وسمعته ـ والرد على أهل الباطل الذين يريدون خدش كرامة المسلمين ـ والدعاء للمسلم بظهر الغيب بالنصر والتوفيق وتسديد الخطا ـ وتتبع أخبار المسلمين في أنحاء المعمورة والوقوف على أحوالهم، ودعمهم بقدر الاستطاعة . . كل هذه الأمور تحقق للإنسان ولاءه لإخوانه المسلمين وتجعله عضواً عاملاً صالحاً في جسم الكيان الإسلامي .

وولاء المسلم للمؤمنين إحدى خصائص السياسة الإسلامية، وهذه من ثوابت السياسة الإسلامية؛ لأنها سياسة عقيدة وليست سياسة مصالح . . كما هي عند الجاهليين .

---

(١) رواه أبو داود، أدب ٣٦ ، عن جابر، وأبي طلحة، وفي الترغيب برقم ٣٢٤٦ .

كيف نربي أولادنا على الاهتمام بالمسلمين؟

١ ـ متابعة أخبار المسلمين .

٢ ـ اهتمام البيت المسلم بالقضايا الإسلامية الكبرىٰ، وشرحها للصغار بما يناسب عقولهم، مثل قضية فلسطين، وكشمير، والبوسنة والهرسك، والشيشان وغيرهما، وتخلف المسلمين وتمزقهم، وتفوق الكافرين عليهم عسكرياً وحضارياً .

٣ ـ من خلال الاستماع إلىٰ نشرات الأخبار اليومية، وإظهار الاهتمام من قبل الأب والأم عند سماع أنباء سارة عن المسلمين، والتعبير عن فرحتهم بتقديم الحلوىٰ للأطفال بتلك المناسبة، أو التعبير عن حزنهم وألمهم عند سماع أنباء غير سارة عن المسلمين في أي مكان من العالم .

٤ ـ تأمين مجلة أسبوعية واحدة علىٰ الأقل، وأخرىٰ شهرية، تنقل أخبار المسلمين في العالم، ليقرأها سائر أفراد الأسرة، ويعلق أحد الوالدين علىٰ أهم حدث أسبوعي يتعلق بالمسلمين خلال الدرس اليومي للأسرة ويقدم تعريفاً مناسباً لأذهان الأولاد عن تلك المشكلة وأسبابها والحلول المقترحة لها، ثم يدعو أفراد الأسرة كلهم الله عز وجل كي يفرج عن أولئك المسلمين، ومجلة للصغار تهتم بهذا الموضوع عندما تتوفر .

٥ ـ توفير أشرطة فيديو تبين هذه القضايا الإسلامية العالمية، ليشاهدها الأولاد والبنات في البيت المسلم، وقد توفرت هذه الأشرطة حالياً في المكتبات بفضل الله عز وجل .

٦ ـ ومن الاهتمام بالمسلمين التعرف علىٰ الدعوات الهدامة التي تكيد للمسلمين، كالحرية التنصيرية ووسائلها في دس السم في العسل، وأماكن تواجدها، والمؤسسات المختفية وراءها، والتعرف كذلك علىٰ القاديانية والباطنية والشيوعية والعلمانية والصهيونية وغيرها . . وتحصين الناشئة ضد هذه الحركات الهدامة .

٧ ـ ومن الاهتمام بالمسلمين التعرف علىٰ بلادهم جغرافياً من خلال دراسة الكتب والمصورات عنها (مثل كتب الأستاذ محمود شاكر)، ويمكن أن تكون هذه

الدراسة في الدرس اليومي للأسرة مرة في الشهر أو خلال العطلات على الأقل، والقيام برحلة إن أمكن إليها، وخاصة في الصيف حيث تسافر كثير من الأسر إلى أوروبا لقضاء عطلة الصيف هرباً من الطقس الحار في بلادها، ويمكن السفر إلى البلدان المسلمة للتعرف عليها، بدلاً من التعرف على بلدان الكفار.

مشاركة المسلمين في قضاياهم:

١ ـ مشاركة الأسرة للمسلمين في بلد ما من العالم بفرحتهم كأن ينتصروا على عدوهم، ويحصلوا على الاستقلال أو يقيموا صرحاً حضارياً هاماً.. إلخ، حيث يظهر الوالدان فرحتهما أمام الصغار وتوزع الحلوى عليهم، وتعد الأم طعاماً خاصاً يحبه الأولاد بهذه المناسبة.

٢ ـ إظهار الحزن عندما تحل بالمسلمين جائحة، كالفيضانات، أو مقتلة دبرها لهم العدو، والدعاء لهم بالصبر والنصر على الأعداء، والتحدث أمام الصغار بذلك.

٣ ـ التبرع بالمال للقضايا المسلمة في العالم، مثل قضية أفغانستان، أو فلسطين، أو البوسنة والهرسك، أو الشيشان.. وغيرها، وتدريب الصغار وحثهم على التبرع بجزء من مدخراتهم لها، بعد تعريفهم بأن الله عز وجل ينمي هذا المال المتبرع به عنده، ليصل إلى مئات الأضعاف في الآخرة.

وهكذا نحاول إعادة أجيالنا القادمة إلى الأخوة في الله والتماسك كما أرادها رسول الله ﷺ فتكون الأمة الإسلامية كالبنيان المرصوص، يهابها أعداؤها فيحترمون مقدساتها ويكفون عن ذبح أبنائها ولله الأمر من قبل ومن بعد.

٣ ـ التربية المهنية:

أ ـ حرف ومهارات منزلية للبنت (١):

لابد للأم الواعية أن تدرب بناتها على مهارة تكون لها قيمة فيما بعد تساعد

---

(١) فن تربية الأولاد، د. محمد سعيد مرسي.

بها زوجها، وتشغل بها وقت فراغها بدلاً من الخروج للتسكع في الطرقات، أو النظر طوال اليوم من النافذة، أو الجلوس أمام التليفزيون.. ونذكر هنا نماذج من الحرف والمهارات التي يمكن أن تتعلمها البنت وتمارسها:

١ـ التطريز.

٢ـ أعمال الديكور.

٣ـ التفصيل والتريكو.

٤ـ طبع الصور والكلمات على الملابس والتيشرتات.

٥ـ الكتابة على الآلة الكاتبة والكمبيوتر.

٦ـ تصنيع المواد الغذائية كالمخللات والمربى وتعبئتها.

٧ـ تربية الطيور والحيوانات.

٨ـ تعليم مبادئ الإسعافات الأولية والتداوي.

كل هذه الحرف والمهارات يمكن أن تقوم الأم بتكليف صديقة أو قريبة لها بتعليم ابنتها، أو ترسلها إليها لتتعلم منها هذه الحرف وتلك المهارات، وكذلك يمكن لها أن تحضر لها كتباً تعليمية أو شرائط كاسيت وفيديو.

٢ـ مهارات حرفية للولد:

من المعلوم أن الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام بالرغم من انشغالهم بأمور الرسالة والسعي الدؤوب لإسلام الناس لرب العالمين كانت لهم جميعاً مهن حرة تتشابه أحيانا وتختلف أحياناً حسب البيئة التي يعيشون فيها، وحسب حاجة المكان في العرض والطلب..

فهذا **نوح عليه السلام** يتقن النجارة، ويتولى بنفسه صناعة السفينة، فيكون نجاراً.

وهذا **داود عليه السلام** كان يجيد الحدادة وصناعة الدروع الحربية.. قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ ﴾ (الأنبياء: ٨٠)، وذلك للحروب وحاجة الأمة في وقتها..

ولم يتكبر **الأنبياء** على الأعمال الحرة مهما كانت، ولو كان يعمل أجيراً . .

فهذا **موسى عليه السلام** قد أجر نفسه في رعي الغنم عشر سنين مقابل نكاح إحدى ابنتي العبد الصالح، قال تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)** ﴾ (القصص).

وهذا **نبينا محمد** ﷺ يرعى الغنم ويزاول التجارة، وكان يقول: «**كنتُ أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة**»(١) ، ويخرج للتجارة مع عمه أبو طالب للمرة الأولى وكان له من العمر اثنتا عشرة سنة، وللمرة الثانية عندما أرسلته السيدة خديجة مع غلامها ميسرة بالتجارة إلى الشام وكان له من العمر خمسة وعشرون عاماً.

والإسلام قدَّس العمل، وكَرَّم العمال. . واعتبر كسب الرجل من يده من أفضل القربات وأشرف الأعمال(٢) .

وعلينا أن نميز بين صنفين من الأولاد في تعلمهم امور المهنة والصنعة:

١. **صنف المتفوقين دراسياً** . . وهذا عليه أن يتابع تحصيله العلمي ويتقدم ويبدع فيه، ومع ذلك فعلى هؤلاء أن يتعلموا أثناء الإجازة أو الفرص المواتية لذلك ما يميلون إليه من حرفة أو صناعة. . لكونهم لا يدرون ما تواجههم به الأيام من حوادث ونكبات ورحم الله القائل: «صنعة في اليد أمان من الفقر».

ورضي الله عن عمر بن الخطاب حين قال: «إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول: أله صنعة؟ . فإن قالوا: لا، سقط من عيني».

٢. **صنف المتخلفين دراسياً** ، أي متوسطي وقليلي الذكاء، وهؤلاء بعد تعليمهم ما يلزمهم من أمور دينهم ودنياهم، يجب أن يتوجهوا إلى العمل المهني.

---

(١) رواه البخاري، إجارة ٢ .

(٢) راجع في باب الأخلاق إتقان العمل، وقيمة العمل.

٣ ـ أن تكون واضحة وصريحة :

ويتضح ذلك من خلال هذه الرسائل (١) :

الرسالة الأولى : من أب :

نُشِرَتْ في إحدىٰ الصحف الأمريكية، ثم نشرت بعد ذلك آلاف المرات، ونعيد نشرها هنا بتلخيص مجلة (ريدرز د ايجست) بعنوان: (بابا ينسىٰ)، وهي تفيض بالإحساس في كل كلمة منها، وتمتلأ بالعاطفة كل عبارة من عباراتها.

يا بني. . .

أكتب هذا وأنت راقد أمامي علىٰ فراشك، سادر في نومك، وقد توسدت كفك الصغيرة وانعقدت خصلات شعرك الذهبي فوق جبهتك الغضة. . فمنذ لحظات خلت كنتُ جالساً أطالع الصحيفة فإذا بفيض غامر من الندم يطغىٰ عليَّ، فما تمالكت إلا أن تسللت إلىٰ مخدعك وأخذ الضمير يصليني ناراً.

وإليك الأسباب التي أشاعت الندم في نفسي:

أتذكر صباح اليوم؟ لقد عنفتك وأنت ترتدي ثياباً تأهباً للذهاب إلىٰ المدرسة لأنك عزفت عن غسل وجهك، واستعضت عن ذلك بمسحه بالمنشفة، ولُمتك بأنك لم تنظف حذاءك كما ينبغي، وصحت بك غاضباً لأنك نثرت بعض الأدوات عفواً علىٰ الأرض.

وعلىٰ مائدة الإفطار، أحصيت لك الأخطاء واحداً واحداً فقد أرقت حساءك، والتهمت طعامك، وأسندت مرفقيك إلىٰ حافة المائدة، ووضعت نصيباً من الزبد علىٰ خبزك أكثر مما يقتضيه الذوق!

وعندما وليت وجهك شطر ملعبك واتخذت أنا الطريق إلىٰ محطة القطار، التفت إليَّ ولوحت لي بيدك، وهتفت: «مع السلامة يا بابا»، وقطبتُ لك جبيني

---

(١) فن تربية الأولاد في الإسلام، محمد سعيد مرسي، وقد ذكرتُ هذه الرسائل الأربع دون فصلها في باب الرسائل من هذه الوسوعة، وذلك ليكون فصل تربية الأولاد كاملاً شاملاً.

ولم أجبك، ثم أعدت الكرة في المساء، ففيما كنت أعبر الطريق لمحتك جاثياً على ركبتيك تلعب «البلي» وقد بدت في جواربك ثقوب، فأذللتك أمام أقرانك، إذ سيرتك أمامي إلى المنزل مغضباً، باكياً إن الجوارب يا بني غالية الثمن ولو كنت أنت الذي تشتريها لحافظت عليها، واعتنيت بها.

أفتصور هذا يحدث من أب؟

ثم أتذكر بعد ذلك، وأنا أطالع في غرفتي، كيف جئت تجر قدمك متخاذلاً، وفي عينيك عتاب صامت، فلما نحيت الصحيفة عني وقد ضاق صدري لقطعك على حبال خلوتي، وقفت بالباب متردداً، وصحت بك أسألك «ماذا تريد؟»، لم تقل شيئاً، ولكنك اندفعت إليَّ وطوقت عنقي بذراعيك وقبَّلتني، وشددت في ذراعيك الصغيرتين حولي في عاطفة أودعها الله قلبك الطاهر، مزدهرة، لم يقو حتى الإهمال على أن ينال منها!

ثم انطلقتَ مهرولاً تصعد الدرج إلى غرفتك!

يا بني: لقد حدث، بعد ذلك ببرهة وجيزة، أن انزلقت الصحيفة من بين أصابعي، وعصف بنفسي ألم عات.

يا الله! إلى أين كانت «العادة» تسير بي؟! عادة التفتيش عن الأخطاء؟

عادة اللوم والتأنيب؟ كان ذلك جزاءك مني على أنك ما زلت طفلاً؟

كلا لم يكن الأمر مجرد أني لا أحبك بل كان مرده أني طالبتك بالكثير، برغم حداثتك! كنت أقيسك بمقياس سني وخبرتي وتجاربي.

ولكنك في قرارة نفسك تعفو.. وكان قلبك الصغير كبيراً كبر الفجر الوضاء في الأفق الفسيح. فقد بدا لي هذا في جلاء من العاطفة النهمة التي حدت بك إلى أن تندفع إلى وتقبلني قبلة المساء!

لا شيء يهم الليلة يا بني! لقد أتيتُ إلى مخدعك في الظلام، وجثوت أمامك موصوماً بالعار، وإنه لتفكير ضعيف!

أعرف أنك لن تفهم مما أقول شيئاً لو قلته لك في يقظتك، ولكني من الغد سأكون أباً حقاً، سأكون زميلاً وصديقاً . . سأتألم عندما تتألم، سأضحك عندما تضحك، وسأعض لساني إذا اندفعت إليك كلمة من كلمات اللوم والعتاب، وسأردد على الدوام ـ كما لو كنت أتلو صلاتي ـ : «إن هو إلا طفل».

إن أشد ما يحز في نفسي أنني نظرت إليك كرجل . . إلا أنني وأنا أتأملك الآن منكمشاً في مهدك، أرى أنك ما زلتَ طفلاً، وبالأمس القريب كنت بين ذراعي أمك يستند رأسك الصغير على كتفها . وقد حملتك فوق طاقتك . .

الرسالة الثانية : من أم :

هذه الرسالة وُجِدَتْ على شبكة الإنترنت، ونشرها بريد الأهرام :

قالت الأم : وأنا في طريقي إلى البيت كدت أصطدم برجل كان يمر بجانبي فاعتذرت له وبادر هو أيضاً بالاعتذار فكلانا كان مهذباً ورقيقاً رغم أننا غريبان ولا يعرف كل منا الآخر . .

وفي المساء وأنا أستعد لتجهيز وجبة العشاء كان طفلي الصغير يقف خلفي صامتاً ولم يشعرني بوجوده وعندما استدرت لتناول بعض الأشياء كنت على وشك الاصطدام به فنهرته بشده وأمرته بعنف أن يغادر المطبخ، ولم أدر أنني قد كسرت قلبه الأخضر الرقيق بكلماتي الحادة والقاسية .

وقبل أن أذهب إلى الفراش مررت بالمطبخ فلاحظت على أرضيته بعض الورود الجميلة متناثرة هنا وهناك . كان طفلي الصغير يريد أن يفاجئني بها ولهذا كان وقوفه خلفي صامتاً حتى لا تضيع حلاوة المفاجأة . .

تساقطت الدموع من عيني حين اكتشفت الحقيقة فأسرعت إليه في فراشه وأيقظته من نومه وسألته عن تلك الورود فأجاب والنوم يداعب جفنيه :

«جمعتها من أشجار الحديقة لأنها تشبهك في رقتك وجمالك . . » .

وأرادت الأم أن تعتذر لصغيرها عن معاملتها القاسية فبادرها مبتسماً :

« لا عليك يا أماه فأنا أحبك وأعرف أنك تحبينني» .

وهنا سرحت الأم وهي تحتضنه وفكرت فيما لو أنها ماتت في الغد فإن الشركة التي تعمل بها سرعان ما تجد البديل لها خلال أيام، أما أُسرتها إن هي ماتت فستعيش في الحزن طوال حياتها. . واستخلصت الأم الحكمة من هذه الحكاية. .

فنحن نفني أعمارنا في العمل والجري وراء التطلعات التي لا تتوقف عند حد وننسىٰ في زحمة المشوار حياتنا الخاصة وأسرنا التي نتعامل معها بقسوة وَحِدَّة، في حين أننا نتعامل مع الغرباء برقة وهدوء إنها المعادلة المقلوبة والمعكوسة التي تنسينا أن الوئام والحب داخل الأسرة هو أسمىٰ غايات الحياة.

الرسالة الثالثة: من ابن:

والدي الغالي . .

سمعتُ أن شاباً صغيراً مر بجواره شيخ كبير، فوجده يبكي، فقال الشيخ للشاب: مالك يا بني - رحمك الله - تبكي؟!

فقال الشاب: رأيت أمي تشعل التنور بصغير الحطب، فخشيت أن يشعل الله بي وأمثالي من الصغار نار جهنم يوم القيامة، فذلك الذي أبكاني!!

والدي الغالي: لماذا لا أحس بما يحس به هذا الشاب؟!

ولماذا لا أعيش كما يعيش؟!

لأنك يا والدي - وبكل صراحة - ما ربيتني كما تربىٰ، ولا علمتني كما تَعَلَّم.

واسمح لي - يا والدي - أن أقسوا في العبارة قليلاً، يشجعني علىٰ ذلك حلمك بي، وعطفك عليَّ. . واستماعك الجميل لي.

إنك ربيتني لأكون عبداً للدنيا فعليها أعيش، ومن أجلها ألهث، وفي سبيلها أغالب، فهي محط آمالي، ومحور اهتمامي، ومنتهىٰ أحلامي، ولم تربني لأكون عبداً لله كما يحب الله، أستعد للقائه وأومن بقضائه، وألتزم بأمره، وأقف مذعناً عند نهيه، وهل خُلِقت الدنيا إلا من أجل الآخرة؟!

وسأبرهن لك علىٰ ذلك بمثال، وإن كانت الأمثلة علىٰ ذلك كثيرة ووفيرة،

فأنت تذكر ـ أيها الحبيب ـ عندما تأخرت عن المدرسة يوماً بدون عذر، ولم أصل لله تعالىٰ ركعة واحدة في ذاك اليوم، وأنت علىٰ علم بهذا واطلاع عليه.

أسألك بالله يا والدي علام وقع لومك وعتابك؟ وعلام كان عقابك؟

إنك يا والدي عاقبتني علىٰ تأخري عن المدرسة، ولكنك لم تعاقبني ولم تلمني ـ مجرد اللوم ـ علىٰ عدم صلاتي.

فهل تريدني أن أهتم بالدنيا أكثر من الدين؟!

وهل ترغب أن أخاف منك أكثر من خوفي من الله؟!

وهل تبتغي أن أُعَمِّر دنياي وأخرب آخرتي، فأنتقل من العمار إلىٰ الخراب عندما ينتهي بي الأجل؟!

لماذا حذرتني ـ يا والدي ـ من سخطك وعقابك؟

ولم تحذرني وتنذرني من سخط الله وأليم عذابه؟!

أكانت الدنيا أحب إليك من الآخرة؟!

أم كان الحطام الفاني العاجل أحب إلىٰ نفسك من النعيم الباقي الآجل؟!

قال رسول الله ﷺ: **«من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»**(١).

الرسالة الرابعة: من ابنة:

أمي الغالية:

عندما تأتين تجرين أقدامك جراً وتوصدين الباب خلفي لتنامي وأنظر إليك بعينين تدوران وتساؤلات تملأ عقلي الصغير، وأعود وأغلق عيني فأحلم.

أحلم بمن يحدثني.. أبحث عمن يجيب عن تساؤلاتي الصغيرة ولا أجد.

---

(١) رواه الترمذي ـ قيامة ٣٠، ورواه أحمد في المسند، جز ٥ ص ١٨٣، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

عندما تكونين مشغولة عني وأسمعك ترددين : أنا مشغولة . . أنا مشغولة . . فأنت لا تستحقين أن تكوني أمي .

عندما لا تكون في صدرك فسحة من التسامح وتثورين عليَّ لأنك متعبة لاتستحقين أن تكوني أمي .

عندما تفرغين فيَّ شحنات الغضب ، ومتاعب العمل ، وضغوط الحياة لاتكونين أماً حقاً .

علاقة أفتقد فيها الحديث والحوار والتفكير بصوت مسموع ، أبتعد عنك كثيراً .

أبتعد عنك طفلة . . وأبتعد عنك مراهقة . . وأكبر وحدي بظنوني وآلامي ومخاوفي وفرحي .

وتأتين في يوم يا أمي تبحثين عن تلك الفتاة الصغيرة فتجدينها بعيدة جداً .

تبحث عمن يؤنسها بعيداً عنك ، أنا لا أريد أن أحد من طموحك أو عملك أو واجباتك الاجتماعية ، ولكني أريد فسحة صغيرة من الزمن أجد فيها من يسمعني . . من يحدثني . . أتحدث معك عن رحلتي في مدرستي ، عن صديقتي التي كتبت لي بطاقة صغيرة . . عن زميتلي التي أهانتني ولم أعرف كيف أتصرف ، عن ربطة شعري التي ضاعت ومصروفي الذي نسيته اليوم؟

هل مفهومي للأمومة خاطئ؟

البيت يا أمي ليس جداراناً وأثاثًا . . البيت قلب يحتوينا .

أحلام نعمل على تحقيقها معاً . . ومخاوف نبعدها تماماً .

أنا وأنت يا أمي . . وما عدا ذلك لا شيء له قيمة .

يقولون : إنه عصر السرعة . . هل السرعة أصبحت في العواطف وفي التعبير عنها؟

أريد أن أشعر بحبك حتى أحب الدنيا .

أريد لمسة حنان أريد ضمة في حضنك .

أريد أن أداعب شعرك .

أنتِ أمي . . ولا أحد يلومني على ذلك .

٤ ـ أن تحتوي على الفقه اللازم للمرحلة :

ينحصر فقه هذا الفصل في النظر، فالولد لابد وأن يتعلم آداب النظر لأن :

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر

وحتى لا تكون نظرة، ثم خطرة، ثم خطوة، ثم خطيئة. . والوقاية أفضل من العلاج، فنبدأ بوقاية أبنائنا، قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله»**(١).

١ـ أدب النظر إلى المحارم (٢) :

١ ـ **المحرمات بسبب النسب**، وهن سبع نسوة، قال تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ**﴾ (النساء: ٢٣).

٢ ـ **المحرمات بسبب المصاهرة**: أربع نسوة، وهن: زوجة الأب، وأم الزوجة، وبنت الزوجة، وزوجة الابن، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ** ﴾ (النساء: ٢٢). ﴿ **وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ** ﴾ (النساء: ٢٣).

٣ ـ **المحرمات من الرضاع** : قال تعالى: ﴿ **وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ** ﴾ (النساء: ٢٣). ويقول الرسول ﷺ: « **يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»(٣) .

و يحرم على المحرم الذكر ـ ولاسيما إذا بلغ سن المراهقة ـ أن يرى أحد

---

(١) رواه الترمذي، فضائل الجهاد، ١٢ ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، طبعة دار السلام، جـ٢، ص ٥٠٢ .

(٣) رواه البخاري، تفسير سورة٣٣ ، نكاح ٢٧ ، أدب ٩٣ ، ومسلم، رضاع ٥ .

محارمه من النساء وقد ارتدت الثياب القصيرة التي ارتفعت إلىٰ ما فوق الركبتين وكشفت عن الفخذين أو ارتدت ثوباً يصف أو يشف ما تحته وبدت العورة التي يحرم النظر إليها.

كما يحرم علىٰ البنت أو المرأة أن ترىٰ ذلك ـ بين السرة والركبة ـ من أحد محارمها، ولو كان ابنها أو أخاها أو أباها، وإن أمنت الفتنة ولم تخف الشهوة ولو من أجل التغسيل والتدليك في الحمام عند استحمام الأولاد.

٢ـ أدب النظر إلى المخطوبة:

روىٰ مسلم أن النبي ﷺقال للمغيرة بن شعبة حينما أراد الخطبة: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»(١).

وعلى الخاطب أن يراعي هذه الآداب:

١ـ لا يجوز أن ينظر الخاطب إلا إلىٰ الوجه والكفين.

٢ـ يجوز تكرار النظر إذا دعت الحاجة حتىٰ تنطبع الصورة في ذهنه.

٣ـ يجوز أن تحدثه ويجوز أن يحدثها في جلسة الخطوبة.

٤ـ لا يجوز مصافحة المخطوبة بحال لكونها أجنبية، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة في المبايعة قط**»(٢).

٥ـ لا يجوز أن يجتمع الخاطب بالمخطوبة إلا في وجود أحد محارمها، لأن الإسلام يُحَرِّم الخلوة بالأجنبية.

٣ـ أدب النظر إلى الزوجة:

يجوز للزوج أن يرىٰ من زوجته كل شيء بشهوة أو بدون شهوة، لأن المس والجماع جائز فلا يمنع ما دونهما وهو النظر.

---

(١) رواه الترمذي، نكاح ٥، والنسائي، نكاح ١٧، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه البخاري، شروط ١، تفسير سورة ٦٠.

والدليل عن معاوية بن حيدة قلت : «يارسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟» ، قال : «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**»(١) .

فالأصل جواز الرؤية لكل شيء ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦)** ﴾ (المؤمنون) .

٤ـ أدب النظر إلى المرأة الأجنبية:

المرأة الأجنبية هي : من يحل للرجل الزواج منها (ابنة عمه ـ ابنة عمته ـ ابنة خالته ـ ابنة خاله ـ زوجة أخيه ـ زوجة عمه ـ زوجة خاله ـ أخت زوجته وعمتها وخالتها . . وكل امرأة يحل له الزواج منها) .

الرجل الأجنبي هو : من يحل للمرأة الزواج منه (ابن عمها ـ ابن عمتها ـ ابن خالها ـ ابن خالتها ـ زوج أختها ـ زوج خالتها) .

لا يجوز للرجل البالغ أن ينظر إلى امرأة أجنبية ولو كانت غير مشتهاة ، ويلحق بالرجل الصبي إن كان مراهقاً أو مميزاً يفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يجوز لأحدهما النظر إلى المرأة الأجنبية والأصل قول الله تعالى : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ (النور : ٣٠) .

والأحاديث في ذلك :

قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي ، فيما يرويه عن رب العزة سبحانه : «**النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي، أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه**»(٢) .

---

(١) رواه أبو داود، حمام ٥ ، أدب ٢٢ ، والترمذي، أدب ٢٢ ، ٢٩ ، وابن ماجة، نكاح ٢٨ ، وأحمد ٥/ ٣ ، ٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن .

(٢) رواه الطبراني ، والحاكم ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود ، وفي كشف الخفاء : ٢/ ٣٢٨ أقره العراقي ، وضعفه المنذري عن حذيفة .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنا، فهو مدرك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطَى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»(٢) .

٥ ـ أدب نظر الرجل إلى الرجل:

لا يجوز أن ينظر الرجل فيما بين سرته إلىٰ ركبته سواء كان الرجل المنظور قريباً أو بعيداً، وسواء أكان مسلماً أو كافراً.

أما البطن والظهر والصدر يجوز إذا أمن الناظر الشهوة، والأصل في ذلك قول رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة**»(٣) .

وروىٰ الحاكم أن النبي ﷺ رأىٰ رجلاً مكشوف الفخذ فقال له موجهاً ومرشداً: «**غط فخذك فإن الفخذ عورة**»(٤) .

وعلىٰ هذا لا يجوز للرجل أن يكشف من سرته إلىٰ ركبته، سواء في رياضة أو تدريب أو سباحة حتىٰ ولو أمره أحد بذلك، لأنه: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»(٥) .

---

(١) رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وفي مجمع الزوائد ٢/ ١١٥ ورواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.

(٢) رواه مسلم، قدر ٢١ .

(٣) رواه مسلم ، حيض ٧، ٧٤ .

(٤) رواه البخاري، صلاة ١٢ .

(٥) في مجمع الزوائد: ٢/ ٣٦٩، ورواه الطبراني في الأوسط، أحمد ٥/ ٦٦، ورجال أحمد رجال الصحيح.

٦ـ أدب نظر المرأة إلى المرأة:

لا يجوز أن تنظر المرأة إلى المرأة ما بين سرتها إلى ركبتها سواء كانت المرأة المنظورة إليها قريبة أم بعيدة، وسواء كانت مسلمة أو كافرة. والأصل الحديث: «**لاينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة**».

وعلى هذا يحرم على المرأة أن تنظر إلى فخذ ابنتها أو أختها أو أمها أو جارتها أو صديقتها، لا في حمام ولا في غيره.

٧ـ أدب نظر المرأة الكافرة إلى المرأة المسلمة:

يحرم على المرأة المسلمة أن تكشف شيئاً من مفاتنها أمام امرأة كافرة إلا ما يبدو عند المهنة أو الخدمة كاليدين والوجه والرجلين.

وكذلك الحال لا يجوز أن تكشف المرأة المسلمة شيئاً من مفاتنها أمام امرأة مسلمة فاجرة.. حتى لا تصف محاسنها عند الرجال.

٨ـ أدب النظر إلى الأمرد:

الأمرد هو الشاب الذي لم تنبت لحيته (١٠ ـ ١٥ سنة) الحسن الوجه، ويجوز النظر إليه لضرورة البيع والشراء والتعليم ـ أما النظر إليه من أجل التلذذ بالجمال فهو حرام، لأنه يجر إلى شهوة وفتنة.

٩ـ أدب نظر المرأة إلى الأجنبي:

يجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجال وهم يمشون ويلعبون ألعاباً غير محرمة أو في البيع والشراء وهذا الجواز له شرطان:

أ ـ ألا يترتب على النظر فتنه.

ب ـ ألا يكون التحديق في مجلس واحد موجهة ومقابلة.

١٠ ـ أدب النظر إلى عورة الصغير:

جائز إذا كان ابن أربع سنين ذكراً أو أنثى، فإذا زاد عن أربع فعورته القبل والدبر وما حولها.. حتى إذا بلغ حد الشهوة صارت عورته كعورة البالغ.

١١ـ حالات يباح فيها النظر لضرورة وأمور طارئة:

١ـ النظر بقصد الخطبة .

٢ـ النظر بقصد التعليم، وذلك بشروط منها (أن يكون العلم معتبراً شرعاً ـ أن يكون في حدود اختصاصها (تمريض ـ ولادة) ـ ألا يخش من النظر إلى الوجه فتنة ـ ألا يترتب على التعليم خلوة ـ لا يوجد نساء يقمن بالتعليم مكان الرجال) .

٣ـ النظر بقصد المُداواة. . فإن أم سلمة استأذنت في الحجامة، فأمر النبي ﷺ أبا طيبة أن يحجمها. فمعالجة الطبيب للمرأة الأجنبية لا تجوز إلا بشروط منها : (أن يكون الطبيب تقياً أميناً ـ لا يكشف من أعضاء المرأة إلا بقدر الحاجة ـ لايوجد امرأة مختصة تعالج ـ أن تكون المعالجة في وجود محرم ـ أن لايكون الطبيب كافراً مع وجود طبيب مسلم) .

٤ـ النظر بقصد المحاكمة والشهادة: يجوز للقاضي والشاهد أن ينظرا من المرأة إلى الوجه والكفين وإن خافا الفتنة، لأن في النظر إحقاق حق ودفع ظلم[١] .

٥ـ أن تكون لها نتائج طيبة :

وتأتي هذه النتائج ـ بعون الله وتوفيقه ـ إذا توافرت هذه الصفات :

١ـ صفات البنت الصالحة :

هناك صفات عملية للمسلم لابد وأن يطبقها، وإلا أصبح الإسلام عنده أمراً نظرياً لا دخل له بالحياة .

فتربية البنات على هذه الصفات أمرٌ لازم، لأن هذه الصفات تشمل جميع الجوانب الوجدانية والمهارية والمعرفية، وتشتمل على الأخلاق والعبادات والمعاملات بما يحقق لأبنائنا تربية إسلامية شاملة كاملة .

---

(١) توصية للآباء والمربين، بقراءة كتاب : تربية الأولاد في الإسلام، د. عبدالله ناصح علوان، وكتاب: فن تربية الأولاد، د. محمد سعيد مرسي .

الصفة الأولى : سلامة العقيدة :

- الإيمان بأركان الإيمان الستة .
- التزام الأدب مع الله .
- تؤمن بالغيبيات والثوابت والسمعيات .
- لا تتلفظ بكلمات كفر أو شرك .
- لا تحلف بغير الله .
- تقاطع السحرة والمشعوذين .
- المحافظة على الصلاة .
- اجتناب الأمثال التي تسيء للإسلام .
- عدم سب الريح والمطر والديك والدنيا .
- عدم التلفظ بلفظ اللعنة .

الصفة الثانية : صحة العبادة :

- أداء العبادة على الوجه الأكمل أسوة برسولنا .
- الحرص على أداء الصلاة لوقتها .
- تكثر من قول لا إله إلا الله .
- تحرص على السنن والوتر والضحى .
- تحافظ على الدعوات والمأثورات .
- تحرص على ورد قرآني يومي .
- دراسة كتب الفقة .
- الالتزام بالآداب كما علمنا رسولنا .

الصفة الثالثة : متانة الخُلق :

- الصدق فلا تدعي جاهاً .
- الأمانة في كل التعاملات .

- عدم التجسس على أحوال الغير.
- الرحمة فلا تؤذي الجيران والأولاد.
- أن تتمتع بصراحة وشجاعة، وتعترف بالنقص.
- التواضع للفقراء والبسطاء.
- التعاون في العمل.
- كظم الغيظ عند مواجهة الأخطاء.
- أن تمسك لسانها وتغض بصرها.
- ألا تصر على رأي شخصي.
- ألا تتعصب لحكم شرعي.
- ألا ترفع على بسيط العمل.
- أن تهدي جيرانها وأهلها.
- أن تفيض على الأهل والأسرة.

الصفة الرابعة: ثقافة الفكر (الثقافة الإسلامية):

- تعرف معنى الدين والإسلام.
- تعرف دور المسلم وواجبه نحو الدين.
- شمولية الإسلام وأنه هو الحل.
- تتعود طلب العلم.
- تحيط بواقع المسلمين وأعدائهم.
- تحيط بعلوم وتاريخ الإسلام.
- تكون على معرفة بالمذاهب والحركات.
- تلم بسير أمهات المؤمنين.
- الإلمام بسيرة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.
- الإلمام بسيرة الأنبياء السابقين.

الصفة الخامسة : قوة الجسم :

ـ التعود على النظافة العامة .

ـ الاهتمام بالتغذية السليمة للأولاد .

ـ الاهتمام بالصحة العامة للجسم .

ـ الاهتمام بالتطعيمات والكشف الدوري .

ـ الاهتمام بالرياضة .

الصفة السادسة : أن تكون نافعة لغيرها :

ـ تساعد غيرها بما لديها من علم أو مال أو خبرة أو وقت أو جهد .

ـ تساعد الأطفال والمرضى والعجزة .

ـ تشارك الآخرين في العزاء والفرح .

ـ تزور المستشفيات والملاجئ .

ـ المشاركة في معارض التكافل الاجتماعي .

ـ توزيع حقائب المناسبات .

ـ إعطاء دروس مجانية أو محو الأمية .

ـ المساعدة في تنظيف مسجد النساء .

الصفة السابعة : الحرص على وقتها :

ـ تقتصد في مشاهدة التليفزيون وفترينات المحلات وتقتصد في الذهاب إلى الأسواق إلا للضرورة .

ـ لا تزور أحد إلا بموعد سابق ولا تطيل الزيارة ولا التوديع .

ـ تخصص وقتاً للرياضة .

ـ تخصص وقتاً للتلاوة ولسماع شريط ولزيارة في الله .

ـ تخصص وقتاً لصلة الرحم وعيادة المريض .

ـ تعد جدول مواعيد وواجبات وتتهيأ للموعد قبل الميعاد بوقت كاف .

ـ تجمع أكثر من عمل في وقت واحد وتقتصد في الوقت على قدر ماتستطيع .

الصفة الثامنـة : مجاهدة لنفسها :

- تطيع ولي أمرها دون مراجعة .
- تصوم ثلاث أيام شهرياً .
- تواظب على النوافل الراتبة .
- تنتظم في الورد القرآني .
- تدفع الوسوسة في الوضوء والصلاة والرياء في أي عمل تقوم به .

الصفة التاسعة : القدرة على الكسب :

- تختار زوجاً يتحرى الحلال وتذكره دائماً بتحري الحلال .
- تؤدي زكاة المال والفطر وتحث وليها على القيام بها .
- تعبر عن القناعة والرضا بالرزق المباح .
- تتبسط في ثيابها وأثاث بيتها .
- تجتنب الربا .
- تعف عما في يدي غيرها .
- تتطوع بالصدقة .
- أمينة في البيع والشراء والامتحانات والقول والعمل .
- تمارس هواية مربحة .
- منضبطة في عملها الحياتي .

الصفة العاشرة : أن تكون منظمة في شئونها :

تبرمج وقتها ليله ونهاره لأداء ما هو عليها وتدعو غيرها إلى التنظيم (وقت التـلاوة ـ وقت الزيارات ـ وقت الرياضـة ـ وقت المذاكـرة ـ مع الأولاد ـ وقت القراءة ـ وقت الزوج ـ وقت شراء الاحتياجات . . .) وهكذا .

٢ ـ صفات الابن الصالح :

هذه الصفات يطبقها في حياته واقعاً عملياً . . فهي تشمل جميع جوانب حياته وتشمل أيضاً الأخلاق والعبادات والمعاملات ليتربى الابن تربية إسلامية شاملة كاملة . . فمن هذه الصفات :

١ ـ سلامة العقيدة :

يراعي في تثبيت هذه النقطة في قلوب الأبناء أن تذكره دائماً بالأشياء العملية وما خلق الله تعالى له . . مثلاً تقول له : انظر يا بني لهذه الشجرة كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة ، وهذه اليد . . وهذه العين . . وهذا الطعام . . انظر للبيضة وما فيها(١) ، ثم تُعلّمه الإيمان بالله والملائكة والأنبياء واليوم الآخر والجنة والنار .

الوسائل العملية التي تعين على ذلك (٢) :

١ـ شرح حديث أركان الإيمان «**أن تؤمن بالله وملائكته..**»(٣) .

٢ـ غرس محبة الله في نفوس الأولاد بتوضيح فضل الله علينا .

٣ـ غرس روح المراقبة في نفوس الأولاد وتلقينهم (الله معي ـ الله شاهدي ـ الله ناظر إليّ) .

٤ـ معاونة الأولاد في حفظ أسماء الله الحسنى .

٥ـ تعويد الأولاد الاستعانة بالله في كل أمورهم : «**يا غلام إني أعلمك كلمات.. احفظ الله يحفظك**»(٤) .

٦ـ تنفيذ رحلات تفكر ومشاهدة أفلام الإعجاز العلمي ، والتفكر في مخلوقات الله .

٧ـ معاونة الأولاد ، أن يكون لهم ورد يومي ، وأذكار صباح ومساء .

---

(١) راجع الباب الأول من هذا الكتاب .

(٢) صفات الابن الصالح ، محمد الجندي .

(٣) رواه البخاري ، إيمان ٣٧ ، ومسلم ، إيمان ٥ ، ٦ .

(٤) رواه الترمذي وأحمد ، سبق تخريجه .

٨ـ اصطحاب الأولاد لأحد المستشفيات لزيارة المرضى وتوضيح نعم الله والدعاء لهم بالشفاء «اللهم رب الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً»(١) .

٩ـ تعويد الأولاد عند مقابلتهم للمعاقين أن يدعوا بهذا الدعاء : « الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً»(٢) .

١٠ـ تصحيح بعض الأخطاء الشائعة (الحلف بغير الله ـ التوسل بالموتى أو الأحياء) .

الصفة الثانية : صحة العبادة:

١ـ تعريف الأولاد مفهوم العبادة الشاملة أنها : أخلاق ـ ذكر ـ دعاء ـ تلاوة قرآن ـ جهاد ـ تفوق، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام : ١٦٢) .

٢ـ تعليم الأولاد أداء العبادات عملياً وضوء ـ صلاة .

٣ـ وضع لوحات تعليمية لكيفية الوضوء والصلاة، بالمنزل، والمدرسة، والمسجد

٤ـ مكافأة الأولاد على المحافظة على الصلاة وأفعال الخير .

٥ـ معاونة الأولاد على قراءة ورد يومي .

٦ـ تعريف الأولاد بأن الله يكافئ الطائعين ويعاقب المقصرين .

٧ـ اصطحاب الأولاد إلى المسجد للصلاة ومجالس العلم .

٨ـ تعويد الأولاد على إخراج جزء من المصروف كصدقة .

٩ـ معاونة الأولاد على حفظ الأدعية لكل الأحوال ويمكن أن تشتري لهم المطويات والكتيبات التي تحويها أو تهديها إليهم وبذلك تشجعهم على اقتناء الإصدارات .

---

(١) رواه البخاري، مرضى ٢٠، ٣٨، ٤٠، ومسلم، سلام ٤٦ـ٤٩ .

(٢) رواه الترمذي، دعوات ٣٧ ، وابن ماجة، دعاء ٢٢، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

الصفة الثالثة : مجاهداً لنفسه :

١ـ تعريف الأولاد بأن الهدف من الحياة هو عبادة الله .

٢ـ تعريف الأولاد بأن الله محاسبنا عما قدمناه ، قال تعالىٰ في سورة الزلزلة :
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

٣ـ بيان فضل الصحبة الصالحة وعاقبة الصحبة الفاسدة لقوله ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[١] .

٤ـ معاونة الأولاد في اختيار أصدقائهم ومشاركتهم في الرحلات .

٥ـ ممارسة بعض العبادات مع الأولاد مثل (صلاة الفجر ـ الأذكار ـ الورد القرآني)

٦ـ تشجيع الأولاد علىٰ الاشتراك في أنشطة الكشافة والمعسكرات الصيفية بالمدارس ومراكز الشباب والأندية .

٧ـ أن تساعدهم علىٰ تنفيذ جدول المتابعة وتشجيعهم .

٨ـ الاتفاق علىٰ شعار أسبوعي لقيمة أو خلق يتعاون الجميع في تنفيذه ويفضل أن تكون القيمة أو الخلق من الأشياء المفتقدة في الأسرة عند الكل أو البعض الغالب .

٩ـ مشاركة الأولاد في الأنشطة الرياضية ووضعهم في اختبارات عملية للتخلص من الغضب .

١٠ـ مساعدة الأولاد علىٰ محاسبة أنفسهم كل ليلة .

الصفة الرابعة : متانة الخلق [٢] :

ومنها الصدق ـ الأمانة ـ الصبر ـ العدل ـ الرحمة ـ قول الحق ، وكذلك يتعلم حسن المعاملة ، وحسن الأدب وذلك للحديث عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**»[٣] .

---

(١) رواه الترمذي وأحمد (سبق تخريجه) .
(٢) راجع باب الأخلاق من هذا الكتاب .
(٣) رواه ابن ماجة (سبق تخريجه) .

ومن الوسائل العملية:

١ـ توفير القدوة الحسنة.

٢ـ معالجة المشكلات أولاً بأول كالكذب والسرقة برفق ولين.

٣ـ تعريف الأولاد بجزاء الأخلاق الحسنة وتحذيرهم من الأخلاق السيئة.

٤ـ ترشيد استخدام التلفاز وإيجاد البديل ـ كمبيوتر ـ فضائيات.

٥ـ تعويدهم على الأخلاق الكريمة بالتدرج مثل خلق:

■ **الصدق:** من خلال عدم التفريق بين انواع الكذب فلا تقول كذبة بيضاء.. عدم ترك الولد يفلت بكذبة دون إشعاره أنه قد كذب ـ لا يسخر من زملائه بنكات كاذبة ـ الاعتراف بالخطأ فلا يكذب على المدرسة أو والديه خوفاً من العقاب ولكن يخاف من الله، وأن الله في كل مكان، ويتذكر قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (المجادلة: ٧).

■ **الأمانة:** عدم إفشاء الأسرار ـ وعدم نقل الكلام الذي يسمعه ـ رد الأمانات ـ المذاكرة أمانة فيجب إتقانها ـ رد المال الزائد أو المشتريات الزائدة فور اكتشاف ذلك ـ عدم الاطلاع على الأشياء الخاصة بالغير ـ عدم الغش في الامتحانات ـ رد اللُقطة لأصحابها بعد تعريفها.

الصفة الخامسة: قوة الجسم:

قال الحجاج لمؤدب بنيه: «علموهم السباحة قبل الكتابة فإنهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح لهم»، فالتربية الجسمية عامل أساسي لأنها تساعد على أداء العبادات، والسعي على الرزق، والدعوة.

لذلك لابد من الوسائل العملية، مثل: الكشف الطبي الدوري ـ الاعتناء بالتغذية السليمة ـ تشجيعه على الاشتراك في النادي الرياضي ـ تعليمه السباحة

والدفاع عن النفس ـ يتعود ممارسة ورد رياضي (جري ـ رفع أثقال ـ تمارين سويدي . .) مدارسة الغزوات ـ نظافة الجسم اليومية ـ تحذيره من التدخين وصحبة السوء والأكل من الباعة الجائلين ـ عدم تعويده على الكسل والنوم .

الصفة السادسة : مثقف الفكر (الثقافة الإسلامية) :

قال ﷺ : «**العلم في الصغر كالنقش على الحجر**»(١) .

ومن الوسائل العملية: إرشاد الولد لأهمية الثقافة ـ اشتراكه في الأنشطة المدرسية (إذاعة ـ صحافة ـ مكتبة ـ مناظرات ـ تنظيم وقت الولد ـ تشجيعه على الاشتراك في المسابقات ـ مساعدة الولد على تكوين مكتبه خاصة . . تزويده ببعض الكتب تجويد تاريخ ـ علوم ـ فقه ـ جغرافيا العالم ـ إمداد الولد بالإصدارات العلمية ـ تعليمه الكمبيوتر والإنترنت ـ اصطحابه لزيارة أحد العلماء أو الدعاة للقدوة .

الصفة السابعة : قادراً على الكسب :

يجب تربية الولد منذ الصغر على أن يتعلم حرفة أو عملاً بجوار التعليم والثقافة ، ومن الوسائل العملية :

١ـ توضيح أهمية العمل وفضله في الإسلام ، وأن اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى ، وقول الرسول ﷺ لأحد أصحابه وكانت يده خشنة من العمل : «**من أمسى كالاً من عمل يده، أمسى مغفوراً لـه**»(٢) .

٢ـ توجيهه الولد إلى احترام أصحاب المهن الحرة وفضلهم على المجتمع ، وعدم التكبر عليهم .

---

(١) رواه البيهقي عن الحسن البصري ، وأخرجه ابن عبد البر بلفظ : «طلب الحديث في الصغر كالنقش على الحجر» ، ورواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ : «مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر ، ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء» .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ، والأصبهاني من حديث ابن عباس ، وفي الترغيب ٢٤٧٠ من حديث عائشة .

٣ـ إلحاق الابن في الإجازة ببعض الأعمال أو الحرف ـ صيدلية ـ ورش نجارة ـ سباكة ـ كهرباء ـ مكتب كمبيوتر ـ مكتب هندسي ـ خطاط .

٤ـ المساعدة في تشجير ونظافة الحي .

٥ـ الاشـتراك في المسابقات الابتكارية ، على أن يكون في مجال يهواه الولد .

٦ـ تدريب الولد على إصلاح بعد الأعطال البسيطة في البيت (تغيير جلدة حنفية ـ إصلاح رجل كرسي ـ تغيير مصباح كهرباء) .

الصفة الثامنة : الحرص على وقته:

أن يعرف الولد لماذا خُلِق، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (الذاريات : ٥٦) . وأنه خُلِقَ للخلافة في الأرض، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً..** ﴾ (البقرة: ٣٠) .

ولإيجاد القدوة الطيبة في ذلك: ننصح بزيارة العلماء لمعرفة كيف يستثمر وقته، وتعويده المحافظة على الوقت أثناء زيارة الأهل والأحباب والجيران واللعب معهم .

الصفة التاسعة : أن يكون منظماً في شئونه:

النظام سُنَّة كونية من سنن الله، قال تعالى: ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ (يس: ٤٠) .

ومعنى النظام في حياة الولد أن يحدد مكاناً للملبس، وآخر للأحذية، وآخر للمذاكرة، ويقوم بتنظيم حقيبته المدرسية، ويرتب فراشه أثناء جلوسه ومنامه، ولابد أن يعرف الولد أهمية النظام، وأنه من سمات المسلم، وأن يعرف أن النظام يؤدي إلى الاستقرار والسكينة ـ وأن يعرف مظاهر النظام في الملبس ـ المدرسة ـ حجرته ـ أدواته .

وعليه أن يعرف الولد أن لكل مقام مقالاً، وهذا يسمى الالتزام النفسي والخلقي مدارسة سيرة النبي ﷺ والصحابة والإعلام مساعدة الولد في تنفيذ جدول

منظم الوقت حث الولد على أداء الصلوات في جماعة وذلك من مظاهر النظام اليومي في الكون. مشاركة الوالدين في تنظيم شئون البيت ـ القدوة من الدعاة والعلماء.

الصفة العاشرة : أن يكون نافعاً لغيره :

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مشى في حاجة أخيه قُضِيَت أم لم تُقض كان خيراً له من أن يعتكف شهراً في مسجدي هذا»**[(١)]

وقال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[(٢)].

فيتعود الولد المسارعة لمساعدة الغير منذ مرحلة الطفولة لتنشأ روح الانتماء للوطن والمحافظة عليه والمسارعة لمساعدة ذوي الحاجات الخاصة ومساعدة الكبير والأهل في المنزل والمدرسة.

ومن الوسائل العملية: أن يعرف الولد فضل قضاء حاجة الغير، وأن هناك صوراً كثيرة لقضاء حاجة الغير ـ تحذير الولد من إيذاء الغير ـ والفرح لفرح الآخرين، والحزن لحزنهم ـ الاندماج في عمل المجتمع ـ إنشاء صندوق للمساعدات وتشجيع الطفل على المساهمة فيه ـ إعطاء الولد النقود لإعطائها للمساكين أو الفقراء ـ تعويد الولد قضاء حاجة البيت والجيران إذا لزم الأمر.

رقائق في تربية الأولاد : أيها الآباء :

١ ـ علِّموا أولادكم أن الله مطلع عليهم، خبير بأحوالهم، مراقب لهم، وبينوا لهم كيف نعبده حق العبادة كما ذكر القرآن الكريم في وصية لقمان الحكيم لابنه:
﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ... ﴾ (لقمان: ١٦ـ١٩).

---

(١) وفي رواية: «كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين».. رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وفي الترغيب ٣٨٠١، راجع أيضاً تخريج أحاديث الإحياء، جـ٤، ص ٤٧٤.

(٢) رواه البخاري، إيمان ٧.

٢ ـ عظ ولدك، وادع له بين يدي الله تبارك وتعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا...﴾ (نوح: ٤٢).

٣ ـ أرشد ولدك أن له عدواً يريد أن يغويه، كما أخرج أبويه من الجنة، وهو يريد أن يوقع العداوة بينه وبين إخوته: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف: ٥).

٤ ـ اعلموا أن صلاحكم هو ما تدخرونه لأولادكم الضعفاء، قال تعالىٰ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩).

أيها الآباء.. أيتها الأمهات :

انهضوا بمسؤولياتكم، وقوموا بواجباتكم، لتسعد المجتمعات الإسلامية بصلاح أولادكم وأسركم، ولتنهض الأمة من سُباتها، وتتسلم موقعها في قيادة البشرية، وتقوم بدورها في هداية العالم من الضلال، وتأخذهم من الجاهلية إلىٰ نور الحق ورسالة الإسلام، والله رقيبٌ عليكم، قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

الباب السابع

فقه التعامل مع المناسبات

الفصل الأول : مناسبات عامة ثابتة :

المبحث الأول : التأصيل الشرعي للمناسبات والاحتفال.

المبحث الثاني : المناسبات الإسلامية :

المناسبة الأولى: رمضان .

المناسبة الثانية : الحج والعمرة .

المناسبة الثالثة : الهجرة .

المناسبة الرابعة : ربيع الأول .

المناسبة الخامسة : الإسراء .

الفصل الثاني : مناسبات فردية طارئة :

مناسبة الموت .

الباب السابع

فقه التعامل مع المناسبات

تمهيد :

للمناسبات أثرٌ بالغ الأهمية في حياة الشعوب.. ولذلك تهتم الشعوب جميعها بالمناسبات البارزة في حياتها.. فهناك أمم تتخذ هذه المناسبات أعياداً قومية تنظم لها الاحتفالات، وهناك أمم أخذت تاريخها من هذه المناسبات، مثل الأمَّة الإسلامية التي اتخذت من الهجرة بداية التاريخ الإسلامي.. فهذه مناسبة مهمة ليس في تاريخ الأمَّة الإسلامية فحسب، وإنما في تاريخ البشرية كلها، فكانت بداية لانطلاق مشعل الهداية، وإذا أردتَ أن تعرف عظم المناسبة فعليك أن ترصد ما أحدثته هذه المناسبة من تغيير في حياة البشرية جمعاء.

فالبشرية كلها مدينة للإسلام الذي أسهمت مناسباته العظيمة، وقيمِه الرفيعة في إحياء موات الشعوب.

■ **فهذا ميلاده ﷺ** يقول فيه الشاعر :

وُلِـدَ الهُدىٰ فالكائناتُ ضياءُ وفَمُ الزمـانِ تَبَسُّمٌ وثَنَاءُ

■ **وهذه بعثته ﷺ**، التي جاءت تتويجاً للنضج العقلي للبشرية، يقول تعالىٰ :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ (العَلَق).

وما أعظم ما قاله جعفر بن أبي طالب. رضي الله عنه. للنجاشي:

« أيها الملك . . كُنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا علىٰ ذلك حتىٰ بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلىٰ الله لنوحده ونعبده، وأمرنا بصدق الحديث، وأداءالأمانة، وصلة الرحم، وحُسن

الجوار، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، فصدَّقناه، وآمنا به، واتَّبعناه».

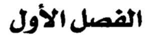
■ **وهذه هجرته** ﷺ التي غيَّرت وجه الدنيا بأسرها، ولا تزال آثار الهجرة مستمرة . . وستظل . .

والمهاجر . . من هجر ما نهىٰ الله عنه (الحديث) . .

الهجرة رحلة هادينا   رضي الإسلام لنا دينا

■ **وهذا معراجه** ﷺ الذي كان إيذاناً بتشريع الصلاة وزوال منكرات البشرية من ربا وفاحشة.

■ **وهذه أعياد المسلمين**. . كلها تأتي بعد الطاعة . . فهذا عيد الفطر (يوم الجائزة) يأتي بعد فريضة الصيام، وهذا عيد الأضحىٰ يأتي بعد فريضة الحج إلىٰ بيت الله الحرام.



الفصل الأول

مناسبات عامة ثابتة

المبحث الأول : التأصيل الشرعي للمناسبات والاحتفال.

المبحث الثاني : المناسبات الإسلامية :

المناسبة الأولى : رمضان .

المناسبة الثانية : الحج .

المناسبة الثالثة : الهجرة .

المناسبة الرابعة : ربيع الأول .

المناسبة الخامسة : الإسراء .

الفصل الأول

مناسبات عامة ثابتة

المبحث الأول

التأصيل الشرعي للمناسبات والاحتفال

أولاً: مناسباتنا الإسلامية بين الاحتفال والاعتبار:

إن القيمة الحقيقية للأحداث تكمن في قدرتها على الإضافة إلى الواقع والتأثير فيه . . والاستثمار الأمثل لهذه المناسبات يكمن في فهم المراد الأصلي للحدث(١).

نتحدث عن هذه القضية من خلال محورين رئيسين:

المحور الأول: مشروعية الاحتفال بالمناسبات الإسلامية:

ماذا يقول العلماء(١)؟

١ ـ يقول الشيخ السيد عسكر:

لم يكن السلف الصالح يحتفلون بهذه المناسبات على الإطلاق لأنهم كانوا يطبقون الإسلام فلم يكونوا بحاجة إلى الاحتفال بهذه المناسبات ولكن بعد ابتعاد المسلمين عن تعاليم الإسلام في واقعنا الحاضر أصبح من الواجب على الدعاة والعلماء تذكير الناس بأيام الله، واستثمار هذه المناسبات، قال تعالى لموسى: ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (إبراهيم: ٥)، كما قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٥٥).

---

(١) مجلة الرسالة عدد ٢٤، ص ٢٨، الشيخ مرسي بسيوني.

(٢) تحقيق أجرته مجلة الرسالة، العدد ٢٧، ص ٤٥ وما بعدها مع الشيخ السيد عسكر، د. المسير، د. محمد عبدرب النبي.

أي ينبغي أن نستفيد ونحتفل بأيام الله بالهجرة والمولد النبوي وكل المناسبات الطيبة التي تذكر المسلمين بأمجادهم وبنعمة الله عليهم حتىٰ يحولوا حاضرهم البائس إلىٰ حاضر مشرق ومستقبل باسم.

إذا كان الاحتفال بهذا الغرض فلا بأس فيه أما الاحتفال الذي تسوده البدع والخرافات، فهذا أمر مرفوض فالرسول ﷺ لما وجد اليهود في المدينة يصومون عاشوراء سألهم عن سبب صيامهم فقالوا: لأن الله نجىٰ فيه موسىٰ وأهلك فرعون فقال ﷺ: «**نحن أولى بموسى منكم**»، وصام هذا اليوم تخليداً لهذه الذكرىٰ.

ومما رُوي عن الرسول ﷺ أنه كان يكثر من صيام الاثنين والخميس ولما سُئل عن صيام الاثنين قال: «**هذا يوم ولدت فيه**»، وهذا يؤسس فكرة الاحتفال بمولد الرسول ﷺ لنُذكر الأمة بماضيها ونُهيئها لمستقبلها.

٢ ـ يقول د.محمد سيد أحمد المسير:

المناسبات الدينية فرصة لإحياء القيم الإسلامية وهي فرصة جيدة لإعادة الوعي لدىٰ المسلمين بقيم إسلامية ينبغي المحافظة عليها واستثمارها في واقع الأمة، فعلىٰ سبيل المثال الهجرة النبوية تذكر المسلم بجهاد الأولين السابقين في الإسلام، وكيف تحملوا البأساء والشدة في سبيل نشر دينهم وكيف أقاموا الدولة والحضارة الإسلامية وعندما تأتي مناسبة المولد النبوي يتجدد العهد والميثاق مع الله ورسوله، بالحفاظ علىٰ هذا الدين القيم الذي بُعث به سيدنا محمد ﷺ والرسالة العالمية التي يحملها وعندما تأتي مناسبة الإسراء والمعراج تجدد في المسلم الوعي بقيمة مقدساته الإسلامية، وضرورة الحفاظ عليها والدفاع عنها، والاستمساك بها فالكعبة المشرفة والمسجد النبوي والمسجد الأقصىٰ، وأرض سيناء المباركة كل هذه مقدسات حول المسجدين (الحرام والأقصىٰ) يجب علىٰ المسلم أن يعمل جاهداً للحفاظ عليها وتطهيرها من كل دنس بحيث تظل معالم هداية ورشد للبشرية جمعاء.

وأشار الدكتور المسير: إلىٰ أن المناسبات الإسلامية تنطوي تحت قول الله تعالىٰ: ﴿**وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾ (إبراهيم: ٥)، وهناك بعض محدودي الفهم يرفضون الاحتفال بهذه المناسبات ويقولون: إنه ليس في الإسلام أعياد إلا الفطر والأضحىٰ،

وهذا فهم قاصر؛ لأننا عندما نقول مناسبات إسلامية ننظر إلى المعنى اللغوي الذي هو التذكير بالمناسبة، ولسنا نخترع عبادات ونربطها بهذه المناسبات فلا حرج على الناس من السرور وتجديد العهد، واتخاذ هذه المناسبات كمعالم على الطريق.

واستنكر الدكتور المسير تفريغ هذه المناسبات من مضمونها منتقداً الذين لايعرفون عن مولده ﷺ إلا شراء الحلوى، غافلين عن معرفة منهجه في معاملة أهل بيته وأولاده وفي جميع مناحي الحياة.

مضيفاً: أو تأتي بعض الطرق الصوفية مثلاً لتقيم الاحتفالات المصحوبة بتمارين ورقص، وقد يشرب فيها ـ أحياناً والعياذ بالله ـ ما يغضب الله ـ عز وجل، ويمر وقت الصلاة دون أن يؤدوها فذلك مخالف لتعاليم الإسلام.

وأكد أنه مما يدل على مشروعية الاحتفال بالمناسبات الإسلامية احتفالاً مثمراً خالياً من الخرافات والبدع والانحرافات ـ ما ذكره الله تعالى بشأن هجرته ﷺ: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**﴾ (التوبة: ٤٠).

فهذه الآية نزلت بعد حادث الهجرة بسنين عديدة، وكأن الله أراد أن يذكر الغافلين وأن يخبرهم أنه لن يتخلى عن رسوله وأنه لا يزال مؤيداً له في الحاضر كما أيده في الماضي.

فهذا يدل على مشروعية تذكير الناس بالمناسبات الإسلامية، واستخراج المعاني والعظات والعبر منها التي تكون مصباحاً كاشفاً للطريق للمسلم حتى يكون على بينة وبصيرة.

٣ ـ والسؤال: كيف كان رسول الله ﷺ يحتفل بالمناسبات الدينية والدنيوية ويربطها بالواقع الذي يعيشه الناس؟

يجيب عن ذلك **الدكتور محمد يسري ـ أستاذ الدراسات الإسلامية ـ** فيقول:
إن رسول الله ﷺ كان يستغل كل مناسبة ليربط الناس بقضية الإيمان لأنها هي القضية الكبرى في هذه الحياة التي من أجلها خلقنا الله ـ عز وجل ـ ومن أمثلة تلك المناسبات الكسوف والخسوف، وهي مناسبة طارئة وغير معتادة، فاستثمرها رسول

الله ﷺ وقال للناس : «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ولا ينكسفان لموت أحد فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة**»(١) . ففي الجزء الأخير من الحديث جاء يربط بين المناسبة التي تمر بالمسلمين وقضية الإيمان .

ويضيف د. محمد يسري أن هناك مناسبات على مستوى اليوم والليلة ، وأخرى على مستوى الأسبوع ، ومناسبات على مستوى السنة .

■ **فعلى مستوى اليوم والليلة** نرى طلوع الشمس من المشرق وغروبها من المغرب مناسبة معتادة ، وسُنَّة كونية نراها كل يوم وهي أعظم الأدلة الإيمانية على وجود الله ووحدانيته ، فلما حاج إبراهيم عليه السلام النمرود كانت هذه الآية هي الفاصلة في قضية الإيمان وبُهت النمرود ، ولم يستطع مقارعة حجة سيدنا إبراهيم عليه السلام لما قال له : ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**﴾ (البقرة : ٢٥٨) .

■ **ومن المناسبات الأسبوعية** التي تمر بنا يوما الاثنين والخميس من كل أسبوع في هذين اليومين ترفع أعمال العباد ولأجل ذلك كان النبي ﷺ يحب صيام هذين اليومين رابطاً ذلك بقضية الإيمان فيقول : «**وأنا أحب أن يُرفع عملي وأنا صائم**»(٢) . . . عندما سُئل عن صيامهما ، ومن هنا كان احتفاله بيوم مولده كل أسبوع يوم الاثنين ؛ لأنه ولد فيه وأنزل عليه فيه الوحي ، وهنا إشارة من النبي ﷺ لنا أن الاحتفال ليس بالإسراف والتبذير ، ولكن بالتقرب من الله وتهذيب النفس ، ولم يذكر أن رسول الله ﷺ قد خصص يوم الاثنين الأول من شهر ربيع الأول بالاحتفال ولكن كان يصوم كل اثنين من كل أسبوع .

■ **أما على مستوى العام** فهناك شهر من المناسبات الإسلامية مثل شهر رمضان بما يشتمل على مناسبات : غزوة بدر ، وفتح مكة ، وليلة القدر ، وهناك

---

(١) رواه البخاري كسوف ١ ، ٦ ، ١٣ ، ١٥ ، بدء الخلق ٤ ، ومسلم كسوف ٦ ، ١٠ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ .

(٢) رواه الترمذي كتاب الصوم ، باب ٤٤ ما جاء في صوم الاثنين الخميس حديث رقم ٧٤٧ وقال : حسن ، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير ٢ / ٣٢٣ للشيرازي ، الدارمي صوم ٤٢ .

العشر الأوائل من ذي الحجة وعيدي الفطر والأضحىٰ، وقد ربط الإيمان والتوحيد بين كل هذه المناسبات، فشهر رمضان أنزل فيه القرآن، وفي الحج يكون النداء والشعار هو التوحيد له: لبيك اللهم لبيك، وكذلك في الطواف ورمي الجمرات، فإما يكون معها تكبير لله، أو توحيد لله لا شريك له.

ومن هنا يتضح لنا أن رسول الله ﷺ ما ترك مناسبة دينية معتادة أو طارئة إلا ربطها بقضية الإيمان والتوحيد.

فهل احتفالاتنا اليوم تراعي هذا الربط؟

وهل نستثمر الاحتفالات الدينية التي تحدثنا عنها في اليوم والأسبوع والسنة لتذكير الناس بصلة الرحم، وبر الوالدين والإحسان إلى الفقراء؟

إننا بحاجة إلىٰ تذكير الناس طوال العام بمعجزات الرسول ﷺ وخصائصه التي انفرد بها.

٤ ـ هل الاحتفالات سنة أم بدعة؟

يجيب د. **محمد عبدرب النبي** فيقول: لابد أن نبحث في مسألتين:

الأولى: ما هو مفهوم السنة والبدعة؟

الثانية: ما الطرق المتبعة في الاحتفال بالمناسبات الدينية لتحكم عليها بالسنية أو البدعية؟

■ **أولاً: بالنسبة للسُنَّة**، فالأصل فيها الطريقة أو السيرة، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ ونهي عنه، وندب إليه قولاً أو فعلاً، مما لم ينطق به القرآن.

أما البدعة اصطلاحاً فهي الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال، وفي حديث عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: «نعمت البدعة هذه»، وقال ابن الأثير في كتابه: «النهاية في غريب الحديث والأثر»: البدعة بدعتان:

بدعة هدىٰ، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله

ورسوله فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهو من الأفعال المحمودة ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأن النبي ﷺ قد جعل له في ذلك ثواباً فقال: «**من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها**»(١).

■ **ثانياً: أما عن كيفية الاحتفال بهذه المناسبات والمواسم**: فهناك طرق مختلفة منها: اجتماع حلقات العلم على أحد العلماء ليبين للناس فضل هذه المناسبات ويذكرهم بأيام الله أو يشرح لهم الأحداث العظيمة التي وقعت في هذه المناسبات أو بإطعام الطعام وصلة الأرحام، ولا شك أننا إذا تأملنا في مفهوم السنة والبدعة كما قرر العلماء فيما سبق أدركنا أن هذه الأمور لا تتنافى مع ما جاء به الشرع بل هي داخلة تحته، وهي مما يحقق مقاصد الشرع الحنيف.

المحور الثاني: كيف تنتفع الأمة بالمواسم والمناسبات؟

إن الاحتفال بالمناسبات الإسلامية يكون لترسيخ قيم في المجتمع.

والقيم تُبنى في المجتمع من خلال الأعمال التراكمية للقيم وهذه الأعمال تسلك جميع المسارات فأحياناً تحث على القيمة وأحياناً تُذكر بها وأحياناً تدفع إليها ـ كما تتكامل جهود المؤسسات والأفراد في بناء هذه القيم، فبناء هذه القيم إذن يحتاج إلى:

ـ صبر ومثابرة. ـ التكرار المستمر. ـ تخطيط لفترات طويلة.

ـ جهود مخلصة تراقب الله تعالى.

القيم في نظر الإسلام:

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**»(٢).

---

(١) رواه مسلم، علم ١٥، زكاة ٦٩.

(٢) رواه مسلم، بر ١٣٨، جنة ٤٨.

وعن أبي هريرة أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي من الحرام فأنى يُستجاب لذلك**»(١).

هذا الحديث له أهمية كبرىٰ في حياتنا المعاصرة لما أصاب هذه الحياة من تصدع للبناء القيمي الإسلامي.

إن سلوك الناس في حياتهم أساسه ما يعتقدون من أن هذا الشيء أو ذاك له قيمة أو ليست له قيمة.

مثلاً: قيمة العلم: أنت تطلب العلم لأنك تعتقد أن للعلم قيمة، أو لأنك ترىٰ أن العلم سبباً في منفعة معنوية أو مادية لها قيمة تستحق بذل الجهد والتضحية من أجلها، فإذا كنت ترىٰ أن العلم لا يحتوىٰ علىٰ شيء له قيمة أو لا يؤدي إلىٰ شيء له قيمة انصرفت عن طلب العلم مهما تكن الدعوة إليه.

س: من أين تكتسب الأشياء قيمتها؟

- تختلف الحياة في ظل الإسلام عنها في ظل غيره من النظم فالمسلمون يستمدون نظرتهم إلىٰ قيمة الأشياء من عقائدهم وتربيتهم الدينية أو موروثاتهم الثقافية.
- وترتيب هذه القيم يكون حسب أولوياتها في البناء الشامل لسلم القيم وفي هذا السُلم تكون القيمة الأعلىٰ حاكمة علىٰ القيمة التي هي أدنىٰ منها، فتأتي قيمة: التسليم لله وطاعة رسوله « فوق القيم جميعاً»(٢).

ثانياً: القيم والمناسبات الإسلامية:

لكل مناسبة قيمة رئيسية نتذكرها دائماً كلما حلت المناسبة، وسوف نذكر في كل مناسبة هذه القيمة الرئيسية بالتفصيل ثم نذكر باقي القيم إجمالاً.

---

(١) رواه مسلم، زكاة ٦٤.

(٢) مجلة منار الإسلام محرم ١٤٢٠ هـ أبريل ١٩٩٩م، ص ٣٦، القيم في نظر الإسلام، أ.د. يحي هاشم فرغلي.

فائدة: من خلال عرض قيم المناسبات سنجد الآتي :

١ ـ تكرر قيم كثيرة في كل المناسبات وهذه فائدة من فوائد المناسبات كما ذكرنا وهي : ترسيخ القيم لأن هذه المناسبات للعمل والاجتهاد وليست للترفيه والتسلية .

٢ ـ هذا الباب يحتوىٰ علىٰ جميع القيم التي ذكرناها تفصيلاً أو إجمالاً في أبواب الموسوعة فأجملنا هنا المفصل وفصلنا المجمل واكتفينا بالإشارة إليه في مكانه .

٣ ـ يحاول المسلم أن يُلزم نفسه هذه القيم تطبيقاً عملياً وأسرته أيضاً ثم يقوم بنشر هذه القيم في مجتمعه والمحيطين به وأفضل صور النشر لهذه القيم أن تكون أنت قدوة فيها وتتحرك بها واقعاً عملياً .

٤ ـ اجتهد في استنباط قيم من هذه المناسبات أنت في حاجة إليها في العصر الذي تُوجد أنت فيه ولا تتوقف عند قوالب معينة فهذا الدين هو الأصل في جميع العصور ، فمثلاً في وسائل المواصلات والاتصالات قال الله تعالىٰ : ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (النحل : ٨) من سيارات وطائرات وقطارات وتليفونات وشبكة الانترنت وغير ذلك مما يكتشف بعد علىٰ مر الأجيال والعصور وصدق الله تعالىٰ : ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ (الأنعام : ٣٨) .

المبحث الثاني

المناسبات الإسلامية

المناسبة الأولى : رمضان

ونتناوله من خلال خمسة محاور :

المحور الأول: من الإعجاز العلمي في الصيام .

المحور الثاني: ماذا تفعل ؟ . . أولاً : قبل رمضان . . ثانياً : أثناء رمضان . . ثالثاً : بعد رمضان .

المحور الثالث: رمضان شهر الخير . . لماذا؟ وكيف؟ ولماذا يفرح الصائمون؟

المحور الرابع : دليل الصائم .

المحور الخامس: فتاوىٰ رمضانية للنساء .

المحور السادس : القيم في شهر رمضان .

وإليك ـ أخي القارئ الحبيب ـ تفصيل هذه المحاورة الخمسة :

المحور الأول : من الإعجاز العلمي في الصيام :

كل ما أمر به القرآن الكريم . . إنما هو لتحقيق الخير للإنسانية . . فيقول ربنا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) ﴾ (البقرة) .

وقد أثبت العلم أخيراً . . أن الصوم هو وقاية وشفاء للإنسان من أخطر أمراض العصر ولنقرأ ما قاله هؤلاء العلماء . .

يقول **الطبيب الأمريكي البروفيسور (بندكت)** ما نصه :

هل الجسم يتغذى أثناء الصيام؟

والجواب : يخطئ من يعتقد أن الإنسان لا يتغذىٰ إذا امتنع عن الطعام، لأن الجسد يظل يأكل رغم الصوم وأول ما يأكله الجسد هو هذه المواد الضارة السامة التي توجد داخل كل جسم، أي أن جسد الإنسان يأكل نفسه، وأول ما يأكله هـذه المواد الدهنية الموجودة بكثرة في جميع الأجساد وتهبط كمية الدهن والشحم الموجودة حول القلب والأجزاء الأخرىٰ، والشيء المذهل حقاً أن الجسد عندما يأكل نفسه فإن العناية الإلهية تجعل هذا التآكل لا يطبق إلا علىٰ المواد الضارة السامة غير الضرورية لنا .

والإنسان عندما يصوم تزول التخمرات الموجودة في المعدة والأشياء الناتجة عن هذا التخمر (كَحَب الشباب وغيره) .

والصوم يجعل القلب يعمل بنشاط أكثر لأنه يجعل الدم أصفىٰ وأنقىٰ كذلك الطحال والكبد والمرارة فإنها تبلغ الذروة من قوتها أثناء الصيام .

والشيء المفيد أن النخاع لا يتأثر بالصوم ولا ينقص منه شيء، بل علىٰ العكس تزداد طاقته أكثر وهكذا القلب .

يقول **الدكتور روبرت بارنولو** : «إن الصوم من الوسائل الفعالة للتخلص من الميكروبات ومنها ميكروب الزهري لأنه فيه إعادة بناء الخلايا من جديد وآخر الأبحاث في جامعات أمريكا نؤكد أن الصوم وقاية وعلاج من مرض السكر» .

حتىٰ روسيا التي تحارب الأديان عامة والإسلام خاصة [١] اعترفت بما للصوم من خير . . فقد نشرت (مجلة الأغذية) الصادرة في موسكو عدد يناير سنة ١٩٧٦م تقول : **(الجوع من أجل الصحة)** . . ويجب علىٰ كل مواطن أن يمارس الجوع التام لمدة ٣ ـ ٤ أسابيع بصفة دورية سنوياً بهدف تخليص الجسم من النفايات والمواد السامة .

يقول الأطباء : «إن الامتناع عن الأكل لشيء ما هو أساس طبي للعلاج .

---

(١) جريدة اللواء الإسلامي العدد ٧٧، سنة ١٩٨٣م .

فمثلاً مريض السكر لا يأكل الأطعمة الحلوة كثيراً. ومريض الكلى لا يأكل اللحم، ومريض الضغط وتصلب الشرايين لا يأكل الدهنيات ومريض قرحة المعدة لا يأكل مواد حريفة (بهارات) وهكذا. . » .

انتبه : وقد رجع هؤلاء الأطباء إلى سجلات الاستقبال في مستشفى الدمرداش وعين شمس بالقاهرة على مدى سنتين متتاليتين في شهر رمضان باستثناء حالات الحوادث كانت المستشفى خالية . لم يكن به إلا الإصابات وحالات الزائدة . لم يتردد على قسم الاستقبال في هذه المستشفيات مريض بأزمة قلبية والنتيجة التي نخرج بها أن المسلم الصائم لا يصاب بأي أزمات مرضية وذلك لأن الصيام يترك فرصة لخلايا الجسم أن تتجدد (١) .

ما ورد من الأدلة الشرعية :

عن المقدام بن معد يكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه يحسب بن أدم أكيلات يقمن صلبة فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»**(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا»**(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أن رجلاً صام يوماً تطوعاً ثم أعطى ملء الأرض ذهبا لم يستوف ثوابه دون يوم الحساب»**(٤) .

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»**(٥) .

---

(١) المصدر السابق، وسيأتي تفصيل لذلك في المحور الثالث : «لماذا يفرح الصائمون؟».

(٢) رواه الترمذي، زهد ٤٧ ، وحسنه ، وابن ماجة، وابن حيان في صحيحه ، وأحمد ٤/ ١٣٢ ، وفي الترغيب، المجلد الرابع برقم ١٣١٠ .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، ورواته ثقات.

(٤) رواه أبو يعلى، والطبراني، ورواته ثقات ، والمنذري برقم ١٤٠٧ .

(٥) رواه البخاري ، جهاد ٣٦، ومسلم، صيام ١٦٧ ، ١٦٨ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها الأبواب والسماء ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»**(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر»**(٢) .

وفي رواية لمسلم وعند الترمذي والنسائي : **«والعمرة إلى العمرة»**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٣) .

« ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٤)

المحور الثاني : ماذا تفعل :

أولاً : قبل رمضان.. استقبال رمضان.. يبدأ من متى وكيف؟

استعداد النبي ﷺ لرمضان :

كال النبي ﷺ يستعد لرمضان من أول شهر رجب . . عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : **«كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر وكان يفطر حتى نقول لايصوم»**(٥).

ووصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صيام النبي ﷺفي شعبان فقالت :

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٣٠٥،-والترمذي، جنة ٢ ، ودعوات ١٢٨ ، وابن ماجة، صيام ٤٨ ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، وصححه ، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم، وسبق تخريجه.

(٣، ٤) البخاري، إيمان ٢٥ ، ٢٧ ، صوم ٦ ، ليلة القدر ١ ، ومسلم، مسافرين ١٧٥ .

(٥) رواه البخاري، صوم ٥٢ ، ٥٣ ، ومسلم، صيام ١٧٥ ، ١٧٩ .

« كان يصوم حتى نقول لا يفطر، وما استكمل رسول الله ﷺ صيام شهر إلا رمضان، وما كان في شهر أكثر صياماً منه في شعبان»(١) .

استعداد الصحابة لرمضان.. الاستعداد بالقراءة..

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إذا دخل شعبان انكب الصحابة على المصاحف فقرأوها وأخرجوا زكاة أموالهم تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان» .

استقبال شهر رمضان:

استقبالك لأي شيء يتحدد حسب معرفتك لأهمية الشيء وقيمته وفضله .

نبذة في فضل رمضان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة سبحانه: **«كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»**(٢) .

فالمسلم الذي لا يستفيد من رمضان محروم ، إنه في ضياع طول السنة ، بل طول العمر ، ومن لم يربح من سوق رمضان باء بالخسران ، ففي الحديث: «صعد النبي ﷺ المنبر فقال **«آمين.. آمين.. آمين»**، فقلنا له في ذلك، فقال: **«أتاني جبريل وقال: يا محمد من أدرك رمضان وانتهى رمضان ولم يُغفر له أبعده الله، فقل: آمين، فقلتُ: آمين.. يا محمد من أدرك والديه ولم يُغفر له أبعده الله، فقل: آمين، قلتُ: آمين.. يا محمد من ذكر اسمك أمامه ولم يصل عليك أبعده الله، فقل: آمين، فقلتُ: آمين»**، وفي رواية الترمذي: **«رغم أنف رجل»**(٣) .

فعليك بكل ثانية من رمضان فرمضان فرصة للرحمات والغفران . .

فمن خاض البحر اللجاج فلم يطهر فماذا يطهره؟!

(١ ، ٢) رواه البخاري، صوم ٥٢ ، ٥٣ ، ومسلم، صيام ١٧٥

(٣) حديث حسن، رواه ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه، مجمع الزوائد: ٤/ ٤٢٠ .

ثانياً: أثناء رمضان:

الذهاب إلى العمل: فبعض الناس في رمضان يتراخىٰ في العمل، ويكسل، فيقل إنتاجه، وتكثر انفعالاته بحجة الصيام، ولذا نذكر بعض النصائح المهمة:

١ ـ بعد صلاة الضحى:

تذهب للعمل فرمضان شهر عمل وليس شهر كسل أو تراخٍ، فذروة الجهاد كانت في رمضان «معركة بدر ـ فتح مكة ـ العاشر من رمضان..» ليس شهر النقص في معدلات الأداء لأن الإتقان عبادة سائر العام، والانضباط في العمل يجعل الدخل حلالاً، وتجنب أن تسيء لأحد في العمل بحجة أنك صائم، فقد قال ﷺ: «**فإن سابه أحد أو قاتله قال: إني صائم إني صائم**»[1].

ولا تنظر إلىٰ العمل علىٰ أنه ضياع لوقت الصيام.. بل اجعل عملك هذا عبادة لخدمة نفسك والمجتمع. احرص علىٰ صلاة الظهر جماعة في وقتها ولاتؤخرها إلىٰ أن تعود إلىٰ منزلك..

٢ ـ ماذا تصنع النساء في هذا الوقت؟!

إذا كنتِ في المنزل فاجعلي هذا الوقت فترة إعداد الطعام.. حتىٰ تتفرغي بعد صلاة العصر للعبادة وعليك فعل الآتي:

أ ـ وأنت تقومين بإعداد الطعام استحضري نية إفطار صائم، لتأخذىٰ مثل أجر الصائمين.

ب ـ الأكل وسيلة لِلتَّقَوِيِّ علىٰ الطاعة وليس غاية فرمضان ليس شهر الطعام بل شهر الصيام.

جـ ـ علىٰ الأسرة أن تحاول أن تشترك في إعداد طعام لأسرة فقيرة.

د ـ اقتصاد يوم في الإفطار.. وتتبرع به الأسرة لدولة مسلمة فقيرة في فلسطين مثلاً.

---

(١) رواه البخاري، صوم ٢، ومسلم، صيام ١٦٣.

هـ ـ في وقت إعدادكِ للطعام . . استمعي إلى القرآن ـ أو محاضرة ـ أو ذكر ـ استغفار ـ دعاء . .

٣ ـ من بعد العمل إلى صلاة العصر:

القيلولة لحديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

«قيلوا فإن الشياطين لا تقيل » (١) .

٤ ـ من العصر إلى المغرب :

صلاة العصر من البردين ، لقول رسول الله ﷺ :

«من صلى البُردين دخل الجنة» (٢) .

وبعد صلاة العصر تجلس جلسة أسرية تجتمع فيها الأسرة لتدريس القرآن وتلاوته ـ سيرة النبي ـ أذكار المساء ـ ثم الدعاء والتأمين . . لأن الأُسر والعائلات تحتاج هذه الأجواء النورانية ، فهي تذيب الخلافات بين الزوجين ـ وتشد الملائكة إلى البيت ، وتطرد الشياطين(٣) .

٥ ـ من المغرب إلى العشاء:

أ ـ لحظة الفرح : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«للصائم فرحتان إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» (٤) .

---

(١) رواه أبو نعيم وقال : حسن ، ورواه البزار ، والطبراني من حديث يزيد بن أبي خالد ، وكشف الخفاء ، ج٢ ، ص ١٠٤ ، والمقاصد الحسنة ، جـ١ ، ص٣١ .

(٢) رواه مسلم، مساجد ٦٣٥ .

(٣) اعتاد بعض الناس على النوم في رمضان حتى صلاة المغرب ، ولقد حذر ابن عباس ابنه الفضل من نومه بعد العصر ، وقال له : «لا ينامها إلا سكران أو مجنون» ، وقال خوات بن جبير : «نوم آخر النهار حُمق» ، راجع المقاصد الحسنة ، حديث رقم ٦١٥ ، وأقول : إن الواقع يؤكد ذلك ، فالنوم في هذا الوقت يسبب فتوراً في الهمة للإحساس بخمول في البدن ، إلا ما تقتضيه ظروف العمل .

(٤) رواه البخاري ، توحيد ٣٥ ، ومسلم ، صيام ١٦٤ .

ب ـ الدعاء المتقبل : لقول رسول الله ﷺ : «للصائم عند فطره دعوة لاتُرَد»(١) . فتدعو وتقول : «ذَهَبَ الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله»(٢). وكان عبد الله بن عمرو بن ا العاص إذا أفطر قال : «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي» . . والإفطار على تمرات أو ماء أو لبن .

حكمة بالغة(٣) :

تستطيع أن تتدبر بعض الحكمة النبوية البالغة في الإفطار على التمر

١ ـ يحتوي التمر على نسبة عالية من السكريات ، حوالي ٧٠ س ، ومن هذه السكريات : سكر العنب ، وسكر الفواكه ، ومعلوم أن هذه المواد السكرية سريعة الامتصاص سريعة التمثيل ، لا تحتاج إلى عمليات هضم معقدة لتتحول إلى مواد أخرى ، دكسترين ، وبالتالي إلى مواد سكرية سهلة الامتصاص ، كما يحدث أثناء هضم المواد النشوية .

٢ ـ نظراً لسرعة امتصاص هذه المواد السكرية ، فإنها تعوض الجسم عن نقص السكر في الدم أثناء الصوم ، وبالتالي تزيل الأعراض الناتجة عن هذا النقص مثل الشعور بالضعف العام ، وعدم القدرة على الحركة والنشاط ، وعدم القدرة على التفكير والتركيز .

٣ ـ لما كانت المعدة في حالة شبه سكون أثناء الصيام طوال النهار ، فإن من الخطأ أن نملأها مرة واحدة بأنواع الأطعمة المختلفة ، فهذا حتماً سيؤدي إلى ارتباك الهضم ، لذلك كان من الأنسب أن نمدها بجزء قليل من المواد السكرية حتى تبدأ عملها وتنتظم إفرازاتها ، ثم بعد ذلك يُقدم لها الإفطار المعتاد .

---

(١) رواه الترمذي، وقال : حسن، (سبق تخريجه) .

(٢) رواه أبو داود، صوم ٢٢ ، وكنز العمال : ٧/ ٨١ .

(٣) من كتاب : العلاج بالتمر والرطب، ص ٦٣ ، ٦٤ ، نبيل علي عبدالسلام، ط . دار الطلائع، ١٩٩٢م .

٤ ـ تناول التمر يحد كثيراً من نهم الصائم، فلا يُقبل على الطعام بعجلة ودون مضغ، مما يسهل مهمة الجهاز الهضمي.

٥ ـ لو اتبع الصائمون هذه السُنَّة النبويَّة لتخلوا عن كثير من العادات الضارة التي تسبب الفوضى في وجبة الإفطار، فتمتلئ بطونهم بأنواع الطعام المختلفة، فيُصابون بالتخمة، ويعقب ذلك ضيق في التنفس، وسرعة في ضربات القلب نتيجة لضغط المعدة على الحجاب الحاجز والقلب، بالإضافة إلى عسر الهضم، وارتباك لأجهزة الجسم كلها بصورة عامة.

جـ ـ صل المغرب في جماعة ثم تناول الإفطار، مع ملاحظة تخفيف الطعام حتى تستطيع القيام وصلاة التراويح وأنت حاضر الذهن.

ثالثاً: ماذا بعد رمضان ؟

١ ـ دوام الاستقامة :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ (النحل: ٩٢).

يضرب لنا ربنا مثلاً لمن يعود نفسه على أبواب من العبادة ثم يتركها بامرأة تنسج غزلاً من خيوط معها ثم تنقضه خيطاً خيطاً . . ولكن هل نترك هذه العبادات؟ هل هان الأمر علينا بهذه السهولة؟

أيها الأخ الكريم: نعم إن أيام رمضان ليست كغيرها من الأيام حيث يعظم الثواب، ولكن لابد أن نعقل ـ أيها الأحباب ـ أن زيادتنا في العبادة هي علامة حبنا لمولانا، ولحب عبادته والتلذذ بها، إذن فلا تقطع العلاقة بانقضاء شهر رمضان.

أخي الحبيب . . لقد ودعت رمضان بالأمس . . هل تدري ما حدث لك؟

هل قُبِلت؟ هل عُتقت؟

فإن كنت قُبلت وعُتقت، فهل تريد أن تعود عن ذلك قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٧١).

اخي: إذا أكمل الصائمون صيام رمضان وقيامه فقد وفوا ما عليهم من العمل وبقي لهم الأجر وهو المغفرة، وُفِيَّ الأجر كاملاً، ومن سلم ما عليه موفراً تسلم ماله نقداً لا مؤخراً.

وكان السلف يجتهدون في إتمام العمل وإكماله، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٦٠)

وقد سمعوا قول الله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧).

وكان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم العيد، فيقال له: إنه يوم فرح وسرور، فيقول: صدقتم ولكني عبدٌ أمرني مولاي أن أعمل له عملاً فلا أدري أيقبله مني أم لا . .

فياليت شعري من هذا المقبول فنهنيه . . ومن هذا المحروم فنعزيه . .

ماذا فات من فاته خير رمضان؟ وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان ؟

لاندري من كان حظه فيه القبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران.

شهر رمضان. . وأين هو شهر رمضان؟

ألم يكن من لحظات بين أيدينا؟

ألم يكن ملء أسماعنا وأبصارنا؟

ألم يكن هو حديث منابرنا، وحياة مساجدنا؟ فأين هو الآن؟

قلوب المتقين إلىٰ هذا الشهر تَحِن، ومن ألم فراقه تئن . .

كيف لا تجري للمؤمن علىٰ فراقه دموع . .

وهو لا يدري هل بقي له من عمره إليه رجوع .

اخي : كان دعاء الصالحين كما سطره القرآن : ﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ (آل عمران : ٨).

ولقد حث النبي ﷺ علىٰ ذلك، فقال للصحابي الذي قال : له يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً سواك؟ قال : «**قل آمنت بالله فاستقم**»(١).

٢ ـ ما قمت به من طاعة كان في وسعك :

قال رسول الله ﷺ : «**أفضل العمل أدومه وإن قل**»(٢) .

أولاً : كنت تصلي قيام الليل «التراويح» . . ما الذي يمنعك أن تصلي ولو ركعتين بعد سنة العشاء؟ أو أن تصلي الثماني بسورة قصيرة من القرآن .

ألا تحب الوقوف بين يدي مولاك؟ فالصالحون كانوا يحنون إلىٰ الليل للقيام بين يدي الله تعالىٰ، فلو قمتَ بقراءة قدرها عشرة آيات لم تكن من الغافلين في هذه الليلة، ومن زاد في الخير زيد له في الأجر . . قال رسول الله ﷺ : «**ومن قام بمائة كتب من القانتين**» . «**ومن قام بألف آية كُتِبَ من المقنطرين**»(٣) .

يعني يكتب له قنطار من الأجور، والقنطار كجبل أُحُد، أو ما بين السماء والأرض . . فلا تدع قيام الليل وحافظ عليه قدر الطاقة .

ثانياً : كنت تصوم ، وذقت طعم الصيام وحلاوة هذه العبادات التي تقربك من مولاك، وتحفظك من شرور نفسك والشيطان، وهو لك جُنة، فما الذي يمنعك من الصيام وقد فتح الله لعباده الصيام طول العام؟

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ٦٢ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الرقاق، ومسلم كتاب الصيام.

(٣) رواه أبو داود ، رمضان ٩ ، وكنز العمال : ٧/ ٧٨٢، وابن حبان في صحيحه ٢٥٧٢ .

يقابلك ستة من شوال من صامها كأنما صام الدهر «السنة» كلها، ولله يوم عرفة، ويوم عاشوراء، والصيام في الأشهر الحُرُم، وصيام الإثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر . . فلماذا لا تصوم.

صم يا أخي.. فالصائمون ينتظرهم خير كثير . . يكفي أنهم يجلسون على موائد يوم القيامة يأكلون والناس في الحساب . . وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** ﴾ (الحاقة: ٢٤).

قال رسول الله ﷺ: «**من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم حر جهنم عن وجهة سبعين خريفاً**»(١) .

وفي رواية: «**بعدت منه النار مسيرة مائة عام**» .

وفي رواية: «**حيل بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض**» (٢) .

كان رمضان لك وقتاً فاضلاً تتحراه، فقد نثر لك الله في السنة أوقاتاً فاضلة، منها ساعات، ومنها أيام، ومنها ليالي فاغتنمها ولا تضيعها، وتَعَرَّض لنفحات الله :

فمن الساعات: ساعة السحر، وساعة الغدوة «بعد الفجر»، والروحة «قبل المغرب»، وساعة يوم الجمعة «آخر ساعة من نهار يوم الجمعة قبل الغروب».

ومن الليالي: ليلة النصف من شعبان، وليلتا العيد، وليلة الجمعة.

ومن الأيام: يوم الجمعة، ويوم عرفة، والعشر الأوائل من ذي الحجة . . . .

وغيرها من الأوقات الفاضلة التي يعظم فيها الثواب، ويطلب العمل.

وكذلك الصدقة ـ والدعاء ـ المبادرة إلى المساجد . . فكل ذلك له فضائل لاتنقطع وثواب أعظم، ولكن تثابر على هذه العبادات . .

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير ٢٨٤٠، ومسلم، صيام ١١٠٣ .

(٢) رواه الترمذي، فضائل الجهاد ٣، وقال: حديث غريب .

٣ ـ تدريب وترويض النفس :

علَّمنا رمضان تدريب النفس وترويضها، وأن نُمسك عن ما أحل الله بعد طلوع الفجر الصادق، ثم نرجع إليه بأذان المغرب، ثم نمسك ثم نرجع، فذلك قمة التدريب على طاعة الله، وترويض النفس وسياستها تبعاً لما يحب الله ويرضى، فيا من أمسكت عن الحلال هلا أمسكت عن الحرام؟ وقد تدربت على الإمساك عن الحلال، وروضت نفسك على ذلك. . فمن باب أولى أن تمسك عن الحرام، وعن ما لا يرضى الله.

٤ ـ إياك والانتكاسة :

إياك ـ أخي الكريم ـ من الانتكاسة والعودة إلى عصيان الله بعد رمضان، فرب رمضان رب الشهور كلها. . وهو رقيب عليك في رمضان وغير رمضان. . وقد ذقت حلاوة طاعة الله والقرب منه. . فإياك وانتكاسة العصيان بعد حلاوة الإيمان.

ومن المعلوم أن الشيطان يُطْلَقْ من أَسْرِهِ يوم العيد. . فالحذر الحذر من غوايته ووسوته، قال تعالى: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (الزخرف: ٤٣).

واستمسك بحبل الله القويم بعد رمضان. . كما كنت في رمضان ينجك الله منه ويبعده عنك. . وتأمل هذه الآية لتحذر العاقبة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأنفال: ٢٧).

٥ ـ مقياس قبول الطاعة منك في رمضان:

أن تستمر على الطاعة وتزيد فيها بعد رمضان أن تتحقق التقوىٰ في قلبك. . وأفعال حياتك. وفي كل جوارحك، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (البقرة: ٢١).

فإذا لم تتحقق التقوىٰ كأنك لم تصم. . ومن دلائل ذلك أن تصوم ستة أيام

من شوال لحديث أبي أيوب الأنصاري، أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر**» (١) .

٦ ـ من الذي يعتقه الله :

قال رسول الله ﷺ : «**لله عتقاء كل ليلة**» (٢) . .

فالمغفرة واسعة ـ أبواب الجنة مفتحة ـ أبواب النار مغلقة ـ ولكن هل يستوي من سهر في الطاعة ومن سهر في المعصية؟

إن الذي يعتقه الله في هذا الشهر هو الذي قدم وتعب واجتهد . .

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**» .

الذي يعتقه الله هو الذي باع نفسه لله، وهذا أعتق نفسه من النار، ومنهم من باع نفسه للشيطان والهوىٰ والدنيا وأصدقاء السوء . . فهذا أهلكها .

كل الناس يرجو رحمة الله في رمضان . . ولكن لمن تكتب؟

﴿ **وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

هناك الرحمة . .

وهناك العذاب . . وهناك من يتوهم أنه عمل وهو من المخدوعين . .

عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.. والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**»(٣) .

---

(١) رواه مسلم ، صيام ١١٦٤ .

(٢) رواه أحمد ٢/ ٢٥٤٠ ، ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد: ٤/ ٤٥٣ .

(٣) رواه الترمذي، قيامة ٢٥، وحسنه ، وابن ماجة، زهد ٣١، والحاكم، وأحمد ٤/ ١٣٤ .

من العاجز؟..

الذي ضيَّع الوقت أمام التلفاز والمسلسلات، وسب واغتاب وأساء، ثم اعتقد أنه صائم. . عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة سبحانه وتعالىٰ: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»(١).

٧ ـ كن وفياً بعهدك مع الله :

نعم نحن مدعوون إلىٰ الوفاء بعهدنا مع الله تعالىٰ بعد رمضان، وكما كنا في رمضان نريد أن نكون بعد رمضان، عاهده علىٰ أن تتوب إذا أذنبت، وأن تعمل إذا كسلت، وأن تنفق إذا امتلكت، وأن تساعد إن استطعت، جدِّد عهدك مع الله وقل له: يا ربنا ما أذنبنا إلا لنستغفر، وما بعدنا عنك إلا لنعود إليك، وما أخطأنا إلا وأملنا في رحمتك. نعاهدك أن نكون علىٰ طريقك، نرجو رحمتك، ونخشىٰ عذابك، فاجعلنا من الأخيار الذين يوفون بعهدهم معك:

﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (التوبة: ١١١).

٨ ـ أطواق النجاة بعد رمضان :

الطوق الأول: صلاتك.. صلاتك ..

يقول النبي ﷺ: « **من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة**»(٢).

---

(١) رواه مسلم، بر ٥٥.

(٢) رواه أحمد ٢/ ١٦٩، والدارمي، رقاق ١٣، والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**(١). . يعني: المرابطة والجهاد في سبيل الله.

ويقول ﷺ أيضاً: **«ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما بينها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله»**(٢).

قال إبراهيم بن زيد: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه.

الطوق الثاني: القرآن:

قال رسول الله ﷺ: **«اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعاً لأصحابه»**(٣).

وقال: **«أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً»**(٤).

والناس في حبهم للقرآن إما صادق وإما كاذب: **فإذا كنت صادقاً**: فأنت مقبل على تلاوة القرآن ومطمئن النفس، منشرح الصدر، تسكن بيتك الملائكة، ويبارك الله لك، إذ يُقال لصاحب القرآن في الجنة: **«اقرأ ورتل وارتق كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها»**(٥).

وإذا كنتَ كاذباً: فإنك تنفر من قراءته وأنت مختنق النفس، ضائق الصدر، صدئ القلب، ويقسو، ويسكن بيتك الشياطين، ومعيشتك ضنك، ولا يبارك الله لك.

---

(١) رواه مسلم، طهارة ٤١.

(٢) رواه مسلم، فضل الوضوء والصلاة ٢/ ١٣، رقم ٣٣٥.

(٣) رواه مسلم، فضل قراءة القرآن وسورة البقرة: ٤/ ٢٣١ رقم ١٣٣٧.

(٤) رواه الطبراني في الكبير والصغير والبزار، ومجمع الزوائد: ١/ ١٠١.

(٥) رواه الترمذي، ثواب القرآن ١٨، وصححه، وأبو داود، وتر ٢٠، وأحمد ٢/ ١٩٢.

يقول **اوس بن عبد الله**: نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن . .

والسبب في ذلك كما يقول **عثمان بن عفان** رضي الله عنه : «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل» .

المقياس الرباني : يقول عبدالله بن مسعود : «لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه وتعالي ويحب رسوله ، وإذا كان يبغض القرآن فإنه يبغض الله ورسوله» .

الطوق الثالث: الدعاء..

راجع باب الأخلاق من هذه الموسوعة .

الطوق الرابع :

إليك بعد المعينات التي تعينك في طريق النجاة:

١ ـ **أخلص نيتك** ، واعقد العزم الأكيد على مواصلة العبادة ، قال الإمام ابن القيم : « لقاح الهمة العالية النية الصحيحة (يعني أن النية الصحيحة تولد الهمة) ، وصدق العزم لا يجعلك تتردد» ، قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ** ﴾ (محمد : ٢١) .

٢ ـ **صاحب الأخيار واترك مصاحبة الأشرار أو المستهترين** الذين يشدونك إلى الدنيا ، وينسونك ذكر الله ، وصاحب من تُذَكِّركَ رؤيته بالله ، قال رسول الله ﷺ : «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(١) .
وقال ﷺ : «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(٢) .

٣ ـ **الحرص على الوقت ومحاسبة النفس..** فلا تضع شيئاً من وقتك إلا في فائدة ، واعلم أن وقتك هو رصيدك عند ربك ، وهو خزانة عملك الذي سينشر لك في صحائف وسجلات يوم القيامة ، فانظر بم تريد أن يظهر

---

(١) رواه الترمذي، زهد ٤٥ ، (سبق تخريجه) .

(٢) رواه الترمذي، زهد ٥٦ ، والدارمي ، أطعمة ٢٣ (سبق تخريجه) .

السجل؟ ثم حاسب نفسك دائماً : هل هي على الجادة من أمرها؟ أم حادت فتقومها ؟

٤ - **مجاهدة النفس:** لهواها فإن الهوى قد يضل العبد، وعاداته ومألوفاته قد تؤخره عن طريق الطاعة . . فعلى سبيل المثال فإن عادة السهر والنوم قبل الفجر عادة سيئة لا تستقيم مع من يريد أن يعبد الله بحق .

٥ - **التذكر الدائم للموت والآخرة** ، فإن ذلك حري أن يوقظك من غفلتك، ويدفعك إلى العمل والطاعة، أما نسيان الموت فيولد طول الأمل، وهذا يولد نسيان الطاعة والركون إلى الدنيا .

أسئلة مهمة :

س ١ - ما مظاهر نقض العهد؟

١ - تضييع الصلوات مع الجماعة ويبدأ ذلك مع أول يوم للعيد فيقلّ عدد رواد المساجد .

٢ - اهتمام وشغف بالأغاني والأفلام الماجنة والتبرج والاختلاط في الحدائق العامة والملاهي رجال ونساء وهذه علامات عدم قبول العمل .

٢ - ما علامات قبول العمل؟

١ - أن ترى العبد في حال أحسن من حاله السابق - وترى فيه إقبالاً على الطاعة، قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ (إبراهيم: ٧). وهذه الزيادة في الإيمان وفي العمل الصالح، ويبعد عن المعصية، فالشكر هو ترك المعاصي، كما قال السلف رضي الله عنهم .

٢ - لا تقع في المحرمات من قول الحرام أو أكله أو شربه أو النظر إليه واستماعه، واحذر أن يأتيك ملك الموت وأنت على معصية، بل ندعو : «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»[(١)] .

---

(١) رواه البخاري، توحيد ١١، باب مقلب القلوب .

المحور الثالث : رمضان شهر الخير لماذا؟ وكيف؟

١ - لماذا يفرح الصائمون (١) :

أيفرح الصائمون في رمضان؟ كيف يفرح من تعود تناول القهوة أو الشاي في الصباح؟ وكيف يفرح من أدمن التدخين ليلاً ونهاراً؟ بل كيف يهنأ من اعتاد تناول الإفطار عند الصباح، فلا تقرّ عينه إلا بطعام الإفطار؟ كيف يسعد الصائم بجوع النهار طوال رمضان. . أسئلة يطرحها من لم يذق حلاوة الإيمان. . أسئلة سمعتها ممن لم يعرف الإسلام.

ولكن رسول الله ﷺ يروي عن ربه عز وجل في الحديث القدسي قال: قال الله عز وجل: «**كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنه، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه**»(٢).

فكيف علّمك رسول الإنسانية أن تفرح في الصيام؟

بل كيف تحصل السعادة لجائع؟

يلخص الرسول ﷺ الفوائد العظيمة للصيام بكلمة واحدة، حيث يقول: «**الصيام جُنَّة**» (٣) . وهذا يعني أن الصيام مثل المجن أو الدرع الذي يقي صاحبه، يقيه من نار جهنم في الآخرة - كما يذكر شراح الحديث - ويقيه من الأمراض التي يسببها تراكم الطعام في الأجسام.

فلا شك أن الصوم أحسن ترياق للسموم المعوية، فهذه السموم وراء الشعور بالتخمة والصداع، والعديد من الأمراض المعوية والبدنية وغيرها. . فالصيام لايوهن الصحة، بل يحفظها ويقويها، ولذلك فرضته الأديان جميعاً، وهو ضروري للأصحاء والمرضى.

---

(١) مجلة منار الإسلام، رمضان ١٤٢٣ هـ، ديسمبر ٢٠٠٢م، مقال د. حسان شمسي باشا.

(٢، ٣) رواه البخاري، توحيد ٣٥، ومسلم، صيام ١٦٤ .

فرح الصائم بفطره :

فجميع الفرح يكمن في الجوع الذي يريح المعدة من التراكمات التي فيها، ويريح الأمعاء من بقايا الطعام التي لم تطرحها بعد.

يقول الدكتور هاوزر، صاحب كتاب (عش مائة عام) حين افتتح عيادته المشهورة في مدينة شيكاغو للمعالجة بالغذاء: « لقد تكاثر على باب العيادة أصناف شتى من الخلق، والغالب أنهم طرقوا باب كل طبيب قبلي فلم يفدهم ذلك شيئاً، فكان مجيئهم إلى عياداتي الحديثة العهد امتحاناً قاسياً لهم، وقد وجدتهم على وجه التقريب يشتركون في شيء واحد. . وكلهم يأكلون كميات أكثر مما ينبغي، ولكن محصولها من عناصر الغذاء المفيدة أقل مما ينبغي، فهم متخمون تحل بهم متاعب التخمة ولا ينتفعون منها بالعناصر المفيدة في الغذاء. . كانوا يتخمون أنفسهم بتناول أكثر مما ينبغي من السكريات والنشويات، أي كانوا يملأون بطونهم بالخبز الفاخر الأبيض والأرز المقشور وشتى أصناف اللحوم والحلويات المصنوعة من السكر الأبيض والشيكولاته وما إلى ذلك، فيجتمع عليهم الشران: التخمة والجوع، تخمة البطن بالكمية، وجوع أعضاء الجسم للغذاء الحقيقي.

والمرضى من هذا الطراز مُصابُون بنوع من التسمم لكثرة النفايات في دمهم وخلايا أجسادهم، وتبدو هذه النفايات على صورة طبقات من الشحم عند البدناء(١) منهم، أو كميات زائدة من السكر في الدم، أو تصلب المفاصل عند المصابين بالروماتيزم مع اضطرابات في الدورة الدموية والقلب والجهاز الهضمي.

أما المخ والأعصاب نفسها فمرهقة متوترة مثقلة بسموم الجسم والدم. فكان أول ما عليك به هو إقناع هؤلاء الناس بأنه لا شفاء لهم ـ بإذن الله ـ ما لم يطردوا من أجسامهم تلك النفايات، ويحولوا دون تكوينها وتراكمها فالنظافة الداخلية الكاملة هي الأساس الأول لصحة الجسم كله وسلامته».

كانت هذه هي قصة الدكتور هاوزر مع المزدحمين على باب عيادته..

---

(١) البُدناء : من البدانة، وهي جمع بدين.

وهي تؤكد على أهمية النظافة الداخلية الشافية للجسم والتي تتحقق بالصيام السليم وإذا ربطنا ذلك بالنص النبوي . . «للصائم فرحتان» ندرك لماذا ينبغي للصائم أن يسعد بصومه، كما يفرح بفطره، فالصيام لمدة اثنتي عشرة ساعة تقريباً يعطي جهاز الهضم فترة ارتياح واستجمام تجعل الإنسان يتناول إطعام الإفطار الخفيف براحة واستمتاع تعقبان الفرح .

الصيام فرح نفسي :

«وفي التنبيه على فرحة الصائم عند فطره إشارة إلى نقطة نفسية ذات شأن، وهي أن لذة الطعام والشراب والفرح بهما لا يكونان إلا بعد حرمان وحاجة ملحة إليهما، وإثر جوع صحيح وظمأ شديد، وكذلك سائر لذات الحياة. أما المترف الذي لا يجد حرماناً ولا حاجة ملحة فإنه يستقبل ما يستقبل من طعام وشراب ولذائذ مختلفة في برود نفسي وقرف غير مصحوب بشهوة وهو ينظر إليها نظر البطرين .

ولذلك كان من وسائل السعادة في إقبال النفس على ما هيأ من زينة الحياة الدنيا والطيبات من الرزق أن تمر في حياة الإنسان فترات حرمان تشحن فيها داخل النفس طاقات إقبال ورغبة، بما تولد فيها من حاجة ملحة. ولهذا يستقبل الصائم ساعة الإفطار بفرحة لا يجدها في الأحوال العادية، وهذا يستدعي الحمد لله تعالى من أعماق الفؤاد»(١) .

الصوم جُنَّة (أي: وقاية) :

فالصيام يقي المؤمن الصائم المحافظ على صحة صومه من الوقوع في المعاصي والآثام وذلك لأن الصائم يشعر بأنه قائم بالعبادة طوال نهاره، فعبادة الصوم لا تتم إلا بترك أمور مباحة في الأحوال العادية، فكيف بالأمور المحرمة دائماً وإذا كان « الصيام جُنَّة » على الصعيد الفردي، فيكف يكون جنه على المستوى الاجتماعي؟

وهنا نكمل الحديث الشريف الذي بدأنا به «الصيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني إمرؤ صائم» .

---

(١) الصيام ورمضان . . الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني .

فالصائم لا يفرح عند إفطاره في الدنيا فحسب، ولا يفرح عند ملاقاة ربه في الآخرة فحسب ـ كما يقول **الدكتور أسعد على** في كتابه القيم (فرح الصائمين والصائمات) ـ: «إنه يفرح بالصحة التي يُؤَمِّنُهَا له الصيام على صعيد فردي، ويفرح بالتحاب الذي يؤمنه له الصيام على مستوى اجتماعي، فحسن الخلق الذي يفرضه الصيام صحة اجتماعية».

وأقول: إن المتأمل في الواقع يرى هذه الفرحة الغامرة التي تفيض على الناس ساعة أذان المغرب، فتجد المسارعة بين المسلمين.. هذا يعطي أخيه تمراً، وهذا يعطيه لبناً، وهذا يعطيه شراباً، والكل يتسابق، وتجد الفرحة عند صلاة التراويح والتهجد، لذلك يمر هذا الشهر سريعاً، وهذا شأن الأوقات السعيدة دائماً.

الصيام اقتصاد !

وفي الصيام اقتصاد حسي ومعنوي، فمن اقتصاد الصيام القريب أنه يوفر على الصائم وجبة من ثلاث، وتوفير قيمة الوجبة ليس شيئاً إذا قيس بالوقت، فما يوفره الصائم من وقته عند الظهيرة أثمن الأشياء واقتصاد ساعة أو ساعتين للتأمل تعني الكثير لمن يعرفون كلمة التأمل. وهذا ما يؤمنه صيام رمضان للصائم، وهو يستريح قبل الإفطار وقتاً ليس بالقليل، يحلق دماغه خلالها بعيداً في أسباب الجوع، وفي الجائعين في العالم، ولماذا لا يحصل الناس على ما يكفيهم من الغذاء، وقد تخطر له حلول ونظريات لمشكلة الحاجات البشرية.

وأما اقتصاد الصيام البعيد فيعد به الحديث القدسي الذي يرويه المصطفى ﷺ عن ربه: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به**»(١).

وقول رسول الله ﷺ أيضاً: «**وإذا لقي ربه فرح بصومه**»(٢).

فالصائم يصوم لله تعالى، والله يجزيه أجر صيامه أضعافاً مضاعفة مما فرحه وربحه من صيامه في هذه الدنيا».

(١، ٢) رواه البخاري، توحيد ٣٥، ومسلم، صيام ١٦٤.

الصيام اقتصاد للطاقة :

فالصائم لا يرفث ولا يصخب ولا يخاصم كما جاء في عبارات النهي النبوي . . والرفث معناه مقاربة النساء ومعاشرتهن ، وهو هنا يعني فحش القول وما لا يحسن التصريح به من قول أو عمل . والانتهاء عن الرفث اقتصاد لطاقة الجسم الحيوية .

والصائم لا يصخب ، أي : لا يلغط ، واللغط كلام لا معنىٰ له ولا فائدة منه ، والامتناع عنه اقتصاد للطاقة العصبية .

والصائم لا يسب ، والسباب مصحوب بالغضب والكراهية والحقد غالباً ، وكلها نيران تأكل الطاقة العصبية .

ولهذا رأينا رسول الله ﷺ يخبر عن حفاوة الله بالصائم ومنحه الفرح في الدنيا والآخرة ، إذا سلك مع أخيه الإنسان سلوك الصائم الحق ، فلم يصخب ولم يساب ، ولم يقاتل بل يتسامح مع من يستدرجه لهذا العيب الإنساني ، ويعتذر إليه بالقول : «إني امرؤ صائم» ، فالصيام تدريب للإنسان ليكون صائماً الصوم الأخلاقي مدىٰ الحياة .

وإذا تعود هذه القيم الأخلاقية في شهر الصبر ، فإنها ستصبح عادات له مدىٰ العمر . وإذا صارت كذلك يتحقق الحلم الإسلامي الأكبر ، وهو السعادة الكونية للإنسان والتعارف بين الشعوب والقبائل ، والتناصح والتسامح والسلام الحقيقي .

الفرح بالتقوى :

ولو عدنا إلىٰ آخر آية الصيام في قوله الله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة : ١٨٣) .

فتقوىٰ الله تعالىٰ : خشيته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والتقوىٰ بمعنىٰ : الخوف من الله تعالىٰ ، هو المعنىٰ الشائع ، ولكن روح الآية لا تحمل معنىٰ الخوف والتهديد قدر ما يحمل معنىٰ الرجاء والأمل بخير الإنسان وصحته .

فالله سبحانه لا يريد بفرض الصيام على المؤمنين تخويفاً لهم، وإنما وقاية لهم من الوقوع في ما لا يرضى الله. فمن أدى هذه الفريضة على وجهها المشروع رجا أن تقيه في الدنيا بعض ما يضره أو يؤذيه، ورجا أن تقيه في الآخرة عقاب المخالفة، وقسطاً آخر من عقاب الله تعالى له على سيئات ومخالفات ارتكبها، لأن الحسنات يذهبن السيئات بفضل الله تعالى.

الفرح في سعادة الروح:

يقول الإمام الغزالي في الإحياء: «فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم، وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل».

وفي التصفية الصومية للقلب سعادة روحية تشرح معنى الحديث النبوي الذي رواه الديلمي: «**لكل شيء باب، وباب العبادة الصوم**»(١).

فالصوم موسم للصحة النفسية، يسمو خلاله الصائم إلى مرتبة عليا من الصفاء الروحي والعقلي.

يقول صاحب كتاب (عش شاباً طوال حياتك): «إن العقل لا يتغذى فقط عن طريق الخلايا العصبية بالعناصر الكيميائية الحيوية، وإنما يتغذى على مصادر لا جسمية ولا مادية، أي مصادر معنوية».

ألا تلاحظ في أدعية الحبيب المصطفى ﷺ في مفتتح صلاته وفي قيامه وركوعه تحريكاً لجميع العناصر الحسية والعقلية التي عرضتها كتب الطب؟

ألا تلاحظ أن تغذية النفس بهذا الغذاء المعنوي الذي يقره الطب ولا يضبط مصادره، في مثل دعاء النبي ﷺ الذي يرويه الإمام مسلم: «.. وإذا ركع قال: **اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي**»(٢).

---

(١) كنز العمال: ٨/ ٤٤٨، رقم ٢٣٥٩١، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم، مسافرين ٣٠١.

وإذا رفع قال: «**اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد**»(١) .

وإذا سجد قال: «**اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**»(٢) .

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**»(٣) .

أليس هذا ما يعيشه الصائم أيضاً في ليالي رمضان، يقضيها في طاعة الله وهجر المعاصي، يحلق فيها في فضاء علوي لا يسمو إليه إلا المخلصون، ويسبح في بحر الإيمان ليخرج منه طاهراً ومطهراً من كل سوء.

الا يحق للصائم حينئذ ان يفرح بصومه، ويسعد بحلول شهر الصيام؟

فهنيئاً لمن ذاق الفرح في رمضان، ولمن سيذوق الفرحة الكبرىٰ في أعلىٰ الجنان.

المحور الرابع : دليل الصائم :

الصيام: هو الإمساك عن المفطرات (طعام - شراب - جماع) من الفجر إلىٰ غروب الشمس مع النية.

حكمه: فرض علىٰ كل مسلم بالغ عاقل صحيح - مقيم - ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس.

فضله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»(٤).

(١، ٢، ٣) رواه الترمذي، دعوات ٣٣، رقم ٣٤٢١، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه مسلم ، وسبق تخريجه .

أركان الصيام :

١ ـ **الإمساك عن المفطرات** من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس، مصداقاً لقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ (البقرة: ١٨٧).

٢ ـ **النية**: لابد أن تكون قبل الفجر من كل ليلة من رمضان وهي عمل قلبي لا دخل للسان فيها (لا يتلفظ بها) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...**»(١).

من يرخص لهم في الفطر وعليهم الفدية :

ـ الشيخ الكبير، والمرأة العجوز.

ـ المريض الذي لا يرجىٰ شفاؤه .

ـ أصحاب الأعمال الشاقة الذين لا عمل لهم غيرها طوال العام.

ـ الحُبلىٰ (الحامل) والمرضع إذا خافت علىٰ نفسها وولدها أفطرت وعليها الفدية، **والفدية** أن يطعم عن كل يوم مسكيناً.

من يرخص لهم في الفطر وعليهم القضاء :

المريض الذي يرجىٰ شفاؤه والمسافر، قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...** ﴾ (البقرة: ١٨٥). وإذا صام المريض وتحمل المشقة صح صومه مع الكراهة، لإعراضه عن الرخصة، فعن أبي سعيد الخدري قال: « **كنا مع الرسول ﷺ في رمضان، فمنا الصائم ومنا المفطر، فلايجد (لايعيب) الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم.. ثم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ومن وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن**»(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وسبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم ، صيام ٩٦ .

من يجب عليه الفطر والقضاء معاً:

يجب الفطر على الحائض والنفساء، ويحرم عليهما الصيام.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « **كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة** »(١).

آداب الصيام:

١ - **السحور**: فعن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « **تسحروا فإن في السحور بركة**»(٢). ووقت السحور من منتصف الليل إلى آذان الفجر، أما قول بعض المؤذنين «ارفع» فلا يتعين به الامتناع عن الطعام والشراب، بل هو تنبيه بأن وقت الفجر قد اقترب.

٢ - **دعاء الإفطار**: من السنة الإفطار على رطبات (بلح) أو تمر أو ماء، ويقول عند إفطاره: «**ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله**»(٣). واعلم أخي المسلم الكريم أن للصائم دعوة لا ترد فأكثر من الدعاء..

٣ - **البعد عما يتنافى مع الصيام**.. من سوء الأخلاق، والسب والشتم والرفث واللغو، فإن سابك أو جهل عليك أحد فقل: «**إني صائم إني صائم**»(٤).

٤ - **الجود ومدارسة القرآن**: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « **كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**»(٥). وقال ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(٦).

---

(١) رواه مسلم، حيض ٦٩.

(٢) رواه البخاري، صوم ٢٠.

(٣) رواه أبو داود وغيره. (سبق تخريجه).

(٤) رواه البخاري، صوم ٢، ٩، ومسلم، صيام ١٢٣ - ١٢٦.

(٥، ٦) رواهما مسلم (وسبق تخريجهما).

وحسبك أخي المسلم أن من قرأ حرفاً في كتاب الله كان له به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها .

٥ ـ **الاجتهاد في العبادة** : فعن عائشة رضي الله عنها قالت أن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر أحيىٰ الليل وأيقظ أهله وشد المئزر . وحسبك في رمضان أن من أدىٰ فيه فريضة كان كمن أدىٰ سبعين فريضة فيما سواه ، ومن تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدىٰ فريضة فيما سواه .

ما يباح للصائم.. وصيامه صحيح :

١ ـ نزول الماء والانغماس فيه في أي وقت من النهار ، روىٰ أبو بكر بن عبدالرحمن عن بعض أصحاب الرسول ﷺ : «**ولقد رأيت رسول الله ﷺ يصب على رأسه الماء هو صائم من العطش أو من الحر**»(١) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **أن النبي ﷺ كان يصبح جنباً وهو صائم ثم يغتسل**»(٢) . . المهم عدم دخول الماء إلىٰ جوف الصائم

٢ ـ المضمضة والاستنشاق بشرط عدم المبالغة للحديث : « **فأبلغ إلا أن تكون صائماً**»(٣) .

٣ ـ يباح بلع الريق وغربلة الدقيق وغبار الطريق والنخامة ؛ لأن هذه الأشياء لا يمكن الاحتراز منها ، ويباح كذلك تذوق الطعام .

٤ ـ يباح للصائم أن يأكل ويشرب ويجامع حتىٰ آذان الفجر فإذا طلع الفجر وفي فمه طعام لفظه وإذا كان مجامعاً نزع .

٥ ـ الحائض والنفساء إذا انقطع الدم من الليل ولو قبل الفجر جاز لهما تأخير الغسل وأصبحتا صائمتين ثم عليهما أن تتطهرا للصلاة .

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٤٧٥ ـ ٤/ ٦٣ ـ ٥/ ٣٧٦ ، ومالك ، صيام ٢٢ ، وأبو داود ، صوم٢٧ .

(٢) رواه البخاري باب الصائم يصبح جنباً ، جـ ٧ ، ص ٦ .

(٣) رواه الترمذي ، صوم ٦٨ ، وأبو داود ، طهارة ٥٦ ، صوم ٢٧ ، والنسائي ، طهارة ٧٠ ، وابن ماجة ، طهارة ٤٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

ما يبطل الصيام.. ويوجب القضاء :

١ ـ **الأكل والشرب عمداً**، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة لم يقض عنه صيام الدهر وإن صامه**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**»(٢).
فمن أكل أو شرب ناسياً أو مخطئاً أو مكرهاً فلاقضاء عليه ولا كفارة.

٢ ـ **القيء عمداً**، فإن غلبه القيء فلا قضاء عليه ولا كفارة.

٣ ـ **الحيض والنفاس**، ولو في اللحظة الأخيرة قبل المغرب وعليها أن تفطر فوراً.

٤ ـ **من نوى الفطر وهو صائم** بطل صومه، وإن لم يتناول مفطراً.

٥ ـ **إذا أكل أو شرب أو جامع ظاناً غروب الشمس**، أو عدم طلوع الفجر فظهر خلاف ذلك عليه القضاء.

ما يبطل الصيام.. ويوجب القضاء والكفارة معاً :

الجماع لا غير عند الجمهور، ويوجب الأكل عمداً الكفارة عند الأحناف.

أقسام الصيام :

١ ـ **فرض**: وينقسم إلى (صوم رمضان ـ صوم الكفارات ـ صوم النذر).

٢ ـ **تطوع** : (ستة أيام من شوال ـ عشر ذي الحجة ـ صوم عاشوراء ـ الاثنين والخميس ـ ثلاثة أيام من كل شهر (١٣، ١٤، ١٥ الأيام البيض) ـ صوم يوم عرفة لغير الحاج ـ صيام يوم وفطر يوم).

---

(١) رواه البخاري، صيام ٢٩، وابن ماجة، صيام ١٤، والترمذي، والدارمي، صوم ١٨، وأحمد ١/ ٩٢.

(٢) أخرجه البخاري، صيام ٢٦، رقم ١٩٣٣، ومسلم، صيام ٣٣.

المتطوع أمير نفسه :

عن أم هانئ رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوم الفتح فَأُتِي بشراب فشرب، ثم ناولني، فقلت : «إني صائمة»، فقال : «**إن المتطوع أميرٌ على نفسه، فإن شئت فصومي وإن شئت فافطري**».

رواه أحمد، والدراقطني، والبيهقي، ورواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد. ولفظه : «**الصائم المتطوع أمير نفسه، إن شاء صام وإن شاء أفطر**».

من مات وعليه صيام :

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال : يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها ؟»، فقال : «**لو كان على أمك دين أكنت قاضيه ؟**» قال : «نعم»، قال : «**فدين الله أحق أن يقضى**»(١).

قال النووي : وهذا القول هو الصحيح المختار الذي نعتقده.

وذهب جمهور العلماء منهم : أبو حنيفة والشافعي ومالك إلى أن وليه لايصوم عنه، ويُطعم عنه مداً(٢) عن كل يوم، والولي هو القريب ولو صام أجنبي عنه صح بإذن الولي.

أما من مات وعليه صلاة فقد أجمع العلماء على أن من مات وعليه فوائت من الصلاة فإن وليه لا يصلي عنه هو ولا غيره.

وفَرَّق الإمام أحمد بين صوم رمضان وصوم النذر، فقال : «إن مات وعليه صوم رمضان فإنه يطعم عنه، وإن كان صوم نذر يُقضى عنه الصوم».

لحديث ابن عباس أن امرأة قالت : «يا رسول الله، إن أمي ماتت عليها صوم نذر، أفأقضيه عنها؟»، قال : «**صومي عن أمك**»(٣).

---

(١) رواه البخاري، ص ٢٢، إيمان ٣٠، اعتصام ١٢، ومسلم، صيام ١٥٤، ١٥٦.

(٢) المُدّ ربع قدح من قمح ويساوي ٢,٥ كيلو جرام على الأحوط.

(٣) رواه البخاري ومسلم. (سبق تخريجه).

صوم الصبي :

قال **الغزالي** : «إذا بلغ الصبي سن التمييز (١) فينبغي ألا يُسامح في ترك الطهارة والصلاة، ويُؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان» .

وقال **الجمهور**: لا يجب الصوم على من هو دون البلوغ، لقول رسول الله ﷺ : «**رُفِعَ القلم عن ثلاثة: الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق**»(٢) .

ويرى مجموعة من السلف أمر الصبيان بالصوم للتمرين عليه، إذا أطاقوه رجاء البركة، وأن من فعل ذلك منهم مأجور، ولأنهم باعتيادهم عليها (العبادات) تسهل عليهم إذا لزمتهم، كما في نيل الأوطار للشوكاني .

المفطرات :

المفطرات في كتاب الله عز وجل، وفي السنة الصحيحة ثلاثة هي : الأكل، والشرب، والجماع، فكل ما جاوز الحلق، وكان ينطبق عليه اسم الأكل أو الشرب، كماً وكيفاً، يُعد مفطراً، وبناء على ذلك اتفق المجتمعون على أن الأمور الآتية لا تعتبر من المفطرات .

هذه الأشياء ليست من المفطرات (٣) :

١ ـ قطرة العين أو الأذن أو غسيل الأذن .

٢ ـ قرص النيتروغليسيرين ونحوه الذي يوضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية

٣ ـ ما يدخل المهبل من فرازج أو بيومن دوائية مهبلية أو غسول أو منظار مهبلي أو أصبع طبيبة أو قابلة فاحصة .

---

(١) سن التمييز : إذا سمع الصبي السؤال ورد الجواب، فإن قلتَ له : أعطني المصحف فأعطاك إياه، أصبح مميزاً .

(٢) رواه البخاري، حدود ٢٢، طلاق ١١ .

(٣) هذه الأمور طبقًا لقرارات الندوة الفقهية الطبية المنعقدة في الدار البيضاء، المغرب. بتاريخ ٨ صفر ١٤١٨ هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٩٧م .

٤ ـ ما يدخل الإحليل (إحليل الذكر أو الأنثي) أي مجري البول الظاهر من قسطرة أو منظار أو مادة ظليلة على الأشعة أو دواء أو محلول لغسل المثانة.

٥ ـ حفر السن أو خلع الضرس أو تنظيف الأسنان أو السواك وفرشاة الأسنان على أن يتجنب الابتلاع.

٦ ـ التبرع بالدم وتلقي الدم المنقول.

٧ ـ الحقن الجلدية أو العضلية أو الوريدية باستثناء السوائل الوريدية المغذية.

٨ ـ غاز الأكسجين وغاز التخدير.

٩ ـ أخذ عينة من الدم للفحص المختبري.

١٠ ـ ما يدخل الجسم امتصاصاً من الجلد كالدهون والمروخات واللصقات الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية.

المحور الخامس : فتاوى رمضانية للنساء (١) :

١ ـ إذا طهرت المرأة في رمضان قبل أذان الفجر فهل يجب عليها الصوم؟

إذا انقطع الدم عن المرأة في آخر الليل من رمضان يصح لها أن تتسحر وتنوي الصيام، وذلك لأنها في هذه الحال طاهرة ينعقد صومها، ولكن لا تصح صلاتها ولا يصح وطؤها حتى تغتسل: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

٢ ـ إذا طهرت النفساء قبل الأربعين هل تصوم أم لا؟

إذا طهرت النفساء قبل تمام الأربعين وجب عليها الغسل والصلاة وصوم رمضان وحلت لزوجها، فإن عاد عليها الدم في الأربعين وجب عليها ترك الصلاة والصوم وحرمت على زوجها وصارت في حكم النفساء حتى تطهر أو تكمل

---

(١) كتاب الزهور (١)، رمضان تقوى وسعادة أسرية، إصدار مركز الإعلام العربي.

الأربعين فإن استمر الدم بعد الأربعين فهو دم فاسد لا تدع من أجله الصلاة ولا الصوم فهي في حكم المستحاضة.

٣ ـ امرأة جاءها دم أثناء الحمل قبل ولادتها بخمسة أيام في شهر رمضان هل يكون دم حيض أو نفاس وماذا يجب عليها؟

إذا كان الأمر كما جاء من رؤيتها الدم وهي حامل قبل الولادة بخمسة أيام فإنها إن لم تر علامة على قرب الوضع كالمخاض «الطلق» فليس هذا بدم حيض ولا نفاس بل دم فاسد على الصحيح، فلا تترك العبادات بل تصلي وتصوم، وإذا كان مع هذا الدم أمارة من أمارات قرب الوضع من الطلق ونحوه فهو دم نفاس تدع من أجله الصلاة والصوم، فإذا طهرت منه بعد الولادة قضت الصوم دون الصلاة.

٤ ـ ماذا على الحامل والمرضع إذا أفطرت في رمضان؟

لا يحل للحامل أو المرضع أن تفطر في نهار رمضان إلا للعذر، فإن أفطرتا للعذر وجب عليهما قضاء الصوم وإن كان عذرهما الخوف على المولود فعليهما ـ عند بعض العلماء ـ إطعام مسكين عن كل يوم أفطرتا فيه إلى جانب القضاء.

وقال أخرون: ليس عليها سوى القضاء على كل حال.

وهذا هو مذهب أبي حنيفة.

وما دام الأمر خلافياً فلا بأس باتباع أي رأي من هذه الآراء.

٥ ـ امرأة وضعت في رمضان ولم تقض بعد رمضان لخوفها على رضيعها ثم حملت ووضعت في رمضان القادم فماذا عليها أن تفعل؟

الواجب عليها أن تصوم بدل الأيام التي أفطرتها ولو بعد رمضان الثاني، لأنها تركت القضاء بين رمضان الأول والثاني للعذر.

٦ ـ تسأل امرأة عادتي الشهرية تتراوح بين ٧ إلى ٨ أيام وفي بعض الأحيان لا أرى الدم ولا الطهر في اليوم السابع. فما حكم الصلاة والصيام؟

لا تتعجلي حتى تري القصة البيضاء التي يعرفها النساء وهي علامة الطهر، فتوقف الدم ليس هو الطهر وإنما ذلك برؤية علامة الطهر وانقضاء المدة المعتادة.

٧- ما حكم الدم الذي يخرج في غير أيام الدورة الشهرية؟ وهل يؤثر على الصلاة والصوم؟

هذا الدم الزائد على العادة هو دم عرق لا يحسب من العادة فلو رأت المرأة شيئاً من دم أو صفرة أو كدرة فذلك استحاضة لا تردها عن الصلاة أو الصوم.

٨- فتاة حاضت ودخل عليها رمضان ولم تصمه وبعد سنة دخل عليها رمضان وهي لم تقض خجلاً من أسرتها.. فما الحكم؟

يلزمها قضاء ذلك الشهر الذي أفطرته بعد بلوغها ولو متفرقاً، وعليها مع القضاء فدية عن كل يوم مسكين وذلك لأن الواجب أن تصومه في وقته.

٩- إذا طهرت المرأة بعد الفجر مباشرة هل تمسك وتصوم هذا اليوم أم يجب عليها القضاء؟

إذا انقطع الدم منها وقت طلوع الفجر أو قبله مباشرة صح صومها وأجزأ عن الفرض ولو لم تغتسل إلا بعد أن أصبح الصبح، أما إذا لم ينقطع الدم إلا بعد أن تبين الصبح فإنها تمسك ذلك اليوم ولا يجزئها بل تقضيه بعد رمضان.

١٠- إذا وضعت المرأة قبل رمضان بأيام وطهرت خلال رمضان فهل يجب عليها الصيام؟

نعم متى طهرت النفساء وظهر منها ما تعرفه علامة على الطهر وهي القصة البيضاء فإنها تغتسل وتصلي وتصوم ولو بعد الولادة بيوم فإنه لا حد لأقل النفاس وإذا زاد الدم على الأربعين ولم يتغير فإنه يعد دم نفاس تترك لأجله الصوم والصلاة.

١١- إذا رأت المرأة دماً ولم تجزم انه دم حيض فما حكم صيامها؟

صيامها ذلك اليوم صحيح لأن الأصل عدم الحيض حتى يتبين لها أنه حيض.

١٢- نزول الدم من الحامل في نهار رمضان هل يؤثر على صومها؟

نزول الدم من الحامل في نهار رمضان إذا كان حيضاً فإنه كحيض غير الحامل يفسد صومها وإن لم يكن حيضاً فإنه لا يؤثر والحيض الذي يمكن أن يقع من الحامل هو أن يكون حيضاً مطرداً لم ينقطع عنها منذ حملت بل كان يأتيها في أوقاتها المعتادة فهذا حيض على القول الراجح يثبت له أحكام الحيض، أما إذا انقطع الدم عنها ثم صامت بعد ذلك ثم رأت دماً ليس هو الدم المعتاد فإن هذا لا يؤثر على صومها لأنه ليس بحيض.

١٣ - كيف يتم قضاء الأيام التي أفطرتها الحائض والنفساء في رمضان؟ وهل يستحب تعجيلها في شوال أو قضاؤها على التراخي؟

رأىٰ بعض العلماء أن التعجيل بالقضاء أفضل كتعجيل سائر الديون لأنه فرض، فلو صامت المرأة قضاء ما عليها من رمضان في شهر شوال لا يحصل لها ثواب صيام الأيام الستة، وأجاز الشافعي لها أن تنوي القضاء مع النفل وإن كان الفصل بينهما أفضل. ورأىٰ آخرون أن البدء بالستة أفضل لأنها مقيدة بشهر شوال، أما القضاء فلا تقييد له فيمكن أن يؤخر إلىٰ شهر شعبان كما كانت تفعل السيدة عائشة رضي الله عنها.

وصيام الستة لا يشترط فيه البدء من ثاني أيام العيد وإن كان هذا أفضل لتحقيق معنىٰ الحديث: «**وأتبعه ستة من شوال**» القضاء فقط ولا تجب عليها فدية عند أبي حنيفة، سواء كان التأخير لعذر أو بغير عذر، بينما أوجب عليها مالك والشافعي وأحمد الفدية مع القضاء إن كان التأخير بغير عذر، أما إن كان بعذر من مرض، أو حمل، أو وضع، أو إرضاع فليس عليها إلا القضاء.

والقضاء لا يشترط أن يكون متتابعاً إن شاء فرق، وإن شاء تابع.

١٤ - ما حكم تناول الحبوب لمنع نزول الدم في رمضان لاستكمال صوم الشهر؟

لا مانع من ذلك حيث لا يوجد دليل يحرمه.

١٥ - إذا احتلمت المرأة في نهار رمضان ما حكم صومها ذلك اليوم؟

إذا احتلمت المرأة في نومها أو خرج ماؤها من غير اختيارها فإن ذلك لا يفسد الصوم، ولكن إن خرج بسبب تقبيل أو مباشرة أو طول تذكر فسد الصوم، وعليها القضاء، وإذا احتلمت بالليل، ولم تستيقظ إلا بعد الفجر صامت وصومها صحيح.

١٦ - هل يجوز اعتكاف المرأة في المسجد؟

ذهب كثير من العلماء إلىٰ جواز اعتكاف المرأة في المسجد، إلا أن تكون من ذوات الحسن، فتعتكف في بيتها، واشترطوا لاعتكافها في المسجد الأمن، وإذن الزوج.

١٧ ـ بعض النساء يجهلن عدد الأيام التي أفطرنها في السنوات السابقة في رمضان فما الواجب عليهن؟

يجب على الحائض والنفساء وأصحاب الأعذار قضاء ما أفطرن في رمضان بانتهاء العذر المانع من الصيام، ويكون القضاء على مدار السنة قبل دخول رمضان آخر. فإذا مرّ أكثر من رمضان والمرأة تجهل عدد الأيام التي أفطرتها ولم تقضها، فإنها تنظر مدة حيضها، وتأخذ بالأقل، وتحصي الأيام التي أفرطتها، ثم تنوي قضاءها، وقال بعض العلماء: يلزمها الفدية «أي إطعام مسكين» عن كل يوم أفطرته مع القضاء.

١٨ ـ تنزل الدورة ثلاثةأيام ثم تنقطع يومين ثم تنزل مرة أخرى، فما حكم الصلاة والصوم في فترة الانقطاع؟

تعد فترة الانقطاع تابعة للحيض طالما وقعت في مدة الحيض، وهنا تمتنع المرأة عن الصلاة والصيام أثناءها.

المحور السادس: القيم في شهر رمضان:

القيمة الرئيسية[١] قيمة العبادات وذلك لأن شهر رمضان هو أكبر مواسم الطاعة ومضاعفة الأجر، فصلاة الفريضة بسبعين صلاة وهو شهر الصوم، وفيه زكاة الفطر، وبعض القيم إجمالاً هي:

١ ـ قيمة التكافل. ٢ ـ الشمولية.

٣ ـ الإيجابية. ٤ ـ الحرية.

٥ ـ العدالة. ٦ ـ الأمانة.

٧ ـ الإصلاح (للنفس والمجتمع).

هذه أبرز القيم التي نحاول ترسيخها في شهر رمضان من كل عام وهناك قيم أخرى تناسب مختلف العصور.

---

(١) تفصيل هذه القيمة في الباب الثاني وخاصة في أسرار العبادات.

أ ـ الإصلاح:

١ ـ هدف الإصلاح : رفع الظلم عن المجتمع .

٢ ـ واجب الفرد نحو عملية الإصلاح .

٣ ـ لا يأس من الإصلاح مهما كانت العقبات .

٤ ـ كيف تتضافر الجهود من أجل الإصلاح .

ب ـ الحرية:

١ ـ الحرية سر تكريم الإنسان وعنوان تميزه .

٢ ـ الحرية قيمة شاملة ، حرية العقيدة ـ الحرية الفكرية والاجتماعية والسياسية .

٣ ـ عواقب الخنوع وعدم الجهاد في سبيل الحرية : الذل .

٤ ـ ضوابط الحرية في الإسلام .

جـ ـ العدالة:

١ ـ إعلاء الإسلام لقيمة العدالة .

٢ ـ العدالة في الإسلام تشمل المخالفين للدين والمعاندين للحق .

٣ ـ الأمة كلها يجب أن تتكاتف لفرض العدالة على الحاكم والمحكومين .

٤ ـ عواقب ترك العدالة على الأفراد والمجتمعات .

د ـ الإيجابية:

١ ـ المسلم لا يكون مسلماً إلا إذا كان إيجابياً .

٢ ـ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوضح مظاهر الإيجابية .

٣ ـ عواقب السلبية والقعود عن المشاركة في الإصلاح على الأفراد والأمم .

٤ ـ إصلاح الفساد الحاصل أحد مظاهر الإيجابية .

هـ ـ الأمانة:

١ ـ الحذر من تضيع أمانة التكليف والتوظيف .

٢ ـ الأمانة قيمة تحتاج إلى تضحيات .

٣ ـ عواقب تضيع الأمانة على الفرد والمجتمع .

و ـ الأمل :

١ ـ استقراء التاريخ يعطينا الأمل .

٢ ـ استقراء الواقع يعطينا الأمل .

٣ ـ الأمل مكون أساسي من مكونات الرسل والدعاة .

٤ ـ لا أمل بلا عمل .

ز ـ التكافل .

ح ـ الشمولية .

المناسبة الثانية : الحج والعمرة

المحور الأول : التعريف بالمناسبة :

هو أحد أركان الإسلام الخمسة، فرضه الله سبحانه على القادر المستطيع مرة واحدة في العمر، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ (آل عمران : ٩٧).

ويقول الرسول ﷺ في خطبة له : « **أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** ». فقال رجل : «أكل عام يا رسول الله؟». فسكت ﷺ حتى قالها الرجل ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ : «**لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم**»(١) .

والحج واجب على الفور لمن قدر عليه لقول الرسول ﷺ : « **من لم يمنعه عن الحج حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، أو مرض حابس، فمات ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً**»(٢) . وذلك لقول الله تعالى : ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ (آل عمران : ٩٧).

والحج من الشرائع القديمة، قدم الإنسان وقد ثبت أن الأنبياء ومن اتبعوهم كانوا يحجون البيت الحرام.

---

(١) رواه الترمذي، تفسير سورة ٥، ١٥، والنسائي، مناسك ١، والدارمي، مناسك ٤، وابن ماجة، مناسك ٢، وأحمد ١/ ٢٥٥، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد في كتاب الإيمان، وهو غير المسند، والبيهقي، وأبو يعلى، وسعيد بن منصور في سننه، وفيه ليث وهو ضعيف، وعند الدارمي، مناسك ١، وفي رواية لأحمد : «**من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة**»، وفي الزوائد إسماعيل أبو خليفة، وهو ضعيف، جاء بسند آخر رواه الحاكم وقال صحيح، ورواه أبو داود أيضاً.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بوادي عسفان، فقال : **«ياأبابكر لقد مر بهذا الوادي هود وصالح، على بكرات خطمهما الليف، يحجون هذا البيت العتيق»**(١) .

وروى أبو يعلى والطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لقد مر بالروحاء سبعون نبياً، فيهم نبي الله موسى، يؤمون هذا البيت العتيق، وكانت قريش تحجه قبل الإسلام غير أنهم انحرفوا عن التوحيد وضلوا فأدخلوا فيه عبادة الأصنام والأوثان، حتى جاء الإسلام فقضى على الوثنية، وحطم الأصنام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً»**(٢) .

وهذا البيت هو أول بيت بُني في الأرض لعبادة الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ④** ﴾ (قريش) .

وقال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ⑨⑥ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ⑨⑦** ﴾ (آل عمران) .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلتُ: يا رسول الله، أخبرني عن أول بيت وضع في الأرض ؟ قال: **«المسجد الحرام»** .

قلت : ثم بعد هذا؟ قال: **«المسجد الأقصى»** .

فقلتُ: كم بينهما؟ قال: **«أربعون سنة.. ثم أين ما أدركتك الصلاة بعد فضله فإن الفضل فيه»**(٣) .

والباني لهذا البيت لتوحيد الله عز وجل نبيان من كرام الأنبياء: **أحدهما** إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي أُلقي في النار عقوبة له على موقفه من الأصنام

---

(١) رواه أحمد ١/ ٢٣٢ .

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني .

(٣) رواه البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله..﴾ ١١/ ١٥٢، ومسلم ٣/ ١٠٥ .

وعبادتها فما اهتزت فيه شعرة، لكنه قال في صراحة وأعلن : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩).

فنجاه الله وحفظه ورعاه.. وأهلك الظالمين(١).

والنبي الثاني : أسلم عنقه للذبح في طواعية وصبر واحتمال وانقياد لله عز وجل، ولما قال له أبوه : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ (الصافات: ١٠٢).

قال : ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢)، ففداه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ.

والأمة الإسلامية ثمرة طيبة لدعوة خالصة صاحبت بناء هذا البيت قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) ﴾ (البقرة).

فضل البلد الحرام:

قال رسول الله ﷺ عن مكة : «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجت منك ما خرجت**»(٢).

لقد اختار الله مكة ـ علىٰ سائر الأماكن والبلاد ـ لنبيه ﷺ، وجعلها مناسك لعباده، قال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٧).

جعلها حرماً آمنا لا يسفك فيه دم، ولا يقطع فيه شجر، ولا يقتل فيه صيد.

---

(١) الحج معسكر رباني ـ فضيلة الشيخ : محمد عبد الله الخطيب ـ طبعة دار المنار، عام ١٩٩٧م.
(٢) رواه الترمذي، مناقب ٦٩ ، والدارمي، سير ٦٦، وابن ماجة، مناسك ١٠٣، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح.

ولقد أوجب الله على عباده ألا يدخلوها إلا متواضعين خاشعين متجردين من كل المظاهر ومن لباس أهل الدنيا، وجعل قصد البيت مكفراً للذنوب ماحياً للأوزار . . . ففي الحديث : **«من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**(١) .

وفي الحديث : **«تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة»**(٢) ، فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاد الله، وأحبهما إليه، لما أقسم به في كتابه العزيز فقال : ﴿ **وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ** ﴾ (التين : ٣) .

وقال جل شأنه : ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ** ﴾ (البلد : ١) .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : **«صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة»**(٣) .

وهذا صريح في أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض قاطبة، ومن فضل مكة أنها قبلة لأهل الأرض جميعاً .

وتُسمى : أم القرى، فجميع القرى تبع لها وفروع منها وهي الأصل(٤) .

ومن خواصها : أن من هَمَّ فيها بسيئة يعاقب وإن لم يفعلها ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ (الحج : ٢٥) .

---

(١) رواه البخاري، محصر ٩ ، ١٠ « حج لله فلم » .

(٢) رواه الترمذي، حج ٢ ، وحسنه وابن خزيمة وابن حبان عن عبد الله بن مسعود، وابن ماجة، مناسك ٣، وأحمد ١/ ٢٥ .

(٣) رواه مسلم، حج ٥٠٥ ، ٥١٠ .

(٤) الحج معسكر رباني للشيخ : محمد عبد الله الخطيب .

المحور الثاني : فقه المناسبة (الحج والعمرة):

يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(١) .

وفي رواية: «**تكفر ما بينهما**».

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة معي**»(٢) .

أركان العمرة :

١ ـ نية الدخول في النسك وهو الإحرام(٣) .

٢ ـ الطواف بالبيت سبعة أشواط .

٣ ـ السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط تبدأ بالصفا وتنتهي بالمروة .

---

(١) أخرجه البخاري، عمرة ١ ، ومسلم، حج ٤٣٧ ، والترمذي، حج ٨٨ ، والنسائي في مناسك ٣ ، وابن ماجة، مناسك ٣ ، والموطأ، حج ٦٥ ، وأحمد ٢ / ٢٤٦ .

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب ٧٩ ، والترمذي، الحج باب ٩٥ رقم ٩٣٩ ، وقال: حديث حسن غريب، والنسائي، الصيام ٦ ، و ابن ماجة .

(٣) كره الفقهاء التلفظ بالنية في العبادات، لقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٦)، وقال ابن كثير: أي أتخبرونه بما في ضمائركم؟ ، وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان»: «النية هي القصد والعزم على الشيء، ومحلها القلب لا تعلق لها باللسان أصلاً»، ولكن أجازوا ذلك في العمرة والحج. . اللهم إني أريد العمرة فيسرها لي وتقبلها مني. . نويتُ العمرة وأحرمتُ بها لله تعالىٰ. . «لبيك اللهم لبيك. . . إلىٰ آخر التلبية»؛ لأن بعض العلماء قالوا: لا يصح الإحرام حتىٰ يُلبي، أي نية وتلبية، وإن كان يعتمر عن غيره فليقل: نويتُ العمرة عن فلان، وأحرمتُ بها لله تعالىٰ عنه. . لبيك اللهم بالعمرة عن فلان. . لبيك اللهم لبيك. .

واجبات العمرة:

١ ـ الإحرام من الميقات .

٢ ـ الحلق أو التقصير والحلق أفضل للحديث « اللهم ارحم المحلقين قالوا والمقصرين[(١)] .

كيفية الإحرام :

المطلوب : إحرام القلب قبل إحرام البدن.. وإحرام القلب يكون بالتوبة والإخلاص.

إحرام البدن :

١ ـ يغتسل المُحْرِم ويزيل الشعر الزائد، ويقص الأظافر .

٢ ـ يلبس الذكر ملابس الإحرام ـ وتحرم المرأة في ثيابها ويسن للمُحْرِم صلاة ركعتين .

٣ ـ تغتسل المرأة الحائض وتُحْرِم وتفعل كل شيء إلا الطواف بالبيت وتظل على إحرامها حتى تطهر وتغتسل وتكمل عمرتها .

٤ ـ النية قلبية في جميع الأعمال، ولكن في العمرة والحج يتلفظ بها[(٢)] .

٥ ـ يبدأ المُحْرِم بالتلبية بعد النية مباشرة : «لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك، إن الحمد والنعمة لك والملك» . . وبمجرد التلبية ينعقد إحرامه، وعليه بعض المحظورات التي ستأتي .

٦ ـ مكان الإحرام (يعلن عنه في وسيلة السفر التي تسافر بها) .

---

(١) رواه البخاري، حج ١٢٧ ، ومسلم، حج ٣١٦ـ٣١٨ـ ٣٢٠ـ ٣٢١ .

(٢) سبق تفصيل ذلك .

محظورات الإحرام :

ما يحرم على الذكور والإناث	ما يحرم على الذكور	ما يحرم على الإناث
١ ـ لا يجوز أخذ شيء من شعره أو أظافره . ٢ ـ يجتنب المحرم الطيب بأنواعه . ٣ ـ لا يجوز لبس القفازين . ٤ ـ لا يخطب المحرم ولا يعقد لنفسه أو لغيره عقد نكاح . ٥ ـ يحرم على المحرم الجماع ودواعيه . ٦ ـ لا يتعرض للصيد .	١ ـ لا يجوز لبس المخيط فإذا لم يجد لبس سراويل وإذا لم يجد نعلين جاز له لبس الخفين . ٢ ـ لا يجوز تغطية الرأس بملاصق مثل العمامة .	لا يجوز للمرأة أن تغطي وجهها بالبرقع والنقاب ويجوز لها أن تستر وجهها بالخمار عن الرجال الأجانب

ما يحرم على الذكور :

١ ـ لا يجوز لبس المخيط [١] ، فإذا لم يجد لَبِسَ سراويل ، وإذا لم يجد نعلين جاز له لبس الخفين .

٢ ـ لا يجوز تغطية الرأس بملاصق مثل العمامة ، أو الطاقية .

ما يحرم على الإناث :

١ ـ لا يجوز للمرأة أن تغطي وجهها بالبرقع والنقاب ، ويجوز لها أن تستر وجهها بالإسدال عن الرجال الأجانب .

حكم من ارتكب شيئاً من هذه المحظورات :

١ ـ إن فعل المحظورات جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاُ فلا إثم عليه ولا فدية .

٢ ـ فإن فعل المحظور لحاجة فيجوز له ذلك ، وعليه الفدية .

٣ ـ وإن فعله بلا عذر ولا حاجة ، فهو آثم وعليه الفدية .

---

(١) المخيط هو الذي تم تفصيله على هيئة القميص والسروال ، حتى ولو كان بسلك أو دبوس ، أما إذا كان إزاراً ورداء وبه خيط حياكة فلا شيء في ذلك .

مُحَرَّمات الإحرام :

يحرم على كل من أحرم بالحج أو العمرة أو هما معاً الإتيان بشيء مما يأتي :

المحرمات	ما يترتب على فعل شيء: منها سهواً أو عمداً
لبس المخيط من الثياب	الفدية بذبح شاة
تغطية رأس الرجل ووجه المرأة	الفدية بذبح شاة وعند الشافعي وأحمد لا فدية على الناسي والمكره
إزالة الشعر من الجسم بأي الأنواع	الفدية بذبح شاة إلا إذا كان الشعر المزال لا يتجاوز ١٢ شعرة وإلا فعليه التصدق بحفنة من البر
الأظافر	الفدية بذبح شاه إلا إذا كان المقلم ظفراً أو اثنين فعليه التصدق بمد عن الواحد وباثنين عن الظفرين
استعمال الطيب مطلقاً	الفدية بالذبح
صيد الحيوان أو التعرض له بأي حال	عليه بذلك جزاء : ١ ـ مثل ما قتل من النعم . ٢ ـ التصدق بطعام لكل مسكين يوازي قيمته نصف صاع . ٣ ـ الصيام عن كل مسكين يوماً .
قطع نبات الحرم	الفدية بالذبح
الجماع والتمتع بالنساء	فساد الحج وعند الشافعي لا يفسد إذا كان الرجل ناسياً أو مكرهاً عليه

مقدار الفدية :

أولاً : في إزالة الشعر والظفر ومس الطيب ولبس القفازين ولبس الذكر للمخيط وتغطية رأسه وانتقاب المرأة ـ والمباشر لشهوة في كل واحدة يخير بين ثلاثة أشياء :

١ ـ صيام ثلاثة أيام متتابعة أو منفردة .

٢ ـ أو إطعام ستة مساكين نصف صاع من طعام كالتمر أو الأرز .

٣ ـ أو ذبح شاه وتوزع على مساكين الحرم .

ثانياً : من ترك واجباً من واجبات العمرة كالإحرام من الميقات فعليه ذبح فدية شاة أو (سُبع بدنة) ولا يجوز له أن يأكل منها وتوزع .

ثالثاً: فدية الإحصار: من حصره عدو أو غيره بعد الإحرام ولم يشترط عند إحرامه فإنه يهدي ويحلق ويتحلل فيذبح في محله الذي أحصر فيه ويعطيها الفقراء فإن لم يستطع صام عشرة أيام ثم حلق أو قصر وتحلل .

أخي المعتمر.. لاحظ الآتي :

١ ـ تحرَ الحلال في أموالك وأن يكون زادك وراحلتك من حلال بعيداً عن الربا وجميع أنواع الحرام .

٢ ـ اجتهد في إرضاء الخصوم والمصالحة، وفض جميع النزاعات قبل السفر، وإنهاء أي خصومة لك واستحضر حديث رسول الله ﷺ : **«وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**(١) .

٣ ـ احرص وأنت تطوف حول الكعبة على أن تكون الأدعية التي تدعو بها من اجتهادك، وما تريده أنت من الله، وما يفتح الله عليك به، فلا يوجد أدعية مخصوصة إلا بين الركنين : ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ (البقرة: ٢٠١)، وعند الحجر : «**بسم الله، الله أكبر**» . . وحتى تستفيد من الدعاء خصص لكل شوط دعاء معيناً، فمثلاً بأن تدعو لنفسك في شوط، ولوالديك في شوط، ولبنيك في ثالث، والمسلمين في رابع . . . وهكذا .

٤ ـ إذا شككت في عدد الأشواط هل هي ٤ أو ٥، ابن على الأقل واجعلها أربعاً وأكمل . .

---

(١) أخرجه البخاري، أدب ٦٢، ومسلم، بر ٢٥ .

عمرة التنعيم :

بعد الانتهاء من العمرة والتحلل منها بالحلق أو التقصير ، إذا أردت أن تؤدي عمرة ثانية سواء لك أو لغيرك ممن لا يستطيع الذهاب مطلقاً إلى الأماكن المقدسة أو كان ميتاً ، فعليك أن تخرج إلى أدنى الحل من مكة ، وهو مسجد التنعيم ، ثم تحرم منه وتأتي إلى الحرم لتؤدي مناسك العمرة ، ولك إن أردت القيام بأكثر من عمرة في سفرٍ واحد أن تكرر حسبما تريد وهي صحيحة إن شاء الله .

وقبل أن نذكر مشروعيتها . . أذكرك ـ أخي المعتمر ـ أن تتجنب أيام الزحام في هذه العمرة سواء في التنعيم أو في الحرم .

مشروعية العمرة من التنعيم:

١ ـ أمر النبي ﷺ عبد الله بن أبي بكر أن يأخذ السيدة عائشة لتحرم من هناك (التنعيم) لأنها حاضت ، وهذا ليس تشريعاً خاصاً بها .

٢ ـ أخرج الإمام مالك في الموطأ في كتاب الحج ، حديث ١١٠ ، تحت عنوان «أحرم بعمرة من التنعيم» عن مالك عن هشام عن عروة عن أبيه أنه رأى عبد الله بن الزبير أحرم بعمرة من التنعيم .

٣ ـ وفي كتاب الحج حديث ٦٨ في الموطأ : قال مالك : فأما العمرة من التنعيم فإنه من شاء أن يخرج من الحرم فإن ذلك مجزئ عنه إن شاء الله ، ولكن الأفضل أن يهل من الميقات الذي وقته رسول الله ﷺ ، أو ما هو أبعد من التنعيم .

ثواب الحج والعمرة :

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة**»[1] .

---

(١) رواه الترمذي، حج ٢ ، وقال : حسن غريب .

من قدر على الحج ولم يحج:

روي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ملَكَ زاداً أو راحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً، وذلك أن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران: ٩٧)[١].

كيف يتجهز المسلم للحج؟[٢]

١ ـ ينبغي البدء بالتوبة، وقضاء ديونه، ورد المظالم، وطلب السماح من أصحاب الحقوق إن عجز عن ردها (التوجه القلبي الصادق وإخلاص النية).

٢ ـ يجب أن يرد الودائع إلى أهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيراً﴾ (النساء: ٥٨).

٣ ـ يصحب معه من المال الحلال الطيب ما يكفي لذهابه وعودته ونفقته.

٤ ـ من السنة أن يتوسع في الإنفاق على الضعفاء والفقراء والمساكين.

٥ ـ ينبغي أن يبحث الحاج عن رفقة من الصالحين ليعينوه على الخير ويذكروه عند النسيان.

٦ ـ ينبغي أن يودع أهله وأقاربه وجيرانه وأصدقاؤه، ويطلب منهم الدعاء والسنة أن يقال في الوداع: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم ١١٢، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، حيث ضعّف بعضهم هلال بن عبد الله، وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث له طرق مرفوعة ومرسلة وموقوفة، فإذا انضم بعضها إلى بعض عُلِمَ أن له أصلاً.

(٢) الحج معسكر رباني، كتاب للشيخ محمد عبد الله الخطيب.

(٣) رواه أبو داود، جهاد ٧٣، عن مزعة بن عمر، ورواه الترمذي، دعوات ٤٣، عن نافع بن عمر، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، جهاد ٢٤، وأحمد ٢/ ٧ ـ ٢٥ .

وكان النبي ﷺ يقول لمن أراد السفر: «**في حفظ الله وكنفه، زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجهك للخير أينما كنت**»[(١)].

٧ـ يصلي ركعتين قبل الخروج من الدار، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾.

وفي الثانية ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾.

٨ـ وعلى باب الدار يقول: «**باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، رب أعوذ بك أن أضل أو أُضل، أو أذل أو أُذل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل عليَّ**»[(٢)].

أركان الحج:

١ـ الإحرام (النية)[(٣)] وهو نية الدخول في النسك (كما في إحرام العمرة).

٢ـ الوقوف بعرفة يوم عرفة.

٣ـ الطواف (طواف الإفاضة).

٤ـ السعي بين الصفا والمروة.

من ترك شيئاً من هذه الأركان لم يصح حجه حتى يأتي به.

---

(١) رواه الترمذي، دعوات ٤٦، عن أنس، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه ابن ماجة، دعاء ١٨، وأبو داود، أدب ١٠٣، والترمذي، دعوات ٣٦، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) نية الحج: اللهم إني أريد الحج فيسره لي، وتقبله مني، نويت الحج وأحرمت به لله تعالى عز وجل، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، اللهم أحرم لك شعري وبشري وجسدي وجميع جوارحي، من الطيب والنساء وكل شيء حرمته على المحرم أبتغي بذلك وجهك الكريم يا رب العالمين.

واجبات الحج :

١ ـ الإحرام من الميقات .

٢ ـ الوقوف بعرفة إلى الغروب .

٣ ـ المبيت بمزدلفة ليلة النحر (إن استطاع) .

٤ ـ المبيت بمنى ليالي أيام التشريق (معظم الليل) .

٥ ـ رمي الجمار .

٦ ـ الحلق أو التقصير .

٧ ـ طواف الوداع (ويسقط عن الحائض) .

من ترك شيئاً من هذه الواجبات فإنه يجبر بدم يذبح في الحرم ويوزع على الفقراء ولا يأكل منه شيئاً ، وحجه صحيح .

سنن الحج :

١ ـ الاغتسال عند الإحرام .

٢ ـ الإحرام في إزار ورداء أبيض للرجال .

٣ ـ التلبية ورفع الصوت بها .

٤ ـ المبيت بمنى ليلة عرفة يوم التروية .

٥ ـ تقبيل الحجر الأسود ، إذا لم يؤذ الآخرين بزحامه .

٦ ـ الاضطباع (جعل الرداء تحت الإبط الأيمن في طواف القدوم أو العمرة) .

٧ ـ الرَّمل (الإسراع في الأشواط الثلاثة الأولى من طواف القدوم أو العمرة إذا لم يؤذ الآخرين) .

٨ ـ طواف القدوم للقارن والمفرد .

من ترك سنة منها فلا شيء عليه .

أنواع النسك :

١ ـ الإفراد : بالحج وحده : «لبيك اللهم حجاً» وليس عليه هَدْي .

٢ ـ القران بين الحج والعمرة : « لبيك حجاً وعمرة» ويبقىٰ علىٰ إحرامه حتىٰ يوم النحر وعليه هدي .

٣ ـ التمتع : «لبيك عمرة متمتعاً بها إلىٰ الحج» بعد العمرة يتحلل من الإحرام ثم يحرم يوم التروية ، يوم الثامن من ذي الحجة ، وعليه هدي .

وتؤدي مناسك الحج بالتفصيل كالتالي :

١ ـ أحرم يوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية) من مكانك ، ثم إذهب إلىٰ منى لتبيت بها حتىٰ الفجر ولا تغادر حدود منىٰ إلا بعد الشروق .

٢ ـ توجه يوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) بعد الشروق من منىٰ إلىٰ عرفة واقترب من جبل الرحمة حتىٰ تكون في مأمن من الأماكن التي ليست من عرفة (لاحظ أن جزءاً من مسجد نمرة ليس من عرفة) ، وعليك بالاستغفار والدعاء والتسبيح وقراءة القرآن طوال اليوم . وتظل علىٰ عرفات حتىٰ غروب الشمس ، وعليك بعد غروب الشمس النفرة إلىٰ مزدلفة لتبيت بها ، وتجمع الحصيات ، وتصلي المغرب والعشاء ، ثم توجه إلىٰ منىٰ بعد صلاة الفجر ، وادخلها منىٰ بعد شروق الشمس .

٣ ـ اليوم العاشر (يوم النحر) : بعد شروق الشمس متىٰ وصلت إلىٰ منىٰ يوم العيد (فإنك مطالب بهذه الأربعة : ارم جمرة العقبة بسبع حصيات ـ اذبح الهدي ـ احلق أو قصِّر ـ اذهب إلىٰ مكة لطواف الإفاضة ، ثم عد إلىٰ منىٰ قبل غروب يوم العيد) ، ولا يهم بأيها بدأت لقوله ﷺ : **«افعل ولا حرج»** .

٤ ـ أقم بمنىٰ أيام التشريق ١١ ، ١٢ ، ١٣ من ذي الحجة لرمي الجمرات : ﴿ **فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ** ﴾ (البقرة: ٢٠٣) .

٥ ـ بهذا تم حجك ، وعليك أن تنظر إلىٰ موعد السفر ، ومغادرة مكة لتؤدي طواف الوداع . .

مكـة الـمكـرمـة

الإحـرام بالـحـج

إلى منى ـ يوم التروية ٨ من ذي الحجة
* يحرم من مكة بالحج متجهاً إلىٰ منىٰ قبل الظهر .
* يلبي ـ ويكثر من الدعاء .
* يصلي بهـا خمس صلوات (الظهـر والعصر والمغرب والعشاء وفجر يوم التاسع مع قصر الصلوات الرباعية .
* يبيت حتىٰ طلوع شمس اليوم التاسع .

عرفـة

إلى عرفة ٩ من ذي الحجة
* يتجه إلىٰ عرفات بعد طلوع الشمس
* يقف بعرفة ويستحب أن يكون متطهراً وليس شـرطاً ـ من أول النهـار ـ حتىٰ غروب الشمس ـ يستقبل القبلة ـ يكثر من الدعـاء والذكـر ـ يتجه منها بعـد غروب الشمس إلىٰ المزدلفة .

مـزدلفـة

الدفع إلى المزدلفة ليلة ١٠ من ذي الحجة
* يصلي بها المغرب والعـشاء جمـعاً وقصراً للعشاء بمجرد هبوطه بها .
* يبيت بها حتىٰ فجر يوم ١٠ ذي الحجة
* يجمع الحصيات ـ يذكر ويدعو عند المشعر الحرام بعد الفجر ـ ثم يتجه إلىٰ منىٰ قبل شروق الشمس .

العودة إلى منى صباح ١٠ من ذي الحجة
* يلبي ـ يكثر من الدعاء .
* يتجه إلىٰ جمرة العقبة الكبرىٰ وعندها تنتهي التلبية ويرميها بسبع حصيات .
* يذبح الهدي إن كان متمتعاً أو قارنًا .
* يحلق أو يقـصر شـعـره ويتـحلل من الإحرام ويحل له كل شيء إلا النساء .
* يذهب إلىٰ مكة لطواف الإفاضة .



إلى طواف الإفاضة
* ثم يـأتي مكة لطواف الزيارة وفـعـله يوم النحر أفـضل وإن أخره عن أيام منىٰ جاز لأنه لا أخر لوقته .

المبيت بمنى أيام التشريق
* يبيت بها ليالي التشريق الثلاثة وله أن يتعجل في يومين .
* يرمي الجمـرات الثـلاث كل يوم بعد الزوال (بعد الظهر) .
* يسقط عن المتعجل رمي اليوم الثالث إذا غادر قبل العصر

إلى طواف الوداع
* إذا أتي مكة وقد فرغ من جميع أموره وأذن الرحيل طاف بالبيت للوداع .
* وليس علي الحائض أو النفساء وداع .

تـم حـجـك

جدول بأحكام الحج والعمرة على المذاهب الأربعة (١)

البيان	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنابلة
الحج	فرض فورا	فرض تراخيا	فرض فورا	فرض فورا
الإحرام بالحج	شرط وركن	ركن	ركن	ركن
العمرة	سنة مؤكدة	فرض واجب	سنة مؤكدة	فرض فورا
الإحرام بالعمرة	سنة	سنة	سنة وقيل واجب	سنة
إدماج الإحرام بالتلبية	شرط وقيل ركن	ركن	ركن	ركن
الإحرام من الميقات	واجب	واجب	واجب	واجب
الغسل للإحرام	سنة	سنة	سنة	مستحب
التلبية	سنة	سنة	واجب	سنة
طواف القدوم	سنة	سنة	واجب	سنة
نية الطواف	شرط	شرط	واجب	شرط

(١) مناسك الحج والعمرة على المذاهب الأربعة، مكتبة عبدالوهاب مرزا، مكة المكرمة، ص٤٠ وما بعدها.

البيـــان	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنابلة
بدء الطواف من الحجر الأسود	واجب	شرط	واجب	شرط
جعل الكعبة يسار الطائف	واجب	شرط	شرط	شرط
الطهارة من الحدثين في الطواف	واجب	شرط	شرط	شرط
كون الطواف سبعة أشواط	واجب	شرط	شرط	شرط
ركعتا الطواف	واجب	سنة وقيل واجب	واجب	سنة
الطواف للعمرة	ركن	ركن	ركن	ركن
السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة	واجب	ركن	ركن	ركن
وقوع السعي بعد الطواف	واجب	شرط	واجب	شرط
نية السعي والبدء في الصفا	واجب	شرط	شرط	شرط
بدء السعي بالصفا وختمه بالمروة	واجب	شرط	شرط	شرط
المشي فيه مع القدرة	واجب	سنة	واجب	شرط
كون المشي سبعة أشواط	واجب	شرط	شرط	شرط
الموالاة بين أشواط السعي	سنة	سنة	واجب	شرط
الموالاة بين السعي والطواف	سنة	سنة	واجب	سنة

البيان	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنابلة
الحلق أو التقصير في العمرة	واجب	واجب	واجب	واجب
المبيت بمنى ليلة عرفة	واجب	سنة	واجب	مستحب
الوقوف بعرفة	ركن	ركن	ركن	ركن
وقت الوقوف بعرفة				
وقت الوقوف إلى ما بعد الغروب إن وقف نهاراً	واجب	واجب أو سنة	ركن	واجب
الدفع من عرفة مع الإمام أو نائبه	واجب	سنة	واجب	سنة
الجمع بمزدلفة بين صلاة المغرب والعشاء	واجب	سنة	سنة	سنة
المبيت بمزدلفة	واجب	واجب	واجب	واجب
الوقوف بمزدلفة ـ المشعر الحرام في وقته	واجب	واجب	سنة أو مستحب	واجب
رمي جمرة العقبة يوم النحر	واجب	واجب	واجب	واجب
الحلق أو التقصير في الحج	واجب	ركن	واجب	واجب
الترتيب بين الرمي والذبح والحلق	واجب	سنة	سنة	سنة
كون الحلق في الحرم وأيام النحر	واجب	سنة	سنة	سنة

البيـــان	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنابلة
طواف الإفاضة	ركن أكثره	ركن	ركن	ركن
كونه في أيام النحر	واجب	ركن	واجب في الحجة	سنة يوم العيد
تأخير طواف الإفاضة عن الرمي	سنة	سنة	واجب	سنة
رمي الجمار الثلاثة في أيام التشريق	واجب	واجب	واجب	واجب
عدم تأخير الرمي إلى الليل	سنة	سنة	واجب	سنة
المبيت بمنى ليالي أيام التشريق	سنة	واجب	واجب	واجب
طواف الوداع	واجب	واجب	مستحب	واجب

تنبيه : يؤخر الناس طواف الإفاضة إلى يوم السفر ليكون مع الوداع طوافاً واحداً.

أقول لك : وإن كان هذا جائزاً ولكن . . هل تضمن ظروفك من مرض أو غيره أو المرأة قد يأتيها الحيض، وبذلك قد لا تطوف طواف الإفاضة فلا يتم حجك.

لذا . . أنصحك أن تطوف طواف الإفاضة في يوم العيد مهما كان في ذلك من مشقة.

فضل أيام العشر:

١ ـ أقسم الله بها لشرفها : ﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ ﴾ (الفجر) .

٢ ـ قال عنها النبي ﷺ :

* « **ما من أيام أعظم عند الله سبحانه ولا أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد**»[(١)] . . أي قول: «لا إله إلا الله، والله أكبر ، ولله الحمد».

* « **ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر**»[(٢)] .

* « **ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام**». (يعني العشر) قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال : « **ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء**»[(٣)] .

فضل يوم عرفة:

لغير الحاج : عن أبي قتادة قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة فقال: «**صوم يوم عرفة يُكَفِّر السنة الماضية والباقية**»[(٤)] . وفي رواية : «**إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله**».

الأضحية:

الأضحية اسم لما يذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق تقرباً إلى الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري، عيدين ١١ .

(٢) رواه الترمذي، صوم ٥٢ ، وابن ماجة والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث غريب، وقال قدروي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ مرسلاً .

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجمعة رقم ٩٦٩ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيام رقم ١٩٣ .

حكمها : سنة مؤكدة ويكره تركها مع القدرة لحديث أنس : «**أن النبي ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر**»(١).

الأملح : ما يخالط بياضه سواد . . أقرنين : يعني ما له قرن .

وعن أم سلمة أن النبي ﷺ قال : «**إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره**» (٢) .

شروط الأضحية :

١ ـ أن تكون من الإبل والبقر والغنم ولا تجزئ من غير هذه الثلاثة لقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** ﴾ (الحج : ٣٤) .

٢ ـ سن الأضحية من الضأن سنة ونصف ـ من المعز سنة ـ من البقر ما له سنتان ـ و من الإبل ما له خمس سنين يستوي في ذلك الذكر والأنثىٰ .

٣ ـ ما لا يجوز أن يُضَحَىٰ به : من شروط الأضحية السلامة من العيوب فلا يجوز بالمعيبة(٣) مثل : المريضة البين مرضها ـ العوراء البين عورها ـ العرجاء البين ضلعها ـ العجفاء التي لا تنقىٰ ـ العضباء الذي ذهب أكثر أذنها أو قرنها ويلحق بهذه الهتماء والعصماء والعمياء والتولاء (التي تدور في المرعىٰ ولا ترعىٰ) والجرباء، للحديث قال رسول الله ﷺ : «**أربعة لا تجزئ في الأضاحي العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ظلعها والعجفاء التي لا تُنْقَى**»(٤) .

---

(١) أخرجه البخاري ، حج ٢٧ـ١١٧ـ١١٩ ، ومسلم، أضاحي ١٧ ، ١٨ .

(٢) أخرجه مسلم ، أضاحي ٤٠ ، ٤٢ .

(٣) المعيبة المقصود العيب الظاهر الذي ينقص اللحم ـ العجفاء : ذهب مخها من شدة الهزال ـ العصماء : بالكسر غلاف قرنها .

(٤) رواه الترمذي، أضاحي ٥ ، وقال: حديث حسن صحيح ، وأبو داود، أضاحي ٥ ، والنسائي، ضحايا ٥ ـ٧ ، وابن ماجة، أضاحي ٨ ، والدارمي، أضاحي ٣ ، ومالك، ضحايا ١ .

احذر أيها المضحي:

١ - **أن تحي بالأضحية سُنة وتهدم من الإيمان شُعبة** . . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(١) .

فعليك أخي المضحي وضع فضلات الذبيحة في كيس ووضعها في أماكن تجميع القمامة ونظف الدم واجعل غسيله ينصرف إلى الصرف العام ولا يسيل في الشوارع، فاحذر أخي المسلم أن تلوث الشارع بدماء وفضلات الأضحية للحديث: «**من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم**»(٢) ، وفي رواية : «**من غسل سخيمته على طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»(٣) .

٢ - **الهَدْي** : هو ما يُهدىٰ من النعم إلىٰ الحرم تقرباً إلىٰ الله : ﴿ **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (الحج: ٣٦). ولها نفس ما قيل في الأضحية .

المحور الثالث : كيف نُحيي المناسبة عملياً ؟ (فردياً وجماعياً)

الدرس العملي الأول : رحلة فاصلة :

إنها الرحلة الفاصلة بين الهدىٰ والضلال : قال تعالىٰ : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ﴾ (البقرة: ١٩٧).

---

(١) رواه البخاري، إيمان ١٦ ، ٢ ، ومسلم، إيمان ٥٧ ، ٥٩ .

(٢) رواه الطبراني ، كنز العمال ٩/ ٣٦٥ ، رقم ٢٦٤٨٦ .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه محمد بن عمرو الأنصاري ، ضعفه يحيىٰ بن معين ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله ثقات ، والسخيمة هي الحقد والضغينة ومنها سواد القِدْر .

ومن هنا تحدد الاتجاه الجديد لمسيرة الإنسان، عليه أن يهجر الطريق القديم بكل ما فيه من رفث وفسوق وجدال، وعليه أن يدع حياة الفُحش والهبوط والتدني، ويختار الطريق الذي رضيه له الله تعالى في قوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وعليه أن يرفع شعاره الجديد: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ (الأنعام).

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(١).

رحلة فاصلة، وبداية عهد وميثاق جديد مع مالك الملك الغني عن العالمين، ميلاد جديد للمسلم، الشهادة بالتوحيد هي بداية الطريق، والاستجابة لله هي معالمه، هدير التلبية ـ لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . . . تملأ الصدور وتنطلق بها الحناجر من أعماق النفس، هدير يحمل المسلم على الصعب والذلول في سبيل عقيدة التوحيد، هدير هو الحداء الذي يرفع المسلم إلى القمة ويروضه على صدق الالتزام بحق هذه العقيدة.

يا الله. . يا ذا الجلال والإكرام ما أعز من لا يذل إلا بين يديك وما أكرم من لايخضع إلا لسلطانك(٢).

الدرس العملي الثاني: وحدة الأمة من مقاصد شعائر الإسلام:

يقول **الشيخ محمد عبدالله الخطيب**: «مَنْ للمسلمين في أن يعودوا سيرتهم الأولى علماً وعملاً وسلوكاً، وصدق غاية، وسلامة اتجاه، وحياة جهاد، وتضحية، وبُعد نظر؟

---

(١) متفق عليه (سبق تخريجه).

(٢) الحج معسكر رباني، للشيخ محمد عبدالله الخطيب.

إن المسلمين اليوم وغدا تنتظرهم في هذا العالم واجبات وتكاليف لا يستطيع أداءها إلا الذين تخففوا من ثقلة اللحم والدم، وارتفعوا فوق متع الحياة ولم يركنوا إلىٰ الراحة والدعة وطلب العافية والسلامة كما ترقبهم أعباء لا قبل لهم بها إذا لم يخلصوا أنفسهم لله ولدينه ويعطوا من وجودهم وكيانهم ما لا يبخل به إنسان يؤمن بيوم الحساب، لابد أن يدرك المسلمون أن أمتهم اليوم تمر بفترة كئيبة من تاريخها الطويل فترة فقدت فيها وحدتها ونسيت رسالتها إن عليها سُبات عميق خلّفها ضعيفة، فاقدة الوعي، مشلولة الحركة، والفقر الحقيقي في هذه الأمة هو شلل المواهب وفقدان الهمم والعزائم والصحوة الحقيقية هو الشفاء من هذه العلل والاستهداء بالإيمان والاستعلاء علىٰ متاع الدنيا.

إن الذين يقفون في هذه الأمة أمام كل التيارات ويريدون إقامة المجتمع الإسلامي والفضائل الإسلامية، قله تحتاج إلىٰ عون، والشعوب الإسلامية للأسف ما زالت تقف موقف المتفرج أو العاجز أمام حملات التبشير والتغريب.

في حاجة إلىٰ وقفة جادة أمام الكوارث التي تنزل بهم وفي الحج تجديد لمعنىٰ الأمة التائهة المفككة التي تجاهلت رسالتها وفي الحج توحيد لها تحت راية الإسلام وتذكير لها بهذا التوحيد وهو أيضاً تعليم لها بأن الطريق إلىٰ توحيدها وجمعها ليس غير طريق الله طريق لبيك اللهم لبيك(١).

ونقول: إن التطبيق العملي لهذه المعاني يكمن في قول الله تعالىٰ: **﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾** (آل عمران: ١٠٣).

ويقول الرسول الأعظم ﷺ في حجة الوداع (٢): « **أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب** ».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الرحيق المختوم، ص ٥٨٨ وما بعدها، والحديث رواه مسلم، والبخاري عن عمر ١/ ٢٠٧.

تبرز هذه القيمة في حكمة تلك الشعيرة الجامعة، شعيرة الحج، هذا المؤتمر الإسلامي الكبير يقوم الحجيج جميعاً في صعيد واحد في مكان واحد، في عرفات الله بزي واحد، وتكبير واحد يدعون رباً واحداً سبحانه، فيستعصون على الشيطان فلا يُرَىٰ الشيطان أصغر ولا أحقر منه في يوم عرفة.

ثم يتوجهون إلىٰ منىٰ في مكان واحد يذكرون الله تعالىٰ كذكرهم آباءهم في موعد واحد، ثم يتوجهون للطواف ببيت واحد ومسعىٰ واحد ثم يتحللون بنظام واحد هذا كله علىٰ اختلاف ألسنتهم وألوانهم وبلادهم وأعراقهم.

وإذا كانت هذه الشعيرة المجمعة للمسلمين - شأنها شأن باقي الشعائر - تجمع الأمة وتؤكد علىٰ توحدها ووحدتها، ألا نأخذ منها العبرة ونعمل كمسلمين نقيم شعائر الله - علىٰ تحقيق هذه الوحدة ونبذ الفرقة التي قطعت أوصال الأمة؟!!

إنه لمن فروض الإسلام على كل مسلم صادق الإيمان غيور على دينه وعلى أمته أن يأخذ بأسباب العمل على وحدة الأمة على المستوى الفردي والجماعي:

١ - أن يواظب علىٰ حضور الجمع والجماعات، فيفرح قلبه بهذه التجمعات كمظهر من مظاهر الوحدة.

٢ - أن يبتعد عن ذكر مواطن الخلاف وألا يدخل في معارك لخلافات فرعية فقهية يحتملها الشرع رحمة بالأمة، كما أوصانا رسول الله ﷺ: «**وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها ..**»(١).

٣ - أن يدعو كل مسلم بكامل الإخلاص وصدق التوجه إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ بأن يوحد الأمة ويجعلها علىٰ قلب رجل واحد.

٤ - أن يتفقه كل مسلم في دينه وخاصة الذين يتصدرون لأمر الدعوة وأن يتعلموا أدب الخلاف وأدب التحاور.

٥ - ألا يتغير قلب المسلم علىٰ أخيه المسلم لالتزامه أمراً فقهياً علىٰ غير رأيه.

---

(١) الحديث ذكر كاملاً في بداية الفقه من هذه الموسوعة.

٦ ـ وليعلم كل مسلم أن وحدة الأمة تجعلها تستعصىٰ علىٰ أعدائها ويكتب الله لها النصر والعزة والتمكين والبركة والرخاء .

٧ ـ وليعلم كل مسلم أن وحدة الأمة تجعل أفرادها تستعصي علىٰ الشيطان ، فالشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وبالتالي يأمن المجتمع الشر ويعمه الخير .

وهكذا أيها المسلمون الصادقون فإن وحدة الأمة حصن منيع وسبيل لعزها .

فاللهم وحد كلمتنا . . وانصر أمتنا . . وارفع رايتنا . . وأقل عثرتنا . . وفقهنا وعلماءنا وقادتنا . . حتىٰ نعمل علىٰ وحدة أمتنا . . وإطفاء نار فرقتنا .

الدرس العملي الثالث : الحج تلتقي فيه البشرية على مبدأ الخير العام (١) :

إن البشرية عندما تلتقي في الحج فإنها تلتقي علىٰ مبدأ الخير العام لأن نيتهم تتجه إلىٰ التزود بالعمل الصالح الذي يقربهم إلىٰ الله ويحببهم إلىٰ الناس لأنهم قرأوا قول الله تعالىٰ : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ (الكهف : ١١٠) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء : ١١٤) .

وبهذا تُوضع المجتمعات تحت رعاية الضمير اليقظ من الفرد المسلم الذي يؤمن بصدق أن من وراء سعيه في الدنيا حساباً ، وإن من وراء حسابه في اليوم الآخر ثواباً وعقاباً .

إن النداء الذي أذن به إبراهيم للحج هو نداء للقلوب لذلك رعاه الزمن وحفظه التاريخ ، وهكذا كان الحج فريضة تُهذب النفس وتعصم السلوك الإنساني ، وعنواناً للأخوَّة الإنسانية العامة ، وكان هذا الموكب المهيب الذي يحف به البهاء

---

(١) من مقال الشيخ منصور الرفاعي عبيد ، وكيل وزارة الأوقاف بمصر ـ مجلة منار الإسلام .

والجلال هو تهيئة للإنسانية كي تتدارس شؤونها وتتداول منافعها في حرم آمن وقلب غير آثم وهذا الموكب ما هو إلا شبكة اتصال قوية بين مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها القرىٰ النائية والأقاليم المتباعدة كل ذلك وفاءاً للمعاني النبيلة والمثل الكريمة .

وحينما تنحرف البشرية عن منهج الله وعن دينه تأتي العبادات التي شرعها الله عصمة للأفراد ووقاية للجماعة وأمناً وسلاماً .

ويهدف الحج ـ كغيره من الفرائض ـ إلىٰ غاية نبيلة كريمة هي : تعارف الإنسانية وتبادل منافعها وإشاعة الحب والرحمة والتعاون والتآلف بين عباد الله .

إن حرمة البيت الحرام ليست لما فيه من طوب وأحجار وإنما حرمته:

١ ـ لما يحتفظ من ذكريات من رفع قواعده وأسكن أهله ثم ابتلي فصبر ولذلك نقرأ قوله تعالىٰ : ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ (الحج : ٣٢) .

٢ ـ ولما كانت المنطقة حول البيت الحرام حرماً آمناً لقوله سبحانه : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾ (العنكبوت : ٦٧) .

ومع أن الحج عبادة وفريضة لكن الحق سبحانه وتعالىٰ نبهنا إلىٰ أن نشهد منافع لنا ، ولكلٍ وجهة في تحقيق منافعه يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)** ﴾ (الحج) .

ولما يحفل به موسم الحج من منافع للناس ، ومن خيرٍ عميمٍ لا يعم الحجيج وحدهم ، لأن خير الناس أنفعهم للناس والرسول ﷺ يقول : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »(١) . بل يفيض علىٰ من وراءهم من أهليهم .

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، و سبق تخريجه .

الدرس العملي الرابع : نموذج يُحتذى للأسرة المسلمة في ظلال الحج :

يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ (الإسراء : ٢٣) .

وهكذا يُعني الإسلام بالأسرة المسلمة بترابطها وتفاهمها وميثاقها الغليظ كسمة من سمات المجتمع المسلم والمؤمنين الصادقين في كل عصر وحين .

بعض المعاني من الحج :

وأول ما يظهر لنا من دروس في مناسك الحج هي تلك المعاني الجميلة والأخلاقيات الحسنة والصفات السوية التي تميزت بها أسرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

■ **أولاً : الأم (هاجر) رضي الله عنها وأرضاها :**

تلك الأم التي يفيض موقفها طاعة لله ، ولزوجها واحتساباً للأجر من الله تعالىٰ وثقة في موعوده ، حيث أمر الله تعالىٰ زوجها إبراهيم عليه السلام بالذهاب إلىٰ واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام لا زرع هناك ولا ماء ليترك الأم ورضيعها بلا مأوىٰ فما كان منها إلا أن قالت : «يا إبراهيم إلىٰ من تتركنا؟»

حتىٰ إذا بلغ منحنىٰ الطريق قالت : «يا إبراهيم ، آلله أمرك بهذا؟» .

فأومأ برأسه أن نعم ، فقالت : «إذاً لن يضيعنا أبداً» .

ثم رحمتها بولدها حتىٰ كاد قلبها ينخلع لهفة ورحمة به ، وهي تأخذ بالأسباب في البحث عن المأكل أو المشرب ـ مع انعدام الإمكانات المادية ـ فتهرول من الصفا إلىٰ المروة وهي في حالتها هذه لم تتبرم من زوجها ولم تسبه ولم تتهمه بما لا يليق فتصبر فيجزيها الله أجر الصابرين : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزُمَر : ١٠) .

فأتى الفرج من الله تعالى، وتفجّر لها الماء، عذباً زلالاً لا ينضب ما دامت السماوات والأرض، شفاء سقم، وطعام طعم.

ثم تتعرض لفتنة أكبر وهو ذبح ولدها الوحيد بعد أن بدأ يسعى فامتثلت لأمر الله ولم تصرخ في وجه زوجها ولم تتعد حدود الأدب معه، فيكون الفداء وينجي الله لها ولدها وقرة عينها. .

وهكذا يجب أن تكون الأم فهي من الأسرة بمثابة الرأس من الجسد فإن صلحت، صلحت الأسرة كلها وإن فسدت، فسدت الأسرة كلها.

■ **ثانياً : الأب :**

وهو في تلك القصة إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء الرجل الطائع لأمر الله تعالى والذي أدار بيته ـ زوجة وولداً ـ على الإيمان وحسن التوكل والطاعة لله تعالى والالتزام بأوامر الله، فكان هو النموذج الذي تعلم منه أهل بيته كل الفضائل.

أمره الله بالذهاب بأهله إلى بيت الله الحرام فذهب، أمره الله بذبح ولده الذي بدأ السعي معه ورزقه الله به بعد طول انتظار وأمل فصدع بأمر الله تعالى.

فليس في قلب إبراهيم تعلق بالدنيا وبما فيها اللهم إلا بالله تعالى وفضله، فاستقام أمر بيته، وهكذا يجب أن تستقيم أمور البيوت المسلمة بغير إهمال ولا تقصير فاختبره الله تعالى فنجح في الاختبار فكانت المنزلة الكبرى فهو أبو الأنبياء، ويكون الجزاء والذكر الخالد: ﴿ **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩)** ﴾ (الصافات).

ويقول تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

ويقول تعالى: ﴿ **وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (القصص: ٥٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة: ١٢٥).

فحُقَّ أن يُتخذ مقامه مصلى لمن طاف بالبيت.

إن إبراهيم عليه السلام كان يتابع ابنه ليتأكد من تكوين ابنه لأسرة مسلمة فيزور إسماعيل ويترك رسالة لإسماعيل: «غير عتبة البيت».

ولم يكتف إبراهيم عليه السلام بهذه الزيارة ولكنه يكررها ليتأكد أن أسرة إسماعيل أسرة صالحة فيزوره ويقول له: «أبق على عتبة البيت».

وبذلك يتأكد لنا أن احتفالاً بهذه المناسبة كل عام أمر ضروري لترسيخ قيمة الأسرة: (ابن بار ـ زوجة صالحة ـ زوج مطيع لربه وخالقه ـ إنها أسرة تسعد بها الإنسانية)(١).

بعض القيم إجمالاً:

١ ـ **الشمولية:** هذه القيمة تم تفصيلها في الباب الثالث (قضايا معاصرة).

٢ ـ **قيمة إتقان العمل:** ويظهر ذلك واضحاً من خلال بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٢٧). نجد هذه القيمة تفصيلاً في باب الأخلاق.

■ **ثالثاً: الابن:**

ذلك الولد الصالح البار بوالديه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢).

(١) راجع موضوع الولدان من هذه الموسوعة.

رفع الله ذكره لصدقه مع الله ولطاعته لأبيه : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ (مريم : ٥٤).

الولد الذي امتثل لأمر الله فأطاع أباه وأحسن معاملة أمه.

كان رحيماً بأمه يراعي شعورها وشغف قلبها به، وكان مشغوفاً بأبيه في ذلك الموقف العصيب فحاول أن يخفف عن أبيه ويعينه على طاعة الله تعالىٰ ناصحاً له : يا أبت إذا هممت بذبحي فاشحذ السكين حتىٰ لا تؤذيني، فتتألم لألمي فتعصي الله، يا أبت إذا هممت بذبحي فأدر وجهي عن وجهك حتىٰ لا تنظر إلىٰ فتحزن فتتأخر فتعصي الله، يا أبت إذا هممت بذبحي فلا تخبر أمي إلا بعد ذبحي حتىٰ لا تتأثر لأمرها فتتأخر عن تنفيذ أمر الله فتعصىٰ الله واخلع عني ردائي حتىٰ لا ترىٰ أمي أثر الدم فتأسىٰ.

فيكون جزاء هذا الولد الصالح أن يفديه الله صغيراً ويجتبيه رجلاً فيكون نبياً ويخلد ذكره في قرآن يُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، ويكون له جزء من الكعبة هو حجر إسماعيل.

وهكذا يجب أن تكون الأسرة المسلمة أسرة تفيض حباً ورحمة وشفقة ورأفة وطاعة لله وصلاحاً وتقوىٰ، كل مرتبط بربه، يتقي الله في الآخر يقوم كل بدوره ثم يكون العفو والمغفرة يحيون بتعاليم دينهم، ويتقون الله في أنفسهم وأهليهم.

الدرس العملي الخامس : الثبات وقطف الثمرة :

فالحج ارتقاء خلقي وطهارة نفسية والعاقل هو الذي يحافظ علىٰ هذا الارتقاء ويحافظ علىٰ مرتبة الشرف التي حصل عليها لأن الارتكاس إلىٰ السيئات ذلة وأي ذلة وهذا الارتقاء الروحي بدأ بالأذان يقول الله تعالىٰ لإبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج : ٢٧).

قالوا لما أوحىٰ الله إلىٰ إبراهيم بهذا، تصور الأمر فوجده خطيراً، فقال يا رب كيف أؤذن في الناس بالحج ليأتوا من كل فج عميق؟ وماذا عسىٰ أن يبلغ صوتي من

المسافات والآماد؟ فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه : عليك أن تؤذن وعلىٰ أن أبلغ صوتك لمن أشاء ومن هنا استنبطوا لطيفة روحية ، هي أن كل حاج أو معتمر ينهض لزيارة بيت الله ، إنما جاءت نهضته لا عن عزيمة عنه ـ وإن كانت العزيمة ظاهرة ـ وإنما عن انبعاث ألقىٰ الله سره في نفسه ، وهو سر يتضمن دعوة إبراهيم وصوت تأذينه في الناس ، وتولىٰ الله إلقاءه إنجازا لوعده السابق فكأن الله سبحانه هو الداعي بنفسه إلىٰ زيارة بيته ، فكل من انبعث إلىٰ هذه الزيارة فقد انبعث بإشارة غيبية أو بدعوة إلهيه وجهت إليه من صاحب البيت ، ولأمر ما كان علىٰ من لبىٰ الدعوة إلىٰ الحج أو العمرة أن يقول : لبيك اللهم لبيك . . لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . . فلبيك هي مظهر الاستجابة لنداء الله لا لنداء غيره(١) .

- **ولذلك قال الشيخ الشعراوي** : « الحج المبرور ، هو الذي لا يُعصىٰ الله فيه ولا بعده » .
- **وقال الحسن البصري** : « الحج المبرور هو أن يرجع الحاج زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة» .
- **ولذا نقول** : أن أول ما يكسبه الحاج من المغانم هو التطهر من ذنوبه السالفة ، والرجوع إلىٰ موطنه كيوم ولدته أمه .
- **يقول الشيخ محمد عبدالله الخطيب** (٢) : « تعود من زيارتك لتكون عنصرا نافعاً في الأمة تحس بقضاياها وآلامها وتشارك في دفع الأذىٰ عنها ، ومن لم يهتم بشأن المسلمين فليس منهم .

لقد قلت في رحلتك هذه إلىٰ بيت الله : « **لبيك اللهم لبيك** » فيجب أن تكون تلبية صدق وعمل وبيعة علىٰ الجهاد في سبيل الله نحن ننتظر عودتك والأمل معقود علىٰ بذل الجميع بغير حدود والعطاء الذي لا ينفد .

يجب علىٰ جميع المسلمين أن يستيقظوا ويفيقوا من الغفلة التي تسيطر علىٰ البعض منهم ، وينتبهوا قبل أن تدور عليهم الدوائر وصدق الله العظيم إذ يقول :

(١ ، ٢) الحج معسكر رباني ، لفضيلة الشيخ : محمد عبد الله الخطيب .

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد: ٣٨)».

يا اخي.. كن مع القوم الذي أحبوا الله فأحبهم ورضوا عن الله فرضي عنهم وثبتهم علىٰ عهده واختارهم، كن مع الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولا تلهيهم مناصب ولا ألقاب ولا أحساب، ولا أنساب فهؤلاء هم ورثة الأنبياء هؤلاء وأمثالهم، يقول فيهم القائل:

لله قومٌ أخلصوا في حبه ... فأحَبَّهُم واختارهم خداما
قوم إذا جنَّ الظلام عليهم ... قاموا هنالك سجداً وقياما
خُمص البطون عن الحرام تعففا ... لا يطلبون سوىٰ الحلال طعاما
يتلذذون بذكره في ليلهم ... ونهارهم لا يبرحون صياما

المحور الرابع: قيم الحج:

القيمة الرئيسية: قيمة الأسرة والتزام الزوجين بواجباتهما. بر الوالدين

تحقق قيمة الأسرة والترابط الأسري يحتاج إلى:

١ ـ زيادة قيام الأسرة بالأحكام الإسلامية في اختيار الزوج ـ الخطبة ـ العقد أساس إسلامي.

٢ ـ فهم الوالدين لواجبهما وقيامهما بتربية أبنائهما تربية إسلامية.

٣ ـ زيادة التكافل والتراحم وصلة الأرحام في العائلة الكبيرة.

٤ ـ زيادة الاهتمام بشريحة المسنين[1] ـ المطلقات ـ الأرامل.

إن العداء الآن للإسلام ينصب علىٰ الأسرة[2] ويحاول أعداء الإسلام تدمير

(١) راجع: رعاية المسنين في الإسلام، في الباب الرابع من هذه الموسوعة.

(٢) راجع: الأسرة، في الباب السادس من هذه الموسوعة.

نظام الأسرة بوسائل شتى بداية بإباحة الزنا وانتهاءً بوثيقة الطفل .

وحيث إن المجتمع الإنساني لا يتقدم ولا ينهض ولا يتماسك إلا بنظام الأسرة فقد اهتمت الشريعة الإسلامية بنظام الأسرة وجعلت من يُفسد نظام الأسرة ملعوناً .

وكل المناسبات الإسلامية تؤكد على قيمة الأسرة إلا أنه في مناسبة الحج تبرز قيمة الأسرة واضحة ولها أثرها الفعال في نهضة المجتمع الإنساني .

المناسبة الثالثة : الهجرة

قال تعالىٰ : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٤٠) .

كل عام نتحدث عن الدروس المستفادة من الهجرة ويأتي العام الذي بعده وقد ازدادت أحوالنا سوءاً ـ الصواب أن تتحسن الأحوال وتتقدم الأمة فكل دروس الهجرة تدفع إلىٰ التقدم والرقي والرفعة .

ويرجع ذلك التأخر ـ في رأيي ـ إلىٰ أحد أمرين :

١ ـ إما أن تكون الدروس التي تُعرض خيالية بعيدة عن أرض الواقع .

٢ ـ أو أننا أصبحنا قوماً نفتقد البُعد العلمي ، نتحدث وفقط ، ونتكلم وكفىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٢) .

ولن نستفيد من دروس الهجرة إلا إذا وضعنا أمامنا هذا التساؤل الذي طرحه الشيخ البنا رحمه الله : « هل نحن قوم عمليون؟ » .

ولذلك لم تكن الهجرة مجرد انتقال من مكان إلىٰ مكان ولكنها كانت رحلة نحو الإصلاح ، فلم تتوقف ولن تنتهي فمسيرة الإصلاح مستمرة . . .

ومن المناسب ان نتناول مناسبة الهجرة من خلال هذه المحاور :

■ **المحور الأول** : بداية الهجرة والتعريف بها ، فلو رجعت إلىٰ أي كتاب من كتب السيرة ستجد عرض الأحداث واحداً ولكن يختلف الأسلوب والألفاظ والتقسيمات إلا قليلاً .

■ **المحور الثاني** : فقه الهجرة وسوف نذكر الآراء الراجحة والتي عليها

الجمهور في ذلك .

- **المحور الثالث** : الهجرة والواقع العملي . . وذلك بعرض كيفية إحياء الهجرة عملياً في حياتنا .

المحور الأول : عرض أحداث الهجرة :

في دار الندوة : لما رأى المشركون أن أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهزوا وخرجوا ، وحملوا وساقوا الذرارى والأطفال والموالي إلى الأوس والخزرج أصابتهم الكآبة والحزن ، وساورهم القلق والهم بشكل لم يسبق له مثيل ، فقد تجسد أمامهم خطر حقيقي عظيم ، أخذ يهدد كيانهم الوثني والاقتصادي .

فقد كانوا يعلمون ما في شخصية محمد ﷺ من غاية قوة التأثير مع كمال القيادة والإرشاد ، وما في الصحابة من العزيمة والاستقامة والفداء في سبيله ، ثم ما في قبائل الأوس والخزرج من القوة والمنعة ، وما في عقلاء هاتين القبيلتين من عواطف السلم والصلاح ، والنزوع إلى نبذ الأحقاد ، ولاسيما بعد أن ذاقوا مرارة الحروب الأهلية طيلة أعوام من الدهر .

كما كانوا يعرفون ما للمدينة من الموقع الاستراتيجي بالنسبة إلى المحجة التجاريةُ التي تمر بساحل البحر الأحمر من اليمن إلى الشام ، وقد كان أهل مكة يتاجرون إلى الشام بقدر ربع مليون دينار ذهب سنوياً ، سوى ما كان لأهل الطائف وغيرها .

ومعلوم أن مدار هذه التجارة كان على استقرار الأمن في تلك الطريق .

فلا يخفى ما كانت تستشعره قريش من الخطر البالغ في تمركز الدعوة الإسلامية في يثرب ، تلك التي كانت تأخذ بخناق طريق التجارة ، وتهدد قريشاً ومركزها التجاري بين العرب .

شعر المشركون بتفاقم الخطر الذي كان يهدد كيانهم ، فصاروا يبحثون عن أنجح الوسائل لدفع هذا الخطر الذي مبعثه الوحيد هو حامل لواء دعوة الإسلام محمد ﷺ .

وفي يوم الخميس ٢٦ من شهر صفر عام ١٤ من النبوة، الموافق ١٢ من شهر سبتمبر عام ٦٢٢م[١] أي بعد شهرين ونصف تقريباً من بيعة العقبة الكبرىٰ ـ عقد برلمان مكة (دار الندوة) في أوائل النهار[٢] أخطر اجتماع له في تاريخه، وتوافد إلىٰ هذا الاجتماع جميع وجوه مكة وأهل القرار فيها، ليتدارسوا خطة تكفل القضاء سريعاً علىٰ حامل لواء الدعوة الإسلامية، وتقطع تيار نورها عن الوجود نهائياً.

وكان من الوجوه البارزة في هذا الاجتماع الخطير من بطون قريش :

١ : أبو جهل بن هشام، عن قبيلة بني مخزوم.

٢ ، ٣ ، ٤ : جبير بن مطعم، وطعيمة بن عدىٰ، والحارث بن عامر، عن بني نوفل بن عبد مناف.

٥ ، ٦ ، ٧ : شيبة وعتبة بنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب، عن بني عبد شمس ابن عبد مناف.

٨ : النضر بن الحارث عن بني عبد الدار.

٩ ، ١٠ ، ١١ : أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، عن بني أسد بن عبد العزىٰ.

١٢ ، ١٣ : نبيه ومنبه بنا الحجاج، عن بني سهم.

١٤ : أمية بن خلف، عن بني جمح.

ولما جاءوا إلىٰ دار الندوة حسب الميعاد، اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بت[٣] له، ووقف علىٰ الباب.

---

(١) الرحيق المختوم : أخذنا هذا التاريخ بعد مراجعة التحقيقات العلمية التي سجلها العلامة محمد سليمان المنصورفورىٰ في رحمة للعالمين ١/ ٩٥، ١٠٢، ٢/ ٤٧١ .

(٢) يدل علىٰ انعقاد هذا الاجتماع في أوائل النهار ما رواه ابن اسحاق : أن جبريل أخبر النبي ﷺ بمؤامرة هذا الاجتماع وأذن في الهجرة، ثم ما رواه البخاري من حديث عائشة : أن النبي ﷺ جاء أبا بكر في نحر الظهيرة وقال له : «**قد أذن لي في الخروج**».

(٣) البت : الكساء الغليظ.

فقالوا : من الشيخ ؟

قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسىٰ ألا يعدمكم منه رأياً ونصحاً.

قالوا : أجل، فادخل، فدخل معهم.

النقاش البرلماني والإجماع على قرار غاشم بقتل النبي ﷺ :

وبعد أن تكامل الاجتماع بدأ عرض الاقتراحات والحلول، ودار النقاش طويلاً، قال أبو الأسود : نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا ولا نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع فقد أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأيٰ، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته علىٰ قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل علىٰ حيٰ من العرب، ثم يسير بهم إليكم ـ بعد أن يتابعوه ـ حتىٰ يطأكم بهم في بلادكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأياً غير هذا.

قال أبو البختري : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا قبله ـ زهيراً والنابغة ـ ومن مضىٰ منهم، من هذا الموت، حتىٰ يصيبه ما أصابهم.

قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأيٰ، والله لئن حبستموه ـ كما يقولون ـ ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلىٰ أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتىٰ يغلبوكم علىٰ أمركم، ما هذا لكم برأيٰ، فانظروا في غيره.

وبعد أن رفض البرلمان هذين الاقتراحين، قدم إليه اقتراح آثم وافق عليه جميع أعضائه تقدم به كبير مجرمىٰ مكة أبو جهل بن هشام.

قال أبو جهل : والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا : وما هو يا أبا الحكم؟ قال : أرىٰ أن نأخذ من كل قبيلة فتىٰ شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتىٰ منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد،

فيقتلوه، فنستريح منه، إنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل(١)، فعقلناه لهم.

قال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل، هذا الرأى الذي لا أرى غيره(٢).

ووافق برلمان مكة على هذا الاقتراح الآثم بالإجماع، ورجع النواب إلى بيوتهم وقد صمموا على تنفيذ هذا القرار فوراً(٣).

هجرة النبي ﷺ بين تدبير قريش وتدبير الله سبحانه وتعالى:

من طبيعة مثل هذا الاجتماع السرية للغاية، وألا يبدو على السطح أي حركة تخالف اليوميات، وتغاير العادات المستمرة، حتى لا يشم أحد رائحة التآمر والخطر، ولا يدور في خلد أحد أن هناك غموضاً ينبئ عن الشر، وكان هذا مكراً من قريش، ولكنهم ماكروا بذلك الله سبحانه وتعالى، فخيبهم من حيث لا يشعرون.

فقد نزل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ بوحي من ربه تبارك وتعالى فأخبره بمؤامرة قريش، وأن الله قد أذن له في الخروج، وحدد له وقت الهجرة، وبين له خطة الرد على قريش فقال : «لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه»(٤).

وذهب النبي ﷺ في الهاجرة - حين يستريح الناس في بيوتهم - إلى أبي بكر رضي الله عنه ليبرم معه مراحل الهجرة، قالت عائشة رضي الله عنها :

بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعاً، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

---

(١) بالدية.

(٢) أنظر ابن هشام ١/ ٤٨٠ - ٤٨٢ .

(٣) الرحيق المختوم - للمباركفوري طبعة دار الوفاء ص ١٥٠، ١٥١ .

(٤) ابن هشام ١ ٤٨٢، وزاد المعاد ٢/ ٥٢ .

قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر : أخرج من عندك، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله قال : «فإني قد أُذِنَ لي في الخروج». فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم» (١).

ثم أبرم معه خطة الهجرة، ورجع إلىٰ بيته ينتظر مجيء الليل، وقد استمر في أعماله اليومية حسب المعتاد حتىٰ لم يشعر أحد بأنه يستعد للهجرة، أو لأىٰ أمر آخر اتقاء مما قررته قريش.

تطويق منزل رسول الله ﷺ :

أما أكابر مجرمي قريش فقضوا نهارهم في الإعداد سرا لتنفيذ الخطة المرسومة التي أبرمها برلمان مكة (دار الندوة) صباحاً، واختير لذلك أحد عشر رئيساً من هؤلاء الأكابر، وهم :

١ ـ أبو جهل بن هشام. ٢ ـ الحكم بن أبي العاص.
٣ ـ عقبة بن أبي معيط. ٤ ـ النضر بن الحارث.
٥ ـ أمية بن خلف. ٦ ـ زمعة بن الأسود.
٧ ـ طعيمة بن عدىٰ. ٨ ـ أبو لهب.
٩ ـ أبي بن خلف. ١٠ ـ نبيه بن الحجاج.
١١ ـ أخوه منبه بن الحجاج(٢).

وكان من عادة رسول الله ﷺ أن ينام في أوائل الليل بعد صلاة العشاء، ويخرج بعد نصف الليل إلىٰ المسجد الحرام، يصلي فيه قيام الليل، فأمر علياً رضي الله عنه تلك الليلة أن يضطجع علىٰ فراشه، ويتسجىٰ ببرده الحضرمي الأخضر، وأخبره أنه لا يصيبه مكروه.

---

(١) صحيح البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه ١/ ٥٣٣ وانظر للهجرة : ح (٤٧٦، ٢١٣٨، ٢٢٦٣، ٣٣٦٤، ٢٢٩٧، ٣٩٠٥، ٤٠٩٣، ٥٨٠٧، ٦٠٧٩) صحيح البخاري.

(٢) زاد المعاد ٢ ٥٢ .

فلما كانت عتمة من الليل وساد الهدوء، ونام عامة الناس جاء المذكورون إلىٰ بيته ﷺ سراً، واجتمعوا علىٰ بابه يرصدونه، وهم يظنونه نائماً حتىٰ إذا قام وخرج وثبوا عليه، ونفذوا ما قرروا فيه.

وكانوا علىٰ ثقة ويقين جازم من نجاح هذه المؤامرة الدنية، حتىٰ وقف أبو جهل وقفة الزهو والخيلاء، وقال مخاطباً المطوقين في سخرية واستهزاء: «إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه علىٰ أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها»(١).

وقد كان ميعاد تنفيذ تلك المؤامرة بعد منتصف الليل في وقت خروجه ﷺ من البيت، فباتوا متيقظين ينتظرون ساعة الصفر، ولكن الله غالب علىٰ أمره، بيده ملكوت السموات والأرض، يفعل ما يشاء، وهو يجير ولا يجار عليه، فقد فعل ما خاطب به الرسول ﷺ فيما بعد: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ (الأنفال: ٣٠).

الرسول ﷺ يغادر بيته:

وقد فشلت قريش في خطتهم فشلاً ذريعاً مع غاية التيقظ والتنبه إذ خرج رسول الله ﷺ من البيت واخترق صفوفهم وأخذ حفنة من الحصباء فجعل يذره علىٰ رءوسهم وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه وهو يتلو: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ** ﴾ (يس: ٩).

فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع علىٰ رأسه تراباً ومضىٰ إلىٰ بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً حتىٰ لحقا بغار ثور في اتجاه اليمن(٢).

وبقي المُحَاصِرُونَ ينتظرون حلول ساعة الصفر، وقبيل حلولها تجلت لهم الخيبة والفشل، فقد جاءهم رجل ممن لم يكن معهم، ورآهم ببابه فقال:

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٨٢، ٤٨٣.

(٢) ابن هشام، ١٤٨٣، وزاد المعاد ٢/ ٥٢.

ماتنتظرون؟ قالوا : محمداً، قال : خبتم وخسرتم، قد والله مرّ بكم، وذرَّ على رءوسكم التراب، وانطلق لحاجته.

قالوا : والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم.

ولكنهم تطلعوا من صير الباب فرأوا علياً، فقالوا : والله إن هذا لمحمد نائماً، عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، وقام على عن الفراش فسقط في أيديهم، وسألوه عن رسول الله ﷺ فقال : لا علم لي به[1] .

من الدار إلى الغار:

غادر رسول الله ﷺ بيته في ليلة ٢٧ من شهر صفر عام ١٤ من النبوة..

الموافق ١٢/ ١٣ سبتمبر عام ٦٢٢م[2] .

وأتى إلى دار رفيقه، وآمن الناس عليه في صحبته وماله، أبي بكر رضي الله عنه، ثم غادر منزل الأخير من باب خلفي، ليخرجا من مكة على عجل، وقبل أن يطلع الفجر.

ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشاً ستجد في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالاً، فسلك الطريق الذي يضاده تماماً، وهو الطريق الواقع جنوب مكة، والمتجه نحو اليمن، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ جبلاً يعرف بجبل ثور وهو جبل شامخ، وعر الطريق، صعب المرتقى، ذو أحجار كثيرة، فحفيت قدما رسول الله ﷺ، وقيل : بل كان يمشي في الطريق على أطراف قدميه كي يخفي أثره فحفيت قدماه،

---

(١) المصدر السابق .

(٢) رحمة للعالمين ١/ ٩٥، ويكون شهر صفر هذا من السنة الرابعة عشرة من النبوة إذا فرضنا بداية السنين من شهر محرم، وأما إذا بدأنا السنين من الشهر الذي أكرم الله فيه نبيه ﷺ بالنبوة، فيكون شهر صفر هذا من السنة الثالثة عشرة قطعاً. وعامة من يكتب في السيرة ربما يختار هذا، وربما يختار ذاك، فكثيراً ما يتخبط في ترتيب الوقائع، ويقع في أغلاط، ونظراً إلى ذلك اخترنا بداية السنين من شهر محرم.

وأياً ما كان فقد حمله أبو بكر حين بلغ إلى الجبل، وطفق يشتط به حتى انتهى به إلى غار في قمة الجبل عرف في التاريخ بغار ثور(١) .

إذ هما في الغار:

ولما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر : «والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك»، فدخل فكسحه، ووجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسدها به، وبقي منها اثنان فألقمهما رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ: «ادخل».

فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجره ونام، فَلُدِغَ أبو بكر في رجله من الجُحْر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال: «**ما لك يا أبا بكر؟**».

قال: «لُدِغْتُ، فداك أبي وأمي»، فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجده(٢) .

وكمنا في الغار ثلاث ليال، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد(٣) .

وكان **عبد الله بن أبي بكر** يبيت عندهما، قالت عائشة: «وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حيت تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيفهما - حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث(٤) . وكان **عامر بن فهيرة** يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفي عليه(٥) .

---

(١) مختصر السيرة للشيخ عبد الله النجدي، ص ١٦٧ .
(٢) رواه رزين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه ثم انتقض عليه (أي رجع أثر السم حين موته) وكان سبب موته، انظر: مشكاة المصابيح، باب مناقب أبي بكر ٢/ ٥٥٦ .
(٣) انظر : فتح الباري ٧/ ٣٣٦ .
(٤) صحيح البخاري ١/ ٥٥٣، ٥٥٤ .
(٥) ابن هشام ١/ ٤٨٦ .

أما قريش فقد جن جنونها حينما تأكد لديها إفلات رسول الله ﷺ صباح ليلة تنفيذ المؤامرة فأول ما فعلوا بهذا الصدد أنهم ضربوا علياً، وسحبوه إلى الكعبة وحبسوه ساعة، علهم يظفرون بخبرهما(١) .

ولما لم يحصلوا من علي على جدوى جاءوا إلى بيت أبي بكر وقرعوا بابه، فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر، فقالوا لها : أين أبوك؟

قالت : لا أدري والله أين أبي؟

فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدها لطمة طرح منها قرطها(٢) .

وقررت قريش في جلسة طارئة مستعجلة استخدام جميع الوسائل التي يمكن بها القبض على الرجلين، فوضعت جميع الطرق النافذة من مكة (في جميع الجهات) تحت المراقبة المسلحة الشديدة، كما رصدت مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين كائناً من كان(٣) .

وحينئذ جدت الفرسان والمشاة وقصاص الأثر في الطلب وانتشروا في الجبال والوديان والوهاد والهضاب، لكن من دون جدوى وبغير عائدة .

وقد وصل المطاردون إلى باب الغار، ولكن الله غالب على أمره .

روى البخاري عن أنس عن أبي بكر قال : كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت : «يا نبي الله، لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا»، قال : **«اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما»**، وفي لفظ : **«ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»** (٤) .

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٣٧٤ .

(٢) ابن هشام ١/ ٤٨٧ .

(٣) انظر صحيح البخاري ١/ ٥٥٤ .

(٤) صحيح البخاري ١/ ٥١٦، ٥٥٨ ونحوه عند احمد ١/ ٤ ولفظه : قلت للنبي وهو الغار ـ وقال مرة ونحن في الغار : «لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا»، فقال : «يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما»، ولم يكن فزع أبي بكر مخافة على نفسه، بل سببه الوحيد =

وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه ﷺ فقد رجع المطاردون حين لم يبق بينه وبينهم إلا خطوات معدودة.

في الطريق إلى المدينة :

وحين خمدت نار الطلب، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش، وهدأت ثائرة قريش بعد استمرار المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام بدون جدوى تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة.

وكانا قد استأجرا **عبد الله بن أريقط الليثي** وكان هادياً خريتاً - ماهراً بالطريق - وكان على دين كفار قريش، وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما، فلما كانت ليلة الاثنين - غرة ربيع الأول عام ١ هـ = ١٦ سبتمبر عام ٦٢٢م - جاءهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين وكان قد قال أبو بكر للنبي ﷺ عند مشاورته في البيت : «بأبي أنت يا رسول الله، خذ إحدى راحلتي هاتين»، وقرَّب إليه أفضلهما، فقال رسول الله ﷺ : «**بالثمن**».

وأتتهما **أسماء بنت أبي بكر** رضي الله عنها بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فشقت نطاقها اثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر فَسُميت : « **ذات النطاقين** ».

ثم ارتحل رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وارتحل معهما عامر بن فهيرة وأخذ بهم الدليل - عبد الله بن أريقط - على طريق السواحل.

وأول ما سلك بهم بعد الخروج من الغار أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمين، ثم اتجه غرباً نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس، اتجه شمالاً على مقربة من شاطئ البحر الأحمر، وسلك طريقاً لم يكن يسلكه أحد إلا نادراً.

=ماروُي أن أبا بكر اشتد حزنه على رسول الله وقال : «إن قُتِلْتُ فإنما أنا رجل واحد، وإن قُتِلْتَ أنتَ هلكت الأمة»، فعندها قال له رسول الله ﷺ : «**لا تحزن إن الله معنا**»، انظر : مختصر سيرة الرسول ﷺ، للشيخ عبد الله النجدي، ص ١٦٨ .

وقد ذكر ابن إسحاق المواضع التي مر بها رسول الله ﷺ في هذا الطريق قال:

لما خرج بهما الدليل سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل أمج، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما لقفا ثم أجاز بهما مذبحة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين ثم بطن ذي كشر ثم أخذ بهما على الجداجد ثم على الأجرد ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أُعدا مدلجة تعهن ثم على العبابيد ثم أجاز بهما الفاجة، ثم هبط بهما العرج، ثم سلك بهما ثنة العاثر - عن يمين ركوبة - حتى هبط بهما بطن رئم، ثم قدم بهما على قباء.

المحور الثاني : فقه الهجرة (١) :

الهجرة في **اللغة** : مشتقة من الهجر وهو خلاف الوصل يقال هجر أخاه إذا صرمه وقطع كلامه من الهجران وهو إظهار العدوان وقطع السلام والكلام.

وقد غلب استعمال الهجرة في العرف على ترك الوطن ومفارقته إلى موضع آخر أو الخروج من أرض إلى أخرى وترك الأولى للثانية(٢) .

أما في **الاصطلاح الفقهي** : فتطلق على الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام ونحو ذلك(٣)

وهي مأخوذة من هجر الوطن وتركه(٤) ، كما كان المهاجرون قبل فتح مكة يُهاجرون منها إلى المدينة المنورة. وعرفها بعضهم بقوله : هي مفارقة بلد إلى غيره فإن كان قربة لله فهي الهجرة الشرعية(٥) وإن كانت لغرض آخر فهي لما قصدت له.

---

(١) الوعي الإسلامي عدد ٣٦٥ محرم عام ١٤١٧ هـ - يونيو ١٩٩٦م، أ.د. نزيه حماد، ص١٦، (الهجرة.. مفهومها وأقسامها عند الفقهاء).

(٢) المفردات للراغب، ومشارق الأنوار للقاضي عياض.

(٣) التعريفات للجرجاني في فتح المعين لابن حجر الهيثمي - المفردات.

(٤) مشارق الأنوار.

(٥) المصباح المنير.

أقسام الهجرة :

تنوعت رؤىٰ الفقهاء للهجرة وتعاريفهم لها، وإن كنا نبدي إعجابنا بتقسيم ابن القيم للهجرة، حيث قال: إنها فرض عين علىٰ كل أحد في كل وقت وإنه لاانفكاك لأحد من جوبها وهي مطلوب الله ومراده من العباد إذ **الهجرة هجرتان:**

هجرة بالجسم من بلد إلىٰ بلد وهذه أحكامها معلومة.

والهجرة الثانية : الهجرة بالقلب إلىٰ الله ورسوله وهذه الهجرة الحقيقية وهي الأصل وهجرة الجسد تابعة لها وهي هجرة تتضمن (من) و (إلىٰ) فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلىٰ محبته ومن عبودية غيره إلىٰ عبوديته ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلىٰ خوف الله ورجائه والتوكل عليه.

ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلىٰ دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له(١) .

ثم تعرض ـ رحمه الله ـ لحال العبد المؤمن المهاجر إلىٰ ربه فقال : وله في كل وقت هجرتان : هجرة إلىٰ الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدقه اللجأ والافتقار في كل نفس إليه، وهجرة إلىٰ رسوله ﷺ في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب ومرضاته، ولا يقبل الله من احد ديناً سواه وكل عمل سواه باطل فعيش النفس وحظها مرهون بمرضاة الله(٢) .

المحور الثالث : كيفية إحياء الهجرة عملياً في حياتنا ؟ (التطبيق العملي) :

■ **أولاً : الفرد :**

١ ـ التمسك بالإسلام :

خرج أبو بكر للهجرة فلقيه ابن الدغنة فأعاده وبني أبو بكر مسجداً في داره

---

(١) ابن القيم ـ الرسالة .

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم .

وتحمل الأذىٰ ، وهذاالنبي ﷺ يأتيه عمه فيقول له : «يا ابن أخي هون علىٰ نفسك وعليَّ» . لكن في **الواقع** الذي نعيشه فإن بعض المسلمين بمجرد أن يؤذىٰ بسبب دينه ، أو فقط يُلَوَّح له بالإيذاء يترك معظم دينه أو كله .

٢ ـ التعفف :

أ ـ أبىٰ النبي ﷺ أن يقبل الراحلة التي قدمها إليه أبو بكر رضي الله عنه للهجرة إلا بالثمن ، رغم موقعه من نفسه . فقال : «**بالثمن**»(١) .

الواقع : استئثار المسؤول بكل شيء لنفسه وذويه ، دون أن يرقب في أصحاب الحق من الفقراء والمساكين إلاًّ ولا ذمة .

الدرس العملي : لا تساعد أنت علىٰ ذلك إذا كنت ستكون طرفاً في العطاء .

ب ـ تعفف المهاجرين عن أموال الأنصار ، فهذا عبدالرحمن بن عوف يقول لسعد بن الربيع : « **بارك الله في مالك ، دلني على السوق**»(٢) .

٣ ـ الأمانة وعدم الخيانة :

استأجر النبي ﷺ أجيراً خريتاً (أي : ذكياً أميناً) وكان علىٰ دين قومه .

سؤال : كم تساوىٰ أجرة النبي ﷺ له مقابل الأجرة التي سيأخذها من قريش عندما يأتي بمحمد حياً أو ميتاً ، وكان من الممكن أن يجمع بين الأجرين فيأخذ من الطرفين من باب (الفهلوة) والشطارة ! !

الدرس العملي : «**أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**»(٣) .

الواقع : ماذا نصنع من خيانة للمسلمين ؟ ؟ خيانة بمحاربة الشرع ـ خيانة

---

(١) الرحيق المختوم ص ١٥٧ ، في الطريق إلىٰ المدينة ، طبعة دار الوفاء .

(٢) آخىٰ النبي ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فقال سعد : «إني أكثر الأنصار مالاً ، فأقسم لك مالي نصفين» ، فقال عبد الرحمن : «جزاك الله خيراً ، دلني علىٰ السوق» ، السيرة النبوية للصلابي ، جزء ١ ، ص ٣٨٧ .

(٣) رواه أبو داود ، بيوع ٧٩ ، والترمذي ، بيوع ٣٨ ، والدرامي ، بيوع ٥٧ ، و أحمد في المسند : ٣٠/ ٤١٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

الفتوىٰ ـ خيانة في الحياة الدنيا (النصيحة) اعمل كذا أفضل والواقع أن العكس هو أفضل، قال ﷺ: **«كبرت خيانة أن تحدث أخاك هو لك مصدق وأنت له كاذب»**(١) . وقال ﷺ : **«المسلم على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب »** (٢) .

٤ ـ الهجمة على الإسلام قديمة حديثة :

سراقة والأقداح تمنعه لن تضره ولكنه يصر علىٰ ذلك طالما فيه حرب الإسلام(٣).

الآن : تمثال الحرية ـ وكيان كامل لحقوق الإنسان ـ ومع ذلك تسن القوانين لمنع الحرية وذلك واضح في حملة فرنسا ضد الحجاب وقوانينها السيئة .

الدرس العملي : اجتهد أن يرتدي أهلك وعشيرتك وجيرانك الحجاب .

■ ثانياً : المجتمع :

قال تعالىٰ : ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (التوبة : ٤٠) .

لا قيام للمجتمع إلا بالقيم، ولا حياة له إلا بالمبادئ، ولا بقاء له إلا بالأخلاق، ويقول شوقي رحمه الله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٨٣ ، عن النواس بن سمعان، وفي الترغيب ٤٢٥٦ ، وأبو داود أدب ٧١ .

(٢) رواه البزار وأبو يعلىٰ، ورواته رواة الصحيح عن سعد بن أبي وقاص، وفي الترغيب ٤٢٥٢ ، وأحمد: ٧/ ٢٥٢ .

(٣) انطلق سراقة خلف النبي ﷺ وصاحبه طمعاً في الجائزة، واستقسم بالأزلام، فأمرته بالعودة، ولكن حسابات الأرباح والخسائر حملته علىٰ عصيان الأقداح، وهكذا نفض يديه من عقيدته عند أول اختبار في سبيل مائة ناقة .

وهكذا أهل الباطل اليوم أيضاً، لا تحركهم إلا المصالح والمنافع والأهواء، مهما داسوا في سبيلها من قوانين .

ولذلك فمن السهل أن نتبين مدىٰ هشاشة المجتمعات الغربية ، مهما بدا من بريقها؛ لأنها تحمل في أحشائها عوامل انهيارها بما تبيحه باسم الحريات من شذوذ ومخدرات. . . إلخ.

قيم يحتاجها المجتمع :

١ ـ **حرمة البيوت** : فقد رفض أبو جهل أن يتسور منزل النبي ﷺ وقال: «أتتحدث العرب عن أننا تسورنا علىٰ بنات محمد»، **أما الآن** : فالبيوت تُقتحم بالجنود، فتكسر الأبواب، وقد تخرب أثاث المنزل، أو علىٰ الأقل تقتحم بالتصنت علىٰ التليفونات، وبالأعين.

٢ ـ **الأمانة**، ويتضح ذلك من خلال،

أ ـ أمانة دليل الرحلة برغم بقائه علىٰ شركه.

ب ـ أمانة النبي ﷺ في الودائع وحرصه علىٰ رد الودائع برغم ما تعرّض له من أخطار.

جـ ـ الأمانة علىٰ الأعراض : كان شعار المجتمع : «أخفض طرفي إن بدت لي جارتي»، وانظر لقصة هجرة أم سلمة وما كان من عثمان بن طلحة وكان علىٰ الشرك[1]، وسلوكه معها حتىٰ بلغ بها المدينة دون أن يقع بصره عليها، ثم ترك لها زمام راحلته، وقفل عائداً إلىٰ مكة.

٣ ـ **الأخوة** : وتبرز قيمة العمل والإنتاج في قول: «**دلني على السوق**»[2].

٤ ـ **الشجاعة والتضحية** :

أ ـ كان من عادة رسول الله ﷺ أن ينام في أوائل الليل بعد صلاة العشاء

---

(١) نساء حول الرسول ﷺ، محمد قطب، ص ٩٤، ط. دار الدعوة، ط. العاشرة ١٤٢٨هـ.

(٢) راجع في السيرة موقف عبد الرحمن بن عوف عندما وصل إلىٰ المدينة . . انظر: الرحيق المختوم، ص ١٧٥، والحديث رواه البخاري، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ١/ ٥٥٣.

ويخرج بعد نصف الليل إلى المسجد الحرام ، فأمر علياً رضي الله عنه تلك الليلة أن يضطجع على فراشه ويتسجى ببرده الحضرمي الأخضر ، وأخبره أنه لا يصيبه مكروه . . وفي الصباح قام علي عن الفراش فسُقط في أيديهم وسألوه عن رسول الله ﷺ فقال : «**لا علم لي به**»(١) .

ب ـ روت كتب السيرة أنه لما أراد صهيب الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكاً صغيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب : «أرأيتم إن جعلتُ لكم مالي أتخلون سبيلي؟»، قالوا : نعم، قال : «فإنه بمكان كذا» . . فتركوه.

فنزل الوحي يخبر رسول الله ﷺ بما فعل صهيب، وحينما قَدِمَ على رسول الله ﷺ قال له : «**ربح البيع أبا يحيى..**»(٢)، وفي صهيب نزل قول الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ (البقرة: ٢٠٧) .

الهجرة الكبرى .. والهجرة الباقية (٣) :

يقول الله تعالى : ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (النحل: ١١٠) .

فطوبى للمهاجرين والأنصار بما يجدد القرآن الكريم والسنة النبوية من ثناء الله عليهم وإكرامهم بعز الحياتين وكرامة الدارين إحساناً بإحسان وعطاء ربك خير، ولئن فاتتنا الهجرة الكبرى، **فلقد أبقى الله في المؤمنين هجرتين :**

- **الهجرة الأولى يقول فيها النبي ﷺ :**

« **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية** »(٤) .

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٨٣ ، والرحيق المختوم، ص١٥٥ .

(٢) سيرة بن هشام ، جزء ١ .

(٣) مجلة الأزهر، محرم ١٤٢٠ هـ ـ مايو ١٩٩٩م ص ٢٢، الشيخ معوض عوض إبراهيم.

(٤) رواه البخاري في الجهاد والمغازي.

فالجهاد ماض إلى قيام الساعة وأفضله «**كلمة حق عند سلطان جائر**»[١] .

ويقول الرسول ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..**»[٢] .

■ **والهجرة الثانية الباقية** يقررها النبي ﷺ بقوله : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر من نهى الله عنه**»[٣] .

الهجرة إذن ليست مرة واحدة في العام فحسب، بل هي في كل عام وساعة ولحظة نسعى فيها لهجر كل ما يغضب الله ورسوله، فنهجر رفقة السوء ونهجر الكلمة الحرام ونهجر النوم والكسل والغفلة والوهن نصرة لله ورسوله أينما كنا وفي أي زمان عشنا[٤] .

قطعت شهور العام لهواً وغفلةً ... ولم تحترم فيما أتيت المُحرما
فلا رجباً وافيت فيه بِحَقِّه ... ولا صمت شهر الصوم صوماً متمماً
ولا في ليالي عشر ذي الحجة الذي ... مضى كنت قواماً ولا كنت محرما
فهل لك في محو الذنوب بعبرة ... وتبكي عليها الليل تبكي تندما
وتستقبل العام الجديد بتوبة ... لعلك أن تمحو بها ما قد تقدما[٥]

فلنهاجر في ميادين الجهاد والنية..

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهد استطاعتنا..

والله المستعان على كل خير ..

---

(١) رواه الترمذي، فتن ١٣ ، والنسائي، بيعة ٣٧، وأبو داود، ملاحم ١٧ ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب .
(٢) رواه البخاري، ومسلم (سبق تخريجه) .
(٣) رواه البخاري، إيمان ٤ ، ٥ ،رقاق ٢٦، ومسلم، إيمان ٦٤ ، ٦٥ .
(٤) المهاجرون الجدد، د. خالد أبو شادي .
(٥) شعر : د. خالد أبو شادي- المهاجرون الجدد.

المحور الرابع: قيم الهجرة:

القيمة الرئيسية الأمل في نصر الله . . فعن الهجرة تعلم المؤمنين فن صناعة الأمل .

فقد خرج رسول الله ﷺ في موسم الحج فقابل ستة نفر من أهل يثرب، وكان منهم جابر بن عبدالله، وكانوا كلهم من الخزرج فدعاهم النبي إلى الإسلام فأسلموا.

ثم صنع ستة نفر من يثرب أمل النصر والتمكين.

وصنع رسول الله ﷺ الأمل مرة أخرى حينما عزمت قريش على قتله - يخرج من الدار والمشركون محيطون بها يتلو قول الله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ** ﴾ (يس: ٩)، يذر التراب على رؤوسهم رمزاً لفشلهم وخيبتهم وانبلج فجر الأمل من قلب ظلمة سوداء.

- **ومرة أخرى** يصنع الأمل في قلب المحنة وتقشعر القلوب سكينة من الله وهي في أتون القلق والتوحش والخوف يصل المطاردون، باب الغار ويسمع الرجلان وقع أقدامهم ويهمس أبو بكر يا رسول الله لو أن بعضهم طأطأ بصره لرآنا فيقول الرسول ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**».

- **ومرة ثالثة يصنع الرسول الأمل** فلا يلتفت إلى سراقة ولا يبالي به، يقول له أبو بكر: «يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا»، فيقول رسول الله ﷺ مقالته الأولى: ﴿ **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ (التوبة: ٤٠).

وعاد سراقة يقول لكل من قابله في طريقه ذاك: ارجع فقد كفيتكم ما ههنا، فكان أول النهار جاهداً عليهما وآخره حارساً لهما، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ (الأنفال: ٣٠).

وعلى مدار التاريخ لم ينتصر المسلمون بكثرة عدد ولا عدة، فقد انتصر المسلمون في بدر وهم قلة وانهزموا في حنين وهم كثرة.

وكل ما يحدث في فلسطين وغيرها من اضطهاد وقتل للمسلمين قدر بشري ضعيف ويبقى مكر الله للمؤمنين: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)، ففي الحديث: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»(١).

وبذلك تعلمنا الهجرة في كل فصل من فصولها كيف نصنع أملاً، ونترقب ولادة النور من رحم الظلمة، وخروج الخير من قلب الشر، وانبثاق الفرج من كبد الأزمات(٢).

بعض القيم إجمالاً:

١ ـ قيم الأسرة «وذلك من حركة أسرة أبو بكر كلها في الهجرة» إنها أسرة مترابطة تعمل لنشر الإسلام وتلاقي الكثير من المحن والابتلاء فتصبر وتُعطي.

٢ ـ مقاومة الظلم.

٣ ـ التكافل.

٤ ـ الحجاب ـ والعفة.

٥ ـ الاحتكام إلى المرجعية الإسلامية (محبة الله وخشيته والابتعاد عن البدع ـ الفهم الصحيح لشمولية الإسلام).

٦ ـ وعي الأمة (المقاطعة).

٧ ـ انتشار المظاهر الإسلامية.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٢٦٩ (سبق تخريجه).

(٢) تفصيل القيمة في الباب الرابع: وعي الأمة.

المناسبة الرابعة : المولد

المحور الأول: التعريف بصاحب المناسبة:

وُلِدَ سيد المرسلين بشِعْبِ بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول لأول عام من حادثة الفيل(١)، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرىٰ أنوشروان، ويوافق ذلك عشرين أو اثنين وعشرين من شهر إبريل عام ٥٧١ م حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان ـ المنصورفوري ـ رحمه الله.

ولما ولدته أمه أرسلت إلىٰ جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاءه مستبشراً ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكره(٢) واختار له اسم محمد ـ وهذا الاسم لم يكن معروفاً في العرب ـ وختنه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون(٣).

وأول من أرضعته من المراضع ـ وذلك بعد أمه ﷺ بأسبوع(٤) ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال له: مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبدالمطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي(٥).

في بني سعد:

وكان من عادة أهل الحواضر من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم في البادية، لتقوىٰ أجسامهم، وتشد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم، فالتمس عبد المطلب لرسول الله ﷺ المراضع، واسترضع له امرأة من بني سعد بن

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٦١، طبعة دار الوفاء.

(٢) ابن هشام ١/ ٩٥١، ١٦٠، وتاريخ الطبري ٢/ ١٥٦، ١٥٧، وابن سعد ١/ ١٠٣.

(٣) يقال: إنه ولد مختوناً (تلقيح فهوم أهل الأثر، ص ٤) وقال ابن القيم: ليس فيه حديث ثابت، انظر: زاد المعاد ١/ ١٨.

(٤) إتحاف الورىٰ ١/ ٥٧.

(٥) صحيح البخاري ح (٢٦٤٥، ٥١٠٠، ٥١٠١، ٥١٠٦، ٥٠١٧، ٥٣٧٢) وتاريخ الطبرىٰ ٢/ ١٥٨ وفي سنده مقال، ودلائل النبوة نعيم ١/ ١٥٧.

بكر ، وهي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث ، وزوجها الحارث بن عبد العزىٰ المكنىٰ بأبي كبشة من نفس القبيلة .

إخوته ﷺ هناك من الرضاعة :

عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث وحذافة أو جذامة بنت الحارث (وهي الشيماء ، لقب غلب علىٰ اسمها) وكانت تحضن رسول الله ﷺ ، وأبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ .

وكان عمه حمزة بن عبد المطلب مسترضعاً في بني سعد بن بكر ، فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يوماً وهو عند أمه حليمة ، فكان حمزة رضيع رسول الله ﷺ من جهتين ، من جهة ثويبة ومن جهة السعدية (١) .

إلى أمه الحنون ...

بعد واقعة شق الصدر التي حدثت للنبي ﷺ في السنة الرابعة من مولده خشيت عليه حليمة بعد هذه الواقعة فردته إلىٰ أمه ، فكان عند أمه إلىٰ أن بلغ ست سنين .

ورأت آمنة ـ وفاء لذكرىٰ زوجها الراحل ـ أن تزور قبره بيثرب ، فخرجت من مكة قاطعة رحلة تبلغ نحو خمسمائة كيلو متر ومعها ولدها اليتيم ـ محمد ﷺ ـ وخادمتها أم أيمن ، وقيمها عبد المطلب ، فمكثت شهراً ثم قفلت ، وبينما هي راجعة إذ لحقها المرض في أوائل الطريق ، ثم اشتد حتىٰ ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة(٢) .

إلى جده العطوف ..

وعاد به عبد المطلب إلىٰ مكة ، وكانت مشاعر الحنو في فؤاده تربو نحو حفيده اليتيم الذي أصيب بمصاب جديد نكأ الجروح القديمة ، فرق عليه رقة لم يرقها علىٰ أحد من أولاده ، فكان لا يدعه لوحدته المفروضة ، بل يؤثره علىٰ أولاده .

---

(١) الرحيق المختوم ، نقلاً عن زاد الميعاد ١/ ١٩ .

(٢) ابن هشام ١/ ١٦٨ .

قال ابن هشام : كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتىٰ يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بينه إجلالا له، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر حتىٰ يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأىٰ ذلك منهم : دعوا ابني هذا، فوالله إن له لشأناً، ثم يجلس معه علىٰ فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع(١) .

ولثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام من عمره ﷺ توفي جده عبد المطلب بمكة، ورأىٰ قبل وفاته أن يعهد بكفالة حفيده إلىٰ عمه أبي طالب شقيق أبيه(٢) .

إلى عمه الشقيق ..

ونهض أبو طالب بحق ابن أخيه علىٰ أكمل وجه، وضمه إلىٰ ولده وقدمه عليهم واختصه بفضل احترام وتقدير، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته ويصادق ويخاصم من أجله .

بحيرى الراهب (٣) :

ولما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشر سنة ـ قيل : وشهرين وعشرة أيام ـ ارتحل به أبو طالب تاجراً إلىٰ الشام، حتىٰ وصل إلىٰ بصرىٰ ـ وهي معدودة من الشام، وقصبة لحوران، وكانت في ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان .

وكان في هذا البلد راهب عُرِفَ ببحيرىٰ واسمه ـ فيما يقال : جرجيس، فلما نزل الركب خرج إليهم، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك، فجعل يتخللهم حتىٰ جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال :

« هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين » .

---

(١) ابن هشام ١/ ١٦٨ .

(٢) ابن هشام ١/ ١٦٩ .

(٣) الرحيق المختوم .

فقال له أشياخ قريش : «وما علمك بذلك؟».

فقال : «إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدان إلىٰ لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا».

ثم أكرمهم بالضيافة، وسأل أبا طالب أن يرده، ولا يقدم به إلىٰ الشام، خوفاً من الروم واليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلىٰ مكة(١) .

المحور الثاني : فقه المولد :

ينقسم فقه المولد إلى قسمين قسم للناس .. وقسم للخطباء والدعاة ..

■ **القسم الأول : هل الاحتفال بالمولد النبوي بدعة؟ وما كيفية الاحتفال الصحيح به ؟**

«تدور الأيام دورتها، وتهب علينا نسمات شهر ربيع الأول، تحمل إلينا أريج هذه الذكرىٰ العطرة، ذكرىٰ مولد الحبيب المصطفىٰ والنبي المجتبىٰ ﷺ فتتبارىٰ الجهات المختلفة في إقامة الاحتفالات وتتنافس في إجراء المسابقات، وتُنشد القصائد المطولة، وتُلقىٰ الخطب المدبجة، الكل يسهب في مدح النبي ﷺ والثناء عليه، وترديد القول ليلاً ونهاراً بأنه ﷺ خير خلق الله وخاتم رسل الله، وأنه ﷺ سيد البشر وأعظم الخلق، وأنه ﷺ صاحب الخلق العظيم والمنهج القويم، وأنه . . . وأنه . . . مما اعتاد الناس علىٰ سماعه في مثل هذا الشهر من كل عام.

وما من شك في أن هذا كله حق وصدق، ولكن الناس قد حفظت هذه الكلمات من كثرة تكراراها علىٰ آذانهم فهم يسمعونها من خطباء المساجد، ومن المتحدثين في البرامج الإذاعية المسموعة والمرئية، ومن الخطباء والشعراء في الندوات والأمسيات التي تُقام احتفاء واحتفالا بهذه المناسبة الجليلة . . . ثم . . . ثم تنتهي المناسبة وتذهب الذكرىٰ ويذهب كل إلىٰ حال سبيله وكأن شيئاً لم يكن، ولم يعلق بذاكرة الناس من جلال الذكرىٰ ومعاني المناسبة شيء ذو بال، ذلك أن ما قيل لهم لم يتعد دائرة الكلام المرسل، الذي استثمر ما في قلوبهم من محبة صادقة

(١) جامع الترمذي ٥/ ٥٥٠، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٧٨، ٢٧٩ .

وعاطفة جياشة تجاه هذا النبي الكريم ﷺ فعلت أصواتهم انفعالا صادقاً بالصلاة والسلام على هذا النبي ﷺ لما ذكر اسمه الشريف على لسان قارئ حصر مهمته في تحسين الصوت، أو متحدث جعل غايته أن يجيد سبك العبارات وحبك الكلمات أو مبتهل آلى على نفسه إلا أن ينال صيحات الاستحسان وآهات الإعجاب»(١).

وهذا الانفعال الذي لا نشك في صدقه انفعال لحظي لا يلبث أن يزول بعد حين، دون أن يترك أثراً عملياً في قلب صاحبه تجاه المناسبة الجلية والذكرى العظيمة.

وإننا لا نرضى للمسلمين أن يقتصر احتفالهم بمولد نبيهم الأكرم ورسولهم الأعظم ﷺ على هذه الجوانب الشكلية البحتة، فإنهم إن فعلوا ذلك أساءوا إلى أنفسهم إساءة بالغة وجنوا على هذه المناسبة الجليلة جناية عظيمة.

هل الاحتفال بالمولد بدعة؟

نقول في شهر ربيع الأول ولد محمد ﷺ وفيه هاجر، هذا النبي الكريم من حقه علينا أن نتذكر سيرته كلما جاءت مناسبة من المناسبات، وليس هذا الاحتفال المبتدع، فنحن إنما نذكر الناس بهذه السيرة ونربطهم بهذه الرسالة المحمدية وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يذكرون رسول الله ﷺ في كل حين ويقول سعد بن أبي وقاص: كنا نروى لأبنائنا مغازي رسول الله ﷺ كما نحفظهم السور من القرآن يروون لهم ما حدث في بدر وما حدث في أحد وما حدث في الخندق وفي بيعة الرضوان.... الخ. فلذلك علينا أن نهتدي بالصحابة وننتهز الفرص بعد الفرص لنذكر الناس بالرسول الكريم ﷺ حينما نحتفل بمولده ﷺ.

الحقيقة أننا لا نحتفل بمولد شخص إنما نحتفل بمولد رسالة، رسالة ظهرت على يد رسول الله ﷺ فحديثنا عن الرسول ﷺ باعتباره مرسلاً لا باعتباره شخصاً أعدته العناية الإلهية ليحمل الرسالة الخاتمة للبشرية ويحمل الرسالة العالمية التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم

---

(١) كتاب: في ذكرى المولد النبوي الشريف، للدكتور ياسر أبو شبانة ـ كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، ص ٥، ٦.

وامتدت عمقاً حتىٰ استوعبت شئون الدنيا والآخرة وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل : ٨٩) .

وقال أيضاً : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف : ١١١) .

■ **القسم الثاني : فقه المولد للخطباء والدعاة :**

« **أخي الخطيب الداعية** .. ألفت انتباهك إلىٰ النقاط المهمة الآتية :

أولاً : لا تشغل بالك كثيراً ولا تضيع وقتك وجهدك في مناقشة ما يثيره البعض من شكوك حول شرعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، إذ أن الانشغال بمناقشة مثل هذه الجزئيات يستنزف من وقتك وجهدك ما كان يجب استثماره في قضايا أكثر خطورة وأعظم شأنا وأمثال هؤلاء الذين يثيرون هذه الشكوك لهم منطلقات فكرية معينة ، تعصبوا لها أشد التعصب وأشربت بها قلوبهم وملكت عليهم أقطار نفوسهم فلا النقاش يجدي معهم فتيلا ولا المحاورة معهم تثمر قطميرا ؛ ولأن تزحزح جبلاً رأسيا من مكانه أهون عليك من أن تزحزح واحداً منهم قيد أنملة عن مبادئه وأفكاره .

ثانياً : لا تجعل كل تفكيرك منصباً علىٰ استجاشة مشاعر الجماهير واللعب علىٰ وتر العاطفة الفياضة التي تمتلئ بها قلوب المسلمين نحو نبيهم الكريم ورسولهم العظيم ﷺ ، فإن هذا وإن كان مطلوباً إلا أن تحذيري إليك ـ أخي الخطيب والواعظ ـ المبالغة الشديدة التي يلجأ إليها كثير من الخطباء والمتحدثين في هذه المناسبة ، حتىٰ يكثرون من ترديد عبارات من قبيل : إنه حبيب الله . . . إنه رسول الله . . . إنه خاتم المرسلين . . . إنه . . . إنه . . . ويكثرون من ترديدها عشرات ـ بل مئات ـ المرات في فترة زمنية بسيطة ، مع رفع الصوت بها إلىٰ أقصىٰ درجاته ، مصحوباً بترخيم ونغمة حزينة تشبه البكاء كل هذا بهدف نيل صيحات الإعجاب وآهات الاستحسان من الجماهير .

إن هذا الهدف ـ أخي الخطيب والواعظ ـ يصيب الإخلاص المطلوب منك في مقتل، بالإضافة إلى ما قدمته لك آنفا من أن هذا الإعجاب والاستحسان انفعال لحظي، حياته قصيرة وأنفاسه معدودة»(١) .

وتذكر أخي الكريم ـ أن الخطابة تقوم على ركني الإقناع والاستمالة فلا تجعل أحدهما يطغي على الآخر .

وتذكر أيضاً أن عقلية الجماهير الآن قد تغيرت وأن أفهامهم قد تطورت فأصبحت بضاعة هؤلاء الخطباء الذين يعتمدون على الصوت العالي المنغم ـ بضاعة غير رابحة وأصبح أسلوبهم غير مرغوب فيه .

ثالثاً : لا تنجرف ـ أخي الخطيب والوعظ ـ إلى ما يحلو للبعض عمله في هذه المناسبة من المقارنة بين الأنبياء والرسل الكرام ـ عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم السلام ـ للخروج من هذه المقارنة بنتيجة مفادها أن رسولنا ﷺ هو أفضل الأنبياء وسيد الرسل .

فمع أن أفضلية النبي ﷺ على جميع الأنبياء ـ بل وعلى جميع ولد آدم ـ حقيقة لا شك فيها ولا ارتياب، إلا أنه من غير المستساغ ما يفعله كثيرون من إخواننا الخطباء والوعاظ حينما يخصص خطبته أو درسه أو محاضرته كاملة لهذه المقارنة، وترى الواحد من هؤلاء تنتفخ أوداجه، ويحمر وجهه، ويعلو صوته، وهو يهتف بمثل هذه العبارات :

* إن كان إبراهيم خليل الله، فإن نبينا هو حبيب الله، والحبيب أفضل من الخليل .
* وإن كان موسى كليم الله، فقد كلمه الله وهو على الأرض، أما رسولنا ﷺ فقد ارتقى في الكمال والرفعة إلى ما يرق إليه بشر، وكلمه الله في السماء .
* وإن كان موسى قد قال : ﴿ **هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴾ (طه: ٨٤) . فإن الله تعالى قال : ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ﴾ (الضحى: ٥) .

---

(١) المصدر السابق، ص ١١، ١٢ .

وغيرها من العبارات التي يصل أسلوب بعض الخطباء فيها ـ دون قصد طبعاً ـ إلىٰ ما قد يفهم منه العامة التنقيص من شأن هؤلاء الأنبياء الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام.

ثم إنني لأتساءل : ما الفائدة العملية التي تعود على المستمع من هذه المقارنة؟

خاصة وأن مسألة تفضيله ﷺ علىٰ جميع البشر باتت قضية محسومة، لاتحتاج إلىٰ مزيد من شرح أو كثير بيان؟ ثم إنه ﷺ لم يكن ليسعده أن يشغل الناس أنفسهم بتفضيله علىٰ إخوانه أنبياء الله ورسوله عليهم الصلاة والسلام ولهذا قال لهم : «**لاتفضلوا** (وفي لفظ : لا تخيروا) **بين أنبياء الله**». وقال: «**لا تخيروني على موسى**»(١).

صحيح أنه قد ورد عن النبي ﷺ تقرير هذه الأفضلية وتوكيدها، ولكن هذا كان ـ حسبما يفيده ظاهر الرواية ـ في معرض التوضيح لما استشكل علىٰ بعض أصحابه الكرام رضي الله عنهم، حينما أخذوا يعددون فضائل الأنبياء السابقين عليهم السلام ظانين ـ فيما يبدو ـ أن نبيهم وحبيبهم ﷺ لم يحز من الفضل مثل ما حازوا ولم ينل من التكريم مثل ما نالوا، فكان أن حرص النبي ﷺ علىٰ الإقرار بفضائل هؤلاء الأنبياء الكرام ـ كما جاءت علىٰ لسان أصحابه ـ وبيان ما أكرمه به المولىٰ تبارك وتعالىٰ من المنازل العالية وما خصه به من الدرجات السامية التي تشرئب إليها أعناق الخلق جميعاً، مع حرصه ـ في الوقت ذاته ـ علىٰ بيان أنه يذكر هذه المناقب من باب التقرير والإثبات فقط، بعيداً عن المباهاة والافتخار، ولذا كان حريصاً بعد كل منقبة علىٰ أن يقول : «**ولا فخر**»(٢).

من هنا كان تحذيري إليك ـ أخي الخطيب والواعظ ـ من استنفاد جهدك وإضاعة وقتك فيما يعود علىٰ المستمعين بفائدة عملية حياتية من هذه الذكرىٰ العطرة.

---

(١) الحديثان أخرجهما الإمام مسلم في صحيحه : كتاب الفضائل، من فضائل موسىٰ عليه السلام (١٥٦ : ١٦٣ـ٢٣٧٣) في إطار قصة تفيد أن النبي ﷺ غضب غضباً شديداً حينما لطم أحد المسلمين يهوديا في السوق حينما سمعه يحلف قائلاً : والذي اصطفىٰ موسىٰ عليه السلام علىٰ البشر.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ١، حديث رقم ٣٦١٦، وقال الترمذي : حسن غريب.

المحور الثالث : إحياء المناسبة عملياً :

هذا المحور ينقسم إلى قسمين متكاملين :

- **القسم الأول : مرتبط بالخطباء والدعاة .. وكيفية توجيه الأمة التوجيه الصحيح لهذه المناسبة.**
- **القسم الثاني : كيف تعيش الأمة المناسبة واقعاً عملياً ؟**

بالنسبة **للقسم الأول** : يقول **د. ياسر أبو شبانة** : أخي الخطيب الداعية يكثر على ألسنة الخطباء والدعاة والمتحدثين في مناسبة المولد القول بأن على المسلمين أن يتأسوا ويقتدوا بنبيهم دون تفصيل لمضمون هذا التأسي أو بيان لكيفية هذا الاقتداء .

ولذا عليك أخي الخطيب الداعية التركيز على العناصر الآتية :

أولاً : أن الاحتفال الحقيقي بمولده ﷺ لا يصح أن يقتصر على هذه المظاهر الشكلية التي اعتاد الناس عليها كل عام ، من تناول الأطعمة والحلوى الخاصة بهذه المناسبة ، أو إقامة الاحتفالات والسرادقات وتعليق الزينات وإجراء المسابقات وإنما يكون الاحتفال الحق به ﷺ اتخاذه المثل الأعلى والأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، امتثالاً وتطبيقاً لقول رب العزة جل شأنه : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

مع تنبيه المستمعين إلى ما جاء في ختام الآية من وصف هؤلاء الذين يتخذون الرسول ﷺ أسوتهم الحسنة ومثلهم الأعلى بأنهم يرجون الله واليوم الأخر ، وبأنهم الذين يذكرون الله كثيرا .

كذلك وجه أنظار المستمعين إلى ما في الآية من لفتة أسلوبية جميلة ، حيث بدأت بمخاطبة جميع المسلمين ﴿ **لَكُمْ** ﴾ ثم انتقلت من التعميم إلى التخصيص ﴿ **لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ** ﴾ وكأنها ـ والله أعلم ـ إشارة إلى أن طائفة بعينها من المسلمين هي التي ستنال شرف التأسي والاقتداء بالنبي ﷺ ، وهي الطائفة الحريصة على نيل مرضاة الله تبارك وتعالى ، الطامعة في مزيد فضله وعظيم ثوابه ، المداومة على ذكره ومراقبته آناء الليل وأطراف النهار .

ثانياً : أن محبة النبي ﷺ محصورة في جانبها العاطفي القلبي وحده، وإنما ينبغي أن يمتد نطاقها ويتسع مداها لتشمل جانب التطبيق والاتباع والتمسك بما جاء به ﷺ في كل وقت وفي كل مجال.

ولعل هذا واضح كل الوضوح في الأحاديث النبوية الشريفة التي ربطت المحبة بالعمل والتطبيق الفعلي وجعل النفس الإنسانية تتسامى فوق شهواتها وحظوظها، بحيث يكون هواها تبعاً لما جاء به النبي ﷺ ـ انظر مثلاً إلى قوله ﷺ : **«من أحيى سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»** (١) .

وغيرها من الأحاديث.

بل إن اتباع النبي ﷺ ـ امتثالاً للأوامر واجتناباً للنواهي ـ سبيل إلى نيل محبة الله وغفران الذنوب يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (آل عمران: ٣١).

ثالثاً : عليك أيضاً ـ أخي الخطيب ـ أن تؤكد للناس في هذه المقدمة أن مواضع الأسوة ومواطن القدوة في حياته ﷺ متعددة ومتشعبة، فلقد كان ﷺ متحلياً بكل فضيلة كريمة ومتصفاً بكل خصلة شريفة، بحيث تصبح كل لحظة من لحظات حياته موضعاً للتأسي وموطناً للاقتداء يجد فيها كل مسلم بغيته وينال طلبته، غنيا كان أو فقيراً صغيراً كان أو كبيراً، صاحب منصب وقيادة أو من آحاد الناس وأفراد الأمة. . . الخ.

بعد هذا التمهيد العام تبدأ ـ أخي الخطيب ـ في تناول الجزئيات التفصيلية فتجعل كل عنوان ـ مما سأقترحه عليك ـ خطبة منبرية مستقلة ـ او درساً دينياً في المسجد، أو محاضرة عامة تلقيها في أي مكان مراعياً طبيعته، ونوعيته وثقافة المستمعين:

* فإن كنت في مؤسسة اجتماعية تهتم بشئون الأسرة فالأنسب أن يكون موضوعك عن : الأسوة الحسنة في حياة النبي ﷺ في بيته.

---

(١) الترمذي : كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة وقال حسن غريب.

* وإن كنت في مؤسسة تعليمية ـ مدرسة أو جامعة ـ فمن الأفضل أن تختار موضوعاً يتناول : الأسوة الحسنة في الجوانب التعليمية والتربوية من حياة النبي ﷺ.

* وإن كنت في مؤسسة عمالية ـ شركة أو مصنعاً ـ فليكن موضوعك عن تكريم الرسول ﷺ للعمل والعاملين.

* وإن كانت محاضرتك في مؤسسة رياضية ـ كمراكز الشباب والأندية الرياضية ـ فليكن تركيزك منصباً على اهتمام النبي ﷺ بالرياضة.

وهكذا.. تختار لكل مكان الموضوع المناسب له، فإن من بلاغة الكلام مراعاة مقتضى الحال، ومخاطبة المستمعين بما يتناسب مع اهتماماتهم وطبيعة أعمالهم، كما أن هذا يبرز ـ من ناحية أخرى ـ شمولية الإسلام وعظمته في تنظيم الحياة بمجالاتها المختلفة وأنشطتها المتعددة.

القسم الثاني : كيف تعيش الأمة مناسبة المولد واقعاً عملياً ؟

حينما تُيمم وجهك شطر الإسلام العظيم تجد لك في حياة النبي ﷺ قدوة وأسوة عملية في كل شيء في حياتك.. حتى في قضاء الحاجة ـ حتى في المزاح حيث ينهى النبي ﷺ عن ترويع المؤمن بأبسط الأشياء وهو إخفاء النعل ولو مزاحاً: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ (الأحزاب: ٢١).

١ ـ أسوة في الوفاء بالعهد :

فعن عبد الله بن أبي الحمساء قال : بايعت النبي ﷺ قبل أن يُبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم تذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه ، فقال : « **يا فتى لقد شققت عليَّ أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك**»(١).

وعن أنس أن النبي ﷺ كان إذا أُتي له بهدية قال : « **اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت تأتينا أيام خديجة** »(٢).

---

(١) كنز العمال، جـ٣، ص ٣٤٩.

(٢) راجع كتاب الرسول ﷺ ، سعيد حوى، ص ١٦١.

٢ ـ أسوة في التواضع :

قال ﷺ : « **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم** »(١) .

وكان رسول الله ﷺ يجلس حيث ينتهي به المجلس .

٣ ـ أسوة للمُلاعب والمُلاطف :

قال للمراة مازحاً : «**لا يدخل الجنة امرأة عجوز**» ، فحزنت المرأة ، فقال لها : «**يعيدكن الله شابات ...**»(٢) ، قال تعالىٰ : ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)**﴾ (الواقعة) .

كان جُليبيب رضي الله عنه قليل الحظ من حُسن المظهر ، لا يمزح معه أحد ، فكان النبي ﷺ يأتي من خلفه ويمسك به وهو في السوق ويقول : «**من يشتري هذا العبد؟**» .

فيقول للنبي ﷺ : «إذن تجدني كاسداً يا رسول الله » .

فيقول له النبي ﷺ : «**ولكنك عند الله غال** »(٣) .

٤ ـ أسوة للجار :

كان للنبي ﷺ جار يهودي يؤذي النبي ويضع القاذورات أمام المنزل ، وكان النبي لايمتنع عن إرسال الخير له والذهاب إليه عندما يمرض . .

٥ ـ أسوة للشباب في سن البلوغ :

أراد أن يذهب لعُرس في مكة ـ قبل البعث ـ فألقىٰ عليه النوم . . . حتىٰ أيقظه حر الشمس فلم يتحسر ولم يندم ، بل عزم علىٰ عدم تكرار ذلك .

---

(١) رواه البخاري ، أنبياء ٤٨ .

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل هكذا مرسلاً ، وأسنده إلىٰ ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف ، وانظر : تخريج أحاديث الإحياء ، جـ٦ ، ص ٤٧٧ .

(٣) مجمع الزوائد ، جـ٤ ، ص ٢٩٣ ، ورواه أحمد ، وأبو يعلىٰ ، والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

٦ ـ أسوة للأب :

قال ﷺ : «**اعدلوا بين أولادكم حتى ولو في القبلات**»(١) . وكان يحمل على ظهره الحسن والحسين ويلاعبهما في المنزل . . وفي الصلاة كان يحمل أمامة بنت الحارث بنت ابنته وكان يضعها في السجود ثم يحملها حتى ينتهي من الصلاة وهو يحملها .

٧ ـ أسوة للزوج :

قال ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ...**»(٢) . وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، وكان يساعد الخادم .

٨ ـ أسوة في الدعوة :

جاء إليه رجلٌ وقال : «أعطني يا محمد فإنه ليس مالك ولا مال أبيك » ، فقام الصحابة ليفتكوا بالرجل . . . فنهاهم النبي ﷺ وأحسن إليه ، حتى أحسن الرجل فيه القول ، وأثنى عليه خيراً ، فقال ﷺ للصحابة : «**إنما مثلي ومثلكم وهذا الرجل كرجل سردت منه ناقته وجعل الناس يتبعونها فتزداد هرباً فيشير إليهم الرجل خلوا بيني وبين ناقتي وأخذ شيئاً من حشيش الأرض فأشار إليها وجاء يركبها**»(٣) .

٩ ـ أسوة في العمل :

في حفر الخندق يقول البراء بن عازب : «**رأيتُ النبي ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه...**»(٤) .

---

(١) كنز العمال ، جـ١٦ ، ص ٤٤٥ ، ابن النجار عن النعمان بن بشير بلفظ : «**إن الله تعالي يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَـل**» ، ورواية البخاري ومسلم «في العطية» .

(٢) مجمع الزوائد ، باب حق المرأة على الزوج ، جـ٢ ، ص ٢٠٩ ، روى ابن ماجة بعضه ، ورواه البزار ، وفيه جعفر بن يحيى بن ثوبان ، وهو مستور ، وبقية رجاله ثقات ، وقد روى أبو داود لجعفر هذا ، وسكت عنه ، فحديثه حسن .

(٣) الشفا للقاضي عياض ، وسبق تخريجه .

(٤) رواه البخاري ٢/ ٥٨٩ ، راجع غزوة الأحزاب ، الرحيق المختوم ، ص ٢٦٧ ، ط . دار الوفاء .

وعندما أراد طبخ الشاة هو وأصحابه، اختار كل واحد منهم عملاً يقوم به، ثم قال رسول الله ﷺ : «وأنا عليَّ جمع الحطب»(١) .

١٠ ـ أسوة في الصلح بين الناس :

اختلفت القبائل في وضع الحجر الأسود، ورضوا بتحكيم النبي ﷺ، وقالوا: هذا الأمين رضينا به حكماً، فوضعه النبي ﷺ على ردائه وأمسكت كل قبيلة بطرف من أطراف الرداء، حتى وضعه في مكانه.

١١ ـ أسوة للتاجر :

فلقد تاجر النبي ﷺ في مال السيدة خديجة وربح لها مالاً كثيراً.

١٢ ـ أسوة للحاكم العادل :

عندما أراد أسامة بن زيد الشفاعة للمرأة المخزومية التي سرقت، قال له رسول الله ﷺ: «**يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»(٢) .

١٣ ـ أسوة في الزهد :

عن عائشة رضي الله عنه قالت: «**إن كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً، إن هو إلا التمر والماء**»(٣) .

١٤ ـ أسوة في القيادة على جميع مستوياتها قيادة أسرة او جماعة أو قيادة عسكرية:

يقول صاحب الظلال رحمه الله : خرج رسول الله ﷺ يعمل في الخندق مع المسلمين، يضرب بالفأس، ويجرف التراب بالمسحاة، ويحمل التراب في المكتل، ويرفع صوته مع المرتجزين وهم يرفعون أصواتهم بالرجز في أثناء العمل، فيشاركهم الترجيع!.. وقد كانوا يتغنون بأغان ساذجة من وحي الحوادث الجارية : كان

(١) الرحيق المختوم، ص ٤١٧، ط. دار الوفاء، وراجع كتاب: الرسول ﷺ، لسعيد حوى، ص ١٤٨ .
(٢) رواه البخاري، فضائل أصحاب النبي ﷺ ١٨، أنبياء ٥٤، حدود ١٢، ومسلم، حدود ٨، ٩ .
(٣) الشفا، للقاضي عياض، جـ ١، ص ١١٠ .

هناك رجل من المسلمين اسمه جعيل، فكره رسول الله ﷺ اسمه، وسماه عمراً فراح العاملون في الخندق يغنون جماعة بهذا الرجز الساذج:

سماه من بعد جعيل عمراً وكان للبائس يوماً ظهراً

فإذا مروا في ترجيعهم بكلمة (عمر) قال رسول الله ﷺ: «**عمراً**» وإذا مروا بكلمة (ظهر) قال رسول الله ﷺ «**ظهراً**».

ولنا أن نتصور هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون، والرسول ﷺ بينهم، يضرب بالفأس ويجرف بالمسحاة، ويحمل في المكتل، ويرجع معهم هذا الغناء، ولنا أن نتصور أية طاقة يفجرها هذا الجو في نفوسهم، وأي ينبوع يتفجر في كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز.

وكان **زيد بن ثابت** فيمن ينقل التراب فقال ﷺ: «**أما إنه نعم الغلام!**».

وغلبته عيناه فنام في الخندق، وكان القر[1] شديداً، فأخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو لا يشعر، فلما قام فزع فقال رسول الله ﷺ:

«**يا أبا رقاد! نمت حتى ذهب سلاحك؟ !**».

ثم قال: «**من له علم بسلاح هذا الغلام؟**».

فقال عمارة: «يا رسول الله هو عندي».

فقال: «**فرده عليه**». ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعباً[2].

وهو حادث كذلك يصور يقظة العين والقلب، لكل من في الصف، صغيراً أو كبيراً كما يصور روح الدعابة الحلوة الحانية الكريمة: «**يا أبا رقاد! نمت حتى ذهب سلاحك؟ !**»، ويصور في النهاية ذلك الجو الذي كان المسلمون يعيشون فيه في كنف

---

(١) القر: البرد.

(٢) عن أبي الحسن، وكان عَقَبِيًّا بَدْرِياً: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ، فقام رجل ونسي نعليه، فأخذهما رجل ووضعهما تحته، فرجع الرجل فقال: نَعليَّ، فقال القوم: ما رأيناهما فقال: هو ذه، فقال ﷺ: «**فكيف بروعة المؤمن؟**»، فقال: يا رسول الله، إنما صنعته لاعباً، فقال ﷺ: «**فكيف بروعة المؤمن؟**» مرتين أو ثلاثة، رواه الطبراني، وفي الترغيب رقم ٤٠٥٧.

نبيهم، في أحرج الظروف، ثم كانت روحه ﷺ تستشرف النصر من بعيد، وتراه رأي العين في ومضات الصخور على ضرب المعاول، فيحدث بها المسلمين ويبث فيهم الثقة واليقين.

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليَّ صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني فلما رآني أضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، قال : ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى، قال : «بأبي أنت وأمي يا رسول الله!! ما هذا الذي رأيت، لمع المعول وأنت تضرب؟» قال : « **أو قد رأيت ذلك يا سلمان؟** » قال : قلت : «نعم»، قال : «**أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق**» (١) .

وجاء في (إمتاع الأسماع للمقريزي) أن هذا الحادث وقع لعمر بن الخطاب بحضور سلمان رضي الله عنهما ولنا أن نتصور اليوم كيف يقع مثل هذا القول في القلوب والخطر محدق بها محيط؟

ولنا أن نضيف إلى تلك الصور الوضيئة صورة حذيفة عائداً من استطلاع خبر الأحزاب، وقد أخذه البرد الشديد ورسول الله ﷺ قائم يصلي في ثوب لإحدى أزواجه، فإذا هو في صلاته واتصاله بربه لا يترك حذيفة يرتعش حتى ينتهي من صلاته بل يأخذه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بين رجليه ويلقي عليه طرف الثوب ليدفئه في حنو، ويمضي في صلاته حتى ينتهي فينبئه حذيفه النبأ، ويلقي إليه بالبشرى التي عرفها قلبه ﷺ، فبعث حذيفة يبصر أخبارها(٢) .

ويختم لنا شيخنا محمد الغزالي هذه المناسبة العطرة بهذا الختام الرائع في كتابه: «فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء»:

---

(١) رواه أحمد: ٤/ ٣٠٣ .

(٢) في ظلال القرآن ـ تفسير سورة الأحزاب ص ٢٨٤٣، ص ٢٨٤٣ .

أربع وعشرون ساعة من حياة عريضة :

لنتأمل في هذه الصورة، صورة يوم واحد من حياة نبي الإسلام.

لقد صحا من نومه قبل الفجر بيقين، وظلمة الليل لا تزال مخيمة على كل شيء، إنه يتحرك مع طلائع الصبح المقبل قائلاً : «**الحمد لله الذي رد إلى روحي، وعافاني في جسدي، وأَذِنَ لي بِذِكْرِه**»(١).

انظر كيف يستقبل الحياة بترحاب وتفاؤل : «**الحمد لله الذي رد إليَّ روحي**».

إن العمر الذي ملكناه نعمة نحمد الله عليها، وينبغي أن نحسن استغلالها، فإن الحياة فرصة النجاح لمن أراد النجاح، ولذلك امتن الله بالشروق والغروب على عباده، فقال تعالى :

﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ** ﴾ (غافر : ٦١).

وإن عظمة الحياة في العافية، فما أجمل أن يكون المرء سليم البدن، تنهض أجهزته وعضلاته بوظائفها كلها دون إعياء أو ملال، عندئذٍ ينطلق المسلم في كل أفق ليؤدي واجباته باقتدار ورغبة، وذلك سر حمد الله على العافية المتاحة.

ونقف طويلاً عند قول الرسول ﷺ :

« **وأَذِنَ لي بِذِكْرِه**»..

أرأيت أدب العبودية في شمائل العابد الرقيق؟

إن منحة يوم جديد إيذان له باستئناف العبادة من مطلع الفجر.

ويبدأ العبد الشكور بذكر ربه بكلمات يقطر اليقين والحب من كل حرف فيها، يقولها في الصباح والمساء على سواء :

---

(١) كنز العمال، جـ٧، ص ٧٨٩، رقم ٢١٤١٨، من حديث ابن السني عن أبي هريرة.

«اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»(١) .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ لي : **« قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه، أشهد ألا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وفي رواية : وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم»**(٢) .

من طلائع اليوم المقبل يقول الرسول ﷺ هو وأصحابه : **« أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين»**(٣) .

إيضاح :

أكتفي هنا بهذه الإشارات . . . وأقول لم أُفصِّل القول كثيراً في هذه المناسبة العطرة لأنني ذكرت من خلال أبواب الموسوعة كل الجوانب في حياة النبي ﷺ وبذلك يكون الاحتفال الحقيقي بهذه المناسبة هو التطبيق العملي للأبواب والموضوعات التي تحويها هذه الموسوعة وخاصةً أنني ركزت في نهاية كل موضوع على الدروس والتوصيات العملية .

وألخص ما ذكر فيها من جوانب العظمة في حياة النبي ﷺ فهو :

١ ـ الأخلاقي الأول : تجد ذلك واضحاً في الباب الثالث، وهو باب الأخلاق .

٢ ـ وهو رجل الأسرة الأول :

---

(١) رواه ابن ماجة، دعاء ١٤، وأبو داود، أدب ١٠١، وأحمد ٢/ ٢٥ .

(٢) رواه الترمذي، دعوات ٩٤، والدارمي، استئذان ٥٤، وأبو داود، أدب ٩٨، وأحمد: ١/ ٩، ١٠ .

(٣) رواه الدارمي، استئذان ٥٤ .

أ - أباً : تجد ذلك واضحاً وبالتفصيل والمواقف الكاملة في باب تربية الأولاد وما قام به النبي ﷺ في ذلك.

ب - زوجاً : نجد ذلك واضحاً في فصل الزواج من الباب السادس وكيفية تعامله ﷺ مع زوج البنت ومع الزوجة ومع أم الزوج ومع والد الزوج.

٣ - وهو المعلم والمربي الأول : نجد ذلك واضحاً في باب الدعوة والفهم.

٤ - وهو العابد الزاهد الشاكر : تتورم قدماه من العبادة فتقول له السيدة عائشة في ذلك فيقول : «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»(١).

٥ - وهو رجل الدولة الأول سياسياً وعسكرياً : نجد ذلك واضحاً في هذه المناسبة العطرة وفي أنحاء متفرقة في أماكنها من هذه الموسوعة.

المحور الرابع: قيم المولد :

شهر ربيع من الشهور التي يمكن فيها ترسيخ جميع القيم، وذلك لأن حياة النبي تمثل الجانب التطبيقي لقيم الإسلام.

القيمة الرئيسية: في هذه المناسبة هي الشمولية(٢).

من المميزات والخصائص التي ينفرد بها الإسلام على مر العصور والأزمان الشمولية وتظل من أسباب بقاء هذا الدين وصلاحه لكل زمان ومكان لذلك كان هذا الدين الخاتم ولذلك تجد هذه القيمة في جميع المناسبات.

بعض القيم إجمالاً:

١ - قيمة الأسرة والترابط الأسري(٣)، وتجد ذلك واضحاً في معاملته لزوجاته وأولاده وأزواج بناته.

---

(١) رواه البخاري - تهجد .

(٢) تفصيل هذه القيمة في الباب الثالث (قضايا معاصرة) من خصائص الإسلام، الشمولية.

(٣) راجع ذلك، باب الأسرة والتربية.

٢ ـ وعي الأمة بطبيعة الهجمة على الإسلام وخطورتها والتأصيل الشرعي لحقيقة الصراع، كيف واجه النبي ﷺ المؤامرات القرشية واليهودية.

٣ ـ الحفاظ على هذا الدين.

٤ ـ عالمية الرسالة

٥ ـ قيمة العمل.

٦ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يبدأ بالتناصح وذلك بمحاولة نشر أربع من المعروف مثل (الصلاة ـ الحجاب ـ إتقان العمل ـ تحري الحلال) محاربة أربع منكرات مثل (التدخين ـ الربا ـ الغش ـ التبرج).

المناسبة الخامسة : الإسراء والمعراج

قال تعالىٰ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

هذه المناسبة لها أهمية خاصة في التشريع الإسلامي ففيها تتقرر حقائق وتوضع أسس وقواعد في العمل الإسلامي وتم فيها تحويل ونقل قيادة البشرية إلىٰ الأمة الإسلامية ولذلك أُطلق علىٰ الإسراء والمعراج (رحمة الله للبشرية) لأن من خصائص التشريع الإسلامي أنه رحمة للبشرية.

وحول هذا المعنى يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي :

« لم يكن الإسراء مجرد حادث فردي بسيط رأىٰ فيه رسول الله الآيات الكبرىٰ وتجلىٰ له ملكوت السموات والأرض مشاهدة وعياناً ـ بل زيادة إلىٰ ذلك اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية علىٰ معان دقيقة كثيرة وشارات حكيمة بعيدة المدىٰ.. فقد ضمت قصة الإسراء، وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأنه (الإسراء والنجم) أن محمداً ﷺ هو نبي القبلتين وإمام المشرقين والمغربين ووارث الأنبياء قبله وإمام الأجيال بعده فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس والبيت الحرام بالمسجد الأقصىٰ وصلىٰ بالأنبياء خلفه فكان هذا إيذاناً بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه وصلاحيتها لاختلاف الزمان والمكان.

وأفادت هذه السورة الكريمة تعيين شخصية النبي ووصف إمامته وقيادته وتحديد مكانة الأمة التي بعث فيها وآمنت به وبيان رسالته ودورها الذي ستمثله في العالم ومن بين الشعوب والأمم »[١] .

---

(١) الأساس في السنة ـ سعيد حوىٰ نقلاً عن السيرة النبوية للصلابي.

المحور الأول : عرض أحداث الإسراء :

أ ـ عام الحزن :

١ ـ وفاة أبي طالب : كانت وفاة أبي طالب بعد مغادرة بني هاشم شعبه، وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث[١]، وقد كان أبو طالب يحوط النبي ﷺ ويغضب له[٢]، وينصره[٣]، وكانت قريش تحترمه.

وعندما حضرته الوفاة جاء زعماء الشرك وحرضوه على الاستمساك بدينه وعدم الدخول في الإسلام، قائلين : «أترغب عن ملة عبد المطلب؟».

وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام قائلاً : «**قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله**»[٤].

فقال أبو طالب : «لولا تعيرني بها قريش، يقولون : إنما حمله عليها الجزع، لأقررت بها عينك». فأنزل الله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (القصص : ٥٦).

كانت أفكار الجاهلية راسخة في عقل أبي طالب، ولم تمكن من تغييرها، فهو شيخ كبير يصعب عليه تغيير فكره وما ألفه عن آبائه، وكان أقرانه حاضرين وقت احتضاره فأثروا عليه خوفاً من شيوع خبر إسلامه وتأثير ذلك على قومه[٥].

٢ ـ وفاة خديجة رضي الله عنها : أما السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقد توفيت قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين[٦] في العام نفسه لوفاة أبي طالب[٧].

---

(١) فتح الباري ٧/ ١٩٤ .

(٢) صحيح البخاري، فتح الباري ٧/ ١٩٣ ورقمه ٣٨٨٣ .

(٣) صحيح مسلم (١/ ١٩٥ ورقمه (٣٥٨ـ٢٠٩).

(٤) رواه البخاري، مناقب الأنصار ٤٠، تفسير سورة ٩، أيمان ١٩ .

(٥) انظر : السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/ ٨٤ .

(٦، ٧) المصدر السابق، ١/ ١٨٥ .

وبموت أبي طالب الذي أعقبه موت خديجة رضي الله عنها تضاعف الأسى والحزن على رسول الله ﷺ بفقد هذين الحبيبين اللذين كانا دعامتين من دعائم سير الدعوة في أزماتها، وكان أبو طالب السند الخارجي، الذي يدفع عنه القوم، وكانت هي الجبهة الداخلية.

أولاً: رحلة الرسول إلى الطائف (١) :

لماذا توجه النبي ﷺ إلى الطائف؟؟

١ ـ لأن الطائف كانت تمثل العمق الاستراتيجي لملأ قريش، بل وكانت لقريش أطماع في الطائف.

٢ ـ كان النبي ﷺ يقتدي بالأنبياء والمرسلين الذين سبقوه في الدعوة إلى الله تعالى، فهذا نوح عليه السلام يقول الله عنه: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ (العنكبوت: ١٤).

ونوَّع في أساليب الدعوة، وابتكر وسائل كثيرة، فكان النبي ﷺ ينوع ويبتكر في أساليب الدعوة ودعا سراً وجهراً وسلماً وحرباً وجمعاً وفرداً وسفراً وحضراً كما أنه ﷺ قص القصص وضرب الأمثال واستخدم وسائل الإيضاح بالخط على الأرض، وغيره كما رغب وبشر، ورهب وأنذر ودعا في كل آن، وعلى كل حال وبكل أسلوب مؤثر فعال(٢)، فها هو ﷺ ينتقل إلى الطائف، ثم يتردد على القبائل، ثم يهاجر، ويستمر في دعوة الخلق إلى الله تعالى.

كان رسول الله ﷺ يسعى لإيجاد مركز جديد للدعوة، وطلب النصرة من ثقيف، لكنها لم تستجيب له، وأغرت به صبيانها فرشقوه بالحجارة وفي طريق عودته من الطائف التقى بعداس، الذي كان نصرانياً فأسلم، وأرَّخ الواقدي الرحلة في شوال سنة عشر من المبعث، بعد موت أبي طالب وخديجة، وذكر أن مدة إقامته بالطائف كانت عشرة أيام(٣) .

---

(١) السيرة النبوية، للصلابي.
(٢) مقومات الدعوة والداعية، بادحدح، ص ١٢٣ نقلاً عن السيرة للصلابي.
(٣) طبقات ابن سعد نقلاً عن السيرة النبوية الصحيحة.

ثانياً : أحداث الإسراء :

قال الحافظ ابن كثير : « والحق أنه عليه السلام أُسري به يقظة لا مناماً من مكة إلىٰ بيت المقدس راكباً البراق ، فلما انتهىٰ إلىٰ باب المسجد ربط الدابة عند الباب ، ودخله فصلىٰ في قبلته تحية المسجد ركعتين . .

ثم أتي المعراج - وهو كالسلم ذو درج يرقىٰ فيها - فصعد فيه إلىٰ السماء الدنيا .

ثم إلىٰ بقية السموات السبع فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم عليه الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتىٰ مر بموسىٰ الكليم في السادسة وإبراهيم الخليل في السابعة ، ثم جاوز منزلتهما ﷺ وعليهما وعلىٰ سائر الأنبياء ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مستوىٰ يسمع فيه صريف الأقلام ، أي أقلام القدر بما هو كائن .

ورأىٰ سدرة المنتهىٰ وغشيها من أمر الله تعالىٰ عظمة عظيمة ، من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة . .

ورأىٰ رفرفاً أخضر قد سد الأفق .

ورأىٰ البيت المعمور ، وإبراهيم الخليل - باني الكعبة الأرضية - مسنداً ظهره إليه ، لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ، ثم لا يعودون إليه إلىٰ يوم القيامة .

ورأىٰ الجنة والنار ، وفَرَضَ الله عليه هناك الصلوات الخمسين ، ثم خفضها إلىٰ خمس ، رحمة منه ولطفاً بعباده ، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها .

ثم هبط إلىٰ البيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء فصلىٰ بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه والظاهر أنه بعد رجوعه إليه ؛ لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً ، وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ، لأنه كان أولاً مطلوباً إلىٰ الجناب العلوىٰ ، ليفرض عليه وعلىٰ أمته ما يشاء الله تعالىٰ .

ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع هو وإخوته من النبيين.

ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك.

ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس (في وقت الظلام) والله سبحانه وتعالى أعلم»[١].

المحور الثاني : فقه الإسراء :

١ ـ معنى كلمة «سبحان» :

كلمة «سبحانه» لم ترد في القرآن الكريم إلا عند ذكر الأشياء العجيبة المعجزة، لذلك حين تسمعها في كلام الله سبحانه وتعالى فلا بد أن تعرف أن هذا تنزيه الله بأن الفعل الذي تم لا يقدر على فعله إلا الله جل جلاله.

فإذا قرأنا قول الحق في القرآن الكريم : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (الإسراء: ١).

نقول : إن الله أرادنا أن نعرف أن معجزة الإسراء والمعراج من فعل الله سبحانه وتعالى، ولم تتم بقوة رسول الله ﷺ البشرية، ولذلك بدأ السورة الكريمة بقوله: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ** ﴾ أي أن كل ما سيأتي بعد ذلك منسوب لقدرة الله سبحانه وتعالى.

وأحداث الفعل تختلف بالنسبة للفاعل وتتناسب معه، فرسول الله ﷺ لم يقل سريت، وإنما قال: «أُسري بي»، ومن الذي أسرى به؟

إنه الله سبحانه وتعالى.

ولذلك عندما نسب الكفار الفعل لقدرة البشر نسوا قدرة الله سبحانه وتعالى

---

(١) مختصر ابن كثير، ص ٣٦٣، تفسير سورة الإسراء.

وقالوا : «تدعي أنك أتيتها في ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً»، وكان عليهم أن ينتبهوا لقدرة الفاعل الذي أسرىٰ بمحمد ﷺ(١).

٢ ـ لماذا ذُكرت قصة الإسراء في آية واحدة فقط؟

يرىٰ القارئ في سورة الإسراء أن الله ذكر قصة الإسراء في آية واحدة فقط ثم أخذ ذكر فضائح اليهود وجرائمهم، ثم نبههم بأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، فربما يظن القارئ أن الآيتين ليس بينهما ارتباط . . والأمر ليس كذلك.

فإن الله تعالىٰ يشير بهذا الأسلوب إلىٰ أن الإسراء إنما وقع إلىٰ بيت المقدس لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية لما ارتكبوا من الجرائم التي لامجال بعدها لبقائهم علىٰ هذا المنصب وإن الله سينقل هذا المنصب فعلا إلىٰ رسوله ﷺ ويجمع له مركزىٰ الدعوة الإبراهيمية كليهما، فقد آن أوان انتقال القيادة الروحية من أمة إلىٰ أمة، من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والإثم والعدوان إلىٰ أمة تتدفق بالبر والخيرات ولا يزال رسولها يتمتع بوحي القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم.

ولكن كيف تنتقل هذه القيادة والرسول ﷺ يطوف في جبال مكة مطروداً بين الناس؟

هذا السؤال يكشف الغطاء عن حقيقة أخرىٰ وهي أن عهداً من هذه الدعوة الإسلامية قد أوشك إلىٰ النهاية والتمام ويبدأ عهد آخر جديد يختلف عن الأول في مجراه ولذلك نرىٰ بعض الآيات تشتمل علىٰ أنذار سافر ووعيد شديد بالنسبة إلىٰ المشركين : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧)** ﴾ (الإسراء).

وبجنب هذه الآيات آيات أخرىٰ تبين للمسلمين قواعد الحضارة وبنودها ومبادئها التي يبتني عليها مجتمعهم الإسلامي.

---

(١) المعجزة الكبرىٰ ـ الإسراء والمعراج ـ للشعراوي.

كأنهم قد أووا إلى أرض امتلكوا فيها أمورهم من جميع النواحي وكونوا وحدة متماسكة تدور عليها رحى المجتمع ففيه إشارة إلى أن الرسول ﷺ سيجد ملجأ ومأمنا يستقر فيه أمره ويصير مركزاً لبث دعوته في أرجاء الدنيا . هذا سر من أسرار هذه الرحلة المباركة(١) .

٣ـ ماذا تعني مرتين؟

قال تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾ (الإسراء : ٤).

إن سورة الإسراء هي السورة الوحيدة التي ذُكر فيها تاريخ اليهود كاملاً من بدايته إلى نهايته في آيات قليلة من الآية ١ : ٨ ، وذكرت ما سوف يحدث منهم وماسوف يحدث لهم في إعجاز رائع ولست من يحاول أن يثبت أن المرتين تمتا أو تمت واحدة والأخرى لم تتم .

المهم الذي أراه ـ والله أعلم ـ أن الله ذكر قاعدة عامة : ﴿**وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا**﴾ أي : كلما عدتم إلى الإفساد أيها اليهود سوف نسلط عليكم من يقتلكم ويشردكم ، حتى إذا كانت الآخرة يعني النهاية اجتمعتم ﴿**لفيفا**﴾ ليسهل القضاء عليكم تماماً وإنا لموعود الله لواثقون .

٤ ـ من فقه الدعوة والحركة :

أ ـ التنوع وابتكار أساليب جديدة للدعوة .

ب ـ اختيار الطائف كما ذكرنا لأنها العمق الاستراتيجي لملأ قريش .

جـ ـ كان خروجه من مكة على الأقدام حتى لا تظن قريش أنه ينوي الخروج من مكة لأنه لو خرج راكباً لأثار الشبهة والشك حوله في أنه ينوي الخروج والسفر .

د ـ اختيار الرسول ﷺ زيداً يرافقه في رحلته فيه جوانب أمنية لأن زيداً ابنه

---

(١) الرحيق المختوم .

بالتبني فإذا رآه أحد معه فإنه لا يرتاب فيه، كما أنه يعلم في زيد الإخلاص والأمانة والصدق ولن يفشي سراً.

هـ - لم يغضب الرسول من رد زعماء الطائف وهو الرد القبيح المشوب بالاستهزاء والسخرية بل وطلب منهم ﷺ أن يكتموا عنه وهذا تصرف في غاية الحيطة(١) .

٥ - من مناهج التغيير :

يقول د. **الصلابي**(٢) كان مقترح ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين وهو يدخل تحت أسلوب الاستئصال، وقد نُفِّذَ في قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط، قال تعالى: ﴿ **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

وكان هناك اقتراح آخر، وهو أن يستمر في هجرته والابتعاد عن مكة والطائف الكافرتين، **فالأولى** أخرجته **والثانية** خذلته، وعرض ذلك الأمر زيد بن حارثة على رسول الله ﷺ بعد أن لم يجد ناصراً في الطائف، انصرف إلى مكة ومعه مولاه زيد بن حارثة محزوناً وهو يدعو بدعاء الطائف المشهور.

فأرسل ربه تبارك وتعالى ملك الجبال إليه يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة وهما جبلاها اللذان هي بينهما فقال: **«لا بل أستأني بهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً»**.

وأقام بنخلة أياماً فقال له زيد بن حارثة: «كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟» - يعني قريشاً - فقال: **«يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه»**(٣) .

(١، ٢) السيرة النبوية للصلابي ص ٢٥٧ .

(٣) زاد الميعاد (٢/ ٤٦، ٤٧) وانظر تخريج القصة في طبعة مؤسسة الرسالة رقم ١٥، جـ٣/ ٣١-٣٤ .

إن النبي ﷺ رفض منهج الاستئصال وامتنع عن فكرة الاعتزال أو الهجرة المستمرة، ونظر إلى المستقبل بنور الإيمان، وقرر الدخول إلى مكة ليواصل جهاده الميمون، ويستثمر كل ما يستطيعه من أجل دعوة التوحيد، لم يختر النبي ﷺ أحد المنهجين السابقين بل تقدم نحو المنهج البديل الذي عزم عليه وهو منهج يقوم على فكرة دخول مكة الكافرة وليس الانسحاب منها ويقوم على ضرورة الوجود على الأرض ذاتها التي يقف عليها الكافرون واعتصار مؤسساتها واستثمار علاقاتها وتحوير غاياتها ليتغذي بكل ذلك مجتمع المؤمنين الذي سيولد من أحشائها أي من انه كان ﷺ يريد أن يتخذ من أصلاب الكافرين مصانع بشرية تخرج أجيالا من المسلمين المقاتلين في سبيل الله فالنظر النبوي هنا مصوب نحو المستقبل بصورة جلية، ولم يكن ذلك يعني الانسحاب من الحاضر[١]، كان النبي ﷺ قد عزم على دخول مكة مرة ثانية، غير أن ظاهر الأحوال تدل على أن دخول مكة لم يكن أمرا هينا ولا آمنا.

وهنالك احتمال كبير للغدر به ولاغتياله من قبل قريش التي لا يمكن أن تصبر أكثر وهو قد أعلن الخروج عليها وذهب يستنصر بالقبائل الأخرى ويوقع بينها وبين حلفائها ثم إنه حتى لو لم تكن هناك خطورة على شخصه فإن دخوله إلى مكة بصورة (عادية) وقد طردته الطائف سيجعل أهل مكة يصورون الأمر كهزيمة كبيرة أصابت المسلمين ويجترئون عليهم ويزدادون سفهاً ولذلك فقد اتجه نظر الرسول ﷺ هذه المرة إلى تفجير مكة من الداخل بدلا من تطويقها من الخارج أي أنه أراد أن يتغلغل في داخل بطون قريش ذاتها، ويوجد له حلفاء من بينهم ويكوِّن له وجوداً في قلبها[٢].

وذكر ابن هشام في السيرة في معرض الحديث عن إجارة المطعم بن عدي: إنه ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، من تصديقه ونصرته صار إلى حراء ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره فقال: «أنا حليف والحليف لا يجير».

فبعث إلى **المُطعم بن عدي** - سيد قبيلة بني نوفل بن عبد مناف - بعث إليه

---

(١) انظر: أصول الفكر السياسي في القرآن المكي ص ١٧٦.

(٢) المصدر السابق.

رجلاً من خزاعة : «أدخل في جوارك؟»، فقال : «نعم»، ودعا بنيه وقومه فقال: «ألبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرتُ محمداً، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المسجد الحرام، فلا يهجه أحد منكم، فانتهىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ الركن فاستلمه وصلىٰ ركعتين وانصرف إلىٰ بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتىٰ دخل بيته[١] .

المحور الثالث : إحياء المناسبة عملياً :

١ ـ كن صدِّيقاً :

ذهب الناس إلىٰ أبي بكر الصديق فقالوا :

هل لك إلىٰ صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس؟ .

قال: «أو قال ذلك ؟»، قالوا : نعم، قال : «لئن كان قال ذلك لقد صدق».

قالوا : أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلىٰ بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟

قال : «نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة»، فلذلك سُمِّيَ أبا بكر الصديق[٢] .

ولكي تكون صديقاً عليك التسليم لأمر الله تعالىٰ وإذا كان لك مشكلة فسارع باللجوء إلىٰ شرع الله لتعرف الحكم والحل . . . وإذا ابتغيت الحل في غير منهج الإسلام فقد ضللت وكذبت في ادعائك الإسلام.

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (النساء: ٦٥).

يقسم الله تعالىٰ بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتىٰ يحكم الرسول في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ولهذا

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨(١)، ثم زاد المعاد (٢/ ٤٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٢ وقال صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي.

قال: ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»(١).

وأقول: إن أعظم شيء يدل على أنك أصبحت صِدِّيقاً هو أن تجد نفسك دائماً تحتكم إلىٰ شرع الله تعالىٰ وتسلم له(٢).

٢ ـ التضرع والدعاء (٣):

المتضرع الأول محمد ﷺ: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى** (٤)**حتى ترضى ولاحول ولا قوة إلا بالله**»(٥).

ونلمح في هذ الدعاء عمق توحيد النبي ﷺ، وتجرده لله تعالىٰ.

ويختم الدعاء بهذه الكلمة العظيمة ويُعلم الصحابة يقولوها عند حلول المكاره «**ولا حول ولا قوة إلا بك**».. فلا تحول للمؤمن من حال الشدة إلىٰ حال الرخاء، ولا من الخوف إلىٰ الأمن إلا بالله تعالىٰ ولا قوة علىٰ مواجهة الشدائد وتحمل المكاره إلا بالله جل وعلا(٦).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ص ٤١٠ تفسير سورة النساء ٦٥.

(٢) راجع ذلك في: الاحتكام لشرع الله، من هذه الموسوعة.

(٣) راجع الباب الثالث ـ الدعاء من هذه الموسوعة.

(٤) العتبىٰ: الاسترضاء.

(٥) مجمع الزوائد، باب البيعة علىٰ الإسلام ٢/ ٤٦٢، ورواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، ثقة، وبقية رجاله ثقات، حديث صحيح كما في صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي ـ وكتاب الهجرة النبوية، د. عبدالرحمن البر ـ انظر السيرة النبوية للصلابي.

(٦) التاريخ الإسلامي للحميدي.

إن الدعاء من أعظم العبادات وهو سلاح فعال في مجال الحماية للإنسان وتحقيق أمنه فمهما بلغ العقل البشري من الذكاء والدهاء فهو عرضة للزلل والإخفاق وقد تمر على المسلم مواقف يعجز فيها عن التفكير والتدبير تماماً فليس له مخرج منها سوى أن يجأر إلى الله بالدعاء فما أن انتهى من الدعاء حتى جاءت الإجابة من رب العالمين مع جبريل وملك الجبال(١) .

٣ ـ أنت القائد :

اجلس منتبهاً ولا تترك عجلة القيادة . .

إن صلاة النبي ﷺ بالأنبياء دليل على أنهم سلموا له بالقيادة والريادة، وأن شريعة الإسلام نسخت الشرائع السابقة، وأنه وسع أتباع هؤلاء الأنبياء ما وسع أنبياءهم أن يسلموا بالقيادة لهذا الرسول ﷺ ولرسالته، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

إن على الذين يعقدون مؤتمرات التقارب بين الديان أن يدركوا هذه الحقيقة ويدعوا إليها وهي ضرورة الانخلاع من الديانات المنحرفة والإيمان بهذا الرسول ﷺ ورسالته وعليهم أن يدركوا حقيقة هذه الدعوات المشبوهة التي تخدم وضعاً من الأوضاع أو نظاماً من الأنظمة الجاهلية(٢) .

أقول : يجب على المسلم أن يأخذ بزمام الأمور في كل ما يحيط به ولا يترك السفينة تتقاذفها الأهواء وتلعب بها الأمواج فتحركها حركات عشوائية بل عليه أن يقود المجتمع قيادة حكيمة منظمة مرتبة مدروسة .

المسلم يربي المجتمع على منهج الإسلام . . وأول واجبات المربي رصد الظواهر التي تطرأ على المجتمع، ثم عليه وضع الحلول والتصورات لهذه الظواهر سلبية كانت أو إيجابية(٣) .

---

(١) السيرة النبوية ، للصلابي .
(٢) المصدر السابق .
(٣) راجع في هذه الموسوعة موضوع ـ الربانية .

٤ ـ ماذا نفعل من أجل المسجد الأقصى؟

١ ـ التعريف بقضية المسجد ونشرها وتوعية أبناء الأمة .

٢ ـ المقاطعة(١) لمنتجات أعدائنا .

٣ ـ التبرع . . فعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت : «قلت يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس»، قال : «**أرض المحشر والمنشر، أئتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره**»، قلت : «أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟»، قال : «**فتهدي له زيتا يُسرج فيه ، فمن فعل ذلك كان كمن أتاه**»(٢) ، وفي رواية أبي داود عن ميمونة : « **فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله**»(٣) . ولذلك يقول العلماء : «لا حرمة لمسلم أمام حرمة الله والمسجد الأقصى الأسير» .

وأقول : إن تحرير المسجد الأقصى حقيقة أضحت وشيكة، ويتأكد ذلك من خلال الإسراء، وإن الربط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام وراءه حكم ودلالات منها(٤) :

أ ـ أهمية المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين إذ أصبح مسرى رسولهم ﷺ ومعراجه إلى السموات العلى وكان لا يزال قبلتهم الأولى طيلة الفترة المكية، وهذا توجيه وإرشاد للمسلمين بأن يحبوا المسجد الأقصى وفلسطين لأنها مباركة ومقدسة .

ب ـ الربط يشعر المسلمين بمسؤوليتهم نحو المسجد الأقصى بمسئولية تحرير المسجد الأقصى من أوضار الشرك وعقيدة التثليث كما هي أيضاً مسئوليتهم تحرير المسجد الحرام من اوضار الشرك وعبادة الأصنام .

جـ ـ الربط يشعر بأن التهديد للمسجد الأقصى هو تهديد للمسجد الحرام وأهله، وأن النيل من المسجد الأقصى توطئة للنيل من المسجد الحرام فالمسجد

---

(١) ذكرت تفصيلاً لذلك في هذه الموسوعة .

(٢) رواه ابن ماجة رقم ١٤٠٧ صحيح ورجاله ثقات .

(٣) رواه أبو داود رقم ٤٥٧ ، وابن ماجة، إقامة ١٩٦ ، وأحمد : ٦/ ٤٦٣ ، وفي الزوائد قال : روى أبو داود بعضه، وإسناد طريق ابن ماجة صحيح ورجاله ثقات .

(٤) انظر السيرة النبوية للصلابي ، جـ١ .

الأقصى بوابة الطريق إلى المسجد الحرام وزوال المسجد الأقصى من أيدي المسلمين ووقوعه في أيدي اليهود يعني أن المسجد الحرام والحجاز قد تهدد الأمن فيهما واتجهت أنظار الأعداء إليهما لاحتلالهما.

والتاريخ قديماً وحديثاً يؤكد هذا، فإن تاريخ الحروب الصليبية يخبرنا أن (أرناط) الصليبي صاحب مملكة الكرك، أرسل بعثة للحجاز للاعتداء على قبر الرسول ﷺ وعلى جُثمانه في المسجد النبوي وحاول البرتغاليون (النصارى الكاثوليك) في بداية العصور الحديثة الوصول إلى الحرمين الشريفين لتنفيذ ما عجز عنه أسلافهم الصليبيون ولكن المقاومة الشديدة التي أبداها المماليك وكذا العثمانيون حالت دون إتمام مشروعهم الجهنمي، وبعد ذلك احتلال الحجاز وفي مقدمة ذلك مدينة رسول الله ﷺ وخيبر.

لقد وقف **دافيد بن غورويون** زعيم اليهود بعد دخول الجيش اليهودي القدس، يستعرض جنودا وشبانا من اليهود بالقرب من المسجد الأقصى ويلقي فيهم خطابا نارياً يختتمه بقوله: «لقد استولينا على القدس ونحن في طريقنا إلى يثرب»(١).

ووقفت **غولدا مائير**، رئيسة وزراء اليهود بعد احتلال بيت المقدس وعلى خليج إيلات العقبة تقول: «إنني أشم رائحة أجدادي في المدينة والحجاز وهي بلادنا التي سوف نسترجعها» (٢).

وإن **قرار هدم المسجد الأقصى مُتخذ منذ إنشاء الدولة العبرية**، وذلك واضح في تصريح **وزير الأمن الإسرائيلي**: عن نية متطرفين يهود تنفيذ هجوم إرهابي في موقع المسجد الأقصى وذلك إما بإسقاط طائرة بدون طيار أو طائرة صغيرة (صحيفة يدعوت أحرنوت) في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٤م، وصرح أيضاً أنه من أهم إنجازاته دخول اليهود الأقصى ٢٣/ ٦/ ٢٠٠٤م.

وبعد ذلك نشر اليهود خريطة لدولتهم المنتظرة التي شملت المنطقة من الفرات

---

(١) السيرة النبوية لأبي فارس ص ٢١٤.

(٢) جريدة الدستور الأردنية، العدد ٤٦١٣، بقلم: أميل الغوري، نقلا عن السيرة النبوية لأبي فارس.

إلى النيل، بما في ذلك الجزيرة العربية، والأردن وسورية والعراق ومصر واليمن والكويت والخليج العربي كله، ووزعوا خريطة دولتهم هذه بُعيد انتصارهم في حرب ١٩٦٧م في أوروبا(١) .

د - **إدراك الصحابة لأهمية المسجد الأقصى** : أدرك الصحابة رضي الله عنهم مسئوليتهم نحو المسجد الأقصى وهو يقع أسيرا تحت حكم الرومان فحرروه في عهد **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه وظل ينعم بالأمن والأمان حتى عاث الصليبيون فساداً فيه بعد خمسة قرون من هجرة المصطفى ﷺ، ومكثوا ما يعادل قرناً يعيثون فساداً فحرره المسلمون بقيادة **صلاح الدين الأيوبي** ، وها هو ذا يقع تحت الاحتلال اليهودي. . فما الطريق إلى تخليصه(٢) .

وأقول : بعد ذلك يجب عليك أيها المسلم أن تعرف عدوك(٣) .

٥ - المسجد :

هو أول شيء : الرحلة كانت من المسجد بداية وإلى المسجد نهاية. .

وأول شيء فعله النبي ﷺ في الهجرة عندما وصل إلى المدينة المسجد(٤) .

وأول شيء وضع للناس مسجد : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (آل عمران: ٩٦). وكان النبي ﷺ حينما يعود من السفر يبدأ بالمسجد فيصلي فيه(٥) .

الرافعي يصف المسجد :

« فالمسجد هو في حقيقته موضع الفكرة الواحدة الظاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع هو فكر واحد لكل الرؤوس ومن ثم فهو حل واحد لكل المشاكل

---

(١) السيرة النبوية لأبي فارس.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع ملحق فلسطين في هذه الموسوعة لتعرف بالتفصيل صفات عدوك.

(٤) الرحيق المختوم، ص ١٦١ طبعة دار الوفاء .

(٥) رواه البخاري في الصلاة والمغازي، مسلم، أبو داود، النسائي، أحمد في المسند.

وكما يُشق النهر فتقف الأرض عند شاطئيه لا تتقدم يقام المسجد فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله»(١) .

الغزالي يصف المسجد :

« إن المسجد لما كان له هذا الدور كانت له في الإسلام مكانة عاليه ، وكان جديراً معها أن يقول الله عنه : ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾ (النور : ٣٦) .

ويقول : « أحياناً أتصور أن الرفع هنا ليس للدعائم والجدران إنما هو للساحات الطهور التي تخصصت للركع السجود فبعد أن كانت أرضاً عادية يغشاها أي إنسان أضحت أرضاً لا يدخلها إلا متوضئ وبعد أن كانت لأي غرض عادي أضحت همزة وصل بين الناس ورب الناس ومهاداً للمعراج الروحي الذي ينقل البشر من مآربهم القريبة إلى مناجاة الله وتسبيحه وتمجيده»(٢) .

ويقول : « المسجد عَمَّقَ في نفوسهم احترام الصف» (٣) .

هذا المعنى الذي أصبح المسلمون أبعد ما يكونون عنه مع أن توجيهات النبي ﷺ في هذا المعنى كثيرة منها قوله : «**استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ...**» .

وفي رواية : «**أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطعه قطعه الله**»(٤) .

---

(١) وحي القلم للرافعي، جـ١ ، ص ٣٢٠ نقلاً عن كتاب الإسراء والمعراج دروس وعبر ، محمد خلف يوسف ، طبعة دار التوزيع .

(٢) مائة سؤال عن الإسلام ، للشيخ الغزالي ، ص ٦٨ نقلا عن المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) هذه الروايات للبخاري ومسلم، ورواية «**حاذو بين المناكب**» لأحمد : ٥/ ٢٦٢ ، والطبراني ، ومالك ، جمعة ٨ ، ورواية : «**من وصل صفا**» ، للنسائي ، إمامة ٨٢ ، والحاكم ، وابن خزيمة ، وكل هذه الروايات ذكرها الشيخ سيد سابق ـ رحمه الله ـ في فقه السنة ، ١/ ٢٠٧ .

ويقول ـ رحمه الله ـ : « لقد قرأت في حرب فارس أن صفا من المجاهدين كان يعبر نهراً فسقط كوز أحد المجاهدين فتريث الصف كله حتى عثر الجندي على ما سقط منه!! إنهم يتحركون بروح الجماعة ولا يتصرفون كأنهم عقد انفرطت حباته .

وكم يشعر المسلم بالأسى وهو يرى أمته في زحام الحياة تتحرك بروح القطيع لاهمَّ لأحدهم إلا مصلحته !!

هذا الشعور الهابط يقتل عندنا العشرات في مناسك الحج لأن نظام الصف والإحساس بالغير مفقود وعندنا فالمسجد لا يؤدي رسالته» .

يقول الأستاذ محمد خلف : « إن المسجد كان القلعة الروحية التي ينطلق منها المجاهدون لمقاومة كل غزو ، وقد قاوم الجامع الأزهر الفرنسيين منذ قرنين حتى احتلوه بخيلهم ، وقاوم الإنجليز ، وقاوم ومازال الغزو الفكري وإثارة الشبهات التي يقوم يها المستشرقون في كل مكان»(١) .

وأقول : « إن المسجد هو محور(٢) ومركز(٣) لحياة البشرية ، فكلما ازداد ارتباطها بالمسجد ازدادت سعادتها وقل شقاؤها » .

مراتب الظلم :

توعد الله عز وجل الظالمين بأقصى العقوبات ولكن القرآن ذكر أن السعي في خراب المساجد هي المرتبة الأولى للظلم : **﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** (البقرة: ١١٤) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المحور : العود من حديد أو غيره تدور عليه البكرة وهو الخط المستقيم الواصل بين قطبي الكرة ومنه محور الأرض المعجم الوسيط مادة حور ، ص ٢١٣ .

(٣) المركز المقر الثابت الذي تتشعب منه الفروع ومركز الرجل منزلته ومكانته الحسية والمعنوية ، المعجم الوسيط ، مادة ركز ، ص ٣٨٢ ، ولذلك يقول علماء الفلك : إن الكعبة هي مركز الكرة الأرضية .

يقول الفخر الرازي : « السعي في تخريب المساجد قد يكون لوجهين أحدهما : منع المصلين والمتعبدين له من دخوله فيكون ذلك تخريباً ، والثاني بالهدم والتخريب»(١) .

وألخص بعض التوصيات فأقول :

* اذهب إلى المسجد لتكون طالباً في الجامعة تتلقى وتتعلم قواعد العقائد وفرائض العبادات والأخلاق والآداب والمعاملات .

* اذهب إلى المسجد فلقد عرف السلف قيمة المسجد بوصفه مؤتمراً فعقدوا فيه عقود النكاح للحديث : «**أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدف**»(٢)، **يقول د. يوسف القرضاوي** : « ولو أن مسلمي اليوم اتخذوا سلفهم أسوة في ذلك لوفروا على أنفسهم نفقات طائلة تضيع في أفعال براقة تُبعثر فيها الأموال ابتغاء السمعة والتظاهر والتنافس الأجوف»(٣) .

* اذهب إلى المسجد(٤) دائماً وكن نائباً دائم العضوية ، فنواب المسجد هم : ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (التوبة : ١١٢) .

المحور الرابع: قيم الإسراء والمعراج :

القيمة الرئيسية: سرعة الاستجابة والتسليم لله وطاعة رسوله.

الواقع: إن حادثة الإسراء والمعراج حادثة تحويل القبلة ما كان المتوقع أن يصدق بهما الكافرون فهم الذين كذبوا على مر العصور بكل مشهود وملموس من الآيات .

من المقصود إذن؟

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي، جـ٢ ص ٣٧٨ .

(٢) قال في كشف الخفاء : رواه الترمذي عن عائشة وضعفه ، ولكن له شواهد فيكون حسن لغيره بل صحيحاً، جـ١ ص ١٤٥ .

(٣) العبادة في الإسلام، د. القرضاوي ص ٢٣٨ .

(٤) راجع باب الأخلاق من هذه الموسوعة، المسجد من العوامل المساعدة على اكتساب الأخلاق.

الأمر كان مقصوداً به المسلمون أولاً وكان الهدف تمييز الصادقين من غيرهم فإمام الصادقين أبو بكر كان تقديره للأمر مبنياً على مرجعية سابقة هي الإيمان بالغيب فقال: «إن كان قالها فقد صدق»، وهناك آخرون إسلامهم كان هشاً فارتدوا.

ورب سائل يسأل عن جدوى هذا التمحيص في هذه الفترة العصيبة من تاريخ الإسلام في مكة وهو الوقت الذي أجدبت الأرض فيه عن مسلمين جدد حيث لم يدخل الإسلام في السنوات الثلاث الأخيرة من عمر الإسلام في مكة قبل الهجرة فرد واحد، ثم تأتي حادثة الإسلام لتخرج أكثر من كان فيه منه؟

والإجابة: أن أمر التشريع مبني على التصديق بكل ما جاء به رسول الله ﷺ وبخاصة في ذلك الفترة، إذ إن الأمة كانت مقدمة على مرحلة جديدة فيها مشقة بالغة، حيث ستكون الهجرة، وما أدراك ما الهجرة؟ إنها فراق الأهل والوطن وترك الأموال ثم الجهاد وحدث عنه ولا حرج ومن المعلوم أن التراجع عنه قبل الدخول في المراحل الصعبة أهون من التراجع بعد الشروع فيها، ولهذا كان التمحيص وحقق الأمر مراده فحينما صدر الأمر من النبي ﷺ بالهجرة سارع المسلمون إلى تنفيذه وفي المراحل التالية كان المسلمون يتبارون إلى الاستجابة لداعي الجهاد.

وما زالت الحادثة المباركة تضع المسلمين في العصر الحديث أمام نفس الاختبار الصعب الشاق الذي نجح فيه من سبقونا بإحسان فنحن في عصرنا قد سلمنا بحدوث الإسراء والمعراج تسليم عادة، ولربما اختلف تقديرنا للأمور لو وُجدنا في عصر رسول الله ﷺ.

هذا ما يشهد به واقع الأمة، تلك الأمة التي تخالف رسولها جملة وتفصيلاً بعذر وبغير عذر وهنا يأتي دور العقل المسلم مع كل تكرار لذكرى الإسراء المعراج، فذلك العقل الذي صدق بالقرآن والسنة إجمالاً عليه أن يصدق بما جاء فيهما تفصيلاً فبهذا تكون المناسبة قد حركت الساكن في نفس المؤمن، فزادته إيماناً واقتناعاً[1].

فإذا نظرنا إلى حادثة تحويل القبلة فإننا نجد النص القرآني يصرح بالحكمة من وراء استقبال بيت المقدس في الصلاة ثم التحول عنه إلى البيت الحرام في مكة، حيث قال

---

(١) مجلة الرسالة العدد ٢٤، ص ٢٨، ٢٩، الشيخ مرسي بسيوني.

سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ (البقرة: ١٤٣).

إنه اختبار آخر يتعرض له المسلمون لقياس مدىٰ طاعتهم لله ورسوله، فالأصل هو الاستجابة لأمر الله ورسوله كما قررت آيات القرآن الكريم، وطبقاً لما يقتضيه إعلان الإيمان بالله ورسوله، إلا أن البعض قد يتهاون أو يتباطأ في التنفيذ فلابد من حين لآخر من اختبار مدىٰ الجدية وسرعة الاستجابة في تنفيذ الأمر، فكان الاختبار في الأمر باستقبال البيت الحرام في الصلاة والاختبار هنا يأخذ شكلاً عملياً مباشراً، ولابد أن تكون الاستجابة فورية وبدون تلكؤ.

وهكذا فعل المسلمون الذين أدركهم التكليف وهم في صلاة الظهر أو العصر فلم ينتظروا إتمام الصلاة والبدء بالتي تليها، بل قاموا بالتنفيذ فوراً وسيظل مسجد القبلتين شاهداً علىٰ حسن استجابة المؤمنين لله ورسوله.

إن الأمر قد تم علىٰ أرقىٰ مستوىٰ ولم يحدث هرج أو ضوضاء بين المصلين برغم وجود كل الفئات رجال وصبيان ونساء.. إنها سرعة الاستجابة والتسليم والطاعة، ولذا فإن هذه المناسبات هي الطريق الأمثل لبناء القيم.

بعض قيم المناسبة إجمالاً:

١ ـ قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ مقاومة الظلم.

٣ ـ قيمة المقدسات (الكعبة ـ المسجد الأقصىٰ ـ المسجد النبوي).

٤ ـ الحجاب والعفة.

٥ ـ انحسار المخدرات.

هذه القيم وغيرها نستطيع من خلال مناسبة الإسراء التركيز عليها، وأن تكون واقعاً في حياة الإنسان، وإذا أردت تفصيلاً لهذه القيم التي ذكرناها إجمالاً فسوف تجد ذلك واضحاً في أبواب الموسوعة.



الفصل الثاني

مناسبات فردية طارئة

الموت

الفصل الثاني

مناسبات فردية طارئة : المـوت

المبحث الأول

حقائق عن المـوت

الحقيقة الأولى :

إن الموت تأكيدٌ على قضية الإيمان بالله تعالى، وأن الله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة بلا منازع، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

فصحة إيمانك أن تؤمن بالقدر خيره وشره.. فلو اجتمع العالم بأسره على إخراج الروح ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لأنهم لا يعرفون عن الروح شيئاً، فكيف يستخرجون شيئاً لا يعرفون عنه أياً من مواصفاته: ما لون الروح؟ ما طولها؟ ماعرضها؟ غازية أم سائلة؟ أين تسكن هذه الروح حتى يقوموا بالقبض عليها؟ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥).

والآيات التالية تؤكد ذلك: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ② ﴾ (المُلك).

فأنت ترى الآن أمامك هذه الآية ربما كل يوم.. ترى أمامك الآن جثة لإنسان.. (ترى الموت).. وتنظر إلى نفسك ومن حولك (فترى أحياء).. إذن أنت ترى الحياة والموت...

وأنت في الجنازة ترىٰ الموت جثة في المسجد، وترىٰ الموت جثة علىٰ أعناق الرجال، وترىٰ الموت جثة تدخل القبر، ويُغلق عليها لا تهرب ولا تُبدي حراكاً.

﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ** ﴾ (الأنعام: ٦١).

انظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا** ﴾.. أنت لا تستطيع أن تهرب وتجري أمام الموت حتىٰ لا يلحق بك، وإن فررت منه وقلت: لا يقدر أحد علىٰ أن يميتني «سأهرب من الموت» تجد قوله تعالىٰ: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (الجمعة: ٨).

وإليك إشارة مهمة: إن الله تعالىٰ يقول بعد الموت أنك سترد حتماً لا محالة: ﴿ **ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** ﴾ (الأنعام: ٦٢).

أعلمت أيها الإنسان العاقل الكريم أنك ستُعرض على محكمة..

قاضيها قيوم السماوات والأرض.. وموظفوها الملائكة.. والمحامي فيها هو العمل.. والحكم مشمولٌ بالنفاذ والتطبيق.. لا مراوغة ولا استئناف ولا رشوة ولا تزوير.. والمصير محتوم.. إما إلىٰ جنة وإما إلىٰ نار.. أين يذهب الإنسان وقد تخلىٰ عنه المال والأهل والولد؟.. أين يذهب الإنسان ولا مُلك غير هذا المُلك فيهرب فيه؟.. أين يذهب الإنسان وقد خرج لسانٌ من النار يصرخ ويصيح: أين العصاة؟.. أين المذنبون؟.. أين فراعنة الدنيا وحكامها؟.. أين.. أين.. لمن الملك اليوم؟! ﴿ **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)** ﴾ (غافر).

الحقيقة الثانية: الموت لا يمنع منه مانع:

إنَّ الطبيبَ بِطِبِّهِ ودوائِهِ ... لا يستطيعُ دفعَ نَحْبٍ قد أتىٰ
مَالِ الطبيبِ يَمُوتُ بالدَّاءِ الذي ... قد كان أبرأ مثله فيما مضىٰ
ماتَ المُدَاوِي والمُدَاوَىٰ والذي ... حَمَلَ الدواءَ وباعَهُ ومَنْ اشْتَرَىٰ

قضية الإحياء والإماتة بيد الله تبارك وتعالىٰ، فليس فيها محاباة ولا مجاملة ولا . . ولا . . لذلك لا تستطيع أنت ولا غيرك ولا الطب ولا العلم أن يمنع الموت وهذا هو التحدي الرهيب: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) ﴾ (الواقعة).

وأنت تجلس بجوار المُحْتَضِر، والأجهزة تحيط به من كل جانب، وأطباء الدنيا حوله وها هي الروح تخرج، ألا يستطيع أحد منكم أن يجري خلفها ليمسك بها، أو أن يُغلق حجرة العمليات الْمُحْكَمة الْمُعَقَّمَة ثم يأتي بالروح . . لا . . إنها خرجت . . نعم خرجت . . وأنتم تجلسون إلىٰ أجهزتكم.

١ ـ الموت لا يمنع منه منصب أو مكانة حتى ولو كان نبياً مرسلاً، أو ملكاً مقرباً، قال ربنا للنبي ﷺ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزُمَر: ٣٠).

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

ولا توجد حصانات لا برلمانية ولا قضائية ولا حصانة رئاسة :

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النساء: ٧٨).

٢ ـ الموت لا يمنع منه هيئة :

أ ـ سواء هيئة طاعة وصيام وقيام ليل وقراءة قرآن

ب ـ أو هيئة معصية سواء شرب دخان أو أي مشروبات أخرىٰ ضارة أو في حالة غيبة أو نميمة أو سرقة أو زنا . .

٣ ـ من مات على شيء بعث عليه:

قال ﷺ : **«يُبعَثُ كل عبد على ما مات عليه»**(١) ، فمن مات مصلياً بُعِثَ

(١) رواه الإمام مسلم ، جنة ٨٣ .

مصلياً، ومن مات محرماً بُعِثَ ملبياً، ومن مات صائماً بُعِثَ صائماً، ومن مات طاهراً متوضأ بُعِثَ طاهراً متوضأ . .

فاحرص أن تسير دائماً متوضئاً ما استطعت إلىٰ ذلك سبيلاً .

ومن مات يسرق بُعِثَ يسرق، ومن ماتت متبرجة بُعِثَتْ هكذا . . فلا تعص ربك حتىٰ ولو كان ذلك في ليلة زفافك وليلة العرس .

دروس لذلك من الواقع:

١ ـ انهارت عمارة بها محل كوافير وكان بداخل المحل ثلاثة عرائس للتزين لهذه الليلة ليلة العمر فبقين تحت الأنقاض .

٢ ـ جلست العروسة في وسط المدعوين تنتظر حضور العريس لقد تأخر العريس . . رسالة إلىٰ منزل العريس . . ينزل العريس درجات السلم متوجهاً إلىٰ العروسة فالمنزل قريب . . سيتوجه إليها سيراً علىٰ الأقدام . . نزل درجتين من السلم في بيته ولم يتحرك إلىٰ الثالثة فنظر إليه من يمشون بجواره . . ويضعون أيديهم في يديه إذا به فارق الحياة . . جلسوا يغسلونه في بيته . . والعروسة تجلس في «الكوشة» مكان الفرح تنتظر العريس . . ويمر جثمان العريس من أمام منزل العروس، ليس إلىٰ العروس . . ولكن إلىٰ المقابر[١] .

الحقيقة الثالثة : حب الناس للخلود :

رغم أن الله سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

وقد عصىٰ آدم ربه من أجل الخلود، قال تعالىٰ: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ** ﴾ (طه: ١٢٠).

أكل آدم من شجرة الخلد . . ومع ذلك مات آدم عليه السلام . .

---

(١) اقرأ في هذا المعنىٰ: عروس تزف إلىٰ قبرها، للأديب الكبير مصطفىٰ صادق الرافعي، طبعة دار ابن حزم، طبعة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت.

وعن سهل بن سعد، وجابر بن عبدالله، وعلي بن أبي طالب: جاء جبريل للنبي ﷺ وقال: «**يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس**»(١) .

الحقيقة الرابعة : هل تحب مشاهدة رحلة الحياة كاملة:

يعرض ربنا سبحانه وتعالى علينا رحلة الحياة كاملة على الأرض، وهذا العرض الرهيب له فائدتان:

الفائدة الأولى: هذا الإعجاز الإلهي في هذا العرض الموجز المعجز الذي يؤكد لك أن لهذا الكون إلهاً واحداً خالقاً.

الفائدة الثانية: هذا العرض لحركة الحياة كاملة يعطيك معرفة حقيقية يقينية بكل المراحل حتى لا تحدث لك المفاجأة، ولا تندم يوم لا ينفع الندم، ويكون لك حجة أمام الله، فلا تكون ممن قال الله فيهم: ﴿ **قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦)** ﴾ (طه).

والآن مع هذا العرض:

١ ـ في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)** ﴾ (المؤمنون).

أنت لا تعلم عن هذه الرحلة شيئاً، ولكن الخالق سبحانه وتعالى يخبرك بها لتعلم مدى عنايته ورعايته بالإنسان وتكريمه له: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ (الإسراء: ٧٠).

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، والسهمي في تاريخ جرجان، وأبو نُعيم في الحلية، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

ثم تأتي المراحل الثلاثة : مرحلة الخلق، مرحلة الموت، مرحلة البعث بعد الموت: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) ﴾ (المؤمنون).

فائدة مهمة للذي ينكر البعث:

نقول له : هل تستطيع أن تنكر مرحلة الخلق؟

كيف تُنكرها وأنت مخلوق موجود؟

وهل تستطيع أن تُنكر مرحلة الموت!!

كيف تنكرها وكل يوم تشيع ميتا إلى المقابر؟

فلا تُنكر العين ضوء الشمس إلا من رمد..

هاتان مرحلتان مؤكدتان حقيقتان واقعتان فلا جدال..

ولا شك في أن المرحلة الثالثة آتية لا ريب فيها، للآتي:

١ ـ تحققت مرحلتان أي أن صدق التحقق يقترب من نسبة ٧٠ ٪.

٢ ـ المرحلة الثالثة أهون وأسهل بكثير من الأولى، فإعادة الخلق أهون من ابتداء الخلق، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧).

٢ ـ في السنة النبوية:

عن حذيفة بن أُسيد عن النبي ﷺ قال: « **إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها مَلَكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها ولحمها وعظامها، ثم قال: يارب ذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء، ويكتب الـمَلَكُ، ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الـمَلَكُ، ثم يقول الـمَلَكُ: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الـمَلَكُ، ثم يخرج الـمَلَكُ بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أُمر ولا ينقص** »(١).

---

(١) رواه مسلم، قدر ٣.

٣ـ في الكون المفتوح :

هذا الكون الواسع الشاسع يوضح لنا الخالق سبحانه وتعالىٰ فيه صورة مهمة تعرض علينا صورة واضحة لرحلة الحياة كاملة علىٰ الأرض .

١ ـ فأنت ترىٰ قرص الشمس في الصباح قرصاً أحمراً لا ضوء فيه ولاحرارة وهذه المرحلة تقابل مرحلة الطفولة . . فكذلك الطفل عند الولادة ليس له ضوء وليس له حرارة، يتبول علىٰ نفسه، ويتغوط علىٰ نفسه، ولا يعرف أباً ولاأمّاً . . كما حكىٰ القرآن الكريم فقال : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (النحل : ٧٨) .

٢ ـ ويبدأ قرص الشمس يتحرك من الشروق حتىٰ يصل إلىٰ كبد السماء فتشتد حرارتها ويزداد ضوءها حتىٰ يبلغا المدىٰ، وهذه المرحلة للشمس هي نفس مرحلة الشباب والقوة التي يعيشها الشباب . . قمة الحيوية والضوء . . الكل يشعر بك الكل يعرفك وحتىٰ تصبح ملء السمع والبصر عند الأهل والأقارب .

٣ ـ ويبدأ أقرص الشمس في الزوال عند كبد السماء ناحية الغروب فيقل الضوء وتقل الحرارة رويداً رويداً حتىٰ تصبح قرصاً لا ضوء له ولا حرارة . . ويبدأ في الاصفرار والضعف ويبدأ في التلاشي شيئاً فشيئاً وإن هي إلا لحظات حتىٰ يختفي وهذه هي مرحلة الشيخوخة عند الإنسان بعد مرحلة الشباب يضعف شيئاً فشيئاً وتقل القوة ويبدأ الجسم في الضعف والاصفرار حتىٰ يصبح قعيد الفراش أو ضعيف الحركة فلا ضوء ولا حرارة، يقول الله عن هذه المرحلة : ﴿ **وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ** ﴾ (يس : ٦٨) .

تضعف الأقدام وينحني الظهر، ويقلّ السمع، ويضعف البصر . . ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾ (الروم : ٥٤) .

وقد تطول هذه الفترة . . فيعود الإنسان إلىٰ المرحلة الأولىٰ . . فيتبول علىٰ نفسه، ويتغوط علىٰ نفسه، ولا يعرف من الداخل عليه أو الجالس بجواره :

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا .. ﴾ (الحج : ٥).

٤ ـ قبل النوم: يقول الله: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ (النبأ: ٩)، وبذلك يعرض الحق سبحانه وتعالىٰ علينا جزءاً من بداية المرحلة الثالثة وهي الإحياء بعد الإماتة.. يلفت الحق سبحانه وتعالىٰ نظرنا إلىٰ وقت النوم وهو الوقت الذي لا يشعر الإنسان فيه بشيء، ولا يحس عن حركة الحياة شيئاً، ولا يعرف مايدور حوله، وقد يحلم أنه يسافر إلىٰ بلد أخرىٰ وهو نائم لا يدري ثم يستيقظ.. وقد ينام الإنسان وتُقبض روحه فلا يستيقظ إلا عند النفخ في الصور حين يقوم الناس لرب العالمين.

٥ ـ يقول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) ﴾ (القصص).

سل نفسك ـ أخي ا لقارئ ـ هل يستطيع احد ان يفعل ذلك غير الله تعالى؟

وتأمل: أين يذهب الليل إذا جاء النهار؟

أو أين يذهب النهار إذا جاء الليل؟

إنه يصعد إلىٰ ربه فلا يعود إلىٰ يوم القيامة..

اقول: إن اليوم الذي يمر لا يعود أبداً.. واليوم الذي يأتي بعده ثم يمر.. فلايعود أبداً أيضاً.

ولذلك يقول بكر المزني: «ما من يوم أخرجه الله إلىٰ الدنيا إلا يقول: يا بن آدم اغتنمني لعله لا يوم لك بعدي ولا ليلة إلا تنادي: ابن آدم اغتنمني لعله لا ليلة لك بعدي».

الحقيقة الخامسة: الدنيا :

قال تعالىٰ: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦) ﴾ (الكهف).

لا ينبغي أن نتحدث أن الدنيا ملعونة، ملعونة، لا تساوىٰ شيئاً ولا قيمة لها.

إذن أين نعمل الصالحات؟

كيف نصل إلىٰ الجنة إلا عن طريق العمل في الدنيا؟ . .

نحن سنقوم للحساب بعد الموت والمراحل التي ذكرناها، يقول الله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾ (الحج).

وعن ابن عمر أن النبي أخذ بمنكبيّ وقال: «**كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(١)، وكان ابن عمر يقول: « إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

ويقول النبي ﷺ: «**مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها**»(٢).

١ - هل ركبت القطار؟ ..

الدنيا هذه قطار يسير . . وكل واحد من الأحياء راكب في هذا القطار معه تذكرة بمحطة الوصول . . يقول الله تعالىٰ: ﴿ **ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا** ﴾ .

هذا الراكب نزل بعد محطات بسيطة ومات طفلاً: ﴿ **ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ** ﴾ .

---

(١) رواه البخاري، رقاق ٣ .

(٢) رواه ابن ماجة، زهد ٣، والترمذي، زهد ٤٤، وقال: حسن صحيح عن ابن مسعود، ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس: «**يا رسول الله لو اتخذت فراشًا أوثر**» (يعني: ألين وأوطأ)، وفي الترغيب ٤٧١٦، ورقم ٤٧١٧ .

هذا الراكب نزل بعد محطات كثيرة ومات وهو شاب . .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ .

هذا الراكب نزل قبل مرحلة الوصول بمسافة بسيطة، مات وهو شيخ .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ .

هذا الراكب نزل قبل محطة الوصول بمحطة واحدة .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزُّمَر : ٦٨) .

وبهذا قد وصل القطار إلى المحطة الأخيرة في الدنيا، ثم سحب القطار إلى الجراج . . وتوقف . .

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « **يناديِ منادٍ: يا أهل الجنة خلود بلا موت.. ويا أهل النار خلود بلا موت**»(١) .

وقفة تأمل :

١ ـ كل واحد منا يُودع أخاه الذي نزل في المحطة التي قبله يحمله إلى المقابر ويقول له : مع السلامة يا فلان . . أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون .

٢ ـ الراكب الذكي في القطار يقف قبل محطة نزوله مبكراً ويحمل حقائبه ويحزم أمتعته ويتوجه إلى باب القطار قبل الزحام حتى يجد له مكاناً أثناء النزول . . وذلك يجعله يضحي بجزء من وقته واقفاً تاركاً مكان الجلوس مكان الراحة إلى حيث الوقوف والتعب وتحمل المشاق كل ذلك حتى ينزل في محطته هادئاً مرتاحاً مطمئناً ولذلك أقول يجب أن نقف متأهبين مستعدين حتى ننزل إلى المحطة فنجدها كما في الحديث : «**روضة من رياض الجنة**»(٢) .

---

(١) رواه البخاري، رقاق ٥٠، تفسير سورة ١٩، ومسلم، جنة ٤٠ .

(٢) رواه الترمذي، كتاب القيامة، رقم ٢٦، وقال الترمذي : حديث غريب، والدارمي، رقاق ٢٨١٥، وأحمد في المسند ١٠٩٤١ .

٣ ـ أنت تستعد قبل محطة النزول بوقت كاف لأنك تعرف محطة النزول، ولكن إذا لم تكن تعرف محطة الوصول فعليك أن تستعد وتُشمر عن ساعد الجد طوال حياتك حتىٰ لا تُجبر وتُرغم علىٰ النزول في محطة لا تستعد لها فتجدها: **«حفرة من حفر النار»**[1] .

٤ ـ تستطيع في القطار تجاوز محطة الوصول، وإذا ضبطك المفتش عُوقِبْتَ علىٰ ذلك . . أما في الموت فلا تتجاوز محطتك، ولا تنزل مبكراً .

٢ ـ هل تعلم أن لك صحيفة حسنات وصحيفة سيئات؟

أنت بعد البلوغ[2] يقوم المَلَك بكتب الحسنات والسيئات وجميع الأعمال التي تفعلها، ويحصي عليك بالذرة: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨** ﴾ (الزلزلة) .

ولن يغيب أي عمل من الأعمال، قال تعالىٰ: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ (الكهف: ٤٩) .

وهذه الحياة امتحان واختبار، قال تعالىٰ: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢** ﴾ (المُلك) .

فإليك بعض الإرشادات وأنت في هذا الامتحان:

١ ـ أبدأ بعمل كل الحسنات بمجرد البلوغ، فالوقت محدد . . وليس هناك فرصة للإعادة، اجعل ملك الحسنات لا يفتر لحظة عن كتابة الحسنات من: صلاة، صيام، قرآن، ذكر، استغفار . .[3]

---

(١) انظر التخريج السابق .

(٢) البلوغ: للذكر بالاحتلام، وللأنثىٰ بنزول دم الحيض .

(٣) ارجع إلىٰ موضوع الحسنات في حياة المسلم في باب الأخلاق من هذه الموسوعة .

٢ ـ إذا أخطأت في عمل قم بعد الخطأ وتوضأ. . وأحسن الوضوء. . ثم صلِّ ركعتين. . ثم استغفر الله تعالىٰ. . لأمر الله سبحانه وتعالىٰ لك: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾ (آل عمران).

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن صاحب الشمال ليرفع يده ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، أو المسيء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كُتِبَتْ واحدة»(١).

وعن أبي بكر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يُذْنب ذنباً فيتوضأ ويحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له»(٢).

وعن أبي ذر قال: قال رسول ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وخالق الناس بخُلقٍ حسن»(٣).

٣ ـ نَوِّع في أعمال الخير. . في المسجد صل هنا. وهناك وهنالك، وتصدق وأحسن، وجاهد، وأمر بمعروف، وصِلِ الأرحام. . . .

٤ ـ لا تنشغل بزينة الدنيا، ولا باسم المَلَك، ولا شكله. . ولا تخف علىٰ العمر، ولا تغرك زخرفة الدنيا، وضع أمامك كلام الحسن البصري: «علمت أن رزقي لن يأخذه غيري فاطمأن قلبي. . وعلمت أن الله مُطَّلعٌ عليَّ فكرهت أن يراني علىٰ معصية. . وعلمت أن عملي لن يقوم به غيري فاشتغلت به».

٥ ـ أنت ستخرج من الدنيا وتتركها، فلا تترك حسناتك تتوقف بعد موتك، ولكن عليك بالأعمال التي تجري للإنسان بعد موته، وهي كما يقول الرسول ﷺ:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم ٨/ ١٨٥، وفي مسند الشاميين ١/ ٣٠١.

(٢) رواه أحمد في المسند وأهل السنن، وابن حبان، وأخرجه ابن كثير في تفسير آية ١٣٥ من سورة آل عمران.

(٣) رواه أحمد: ٣/ ٥، والترمذي، بر ٥٥، والدارمي، رقاق ٤٧، وقال الترمذي: حسن صحيح.

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولدٌ صالح يدعو له، وصدقة جارية، وعلمٌ ينتفع به»(١) .

وتكثر الأسئلة عقب سماع هذا الحديث: ما أنواع الصدقة الجارية؟

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علماً، أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»**(٢) .

وقد نظمها الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ فقال :

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من فعالٍ غير عشرِ
علومٌ بثها ، ودعاءُ نَجْلٍ ... وَغَرْسُ النَّخْلِ والصدقات تجري
وراثة مُصحفٍ ورباط ثَغرٍ ... وحفرُ البئر ، أو إجراءُ نَهْرِ
وبيتٌ للغريبِ بَناهُ يأوي ... إليه أو بناءُ مَحَلِّ ذِكْرِ(٣)

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»**(٤) ، فالإسلام لا يعرف سناً للمعاش، ولا وقتاً للكسل والراحة . . من خلال شرح هذا الحديث الشريف .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **تُرفع للميت بعد موته درجته، فيقول: أي رب، بأي شيء هذا، فيقال: باستغفار ولدك لك»**(٥) .

---

(١) رواه مسلم ، وصية ١٤ .

(٢) رواه البزار وأبو نعيم في الحلية، رواه البيهقي، قال المنذري: وقد رواه ابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه من حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم، وغيره وفيه (صدقة جارية)، وفي الترغيب رقم ١١٣ ، وحديث أبي هريرة الذي رواه مسلم، في الترغيب رقم ١٢٤ .

(٣) سُبل السلام، للصنعاني ، جـ٣ ، ص ١٤١ ، باب الوقف .

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، والإمام أحمد في المسند، والطيالسي، (والفسيلة : هي النخلة الصغيرة وهي الودية).

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد .

فائدة :

إذا أردتَ الاطمئنان على صلاح أولادك حتى تسعد في الدنيا والآخرة، فإن القرآن يرشدك إلى ذلك، قال تعالى: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** ﴾ (النساء: ٩)، وقال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾ (الكهف: ٨٢).

تدبر الآيتين تجد أن الله تكفَّل بالحفاظ على الأيتام وأموالهم لصلاح والديهم، وأرسل لذلك نبياً وعبداً صالحاً لتأمين حياة الأيتام كما في آية سورة الكهف.

٣ ـ الاستهلاك الإيماني .. كيف نواجهه ؟ (١) .

إن كل ما حولنا يصرفنا عن الله، ويغرينا بالدنيا وشهواتها، قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ (آل عمران: ١٤).

وقال رسول الله ﷺ: « **حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات**»(٢).

وأكتفي بعرض نموذج بسيط حول عملية الاستهلاك الإيماني في زحمة من المواقع الاستهلاكية لا تبقي ولا تذر.

وأمامي نشرة أسبوعية مجانية تقع في نحو أربعين صفحة، كل صفحة فيها تمتلئ بعشرات الدعوات والدعايات التي تستهلك الإيمان والأخلاق والوقت والمال، ولا تترك للإنسان فرصة للتنفس الإيماني السليم، فهذه دعوة إلى تنحيف الأجساد، وتأمين الأصدقاء، واستيراد خادمات وحاضنات تتناسب مع جميع الأذواق والميزانيات، وعرض لمقاعد بكبسة زر تساعدك على النهوض، وعرض

---

(١) د. فتحي يكن، مجلة الرسالة.

(٢) رواه مسلم، جنة ١ .

لمعالجة الصلع أو إزالة الشعر نهائياً عن الأجساد إلى الأبد، وعروض لا تعد في عالم التجميل، وعروض لرفع الصدر، وتنحيف الخصر والوشم والتغيير في خلق الله، ناهيك عن عروض بيع السيارات والمفروشات والأدوات الكهربائية والكومبيوترات والفيلات والشقق وعالم الفضائيات، وكل ما تمخض عنه العقل البشري ووُضِع في خدمة الشيطان. . فماذا يتبقى بعد ذلك من وقت وجهد للإنتاج الإيماني؟

يرافق كل ذلك عروض سخية بالبيع المقسط يمكن أن يستهلك عمر الإنسان كله، يضاف إلى ذلك تنافس في غزو المطاعم وحفلات الطرب والرقص، وما يمنع الحياء من ذكره.

هذه مفردة صغيرة ومحددة من وسائل الاستهلاك الإيماني، يضاف إليها عالم الإنترنت، كيف نواجه هذا الكم من قوارض الإيمان؟

كيف نواجه الاستهلاك الإيماني ؟

لابد من مشاريع إنتاجية للإيمان تغالب الاستهلاك وتغلبه، إن ذلك يحتاج إلى قوة إرادة وعزيمة وصبر ومجاهدة نفس، ومغالبة هوى، لا تفتر ولا تتوقف إنه يحتاج إلى إنماء إيماني يماثل حجم الاستهلاك الإيماني على الأقل.

إن صوم رمضان، وأداء مناسك العمرة والحج، وإقام الصلاة فرائض ونوافل، والقيام بواجب الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، وقراءة كتاب الله وذكر الموت، والنهوض بواجب الدعوة إلى الله، والإسهام قدر المستطاع بأحد جوانب الجهاد في سبيل الله، هذه وغيرها محطات للإنتاج الإيماني، ومعارج رقي وارتقاء إلى الله عز وجل نحن مطالبون بالإقبال عليها.

ومن محطات الإنتاج الإيماني: التذكير لقول الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥).

ومن التذكير أيضاً أن نقرأ قصيدة زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بعنوان: «ليس الغريب»:

١ ـ ليسَ الغريبُ غريبَ الشامِ واليَمَنِ ∴ إنَّ الغريبَ غريبُ اللَّحْدِ والكَفَنِ
٢ ـ إنَّ الغــريبَ له حقٌ لِغُــربَتِه ∴ علىٰ المُقيمينَ في الأوْطانِ والسَّكَنِ
٣ ـ لا تَنْهَرَنَّ غريباً حالَ غُربتِهِ ∴ الدَّهْرُ يَنهَرُهُ بالذُّلِّ والمِحَنِ
٤ ـ سَفْرِي بعيدٌ وزادي لا يُبلِّغُني ∴ وقُوَّتي ضَعُفَتْ والموتُ يطلُبُني
٥ ـ ولي بقايا ذنوبٍ لستُ أعلمُها ∴ اللهُ يَعلَمُها في السِّرِّ والعَلَنِ
٦ ـ ما أحلَمَ اللهَ عني حيثُ أمْهَلني ∴ وقد تماديتُ في ذنْبي ويسترُني
٧ ـ تمرُّ ساعاتُ أيامي بلا ندمٍ ∴ ولا بكاءٍ ولا خوفٍ ولا حَزَنِ
٨ ـ أنا الذي أُغلقُ الأبوابَ مجتهداً ∴ علىٰ المعاصي وعينُ الله تنظُرُني
٩ ـ يا زَلَّةً كُتِبَتْ في غفلةٍ ذهبت ∴ يا حسرةً بَقِيَتْ في القلب تُحرِقُني
١٠ ـ دَعني أنوحُ علىٰ نفسي وأندُبُها ∴ وأقطعُ الدَّهرَ بالتذْكيرِ والحَزَنِ
١١ ـ دَعْني أسحُّ دموعاً لا انقطاعَ لها ∴ فهلْ عسىٰ عَبْرَةٌ منها تُخَلِّصُني
١٢ ـ دَعْ عنك عَذْلِيَ يا مَنْ كان يَعذِلُني ∴ لو كنتَ تعلمُ ما بي كنتَ تَعذُرُني
١٣ ـ كأنني بين كُلِّ الأهلِ مُنْطَرِحاً ∴ علىٰ الفراشِ وأيديهمْ تُقَلِّبُني
١٤ ـ وقد تجمَّعَ حَولي مَنْ ينوحُ ومَنْ ∴ يبكي عليَّ وينعَاني ويَندُبُني
١٥ ـ وقد أتَوا بطبيبٍ كيْ يُعالِجَني ∴ ولَمْ أرَ الطِبَّ هذا اليومَ ينفعُني
١٦ ـ واشتدَّ نَزْعِي وصار الموتُ يجذِبُها ∴ مِنْ كُلِ عِرْقٍ بلا رفْقٍ ولا هَوَنِ
١٧ ـ واستخرَجَ الروحَ مِني في تَغَرْغُرِها ∴ وصارَ ريقي مريراً حين غَرْغَرَني
١٨ ـ وَسَلَّ رُوحي وظل الجسمُ مُنطَرِحًا ∴ بين الأهل وأيديهم تُقَلِّبُني
١٩ ـ وغمَّضُوني وراحَ الكُلُ وانصرفوا ∴ بعدَ الإياسِ وَجَدُّوا في شِرَا الكَفَنِ
٢٠ ـ وقام مَنْ كانَ حِبَّ الناسِ في عَجَلٍ ∴ نحوَ المُغسِّل يأتيني يُغَسِّلُني

٢١ ـ وقال يا قومِ نبغي غاسِلاً حذِقاً ∴ حراً قريباً أريباً عارفاً فَطِنِ
٢٢ ـ وأوضَعوني على الألواحِ منطرحاً ∴ وصارَ فوقي خريرُ الماءِ يُنظِفُني
٢٣ ـ فجاءَني رَجُلٌ منهم فجرَّدَني ∴ مِنَ الثيابِ وعَرَّاني وأفردَني
٢٤ ـ وأسكَبَ الماءَ مِنْ فوقي وغسَّلَني ∴ غُسلاً ثلاثاً ونادى القومَ بالكفنِ
٢٥ ـ وألبَسُوني ثياباً لا كُمَام لها ∴ وصارَ زادي حنوطاً حين حَنَّطَني
٢٦ ـ وأخرجُوني مِنَ الدنيا فوا أسفا ∴ على رحيلٍ بلا زادٍ يُبَلِّغُني
٢٧ ـ وحَمَّلُوني على الأكتافِ أربعةٌ ∴ مِنَ الرجالِ وخَلْفي مَنْ يُشيِّعُني
٢٨ ـ وقدَّمُوني إلى المِحرابِ وانصرفوا ∴ خَلْفَ الإمامِ فَصَلَّى ثم وَدَّعَني
٢٩ ـ صَلَّوْا عليَّ صلاةً لا ركوعَ لها ∴ ولا سجودَ لعلَّ اللهَ يرحمُني
٣٠ ـ وأنزلُوني إلى قبري على مَهَلٍ ∴ وقدَّمُوا واحداً منهم يُلَحِّدُني
٣١ ـ وكَشَّفَ الثوبَ عنْ وجْهي لينظُرَني ∴ وأسبَلَ الدمْعَ مِنْ عينيه أغْرَقَني
٣٢ ـ فقام محتزِماً بالعزمِ مُشتملاً ∴ وصَفَّفَ اللَّبْنَ مِنْ فوقي وفارَقَني
٣٣ ـ وقالَ هُلُّوا عليهِ التُرْبَ واغتنِمُوا ∴ حُسنَ الثوابِ مِنَ الرحمنِ ذي المِنَنِ
٣٤ ـ في ظلمةِ القبرِ لا أمٌّ هناك ولا ∴ أبٌ شَفيقٌ ولا أخٌ يُؤانِسُني
٣٥ ـ وهالَني صورةٌ في العينِ إذ نَظَرَتْ ∴ مِنْ هَولِ مَطْلَعِ ما قد كان أدهشَني
٣٦ ـ مِنْ مُنكَرٍ ونَكيرٍ ما أقولُ لهم ∴ قد هالَني أمرُهُمْ جِداً فأفزَعَني
٣٧ ـ وأقعَدُوني وجَدُّوا في سؤالِهموا ∴ مَالي سِواكَ إلهي مَنْ يُخَلِّصُني
٣٨ ـ فامْنُنْ عليَّ بعفوٍ منك يا أمَلي ∴ فإنني موثقٌ بالذنبِ مُرْتَهَنِ
٣٩ ـ تقاسَمَ الأهلُ مالي بعدما انصرفوا ∴ وصارَ وِزْري على ظَهْري فأثقَلَني
٤٠ ـ واستَبْدَلَتْ زوجتي بَعْلاً لها بَدَلي ∴ وحكَّمَتهُ على الأموالِ والسَّكَنِ

٤١ ـ وصيَّرَتْ ولَدي عَبْداً ليخدُمَها ∴ وصارِ مَالي لهمْ حِلاً بلا ثَمنِ
٤٢ ـ فلا تَغُرنَّكَ الدنيا وزينَتُهَا ∴ وانظُر إلىٰ فِعلِها في الأهلِ والوطنِ
٤٣ ـ وانظرْ إلىٰ مَنْ حَوىٰ الدنيا بأجمَعِها ∴ هل راحَ منها بغير الحَنْطِ والكفن؟
٤٤ ـ خُذْ القناعةَ مِنْ دُنياكَ وارضَ بها ∴ لو لَمْ يكن لك إلا راحةُ البَدَنِ
٤٥ ـ يا زارعَ الخيرِ تَحصُدْ بَعدَهُ ثمراً ∴ يا زارعَ الشرِ موقوفٌ علىٰ الوَهَنِ
٤٦ ـ يا نَفسُ كُفّي عن العِصيانِ واكتسِبي ∴ فعلاً جميلاً لعلّ اللهَ يرحمُني
٤٧ ـ يا نَفْسُ وَيحَكِ تُوبي واعمَلي حَسَناً عسىٰ تُجَازَيْنَ بعدَ الموتِ بالحسَنِ
٤٨ ـ ثُمَّ الصلاةُ علىٰ المُخْتَار سيدنا ما وضأ البرق في شامٍ وفي يمني
٤٩ ـ والْحَمْدُ لِلَّهِ مُمْسِينا وَمُصْبِحُنا بالخيرِ والعفو والإحسانِ والمِنَنِ

المبحث الثاني

فقه الجنائز

في هذا المبحث نجمع بعض الأحكام الفقهية التي وردت في هذا الفصل :

١ ـ المطلوب الأول: سداد دين الميت:

علىٰ من يتحمل دَيْن الميت الوقوف قبل صلاة الجنازة عليه ويقول : «أنا فلان ، ومن كان له دَيْنٌ عند الميت فليأت الآن ليأخذه أو يقابلني بعد الدفن فأي ديون علىٰ الميت أنا المسئول عنها أمام الله تعالىٰ وبرئت ذمة الميت من هذا الدين وهو عندي» .

٢ ـ تجهيز الميت بدون أي إسراف :

ثلاثة أثواب من القماش للرجل ولا يشترط أن تكون جديدة إذا كانت حالته غير ميسورة ، فالميت يكفن في أي ثياب نظيفة ، وهذا التجهيز يشمل الغُسل . . الكفن . . ومصاريفهما .

٣ ـ الصلاة :

أ ـ أربع تكبيرات : بعد التكبيرة الأولىٰ : تقرأ الفاتحة . . وبعد الثانية : تقرأ نصف التشهد الأخير من أول «اللهم صلىٰ علىٰ محمد» وبعد الثالثة : تدعو للميت ، فإذا كنت تحفظ الدعاء المأثور فادع به ، أما إذا لم تكن تحفظه ، فاجتهد بأي صيغة ، المهم هو الإخلاص في الدعاء . وبعد التكبيرة الرابعة : تدعو لنفسك ووالديك وأموات المسلمين ثم التسليم .

ب ـ إذا صليت في مكان يُسلم أهله علىٰ اليمين فقط فافعل مثلهم ، فإن ذلك جائز لأن التسليمة الثانية سُنَّة ، وإذا كنت في مكان يسلم أهله علىٰ اليمين واليسار فافعل مثلهم ، فإن ذلك جائز .

جـ ـ إذا كان المسجد مزدحماً بالمصلين على الجنازة أو لم يكن مزدحماً ولكنك تجد صعوبة في خلع النعل فعليك أن تصلي في مكانك خارج المسجد وأنت تلبس حذاءك، حتى لو كنت تقف بمفردك المهم أن تتوجه إلى القبلة وتصلي صلاة الجنازة مع الإمام.

د ـ إذا كان المكان مزدحماً في صلاة الجنازة ولا يوجد إلا مكان خارج المسجد أمام الإمام فيجوز الصلاة أمام الإمام في حالة الزحام.

هـ ـ المسبوق في صلاة الجنازة كالمسبوق في الصلاة العادية فإذا دخلت صلاة الجنازة متأخراً ولا تدري كم تكبيرة أتي بها الإمام، أو كنت لا تدري ماذا تصنع؟ فلتدخل في الصلاة وتلتزم بالتكبير مع الإمام ولكن أدعية التكبيرات تلتزم فيها بالترتيب الذي ذكرنا، فإذا سلم الإمام عليك أن تتم تكبيراتك أنت ثم تسلم كما في الصلاة العادية تماماً.

٤ ـ سرادقات العزاء:

لا أصل لها شرعاً، ويعد إعدادها على النحو المنتشر في واقعنا ضرباً من ضروب التبذير وإهدار الأموال، ولا يجوز الإنفاق عليها من أموال الأيتام وخاصة القُصَّر، وإذا اعترض أحد الورثة على الإنفاق عليها من التركة فلا يؤخذ من ميراثه شيء في الإنفاق عليها، لأنها ليست من التجهيز للميت ولا فائدة للميت منها .. فمن أراد إقامتها فلينفق عليها من صريح ماله.

نداء إلى الورثة:

أنت أيها الوارث لا تُقَصِّر في البحث عن حقك في الميراث، وإن ماطلك أحد أو نازعك فإنك تقيم الدعوات القضائية للحصول على حقك، وهذا لك طالما أن هناك ميراثاً.

ولكن ماذا لو كان الميت مدينًا وعليه ديون ولا يوجد له مال يسدد هذا الدين؟

ما هو الواجب الشرعي على الورثة في هذه الحالة؟

الواجب الشرعي : أن يقوم الورثة بتوزيع دين الميت عليهم جميعاً حسب أنصبتهم الشرعية في الميراث، فالذي كان يرث الربع مثلاً عليه في الدَّين الربع، والتي كانت ترث الثمُن مثلاً عليها في الدَّين الثمن، وهكذا فإذا لم ينفذ ذلك :

أ - ظل الميت مرهوناً بدينه.

ب - أصبح آثماً من لم ينفذ هذا الحكم الشرعي وظل ديناً عليه هو إلىٰ أن يسدده، وإن مات بدون تسديده ظل عليه هذا الدين وظل مرهوناً هو به أيضاً حتىٰ يقوم أحد ورثته بالسداد عنه.

الاستفادة من مناسبة الموت:

سواء مرت بك جنازة، أو حضرت تشييعها، فيجب أن تتأثر بها فتغير السلوك والأحوال التي أنت عليها والطريق الصواب لذلك أن تمارس هذه الدروس واقعاً عملياً.

الدرس الأول: الاستعداد مع أخذ الحيطة والحذر:

يقول الله تعالىٰ: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ۝ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾ (النساء).

الدنيا ليست نهاية المطاف ولا نهاية الرحلة، إنها مرحلة ووراءها الآخرة، فالموت حتم في موعده ولا علاقة له بالحرب والسلم، ولا علاقة له بحصانة المكان الذي يحتمي به الفرد أو قلة الحصانة، إنها علاقة بين الموت والأجل، بين الموعد الذي قدره الله وحلول ذلك الموعد.

مع الأخذ في الاعتبار الحيطة والحذر واستكمال العدة للحرب فهو أمر يُطاع: ﴿**خُذُوا حِذْرَكُمْ**﴾ (النساء: ٧١).

توازن واعتدال، إلمام بجميع الأطراف، تناسق بين جميع الأطراف - هذا هو الإسلام، وهذا هو منهج التربية الإسلامية للأفراد والجماعات(١).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٧١٦، تفسير سورة النساء.

الدرس العملي الثاني: اليقظة المستمرة :

قال تعالىٰ : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (المُلك : ٢). استقرار هذه الحقيقة في الضمير يدعه أبداً يقظاً حذراً متلفتاً داعياً للصغيرة والكبيرة في النية المسْتسرة والعمل الظاهر ولا يدعه يغفل أو يلهو كذلك لا يدعه يطمئن أو يستريح ومن ثم يجئ التعقيب : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ ليسكب الطمأنينة في القلب الذي يرعىٰ الله ويخشاه، فالله عزيز غالب، ولكنه غفور مسامح»(١).

وأقول: اجتهد في محو السيئات بالحسنات للحديث : «**واتبع السيئة الحسنة تمحها**»، فما زالت أمامك فرصة لتصويب أخطائك، كراسة إجابتك مازالت أمامك ومفتوحة لم يتسلمها المراقب بعد ووقت الامتحان بالنسبة لك مازال ممتداً بعض الوقت فأسرع بالإقلاع عن السيئات (تخلية) واجتهد في عمل الحسنات(٢) (تحلية)(٣).

الدرس العملي الثالث: العمل الصالح :

اجتهد في تأسيس العمل الصالح في حياتك قبل أن يُحال بينك وبينه للحديث : «انقطع عمله».

أ - عليك بتربية أولادك تربية صالحة (ليكونوا أثراً لك).

ب - احرص علىٰ توريث العلم سواء تعليمه إذا كنت عالماً أو شراء كتب وتوزيعها علىٰ العلماء.

جـ - داوم علىٰ صلة الأرحام، للحديث : «**من أحب أن يُنسأ له في أجله فليصل رحمه**» أي البركة في العمر، وامتداد الأجر بعد الموت.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٣٦٣٢، تفسير سورة تبارك.

(١) يساعدك في ذلك : الحسنات في حياة المسلم، الباب الرابع من هذه الموسوعة.

(١) تخلية : التخلي عن القبيح، تحلية : التحلي بالأحسن.

الدرس العملي الرابع: احذر

أن تخرج من هذه الدنيا ظالماً[١]، يقول الله تعالىٰ:

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (طه: ١١١).

وتتفكر: كيف ترد المظالم؟

فعليك برفع دوائر الظلم عن عاتقك أبداً، وذلك بـ:

أولاً: برد المظالم إلىٰ زوجتك وأولادك وأسرتك.

ثانياً: برد المظالم إلىٰ جيرانك وأهل بلدك، وزملائك في العمل.

ثالثاً: رد المظالم العامة، فربما يكون هناك من ظلمتهم ولا تعرفهم، أو لاتستطيع رد المظالم لهم، فعليك أن تتصدق بنية صاحب المظلمة، وتعمل صالحاً بنية صاحب المظلمة، وتستغفر له.

رابعاً: رد المظالم لنفسك التي ظلمتها بالمعصية، والتقصير في الطاعة.

---

(١) راجع عقوبة الظلم في الباب الرابع من هذه الموسوعة.

ملاحق الموسوعة

١ - ملحق الإصلاح .

٢ - ملحق فلسطين .

١ ـ مُلحق الإصلاح

صلح : صلاحاً وصُلُوحاً : زال عنه الفساد، وصلح الشيء كان نافعاً أو مناسباً . أصلح الشيء : أزال فساده .

الصَّلاح : الاستقامة . والسلامة من العيب[(١)] . **والمُصلح** : مزيل الفساد .

الإسلام يحتاج المصلح أكثر من حاجته إلى الصالح في نفسه وفقط ؛ لأن المُصلح يُصلح المجتمع ويزيل الفساد فيتعدىٰ نفعه إلىٰ غيره . . أما الصالح فهو في نفسه وفقط ، ولذا أقول أنه يمتنع الإهلاك إذا كان القوم مصلحين : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** ﴾ (هود : ١١٧) .

أما الصالح في نفسه فإنه لم يمنع الإهلاك عن المجتمع ، لقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (الأنفال : ٢٥) .

وللحديث عن زينب بنت جحش قالت : قلت يا رسول الله : «أنهلك وفينا الصالحون؟» ، قال : «**نعم، إذا كثر الخبث**»[(٢)] . **والخبث**: هو الفسق والفجور .

فما ذنب الصالحين ؟ [(٣)].. أنهم تقاعسوا عن إنكار المنكر .

وللحديث عن النعمان بن بشير : «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة**»[(٤)] .

---

(١) المعجم الوسيط . . مادة صلح . الجزء الأول .

(٢) رواه البخاري ، فتن ٤ ، ٢٨ ، ومسلم، فتن ١ ، ٢ .

(٣) أقول : إن المحور الأساسي في الإصلاح هو الفرد ، ولذا تحدثنا بالتفصيل في الباب الثالث عن التربية والتعليم وإيجاد الإنسان الصالح ، وتحدثنا بالتفصيل في الباب السادس عن تربية الأبناء حتى تتكامل تربية الأسرة وتربية المجتمع .

(٤) رواه البخاري، شركة ٢٤٩٣ .

يقول صاحب الظلال : ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ : «هذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم، فالأمة التي يقع فيها الفساد ؛ فيجد من ينهض لدفعه هي أمة ناجية لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير.

فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون ويفسد فيها المفسدون فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد. أو يكون فيها من يستنكر ولكنه لا يؤثر في الواقع الفاسد فإن سنة الله تحق عليها. بالهلاك والاستئصال ، وما الهلاك إلا الانحلال والإضلال.

فالموافقون للظلم والفساد بكل صورة لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله واستحقاق النكال والضياع»(١).

.. الأوجه التي تبدأ مسيرة الإصلاح بها :

الوجه الأول : الوقت (٢)

نتحدث عن الوقت لوضع برامج عملية وحقائق علمية للاستفادة من الوقت.. وكيفية حساب الضائع لنرى خطورة الأوقات الضائعة وكم هي كبيرة جداً مزعجة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أولاً : طبيعة الوقت (٣) :

لابد أنكم سمعتم بهذا السؤال: ما الشيء الأطول والأقصر في آن واحد والأسرع والأبطأ معاً.. والذي نهمله جميعاً ثم نأسف عليه.. ولا شيء يمكن أن

---

(١) في ظلال القرآن، المجلد الرابع، تفسير الآية (١١١ : من سورة هود).

(٢) أهداف هذا الموضوع (الوقت) لدى اكتماله ستكون قادراً على :
- تحديد العادات المضيعة للوقت وتقليلها.
- تحديد العادات التي توفر الوقت وتنميتها.
- زيادة الإنجازات من الوقت المتاح.
- العيش والعمل بإنتاجية أفضل.

(٣) تحدثنا في الباب الرابع عن: «حرص الشريعة على الوقت» وهذا هو المحور الأول للوقت، أما المحور الثاني فهو : برامج عملية أكاديمية للاستفادة من الوقت وهذا ما نتحدث عنه هنا، ولتحقيق الفائدة لابد من تكامل المحورين.

يتم بدونه . . إنه يبتلع كل ما هو صغير وينمي كل ما هو عظيم، نعم إنه الوقت .

الوقت هو الأطول لأنه قياس الخلود وهو الأقصر لأنه ليس بيننا من يملك الوقت اللازم لإنجاز كل أعماله وهو الأسرع بالنسبة إلىٰ السعداء والأبطأ بالنسبة إلىٰ التعساء ولا يمكن عمل أي شيء بدونه لأنه هو المسرح الوحيد الذي نعيش فيه إنه مادة الحياة يبتلع في طي النسيان كل تافه وينمي كل ما هو عظيم .

ثانياً الاستفادة من الوقت:

يقضي الناجحون وقتهم في تأدية الأعمال التي لا يرغب الخائبون في عملها والشخص العادي يجد من الأسهل أن يتكيف مع متاعب الإخفاق بدلاً من تقديم التضحيات التي تؤدي إلىٰ النجاح، إن حقيقة أن يكون لدينا أهداف وتوجيهات معينة في الحياة تعني القليل إذا لم يكن لدينا جدول زمني ببرمجتها، عندئذ فقط يمكننا أن نبدأ التحرك نحو تحقيق أهدافنا والوصول إلىٰ مبتغانا .

ويصنف البشر ضمن واحدة من فئتين : الأولىٰ سيئة الحظ غير موفقة تحاول القيام بعمل شيء ما يظل دائماً في الغد، أما الفئة الثانية التي تثير الإعجاب فهي المجموعة المستعدة للعمل علىٰ الفور لأن الغد بالنسبة إلىٰ هؤلاء غير مضمون .

إن قتل الوقت لا يعد جريمة عادية، إنه اغتيال متعمد فإذا كان لزاماً أن يقتل الوقت فلماذا لا يقتله استغلالا حتىٰ الموت؟ حينما تقول : «أنا ليس لدي وقت» فإنك تعني أن لديك شيئاً آخر أهم منه .

أ ـ يوماً بعد يوم :

حينما نستيقظ صباح كل يوم نجد مفكرة الجيب مليئة بـ ٢٤ ساعة، وفي هذا الصدد جاء في الأثر : ليس من يوم إلا وهو ينادي : « **يا ابن آدم أنا خلق جديد، وأنا حينما تعمل فيّ عليك شهيد فاعمل في خيراً أشهد لك له، فإني لو مضيت لم ترني ويقول الليل مثل ذلك**»(١) .

---

(١) ورد في الجامع الكبير للسيوطي عن أبي نعيم في حلية الأولياء .

فعلىٰ كل يوم أن يكون مليئاً بالأعمال التي نفخر بها، وإذا لم نكن علىٰ استعداد للبدء الآن، بغض النظر عن حسن نوايانا أو في مثل هذا الوقت غداً، أو مثل هذا الوقت في الأسبوع القادم، أو مثل هذا الوقت بعد عشر سنوات من الآن، فإننا سوف نظل مكبلين في مكاننا بدون تحقيق أي تقدم.

ب- معنى الوقت (١):

الوقت يعني لبعضنا اللحظة التي تكون فيها الفرصة في أوجها، إنهم يؤكدون كثيراً علىٰ التوقيت الجيد، وللوقت حينما تكون الفرصة أكثر من مواتية مغزىٰ خاص عند كثير من الناس، ويعلمنا خبراء الإعلان أنه ليس هناك شيء أثمن من فكرة وردت في الوقت المناسب، إذا كان بوسعك أن تتعلم إدراك اللحظة المناسبة حينما تأتي وأن تغتنمها قبل أن تذهب، فإن مشكلات الحياة تصبح في منتهىٰ اليسر.

ما قيمة خام من الحديد؟

قضيب خام من الحديد	٥	جنيهات
مُصنَّع في شكل حدوات حصان	١١	جنيهاً
مُصنَّع في شكل إبر خياطة	٣٥٥	جنيهاً
مُصنَّع في شكل سكاكين	٢٢٨٥	جنيهاً
مُصنَّع في شكل نوابض ساعات	٢٥٠٠٠٠	جنيهاً

إن الوقت عند بعضنا يمثل مجرد مقياس للثواني والدقائق والساعات والسنوات وحينما يفكر أولئك في الوقت فإنهم يرون إما ساعة أو تقويماً، ويستشعرون بعداً واحداً فقط هو الفترة الزمنية لكن هذا المفهوم للوقت هو أكثر المفاهيم ضحالة، فأصحابه لم يبدعوا شيئاً مذكوراً إن مأساة هذا المفهوم للوقت هو أنه يدمر روح المبادرة ويحبط البواعث الإبداعية، ولا يحقق إنجازاً في الوقت المخصص فإذا كان لدينا أسبوع لإنجاز مهمة من المهام فإنها سوف تستغرق أسبوعاً

---

(١) هذا المبحث عبارة عن أوراق بعنوان «تنظيم الوقت»، وجدتها في الأرشيف عندي، مُذيَّلة في الهامش «دليل التدريب القيادي» جزىٰ الله خير الجزاءِ من أعدها.

وإذا ما منحنا عشرة أيام لإنجازها فإنها سوف تستغرق عشر أيام، فالمهام تتمدد وتنكمش لاستيعاب كل الوقت المخصص لها.

واخيراً هناك الذين يعطون معنىً حقيقاً للحياة وذلك من خلال إعطاء الوقت صفة العمق العظيمة، فالوقت لديهم ليس حبيس الساعة ولا أسير التقويم، إن إنجازات هؤلاء تحكمها روح الإخلاص والحماسة لا الساعات أو الأسابيع، فهم يؤمنون جداً بما يفعلون وينجذبون بما يفعلون وينجذبون تجاه الهدف باندفاع روحي قوي لا يعترف بالوقت، لقد ألزموا قلوبهم بمهمة يحبونها، وعملهم ليس إلا رسالة تشع بالأهداف والغايات، وهذا الفهم للوقت يعد تحديداً لنا جميعاً، إن الاستخدام السليم للوقت يقرن الإخفاق أو النجاح للموظف العادي، وعليه فإن تدبير وقته أهم من معرفته الفنية لإنتاجه وخدماته، إن التنظيم السليم للوقت يعد بكل تأكيد أحد البنود الأولى في أية صيغة من صيغ النجاح، ومن أكثر المهام صعوبة بين المجموعات جعل الناس ينظمون أوقاتهم لذلك أصبح من الضروري على كل فرد أن يقضي بعض الوقت في بداية الأسبوع ليخطط بالتفصيل الجدول الدقيق لأعمال ذلك الأسبوع.

ثالثاً: الوقت الضائع:

ماذا تفعل بالدقائق التي لا تستخدمها أو ما يطلق عليها اسم الوقت الضائع؟

هل تدرك أن الكتب يمكن أن تؤلف وأن القرآن والحديث يمكن حفظهما جميعاً عن ظهر قلب، وأن هناك درجات وشهادات علمية يمكن الحصول عليه بالاستخدام الصحيح لهذا الوقت الضائع؟ إن مثل هذا الوقت المهدور يمكن أن يكون بضع دقائق تضيع في انتظار السفر بالقطار أو بالطائرة أو بالحافلة، فهل تسمي ذلك الوقت وقتاً ضائعاً أم وقتاً للإبداع؟ إن إضاعة ١٥ دقيقة كل يوم تعني إضاعة ١١ يوماً كاملاً كل عام، كما أن إضاعة نصف ساعة كل يوم تعني إضاعة ٢٢ يوماً كاملاً، وهي مدة تزيد عن شهر عمل إذا ما حسبنا أيام العطلات، لذا يؤمن رجال الأعمال بقاعدة: الوقت يساوي المال، **ونحن نمنع الآخرين من سرقة أموالنا لكننا نسمح لهم بسرقة أوقاتنا**، بيد أن الوقت يفوق المال في قيمته لأنه حياتنا، فالوقت هو الحياة!.

كان هناك بائع جوال اعتاد أن يكسب ٢٠ دولاراً في الساعة أراد أن يطلي بيته بنفسه فسأله صديقه إذا قمت باختيار دهان، هل ستختار هاوياً تدفع له ٢٠ دولاراً في الساعة أم رجلاً خبيراً تدفع له ٥ دولاراً في الساعة؟ إن الإجابة واضحة ومع ذلك فكثير منا يقضي وقته القيم المخصص لعمله المعقد لإنجاز عمل يمكن أن ينجزه آخرون بشكل أفضل وبتكاليف أقل.

رابعاً: كيفية مرور الوقت:

يوضح الجدول ماذا تفعل بوقتك خلال فترة حياة متوسطة:

النشاط	الوقت
ربط الأحذية	٨ أيام
انتظار إشارة المرور الخضراء	شهر واحد
زمن تقضيه في محل الحلاقة	شهر واحد
تدوير أرقام الهاتف	شهر واحد
ركوب المصاعد في المدن الكبرىٰ	٣ شهور
تنظيف الأسنان بالفرشاة	٣ شهور
انتظار الحافلات (في المدن)	٥ شهور
زمن تقضيه في الحمام	٦ شهور
قراءة الكتب	سنتان
تناول الطعام	٤ سنوات
كسب الرزق	٩ سنوات
مشاهدة التليفزيون	١٠ سنوات
النوم	٢٠ سنة

وهذا يعني أن كل فعالية تستغرق وقتاً، فإذا كنت تريد الوقت الذي تنجز فيه عملاً فعليك أن تخطط لذلك وأن تبرمجه ضمن جدولك، أما إذا انتظرت إلىٰ أن يحين الوقت المناسب ويعرض نفسه عليك، فإنك قد تنتظر إلىٰ الأبد.

وأنت حين تحدد موعداً مع الطبيب أو اجتماعاً أو مناسبة خاصة ضمن جدول مواعيدك، فإنك تحافظ عليه. افعل الأمر نفسه مع الوقت الذي تريد أن تخصصه للأشياء التي تود إنجازها، خصص وقتا معيناً كل يوم ثم التزم به جهدك.

وعلىٰ سبيل المثال، فإنك بتخصيصك ساعة من كل يوم عمل لأداء جهد ما فإنك تكسب ٣٦٠ ساعة سنوياً أو ما يعادل ٣٢ يوم عمل بالكامل بوسعك أن تنجز الكثير من تلك الفترة الزمنية مثلاً:

- حفظ أجزاء عديدة من القرآن.
- تعلم أساليب القراءة السريعة.
- اكتساب مهارات محددة.
- إعداد أجمل حديقة في منطقة سكنك.
- تعلم لغة أجنبية.
- تأليف كتاب.
- الحصول على دبلوم.
- إضافة دخل جديد لميزانيتك.

ولأن الوقت يمر بسرعة في مئات الأحداث التافهة الضائعة، فعليك أن تجدول الوقت ثم تلتزم بتنفيذ الجدول الزمني، وليس ذلك بأمر سهل بيد أن الحسرة علىٰ الوقت الضائع يمكن أن تتحول إلىٰ قوة دافعة للخير للاستفادة من الوقت المتبقي، أيا كان، هو وقت كاف إذا ما أوقفنا الكسل والبكاء علىٰ الوقت المهدور.

خامساً: بعض الإرشادات لتوفير الوقت:

اتبع المقترحات التالية لبضعة أيام وسوف تعجب للنتائج:

١ ـ خطط يومك كل صباح بكتابة الأشياء التي يجب عملها واشطب كل عمل تم إنجازه أثناء اليوم.

٢ ـ تجنب زيارة صديق دون أن تبلغه بذلك أو تحادثه هاتفياً.

٣ ـ احتفظ دائماً بقلم وورق أو مفكرة صغيرة في جيبك لتسجيل الخطط والأفكار أثناء الفراغ.

٤ ـ خطط أوقات الراحة وحاول أن تجعلها تتفق مع أوقات الصلاة

٥ ـ استفد من وقت الفراغ في القراءة والحفظ أو في عمل شيء بناء.

٦ ـ حينما ترتب موعداً تأكد أن الطرفين يعيان الوقت والمكان والعنوان بالضبط.

٧ ـ احسب وقت انتقالك إلى مكان الموعد وأضف فترة زمنية مناسبة احتياطاً لمواجهة الطوارئ حتى تصل في الوقت المحدد.

٨ ـ وفر كل المواد والمراجع اللازمة بين يديك قبل أن تبدأ العمل، سواء كان ذلك العمل طهواً أو كتابة مقالة أو إعداد خطبة.

٩ ـ تجنب الأشخاص الذين يسرقون وقتك بأنانية وحماقة.

١٠ ـ لا ترتب رحلة لإنجاز عمل ما إذا كان بالوسع إنجاز ذلك العمل بخطاب أو بمحادثة هاتفية.

١١ ـ املأ خزان سيارتك بالوقود حينما تمر بمحطة البنزين التي تفضلها، تجنب القيام برحلة خاصة لذلك وتجنب بكل الوسائل أن ينفذ الوقود، فإن ذلك يظهرك كالمقصر الغبي.

١٢ ـ احتفظ بالعملات المعدنية المناسبة طوال الوقت، لاستخدامها في عدادات وقوف السيارات أو في إجراء المكالمات الهاتفية.

١٣ ـ إذا كانت لديك مهام قصيرة أو مشتريات فقم بإعداد قائمة بها تشمل كل البنود، وخطط لنشاطاتك المختلفة، وخط السير بحيث تحتاج إلى قطع أقصر مسافة ممكنة.

إن هناك أفكاراً أخرى لتوفير وقتك يمكنك أن تدونها، قم بإنجاز هذه القائمة محاولاً معظم هذه المقترحات، وعلينا ألا نجافي الراحة والمتعة الحلال، بل نتجنب إهدار الوقت، إن الترفيه في ذاته يعني الترويح، وهو ضروري لنا جميعاً وإحدى أهم مآسي الحياة العصرية أننا كثيراً ما ندع أجسادنا تسبق أرواحنا لدرجة يشك معها

في لقاء الجسد بالروح مرة أخرىٰ إن السعادة تتحقق إذا ما وافقنا ولاءمنا بين أرواحنا وأجسامنا، خصص من وقتك فترات للصلاة والتفكر والتأمل وقم بشحن بطاريات الإيمان لديك من جديد باستغلال وقتك الثمين.

سادساً: أمور يجب أن نتذكرها عن الوقت:

أ ـ خصص وقتاً:

- خصص وقتاً للتفكير إنه مصدر القوة.
- خصص وقتاً للعب إنه وعاء الشباب المتجدد.
- خصص وقتاً للقراءة إنها أساس الحكمة.
- خصص وقتاً للصلاة إنها مصدر أعظم قوة علىٰ الأرض.
- خصص وقتاً لكي تحب وتكون محبوباً فالإيمان ليس إلا الحب والبغض.
- خصص وقتاً لتكون صديقاً ودوداً، فذلك طريق السعادة.
- خصص وقتاً للضحك، إنه أفضل وسيلة لإضفاء البهجة علىٰ حياتك.
- خصص وقتاً للعطاء وتخل عن الأنانية، فالحياة قصيرة.
- خصص وقتاً للعمل إنه ثمن النجاح، لكن لا تخصص وقتاً للضياع والإهدار والتبذير.

تذكر دائماً: «من استوى يوماه فهو مغبون».

ب ـ كيف تتعامل مع الوقت:

- نقضي جزءاً كبيراً من حياتنا مع أصدقائنا، ما نوعية المحادثة بيننا؟ تذكر الحكمة التالية:
- العقول الكبيرة تناقش الأفكار.
- العقول المتوسطة تناقش الأحداث.
- العقول الصغيرة تناقش الأشخاص والماديات.
- العقول الصغيرة جداً تناقش شخصياتها.

فائدة عملية :

ابذل مزيداً من الجهد دوما ! يمكننا عادة أن نزيد من إنتاجنا بمعدل ١٠ ـ ١٥٪ وذلك ببذل المزيد من الجهد باستمرار فإذا خططت أن تقرأ عدداً معيناً من الصفحات أو تعمل إلى ساعة معينة ، أو تنظف منطقة محددة أو تنجز مكالمات هاتفية معدودة ، فإن بوسعك على الدوام أن تفعل أكثر من ذلك قليلاً وهذه العادة تزيد من الإنتاج وتساعد في تحقيق ما هو أكثر ولما كانت الواجبات دائماً أكثر من الأوقات فإن هذه العادة يمكن أن تزيد من إنتاجنا وفائدتنا .

لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد: إذا أَجَّلْتَ وَسَوَّفْتَ فإن العمل سوف يتراكم ، وأنت لا تعرف ما سيأتي به الغد ، ستنعم براحة البال إذا بدأت يومك دون عمل متراكم من اليوم السابق وهناك عادة حميدة وهي أن تنجز العمل حال تسلمه في موقعه إذا كان يستغرق ٥ دقائق أو أقل ، أما إذا كان يستغرق أكثر من ٥ دقائق فأدخله في الجدول حسب أولوياته ، هذه القاعدة الذهبية يمكن أن تجعلك من أعظم المنجزين في الحياة ، تخيل فقط أنه بإمكانك أن تؤدي ٢٠ عملاً في ساعة واحدة .

أنت وحدك بوسعك أن يكون لك تأثير يعادل منظمة بأكملها، وإذا كان هناك فقط ١٠ أفراد مثلك في المنطقة فإن حجم تأثيركم سوف يكون بالغاً للغاية وفوق هذا كله فإن الله سبحانه وتعالى سوف يبارك الجهود التي تبذل في سبيله.

الوجه الثاني : أمانة الصوت (١)

﴿ ... وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ... ﴾

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ (الأحزاب : ٧٢).

العين أمانة والبطن أمانة واللسان أمانة والولد أمانة ـ وجميع التكاليف الشرعية أمانة والمال العام أمانة ومن أخطر هذه الأمانات أمانة الشهادة، قال تعالى : ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴾ (البقرة : ٢٨٣).

في القرآن: عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين :

قال تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴾ (الفرقان : ٦٨).

وقال تعالى : ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ (الفرقان : ٧٢).

قال تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ (الحج : ٣٠ ـ ٣١).

---

(١) المقصود هو : الصوت الانتخابي في الانتخابات التشريعية، أو الإدارية في المصالح، أو مجالس الآباء، أو مجالس الطلاب، أو مجالس الإدارات، أو الشهادة أمام القضاء والمحاكم.

وفي السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار**»(١).

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً - الإشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور، وقول الزور وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت**»(٢).

وحديث: «**من مشى مع ظالم ليقويه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام**»(٣).

حكم الامتناع عن الشهادة:

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كتم شهادة إذا دعي إليها كان كمن شهد بالزور**»(٤).

وفي الحديث: «**يطبع المسلم على كل شيء سوى الخيانة والكذب**»(٥).

ما الذي يفعله شاهد الزور من الجرائم:

١ - الكذب والافتراء: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾ (غافر: ٢٨).

٢ - ظلم الذي شهد عليه (حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه).

---

(١) رواه أحمد: ٢/ ٥٠٩ - ٤/ ٣٤.

(٢) رواه البخاري، أدب ٦، إيمان ١٦، ديات ٢، استتابة ١.

(٣) رواه البيهقي في مشكاة المصابيح، مجمع الزوائد: ٢/ ١٥١، ورواه الطبراني في الكبير، وفيه عباس بن مؤنس، وبقية رجاله وثقوا وفي بعضهم كلام.

(٤) رواه الطبراني في الكبير والأوسط واحتج به البخاري، مجمع الزوائد: ٢/ ١٤٨، والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه بدر الله بن صالح وثقه عبد الملك بن شعيب عن الليث.

(٥) رواه أحمد: ٧/ ٢٥٢، وفي مجمع الزوائد: ١/ ٥٠.

٣ ـ ظلم الذي شهد له (بأن ساق إليه المال الحرام وما ليس له فأخذه بشهادته فوجبت له النار وفي الحديث عن أم سلمة: «**من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلايأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار**»(١).

٤ ـ أباح ما حرم الله من المال والدم والعرض.

تزوير الانتخابات حرام أم حلال؟ أم ليس له علاقة بالدين؟

أرسل بعض المتعاملين في العملية الانتخابية إلى موقع (إسلام أون لاين) بسؤالين:

السؤال الأول: انتشرت في الفترة الأخيرة عملية شراء الأصوات في الانتخابات فهل يجوز أن يشتري الناخب بعض الأصوات؟ وماذا لو وصل للمجلس عن طريق شراء الأصوات؟؟

أجاب الأستاذ الدكتور عجيل النشمي عميد كلية الشريعة جامعة الكويت سابقاً فقال: الصوت شهادة وتزكية وأمانة والشهادة لها مكانة خاصة في الشريعة الإسلامية والقانون، فيجب وضعها في موضعها ولكي يتجرد صاحب الشهادة من أي غرض فإنه لا يجوز شرعاً أن يأخذ المسلم أجراً على هذه الشهادة ـ وإن كانت شهادة حق، ويأثم إن كتم شهادة الحق والعدل التي يترتب عليها إنصاف لمظلوم، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ (الطلاق: ٢).

وقال تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

ولا يجوز للمسلم أو المسلمة أن يشهد إلا بالحق فلا يعطى صوته وشهادته إلا

---

(١) رواه البخاري، باب موعظة الإمام للخصوم: ٢٢/ ٩١.

لمن يعرفه معرفة واضحة، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ذكر عند رسول الله ﷺ الرجل يشهد بشهادة فقال لي: «**يا ابن عباس لا تشهد إلا على ما يضئ لك كضياء هذه الشمس**»(١)، وأومأ رسول الله ﷺ بيده إلىٰ الشمس.

ومن يدل بصوته لمن يعلم عدم كفاءته مع وجود الكفء فهذه شهادة زور، لأنها شهادة كذب ليوصل بها من لا يستحق إلىٰ موضع ومقام خطير، يتحكم به في مصير بلد ويتحدث فيه نيابة عن كثيرين بل إنه يمثل الأمة، ولا يمثل نفسه ولا دائرته فحسب فإذا كان هذا الشاهد أو هذا الناخب قد أخذ مالا لتوصيل هذا النائب فإن هذه شهادة زور مركبة، جمعت بين الكذب والبهتان وأكل المال بالباطل ومن ثم ينبغي أن يُسقط «بضم الياء» عن النائب منصب النيابة فترفع عنه الحصانة النيابية ليقدم إلىٰ المحكمة لأن ما بني علىٰ باطل فهو باطل ولذلك اتفق الفقهاء علىٰ نقض الحكم القضائي إذا تبين أن الشهود قد شهدوا زوراً وكذباً ويضمنون ما ترتب علىٰ شهادتهم من ضياع أموال وغيرها.

ويقول الأستاذ سليمان معروف. أستاذ الشريعة بجامعة الكويت.: الأصوات نعني بها تلك التي يُدْلَىٰ بها في صناديق الاقتراع من أجل تزكية إنسان والشهادة له وتوكيله ليتولىٰ أمراً مهما من أمور الدولة، والتي تهم عامة المسلمين.

إن شراء الأصوات يندرج تحت الرشوة التي لعن فيها المعطي والآخذ والواسطة بينهما، ويندرج تحت التزوير والكذب إذ يشهد لإنسان بأنه أهل للولاية ويمكنه من التسلط علىٰ رقاب المسلمين وهو لا يستحق كما يندرج تحت ظلمات الظلم لأنه وضع للشيء في غير محله ووضع للأمور في غير نصابها وبذلك تروج سوق المرتشين ويصل إلىٰ هذه المناصب المهمة الرويبضة ومن لعنهم الله تعالىٰ ورسوله والمؤمنون.

فبعض المرشحين يقوم بتقديم الرشاوىٰ علىٰ طريقة بني إسرائيل عن طريق منح تذاكر سفر أو أثاث منزل أو ما شابه ذلك وقد يقدم هذا لأفراد أو لجهات معينة

---

(١) أخرجه الحاكم وتكلم في أحد رواته البيهقي ولكن معناه صحيح.

لجمعيات النفع العام فإن هذا يرجع إلى نية المتبرع إن كان يريد بذلك الرشوة أو الصدقة لله تعالى، كذلك الآخذ سواء كان فردا أم جهة من الجهات فإن كانت هذه الصدقة أو التبرع من أجل التأثير على هؤلاء وكسب أصواتهم للمتبرع بسبب المال وهو لا يستحق فهذا حرام لا يجوز بهذه النية وإن كان المال حلالاً لأنه سوف يصرف في مصالح فقراء المسلمين ويبقى الإثم على المعطى وبحسب نيته، وينبغي على من يأخذ هذا المال ألا يتأثر بذلك فيعطي صوته أو يوصي أتباعه بالتصويت لهذا المتبرع غير المستحق وذلك حفاظاً على طهارة العمل الخيري وصفائه من هذه الشوائب.

أما الأفراد فإن أخذهم هذه الأموال من أجل اشتراء الأصوات داخل في اللعن المستحق على المرتشي وعلى شاهد الزور وعلى الظالم الذي يضع الأمور في غير محلها ويأخذ ما لا يستحق. أ. هـ.

السؤال الثاني: ما حكم من يقوم بتزوير الانتخابات فأحياناً يطلب منا هذا ونؤمر به ولا نجد مناصاً من العمل بهذه الأوامر، علما بأنهم يقولون لنا أن هذا لمصلحة البلد، وإن هذا عمل تؤجرون عليه وانه سيمنع المفسدين من النجاح، فهل الإثم عنا مرفوع لأننا مكرهون من قبل من امرونا بهذا لأننا مجرد أداة فقط لا إرادة لنا؟ وبماذا تنصحوننا؟.. وكيف نتعامل حيال هذا الموقف الراهن؟ وجزاكم الله خيراً

أجاب عن هذا السؤال فضيلة الشيخ: عبد الخالق الشريف - من علماء الأزهر الشريف - فجاء فيها: قال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (البقرة).

ووالله سؤالك أيقظ ما في نفسي، فالتزوير محرم جملة وتفصيلا، والذي أمرك بهذا التزوير ناقص الأخلاق، ناقص الحياء، ناقص الآدمية، لأنه يزور على أمة، ويوم القيامة سيكون أول من يتبرأ منك.

وأما قولهم: «إن هذا في صالح البلد»..

فأنت ابن هذه البلد فهل ترى حقاً أنه في صالحها؟

أم ما يقولون لك كلمات معسولة؟

وهل أصبحوا هم أوصياء على البلد حتى يتكلموا باسمه؟

إن التزوير ليس صغيرة من الصغائر بل هو كبيرة من الكبائر..

ولينظر كل مُزَوِّر كم سيحمل من الأوزار يوم القيامة . . فالموظف الذي يُزَوِّر إرادة الشعب ويُغيِّر أصواتهم لكي ينجح فرد ما ويصبح عضواً بمجلس الشعب أو مجلس الأمة والشعب لم يختاره ، فهذا وأمثاله يوافقون على قوانين ظالمة ، أو يوافقون على تحريم ما أحل الله ، أو تحريم ما أحل الله ، فيؤذي بها آلافاً من خلق الله وتنحدر بسببها الأمة ، فكل من زَوَّر أو ساعد على تزوير ، أو ساهم فيه ، أو أمر به ، أو أيده ولو بالسكوت ، سيحملون أوزار إصدار القوانين الظالمة أو القوانين التي تشرع ظلماً أو تحرم حقا وتؤدي إلى تراجع وتخلف الأمة .

والخلاصة : أن التزوير حرام والأمر به باطل ، ومن سيقبل هذا الأمر فسيتعاون مع الباطل وسيحمل المُزَوِّر كل ما يترتب على اختيار هذا الشخص .

فالتزوير كذب ، والتزوير خيانة ، والتزوير غش . . ثم هو من أفظع الغش إذ إنه ظلم لأمة بأكملها ، سيقف جميع شعبها أمام المزوِّرين ليأخذوا حقوقهم منهم يوم القيامة .

وعلى الشعب ألا يقف مكتوف الأيدي ، بل يواجه هؤلاء المُزَوِّرين بكل الوسائل المشروع .

وأتوجه إلى صاحب السؤال فأقول : أترضى أن يزور إنسان عقد بيتك فيأخذه منك؟ أو يزور عقد أرضك فيأخذها منك؟ ويدَّعي أن هذا من الصالح العام أو مصلحة الأمة؟

وإذا كانت الإجابة بلا . . فلماذا تشارك في تزوير إرادة أمة بأكملها؟ !

الوجه الثالث : العفة عن المال العام
(أمانة المال العام)

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (الأحزاب: ٧٣).

عَفَّ: عفَة: كَفَّ عما لا يَحِل ولا يَجْمل من قول أو فعل.

العفَّة: ترك الشهوات من كل شيء(١).

الأمانة: هي جميع التكاليف من أوامر ونواه.

خفن منها: خفن من الخيانة فيها.

١ ـ تعريف المال العام:

هو كل شيء مملوك للدولة (عموم المواطنين) ويستفيد منه عامة المواطنين، ومن أمثلة ذلك موارد الدولة المالية ـ مواردها المائية ـ مواردها الزراعية، ويدخل في ذلك الطرق والترع والمصارف والأشجار والمستشفيات والمدارس ووسائل المواصلات العامة ومرافق المياه وأعمدة الكهرباء وخطوطها.

وقد شدد الشارع الحكم بالعقوبة على إهدار هذه الأموال أو الاستئثار بها من دون الناس، حيث يقول النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته**»(٢).

٢ ـ المُخَاطَبُ بهذه الآيات والأحاديث:

أ ـ **الحاكم** في مكانه سواء في دولته أو محافظته أو قريته أو الحي الذي يقيم فيه ومسئول عنه.

---

(١) المعجم الوسيط، جزء ٢.

(٢) سبق تخريجه.

ب ـ **المواطن** المسئول الثاني عن المال العام وعدم إهداره أو السكوت على من يقوم بإهداره فنحن ركاب سفينة إذا حدث ثقب في الطابق الأسفل لم ينج من الغرق ركاب الطابق الأعلى ولذا فعليك أيها المواطن ذنب عظيم حينما ترى صغيراً يعبث بشجرة صغيرة يحاول كسرها أو يتلف صنابير المياه في المدرسة أو المستشفى أو يكسر ماسورة مياه أو يعبث بأسلاك الكهرباء وأنت لا تتحرك .

فالمواطن الحق . . والمسئول الحق . . يتجنب وسائل إهدار المال العام تحت أي مسمى .

٣ـ من صور إهدار المال العام :

أ ـ **إهداره بعينه** حتى ولو كنت تدفع ثمنه فإذا تركت صنبور المياه في المنزل تالفاً نزل منه قطرة ماء كل ثانية يعني في الساعة ٣٦٠٠ قطرة في الشهر ٢٥٩٢٠٠٠ كم من الأموال أنفقت على هذه الملايين من القطرات وكم أيدي عاملة وكم وكم. . . .

ب ـ **الاستفادة الشخصية.**

جـ ـ **السكوت على من يهدره.**

د ـ **قبول الهدايا:** إذ يحرم على العمال قبول الهدايا كما ورد في الحديث المشهور : «هذا لكم وهذا إلى . . . » (كتاب الرقابة المالية في الدولة الإسلامية) .

ولذا لا يجوز شرعاً إهدار المال العام تحت أي مسمى أو استخدامه بصفة شخصية مهما كانت المبررات حتى ولو كان المال العام المستخدم شمعة كما حدث من الخليفة عمر بن عبد العزيز حينما جاءه العامل على الزكاة وبعد أن انتهى من المراجعة وبدا يسأله عن أحواله وأولاده أطفأ المصباح وأضاء مصباحاً آخر فقال له: لم يا أمير المؤمنين؟ قال أما المصباح الأول فإنه يوقد من أموال المسلمين ولحاجتهم أما الثاني فإنه خاص بي ويوقد من مالي طالما أنك أصبحت تسألني عن أحوالي.

٤ - وسائل المحافظة على المال العام وتنمية المراقبة عليه:

لا سبيل للمحافظة على المال العام مهما كثر الجنود وحرس الحدود وتخصصات العسكر فالجندي ليس معك في كل وقت والمراقب للحدود ليس موجوداً فيها كل ثانية.

الوسيلة الوحيدة للمحافظة على المال العام إحياء مراقبة الله تعالى في نفوس المواطنين وليعلم أن الله مطلع عليه يراقبه كما قال القائل:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقل　　　خلوتُ ولكن قُل عليَّ رقيب

وقد ذكرنا بعد الأمثلة من قبل، ومنها بنت بائعة اللبن، والمرأة التي اشتاقت للقاء زوجها وهو في المعركة، والمثلان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم ليعلم الإنسان أن الله تعالى بعد إطلاعه على كل أعماله سوف يحاسبه على الإحسان: «**إماطة الأذى عن الطريق صدقة**»(١). وسوف يجازيه بالإساءة ذنوباً، وله الحساب الشديد في الآخرة، فلا يحافظ على المال العام إلا أهل الإيمان.

٥ - نماذج من المحافظة على المال العام: (للمسئولين - للمواطنين):

أولاً: في (عام الرمادة) المجاعة ظل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده، فكلمه بعض الصحابة في ذلك، فقال: «بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع»(٢).

ورأى يوماً فتاة صغيرة تتمايل من الجوع، فقال: من هذه؟ فقال ابنه عبد الله: هذه ابنتي، قال عمر: فما بالها؟ قال: إنك تحبس عنا ما في يدك فيصيبنا ما ترى، فقال: ياعبد الله بيني وبينكم كتاب الله، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم، أتريدون مني أن أعطيكم ما ليس لكم فأعود خائناً؟(٣).

وكان عمر ينتفض إذا سمع أن درهماً واحداً من الأموال العامة قد اختلس أو أُنتهب أو أنفق في ترف أو إسراف، كان يرتجف ويرجف كأن خزائن المال كلها قد

---

(١) رواه البخاري، مظالم ٢٤، جهاد ١٢٨، ومسلم، زكاة ٥٦.

(٢، ٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، طبعة مكتبة وهبة، ١٩٩٠م، الطبعة التاسعة.

ضاعت وليس درهماً أو بعض درهم.

وها هو ذا عمر بن الخطاب يعدو ويهرول وراء بعير أفلت من معطنه، ويلقاه علي بن أبي طالب فيسأله: «إلىٰ أين يا أمير المؤمنين؟»، فيجيبه عمر: «بعيرٌ ند من إبل الصدقة أطلبه»، فيقول له علي: «لقد أتعبت الذين سيجيئون بعدك»، فيجيبه عمر بكلمات متهدجة: «والذي بعث محمد بالحق لو أن عنزاً ذهبت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة».

وهو ـ رضي الله عنه ـ لا يُعنَىٰ بالسهر علىٰ حفظ أموال الأمة فحسب، بل ويُعَنَىٰ بالعمل علىٰ تنميتها، وتنمية الدخل القومي بكل سبيل ممكنة.

فهو ـ مثلاً ـ يقاوم فكرة توزيع أرض السواد علىٰ الفاتحين لأن ذلك يخلق طبقة محتكرة، وفي الوقت نفسه، عاجزة عن خدمة الأرض، غير خبيرة بزراعتها، ويترك الأرض تحت أيدي زارعيها، مكتفياً بالضرائب التي تدفع لبيت المال، ثم ينال كل مسلم حظه منها.

وهو يشجع علىٰ إحياء الأرض الموات التي لا صاحب لها، والتي قال فيها الرسول عليه السلام: «**من أحيى أرضاً ميتة فهي له**»(١).

وحين يرىٰ أمير المؤمنين أناساً يضعون أيديهم علىٰ هذه الأرض، ويُسوِّرونها، ثم يهملون استصلاحها وزراعتها، يسن قانوناً يمنح «واضع اليد» فرصة مداها ثلاث سنوات فإذا عجز خلالها عن إحياء الأرض وتحويلها إلىٰ حقل، أو بستان، أو مرعىٰ نُحِّي عنها، وأعطيت لغيره من القاردين.

وهو كذلك يحض المسلمين علىٰ الكسب المشروع، فيغريهم بالتجارة الشريفة النظيفة، قائلا لهم: غداً سيكون لكم أبناء وحفَدة، فماذا يغني عنكم هذا الذي بأيديكم؟

وهو يعني عناية خاصة بالثروة الحيوانية، فيخصص للماشية مرعىٰ خصيباً رحيباً، يرعىٰ المسلمون فيه ما شيتهم بغير مقابل، وإنه ليتعهد هذا المرعىٰ دائماً، وقلما كان يوم يمر دون أن يرىٰ الناس «عمر»، قد خرج منتصف النهار، واضعاً ثوبه

---

(١) رواه البخاري، حرث ١٥ .

فوق رأسه ليقيه من الشمس، قاصداً أرض الحمىٰ والمرعىٰ، يتعاهدها ويتفقدها، ويحذر حارسها من أن يسمح لأحد أن يعَضدِ من شجرها . أو أن يضرب فيها بفأس.

ثانياً: «ألأنَّكَ ابن أمير المؤمنين؟»، هذه العبارة التي رفعها عمر لأهله خاصة، يخرج إلىٰ السوق يوماً في جولة تفتيشية فيرىٰ إبلاً سماناً تمتاز عن بقية الإبل بنموها وامتلائها فيسأل إبل من هذه قالوا إبل عبد الله بن عمر وانتفض أمير المؤمنين كأنما قامت القيامة وأرسل في طلبه علىٰ الفور وقال لابنه: ما هذه الإبل يا عبد الله؟ فأجاب أنها أنضاء (أي هزيلة) اشتريتها بمالي وبعثت بها إلىٰ المرعىٰ أتاجر فيها وأبتغي ما يبتغي المسلمون فعقب عمر في تهكم لاذع.. ويقول الناس حين يرونها ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ـ اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين وهكذا تسمن إبلك.

ثم صاح به: «يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك الذي دفعته في هذه الإبل واجعل الربح في بيت مال المسلمين».

يصل إلىٰ المدينة يوماً بعض أموال الأقاليم فتذهب إليه ابنته حفصة لتأخذ نصيبها وتقول مداعبة: يا أمير المؤمنين حق أقاربك في هذا المال فقد أوصىٰ الله بالأقربين فيجيبها جاداً: يا بنيه حق أقربائي في مالي أما هذا فمال المسلمين.. قومي إلىٰ بيتك.

٢ ـ المواطنين:

أولاً: روىٰ أبي هريرة رضي الله عنه: قال: «قدمت من البحرين بخمسمائة ألف درهم (وفي رواية ثمانمائة ألف درهم) فأتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممسياً فقلت يا أمير المؤمنين أقبض مني هذا المال قال وكم هو قلت كذا، قال: أوما تدري ما ثمانمائة ألف؟ قلت: نعم. مائة ألف ومائة ألف...».

قال: «أنت ناعس اذهب فبت الليلة حتىٰ تصبح»، فلما أصبحت أتيته فقلت: «أقبض مني هذا المال»، فقال: «وكم هو؟» قلت: «كذا» فقال: «أمن طيب هو؟» قلت: «لا أعلم إلا ذاك»، فقال عمر رضي الله عنه: «أيها الناس إنه قد جاء مال كثير فإنه إن شئتم أن نكيل لكم كلنا أو نعد لكم عددنا أو نزن لكم وزناً».

ومن المواطنين الجندي الذي جاء يحمل صندوقاً من الذهب فكان الرد يا أمير المؤمنين عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا.

ثانياً: كان خازن بيت المال في عهد عمر بن عبد العزيز غلام، وكان لعمر بنات فجئن إلى عمر، وقلن له: غداً العيد ونساء الرعية وبناتهن يلمننا قائلات: أنتن بنات أمير المؤمنين ونراكن عريانات (أي من الجديد في العيد) لا أقل من ثياب بيضاء تلبسنها، ثم بكين عنده، فضاق صدر عمر ودعا غلامه الخازن وقال له: أعطني مشاهرتي لشهر واحد، فقال الخازن: يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت المال سلفاً أتظن أن لك عمر شهر؟ فأطرق عمر ثم رفع رأسه وقال: نِعْم ما قلت أيها الغلام بارك الله فيك ـ ثم التفتَ إلى بناته وقال: اكظمن شهواتكن فإن الجنة لا يدخلها أحد إلا بمشقة.

ولما فرغ من دفن سليمان أُتي له بمراكب الخلافة ـ خيل ـ بغال ولكل دابة سائس، فقال: ما هذا؟ قالوا: مراكب الخلافة، فقال عمر: «دابتي أوفق لي فركب بغلته ثم صرف ذلك إلى بيت المال.

عمر بن عبد العزيز كان إذا جاء بين مال المسلمين طيب أغلق أنفه: فقيل له لماذا تفعل وليس هناك إلا الرائحة، قال: وهل ينتفع بالطيب إلا الرائحة هذا طيب المسلمين وليس طيبي.

ولذلك نقول لمن يكسب المال الحرام وينهب المال العام ويذهب ليحج المرة العاشرة ويذهب كل عمرة في رمضان : والله لو حججت مائة حجة واعتمرت ألف عمرة ما نفعك هذا حتى تطهر نفسك من الحرام والتطهر من المال الحرام برده إلى أصحابه وليس بالتوبة فالتوبة منه رده إلى أصحابه.

نموذج فذ للعفة عن المال العام:

■ **عمر بن الخطاب يرفض توريث الحكم:**

حين دُعي للقاء ربه . . واقتربت اللحظات التي سيودع فيها دنيا الناس وكانت مشغلته الكبرىٰ آنئذ اختيار الرجل الذي يُسلمه الأمانة والزمام اقترب منه (المغيرة بن شعبة) قائلاً: أنا أدلك عليه يا أمير المؤمنين إنه (عبد الله بن عمر) هنالك انتفض عمر

وقال: لا إرب لنا في أموركم إني ما حَمْدتُها (يعني الخلافة) فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي إن كانت خيراً فقد أصبنا منه وإن كانت شراً فبحسب آل عمر أن يُحاسب منهم واحد ويُسأل عن أمر أمة محمد ألا إني قد جهدت نفسي وحرمت أهلي . . وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إني لسعيد[1] .

كنت أريد أن أختم بهذه المواقف تلك الروائع لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولكن عز عليَّ أن تخلو الباقة الجميلة من تلك الزهرة النديَّة :

■ **أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يرفض ان يتميز بطعام عن الشعب [2] :**

في عام الرمادة وكان عام مجاعة قاتلة في المدينة أمر يوماً بنحر جزور وتوزيع لحمه على أهل المدينة وقام المختصون بإنجاز المهمة بيد أنهم استبقوا لأمير المؤمنين أطيب أجزاء الذبيحة .

وعند الغداء وجد عمر أمامه على المائدة سنام الجزور وكبده وهما أطيب ما فيه فقال : من أين هذا؟ قيل : من الجزور الذي ذُبح اليوم .

فقال وهو يزيح المائدة بيده الأمينة : بخ بخ بئس الوالي أنا إن طعمت طيبها وتركت للناس كراديسها يعني عظامها؟

ثم نادى خادمه أسلم وقال له : يا أسلم ارفع هذه الجفنة وائتني بخبز وزيت ، إن قوله : «بئس الوالي أنا إن طعمت طيبها» يرسم الصورة الكاملة المضيئة لروح المسئولية التي كانت تسيطر على تصرفات ذلك العاهل[3] المنقطع النظير .

---

(١) بين يدي عمر للأستاذ د. خالد محمد خالد ـ طبعة دار المعارف ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٢ .

(٣) العاهل : الملك الأعظم يحكم شعوباً مختلفة كالخليفة والإمبراطور . المعجم الوسيط : مادة عهل ص ٦٥٧ المجلد الثاني .

برقيات إصلاحية

١ ـ القاعدة الذهبية للإصلاح.. أصلح نفسك وادع غيرك.

٢ ـ الإصلاح المنشود :

لو أردت أن تلخص رسالة النبي ﷺ بل رسالة الأنبياء في كلمتين اثنتين لقلت : هي رسالة الإصلاح ، ولله در القائل :

المصلحون أصابع جمعت يدا　　　هي أنت بل أنت اليد البيضاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى　　　فالكل في حق الحياة سواء

الإصلاح ليس فقط رسالة وواجبا شرعياً أمر الله به الرسل وإتباعهم ، بل هو فطرة إنسانية نمارسه بصورة طبيعية في كثير من شئوننا ، يحكي النبي ﷺ أن رجلاً رأى غصن شجرة في طريق من طرق المسلمين فرفعه فغفر الله له ، وكأنه ﷺ يريد أن يُعوّد الأمة أن تكون أمة بطبيعتها تمارس الفطرة الطبيعية (فطرة الإصلاح) .

٣ ـ انتبه السفينة تُخرق (١) :

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال : ٢٥) .

عن النعمان بن بشير قال : قال ﷺ : « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو إنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجو ونجو جميعاً**»(٢) .

---

(١) في مصر ١٣ ألف طفل وطفلة يبحثون عن آبائهم كيف يخرجون إلى المجتمع ؟؟!!! .

(٢) رواه البخاري ، شركة ٧ ، شهادات ٣٠ .

٤ ـ عدم السماح بالظلم :

إن الجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صورة من صوره ولا تقف في وجه الظالمين ولا تأخذ الطريق على المفسدين جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين المفسدين (**وأظلم الظلم نبذ شريعة الله ومنهجه للحياة**).

٥ ـ ثواب مقاومة الظلم :

لما كانت مقاومة الظلم تكلف الناس التكاليف في الأنفس والأموال فقد ذكر القرآن هذه الفئة بما حدث لها وما كان من ضعفها فذكرهم: ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (الأنفال: ٢٦).

٦ ـ متى نبدأ بالإصلاح؟

عندما يقع الفساد، عندما تتوقف السيارة عن السير بانفجار أحد إطاراتها. ترى من الذي يقوم به؟ . . إنها مسئولية الجميع . . ألا ترى إطار السيارة حينما يفسد ينزل جميع الركاب من السيارة ويساهمون في إصلاحه . . أي أن لكل فرد دوره في الإصلاح.

وعملية إصلاح الإطار هنا لها محورين :

المحول الأول: السائق نفسه وعليه الأعمال الرئيسية (إحضار الإطار السليم ـ رافعة السيارة).

المحور الثاني: الركاب أنفسهم (ركاب السفينة) كلٌ يعمل فهذا يحضر مفتاحاً وذلك يحضر كذا . . .

٧ ـ الإصلاح ضرورة بشرية وحتمية حضارية:

قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ (هود: ٨٨).

يقول البعض : إن الإصلاح يفوت علينا فرصاً ذهبية كبيرة!!!

يقول لذلك صاحب الظلال رحمه الله: «الإصلاح العام للحياة الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه وإن خيل إلى بعضهم أن اتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي ويُضيع بعض الفرص. . فإنما يفوت الكسب الخبيث ويضيع الفرص القذرة ويعوض عنها كسباً طيباً ورزقاً حلالاً ومجتمعاً متضامن متعاوناً لا حقد فيه ولا غدر ولا خصام».

وترجمة لهذا الكلام أقول: «ما كانت بنت بائعة اللبن تحلُم في يوم من الأيام أن تتزوج ابن أمير المؤمنين لولا أنها سارت في طريق الإصلاح فلم تغش اللبن بالماء ما كانت تحلم بهذا الزواج وأن يكون من نسلها عمر بن عبد العزيز ولو سارت في طريق الفساد لحل عليها العقاب وما سمع عنها أحد».

٨ ـ نظرة الطغاة للإصلاح :

إن ما يفعله المصلح في سبيل الله والإصلاح يُظهره الطغاة في سبيل الحكم والتمسك به على أنه قمة الإفساد: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾ (غافر: ٢٦).

فرعون يقتل من شاء الله من أطفال بني إسرائيل متعمداً حتى لا يظْهر موسى. . وموسى غير المتعمِد وكز الرجل من أجل الإصلاح فمات الرجل فكان مطروداً خائفاً يترقب.

٩ ـ منهج النبي ﷺ في الإصلاح :

١ ـ أصلح عقيدتهم.

٢ ـ أصلح أخلاقهم.

٣ ـ أصلح عبادتهم.

١ ـ أصلح عقيدتهم : فمن عبادة الأصنام وعبادة الحجر واتخاذ الرهبان أرباباً. . إلى قوله لابن عباس: « **يا غلام إني أعلمك كلامات احفظ الله**

يحفظك.. وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»(١).

٢ ـ **أصلح عبادتهم:** فقد قال للمسيء صلاته: «**ارجع فإنك لم تصل**»، وقال تعالىٰ: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ (البقرة: ٤٥). وقال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (النساء: ١٤٢).

٣ ـ **أصلح أخلاقهم:** فقد جاءه شاب يطلب الرخصة في الزنا، فقال له: «**أترضاه لأمك؟**»، قال: «لا والذي بعثك بالحق»(٢).

حديث: «**إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه...**»(٣). تروىٰ السيدة عائشة أن النكاح في الجاهلية كان علىٰ أربعة أنحاء (نكاح الناس اليوم ـ نكاح البغايا ـ نكاح الرهط ـ نكاح الاستبضاع) (٤).

١٠ ـ احذر الطرق المؤدية للفساد وهي:

ـ الترف بوابة الفساد: قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾ (الإسراء: ١٦).

ـ البطالة حتىٰ ولو كانت عن غنىٰ: قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ** ﴾ (الشورىٰ: ٢٧).

ـ الرشوة . .

ـ المحسوبية . .

---

(١) رواه الترمذي، قيامة ٥٩ ، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (٢١١٨٥) (سبق تخريجه).

(٣) رواه مسلم، إيمان ١٤٥ .

(٤) رواه البخاري، كتاب النكاح ١ ، إيمان ١٩ ، صلاة ٥٨ ، حدود ١٤ ، أحكام ٤٣ .

- توسيد الأمر لغير أهله . .

- الإعلام الفاسد

- الإفراط والتفريط في أي شيء . .

ما بين الافراط والتفريط منزلة هي التي جعلتنا أمة وسطا(١)

١١ - سنة التدرج في الإصلاح (٢):

١ - التدرج سنة من سنن الله سبحانه وتعالى، وقانون من القوانين الكونية التي لاتبديل لها ولا تحويل، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (الأعراف: ٥٤).

٢ - استغرقت الشريعة في مكة ١٣ سنة، وفي المدينة عشر سنوات، تدرجت فيها أحكام الخمر وغيرها كتحريم الربا . . .

٣ - تَعَجَّلَ ابن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أباه في التغيير والإصلاح: فرد عليه عمر بحكمة رجل الدولة وخبير الإصلاح والفقيه في سنة التغيير التدريجي قائلاً: «لا تعجل يا بني فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه وتكون فتنة».

٤ - حينما يزداد الفساد شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى مداه: ﴿ **فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ** ﴾ (الفجر: ١٢). . يأتي الإصلاح الكامل الشامل: ﴿ **فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ** ﴾ (الفجر: ١٣).

---

(١) شعر: د. يوسف القرضاوي.

(٢) د. محمد عمارة، مجلة الرسالة، العدد التاسع، رمضان عام ١٤٢٤ هـ.

نماذج من التطبيق العملي للإصلاح :

١ - مشكلة البطالة . . وكيف عالجها الإسلام ؟

٢ - مشكلات الشباب . . وكيفية حلها .

١ - مشكلة البطالة [١] وكيف عالجها الإسلام ؟

إن تناولنا لهذا الموضوع ليس على مستوى الأمة أو الدولة ، فلهذا المستوى حديث آخر وكلام آخر ، وإنما تناولناه على مستوى الفرد المسلم الذي يريد أن يحل مشكلته الشخصية أولاً ، وإذا استطاع الأفراد حل مشكلاتهم الشخصية ، لم تعد هناك مشكلة تحتاج إلى تدخل دولة[٢] .

ولكي ندرك أهمية العلاج على مستوى الفرد ، نعود إلى بدايات الإسلام الأولى فقد جاء الإسلام والمجتمع يضج بالعبيد ، وكان من الممكن صدور تشريع بإطلاق سراح العبيد مرة واحدة .

ولكن هذه الخطوة تحرر العبد أو الأمة من الخارج ، ولا تحررها من الداخل ، فيعود العبد ويظل لصيقاً بسيده لأنه لا يستطيع تدبير معاشه بعيداً عن هذا السيد .

ولما كان الإسلام يريد تحرير الإنسان من الداخل ، بمعنى أن يشعر بعزته وكرامته معتمداً على نفسه ، كان نظام المكاتبة ، حيث يكاتب العبد سيده على جعل يؤديه إليه في مدة زمنية ، فإذا ما وفى بعقده وعهده يكون قد اكتسب مهارة وقدرة الاعتماد على النفس ، فإذا حان وقت عتقه كان حراً من الداخل قبل أن يكون حراً من الخارج .

وبتزايد عدد العبيد المحررين تكونت طبقة جعلت أمر التحرير حسبة لوجه الله أو كفارة لذنوب مسألة سهلة مقبولة تصب في الهدف ذاته ، وضمانة لعدم ارتكاس المحررين للعبودية مرة أخرى وبإرادتهم هذه المرة .

---

(١) البطالة أصل لمشاكل كثيرة ، يأتي حلها تباعاً بعد حل مشكلة البطالة ، ومن أخطر هذه المشاكل مشكلة الجوع ، ومشكلة الخوف ، وحلهما يأتي مباشرة بعد حل مشكلة البطالة .

(٢) المحاور الأساسية في معالجة الإسلام للبطالة والفقر ، للأستاذ الدكتور حيدر قفة ، مجلة منار الإسلام ، شوال عام ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

هكذا يعـالج الإسـلام مـشكلات الناس بـداية من اللبـنة الأولى في بناء هيكل المجـتمـع السـوي، الا وهو الفـرد .

هل عصر الصناعة والتعليم عصر البطالة؟

ومشكلة البطالة والفقر ليست مشكلة حديثة تعاني منها مجتمعات اليوم، بل هي مشكلة قديمة قـدم التاريخ، وبرزت مع الإنسـان منذ الخليـقة، إلا إنهـا تـظهر بوضوح في مجتمعات أو بيئات، وتستتر في أخرىٰ.

ومما لا شك فيه أن الحضارة والتقدم زادا هذه المشكلة بروزاً ووضـوحاً، ذلك أن البطالة ـ علىٰ سـبيل المثال ـ لم تكن ظاهرة في المجتـمعـات الرعـوية، ولا في المجتمعات الزراعية فيما بعد، بيد أنها بدأت تظهر مع ظهور المجتمعات الصناعية، وازدادت أكثر في المجتمعات المدنية التي نال أفرادها حظاً من التعليم.

ومن المفارقات العجيبة أن يكون التعليم أحد أسباب البطالة وروافدها، ذلك أن الذي نال حظاً من التعليم يرفض العمل الذي لا يتوافق مع الدرجة التي وصل إليها وكلما صعد في مدارج الشهادات المكتسبة قلت فرص العمل أمامه، لفارق المستوىٰ بين الواقع والمفترض المتخيل.

ولعل الانحراف الذي حدث في التاريخ عند تأسيس الدولة وتدوين الدواوين منذ الخلافة الراشدة كان في اعتماد بعض الناس علىٰ (وظيفة) الدولة، بعدما كان الاحتراف هو الأصل، وأن الفرد يدبر أمر معاشه بعيداً عن الدولة.

ونما هذا القطاع مع الزمن، وتكاثر كثرة مربكة في زماننا، حتىٰ أصبح أمر تدبير وظيفة لكل خريج أو لكل مواطن حقا مكتسباً يطالب به الفرد دولته أو حكومته، وظهرت خطورة البطالة فيما أفرزته من مستوىٰ سلوكي وأخلاقي بعدما استعلن عجز الحكومات عن الوفاء بالمطلوب، بل وصل الحل إلىٰ ترهل في الوظائف الحكومية، وبالتالي خلق مشكلة جديدة تعاني منها المجتمعات كالمحسوبية والرشوة والروتين وعدم الانضباط والتسويف والجمود . . . إلىٰ آخر المعضلات والأدواء القاتلة.

والإسلام تصدىٰ لمشكلة البطالة لأنه يتولد عنها الفقر ويتولد عن هذا الثنائي المتلازم سلوك مُعوج يؤدي إلىٰ الجريمة، ومن فضل الله أن الجريمة الناشئة عن ذلك الثنائي (بطالة وفقر) قليلة النسبة في معظم المجتمعات فالجريمة ليست ضحية مطلقة تتوالد عن البطالة والفقر، لكنها تحدث عند النفوس الشاذة فقط، أما التغير الخلقي ـ علىٰ أي مستوىٰ كان ـ فهذا لا ينكره المحللون والمصلحون والمراقبون.

الوقاية خيرٌ من العلاج:

محاور وضعها الإسلام حتىٰ لا تنبت شجرة البطالة علىٰ مستوىٰ الفرد:

١ ـ **محور العقيدة.**

٢ ـ **محور طلب الرزق.**

٣ ـ **محور بعث الإرادة الخَيرَة:** أي العمل الصالح والتحذير من العصيان ويقول النبي ﷺ: «**لا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بالمعاصي، فإنه لا يُدرك ما عند الله إلا بطاعته**»(١).

٤ ـ **محور مقاومة السلوك السلبي:** دخل رسول الله ﷺ المسجد ذات يوم فإذا هو برجل من الأنصار يُقال له أبو أمامة فقال: «**يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟**»

قال: «هموم لزمتني وديون يا رسول الله».

قال: «**أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك، قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ـ فقلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني**»(٢).

---

(١) رواه البزار ورواته ثقات ـ الترغيب والترهيب جزء ٢، روضة المحدثين: ١٢/ ١٩، وفي المطالب العالية ١/ ٥٤٤ قال الحافظ الأعظمي: فيه انقطاع.

(٢) رواه البخاري، جهاد ٢٥، ٧٤، أطعمة ٢٨، تفسير سورة ١٦، دعوات ٣٦، ومسلم، دعوات ٤٨ ـ ٥٢.

٥ ـ محور العمل الإيجابي :

أ ـ الاستيقاظ مبكراً والانطلاق للعمل قبل شروق الشمس، وروىٰ عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها قالت : « مر بي رسول الله ﷺ وأنا مضطجعة متصبحة(١)، فحركني برجله ثم قال : «**يا بنيه قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين، فإن الله ـ عز وجل ـ يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس**»(٢).

وما زلت اذكر قصة اخوين: أحدهما رضي بالوظيفة والراتب المحدود، والثاني آثر مقارعة وسائل الرزق بالأعمال الحرة، أما الأول فكان يذهب إلىٰ عمله متأخراً كما هي الحال مع الموظفين بعد أن تملأ الشمس الدنيا، ويعود بنهاية الدوام، وبقية يومه يقضيه في النوم والراحة والاستحمام والزيارات، أما الثاني فكان يبدأ يومه بعد صلاة الفجر، وما تشرق عليه الشمس إلا وهو في سوق (الحلال) يبيع ويشتري ويتاجر بالأغنام، فاغتني وكثر ماله وظهرت عليه دلائل النعمة في مسكنه وسيارته ومطعمه وملبسه، بينما ظل أخوه الموظف يراوح مكانه لمحدودية راتب الوظيفة.

ب ـ أن يبدأ عملاً ـ مهما كان بسيطاً أو لا خبرة له فيه ـ فإن الخبرة تأتي بالمواظبة والممارسة والمران، والعمل البسيط في بدايته، يتحول مع الأيام إلىٰ عمل متشعب متعدد الاتجاهات والامكانات.

جـ ـ أن يضع نصب عينيه وهو يعمل هدفاً يريد الوصول إليه، ولا باس من أن يقسم هذا الهدف إلىٰ مراحل حتىٰ يسهل عليه قطع هذه المراحل حسب إمكاناته، وهذه العملية تعطيه شيئاً من النشاط والهمة، فإن النجاح في تحقيق مرحلة وتجاوزها يدفعه إلىٰ المرحلة التي تليها وهكذا، ويتذكر دائماً أن الناجح البطل من يستطيع أن يجمع المال من الحلال، لا من ينفقه كيفما كان، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتىٰ النبي ﷺ فسأله فقال : «**أما في بيتك شيء؟**»

---

(١) أي نائمة في وقت الصبح.

(٢) رواه البيهقي، وفي الترغيب والترهيب، رقم ٢٤٧٤، من رواية فاطمة، ورقم ٢٤٧٥ من رواية علي رضي الله عنه.

٦ - محور التعاطى مع الواقع:

يذكر الدكتور : حيدر قفة نماذج في الواقع فيقول: رأيت بعيني رأسي بعض من يأتي بعلب الحلوىٰ والشطائر أو المناديل والجوارب أو الكتب وأشرطة التسجيل - الكاسيت - فيبيعها أمام المساجد بعد الفراغ من الصلوات وهي أمور مستحدثة لا يمانع فيها الإسلام طالما أنها وسيلة مشروعة .

وعندما تطورت الحياة استجدت أعمال ترافق هذا التطور ، فقد بدأت أرىٰ بعض الشباب يقفون علىٰ الطرقات السريعة - أوتوستراد - وبجوار محطات توزيع الوقود والمحروقات وفي الأسواق يبيعون القهوة والشاي ، بل تطور الأمر فأصبحت أرىٰ بعض من أمتهن توزيع القهوة في أوعية حافظة للحرارة - ترمس - علىٰ المكاتب والمحال التجارية تدر عليهم أرباحاً أضعاف ما تدر الوظيفة الحكومية .

ولعلي لا أبالغ إذا قلت إن من أكبر الأضرار التي أصابت الأمة الاعتماد على وظيفة حكومية والحقيقة أن وظيفة الحكومة هي رق القرن العشرين.

وإن الرق قديماً سيداً وعبداً ، سيداً مطاعاً لا يستطيع العيش بعيداً عن سيده فاليوم الوظيفة رق لآلاف الناس ، وسلبياتها علىٰ الأفراد والدولة كثيرة جداً ولعل من أبرزها ما يلي :

أ - عدم توفرها ، ولذا يبقىٰ الأفراد متعطلين ينتظرونها شهوراً أو سنوات وهم في حالة ترقب مميت وتبطل لا مبرر له .

ب - راتبها محدود ، وعلاواتها قليلة وفي النهاية لا تكاد تفي بمتطلبات الحياة .

جـ - تقتل الإبداع لروتينية العمل ، وعدم وجود حوافز ، لا تكال الموظفين علىٰ الراتب الذي يحصلون عليه سواء عملوا بإخلاص أو بدرجة أقل ، طالما أن المعاش لن يتأثر آخر الشهر ، ولذا اشتهرت تعبيرات من مثل : (إذا فاتك الميري تمرغ(١) في ترابه ، أو تنابلة السلطان(٢)، أو البطالة المقنعة)(٣) .

---

(١) مثل شعبي مصري .

(٢) لعدم الإبداع وقلة الإنتاج .

(٣) لكثرة الموظفين مع مردود قليل .

د ـ عند التقاعد يكتشف الموظف أنه أضاع عمره، حيث أن ما يتقاضاه من معاش التقاعد لا يكفيه مصروف عشرة أيام، وهو في سن لا يقدر على البداية من جديد أو العمل في مجال آخر لزيادة الدخل.

وكان من اكبر الأضرار التي لحقت بتفكير الناس، اعتبار التعليم طريقاً للعيش لا لمجرد العلم، فهو يتعلم ويختار تخصصاً معيناً ليعمل في المجال نفسه، جلس ينتظر فرصة سانحة، ومن هنا أصبح التعليم رافداً من روافد البطالة، وهذه من المفارقات العجيبة.

ولعل إعادة النظر في برامج التعليم ومناهجه ومخرجاته، بحيث يكتسب الطالب حرفة يتقنها، بجانب العلم النظري الذي اختاره، تخفف من حدة البطالة وترفد السوق بكفاءات يحتاج إليها المجتمع بدلاً من الجلوس في انتظار فرصة عمل تناسب التخصص، وأنا شخصياً ـ وغيري كثير من الناس ـ يعرفون أعداداً هائلة من الناجحين في الحياة يعملون أعمالاً لا صلة لها بدراستهم الجامعية أو تخصصهم العلمي.

إذن فكل الذي يحتاج إليه المسلم هو التخطيط المدروس، والانتقال من مرحلة الأماني والأحلام إلى مرحلة مباشرة العمل الواقعي المتاح، ثم الترقي في معارج هذا العمل بصقل القدرة بالمران والدربة والخبرة المتطورة، بغض النظر عن الدراسة الجامعية السابقة فإن العمل المتاح، ثم ما يتبعه من صقل الخبرة فيه أهم عوامل النجاح والتفوق.

وحيث إن مشكلة البطالة من الخطورة بمكان نبحث عمن يساعد في حلها فإن د. زيد بن محمد الرماني بجامعة الإمام محمد بن سعود . . . يقول:

كيف عالج الإسلام البطالة: (١)

نذكر بحثه كاملاً مع إضافات منا نشير إليها:

أولاً: تعريف البطالة (العطالة): وقد جاء في معجم مصطلحات القوى

(١) مجلة الأزهر الشريف عدد ربيع الآخر عام ١٤٢١ هـ. كيف عالج الإسلام البطالة.

العاملة: البطالة هي عدم توافر فرصة العمل للعمال القادرين على العمل والراغبين فيه والباحثين عنه [١]. أو هي: الحالة التي يكون فيها الشخص قادراً على العمل وراغباً فيه ولكن لا يجد العمل والأجر المناسبين.

ثانياً: أنواع البطالة:

١ - البطالة الإقليمية وهي التي تنشأ في إقليم معين بسبب ظروف الإقليم الاقتصادية الطبيعية.

٢ - البطالة الانكماشية وهي انكماش في حجم النشاط وقلة الطلب عن المعروض.

٣ - البطالة التكنولوجية وهي الناتجة عن الاستغناء عن عدد من العاملين نتيجة لإدخال الآلات.

٤ - البطالة الجزئية عندما يقل عمل الأفراد أو إنتاجهم عما يمكن أن يؤده أو ينتجوه.

٥ - البطالة الهيكلية وهي تحدث في الصناعات المختلفة بسبب تحول الطلب كالتغير في العادات الاستهلاكية.

٦ - البطالة الموسمية وهي بسبب التغيرات الموسمية في النشاط الاقتصادي للظروف المناخية أو التغيرات الدورية.

٧ - البطالة القطاعية وهي تحدث في أحد القطاعات كالقطاع الصناعي أو التجاري.

٨ - البطالة الاحتكارية وهي تحدث بسبب التحولات في الأعمال والمهن.

٩ - البطالة المستترة أو المقنعة وهي أداء الشخص لعمل دون مستوى مؤهلاته أو أداء مجموعة لعمل يمكن أن يؤدي ويتقن بعدد أقل منهم.

وهناك أنواع أخرى من البطالة مثل (إجبارية. اختيارية. مزمنة. بنائية. سافرة. ...)

والسؤال الآن: لماذا ذكرت أنواع البطالة؟؟

الإجابة: ذكرنا هذه الأنواع للبطالة حتى يقوم الفرد بتشخيص الحالة التي هو

---

(١) د. أحمد بدوي - د. محمد مصطفى - معجم مصطلحات القوى العاملة.

عليها أو المجتمع المحيط به الذي يعيش فيه . . فإذا تم ذلك سهل العلاج ، فالمعرفة والتشخيص أول طريق للعلاج .

ثالثاً : البطالة في المفهوم الإسلامي :

نهى الإسلام عن البطالة ، وهي تعود الرجل فارغاً عن العمل ؛ لأن البطالة تؤدي إلى فساد المجتمع واضطرابه .

يقول الراغب الأصفهاني : «من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى» .

البطالة الحديثة : حديث : « **إن الله يكره الرجل البطَّال**»(١) .

حديث : « **البطالة تقسي القلب**»(٢) .

البطالة في الفقه : اختلفوا في أخذ القاضي ما رُتب من بيت المال في يوم بطالته .

قال في المحيط : إنه يأخذ في يوم البطالة .

الشيخ الدميري يقول : «ولذلك كان الشيخ تقي الدين القشيري إذا أبطل يوماً غير معهود البطالة في درسه لا يأخذ لذلك اليوم معلوماً(٣) .

رابعاً : البطالة عند السلف :

١ ـ سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة» .

٢ ـ للبيهقي في الشعب من طريق عروة بن الزبير قال : يُقال : ما شر شيء؟ قال : البطالة في العالم(٤) .

٣ ـ يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «كسب فيه ريبة (شبهه) خير من عطلة»(٥) .

---

(١) السخاوي في المقاصد الحسنة ، رقم ٢٤٦ ، و العجلوني في كشف الخفاء : ١/ ٢٥٠ .

(٢) العجلوني في كشف الخفاء : ١/ ٥٣٢ .

(٣) خالد الجميلي ـ الجعالة وأحكامها في الشريعة الإسلامية والقانون .

(٤) كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٢٩١ ، و المقاصد الحسنة للسخاوي ، حديث رقم ٢٤٦ ، ص٢٠٩ .

(٥) د . يوسف القرضاوي ـ الاقتصاد في الإسلام .

٤ ـ يقول ابن وهب : « لا يكون البطال من الحكماء»[١].

٥ ـ يقول بعض السلف : «سيروا إلىٰ الله عُرجاً ومكاسير، ولا تنتظروا الصحة، فإن انتظار الصحة بطالة»[٢].

أقوال العلماء في البطالة :

أبو حامد الغزالي يقول: « إن الأنشطة الاقتصادية والصناعات تحتاج إلىٰ تعليم ومكابرة وإذا غفل بعض الناس عن القيام بذلك في بداية عمرهم أو منعهم من ذلك مانع فالنتيجة أن يصبحوا عاجزين عن العمل فيأكلون من عمل غيرهم فيكونون عالة علىٰ الغير وإذن هم عاطلون.

يقول الوصابي[٣]**،** « يذكر حديث النبي : البطالة تُقس القلب ـ ثم يقول إن البطالة هي الكسل ويعرف الكسل بأنه إما ترك الكسب الحلال أو ترك القيام بأمر الآخرة».

وهذا هو تعريف البطالة في الاقتصاد الإسلامي..

وأرى ؛ أن البطالة هي الكسل لأن الإنسان إذا اجتهد فلن يعدم باباً من أبواب العمل وهذا علي بن أبي طالب يسقي للمرأة بستانها وتعطيه كل ذنوب بتمرة حتىٰ مجلت يداه، ويبتسم النبي ﷺ لذلك ويأكل من هذا التمر.

وهذا الربط بين الكسل والبطالة كما يقول الوصابي: يحدد لنا كيفية علاج البطالة، فهو يجعل مسئولية علاج البطالة تقع أول ما تقع علىٰ عاتق المتعطل نفسه، إذ إن بطالته هي بسبب كسله، ولذلك ركزنا في بداية عرض المشكلة علىٰ الفرد نفسه.

أسباب البطالة :

وبالرغم من اعتقادي بان البطالة هي الكسل إلا أنه قد تكون هناك بعض الأسباب للبطالة مثل: (عدم وجود فرص للعمل ـ عدم وجود كفاءات ـ كساد في الأسواق ـ نقص المعرفة والخبرة) إلا إنني أؤكد أيضاً أنه لا يوجد شيء اسمه مستحيل ولو بحث الفرد واجتهد فسوف يجد له باباً إلىٰ العمل، ولكنه الكسل ـ الكسل ـ

(١، ٢) العجلوني، كشف الخفاء ١/ ٢٩١ (٢/ ٤٢٢)، والسخاوي، المقاصد الحسنة، ص ٤٤٦.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن الحبشي الوصابي.

الكسل ـ فالشاب من بلادنا يسافر إلىٰ دول أخرىٰ فيجتهد ليل نهار ويعمل أكثر من خمس عشرة ساعة ويقتصد في النفقات ويُعمل عقله وفكره كي يتميز ويحافظ علىٰ موقعه ويثبت ذاته ويظل في العمل ولا يبالي بأي طعام يأكل ولا بأي ثياب يرتدي .

المهم عنده هو العمل وتحصيل الأجر ولقد رأيت بعيني في عام ١٩٨١م وكنت في إحدىٰ الدول العربية في العطلة الصيفية وأنا طالب في الجامعة شاباً كنت أراه في مصر يسير في قمة الأناقة وعندما قابلني في السفر وجدت ثيابه التي يسير فيها في الشارع كلها بُقع زيت ويعمل في مطعم طوال اليوم وينام علىٰ الأرض وفتح الله عليه بهذا الجهد والعرق .

آثار وأخطار البطالة :

أولاً : آثارها وأخطارها على الفرد :

اقتصادياً : تفقده الدخل ـ **صحياً** : تفقده الحركة ـ **اجتماعياً** : ينقم علىٰ غيره ـ **نفسياً** : يعيش في فراغ ، ولخطورة هذه النقطة نذكر آفات الفراغ التي ذكرها شيخنا محمد الغزالي في كتاب جدد حياتك .

آفات الفراغ :

في أحضان البطالة تولد آلاف الرذائل ، وتختمر جراثيم التلاشي والفناء إذا كان العمل رسالة الأحياء فإن العاطلين موتىٰ ، وإذا كانت دنيانا هذه غراساً لحياة أكبر تعقبها ، فإن الفارغين أحرىٰ الناس أن يحشروا مفلسين لا حصاد لهم إلا البوار والخسران .

وقد نبه النبي ﷺ إلىٰ غفلة الألوف عما وهبوا من نعمة العافية والوقت فقال : **«نعمتان مغبون فيها كثير من الناس : الصحة والفراغ»**(١) .

أجل ، فكم من سليم الجسم ممدود الوقت ، يضطرب في هذه الحياة بلا أمل يحدوه ، ولا عمل يشغله ، ولا رسالة يخلص لها ويكرس عمره لإنجاحها .

ونسأله: ألهذا خلقك الله؟

---

(١) رواه البخاري في الرقاق .

كلا . . فالله عز وجل يقول : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ (المؤمنون) .

إن الحياة خلقت بالحق، الأرض والسماء وما بينهما، والإنسان في هذا العالم يجب أن يتعرف هذا الحق وأن يعيش به.. أما أن يدخل في قوقعة من شهواته الضيقة ويحتجب في حدودها مذهولاً عن كل شيء، فبئس المهاد ما اختار لحاضره ومستقبله.

ومن أصدق ما رواه الشافعي في أسس التربية هذه الكلمة الرائعة :

« إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل » .

وهذا صحيح فإن النفس لا تهدأ إذا لم تدر في حركة سريعة من مشروعات الخير والجهاد والإنتاج المنظم لم تلبث أن تنهبها الأفكار الطائشة وأن تلفها في دوامة من الترهات والمهازل . وأفضل ما تصون به حياة الإنسان أن ترسم له منهاجاً يستغرق أوقاته ولا يترك فرصة للشيطان أن يتطرق إليه بوسوسة أو إضلال وتوزيع التكاليف الشرعية في الإسلام منظور فيه إلى هذه الحقيقة ألا يترك للنفس فراغاً يمتلئ بالباطل لأنه لم يمتلئ من قبل الحق .

العمل علاج للقلق :

يقول ديل كارينجي : «إننا لا نحس أثر القلق عندما نعكف على أعمالنا ولكن ساعات الفراغ التي تلي العمل هي أخطر الساعات طراً»(١) .

يقول الأستاذ : عبد الله ناصح علوان في كتابه تربية الأولاد في الإسلام: «لذا وجب على المربي أن يدفع الولد منذ الصغر إلى التدريب على بعض المهن والفنون والصناعات ـ بعد أن يمر بمراحل الدراسة الابتدائية في تعليم الخط واللغة العربية ، وتلاوة القرآن الكريم ، وما يلزم تعليمه من العلوم الشرعية والتاريخية والكونية ؛ لإعداد الولد لكسب عيشه ورزقه من كدّ يمينه ، وعرق جبينه» .

---

(١) جدد حياتك ـ للشيخ : محمد الغزالي رحمه الله .

ولنستمع إلى ما يقوله ابن سينا في تعليم الولد أمور الصناعة، وأعمال المهنة: «إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن الكريم وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلىٰ ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه، فإن أراد الكتابة أضاف إلىٰ دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك، وطورح الحساب (أي مرن علىٰ الحساب) ودخل به الديوان وعني بخطه وإن أراد أخرىٰ أخذ به فيها».

فدراسة القرآن الكريم ومعرفة أصول اللغة كانتا من المواد الدراسية الأساسية في المناهج الإسلامية فإذا انتهي الصبي منهما نظر في أمره وفي الصناعة التي يميل إليها، وأُرشد إلىٰ السير في طريقها حتىٰ يحسنها ويجيدها.

ثانياً: آثار البطالة على الأسرة:

١ ـ تفقد رب الأسرة شعوره بالقدرة علىٰ تحمل المسئولية.

٢ ـ تضع الجميع في حالة من التوتر والقلق

ثالثاً: آثارها على المجتمع:

اقتصادياً: تعطل طاقات قادرة علىٰ الإنتاج.

اجتماعياً: الشرور والجرائم نتيجة الفراغ والقلق[1].

موقف الاقتصاد الإسلامي من البطالة:

أولاً إذا كانت البطالة اختيارية:

أي بطالة من يقدرون علىٰ العمل ولكنهم يجنحون إلىٰ القعود ويستمرئون الراحة ويؤثرون أن يعيشوا عالة علىٰ غيرهم.

فالإسلام يقاوم هؤلاء وهؤلاء أفراد آثمون ويحاسبون يوم القيامة ولاحظ لهم في الزكاة فلا تجوز لهم الزكاة لأن منحهم الزكاة يزيد من بطالتهم وفي الحديث:

---

(١) د. يوسف القرضاوي ـ مرجع سابق.

«لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سَوِيّ»(١).

ولذلك يقول الماوردي : «وإذا تعرض للمسألة ذو جلد وقوة على العمل فعلى ولي الأمر زجره وأمره أن يتعرض للاحتراف بعمله أمًّا إن أقام على المسألة عزره حتى يقلع عنها»(٢).

ثانياً : إذا كانت البطالة تعبدية:

هذه البطالة دفع إليها تصور معين لمبادئ الدين في ترك العمل والإسلام، ولقد صحح هذه المفاهيم الخاطئة وتصدى لها عمر بن الخطاب فقال لأهل اليمن حين سألهم من أنتم؟ قالوا: نحن متوكلون، قال: «كذبتم ما أنتم متوكلون إنما المتوكل رجل ألقى حبله في الأرض وتوكل على الله».

وقال أيضاً لأناس فارغين لا يعملون : سأل عنهم فقيل له : هم المتوكلون فقال: «كذبوا هم المتآكلون الذين يأكلون أموال الناس بالباطل».

وقال أيضاً : «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

كيف عالجت الدولة الإسلامية هذه البطالة؟؟

واجهت الدولة هذه البطالة كما يلي:

١ ـ **مواجهة ادبية :** وهي احتقار الدولة والمجتمع للعاطل بإرادته يقول عمر بن الخطاب : «إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة ؟ فإن قالوا: لا ، سقط من عيني»(٣).

---

(١) رواه الترمذي، زكاة ٢٣، وابن ماجة ، زكاة ٢٦، وأبو داود ، زكاة ٢٤، والنسائي، زكاة ٩٠، وأحمد : ٤/ ٦٢، وقال الترمذي: حديث حسن ، «مِرَّة»، أي: الشدة، و«سوِيّ» صحيح الأعضاء.

(٢) أبو الحسن الماوردي في الأحكام السلطانية.

(٣) علي المتقي، كنز العمال، وتربية الأولاد في الإسلام، د. عبدالله ناصح علوان، جـ٢، ص٩٣٠.

٢ ـ **أوامر ملزمة** : تأمر الدولة بالعمل : يقول عمر بن الخطاب : « يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم واتجروا فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين»(١).

٣ ـ **إجراءات عملية** : وجد الفاروق عمر سائلاً يحترف السؤال ومعه مخلاة فيها طعام فأخذها منه وطرحها لإبل الصدقة ونهره(٢).

هذا وقد عالج الإسلام كل انواع البطالات الأخرى فنهى عن اكتناز الأموال وحث على الإنفاق وحذر من الركون إلى البطالة وحض على تعلم الحرف والمهن.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة»(٣). **فمن ذلك :**

١ ـ **تشغيل العاطلين وإرشادهم إلى العمل** : عن أبي هريرة أن رجلين أتيا النبي ﷺ فسألاه فقال : اذهبا إلى هذه الشعوب فاحتطبا فبيعاه فباعا فأصابا طعاماً ثم ذهبا فاحتطبا أيضاً فجاءا فلم يزالا حتى ابتاعا ثوبين ثم ابتاعا حمارين فقالا قد بارك الله لنا في أمر الرسول(٤)، ففي هذا الحديث تجد أمر النبي ﷺ للعاطلين بالعمل ـ إرشادهم إلى عمل محدد.

٢ ـ **النهي عن المسألة والتسول** : عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : **«ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم»**(٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : **«من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر»**(٦).

(١) ابن الجوزي في مناقب عمر بن الخطاب.
(٢) د. شوقي دنيا الإسلام والتنمية الاقتصادية.
(٣) عبد الحي الكتاني ـ مرجع سابق.
(٤) نقلاً عن مجمع الزوائد (كتاب الزكاة).
(٥) رواه البخاري، زكاة ٥٢ .
(٦) رواه مسلم ، زكاة ١٠٥ .

عن الزبير بن العوام قال رسول الله : **«لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»**(١).

يقول الشيخ محمد شفيع (٢): تحت عنوان (سد أبوب التسول والاستجداء):

«لم يغفل الإسلام أن أفراد المجتمع الفقراء إذا تعودوا نيل حقوقهم في أموال الأغنياء فربما يتكئون على ذلك وتُشل جميع قواهم العملية، حتى يشكلوا طبقة الشحاذين والمتسولين التي تكون كلاً على الأمة كلها، ونظراً إلى إمكان تنامي هذا الخطر، وضعت الشريعة الإسلامية تشريعاً خاصاً بهذا الموضوع وصرحت بأنه.

أ - لا يحق لأي إنسان صحيح البنية والقوة أن يمد يد السؤال إلا في أحوال خاصة، وقد وصف القرآن الفقراء بأنهم: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

ب - يحرم السؤال على من عنده كفاف يوم.

جـ - يعتبر السؤال ذلة، كما صرحت به السنة.

د - يحرم أخذ الصدقة على من يملك مقدار النصاب من المال ولو بدون سؤال.

هـ - يحث الفقراء والمساكين على أن يعتبروا العزة في الجهد والعمل ويفروا من طلب الصدقات.

و - يأمر أرباب الثراء والغنى بإيصال الصدقات إلى مستحقيها من الفقراء والمساكين، إذ لا يكفي إخراج المال فقط، إن لم يصل إلى من يستحقونه.

ز - وضع حد للتسول والاستجداء عن طريق رجال الاحتساب لقد نجح الإسلام في إقامة نظام لتوزيع الثروة على هذه الأحكام مما جعل المجتمع الإسلامي

---

(١) رواه البخاري، زكاة ٥٠، ٥٣، بيوع ١٥، مساقاة ١٣.

(٢) الشيخ محمد شفيع - أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع.

الأول غنياً مترفاً لم يوجد فيه من يقبل الصدقات»[1] . . . من هنا يتبين أن نهي الإسلام عن المسألة والكُدية[2] والتسول من وسائل معالجة الإسلام للبطالة .

٣ـ وضع التوجة العام الإسلامي لعلاج البطالة:

وثيقة تاريخية اقتصادية:

وقف عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يودع أحد نوابه على بعض أقاليم الدولة فقال له : ماذا تفعل إذا جاءك سارق؟ قال : أقطع يده ، فقال عمر : «وإذن فإن جاءني منهم جائع أو عاطل ، فسوف يقطع عمر يدك ، إن الله استخلفنا على عباده ، لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها ، يا هذا إن الله خلق الأيدي لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية»[3] .

وبتحليل هذه الوثيقة نستخلص بعض النقاط منها:

الأول : اهتمام الدولة بتحقيق التقدم الاقتصادي بحيث لا يظل هناك جائع أو عاطل .

الثاني : اهتمام الدولة بتحقيق التنمية فإن وظيفة الدولة في قوله : «إن الله قد استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم (الأمن الغذائي) ونستر عورتهم (الأمن النفسي والبدني) ونوفر لهم حرفتهم (الأمن الاقتصادي)» .

الثالث : أحقية كل فرد في العمل وفي إشباع احتياجاته الأساسية ، وفي سبيلها يذهب للحاكم : فإن جاءني منهم جائع أو عاطل .

الرابع : وعي الدولة لمشاكل البطالة : إن الله قد خلق الأيدي لتعمل[4] .

---

(١) للاستزادة ـ د. يوسف القرضاوي فقه الزكاة .

(٢) الكدية : سؤال الناس واستعطاؤهم .

(٣) الشيخ محمد الغزالي ـ من ظلام الغرب .

(٤) للاستزادة ـ الإسلام والتنمية الاقتصادية . د. شوقي دنيا ـ مرجع سابق .

فوائد هامة :

١ ـ لم أركز علىٰ دور الدولة في حل وعلاج مشكلة البطالة لأن الدولة إذا كانت مسلمة تطبق منهج الله فإنها سوف تضطلع بمهمتها وتقوم بها خير قيام . وإذا كانت دولة تنبذ دين الإسلام وشريعة الإسلام فلن تقوم بشيء من ذلك وأرىٰ أن العبء يقع علىٰ الأفراد لذلك كان معظم أو كل تركيزي علىٰ أن الفرد هو المحور الأساسي لعلاج مشكلة البطالة .

٢ ـ أرجو أن تتكاتف جميع جهود العاملين للإسلام لعلاج ظاهرة التسول لأنها تشوه صورة الإسلام والمسلمين .

٣ ـ أرىٰ في بلادي ظاهرة تثير الحزن والألم أن تجد آلافاً بل ملايين من الشباب في ريعان الشباب يجلسون مكدسين علىٰ المكاتب في الصباح في المصالح والهيئات ومعظم عملهم لا يتعدىٰ توقيعاً أو نقل ورقة من هنا أو هناك ، ويعيشون علىٰ فتات المرتبات التي لا تسمن ولا تغني من جوع فإذا لم ينتج هؤلاء في هذه الفترة فمتىٰ؟

في هذه الفترة التي يتمتعون فيها بسواعد فتية ، وسيقان قوية ، لماذا لاينتشرون إعماراً لوطنهم بدلاً من أن تصاب هذه السواعد بالرعشة وهذه السيقان بلين العظام .

٤ ـ توصية واجبة .. بواقع عملي :

يجب علىٰ الشباب تعلم حرفة (مهنة) أثناء الدراسة والعطلات الصيفية ويدفعهم لذلك دفعاً أولياء الأمور ، حتىٰ إذا ما انتهىٰ الشاب من دراسته كان عاملاً وليس عاطلاً .

فإن كان الوطن في حاجة إلىٰ تخصصه الدراسي سارع إلىٰ تلبية نداء الوطن وحاجته إليه وإلا فمهنته وحرفته في انتظاره ليعمل وينفق علىٰ نفسه وأهله .

ولقد تعلمتُ أثناء دراستي الثانوية[١] حرفة الدهان (النقاشة) وكنت أمارسها بعد عودتي من الدراسة ـ وأبدأ المذاكرة ليلاً ـ وأثناء العطلات الصيفية .

وكنت أجيدها ونقلت خبرتي فيها إلى كثير من الشباب وخاصة أقاربي ، ولا زلت إلى الآن أحتفظ بمهاراتها .

ولما كنت أحب المهنة التي تحتاج إلى تفكير وإعمال الذهن الدائم والابتكار فاتجهت إلى تعلم مهنة التركيبات الكهربائية وصيانة الأجهزة وما زلت إلى الآن أمارسها بإتقان برغم أنني لم أنقطع عن الدراسة وتحصيل العلم .

---

(١) وقبل الثانوية كنت كذلك لا أترك العمل يوماً واحداً ففي المرحلة الابتدائية كنت أعمل في العطلات الصيفية في مجالات زراعية كثيرة أذكر منها مقاومة دودة القطن ولقد كان العمل اليومي من السابعة صباحاً وحتى الخامسة مساءً بأجر (ثلاثة قروش يومية) ثم ارتفعت إلى خمسة قروش ، وكلما تبرمت وتضجرت من ضعف الآجر كانت تقول لي جدتي لوالدي (رحمهما الله) : يا محمد اعمل بخمسة قروش وحاسب البطال ، يعني في نهاية اليوم معك خمسة قروش والعاطل البطال لا شيء معه فأنت أحسن منه .

٢ ـ مشكلات الشباب.. وكيفية حلها

يقول د. عباس محجوب (١) : « إن مرحلة المراهقة ليست للجنس فقط بل مرحلة للتكاليف والمسئوليات، ومرحلة لظهور العواطف الدينية ومرحلة للنمو الجسدي والعقلي.

فإذا تعهدت التربية هذه الطاقات كلها بالتوجيه والرعاية ضمن برنامج يوجه عاطفة التدين ويوجه حاجات العقل في العلم والمعرفة ويوجه الجسد بالتربية الرياضية كان في ذلك كله تغطية للفراغ الذي يمكن أن يحس به الشباب كما أن التربية على معاني العفة والطهارة والنقاء والسمو الروحي مما يجنب الشباب كثيراً من المزالق والمحاذير».

أما د. سعيد النوتي يقول : « إن مشكلات الشباب كثيرة وحصرها في مشكلات ملحة مثل الزواج والسكن والعمل وهذه المشكلات بُذلت جهود كبيرة من الحكومات لحلها ولكنها تزداد تعقيداً وسوف تزداد أكثر وأكثر والسبب في ذلك أن محاولات الحل تسلك طريق الربا ـ والزنا ـ والقروض ـ ولن تحل هذه المشكلات إلا بالانضباط على منهج الله وسوف نرى ذلك من خلال درس واقعي عملي في سورة القصص :

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (القصص ٢١ : ٢٤).

---

(١) مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي ـ كتاب الأمة توصية بقراءة هذا الكتاب لما فيه من الاستفادة.

أنت عاجز أمام مشكلات ثلاث، وتزداد تعقيداً يوماً بعد يوم وموسى الشاب (لم يكلف بالرسالة بعد) كانت أمامه ما يقرب من ست عشرة مشكلة حلها كلها بالانضباط ومن هذه المشكلات (قتل نفس ـ حكم إعدام ـ طرد من بلده ـ خائف ـ يترقب ـ حافي ـ جائع ـ يفترش الأرض ويلتحف السماء ـ تظهر البقلة في بطنه من شدة التصاقها بالظهر من الجوع ـ شدة حرارة الجو ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ ﴾ فقير).

منهج النبي ﷺ في حل المشكلات بالانضباط وليس بالانفلات أمثلة من ذلك:

١ ـ جاء شابٌ إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله رخص لي في الزنا. . وهذا إنفلات عن منهج الله، فكيف عالج النبي ﷺ هذه المشكلة، قال للشاب: «**اترضاه لأمك؟**» قال: لا والذي بعثك بالحق، قال: « **هكذا الناس لا يرضونه لأمهاتهم**»، ثم قال: « **أترضاه لابنتك... ثم زوجتك.. ثم**... والشاب يكرر نفس الإجابة، وخرج الشاب من عند رسول الله ﷺ وليس شيء أبغض إليه من الزنا. . والذي فعله الرسول ﷺ أن أحيى الغيرة في قلبه، فانضبط الشاب(١).

٢ ـ سرق رجل وقال يا رسول الله: سرقت جملاً. . هذا انفلات. . فقال الرجل: اقطع يدي. . وهذا انضباط.

٣ ـ جاء رجل وقال يا رسول الله أوصني، قال: «**لا تغضب**»(٢).

دروس من القرآن الكريم في حل المشكلات .. في سورة القصص:

المشهد الأول عند البئر:

١ ـ إلى الشباب والفتيات عليكم بأمانة اللسان فهي بداية طريق الخير . . . إنها كلمات معدودة بين الشاب والفتاتين. وليست دردشة طويلة ولو حتى في مصلحة الماشية والسقيا.

---

(١)سبق تخريجه .

(٢)رواه البخاري، أدب ٧٦، باب الحذر من الغضب .

٢ ـ يقبل الله الشكوىٰ إذا تحققت هذه الشروط : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (طه: ٨٢). تاب وآمن ولكن عمل سيئاً (يدخن سيجارة ـ نظرة حرام ـ أكل ربا) لا يهتدي ولذلك موسىٰ قال : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (القصص: ٢٤). فكان التوجه من الله للعبد الصالح أن حل مشكلة هذا الشاب : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٢٥).

والتطبيق العملي : إذا واجهتك أي مشكلة، فقم فتوضأ ثم صلي ركعتين توبة . . ثم ركعتين صلاة حاجة وقل فيهما : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

٣ ـ لم ينفلت موسىٰ بالرغم من أن كل وسائل الانفلات والإغراء موجودة وهي :

أ ـ مشاكله كثيرة ويريد حلها ولكن حلها ليس بأي شكل بل حلها بالشكل الصحيح.

ب ـ عوامل الانفلات موجودة ومهيأة ـ بنات ـ صحاري ـ محتاجين . . .

٤ ـ درس للأب : عادت البنت مبكرة : سأل ما الذي حدث حتىٰ عُدت مبكرة من الذي ساعدك ـ وإذا عادت متأخرة سأل ما الذي أخرك . . **أما الواقع** : البنت تخرج وتغيب بالساعات، ولا أحد يسأل أو يحاسب، وكذلك الولد حتىٰ ينحرف.

المشهد الثاني في بيت العبد الصالح :

١ ـ جاءت البنت إلىٰ موسىٰ : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٢٥). انضباط منها، وكذلك انضباط من موسىٰ حيث لم ينظر إليها ولم يقل كلمات الغزل فيها، ولو كان انفلت ووقف

أمامها في الطريق وقال كلمات خارجة لاجتمع عليه أهلها وضربوه وأدبوه .

٢ ـ ﴿ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾البنت المنفلتة تجري وتسير بسرعة أو تسير بخلاعة وميوعة وبطء شديد ، البنت المنضبطة تمشي فالمشي لصاحبة الحياء واتضح ذلك في لقطة السير حيث سار أمامها .

٣ ـ ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ (القصص : ٢٦) رأت قوته عند البئر حيث زاحم وسقى لهما ـ ورأت أمانته عند السير فلم يسر خلفها فيحرك الهواء ثيابها قمة الانضباط . **اما الواقع** ؛ قمة الانفلات فالهواء الآن لا يجد ثياباً يحركها إما لأنه لا توجد ثياب أو توجد قطع من الثياب الملتصقة تماماً بالجسم (الأمين على العرض أمين على المال) .

٤ ـ درس للبنات : لا يدخل رجل البيت إلا في وجود الأب أو رجل في المنزل ، ودرس للأولاد لا تدخل بيت إلا إذا كان هناك رجل ، لأنه حينما لم نلتزم بهذه الآداب الإسلامية حدثت المصائب بل والجرائم . . . فتقول إحداهن : (اتفضل ادخل نحن أهل . . وهل أنت غريب) . . والأسوأ من ذلك الخادم والسائق في المنزل ، وقد يكون الرجل مسافراً خارج البلاد .

المشهد الثالث : حل جميع المشاكل :

١ ـ ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص : ٢٥) . مشكلة الخوف حُلت وبذلك تم حل ثلثي المشاكل .

٢ ـ ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ (القصص : ٢٦) . مشكلة المال حُلت فسوف يعمل وينتج .

٣ ـ ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القصص : ٢٧) . . مشكلة الزواج حُلت ومشكلة الهدايا أيضاً : ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ .

٤ ـ بنى له بيتاً بجواره ليقيم فيه هو وزوجته ـ مشكلة السكن حُلت .

٥ ـ من الدروس : أن البنت تقول رأيها سراً لأبيها ولا تتدخل أمام الناس .

٦ ـ موسىٰ لم يطلب أن يعمل أو وظيفة . . . ولكن موسىٰ أرسل شكواه إلىٰ الله .

٧ ـ لا تتحرج من عرض بناتك علىٰ الصالحين فهذا هو العبد الصالح يخطب لابنتـه .

٨ ـ انضباط من والد العروسة : « وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ » عدم المغالاة في المهور والآن قمة الانفلات والمشقة علىٰ العريس وتجهيز الشقة والمهر .

٩ ـ لم يتأفف موسىٰ من أنه سوف يرعىٰ الغنم (العيب ليس في نوعية العمل ولكن العيب في الخيانة أو عدم العمل) راجع مشكلة البطالة السابقة وكيفية حلها .

ملحق

قضية القدس وفلسطين

المبحث الأول : المسجد الأقصى .

المبحث الثاني : حال القدس وفلسطين الآن .

المبحث الثالث : حقائق حول القضية الفلسطينية :

١ ــ زوال إسرائيل حتمية قرآنية.

٢ ــ ثوابت القضية الفلسطينية.

المبحث الرابع : فتاوى وحقائق :

أولاً : بيع الفلسطينيين أراضيهم لليهود حقيقة أم افتراء ـ إشاعة قاتلة ـ شبهة خطيرة.

ثانياً : فتاوى خاصة بفلسطين.

المبحث الأول

المسجد الأقصى

إن المسجد الأقصى يمثل بالنسبة للمسلمين خطاً أحمر، لا يخضع للمفاوضات ولا للحلول ولا للمساومة . . فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رسول الله ﷺ .

الهدف من هذا الفصل :

١ ـ غرس حب هذه الأرض وتقوية الشعور بالانتماء لها .

٢ ـ اليقين بأن النصر للمؤمنين إن هم صبروا واستمسكوا بدينهم . . فسيبقى الأقصى ما بقيت الله أكبر . .

ونتناول هذا الفصل من خلال المحاور الآتية :

١ ـ قيمة هذه الأرض .

٢ ـ هل المسجد الأقصى ملك للمسلمين ؟ .

٣ ـ ملخص لتاريخ الأرض المقدسة .

٤ ـ الحل . . والواجب لقضية الأقصى .

١ ـ قيمة هذه الأرض

قرر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أن أرض فلسطين كلها أرض مباركة مقدسة، وانعقد الإجماع على أنها أمانة في أعناق المسلمين جميعاً .

أ ـ في القرآن الكريم :

ولم تُذكر هذه الأرض في القرآن الكريم إلا وذكر معها البركة أو القدسية كصفة لها يقول الله تبارك وتعالى عن سيدنا إبراهيم : ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء : ٧١) .

وعن سيدنا سليمان يقول الله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨١).

وعن سيدنا موسى يقول الله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٢١).

وعن سيدنا محمد يقول الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

ولم يقل الله تبارك وتعالى الذي باركنا فيه، لكي لا يظن الناس أن المسجد الأقصى هو المبارك فقط، ولكن كل أرض فلسطين.

ب ـ في الحديث النبوي :

لم يذكر الرسول ﷺ المسجد الحرام والمسجد النبوي إلا وذكر معهما المسجد الأقصى يقول الرسول ﷺ : « **لا تُشد الرحال إلا لثلاث مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى** »(١) .

وقال أيضاً : « **الصلاة في مسجدي هذا بألف فيما سواه وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه وصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة فيما سواه** »(٢).

ويربط الله تبارك وتعالى بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى فيقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

وأراد الله تبارك وتعالى أن يسري برسوله ﷺ أولاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم يعرج به من المسجد الأقصى إلى السماوات السبع لكي يربط هذين المكانين ببعض، حيث أنه كان من الممكن أن يعرج الله تبارك وتعالى برسوله

---

(١) رواه البخاري ، مسجد مكة ١ ، صوم ٦٧ ، صيد ٢٦ ، ومسلم، حج ٤١٥، ٥١١، ٥١٢.
(٢) رواه البخاري، مسجد مكة ١ ، ومسلم، حج ٥٠٥ ، ٥١٠ .

من المسجد الحرام مباشرة إلىٰ السماوات السبع ولكنه أراد بحكمته أن يوجه رسالة للمسلمين في كل مكان وزمان إلىٰ حرمه المسجد الأقصىٰ هي حرمه المسجد الحرام .

جـ ـ ميزة ليست لغيرها :

انفردت هذه الأرض عن سائر الأراضي الأخرىٰ بأنه أكثر أرض عاش فيها الأنبياء والمرسلين (إبراهيم ـ اسحق ـ يعقوب ـ يوسف ـ زكريا ـ يحيىٰ ـ عيسىٰ ، وإليها ذهب محمد ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج ، وأول من ذهب إلىٰ هذه الأرض هو سيدنا آدم عليه السلام) .

د ـ أقسم الله بها :

عندما أراد الله تبارك وتعالىٰ أن يقسم بأعظم ثلاثة أماكن في الأرض قال في سورة (التين) : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ .

أما المكان الأول فهو : طور سيناء .

والمكان الثاني هو البلد الحرام (مكة) .

أما التين والزيتون فهما إشارة إلىٰ أرض فلسطين ، وليس مجرد قسم بنوعين من الفاكهة كما يظن البعض .

وهذا يدل علىٰ أن هذه الأماكن الثلاثة لها نفس القدسية والمكانة عند المسلمين ، ولعل الله تبارك وتعالىٰ أقسم أولاً بها لكي يؤكد علىٰ هذا المعنىٰ .

هـ ـ هي مسرى النبي ﷺ .

و ـ وهي أولى القبلتين وثالث الحرمين .

ذ ـ المكان الوحيد الذي ذهب إليه عمر بن الخطاب ليتسلم مفاتيحه بعد فتحه.

* علم الصحابة الكرام مكانة هذا المكان فاستأذن كثير منهم ليعيشوا فيه مثل : «أبي الدرداء ، وعبادة بن الصامت ، وكثير من الصحابة» .

* يقول الإمام الشافعي : أحب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان في المسجد الأقصىٰ ، فقيل له : لماذا ؟ فقال : لأستشعر بقربي من أنبياء الله عز وجل .

* وكان يعتكف في المسجد الأقصى كل سنة خمسون ألف مسلم.
* كان الحجاج لا يرجعون من حجهم إلا بعد أن يزوروا المسجد الحرام والمسجد الأقصى لكي يجمعوا بين الثلاث مقدسات.
* هو المكان الذي سينفخ فيه إسرافيل لتقوم الساعة قال تعالى: ﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ** ﴾ (ق: ٤١). يقول كثير من المفسرين: إن المكان القريب هو صخرة المعراج.

٢ ـ هل المسجد الأقصى ملك للمسلمين؟

من العجيب أن يقول البعض: إن المسجد الأقصى ليس بالضرورة أن يكون مع المسلمين واحتجوا بذلك بأن سيدنا داود عليه السلام عاش هناك قبل أن يفتحه المسلمون في عهد عمر بن الخطاب، إذًا فاليهود أولى به من المسلمين.

والإجابة عن هذا السؤال تتلخص في النقاط التالية:

أولاً: الدين الذي ارتضاه الله تعالى للناس هو الإسلام:

يقول الرسول ﷺ: «**الأنبياء أمهاتهم شتى ودينهم واحد. صدق رسول الله ﷺ وكل نبي من الأنبياء جاء ليكمل هذا الدين**»(١).

ويقول الرسول ﷺ: «**والله لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه إلا أن يتبعني**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، أنبياء ٤٨.

(٢) ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى صحيفة من التوراة في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فغضب وقال: **أومتهوكون فيها**، (أي: أمتحيرون في ملتكم؟) **يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٣، ١٧٤: رواه عن جابر أحمد وأبو يعلى والبزار، وطرق أخرى كثيرة ضعيفة، تحسن بعضها، كما في الفتح الرباني للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا، نقلاً عن كتاب: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي.

وكلما جاء نبي كان مسئولاً عن المسجد الأقصى ، حتى إذا جاء خاتم النبيين محمد ﷺ فهو وأمته من بعده المسئول عن المسجد الأقصى .

إذا يمكننا القول أن المسجد الأقصى هو وقف للمسلمين ولا يحق لأي أحد أن يمسه أو يستولى عليه وإلا وجب على كل مسلم الدفاع عنه وعن سائر أرض فلسطين .

ثانياً : لأن كل الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى مسلمون :

يقول الله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (آل عمران : ٦٧) .

ويقول أيضاً : ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ (البقرة : ١٣٢) .

ويقول أيضاً : ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (البقرة : ١٣٣) .

والسؤال الآن : لماذا سمي بعض الناس باليهود أو المسيح؟

والإجابة : لأن هؤلاء الناس تشيعوا لرسول معين ولم يتبعوا الرسول الذي جاء من بعده فمثلاً اليهود تشيعوا لموسى ، المسيحيون تشيعوا لعيسى .

ولقد فهم **أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** هذا المعنى وهو أن هذه الأرض ملك لكل المسلمين ، فرفض أن يقسمها بعد أن فتحها المسلمون كما كان يقسم باقي الأراضي ولما سئل عن سبب ذلك قال : «وهل قسم رسول الله ﷺ مكة ؟» .

فقالوا : لا . . **وهل القدس عند الله إلا كمكة؟**

وقد أدرك أيضاً **السلطان عبد الحميد** هذا المعنى فلما جاءه اليهود وقالوا له أعطنا فلسطين في مقابل تسديد كل ديون الدولة العباسية قال لهم : فلسطين ليست ملكاً لي لكي أعطيها لأحد ولكنها ملك المسلمين ، حتى الفلسطينيين أنفسهم لايملكون حق بيع هذه الأرض لأحد .

٣ـ ملخص لتاريخ الأرض المقدسة

المتتبع لتاريخ هذه الأرض يلاحظ حقيقة أو إن شئت قلت قاعدة أساسية وهي أنه ما دام المسلمون متمسكين بدينهم فهذه الأرض ملك لهم ، أما إن فرطوا في دينهم وابتعدوا عنه لابد أن يسلط الله عليهم من يعذبهم وينتزع منهم هذه الأرض حتى يعودوا إلى دينهم، أي أن أرض فلسطين هي مقياس الإيمان في الأرض بمعنى لو أن هذه الأرض بحوزة المسلمين إذاً فإن الإيمان مستقر في الأرض ولو أن هذه الأرض ليست مع المسلمين إذاً فإن الإيمان في انحدار .

بنى هذا المسجد سيدنا آدم بعد بنائه للمسجد الحرام :

سُئِل رسول الله ﷺ : أي مسجد بني أولاً؟ قال : **المسجد الحرام**» .

قيل : ثم ماذا؟ قال : «**المسجد الأقصى**» .

قيل : فكم بينهما يا رسول الله ؟ قال : « **أربعون سنة** » (١) .

وظل هذا المسجد مع ذريته من المؤمنين حتى جاء طوفان نوح الذي أغرق فلسطين كلها بما فيها المسجد الأقصى ، وتغيرت معالم المسجد الأقصى على أثره .

ثم جاء سيدنا إبراهيم فسكن فلسطين وأقام المسجد الأقصى وظل في حراسته هو وذريته (إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف) وذلك بعد أن ترك سيدنا إسماعيل في المسجد الحرام، وذلك لكي يوازن بين المسجدين .

فالمسجد الحرام في حراسة إسماعيل ومن ذريته محمد ﷺ .

والمسجد الأقصى في حراسته هو وذريته .

وظلت هذه الأرض تحت إمرة المؤمنين من ذرية سيدنا إبراهيم قروناً طويلة ، قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (آل عمران: ٦٧). ويوصي سيدنا يعقوب بنيه قائلاً: ﴿**وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ (البقرة: ١٣٢).

---

(١) رواه البخاري في الأنبياء، ومسلم في المساجد.

ولكنهم لم يؤدوا الأمانة وظلوا يبعدون عن الطريق خطوة تلو الأخرىٰ حتىٰ وهن إيمانهم فسلط عليهم قوماً جبارين ينتزعونها منهم ويشردونهم ويقتلونهم فبعث اللـه تعالىٰ سيدنا موسىٰ لكي يقود بني إسرائيل ويحرروا هذه الأرض.

يصل سيدنا موسىٰ بقومه إلىٰ هذه الأرض بعد أن نجاه الله من فرعون وجنوده ويطلب من قومه أن يدخلوها يقول الله تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ: ﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ (المائدة: ٢١).

وكانت مكتوبة لهم لأنهم كانوا هم المسلمين في هذا الوقت: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ** ﴾ (المائدة: ٢٢). وقال أيضاً: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)** ﴾ (المائدة).

ولقد كتب الله عليهم التيه ٤٠ سنة لكي يتغير الجيل الفاسق الذي أبى أن يدخلها ويأتي جيل مسلم مؤمن يكتب الله تعالىٰ له النصر لأن هذه الأرض لا يدخلها إلا المؤمنون الموصولون بربهم، بعد أن تغير الجيل وتربىٰ الجيل الجديد علىٰ الإيمان بالله، شديد الصلة به، استطاع أن يفتح المسجد الأقصىٰ.

وبعد أن فتح موسى هذه الأرض وشعر بدنوا أجله سأل الله تعالىٰ أن يدني قبره من الأرض المقدسة (أي أسوارها) وذلك لأن موسىٰ عليه السلام كان يعلم أن هذه الأرض ملك النبي الخاتم محمد ﷺ فلم يسأل ربه أن يدفن داخل هذه الأرض حتىٰ لا يقول قومه أنها ملك لهم.

ولما بُعِثَ الرسول ﷺ كانت هذه الأرض من أولويته وسير إليها ثلاثة جيوش وهم: (مؤتة، تبوك، جيش أسامة بن زيد)، وذلك لم يحدث مع أي أرض أخرىٰ، ولكن الله تعالىٰ لم يُقّدر أن تفتح هذه الأرض في عهد الرسول ﷺ، ولم تفتح إلا علىٰ يد عمر لكي يوجه رسالة إلىٰ المسلمين أنهم هم المسئولون عن هذه الأرض إلىٰ

قيام الساعة، ولكن الله تعالىٰ اكتفىٰ بأن يسرىٰ بالرسول ﷺ إلىٰ المسجد الأقصىٰ، ليشير بذلك إلىٰ أن هذا المكان ملك للمسلمين، وأنه هو باب العروج إلىٰ السماء أو النزول من السماء إلىٰ الأرض ويربط الرسول ﷺ البراق بحائط البراق الذي غير اليهود اسمه اليوم لحائط المبكىٰ لكي يمحوا أي معلم للإسلام فيه، ويدخل الرسول ﷺ المسجد ليلاً وهو تحت إمرة الرومان ويجتمع الرسول ﷺ بأنبياء الله من لدن آدم حتىٰ عيسىٰ عليه السلام، وكأنهم يقولون له: إنك أنت من اليوم المسئول عن البشرية وتسلم هذه الأمانة داخل هذا المسجد ويقدمه جبريل عليه السلام ليؤم الأنبياء.

فائــدة:

يقول رسول الله ﷺ: «**لا يؤم الرجل في بيته إلا بإذنه**» (١).

معنىٰ هذا أن الرسول ﷺ هو صاحب هذا المكان، لأنه هو الذي أمَّ الأنبياء فيه للصلاة وهذا إقرار من جميع الأنبياء والرسل بذلك.

وتمـر الأيام ويأتي عمـر بن الخطاب ويحرك أربعة جيوش إلىٰ هذا المكان لتحريره بقيادة أعظم القادة في هذا الزمان وهو: (عمرو بن العاص، خالد بن الوليد، شرحبيل بن حسنة، أبو عبيدة بن الجراح).

وهذا هو المكان الوحيد الذي يحرك المسلمون إليه هذا الكم من الجنود.

وهو أيضاً المكان الوحيد الذي استشهد من أجله ١٥ ألف شهيد، و١٥ امرأة كانوا يدافعون من أجله منهم ٥٠٠٠ صحابي، مع العلم بأن إجمالي الشهداء في كل الفتوحات الإسلامية ٩٠٠٠، أما في فلسطين وحدها فبغلت جملتهم ١٥٠٠٠، بينما بلغ إجمالي الشهيدات في كل الفتوحات الإسلامية ٨ شهيدات، أما في فلسطين فبلغت جملتهم خمس عشرة شهيدة.

وعندما دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس ورآه اليهود عرفوه لأنهم يعرفون وصفه في كتبهم وقالوا قولتهم الشهيرة: «**هو هو هامته عالية، وثوبه ممزق**».

وقال عمر قولة تستحق أن تكتب في قلب ووجدان كل مسلم وتكون جزءاً من عقيدته وهي: «**نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله**».

---

(١) رواه مسلم، مساجد، ٢٩٠-٢٩١.

ومن المواقف التي سجلها عمر رضي الله عنه في التاريخ عند فتحه للمسجد الأقصى: رفضه الصلاة داخل كنيسة القيامة وذلك لأنه يعلم أنه لو صلى بداخلها فسوف يتخذها المسلمون مسجداً لهم من بعده فرفض الصلاة فيها احتراماً لمشاعر أصحاب الديانات الأخرى.

قصة صلاح الدين :

كان صلاح الدين شاباً عادياً كسائر شباب عصره، محباً لركوب الخيل والمبارزة واللهو والرياضة، ولم يكن له أي ميول دينية حتى جاء مصر وأحب مصر حباً شديداً وأحب الإسلام، وفهمه فهماً صحيحاً، وذات يوم رأى أحد الكفار المحتلين الصليبيين يطأ رأس أحد المسنين المسلمين برجله، فكان هذا الموقف بمثابة نقطة فاصلة في حياته، فأشعره ذلك بهوان الإسلام والمسلمين فقال كلمته المشهورة: «**والله لأفنين عمري في سبيل هذا الدين**».

تروي السيرة عن الرسول ﷺ حديثاً يسمى «متسلسلاً بالابتسام»، أي أن الرسول ﷺ قاله ثم ابتسم، فأخذه عنه الصحابة والتابعين كذلك، حتى وصل إلى نورالدين محمود، شيخ صلاح الدين فعلّمه له كذلك، وذات يوم كان صلاح الدين يروي هذا الحديث فلم يبتسم، فقال له نور الدين أكمل الحديث يا صلاح الدين، فقال له كلمته المشهورة أيضاً: «**كيف أبتسم والمسجد الأقصى أسير ؟.. والله إني أستحي من الله أن يراني مبتسماً وإخواني في فلسطين محاصرون**»، وكان صلاح الدين بهذا الفهم الصحيح يمر بين خيام جنوده فيسمع بعضهم يتسامرون ويضحكون فيقول: «**من هنا تأتي الهزيمة**»، ويسمع البعض الآخر يقيمون الليل ويقرأون القرآن فيقول: «**من هنا يأتي النصر**». بهذا الفهم وهذا الإخلاص استحق صلاح الدين وجيشه العابد القائم الصائم أن ينتصروا ويفتحوا المسجد الأقصى.

ويروى ان صلاح الدين لم يبتسم إلا عند موته..

فقيل له: لم تبتسم ؟ قال: الآن يبتسم صلاح الدين وقد حرر المسجد الأقصى.

ويموت وهو في سن ٥٨ عام، وآخر كلامه من الدنيا كان: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ويقيت الأرض مع المسلمين ١٣٠٠ عام حتىٰ بَعُدَ المسلمون عن دينهم وخُلِعَ الحجاب، واقْتُرفت السيئات، وتُرِكت العبادات فأرسل الله تعالىٰ علىٰ المسلمين الجيش البريطاني يحتلها ويدخل قائد الجيش الفرنسي علىٰ قبر صلاح الدين ويركله بقدمه ويقول: ها قد عدنا يا صلاح الدين، الآن انتهت الحروب الصليبية، ويدخل اليهود المسجد الأقصىٰ وينشدون: (محمد مات خلف بنات) إهانة للمسلمين وإذلالاً لرجال الأمة.

ويُرفع العلم اليهودي فوق المسجد الأقصىٰ، ويحرق المسجد الأقصىٰ عام ١٩٦٩م، ويمنع الماء عنه ويدمر ويصدق قول النبي ﷺ: «**توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**»، قالوا: أو من قلة نحن يا رسول الله؟

قال: «**لا بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله الهيبة من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**».

قيل: وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[(١)].

٤ ـ الحل والواجب لقضية الأقصى

١ ـ التوبة وترك المعاصي والرجوع إلىٰ الله وعلىٰ كل مسلم أن يأخذ بيد من يستطيع من أصدقائه علىٰ طريق الله تعالىٰ.

٢ ـ نشر القضية والعمل علىٰ إبلاغها لكل المسلمين وإحياء الأمل في نفوسهم.

٣ ـ مقاطعة كل البضائع اليهودية والأمريكية أو بضائع أي دولة تساند اليهود وتدعمهم ضد إخواننا في فلسطين.

٤ ـ الدعاء لله والإلحاح فيه بأن ينصرنا ويعيد إلينا المسجد الأقصىٰ، وقد وقف أحد الفلسطينيين متعلقاً في أستار الكعبة وقال: «اللهم إني أشكو إليك المسلمين نسونا حتىٰ في دعائهم».

٥ ـ التبرع واليقين أن النصر مع الإيمان والصبر.

---

(١) رواه أبو داود، ملاحم ٥، عن ثوبان برقم ٤٢٩٧، وأحمد في المسند ٢/ ٣٥٩، ٥/ ٢٧٨.

المبحث الثاني

حال القدس وفلسطين حالياً

يقول محمد إقبال: «على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إله إلا الله أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ المسجد الأقصى» (١) .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن اليهود وصفاتهم وأفعالهم وطبيعتهم التي تتمثل في :

أ ـ قسوة القلب :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : ٧٤). وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة : ٨٨) .

ب ـ المسارعة إلى الكفر :

وذلك من خلال جهلهم بالله تعالى فقالوا : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران : ١٨١) . ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة : ٦٤) . ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٠) .

---

(١) محمد إقبال في افتتاح المؤتمر الإسلامي عام ١٩٣٠م، نقلاً عن مجلة الأمة القطرية، العدد ٥٥ ، السنة الخامسة، رجب ١٤٠٥ إبريل ١٩٨٥م .

والسعي في تعيين إله خاص بهم: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨). وعبادة العجل: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (البقرة: ٥١). ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٨).

جـ - نقض العهد:

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٦٣)، ويتمثل ذلك في:

١ - **الطبيعة الجدلية:** ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (البقرة: ٦٧).

٢ - **الطبيعة التحايلية:** ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

٣ - **طبيعة الجبن:** ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ (المائدة).

د ـ الإفساد في الأرض:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) ﴾ (البقرة).

قلت : إننا لسنا هنا بصدد الحديث عن اليهود وصفاتهم وأفعالهم وطبيعتهم، ولكن المقصود أن نوضح للمسلمين بل وللعالم أجمع هذه الحقائق المدوية الواضحة وإيضاح قضية النصر والتمكين كما وردت في كتاب الله، ويتعين علينا أن نعرض واقع القضية، وإن شئت قل واقع الأمة، فالقضية الفلسطينية هي ترمومتر الأمة، فإذا اشتد عود الأمة اقتربت القضية من النصر، وإذا ضعفت الأمة خفت صوت القضية وحل الذبح والقتل والتشريد على المرابطين في القدس، وارتفع صوت الأنين وصرخات الألم وآهات المعذبين على أيدي أحفاد القردة والخنازير.

ما الذي يفعله اليهود في فلسطين؟

أيها المسلمون.. القدس تنادي.. أما ترون وجهي تشوه بالنجمة السداسية، داست على جبيني الدولة الإبليسية، والأرض هناك تشهد والجدران تنطق، والمآذن تصرخ والمنائر (جمع منارة) والمساجد تشتكي إلى الله من تدنيس اليهود لها.

تسعة عشر مسجداً في أنحاء فلسطين تحولت إلى حظائر للدواب والخنازير، ومخازن للأسمدة، وأندية للفنانين، ومتاحف للسواح ومطاعم. . وحانات للخمور ومراقص للهو. . **وخمسون مسجداً** تحولت إلى معابد لليهود يرددون فيها قولهم «يد الله مغلولة»:

﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ (آل عمران: ١٨١).

﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ (التوبة: ٣٠).

ويقولون: تعب الإله فاستراح في اليوم السابع. .

تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا.

وما زالوا يرتكبون عدداً من المذابح داخل وخارج الأقصى. . وقتلوا عدداً كبيراً من المصلين. . وما زالوا يحفرون تحت القدس الخنادق يريدون أن يسقط وأن ينهد البنيان والأساس. . حفروا حتى الآن ثلاثة عشر ألف متر تحت الأقصى. . وتجددت عملية الحفر في هذه الأيام من ناحية المغاربة. .

وما زالوا يحفرون. . ما زلنا نستعطفهم ونرجوهم ألا يحفروا. .

ولا شيء يحدث. . لأن اللغة هنا ليست إلا لغة القوة.

ما الذي تفعله الأنظمة الآن؟ (١)

إن الشجب والاستنكار والبكاء وحده لا يكفي لنصرة المسلمين لما وقعت مجزرة دير ياسين وصابرا وشاتيلا. . لو حولوا عواطفهم وعملوا عملاً جاداً وأعدوا برنامجاً عملياً أقله تربية الجيل على الجدية والشعور بالمسئولية والإنتاج والاهتمام بمعالي الأمور. . لو فعلوا ذلك لكنا نحصد اليوم ثمرة فعلهم، ولكنهم لم يقدموا

---

(١) قلت: الأنظمة (عربية كانت أو إسلامية) لأن الأمة بخير، وستظل، والدليل على ذلك ماحدث أثناء حرب الفرقان على غزة عام ٢٠٠٩م، فلقد خرجت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها مُندِّدة بما يحدث، ولكن الأنظمة حالت بينها وبين نصرة الأقصى.

للإسلام إلا الإفك والكذب، لقد تبوءوا من الذلة نزلاً ومن العار محلاً أرذلاً، وخفت صوت الأمة بعد أن نكلت الأنظمة الحاكمة الموالية لليهود بالفئة المؤمنة واعتقلت دعاة الجهاد، وصادرت أنفاس العباد، ومهدت لمنكر وترصدت لمعروف.

فأنظمة هذا حالها لا يُرجى منها إصلاح، وصدق رسول الله ﷺ: «**من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه**»(١).

ازدواجية الأمم المتحدة:

اسمعوا إلى أمريكا وهيئة الأمم المتحدة..

اسمعوا إلى البيت الأسود..

اسمعوا إلى الخونة وناقضي العهود.. يحلون ويحرمون كما يحلوا لهم.

حلال على الجبل الأسود أن يتحرر حرام ذلك على البوسنة.

حلال على كرواتيا أن تعلن دولة.. حرام على كوسوفا.

حلال على تيمور أن تنفصل.. حرام على الشيشان.

حلال على الهندوس أن يمارسوا الإرهاب.. حرام على مسلمي كشمير أن يمارسوا الجهاد.

حلال على اليهود أن يحتلوا فلسطين.. حرام على الفلسطينيين أن يرموا الحجارة.

معادلات كافرة لا تستحق الاحترام..

وازدواجية مقيتة لا تستحق الالتزام..

وديون متراكمة تستحق الانتقام..

يا أمتي.. انتبهي!! هل **لأمة العنكبوت** أن تحارب دون بيتها ولم نحارب نحن دون مقدساتنا؟ **أمة الدود** تدفع عن نفسها وتضحي في سبيل غيرها.. وقد تقاعسنا عن أن نضحي في سبيل ديننا ومقدساتنا كدودة القز..

---

(١) رواه ابن ماجة برقم ٢٢٥ من حديث أبي هريرة، وأبو داود، علم ١، والدارمي، مقدمة ٣٢، والترمذي، قرآن ١٠، وأحمد في المسند: ٢٠/ ٢٥٢.

اعندما يقدس اليهود مجرم مذبحة المسجد الإبراهيمي . . نقوم نحن بإبعاد قادة حماس . .

وعندما يقوم اليهود بقصف مخيم قانا . . نقوم نحن بتقبيل يد الهالك رابين .

وعندما يقوم اليهود بامتصاص الثروة المالية . . نقوم نحن بتزويدهم بالغاز .

وعندما يصفنا حاخامات اليهود بالأفاعي . . نصفهم نحن بأنهم رسل سلام .

وعندما يسعىٰ ويخطط اليهود لهدم المسجد الأقصىٰ . . نقوم نحن بالبناء في أبورديس . .

وعندما يقوم اليهود ببناء المستوطنات نقوم نحن بمقاولة البناء . .

وعندما يستبيح شارون حرمة الأقصىٰ علىٰ جثث ودماء الشهداء . . نصفق نحن بوجود ورقة رابحة جديدة علىٰ طاولة المفاوضات .

يا أمتي انتبهي !! توجه موشىٰ ديان وزير الدفاع إلىٰ حائط وأخذ يردد :

ماذا يردد ؟ إنه يردد : هذا يوم بيوم خيبر . . يا لثارات خيبر . .

هتفوا يقولون : ضع المشمش ع التفاح دين محمد ولىٰ وراح . .

ورددوا : محمد مات وخلف من بعده البنات .

كذب وربي . . إنه الخنزير الأجرب . .

لم تصدق اليهود إلا مرة واحدة: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (البقرة: ١١٣).

يا أمتي انتبهي!! هذا ما قاله زعيمهم :

إن أمام العرب في إسرائيل ثلاث خيارات :

١ ـ اعتناق الدين اليهودي . ٢ ـ الطرد خارج البلاد . ٣ ـ الإبادة التامة .

هؤلاء هم اليهود . . وهذا مسلسلهم . . إنه ذو النسب العريق في الجريمة . . حقد دفين أسود عبر عصور التاريخ . . فاليهود أسسوا دولة حقد وإرهاب وخيانة .

مع من أجرم اليهود ؟!

- أجرموا مع الله . . ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥).
- أجرموا مع كتاب الله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٨).
- أجرموا مع أنبياء الله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة: ٨٧).

يا امتي انتبهي !! هذا تاريخنا !!

في يوم قينقاع اعتدىٰ يهودي حقير علىٰ ثوب امرأة مسلمة فهبت سيوف الإسلام وخيوله، فما راع اليهود إلا وخيل المسلمين تحيط بهم من كل جانب، وسيوفهم تتلمظ لدماء اليهود والمعتدي، فلم ترجع كواكب الفرسان الثائرة إلا وقد ردت كرامة المرأة المسلمة.

وفي يوم عمورية أحرق المعتصم ٧٠ ألف جندي كافر لنصرة امرأة مسلمة . .

واليوم . . بنات المسلمين وشمس المكرمات هنا تغيب . .

تبيتُ كريمةً أختي وتصحو . . وقد ألغىٰ كرامتها الغريب . .

تُخبئ وجهها يا ليت شعري . . بماذا ينطق الوجه الكئيب . .

يموت الطفل في أحضان أمٍ . تهدده وقد جف الحليب . .

يا مسلمون !! إن القضية الفلسطينية ليست قضية دولة يرأسها فلان . .

إنها قبل كل شيء **قضية المسجد الأقصى** ..

إن فلسطين أرض لا يملك أي فلسطيني ـ فضلاً عن غيره ـ أن يتنازل عن قيد

شبر فيها، بل للمسلم في جزر المالديف، وفي زنجبار حق في فلسطين، إنها جاءت بدماء الصحابة والتابعين وبجيوش صلاح الدين . . إن فلسطين أرض أُخذت بالدماء . . فلن تعود إلا بالدماء .

من الذي يحرر المسجد الأقصى ؟!

سألنا وقلنا : يا قدس متىٰ اللقاء ؟

قالت : اللقاءإذا أطعتم رب الأرض والسماء . .

وأخلصتم في الدعاء . . وتدربتم علىٰ الجهاد صباح مساء . .

وتبتم من كل مفسدة وفحشاء . .

القدس إسلامية .. لذلك . . لا تنتظروا النصر من غيركم . . فلا يحرر الأرض . . ويحمي العرض . . إلا من أدىٰ الفرض . . وخاف من يوم العرض . .

مليار مسلم يقفوا بائسين أمام من قال الله فيهم : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ (البقرة : ٦٥) .

* لا يحرر فلسطين إلا طلاب العز بن عبد السلام، وتلاميذ عز الدين القسام .
* خمسون عاماً ما أخبرتنا هيئة الأمم عمن ظلم، وهدم الحرم، وخان القسم .
* فلسطين لا تعود بالكلام، ولا بحفلات السلام، ولكن بالحسام، وبضرب الهام، وبتمريغ الباطل في الرُغام .
* فلسطين لا تعود عن طريق الملحدين . . وإنما تعود تحت رايات الموحدين .
* هل تظن أن اليهودي العنيد، والإسرائيلي المريد، سوف يُطرد بمؤتمر مدريد؟ كلا وعزة الحميد المجيد . . لا يزول ذلك إلا بكتائب التوحيد . . أحفاد خالد بن الوليد .
* البيع قد جرىٰ . . والله اشترىٰ . . وها هو سوق القتال . . يقول هيا إلىٰ النزال : -

﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (التوبة : ١١١) .

البُشرى(١) ..

يا قدس ابشري. . فكتائبنا مع الصباح . . تنادي حي على الفلاح . . ليعود الحق إلى أصحابه . . والسيف إلى نصابه . . ولتعود الوديعة إلى واليها . . والطفلة إلى أبيها . . والدار إلى راعيها ﴿ **فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)** ﴾ (الروم).

أيها المسلمون: ستعود فلسطين وسيأتي ذلك اليوم الذي يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، فقد أخرج الشيخان عن أبي بكر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله: أي المساجد وضع في الأرض أول؟ قال: «**المسجد الحرام**»، قلتُ: ثم أي ؟ قال: «**المسجد الأقصى**». قلتُ: وكم بينهما ؟ قال: «**أربعون عاماً**».

يا إخواننا هنا وهناك: ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٣٩). ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

اصبروا . . فقد كشفت شمس الإسلام مخططات اليهود . . ولتعلم يهود أن هذه الأمة لم تُمكَّن أصلاً من مواجهة اليهود . . فإن شباب المسلمين تسيل دموعهم شوقاً إلى تحرير الأقصى، وإلى الجهاد في سبيل الله.

لا بد للأمة أن تعلم أن الهزائم المتكررة المعاصرة على يد يهود كانت هزائم أنظمة وليست هزائم شعوب . . هزائم رايات جاهلية ولم تكن الرايات رايات إسلامية . . ولكن سيأتي اليوم الذي يحارب فيه يهود الشعوب الإسلامية . . ساعتها وساعتها فقط سيولون مدبرين مذعورين يختبئون ولكن هيهات هيهات: ﴿ **وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** ﴾ (الإسراء: ١٠٤).

ويقول الشاعر تحت عنوان: ونحن الضحايا خلف أستار السلام . .

---

(١) والموسوعة ماثلة للطبع . . انتصرت كتائب المقاومة بقيادة حماس في غزة على اليهود في معركة الفرقان، وسال على الأرض دم الشهداء ليروي شجرة التحرير، وبعد أن قُتِلَ في هذه المعركة ما يقرب من ٤١٠ طفل بدأ يتخلق في رحم الأمة جنين الجهاد.

يا هيـئـة الأمم التي لا تُرتجي ... منهـا الإغـاثة إن وجـهك أغـبـرُ
يا هيـئـة الأمم التي لـم تتـحـد ... أين العـدالة إن طرفك أعـورُ
في أي شـرع غـاصب مـتـسلح ... ومـحـاصـر في داره لا يقـدر
والمسلمون بشجـبهم لا فعلهم ... ماذا يفـيد الشجب إن لم يُنصـروا
مـاذا يفـيـد المال إن لم يشتـروا ... بالمال رشـاشـاً يبيـد ويبـتـروا
مـاذا يفـيـد المال هم لـم يشـتكو ... جـوعـاً وعـرياً لا ولم يتـقـهـقـروا
لله درك أيـهـا الطـفـل الذي ... يرمـي الحـجـارة والمدافع تُذعـر
لله درك حـينمـا أرعـبـتـهـم ... والكف تحـمل صـخـرة لا عن كـرو
لله درك حـينمـا تـرم بـه ... والناظرون لرمـيـه قـد كـبـروا
إن اليـهـود وإن بغـوا في أرضكم ... مـثل النعـام بل النعـامـة أجـسـر
يتجـمـهـرون جـماعـة من هولهم ... وإذا رأوك وأنـت فـرد أدبـروا
لا لـم ينـالـوا منك إلا غـيلة ... أو حـيلة وبهـا الجـبـان يسيطر
أين الشـجـاعـة والضـحـايا نسوةُ ... أو عـزل والكف كف تغـدرو
خـمسون عـامـاً بل تزيد وعـزمكم ... مـا لان يومـاً لا ولـم تتـقـهـقـروا
صـبـراً فـإن النصـر آت إنه ... وعـد من الرب الكريم فـأبشـروا
إن الذي نصـر العـلا كـانوا قليـ ... ـلاً بالتـقى والكافـرون الأكـثـر
سيُـعـينكم إن انتم أخلصـتـمـوا ... هيـا اقـرءوا التـاريخ كي لا تفـتـروا
إن راح شـبل جـاء شـبل آخـر ... مـا أنـتم إلا أسـود تُزأر
فـالكل منكم درةُ ومـحـمـد ... إن القـعـيـدة كـالوقـود تسيـر
مـا دام يُرفع للجـهـاد شـعـارة ... لابد يومـاً أن نفـوز ويخـسـروا
لا نرتجي نصـراً سـوى من ربنا ... فـهـو المعين ومـا سـواه تنكر
إن وجـهـوا للظالمين وجـوههم ... إنا لـرب القـدس دومـاً ننظر

المبحث الثالث

حقائق حول القضية الفلسطينية

الحقيقة الأولى: من إعجاز القرآن والسنة.. زوال إسرائيل :

أولاً : زوال إسرائيل حتمية قرآنية (١) **:**

في هذا الكتاب يذكر **الشيخ : أسعد التميمي** . . أدلة قرآنية تتحدث عن زوال إسرائيل ، ويذكر الواقع الذي مرت به الأمة الإسلامية وكيفية الخروج من هذا الضعف والهوان والذل . . ويقول : بالرغم من حالة الضعف الشديدة والتبعية المقيتة التي تمر بها الأمة الإسلامية الآن ، واتحاد (اليهود والنصارىٰ) جميعاً علىٰ الأمة ، وتفرق شملهم إلا علينا ، إلا أن زوال إسرائيل حتمية قرآنية . .

ثانياً : القرآن يتحدث عن المستقبل:

يذكر الشيخ أسعد حديث القرآن عن المستقبل الذي يوضح حالة الضعف فيقول : ولما كان القرآن هو كتاب الله الخالد إلىٰ يوم القيامة ، ويتحدث عن مسيرة البشرية إلىٰ أن تلقىٰ ربها ، فمن البديهي أن يشير إلىٰ الأحداث الكبرىٰ في صراع المسلمين مع أعدائهم من اليهود والنصارىٰ .

وكم من الآيات التي نقرأها اليوم فنقف أمامها خاشعين لأنها ترسم صورة المجتمع الذي نعيشه ، كقوله تعالىٰ في سورة الأنعام : ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ** ﴾ (الأنعام : ٦٥) .

أليست هذه الآية واحدة من الآيات التي ترسم صورة ما عانته الأمة وما تعانيه

---

(١) زوال إسرائيل حتمية قرآنية ، للشيخ أسعد التميمي ، إمام المسجد الأقصى أولىٰ القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، طبعة المختار الإسلامي .

من فئات متباينة، وأحزاب متلاعنة، وحروب محلية، واستعمال للطائرات والقنابل والألغام بين الفئات المتحاربة من الأمة والواحدة؟

هذه الأسلحة الحديثة ﴿ مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ لم تكن معروفة وقت نزول هذه الآية، وهذا يدل على أن هذا القرآن هو معجزة الله الخالدة، ينبه الأمة لأن تسير طريقها السوي، وتمشي صراطها المستقيم، وإلا حل بها عذاب في دنياها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (السجدة: ٢١).

وحينما نقرأ آية أخرى من هذه الآيات التي تتحدث عن فترات زمنية قادمة بعد نزولها تمرض فيها الأمة مادياً، فتنصرف إلى التمتع بالملذات، والجري وراء الشهوات، والانغماس في الرذائل، وذلك نتيجة انصرافها عن عبادة الله، وعن الجهاد والذكر، وكيف أن ذلك سيؤدي بها إلى الهلاك والدمار، لأن الترف دائماً يمزق الأمم، ويهدم الحضارات، لأنه يُفقد الأمة صلابتها، ويقتل روح التحدي فيها فتستريح من تعب الجهاد، وتنام مسترخية، فيدب في جسمها التفسخ، وذلك حينما تُعرض عن الجهاد وعبادة الله التي خلقت من أجله، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ (الأنعام).

أرأيت إلى الصورة الإعجازية الربانية كيف ترسم الواقع الذي تعيشه البشرية الآن؟ التي أعرضت عن الله فلم تتوقف بينها الحروب المدمرة..

ففي القرن الماضي وقعت حربان عالميتان أصابت شرورهما الإنسانية جمعاء.

وفي القرن الماضي اندلعت كثير من الحروب المحلية التي دمرت البلدان التي اشتركت فيها.

وفي هذا القرن كثرت الزلازل والفيضانات وحوادث الصقيع والجليد التي يعطي الله بها الإنذارات للبشرية علها تعقل[1].

---

(١) راجع الحديث عن إعصار تسونامي في هذه الموسوعة.

ألم تر إلى نيويورك وهي أكبر عاصمة مادية في الكرة الأرضية، كيف نُهبت في ليلة واحدة سادها الظلام نتيجة لانقطاع التيار الكهربائي قبل بضع سنين.

والقوتان العظميان تحشدان الأسلحة النووية الفتاكة والأسلحة الجرثومية وتتفننان في اختراع ما يؤدي إلى هلاك البشرية، وهما في نفس الوقت يدعوان إلى الإلحاد وينشران الفساد فأعرضت البشرية تحت توجيههما عن ذكر الله.

فهل يحدث خطأ مقصود أو غير مقصود فتخرج هذه الأسلحة المخزونة من عقالها لتدمر البشرية؟

ونحن في العالم الإسلامي بدأنا نلحق بالبشرية الضالة، نلهث وراء الموضة ونقلد، بوعي وبدون وعي، نأكل ما يأكل الكفار، ونلبس ما يلبسون ونشرب من حلال أو حرام.. وأخذنا ننصرف عن الوحي، عن القرآن والسنة، وفي هذه الحقبة الزمنية فتح الله على البشرية أبواب كل شيء بحيث أصبحت الحياة سهلة ميسورة لا مشقة فيها ولا عنت.

الطعام يأكله الإنسان شبه مهضوم، واللباس يشتريه مخيطاً وكل يوم لباس جديد وموضة جديدة حتى سئم الإنسان من اللباس الفاخر فذهب يلبس اللباس القذر (الجينز) وكلما بهت لون القماش واتسخ كان ذلك علامة التقدم والرقي الحضاري حتى صدق فينا حديث رسول الله ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**[1] **، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.. قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن إذن»**[2].

وجاءت السيارات وتبعتها الطائرات، وتطورت وسائل المواصلات حتى صغرت الكرة الأرضية، وأصبحت في متناول الإنسان يرتادها في يومين أو ثلاثة أو في يوم أو في بعض يوم.

---

(١) القذة: هي ريشة الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركب في السهم يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان.. المعجم الوسيط.

(٢) ابن ماجة، فتن ١٧، وأحمد في المسند، جـ٣، وعند البخاري في صحيحه بلفظ: «لاتبعتموهم».

وجاءت الكهرباء ومشتقاتها: آلة تطبخ . . وأخرىٰ تغسل . . وثالثة ورابعة تكوي وخامسة وسادسة إلىٰ ما لا يعد ولا يكاد يحصىٰ .

وتفنن الناس في بناء القصور وزخرفتها وأصبح الديكور في البيوت يكلف أكثر من البيت نفسه .

ورأينا في **عواصمنا** نحن المسلمين بيوتاً تبنىٰ يسكن فيها زوجان يكفي ثمن الواحد منها لإطعام قرية جائعة .

وأصبح التفاخر بالأثاث الفاخر والديكور وبرك السباحة (حمامات السباحة) مجالاً يتنافس فيه المتنافسون .

والقرآن يصور حالة الترف هذه فكيف ونحن أمة مجاهدة نستسيغ لأنفسنا العيش في هذا الترف القاتل ولنتدبر هذه الآيات : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ (الإسراء : ١٦) . ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ (النحل : ١١٢) .

الحقيقة الثانية : تآمر اليهود والنصارى مجتمعين على المسلمين وأرض الإسلام:

فلقد تحققت المولاة بين اليهود والنصارىٰ في بداية القرن العشرين ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (المائدة : ٥١) .

ويذكر التاريخ أنه لم تحدث موالاة بين اليهود والنصارىٰ منذ أن جاء عيسىٰ عليه السلام بالنصرانية إلىٰ بداية القرن العشرين وأن العداء هو الذي كان بينهم ففي عقيدة النصارىٰ أن اليهود قد صلبوا المسيح وجاءت الآيات في الأناجيل الموجودة بين يدي النصارىٰ حالياً تحمل اليهود دم المسيح وأن اللعنة تلحقهم إلىٰ يوم القيامة .

ومن هنا تركزت العداوة بين اليهود والنصارىٰ عبر التاريخ واليهود لا يعترفون بالمسيح والنصارىٰ اتهمتهم بقتلة وصلبه .

ولكن فجأة تحدث الموالاة والتناصر بينهم وينسون الأحقاد التي كانت العلامة المميزة للعلاقات بينهم . فقد تعاونوا في أول القرن على عزل السلطان المظلوم عبد الحميد، رحمه الله، حين رفض أن يعطي اليهود امتيازات في فلسطين.

وكان اليهود في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقدوه بمدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧م قد اتخذوا قراراً بالاستيطان في فلسطين التي كانت جزءاً من الدولة الإسلامية العثمانية.

وذهبت رسلهم إلى مقابلة السلطان في استانبول ومن الذين ذهبوا لمقابلة السلطان: اليهودي قرة صو أفندي ورئيس المؤتمر الصهيوني هرتزل وقد عرض هؤلاء على السلطان في بادئ الأمر أن يسدد اليهود ديون الدولة العثمانية وأن يخصوا السلطان بخمسة ملايين ليرة عثمانية ذهباً.

ولكن السلطان، الذي كان على وعي تام بمخططات الكفار ضد بلاد المسلمين، وكان يحذر الواعين من الأمة من هذا التآمر، رفض العرض.

وظن اليهود أن الأمر يتعلق بقلة المبالغ التي عرضوها فأخذوا يرفعون الرشوة حتى بلغت الآتي:

تسديد ديون الدولة العثمانية وتعمير الأسطول العثماني، ومبلغ مئة وخمسين مليون ليرة ذهباً للسلطان شخصياً ولكن السلطان المسلم ـ رحمه الله ـ أخبرهم بان حفنة من تراب الأرض المقدسة تساوي أموال اليهود التي في الدنيا.

فقرر اليهود أن يتخلصوا منه فتعاونت المحافل الماسونية مع الحركة القومية الطوارنية واليهود الدونمة (الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر) مع النصارى وتم عزل السلطان عام ١٩٠٩م ونفي إلى سالونيك وأهين وعذب وشوهت سمعته رحمه الله.

وكان اليهود قد تعاونوا مع الإنجليز في أثناء الحرب، وكان وايزمان اليهودي عالماً كيماوياً فاستغل مخترعاته في أثناء الحرب، وكذلك البيوتات المالية اليهودية، مثل روتشيلد، استغلت حاجة بريطانيا لمخترعاته وأموالهم.

وكانت بريطانيا لا تزال العدو الأول للمسلمين فأعطت اليهود وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، وكان ذلك في أثناء الحرب وباتفاق مع أمريكا وينص الوعد على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وكان هذا أول تعاون بارز بين بريطانيا النصرانية واليهود.

وبعد الحرب العالمية الأولى أنشئت عصبة الأمم النصرانية، وفي سنة ١٩٢٢م أعطت حق الانتداب لبريطانيا النصرانية على فلسطين لتضع البلاد اقتصاديا وثقافيا وعمرانيا وسياسياً في وضع يتحقق منه إنشاء الوطن القومي اليهودي.

وبالفعل قامت بريطانيا النصرانية بهذا الأمر شر قيام، فعينت أول مندوب سام لها في فلسطين من اليهود وهو هربرت صمويل.

استمر **هربرت صمويل** مندوباً سامياً في فلسطين لمدة ست سنوات، وضع فلسطين خلالها في وضع يساعد على إنشاء الوطن القومي لليهود، فسن قوانين إباحة الهجرة اليهودية وتغاضى عن الهجرة اليهودية «غير الشرعية» وفرض ضرائب باهظة على الأرض حتى يضطر الفلاح العربي المسلم إلى بيعها، وأباح استيراد القمح من أستراليا وبيعه بأرخص من القمح الذي تنتجه أرض فلسطين، وحتى لا تقوم الأرض بتكاليفها وتكاليف معيشة الفلاح ومع هذا فإن هذه السياسة لم تنجح في أن يبيع أهل فلسطين أرضهم وبقوا متشبثين بها، بالرغم مما يردده أعوان اليهود وسماسرة الحكام من أمثال المدعو أنيس منصور رئيس تحرير مجلة (أكتوبر) المصرية الذي قال، بكل وقاحة، إن اليهود اشتروا فلسطين شبراً شبراً، حتى يبرر لسيده مناداته ببقاء دولة اليهود في فلسطين.

والواقع هو أن اليهود كانوا يملكون من أرض فلسطين ٢ في المائة حتى سنة ١٩١٨م وحتى ١٩٤٨م كان مجموع ما ملكه اليهود من فلسطين ٥ ـ ٨ في المائة حسب إحصائية الأمم المتحدة ولم يكن الـ ٣ ـ ٨ في المائة بيعاً من أهل فلسطين وإنما كان من الأراضي التي تملكها الدولة وأعطتها بريطانيا النصرانية لليهود، وبعض العائلات الإقطاعية التي كانت تمتلك قسماً كبيراً من شمال فلسطين وكانت تقيم في لبنان، ومنها عائلة سرسق وعائلة سلام، باعت أرضها لليهود[1].

---

(١) المصدر السابق، وسيأتي ذلك بالتفصيل في الفصل القادم.

مقاومة الشعب الفلسطيني :

وفي وسط هذا الضعف والهوان واتحاد الأعداء علينا إلا أن الشعب الفلسطيني أخذ يقاوم سياسة التهويد ويتشبث بأرضه فقام بالثورات المتلاحقة .

فكانت ثورة ١٩٢١م وثورة ١٩٢٩م حينما ادعىٰ اليهود ملكيتهم لحائط البراق وأنه من بقايا هيكل سليمان ، ثم ثورة سنة ١٩٣٣م ثم الثورة الكبرىٰ من عام ١٩٣٦م إلىٰ ١٩٣٩م ، حيث قام الشعب كله يصارع بريطانيا واليهود ويضرب المثل للدنيا في التضحية والفداء ، وقدم آلاف الشهداء وتعرض للتعذيب في السجون والمعتقلات .

وعاش الناس في إرهاب ولكن روح التحدي فيهم كانت عالية لم تستطع بريطانيا اقتلاعها أو تدميرها بالرغم من المشاكل ، وفي هذه الأثناء **انشات بريطانيا جيشاً لليهود**، أخذت تدربه وتسلحه باسم حرس المستعمرات (الهاغاناه) وكان هذا الحرس هو النواة الحقيقية لجيش دولة اليهود فيما بعد .

وكل رؤساء الأركان فيما يسمىٰ بجيش الدفاع اليهودي منذ عام ١٩٤٨م هم من ضباط هذا الفريق اليهودي مثل ديان ، وألون ويادين وغيرهم .

وهكذا عملت بريطانيا النصرانية بإعطاء اليهود كل ما يريدون وأكثر مما يريدون ، وأسست لهم دولة في أرض الإسلام واستمر التعاون بين اليهود والنصارىٰ في هذا القرن ، فأصدرت هيئة الأمم النصرانية ، وريثة عصبة الأمم ـ والتي أسسها الحلفاء المنتصرون لتقسيم مناطق النفوذ فيما بينهم قراراً بإنشاء دولة اليهود في فلسطين عام ١٩٣٧م . أ . هـ

وبعد هذا القرار زحفت كتائب الإخوان من مصر ومن كل مكان لتلتقي مع كتائب عز الدين القسام .

ولقد قال لي الحاج : إبراهيم سلمون رحمه الله،

وكان من كتائب الإخوان في تحرير فلسطين :

وصلنا إلىٰ المسجد الأقصىٰ وكنت حارساً علىٰ إحدىٰ مداخله وأغلقت الطريق ، وأراد القنصل البريطاني أن يعبر فرفضت وأوقفته ومنعته من المرور وقلت

له : لن تمر من هنا إلا إذا جاءني أمر من قيادتي بذلك فاتصل بالقيادة التي أمرتني بالسماح له بالمرور ، وإن هي إلا أيام قليلة ووجدنا الجيوش العربية تحاصرنا ، وحدثت الخيانة من هذه الأنظمة العميلة لصالح اليهود .

فحاصرتنا هذه الجيوش تماماً ومنعت عنا كل شيء . . ونحن كنا قاب قوسين أو أدنى من النصر وكان من الممكن لهذه الجيوش أن تقف فقط بجوارنا وتجني هي ثمرة النصر حتى ولو نسبت هذا النصر لنفسها .

والذي حدث من هذه الجيوش أنها قامت بترحيلنا وبدا اليهود ينتشرون في فلسطين ويسومون أهلها أشد ألوان العذاب والاضطهاد .

ولكن . . الجهاد لم ولن يتوقف أبداً . . فمسيرة الجهاد من يومها إلى الانتفاضة الفلسطينية إلى **الشيخ احمد ياسين** . . ود. **عبد العزيز الرنتيسي** إلى **حركة المقاومة الإسلامية حماس** التي اختارها الشعب المسلم .

وبدأ التغيير المنُتَظر..

ومن مظاهر هذا التغيير . .

١ - أخذت الفئة القليلة المؤمنة تتطلع نحو السماء وتسجد متضرعة إلى الله ، ومن هذا الوضع اليائس تأتي الآيات التي نحن بصددها فتعطي أملاً للحائرين ، وتبشر المؤمنين بان الله سبحانه وتعالى سيغير الأمر بحكمته حيث يقول : ﴿ **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ (المائدة : ٥٢) .

وعسى للترجي . . ولكنها في حق الله لليقين ، والفتح هنا الفصل والحكم ، كما قال الله تعالى : ﴿ **قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** ﴾ (الأعراف : ٨٩) .

أي افصل واحكم إذ أن الآية تتحدث عن المولاة بين اليهود والنصارى حيث

لم يكن اليهود والنصارىٰ في مكة، ولم يحدث تعاون بينهم.

وأيضاً: هذه الآية قد نزلت بعد فتح مكة، لأن سورة المائدة من أواخر سور القرآن نزولاً فقد روت عائشة رضي الله عنها، قالت: «آخر ما نزل من كتاب الله سورة المائدة فأحلوا حلالها وحرموا حرامها».

وليس المراد فتح بلاد المشركين كما قال بعض المفسرين أيضاً، إذ إن عملية الفتح الإسلامي بدأت في بلاد الوثنيين والصابئة كبلاد فارس والهند أو في بلاد النصارىٰ كبلاد الشام ومصر.

ولم يكن هناك تعاون في أثناء الفتح الإسلامي بين اليهود والنصارىٰ، ولذلك تعين المعني أن الفتح هو الفصل والحكم وأن الله سيفصل في الأمر بين الفئة المؤمنة وبين المتسلطين من الحكام علىٰ بلاد المسلمين الذين تعاونوا مع اليهود والنصارىٰ(١).

وفي الآية إشارة إلىٰ أن أرضاً من أرض الإسلام ستسترد من اليهود والنصارىٰ بعد أن استولوا عليها حيث سيفتحها الله علىٰ أيدي المؤمنين: ﴿ **فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ** ﴾. و ﴿ أَوْ ﴾ هنا ليست للتخيير لأن ﴿ أَوْ ﴾ معانيها ثلاثة فهي تأتي للتخيير، أو لمجرد العطف، أو للإجابة، و ﴿ أَوْ ﴾ هنا لمجرد العطف حيث التخيير في حق الله لا يجوز لأن الله يعلم ما يريد.

ولذلك يتحدث الله في الآية عن ﴿ الْفَتْحِ ﴾ وأمر من عنده يغير واقع المسلمين المرير ويفسد به علىٰ الفئة التي والت اليهود والنصارىٰ أمرها.

و﴿ الْفَتْحِ﴾ الذي أشارت إليه هذه الآية سيأتي قريباً بإذن الله، وأمر الله بدأ يمهد الدرب للنصر المرتقب وعلامته هذه الظاهرة العجيبة التي بدأت في كل بلاد المسلمين بعودة الشباب المثقف إلىٰ الإسلام فجأة بعد أن يئس من الأيديولوجيات المستوردة ـ والتي ما رأت الأمة في ظلها إلا الهزائم المتلاحقة والتجزئة والفرقة ـ ففكر تفكيراً جيداً فاهتدىٰ إلىٰ الله، وأصبحت هذه الظاهرة موضع بحث في العالم الكافر كله وفي العالم الإسلامي أيضاً.

---

(١) زوال إسرائيل.. الشيخ أسعد، مصدر سابق.

ولقد أصدر الرئيس الأمريكي كارتر إلى رجال مخابراته أمراً بدراسة هذه الظاهرة وألفت كثير من الجامعات لجانا لدراسة هذه الظاهرة، وهم يعلمون أن الأمر يتعلق بمرحلة أخبرت عنها الآيات والأحاديث وصدق رسول الله ﷺ الذي قال: **«قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»**(١) .

٢ ـ **فشل الكمالية والكماليين**(٢) ، فبعد خمسين عاماً لم يستطع أن ينتزع الإسلام من تركيا أو ينزع تركيا من الإسلام وبدأ مارد الإسلام يتململ وينفض غبار التاريخ تمهيداً لعودته إلى قيادة المسلمين وتوحيدهم ولم شملهم ثم ينطلق لينقذ البشرية من جحيم حياتها ومن انهيار القيم فيها وليعيد الهدوء إلى نفوس الناس والاستقرار والطمأنينة.

والسؤال: على من تقع مسئولية إنقاذ البشرية؟ (٣)

الواقع أن المسئولية في هذا كله تقع علينا معشر المسلمين، فنحن أصحاب الكتاب الأخير وأتباع النبي الخاتم والذين جعلنا الله خير أمة مكلفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ولكن كيف يتم ذلك وكيف نقوم بذلك و (**المنكر**) في بلاد المسلمين أصبحت له قوانينه وتحميه الأنظمة وتدافع عنه الجيوش، و (**المعروف**) في بلاد المسلمين مضطهد أهله، محارب أصحابه.. يستهزأ به في مجالس وصالونات الذين صنعوا الهزيمة، وما ذقنا على أيديهم إلا الذل والصغار، ولكن هذا المنكر والأنظمة التي تحميه والقوى التي تدافع عنه مرض عارض في تاريخ أمتنا، عوقبنا به ولن يستمر طويلاً!

---

(١) رواه أحمد في المسند ٢/ ١٧٣ .

(٢) الكمالية والكماليين : يقصد المؤلف بها اليهودي مجهول الأب (مصطفى كمال أتاتورك) المصدر السابق.

(٣) من مظاهر التغيير أن تعرف الأمة مسئوليتها ، فإذا عرفتها اتجهت نحوها، وحررت البلاد والعباد.

إن الأمة بدأت تتعافىٰ من المرض، وتصحو من الغيبوبة، وتستيقظ علىٰ الحقيقة ولا أعنىٰ بالأمة كما قلت سابقاً هذه الجماهير التي تشغلها لقمة العيش عن التفكير، وليس لديها المقدرة علىٰ التحليل وهي تأخذ الأمور بظواهرها، ويسوقها حكامها إلىٰ حتفها وهي تضحك، وإلىٰ المجزرة وهي تصفق، وإلىٰ الهزيمة تلو الهزيمة وهي تهتف للزعيم أو تقدس الحزب.

وإنما أعني بالأمة القلة الواعية والفئة المؤمنة التي بدأت تعود إلىٰ القرآن(١)، تستفيق فينير لها جنبات قبرها ويضيف لها ما يقع عليه بصرها.. هذه القلة التي عناها الله بقوله: ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ (١٤) ﴾ (الواقعة). وقوله: ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ (٤٠) ﴾ (الواقعة).

فإذا عرفت هذه الفئة أو الثلة كيف تأخذ الزمام، وتمسك بالخطام، عادت أمتنا سيرتها الأولىٰ، تصعد المجد من جديد، تحت راية واحدة وقيادة واحدة، وتدخل مع الكفر في المعركة المحتومة: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٣). ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف: ٨).

ثانياً: نهاية إسرائيل محتومة(٢):

تحت هذا العنوان يقول د. حمدي والي: بنفس جريحة وكبد مقروحة تابعت المحرقة البشعة التي أشعلها اليهودي الحاقد وعصابته الملعونة من أحفاد القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وتمنيت لو أسعفتني عيني بالبكاء لتخفف عني بعض ما أجد من لذعة الألم وحرقة الكمد ولوعة الأحزان، وأمام بشاعة المأساة لم أجد لي مفزعاً إلا إلىٰ كتاب الله أقلب صفحاته وأبرد لهب قلبي في روضاته فكان لي ـ برحمة الله ـ ما أردت ووجدتني أسبح في ظلال الآيات الأولىٰ من سورة الإسراء في قوله تعالىٰ:

---

(١) هذه الفئة قال عنها الإمام حسن البنا رحمه الله: «أنتم روح جديدة تسري في كيان الأمة فتوقظها من سباتها».

(٢) د. حمدي والي، مجلة الأزهر، ربيع آخر ١٤٢٣ هـ، يوليو عام ٢٠٠٢م بتصرف.

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) ﴾ (الإسراء).

وأعدت قراءة الآيات في تدبر ومهل، وتوقفت بعد كل آية كمن يستحلب في فمه طعماً لذيذاً يخشىٰ عليه الانتهاء ووقفت عند أول كلمة في الآيات وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَضَيْنَا ﴾ فوجدتها في لسان العرب بمعنىٰ: عهدنا وأنهينا وأبلغنا ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ (الحجر: ٦٦). أي أعلمناه فعلمت أن هذا الإفضاء والإبلاغ كان إلىٰ بني إسرائيل في كتابهم عن طريق نبيهم موسىٰ عليه السلام وهو إعلام لهم بما سيكون من أمرهم في مستقبل أيامهم.

ورجعت استأنس بقلم صاحب الظلال - رحمه الله - فوجدته يقول: «وهذا القضاء إخبار من الله ـ تعالىٰ ـ بما سيكون منهم، حسب ما وقع في علمه الإلهي من مآلهم، لا أنه قضاء قهري عليهم، تنشأ عنه أفعالهم فالله ـ سبحانه ـ لا يقضي بالإفساد علىٰ أحد، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٨).

إنما يعلم الله ما سيكون علمه بما هو كائن وما سيكون ـ بالقياس إلىٰ علم الله ـ كائن وإن كان بالقياس إلىٰ علم البشر لم يكن بعد، فلم يكشف عنه الستار».

ثم يقول صاحب الظلال: «ولقد قضىٰ الله لبني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه لموسىٰ أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، وأنهم سيعلون في الأرض المقدسة ويسيطرون وكما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإفساد سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم، ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميراً» (١).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، جـ٤ ص ٢٢١٣، الطبعة السابعة، دار الشروق.

ووجدتني أمام هذا الكشف الإلهي لما سيقع من هؤلاء القوم في مستقبل أيامهم، أستروح نسمات الأمل في عدل الله الذي قامت عليه السموات والأرض وأجد طعم الراحة وبرد اليقين فقد أدركت أن وراء هذا الإفساد والإهلاك والإحراق الذي أوقعه هؤلاء المجرمون بأهلينا في فلسطين، مصيراً مخيفاً قد وصلوا إليه بأيديهم واستوجبوا إيقاعه بهم، ونزوله بساحتهم فكان عزائي عن ألم الثكل ولوعة الحزن والقهر، وهو أن هذه المشاهد الرعيبة والأحداث الرهيبة كانت شرطاً ضرورياً لكي يتحقق وعيد الله، وينزل بهم عقابه وعذابه.

لكنني افقت من تلك اللحظة الجميلة المريحة على خاطر يقول لي: لقد كان ذلك تاريخاً قديماً مضى وتلك أمور قد تحققت وانقضت على مدى تاريخهم الطويل، وشعرت لهذا الخاطر بانقباضة في صدري، ورحت أستنطق القرآن وأستشهد التاريخ فوجدت القرآن قد حدد الإفساد بمرتين اثنتين: الأولى والآخرة، ولم يقل الأولى والثانية لتشعر أن بعدها ثالثة ورابعة.

ومن يدقق النظر في الآيات ويحسن التأمل في التاريخ يجد أن هذا الإفساد لا يقع منهم إلا بعد علو وتمكين بحيث يمكنهم من قهر غيرهم وتدمير حياتهم بصورة يشعر بها أهل الأرض جميعاً ويجدون أثرها ألما في نفوسهم ومرارة في حلوقهم وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ فهي الأرض كلها وما كان لبني إسرائيل أن يوقعوا ذلك الإفساد وهم طوائف مقطعة في الأرض إذ سيكون فسادهم عندئذ محصوراً بحدود إمكاناتهم كطائفة تحكمها دولة وهذا يؤكد أن كل مرة من الإفساد لابد أن يسبقها علو وتمكين وهؤلاء اليهود لم تقم لهم دولة.

في تاريخهم كله إلا مرتين اثنين. المرة الأولى بعد خروجهم من التيه ودخولهم الأرض المقدسة وإقامة دولتهم الأولى على يد نبي الله داود عليه السلام وبدؤوا في الإفساد.

ولقد سجل القرآن عليهم بعض جرائمهم التي لو انفردت منها جريمة لكانت كافية لإبادة أمة كاملة، وهل هناك جريمة أعظم من الشرك بالله وعبادة العجل من دون الله فبرغم وقوع المعجزات وتواتر الآيات، وظهور البينات من فرق البحر، ومعجزة العصا وتفجر الحجر ـ إثنتي عشرة عينا ـ على عدد أسباطهم ـ ورفع

الجبل فوقهم كأنه ظلة ـ وإحيائهم بعد موتهم ـ كل ذلك لم يُلن قلوبهم، ويهز أفئدتهم ليعلنوا التوحيد الخالص لربهم، وإنما مالت قلوبهم إلىٰ عبادة العجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩٣).

لقد منحهم نعمة فجحدوها، وأخذ عليهم عهوده فغدروها، وأنزل عليهم كتبه فحرفوها وبدلوها، وأرسل إليهم رسله فكذبوهم وقتلوهم.

فاستحقوا غضب الجبار ولعنته، واستوجبوا عذابه ونقمته، قال تعالىٰ يعدد بعض جرائمهم: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) ﴾ (النساء).

ومصائب هؤلاء المجرمين في كتاب الله مشهورة معلومة، ولهذا فقد عاملهم الله بعدله فسلط عليهم من عباده قوماً أشرار سفكوا دماءهم، وخربوا ديارهم، ونهبوا أموالهم وسبوا نساءهم ورجالهم وذرياتهم، وهم البابليون أتباع بختنصر ومن يومها لم تقم لهم قائمة.

ولم تجتمع لهم كلمة ـ ولم تعلن لهم دولة ـ إلىٰ أن جاء هذا العصر فرأينا اجتماع كلمتهم وقيام دولتهم، وتداعيهم إلىٰ الأرض المقدسة، مرة أخرىٰ وتهيؤ الأسباب لهم، باجتماعهم وتفرقنا ـ وقوتهم وضعفنا.. فعلمت أننا أمام قول الحق ـ سبحانه وتعالىٰ: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾..

وظهر لي واضحاً جلياً أن الإفساد الأول قد وقع عندما قامت دولتهم الأولىٰ، وأن الإهلاك الأول قد حدث عندما أفسدوا في الأرض، وأن الله اختار عباداً له من البابليين والآشوريين فكانوا عصا قدرته ـ وأداة نقمته.

ثم شاء الله تعالىٰ أن يتم وعده لكي يقع وعيده بإيقاع الإفساد الثاني، أو المرة

الآخرة كما وصفها القرآن الكريم، فهيأ لهم أسباب التمكين، ورد لهم الكرة على من حولهم، وقد حدد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ مظاهر القوة في تلك الكرة في عناصر ثلاثة: في المال والبنين والسلاح: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ (الإسراء: ٦).

ومن يتأمل الآية الكريمة يجد مصداق ذلك فيما جرت به الأقدار في عصرنا هذا، فقد رد الله لليهود الكرة، وسخر لهم من يمدهم بالمال، فتدفقت الأموال عليهم من أبناء جلدتهم، ومن أهل دينهم، بل إن الأموال لتصل إليهم من أيدي أعدائهم، سواء علموا بذلك أم جهلوا، أرادوا ذلك أم كرهوا، عن طريق بيوت المال العالمية التي أحسن اليهود التسلل إليها، والسيطرة عليها.

ولو رأيت براعتهم في إدارة المال، واستحداث الأنظمة الربوية، حتى تحولت أموال العالم إلى جيوبهم ـ لأدركت مصداق قوله تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ﴾ وإذا تأملت سيول المستوطنين اليهود وهي تتدفق إلى أرض فلسطين أفواجا وجماعات وغالبهم من الشباب، الذين هم في سن العمل والإنتاج، والكثرة الساحقة منهم من الرجال ذوي التخصصات الدقيقة والنادرة: كعلوم الذرة، والفيزياء، والرياضيات وغيرها، أدركت مصداق إمدادهم بالبنين، أما تفوق اليهود العسكري وقدرتهم على صنع أعقد الأسلحة، وأشدها فتكا، وترسانتها النووية التي تباهي بها العالم فهو أكبر دليل على تحقق قوله تعالى: «وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً» والنفير كما نعلم هو آله الحرب.

لكن الجديد الذي نلحظه في قضية نهاية اليهود: هو أن يأتوا من أنحاء الأرض إلى فلسطين وأن يكون مجيئهم في صورة جماعات، وأن يكون مجيئهم ذلك علامة على قرب نهايتهم، وتحقق وعيد الله فيهم وهو ما نجده واضحاً جلياً في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء: ١٠٤).

في لسان العرب: جمع ملتف (مجتمع ملتف من كل مكان) ليكونوا هدفا للإهلاك والتدمير على يد عباد الله يُسلطون عليهم، فيقهرونهم ويجبهون وجوههم

بالمساءة والذل، ويدمرون ما يغلبون عليه من مال وديار، ويدخلون المسجد الأقصى ويحررونه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** ﴾ (الإسراء: ٧).

وهو ما نراه في أرض المعراج الطاهرة المباركة من ظهور فئة من المجاهدين الصادقين المخلصين باعوا أنفسهم لله واشتروا بها الجنة وأقبلوا على ربهم في عرس ملائكي طاهر فأصابوا إسرائيل بالذعر، وأوقعوا بقلوبهم الرعب.

وأظهر الله على أيديهم المعجزات وأظهر فيهم الكرامات ورأينا فيهم مصداق حديث رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي: تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»(١) .

وأقول: إن بني إسرائيل تم ذكرهم في القرآن الكريم كثيراً، ولكن الذي كان يذكر من تاريخهم مراحل معينة تناسب السورة التي فيها الحديث عنهم.

أما في سورة الإسراء فإنها السورة التي ذكرت تاريخ اليهود كاملاً من بدايته إلى نهايته وفي آيات قليلة من ١ : ٨ وذكرت ما سوف يحدث منهم وما سوف يحدث لهم في إعجاز رائع.. ولست مع من يحاول أن يثبت أن المرتين تمتا أو تمت واحدة والأخرى لم تتم والمهم الذي أراه أن الله ذكر قاعدة عامة: ﴿**وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا**﴾، أي كلما عدتم إلى الإفساد أيها اليهود سوف نسلط عليكم من يقتلكم ويشردكم، حتى إذا كانت الآخرة يعني النهاية اجتمعتم ﴿**لَفِيفًا**﴾ ليسهل القضاء عليكم تماماً.. وإنا بموعود الله لواثقون..

ثالثاً: أحاديث رسول الله ﷺ التي تؤكد زوال إسرائيل:

قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق إلى**

(١) رواه البخاري، جهاد ٩٤، ومسلم، فتن ٨٢ .

أن تقوم الساعة». وفي رواية أخرىٰ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم**»، قيل: ما هم يا رسول الله؟، قال: «**ببيت المقدس أو بأكناف بيت المقدس**»(١).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»(٢) .

والحجر قد يكون «خنادق أو دُشماً أو تحصينات أو ستائر خرسانية»(٣) .

والغرقد شجيرة صغيرة كثيفة الأغصان تزرع الآن في كل أنحاء فلسطين ولايزال أهل (النقب) بفلسطين يسمونها (الغرقد) ولها أسماء أخرىٰ في بقية أنحاء فلسطين، ويزرعها اليهود بأيديهم.

وهذا هو السبب في أنه لم تنجح المحاولات لتثبيت دولة اليهود، وذلك أنه منذ عام ١٩٨٤م وكل محاولة للصلح وتثبيت دولة اليهود يفشلها اليهود أنفسهم، وذلك لأن اليهود لا يعالجون أي أمر إلا بالحقد والتآمر والخديعة.

ويقرر الله أن لا عقل عندهم فيقول تعالىٰ: ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ** ﴾ (الحشر: ١٤).

وذلك كله يجري حتىٰ يأتي اليوم الموعود يوم تتخلص المعركة من الأيديولوجيات المنافية للإسلام، وذلك أن الرسول ﷺ قد أخبر بأن الحجر والشجر سينطق ويقول: «**يا مسلم يا عبد الله خلفي يهودي فتعال فاقتله**».

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٢٦٩ (سبق تخريجه).

(٢) رواه البخاري ومسلم، وهما روايتان عن أبي هريرة ولهذا الحديث أيضاً أربع روايات عن عبد الله بن عمر (سبق تخريجه).

(٣) نهاية إسرائيل والصهيونية، عبد الحميد واكد، مطابع البلاغ.

إذن لن يكون قتال النصر في فلسطين قتالاً يمينياً ولا يسارياً، وإنما سيكون قتالاً إسلامياً(١) **في سبيل الله**، كما كان دائماً قتال النصر للمسلمين .

ولذلك لا عجب ان لا ننتصر على اليهود حتى الآن، لأننا لم نقاتل بالإسلام فلو انتصرت الأنظمة العربية لكذب القرآن لأنها أنظمة فاسدة تبيح الربا، وترخص للزنا والخمر والميسر، ولا تستعد لقتال عدوها، وقد ألغت الجهاد من حياتها وبرامجها، ويعيش الحكام جميعاً حياة غير إسلامية .

وكان من المستحيل أن تنتصر الثورة الفلسطينية بوصفها الذي هي عليه لأنها لم تتخذ الإسلام طريقاً وأسلوباً ومنهجاً، والله يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ (محمد: ٧). فما نصروا الله حتىٰ ينصروا (٢) .

رابعاً: الأقوال التي تؤكد زوال إسرائيل :

١ ـ **من أقوال علمائنا: يقول الشيخ الشعراوي** ـ رحمه الله ـ في خواطره لقول الله عز وجل: ﴿ **وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** ﴾ (الإسراء: ١٠٤) : « هذه الآية تدل على نهاية إسرائيل، فهم الآن أصبحوا يتجمعون من كل مكان ويأتون جماعات إلى أرض فلسطين. . علينا ألا نحزن لذلك. . بل نعلم أن ساعة النصر قد اقتربت لأن الله تعالى يأتي بهم جميعاً إلى هذا المكان في فلسطين حتى يسهل القضاء عليهم جميعاً ولا تقوم لهم قائمة بعد ذلك، فهم يتجمعون الآن من كل مكان تنفيذاً لوعد الله تعالى، فهذه الآية إنذار لليهود، وبشرىٰ لنا باقتراب ساعة النصر» .

٢ ـ **من أقوال اليهود: يقول الهالك إسحاق رابين رئيس وزراء اليهود الأسبق**: «إذا اتخذت القضية الفلسطينية الصفة الإسلامية انتهت إسرائيل»، ولذلك قاموا بعمل خطة لمحاربة الإسلام حتىٰ تقوم دولة إسرائيل وساروا فيها كالآتي :

---

(١) وهذا هو السبب من يوم أن اختار الشعب الفلسطيني حماس للحكم، ووجدنا العالم كله وبخاصة الأنظمة العربية تحاصر فلسطين حصاراً اقتصادياً رهيباً، فمنعوا المعونات، وصادروا التبرعات التي تبرع بها المسلمون في العالم. . وذلك علناً بدون مداراه .

(٢) نهاية إسرائيل، الشيخ أسعد .

أ ـ حُورب علماء الإسلام في أرزاقهم وتمت الإساءة إليهم بكل وسائل الإهانة .

ب ـ إبعاد كل ما له علاقة بالإسلام عن الساحة ، حتى الكلمات التي لها علاقة بالإسلام منع استعمالها في المعركة . .

* فكلمة الجهاد استُبدلت بالكفاح والنضال .
* وكلمة الكفار استُبدلت بالاستعمار .
* وكلمة اليهودية استُبدلت بالصهيونية .

جـ ـ قضية فلسطين تعرضت لمؤامرة كبيرة منذ بداية القرن الماضي(١) .

فقد كانت قضية فلسطين قضية إسلامية ، ثم أصبحت عربية ، ثم أصبحت قضية فلسطينية ، ثم ضيق عليها أكثر فقيل أنها تخص الفلسطينيين الذين يعيشون داخل فلسطين المحتلة ، وكأن الفلسطينيين الذين يعيشون في الشتات لا علاقة لهم بهذه القضية . . أما اليوم فإن حماس تريد أن تعيد القضية إلى دائرتها الواسعة الرحبة وعمقها الاستراتيجي ، وبالتالي فهي **قضية فلسطينية عربية إسلامية** ، فضلاً على أنها قضية إنسانية .

ويوضح **إسماعيل هنية رئيس الوزراء في حكومة حماس**، ذلك بقوله : «باختصار فلسطين هي هم كل مسلم حر أبيّ أينما وجد ، وهذه القضية تسكن قلبه لأن فيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ» .

خامساً: ثوابت القضية الفلسطينية (٢) :

١ ـ فلسطين هي أرض وقف إسلامي وملك لأجيال المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٢ ـ المقاومة والجهاد هما الطريق الأنجع والأسلم والأقصر لتحرير فلسطين المباركة .

---

(١) مجلة الرسالة (مركز الإعلام العربي) العدد ٢٣ ، الطريق من هنا ، د. علي بن عمر بادحدح ، عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز .

(٢) المصدر السابق .

٣ ـ قضية فلسطين ذات عمق عربي وإسلامي وليست قضية الفلسطينيين وحدهم.

٤ ـ الصراع مع العدو الصهيوني ليس صراع حدود بل هو أعمق من ذلك وأبعد إنه صراع عقدي حضاري.

المبحث الرابع

فتــاوى وحقائــق

أولاً : بيع الفلسطينيين أرضهم لليهود حقيقة أم افتراء؟ (١)

يُعد هذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي يجب على الفلسطينيين(٢) ، وخصوصاً المتعلمين والمثقفين منهم أن يفهموه جيداً، وأن يحفظوا حقائقه وأرقامه، و ذلك للأسباب الآتية :

١ ـ أن كثيراً من أبناء الشعوب العربية قد صدقوا الإشاعات التي نشرها اليهود، وروج لها أعوانهم، وأهمها : أن الشعب الفلسطيني باع أرضه لليهود، فلماذا يطالبنا بتحرير أرض قبض ثمنها؟! وقد تعرضت أنا شخصياً لهذا السؤال مرات عدة، وفي بلدان عربية مختلفة ووجدته أكثر انتشاراً في البلدان التي يرجى منها أن تفعل شيئاً من أجل تحرير فلسطين.

٢ ـ إن مصدر هذه الإشاعة كتاب كتبوا في أكثر الصحف العربية انتشاراً ونشروا أكاذيب كثيرة شوهوا فيها صورة الفلسطيني بهدف أن يفقدوا شعوبهم الحماس لفلسطين وبلغ بهم الكذب حداً امتهنوا فيه جيوشهم فقالوا : إن الفلسطينيين يبيعون الضابط العربي لليهود بخمسة جنيهات والجندي بجنيه واحد.

٣ ـ إن العديد من الصحف العربية الرسمية مازالت إلى اليوم منبراً لكتاب وضعوا أنفسهم في صف أعداء الأمة، وهم لا يملون من مهاجمة الفلسطينيين

---

(١) غزة في ١٥/ ١/ ٢٠٠٤م د. خالد الخالدي، بحث نشره على شبكة المعلومات.

(٢) هذا البحث يجب أن يعرفه جميع أبناء الأمة حتى تتلاشى المعلومات المغلوطة المنتشرة بين أبناء الأمة والتي أصابت بعضهم بالفتور تجاه قضية فلسطين.

وتشويههم وقد قرأت مقالاً لكاتب معروف في صحيفة عربية مشهورة يُهاجم فيه الفلسطينيين الذين تعاطفوا مع العراق أثناء تعرضه للهجوم الأمريكي، يقول فيه بالحرف الواحد: هذا الشعب الوضيع الذي باع أرضه لليهود.

٤ ـ إن هذه التهمة تتردد حتى في أوساط المثقفين وكنا نسمع ذلك أثناء مناقشات مع مثقفين عرب يعملون في السعودية ودول الخليج، ومن ذلك قول أحدهم: نعمل لكم إيه كل ما نحررها تبيعوها كل ما نحررها تبيعوها.

٥ ـ إن مروجي هذه الإشاعة ينشطون عندما تشتد مقاومة الشعب الفلسطيني لليهود، بهدف قتل أي تعاطف شعبي عربي مع الفلسطينيين.

٦ ـ إن الشعب الفلسطيني يحمل لواء الجهاد والمقاومة منذ أكثر من ثمانين عاماً، وقدم مئات الألوف من الشهداء، ومازال يقدم، ويقف وحده في الميدان صامداً صابراً مجاهداً بالرغم من اجتماع الأعداء عليه، وتخلي ذوي القربى عنه، بل تآمر هم عليه، هذا الشعب يستحق أن ينصف ويدافع عنه، وقد شهد له كل منصف عرفه أو سمع عنه ونذكر فقط من هذه الشهادات قول هتلر في رسالة إلى ألمان السوديت: اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم، إنهم يكافحون انجلترا أكبر إمبراطورية في العالم، واليهودية العالمية معاً، ببسالة خارقة، وليس لهم في الدنيا نصير أو مساعد أما أنتم فإنّ ألمانيا كلها من ورائكم».

٧ ـ إنه لا يليق بمتعلم أو مثقف فلسطيني أن يُتَّهَمْ شعبه، ويقف عاجزاً غير قادر على تقديم المعلومات والحقائق التي تدحض هذا الاتهام.

وسوف أتناول هذا الموضوع بحياد ونزاهة وعلمية، مدافعاً عن الفلسطينيين بما يستحقون ومحملاً إياهم ما وقعوا فيه من أخطاء وقد استقيت معلوماتي من كتب ووثائق موثوقة.

* بلغت مساحة الأراضي التي وقعت تحت أيدي اليهود حتى عام ١٩٤٨م من غير قتال أو حرب حوالي ٢ مليون دونم، أي ما يعادل ٨,٨ ٪ من مساحة فلسطين التي تبلغ ٢٧ مليون دونم .

* **حصل اليهود على تلك الأراضي (٢ مليون دونم) بأربع طرق هي :**

الطريق الأول : ٦٥٠,٠٠٠ دونم (ستمائة وخمسين ألف دونم) حصلوا على جزء منها كأي أقلية تعيش في فلسطين منذ مئات السنين، وتملك أرضاً تعيش عليها، وحصلوا على الجزء الآخر بمساعدة الولاة الأتراك الماسونيين الذين عينتهم على فلسطين حكومة الاتحاد والترقي، التي كان أكثر من ٩٠ ٪ من أعضائها من اليهود.

وقد تآمرت جمعية الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد وأسقطته لأنه رفض كل عروض اليهود عليه مقابل تمكينهم من أرض فلسطين.

ومن هذه العروض إعطاؤه مبلغ خمسة ملايين ليرة انجليزية ذهباً لجيبه الخاص، وتسديد جميع ديون الدولة العثمانية البالغة ٣٣ مليون ليرة ذهباً، و بناء أسطول لحماية الإمبراطورية بتكاليف قدرها مائة وعشرون مليون فرنك ذهبي، وتقديم قروض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فوائد لإنعاش مالية الدولة العثمانية وبناء جامعة عثمانية في القدس.

الطريق الثاني : ٦٦٥,٠٠٠ دونم (ستمائة وخمسة وستين ألف دونم) حصل عليها اليهود، بمساعدة حكومة الانتداب البريطاني المباشرة، وقد قدمت إلى اليهود على النحو الآتي :

١ ـ أعطى المندوب السامي البريطاني منحة للوكالة اليهودية ثلاثمائة ألف دونم.

٢ ـ باع المندوب السامي البريطاني الوكالة اليهودية وبأسعار رمزية مائتي ألف دونم.

٣ ـ أهدت حكومة الانتداب للوكالة اليهودية أرض السلطان عبد الحميد في منطقتي الحولة وبيسان ـ امتياز الحولة وبيسان ـ ومساحتها ١٦٥,٠٠٠ دونماً (مائة وخمسة وستين ألف دونم).

الطريق الثالث : ٦٠٦,٠٠٠ دونماً (ستمائة وستة آلاف دونم) اشتراها اليهود من إقطاعيين لبنانيين وسوريين، وكان هؤلاء الإقطاعيون يملكون هذه الأراضي الفلسطينية عندما كانت سوريا ولبنان والأردن وفلسطين بلداً واحداً تحت الحكم العثماني يسمى بلاد الشام أو سوريا الكبرى، وعندما هزمت تركيا واحتل الحلفاء بلاد الشام، قسمت هذه البلاد إلى أربعة دول أو مستعمرات، حيث خضعت سوريا

ولبنان للاحتلال الفرنسي وشرق الأردن للاحتلال البريطاني وفلسطين للانتداب البريطاني توطئة لجعلها وطناً قومياً لليهود، وهكذا أصبح كثير من الملاك السوريين واللبنانيين يعيشون في بلد وأملاكهم في بلد آخر فانتهز كثير منهم الفرصة وباعوا أرضهم في فلسطين لليهود الذين دفعوا لهم فيها أسعاراً خيالية وبنوا بثمنها العمارات الشاهقة في بيروت ودمشق وغيرها.

وكانت كمية الأراضي التي بيعت والعائلات التي باعت كما يلي:

١ ـ باعت **عائلة سرسق البيروتية** ـ ميشل سرسق وإخوانه مساحة ٤٠٠,٠٠٠ دونماً (أربعمائة ألف دونم) في سهل مرج بن عامر، وهي من أخصب الأراضي الفلسطينية وكانت تسكنها ٢٥٤٦ أسرة فلسطينية، طردت من قراها لتحل محلها أسر يهودية أحضرت من أوروبا وغيرها.

٢ ـ باعت **عائلة سلام البيروتية** ١٦٥,٠٠٠ دونماً (مائة وخمسة وستين ألف دونم) لليهود وكانت الحكومة العثمانية قد أعطتهم امتياز استصلاح هذه الأراضي حول بحيرة الحولة لاستصلاحها ثم تمليكها للفلاحين الفلسطينيين بأثمان رمزية، إلا أنهم باعوها لليهود.

٣ ـ باعت **عائلتا بيهم وسرسق** (محمد بيهم وميشيل سرسق) امتيازاً آخر في أراضي منطقة الحولة، وكان قد أُعطى لهم لاستصلاحه وتمليكه للفلاحين الفلسطينيين ولكنهم باعوه لليهود.

٤ ـ باع **أنطون تيان وأخوه ميشيل تيان** لليهود أرضاً لهم في وادي الحوارث مساحتها خمسة آلاف وثلاثمائة وخمسين دونما، واستولى اليهود على جميع أراضي وادي الحوارث البالغ مساحتها ٣٢,٠٠٠ دونماً (اثنين وثلاثين ألف دونم) وطردوا أهله منه بمساعدة الإنجليز بدعوى أنهم لم يستطيعوا تقديم وثائق تثبت ملكيتهم للأراضي التي كانوا يزرعونها منذ مئات السنين.

٥ ـ باع **آل قباني البيروتيون** لليهود مساحة ٤٠٠٠ دونم (أربعة آلاف دونم) بوادي القباني، واستولى اليهود على أراضي الوادي كله.

٦ ـ باع **آل صباغ وآل تويني البيروتيون** لليهود قرى (الهريج والدار البيضاء والانشراح ـ نهاريا).

٧ ـ باعت **عائلات القوتلي والجزائري وآل مرديني السورية** لليهود قسماً كبيراً من أراضي صفد.

٨ ـ باع **آل يوسف السوريون** لليهود قطعة أرض كبيرة لشركة :

(The Palestinian Land Development Company)

٩ ـ باع كل من : **خير الدين الأحدب، وصفي قدورة، وجوزيف خديج، وميشال سرجي، ومراد دانا، وإلياس الحاج اللبنانيون** لليهود مساحة كبيرة من الأراضي الفلسطينية المجاورة للبنان.

الطريق الرابع: بالرغم من جميع الظروف التي وضع فيها الشعب الفلسطيني والقوانين المجحفة التي سنها المندوب السامي الذي كان يهودياً في الغالب، إلا أن مجموع الأراضي التي بيعت من قبل الفلسطينيين خلال ثلاثين عاماً بلغت ثلاثمائة ألف دونم، وقد اعتبر كل من باع أرضه لليهود خائناً، وتمت تصفية الكثير منهم على أيدي الفلسطينيين.

ومن العوامل التي أدت إلى ضعف بعض الفلسطينيين وسقوطهم في هذه الخطيئة :

١ ـ لم يكن الفلسطينيون في السنوات الأولى للاحتلال البريطاني على معرفة بنوايا اليهود، وكانوا يتعاملون معهم كأقلية انطلاقاً من حرص الإسلام على معاملة الأقليات غير المسلمة معاملة طيبة.

٢ ـ القوانين الإنجليزية التي سنتها حكومة الانتداب والتي وضعت بهدف تهيئة كل الظروف الممكنة لتصل الأراضي إلى أيدي اليهود.

ومن هذه القوانين قانون صك الانتداب الذي تضمنت المادة الثانية منه النص الآتي : تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل فلسطين في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي لليهود.

وجاء في إحدى مواد الدستور الذي تحكم بمقتضاه فلسطين الآتي : يشترط أن لا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل والإنصاف في فلسطين إلا بقدر ما تسمح به الظروف وأن تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تسديها الأحوال العامة.

إضافة إلىٰ مادة أخرىٰ تقول : بما أن الشرع الإسلامي خول للسلطان صلاحية تحويل الأراضي الميرىٰ (الحكومية) إلىٰ أراضي الملك فإنه من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية .

٣ ـ الإغراءات الشديدة التي قدمها اليهود للذين يبيعون الأراضي فقد بلغ ما يدفعه اليهودي ثمناً للدونم الواحد عشرة أضعاف ما يدفعه العربي ثمناً له ، وقد تسبب ذلك في سقوط بعض أصحاب النفوس المريضة ، ومثل هذه النوعية لا تخلو منها أمة من الأمم .

٤ ـ الفساد الذي نشره اليهود وحمته القوانين البريطانية التي تبيح الخمر والزنا .

ويُسجل للشعب الفلسطيني أنه اجمع على تحريم القلائل الذين ارتكبوا هذه الخطيئة ونبذهم واحتقرهم وخونهم ونفذ حكم الإعدام في كثير منهم.

وقد نشرت الصحف أخباراً عن تصفيات تمت في فلسطين لأشخاص باعوا أرضهم لليهود أو سمسروا لبيع أراضي لليهود نذكر منهم فقط ما نشرته جريدة الأهرام في العدد ٢٨ و ٢٩ يوليو ١٩٣٧م اغتيل بالرصاص فلان بينما كان في طريقه إلىٰ منزله ليلاً وهو مشهور بالسمسرة علىٰ الأراضي لليهود ، وترأس بعض المحافل الماسونية العاملة لمصلحة الصهيونية ، وقيل أن سبب اغتياله هو تسببه في نقل ملكية مساحات واسعة من أخصب أراضي فلسطين لليهود ، وقد أغلق المسلمون جامع حسن بيك في المنشية لمنع الصلاة عليه فيه ، ولم يحضر لتشييعه سوىٰ بعض أقاربه وليس كلهم وبعض الماسونيين وقد توقع أهله أن يمنع الناس دفنه في مقابر المسلمين فنقلوا جثته إلىٰ قرية قلقيلية بلدته الأصلية ، وحصلت ممانعة لدفنه في مقابر المسلمين ، وقيل إنه دفن في مستعمرة يهودية اسمها بنيامينا لأنه متزوج من يهودية وان قبره قد نبش في الليل وألقيت جثته علىٰ بعد ٢٠ متراً .

يتبين مما سبق أن الـ ٨,٨ ٪ من مساحة فلسطين أو الـ ٢ مليون دونم ، التي وقعت في أيدي اليهود حتىٰ عام ١٩٤٨م لم يحصل عليها اليهود عن طريق شرائها من فلسطينيين كما يتصور حتىٰ الكثير من مثقفينا بل وصل معظمها إلىٰ اليهود عن طريق الولاة الأتراك الماسونيين والمنح والهدايا من الحكومة البريطانية والشراء من

عائلات سورية ولبنانية وأن ٣٠٠,٠٠٠ دونما فقط اشتريت من فلسطينيين خلال ثلاثين عاماً من السياسات الاقتصادية الظالمة والضغوط والمحاولات والإغراءات أي أن ١/٨ (ثمن) الأراضي التي حازها اليهود حتى عام ١٩٤٨م كان مصدرها فلسطينيون، وقد رأينا كيف باعت عائلة لبنانية واحدة ٤٠٠,٠٠٠ دونما في لحظة واحدة وهو أكبر مما باعه الفلسطينيون خلال ثلاثين عاماً، وأن هؤلاء قلة شاذة عوقبوا بالنبذ والقتل.

ولا يخلو حتى في عهد النبي ﷺ من ضعاف ومنافقين وليس من الإنصاف أن يتحمل الشعب الفلسطيني كله جريمة ارتكبها بعض شواذه، لاسيما أن هذا الشعب حاسب هؤلاء الشواذ وعاقبهم.

وإن ما يقدمه الشعب الفلسطيني اليوم من تضحيات وبطولات بعد مضي أكثر من نصف قرن على احتلال أرضه، وإصراره على المقاومة والجهاد والاستشهاد بالرغم من ضخامة المؤامرة ضده لخير دليل على تمسكه وعدم تفريطه بأرضه المقدسة المباركة.

إشاعة قاتلة:

يتردد على ألسنة بعض المسلمين أن الفلسطينيين خونة ـ أخلاقهم سيئة ـ تصرفاتهم شاذة ـ حتى قال بعض المسلمين: إن اليهود أفضل من الفلسطينيين.. وخطورة هذه الإشاعة أنها معول هدم للأمة وقضيتها الأولى (المسجد الأقصى).

الرد:

١ ـ التشريع الإسلامي يرفض التعميم في آيات وأحاديث ومواقع كثيرة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الإسراء: ١٥).

٢ ـ الذين يُطلقون هذه الإشاعة هم من المسلمين الذين سافروا خارج أوطانهم وتعاملوا وتقابلوا مع الفلسطينيين الذين تركوا أرضهم وديارهم في وقت هي في مسيس الحاجة إليهم، وقد تركوها دون مبرر شرعي، فهؤلاء أجرموا في حق القضية وهؤلاء شواذ الفلسطينيين، ولا يجوز أن يتحمل الشعب الفلسطيني جريمة ارتكبها بعض شواذه.

٣ ـ إذا أردت أن تعرف الحقيقة خذها من الرجال المرابطين هناك على أرض فلسطين ـ الذين ضحوا بأموالهم وأولادهم وما زالوا صامدين في وجه آله الحرب الصهيونية الغاشمة ولم يتركوا أرضهم وديارهم ولم يهاجروا مثل غيرهم.

٤ ـ من الخونة المجرمين؟

ـ الذين تركوا فلسطين وهاجروا بدون مبرر شرعي.

ـ الذين عاهدوا وطبعوا مع اليهود من الأنظمة العربية أو النظام الفلسطيني(١) الذي يُسرع رئيسه في التنديد (بعملية ديمونة)(٢) التي قامت بها حماس ضد اليهود كما يُسرع في تقبيل (رايس)(٣).

ـ الذي قال إن حرب ١٩٧٣م هي آخر الحروب في المنطقة خائن؛ لأنه عارض بكلامه صريح القرآن: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ (الإسراء: ٨). وصحيح السنة: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون**» فهو الذي وضع بذرة التطبيع مع اليهود التي أنبتت هذا الشوك في وسط الأرض.

ـ الذي يُدمي القلب ويجعل مرارة في اللسان أن تكون هذه الإشاعة المدمرة تصدر من المسلمين إخوة الدم والنسب والعقيدة، فكفى ظلماً للمسجد الأقصى والمُدافعين عنه، ويقول الشاعر:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من الحُسام المهند

شبهة خطيرة:

تُردد الأنظمة العربية ومن يسير في فلكها من أبناء الأمة: «كفاية علينا حروب من أجل فلسطين (الأقصى)».

الرد: لا يوجد نظام من الأنظمة العربية حارب من أجل فلسطين، بل الأنظمة العربية هي التي سلمت فلسطين لليهود، وتوضيح ذلك كالآتي:

---

(١) رئيس السلطة في ذلك الوقت (عباس أبو مازن).
(٢) عملية فدائية قام بها الرجال في حماس في نهاية عام ٢٠٠٧م بالقرب من مفاعل ديمونة.
(٣) هي وزيرة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت.

ما الذي فعلته الأنظمة العربية لقضية فلسطين؟

١ ـ من عام ١٩٤٨م ـ ١٩٦٧م، في عام ١٩٤٨م بدأت مأساة فلسطين فازدادت العصابات الصهيونية شراسة ضد عرب فلسطين ووقفت الإدارة الأمريكية تساعد بالمال والسلاح وأقرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين ـ فتكونت فصائل للمقاومة باسم الجهاد المقدس من فلسطين وخارج فلسطين وتولى قيادتها عبدالقادر الحسيني ثم الحاج محمد الحسيني ـ ثم عز الدين القسام وغيرهم وهؤلاء جميعاً تربوا في دار الدعوة والإرشاد بمصر وتقدم المتطوعون من البلاد العربية وبخاصة مصر يحملون السلاح لمساعدة إخوانهم في فلسطين(١) وقد ألف المجاهدون كتائب للجهاد(٢) أذاقت اليهود الويلات(٣).

هل حاربت الأنظمة العربية من أجل فلسطين؟

٢ ـ بعد عام ١٩٤٨م وحتى ١٩٦٧م حاصرت جيوش الأنظمة العربية كتائب الجهاد وقامت بترحيلهم وتسليم فلسطين لليهود، ونتيجة هذه الخيانة من الأنظمة للمجاهدين استوطنت إسرائيل وعربدت حتى جاء عام ١٩٦٧م، وقامت إسرائيل بتدمير جيوش الأنظمة العربية قبل أن تتحرك من مكانها واحتلت سيناء والجولان والضفة، وكانت نكسة هذه الأنظمة.

هل حاربت الأنظمة العربية من أجل فلسطين؟

٣ ـ في ٢١/ ٨/ ١٩٦٩م أقدم اليهودي الأسترالي (مايكل روهن) على حرق المسجد الأقصى واتهمته السلطات الإسرائيلية بالجنون بالرغم من أنه كان عملاً مدبراً وأتى الحريق على منبر صلاح الدين ومحراب زكريا والقبة وجزء كبير من الجانب الشرقي للمسجد(٤) وارتفعت الأصوات بالشجب والإدانة.

---

(١) دار الوثائق المصرية بالقلعة، ملف دولة فلسطين الجزء ٢.

(٢) د. محمود صالح منسي، الصهيونية والاستعمار، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٩٢.

(٣) ذكرنا وقائع لذلك في بداية هذا الملحق.

(٤) الأهرام أيام ٢٢، ٢٣، ٢٤ أغسطس عام ١٩٦٩م.

هل حاربت الأنظمة العربية من أجل فلسطين؟

٤ ـ في العاشر من رمضان الموافق ٦/ ١٠/ ١٩٧٣م حاربت الأنظمة العربية لاسترداد أراضيها المحتلة وحررت بضعة أمتار ولم تستطع وقف القتال وبدأت الأنظمة في المفاوضات والتنازلات والاعترافات والتطبيع وتم إخلاء الأرض المحتلة لمن يعترف بإسرائيل وسارعت الأنظمة للاعتراف، فاسترداد الأرض مقابل التطبيع مع اليهود واعترفت الأنظمة فأكدت حق إسرائيل في البقاء وللمرة الثانية تُسلم فلسطين لليهود .

هل حاربت الأنظمة العربية من أجل فلسطين؟

٥ ـ في عام ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م اختار الشعب الفلسطيني في انتخابات حرة ونزيهة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) لكي تحكم وقامت الدنيا ولم تقعد إلى الآن وحاصرت الأنظمة العربية (حماس) وأغلقت المعابر دونها وتم حصار غزة وما زال الحصار قائماً حتى كتابة تلك السطور، وكل الأنظمة العربية تضغط الآن على غزة لتعترف بإسرائيل وها هي الأنظمة للمرة الثالثة تذبح فلسطين ولا يستطيع أي نظام أن يُفكر مجرد التفكير في رفع الحصار عن غزة .

إن كارثة إغلاق المعابر من جانب مصر وسكوت باقي الأنظمة على ذلك وعدم إدانة ذلك من الجامعة العربية على الأقل إنما هو اتفاق ضمني من هذه الأنظمة بالقضاء على فلسطين، وكنت أود ذراً للرماد في العيون أن تستنكر الأنظمة العربية الحصار الرهيب التي تتعرض له غزة وترسل للمسلمين هناك الطعام والدواء ولو سراً عبر الأنفاق من رفح المصرية .

فهل حاربت الأنظمة العربية (ولو بالكلمة) من أجل فلسطين؟

قال بن جوريون (رئيس وزراء العدو الإسرائيلي السابق)[(١)]: «إننا لن نهزم العرب مرة واحدة، ولكنهم يهزمون أنفسهم أمامنا في كل مرة» .

---

(١) مجلة كلمات، العدد الرابع، مارس ٢٠٠٨م .

ثانياً : فتاوى خاصة بفلسطين

هذه الأسئلة وُجهت إلى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف (١) :

س١: ما هو واجب المسلمين أينما كانوا نحو بلاد إسلامية كفلسطين غزاها أعداء المسلمين ونزعوها من يد أهلها وأخرجوهم منها وحلوا فيها محلهم وأقاموا فيها دولة لهم أسموها إسرائيل وأن هذه الدولة بالإضافة إلىٰ ما شرحناه سابقاً في فصل خاص من أعمالها قامت بهدم كثير من المساجد والمعابد وتحويل كثير منها إلىٰ مصالح خاصة أو عامة وإلىٰ أماكن لهو تنتهك حرمة الدين والعبادة كما عبثت بالمقابر الإسلامية التاريخية التي تضم رفات كثير من المجاهدين وفيهم الصحابة وكبار التابعين والعلماء والقواد والصالحين وغيرهم ونبشها وأنشأت في مكانها البنايات وساحات اللعب والنزهات إلىٰ غير ذلك، مما هو معروف ومشهور عنها.

س٢: إذا كان إنقاذ هذه البلاد بحد ذاته هو واجب علىٰ المسلمين فكيف بالأمر إذا كان بقاؤها بيد العدو وتمكنه فيها يعرض البلاد العربية والإسلامية المجاورة لها لأشد الأخطار في أراضيها وممتلكاتها وفي مصالحها وموارد عيشها وفي أنفس أهلها كما جرىٰ لأهل فلسطين؟

س٣: إذا كان القتال قد أوقف بموجب الهدنة التي ذكرت آنفا مع بقاء حالة الحرب فهل يجوز إنهاء هذه الحالة بعقد صلح مع اليهود ودولتهم إسرائيل في حين أن هذا الصلح يفضي إلىٰ :

١ ـ الاعتراف بقيام دولة يهودية لها جميع الحقوق الدولية في هذه البلاد العربية الإسلامية.

٢ ـ التنازل عن بلاد فلسطين وأراضيها التي اغتصبها اليهود من المسلمين والتخلي لهم عنها والاعتراف بملكية دولتهم لها قانوناً.

---

(١) كتاب حكم الإسلام في قضية فلسطين، إصدار الهيئة العربية العليا لفلسطين بالقاهرة، طبعة ١٣٧٥هـ ١٩٦٥م، مطابع درا الكتاب العربي بمصر.

٣ـ التعاون مع هذه الدولة ورفع الحصر الاقتصادي العربي عنها وتمكينها من الوسائل التي تزيد في قوتها وتنفيذ خطتها في غزو البلاد العربية والإسلامية؟

وبالاختصار . . هل يجوز الصلح مع إسرائيل مع ما يؤدي إليه من الأخطار التي شرحناها؟

س٤: ما هو الحكم بالنسبة للدول الأجنبية الاستعمارية التي ساعدت اليهود على اغتصاب بلاد المسلمين وظاهرتهم على إخراج أهلها منها هل يجوز (أولا) التعاون معهم وموادتهم وموالاتهم وخصوصاً إذا كان ذلك يؤدي إلى الإضرار بمصالح المسلمين (وثانياً) عقد أحلاف عسكرية معهم تفضي إلى وضع قوى المسلمين وجيوشهم وأسلحتهم ومواردهم ومواقع بلادهم تحت تصرف هؤلاء المستعمرين يوجهونها لأغراض استعمارهم في نفس البلاد العربية والإسلامية ويمنعون المسلمين من أن يوجهوها للدفاع عن أنفسهم وديارهم؟

س٥: إذا كان في قيام الدولة اليهودية (إسرائيل) ما وصفناه من خطر عظيم لا على ما بقي من فلسطين فحسب بل على البلاد العربية والإسلامية المجاورة وغير المجاورة أيضاً أفلا يجب على العرب والمسلمين وخصوصاً أهل البلاد المستهدفة للخطر إعداد ما يستطيعون من قوة لدفع هذا الخطر وإزالة مصدره والله تعالى يقول: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال: ٦٠).

وهل لا يكون من الواجب المحتم أن يحتل هذا الإعداد لدى الدول المعنية المكان الأول بالنسبة لجميع المصالح، وأن لا يضن في سبيله بجهد أو مال مهما بلغا، وخصوصاً توفير السلاح اللازم والحصول عليه من أية جهة ممكنة؟

س٦: هل يجوز تمكين اليهود من استغلال أنهار البلاد العربية ومياهها لتنمية زراعتها وتقوية صناعتهم وتمكينهم من حشد ملايين اليهود في منطقة النقب المتاخمة

لحدود مصر على نحو ما ذكرنا سابقاً في المشروع المعروض على الدول العربية والمعروف بمشروع (جونستون).

نرجو الإجابة على أسئلتنا هذه ببيان حكم الشرع الإسلامي فيها إجمالاً وتفصيلاً، ولكم من الله الأجر والثواب وهو تعالى الملهم للصواب.

جواب لجنة الفتوى بالأزهر الشريف



اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر في يوم ١٨ جمادي الأولى عام ١٣٧٥هـ الموافق أول يناير عام ١٩٥٦م برياسة السيد صاحب الفضيلة **الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف**، عضو جماعة كبار العلماء ومفتي الديار المصرية سابقاً، وعضوية السادة أصحاب الفضيلة **الشيخ عيسى منون**، عضو جماعة كبار العلماء، وشيخ كلية الشريعة سابقاً(الشافعي المذهب)، **والشيخ محمود شلتوت** عضو جماعة كبار العلماء (الحنفي المذهب)، **والشيخ محمد الطنيخي**، عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد (المالكي المذهب)، **والشيخ محمد عبداللطيف السبكي** عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر(الحنبلي المذهب)، وبحضور **الشيخ زكريا البري** أمين الفتوى.

ونظرت في الاستفتاء الآتي وأصدرت فتواها التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية في إبرام الصلح مع إسرائيل التي اغتصبت فلسطين من أهلها وأخرجتهم من ديارهم وشردتهم نساء وأطفالاً وشيباً وشباناً في آفاق الأرض واستلبت أموالهم، واقترفت أفظع الآثام في أماكن العبادة والآثار والمشاهد

الإسلامية المقدسة وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التي ناصرتها وتناصرها في هذا العدوان الأثيم وأمدتها بالعون السياسي والمادي لإقامتها دولة يهودية في هذا القطر الإسلامي بين دول الإسلام وعن حكم الأحلاف التي تدعو إليها دول الاستعمار والتي من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء في أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها وحيال المشروعات التي تحاول إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها وفي ذلك تركيز لكيانها وتقوية لسلطانها مما يضيق الخناق على جيرانها ويزيد في تهديدها لهم ويهيئ للقضاء عليهم.

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل - كما يريده الداعون إليه - لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه.

وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه ففي الحديث الشريف: «**من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِل دون عرضه فهو شهيد**»(١).

وفي حديث آخر: «**على اليد ما أخذت حتى ترد**»(٢)، على اليد أي على صاحبها، يشمل العارية - والغصب والسرقة، ويلزم منه أن السارق يضمن المسروق وإن قطعت يده.

فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم على أي وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة في أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة.

---

(١) رواه البخاري، مظالم ٣٣، ومسلم، إيمان ٢٢٦.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٥٦١، وابن ماجة ٢٤٠٠، وأحمد في المسند ١٩٥٨٢، والدارمي، والحاكم في المستدرك، والترمذي برقم ١٢٦٦، بيوع ٣٩، وقال: حسن صحيح، وفي رواية: «حتى تؤدي».

بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي ومصلى الأنبياء الذي بارك الله حوله وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية من أيدي هؤلاء الغاصبين وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين، قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال: ٦٠).

ومن قصَّر في ذلك أو فرط فيه أو خذل المسلمين عنه أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام وضد هذا القطر العربي الإسلامي فهو ـ في حكم الإسلام ـ مفارق جماعة المسلمين ومقترف أعظم الآثام.

كيف **ويعلم الناس جميعاً أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله** ودياره أشد الكيد منذ عهد الرسالة إلى الآن وأنهم يعتزمون أن لا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى وإنما تمتد خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهر النيل والفرات، وإذا كان المسلمون جميعاً ـ في الوضع الإسلامي ـ وحدة لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام فإن الواجب شرعاً أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدي الغاصبين قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (التوبة: ١١١).

وقال تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٧٦) .

وأما التعاون مع الدول التي تشد أزر هذه الفئة الباغية وتمدها بالمال والعتاد وتمكن لها من البقاء في هذه الديار فهو غير جائز شرعاً ، لما فيه من الإعانة علىٰ هذا البغي والمناصرة لها في موقفها العدائي ضد الإسلام ودياره قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة : ٩) .

وقال تعالىٰ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

وقد جمع الله ـ سبحانه ـ في آية واحدة جميع ما تخيله الإنسان من دوافع الحرص علىٰ قرباته وصلاته وعلىٰ تجارته التي يخشىٰ كسادها بمقاطعة الأعداء وحذر المؤمنين من التأثر بشيء من ذلك واتخاذه سبباً لموالاتهم فقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة : ٢٤) .

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوىٰ فيها إمدادهم بما يقوي جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأي والفكرة وبالسلاح والقوة ـ سراً وعلانية ـ مباشرة وغير مباشرة .

وكل ذلك مما يحرم علىٰ المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف التي تدعو إليها الدول الاستعمارية وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية ابتغاء الفتنة وتفريق الكلمة والتمكين لها في البلاد الإسلامية والمضي في تنفيذ سياستها حيال شعوبها لا يجوز لأي دول إسلامية أن تستجيب لها وتشترك فيها لما في ذلك من الخطر العظيم علىٰ البلاد الإسلامية وبخاصة فلسطين

الشهيدة التي سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلىٰ الصهيونية الباغية نكاية في الإسلام وأهله وسعياً لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية لتكون تكئة لها في تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين في أنفسهم وأموالهم وديارهم وهي في الوقت نفسه من أقوىٰ مظاهر الموالاة المنهي عنها شرعاً والتي قال الله تعالىٰ فيها : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١).

وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض في القلوب يدفع أصحابها إلىٰ هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالىٰ : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥٢).

وكذلك يحرم شرعاً علىٰ المسلمين أن يمكنوا إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية التي كفلت لها الحماية والبقاء من تنفيذ تلك المشروعات التي لا يراد بها إلا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها في رغد من العيش وخصوبة في الأرض حتىٰ تعيش كدولة تناوئ العرب والإسلام في أعز دياره وتفسد في البلاد أشد الفساد وتكيد للمسلمين في أقطارهم ويجب علىٰ المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها ويقفوا صفاً واحداً في الدفاع عن حوزة الإسلام وفي إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التي من أولها هذه المشروعات الضارة ومن قصر في ذلك أو ساعد علىٰ تنفيذها أو وقف موقفاً سلبياً منها ارتكب إثماً عظيماً.

وعلىٰ المسلمين أن ينهجوا نهج رسول الله ﷺ ويقتدوا به وهو القدوة الحسنة في مواقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه رضوان الله عليهم من ديارهم وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام فقد أمره الله تعالىٰ أن يعد العدة لإنقاذ حرمه من أيدي المعتدين وأن يضيق عليهم سبل الحياة التي بها يستظهرون فأخذ ﷺ يضيق عليهم في اقتصادياتهم التي عليها يعتمدون، حتىٰ نشبت بينه وبينهم الحروب، واستمرت رحىٰ القتال بين جيش الهدىٰ وجيوش الضلال حتىٰ أتم الله عليه النعمة وفتح علىٰ

يده مكة، وقد كانت معقل المشركين فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان وقلم أظافر الشرك والطغيان.

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء مع فارق لابد من رعايته وهو أن مكة كان بلداً مشتركاً بين المؤمنين والمشركين ووطناً لهم أجمعين بخلاف أرض فلسطين فإنها ملك للمسلمين وليس لليهود فيها حكم ولا دولة ومع ذلك أبي الله تعالىٰ إلا أن يظهر في مكة الحق ويخذل الباطل ويردها إلىٰ المؤمنين، ويقمع الشرك فيها والمشركين فأمر سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بقتال المعتدين، قال تعالىٰ: ﴿ **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** ﴾ (البقرة: ١٩١).

والله سبحانه وتعالىٰ نبه المسلمين علىٰ رد الاعتداء بقوله تعالىٰ: ﴿ **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (البقرة: ١٩٤).

ومن مبادئ الإسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد وإذا كانت إزالته واجبة في كل حال، فهي في حالة هذا العدوان أوجب وألزم فإن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند إخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم في البلاد بل تجاوز ذلك إلىٰ أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهي احترام المساجد وأماكن العبادة وقد جاء في ذلك قوله سبحانه تعالىٰ: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (اليقرة: ١١٤).

أما بعد . . **فهذا هو حكم الإسلام في قضية فلسطين وفي شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها وفيما تريده إسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها وفي واجب المسلمين حيال ذلك تبينه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف وتهيب المسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة وأن يقدروا عواقب الوهن والاستكانة أمام اعتداء الباغين وتدبير الكائدين وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله وحق الأجيال المقبلة في ذلك إعزازاً لدينهم القويم.**

نسأل الله تعالىٰ أن يثبت قلوبهم علىٰ الإيمان وعلىٰ نصرة دينه وعلىٰ العمل بما يرضيه، والله أعلم.

١ ـ **حسنين محمد مخلوف** ـ رئيس لجنة الفتوىٰ، وعضو جماعة كبار العلماء، ومفتي الديار المصرية سابقاً.

٢ ـ **عيسى منون** ـ عضو لجنة الفتوىٰ، وعضو جماعة كبار العلماء، وشيخ كلية الشريعة سابقاً (الشافعي المذهب).

٣ ـ **محمود شلتوت**، عضو لجنة الفتوىٰ، وجماعة كبار العلماء (الحنفي المذهب).

٤ ـ **محمد الطنيخي** ـ عضو لجنة الفتوىٰ وجماعة كبار العلماء، ومدير الوعظ والإرشاد، (المالكي المذهب).

٥ ـ **محمد عبد اللطيف السبكي** ـ عضو لجنة الفتوىٰ، وجماعة كبار العلماء، ومدير التفتيش بالأزهر، (الحنبلي المذهب)

٦ ـ **زكريا البري**، أمين الفتوىٰ.

وقد أصدرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين رقم ١٨١
في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م.. فكان هذا البيان :

وجوب الجهاد

لإنقاذ فلسطين وحماية المسجد الأقصى (١)

إلى أبناء الإسلام من علماء الجامع الأزهر الشريف ..

﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٨).



يا معشر المسلمين.. قُضي الأمر وتألبت عوامل البغي والطغيان علىٰ فلسطين وفيها المسجد الأقصىٰ أولىٰ القبلتين وثالث الحرمين ومنتهىٰ إسراء خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) المصدر السابق.

قُضِيَ الأمر وتبين لكم أن الباطل مازال في غلوائه وأن الهوىٰ ما فتئ علىٰ العقول مسيطراً وأن الميثاق الذي زعموه سبيلاً للعمل والإنصاف ما هو إلا تنظيم للظلم والإجحاف ولم يبق بعد اليوم صبر علىٰ تلكم الهضيمة التي يريدون أن يرهقونا بها في بلادنا وأن يجثموا بها علىٰ صدورنا وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحد الله بينها في الدين واللغة والشعور.

إن قرار هيئة الأمم المتحدة قرار من هيئة لا تملكه وهو قرار باطل جائر ليس له نصيب من الحق ولا العدالة ففلسطين ملك العرب والمسلمين بذلوا فيها النفوس الغالية والدماء الزكية، وستبقىٰ إن شاء الله ملكاً العرب والمسلمين رغم تخالف المبطلين وليس لأحد كائناً من كان أن ينازعهم فيها أو يمزقها.

وإذا كان البغاة العتاة قصدوا بالسوء من قبل هذه الأماكن المقدسة فوجدوا من أبناء العروبة والإسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحمىٰ وردوا البغي علىٰ أعقابه مقلم الأظافر محطم الأسنة فإن في السويداء اليوم رجالاً وفي الشرىٰ أساداً وأن التاريخ لعائد بهم سيرته الأولىٰ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

يا أبناء الإسلام.. لقد أعذرتم من قبل، وناضلتم عن حقكم بالحجة والبرهان ما شاء الله أن تناضلوا حتىٰ تبين للناس وجه الحق سافراً، ولكن دسائس الصهيونية وفتنتها وأموالها قد استطاعت أن تجلب علىٰ هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها، فعميت عنه العيون وصمت الآذان والتوت الأعناق فإذا بكم تقفون في هيئة الأمم وحدكم ومُدعُو نصرة العدالة يتسللون عنكم لواذا، بين مستهين بكم وممالئ لأعدائكم، ومتستر بالصمت متصنع للحياد فإذا كنتم قد استنفدتم بذلك جهاد الحجة والبيان فإن وراء هذا الجهاد لإنقاذ لحق وحمايته جهاداً سبيله مشروعة وكلمته مسموعة تدفعون به عن كيانكم ومستقبل أبنائكم وأحفادكم فذودوا عن الحمىٰ، وادفعوا الذئاب عن العرين وجاهدوا في الله حق جهاده، قال تعالىٰ: ﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء: ٧٤). وقال تعالىٰ: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ (النساء: ٧٦).

يا أبناء الإسلام .. خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين، أو قبلوا الذل صاغرين، فإن الخطب جلل، وأن هذا ليوم الفصل وما هو بالهزل، فليبذل كل عربي وكل مسلم في أقصىٰ الأرض وأدناها من ذات نفسه وماله ما يرد عن الحمىٰ كيد الكائدين وعدوان المعتدين.

سدوا عليهم السبل واقعدوا لهم كل مرصد، وقاطعوهم في تجارتهم ومعاملاتهم وأعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد وقوموا بفرض الله عليكم واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين علىٰ كل قادر بنفسه أو ماله وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم.

﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (التوبة: ١١١).

فإذا كنتم بإيمانكم قد بعتم الله أنفسكم وأموالكم فها هو ذا وقت البذل والتسليم وأوفوا بعهد الله يوف بعهدكم، وليشهد العالم غضبتكم للكرامة وذودكم عن الحق ولتكن غضبتكم هذه علىٰ أعداء الحق وأعدائكم لا علىٰ المحتمين بكم ممن لهم حق المواطن عليكم وحق الاحتماء بكم.

فاحذروا أن تعتدوا علىٰ أحد منهم إن الله لا يحب المعتدين ولتتجاوب الأصداء في كل مشرق ومغرب بالكلمة المحببة إلىٰ المؤمنين

الجهاد. . الجهاد. . الجهاد. . والله معكم.

التوقيع: الشيخ محمد مامون الشناوي شيخ الجامع الأزهر، **الشيخ محمد حسنين مخلوف** مفتي الديار المصرية، **الشيخ عبد الرحمن حسن** وكيل شيخ الأزهر، **الشيخ عبد المجيد سليم** مفتي الديار المصرية السابق، **الشيخ محمد عبد اللطيف دراز** مدير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية، **الشيخ محمود أبو العيون** السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية، **الشيخ عبد الجليل عيسى** شيخ كلية اللغة العربية، **الشيخ عيسى منون** شيخ كلية الشريعة، **الشيخ محمد الجهني** شيخ معهد القاهرة، **الشيخ**

عبدالرحمن تاج شيخ القسم العام، **الشيخ محمد الغمراوي** المفتش بالأزهر، **الشيخ إبراهيم حمروش، الشيخ محمود شلتوت، الشيخ إبراهيم الجبالي، الشيخ محمد الشربيني، الشيخ محمد العتريس، الشيخ محمد عرابة، الشيخ فرغلي الريدي، الشيخ أحمد حميدة، الشيخ محمد أبو شوشة، الشيخ علي المعداوي، الشيخ عبد الرحمن عليش** أعضاء جماعة كبار العلماء . . وكثير غير هؤلاء من العلماء والمدرسين في الكليات والمعاهد الأزهرية في القاهرة والأقاليم المصرية.

إعلان الجهاد المقدس لإنقاذ فلسطين (١)

فتوى المجتهد الكبير محمد الحسين آل كاشف الغطاء ..

أصدر سماحة المجتهد الكبير العلامة إمام الشيعة في النجف الأشرف الشيخ محمد الحسين آل كاشف العطاء الفتوىٰ الخطيرة الآتية في سبيل إنقاذ فلسطين.

بسم الله الرحمن الرحيم . . ولله الحمد . .

من العراق ـ النجف الأشرف ـ ١٥ ذو القعدة ١٢٦٦ هـ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الصف).

طلب مني بعض الأعاظم إرسال نسخة من الفتوىٰ التي كنت أصدرتها في لزوم الدفاع عن فلسطين والباعث علىٰ هذا الطلب ما وصلت إليه هذه الأرض المقدسة في محنتها الحاضرة بعد كفاح ثلاثين حولا والتضحيات بالأنفس الأموال

(١) المصدر السابق.

التي تفوت حد الإحصاء. ونحن نرىٰ في الحال الحاضر أن المحنة والبلوىٰ قد تجاوزت حدود الفتوىٰ وأصبح كل ذي حس من المسلمين يفتي له وجدانه ويوحي إليه ضميره وجوب الدفاع عن فلسطين بكل ما في وسعه ويستهون بذل العزيزين النفس والمال في هذا السبيل وإعلان الجهاد المقدس، فلا تهنوا أيها المسلمون ولا تتوانوا وأنتم الأعلون.

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٧).

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦).

محمد الحسين آل كاشف الغطاء..

وكان ـ رحمه الله ـ قد وجهت إليه أسئلة في شهر ربيع الآخرة عام ١٣٥٨ حول فلسطين وقضيتها والدفاع عنها فأجاب بما يلي:

الجواب عن السؤال الأول: نعم واجب المسلمين شرعاً دفع من يريد التسلط علىٰ فلسطين أو أي بلد من بلاد المسلمين وإخراجهم منها.

وعن الثاني: أنه إذا كان أهل فلسطين لا يكفون لدفع العدو وجب علىٰ الأقرب فالأقرب إليهم حتىٰ يعم جميع القادرين من المسلمين.

وعن الثالث: نعم تجب (المساعدة) بجميع أنواعها ببذل الجهود في المال والنفس وسائر الوسائل التي تؤدي إلىٰ إضعاف العدو.

وعن الرابع: نعم من واجب المسلمين جميعاً في سائر الأقطار أن يقاطعوا اليهود ومن يحميهم ويساعدهم ومن يشتري من اليهود أو يبيعهم أو يروج صنايعهم أو يلبس منتوجاتهم أو يأكل من حاصلاتهم أو يعاملهم بأي معاملة تجارية أو غيرها، فقد حارب الله ورسوله وباء بغضب من الله ورسوله وقد خان الحق وطعن في قلب العرب والإسلام بل وخرج من دين الإسلام لقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١).

هل يجوز إخراج الزكاة لإغاثة الشعب الفلسطيني؟

الجواب : من مصارف الزكاة : ﴿ .. وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ .. ﴾ (التوبة : ٦٠) .

وقد اتفق أصحاب المذاهب الأربعة في هذا المصرف على أمور ثلاثة :

١ ـ أن الجهاد داخل في سبيل الله قطعاً .

٢ ـ مشروعية الصرف من الزكاة لأشخاص المجاهدين بخلاف الصرف لمصالح الجهاد ومعداته فقد اختلفوا فيه .

٣ ـ عدم جواز صرف الزكاة في جهات الخير والإصلاح العامة من بناء السدود والقناطر وإنشاء المساجد والمدارس وإصلاح الطرق وتكفين الموتى ونحو ذلك ، وإنما عبء هذه الأمور على موارد بيت المال الأخرى من الفيء والخراج وغيرها .

تحرير أرض الإسلام من حكم الكفار :

ولا شك أن من أهم ما ينطبق عليه معنى الجهاد في عصرنا هو :

العمل لتحرير الأرض الإسلامية من حكم الكفار الذين استولوا عليها ، وأقاموا فيها حكمهم بدل حكم الله سواء أكان هؤلاء الكفار يهوداً أم نصارى أم وثنتين أو ملحدين لا يدينون بدين فالكفر كله ملة واحدة .

فالرأسمالي والشيوعي والغربي والشرقي والكتابي واللاديني كلهم سواء في وجوب محاربتهم إذا احتلوا جزءاً من ديار الإسلام يقوم بذلك أدنى البلاد إلى هذا الجزء ، يعاونهم الأقرب فالأقرب حسب الحاجة ، إلى أن يشمل الوجوب المسلمين جميعاً إن لم تقم الكفاية إلا بالجميع .

ولم يبتل المسلمين في عصر كما ابتلوا اليوم ، بوقوع كثير من ديارهم في قبضة الكفرة المستعمرين وفي مقدمة هذه الديار فلسطين التي سُلط عليها شُذّاذ الآفاق من اليهود ومثل ذلك كشمير التي تسلط عليها الهندوس المشركون وأريتريا والحبشة وتشاد والصومال الغربي وقبرص التي تسلطت عليها الصليبية الحاقدة الماكرة ومثل ذلك سمرقند وبخارى وطشقند وأزبكستان وألبانيا وغيرها من البلاد الإسلامية

العريقة التي تسلطت عليها الشيوعية الملحدة الطاغية، واسترداد هذه البلاد كلها، وتخليصها من براثن الكفر، وأحكام الكفار واجب على كافة المسلمين بالتضامن وإعلان الحرب المقدسة لإنقاذها فريضة إسلامية.

فإذا قامت حرب في أي جزء من هذه الأجزاء بهذا القصد ولهذه الغاية: تخليص البلد من أحكام الكفر وطغيان الكفرة فهي ـ بلا نزاع ـ جهاد في سبيل الله، يجب أن يمول ويعان وأن يدفع له قسط من مال الزكاة يقل ويكثر حسب حصيلة الزكاة من جهة وحسب حاجة الجهاد من جهة ثانية: وحسب حاجة سائر المصارف الأخرى شدة وضعفاً من جهة ثالثة، وكل هذا موكول لأهل الحل والعقد وذوى الرأى والشورى من المسلمين إن وجدوا(١).

د. يوسف القرضاوي تعجيل الزكاة للتبرع للفلسطينيين (٢):

أجاز **الدكتور يوسف القرضاوي** تعجيل إخراج زكاة المال وتخصيصها لمساعدة الفلسطينيين لتخفيف الأزمة المالية التي تعيشها الحكومة والشعب الفلسطيني بعد أن قطعت الدول العربية المعونات والمساعدات عنهم واعتبر القرضاوي أن تقديم العون للشعب الفلسطيني واجب على كل المسلمين وكل أجزاء العالم.

وعلى موقع القرضاوي على شبكة الإنترنت أجاب عن سؤال وجِّه إليه حول التعجيل بزكاة العام القادم فقال: للمزكي أن يعطي زكاة السنة القادمة، فقد أجاز النبي تعجيل الزكاة لسبب أو لآخر ومن الأسباب التي توجب الزكاة أن تعطي الفلسطينيين وتعينهم في محنتهم، فالمؤمن أخو المؤمن لا يسلمه، أي لا يتخلى عنه، وهذا هو واجب الأخوة الإسلامية، وينبغي أن نعطيهم الزكاة ولا يجوز أن ندعهم لا يجدون ضرورات حياتهم ولا نمد أيدينا إليهم فهم فقراء ومساكين وجائعون وهو غارمون (مدينون) هم أبناء سبيل مشردون عن أراضيهم وديارهم إضافة إلى أنهم تحت الاحتلال وجهاد الأعداء في حقهم فريضة دينية، ودعا القرضاوي إلى أن تقوم الحكومات الإسلامية بواجب الدعم المالي للشعب الفلسطيني.

---

(١) عن كتاب فقه الزكاة، جـ٢، للدكتور يوسف القرضاوي.

(٢) جريدة الدستور المصرية العدد ٦١ الأربعاء ١٧ مايو ٢٠٠٦م، ١٩ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ.

مفتي جمهورية مصر العربية يجيز إخراج الزكاة لإغاثة الشعب الفلسطيني :

أفتى **الدكتور علي جمعة** مفتي الجمهورية بجواز إخراج الزكاة بجميع مصارفها لإغاثة الشعب الفلسطيني من الحصار المالي المفروض عليه، الذي أدى إلى توقف شبه كامل للحياة اليومية، وتفاقم الأزمة الصحية مع صعوبة توفير العلاج للمرضى.

جاءت تلك الفتوى رداً على سؤال حول: مدى جواز تقديم الزكاة للفلسطينيين، وجهه **الدكتور جمال عبد السلام** مدير لجنة الإغاثة والطوارئ باتحاد الأطباء العرب للدكتور علي جمعة.

وقال المفتي: يجوز إخراج الزكاة لإغاثة أهلنا في فلسطين بالغذاء والدواء، والكفالة التامة لما يحقق لهم الحياة الكريمة في شئونهم كلها، خاصة التعليم والصحة والأمن، معتبراً أن الفلسطينيين في وضعهم الحالي من مستحقي الزكاة.

رسالتان قبل الختام .. إلى جميع الناس

يرسلهما فضيلة الشيخ : محمد الغزالي (١)

- **الرسالة الأولى : لا تدع التوافه تغلبك على أمرك!!**
- **الرسالة الثانية : هل تستبدل مليون جنيه بما تملك!!**

والسبب في الختام بهذه القطوف من كتاب جدد حياتك للشيخ : محمد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ : **ليتناسق بدء الموسوعة مع نهايتها.**

حيث بدأت الموسوعة بالعقيدة ودورها في التغلب على الهموم والأحزان ثم قطع القارئ الكريم أبوابها فهماً وتدبراً وتطبيقاً عملياً في حياته أراه بعد ذلك قد جدد حياته فكانت هذه اللمسات الحانية والقطوف الدانية التي نقتطفها من كتاب شيخنا الجليل نزيل البقيع بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الرسالة الأولى : لا تدع التوافه تغلبك على أمرك:

تهيب الإنسان للكبائر يبعده عن مواقعتها وينجيه من غوائلها بيد أن المرء يخشى على حياته أن يتناول جرعة كبيرة من السم ـ لوضوح خطرها ـ قد يستهين بتناول أجزاء دقيقة منها تكون مطوية في أطعمة مكشوفة أو أطباق قذرة أو أيد ملوثة ، أو ما شابه ذلك .

ومن ثم يصيب بدنه من العلل ما قد يؤدي به ، مثلما تؤدي به رصاصة قاتلة ، أو طعنة غادرة .

وإرهاباً للمؤمنين من اقتراف الصغائر ، وخوفاً على كيانهم النفسي والاجتماعي من تجمعها ، أهاب النبي بأمته أن تحذرها ، وأن تتنزه عن فعلها ، وأن تتطهر حيناً بعد حين من آثارها .

---

(١) جدد حياتك ، للشيخ محمد الغزالي ـ الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩م طبعة دار الدعوة .

صحيح أن الهدف الأكبر من رسالته هو محاربة الشرك، وإزالة أوهامه من الأفكار والضمائر.

وقد استطاع في حياته أن يسقط دولة الأصنام، وأن يقيم أمة تعبد الله وحده.

ومع ذلك فقد حذر من أمور قد يستريح الشيطان من إقبال الناس عليها استراحته من سقوطهم في حمأة الشرك نفسه فقال ﷺ : « **إن الشيطان قد يئس أن تُعبد الأصنام في أرض العرب ولكنه سيرضي منكم بدون ذلك** » .

بالمحقرات: وهي الموبقات يوم القيامة.

وفي حجة الوداع - وهو يرسي قواعد السلوك الكامل - قال ﷺ : « **أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم** »(١).

قال (ديل كارنيجي) : «إننا غالباً ما نواجه كوارث الحياة وأحداثها في شجاعة نادرة وصبر جميل، ثم ندع التوافه بعد ذلك تغلبنا على أمرنا، ومن أمثلة ذلك ما قاله (صمويل بييز) في مذكراته عن (سير هاري فان) حين سيق لتنفيذ حكم الإعدام فيه، وتقدم ليُضرب عنقه، فإنه لم يلتمس العفو ولم يطلب الرحمة، وإنما رجا الجلاد ألا يضرب بسيفه موضعاً في عنقه كان يؤلمه، ومن أمثلة ذلك أيضاً ما كتبه (أدميرال بيرد) في مذكراته عن ليالي الظلام والزمهرير التي قضاها في القطب الجنوبي، فقد ذكر أن رجاله كانوا منشغلين بتوافه الأمور عن الكوارث المحدقة بهم، وهم يعيشون في جو درجة حرارته ثمانون تحت الصفر قال (بيرد) : كان رجالي يتخاصمون إذا اعتدى أحدهم على المساحة المخصصة لنوم زميل له واستقطع لنفسه منها بضع بوصات، ومن ثم رجل من رجالي كانت نفسه تعاف الطعام في مواجهة زميل له اعتاد أن يمضغ اللقمة ثمانياً وعشرين مرة قبل أن يزدردها ولست أعجب لهذا فإن صغائر كهذه في معسكر قطبي يسعها أن تسلب عقول أشد الناس دربة على الطاعة والنظم.

---

(١) رواه الطبراني، وأحمد ٢/ ٣٦٨ .

ويقص علينا (كارنيجي): حكاية شجرة ضخمة تنبت منذ أربعمائة عام وتعرضت في حياتها الطويلة للصواعق أربع عشرة مرة، وهزتها العواصف العاتية طوال أربعة قرون متوالية، ومع ذلك ظلت هذه الشجرة جاثمة في مكانها كأنها جبل عتيد، ثم حدث أخيراً أن زحفت الهوام والحشرات على هذه الشجرة الضخمة فما زالت بها تنخرها وتقرضها حتى سوتها بسطح الأرض، وجعلتها أثراً بعد عين، لقد انمحت ماردة الغابة التي لم تهزمها الصواعق ولم تنل منها الأنواء، اختفت من الوجود بفعل هوام هي من الضآلة بحيث يستطيع الإنسان أن يسحق إحداها بين سبابته وإبهامه، ألا ترانا مثل هذه الشجرة؟ أولسنا ننجو من الأعاصير التي تعترض حياتنا ثم نستسلم بعد ذلك للتوافه التي تلتهم حياتنا التهاماً والأمثلة التي ذكرها المؤلف من واقع الحياة التي يعالج شئونها، قد سبق النبي ﷺ إلى ضرب أمثلة تشبهها مأخوذة من طبيعة البيئة التي عاش العرب فيها:

فعن عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: **«إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»**، وإن رسول الله ضرب لهن مثلاً، **«كمثل قوم نزلوا أرض فلاه فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجئ بالعود، والرجل يجئ بالعود حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها»**(١).

وروى عن سعد بن جنادة قال: لما فرغ رسول الله من (حنين) نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء فقال النبي ﷺ: **«اجمعوا ... من وجد شيئاً فليأت به ومن وجد عظماً أو سناً فليأت به»**. (قال: فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً)، فقال النبي ﷺ: **«أترون هذا؟ فكذلك تجتمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتكم هذا، فليتق الله رجل فلا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها مُحصاة عليه»**.

وقد علم أولوا النهى من تجاربهم أن هناك أشياء تبدو من الإنسان وهو غير آبه بها ولا يقظ لها، يعدها الآخرون عليه ويستنتجون منها أفكاراً أو يرون وراءها نيات غريبة.

وقد تترتب على ذلك نتائج فادحة كما قيل:

---

(١) رواه البخاري، رقاق ٣٢.

إن الأمور صغيرها　　　مما يهيج له العظيم!!

فيحسن بالكيس أن يتدبر ما يصدر عنه من أفعال، ربما لم يلتفت إليها لصغرها ولكنها قد تعقب الكبير من الشرور.

وكما أن تجمع الصغائر مخوف العقبى على حياة الإنسان فإن تجسيم الصغائر بحيث تبدو إحداها وقد حجبت ما يجاورها من خير ليس من الإنصاف في شيء.

ومن المؤسف أن بعض الناس يقع على السيئة في سلوك شخص ما فيقيم الدنيا ويقعدها من أجلها، ثم هو يعمى أو يتعامى عما تمتلئ به حياة هذا الشخص من أفعال حسان وشمائل كرام.

والنظر الذي يثبت على الصغائر لا يعدوها، ولا يعتذر عنها بما يجاورها من خير وكمال، نظر حائر، وقلما يقود صاحبه إلى راحة.

إن الله عز وجل يتجاوز عن التوافه ويغتفر اللمم لكل مؤمن ينشد الكمال ويصبغ به عمله على قدر استطاعته قال الله عز وجل: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا** ﴾ (النساء: ٣١).

وجميل في أجزية الله للناس أن يترك لهم فلتات الطباع وزلات الأقدام.

وجميل من الناس أن يعاشر بعضهم بعضاً على هذه القاعدة من السماحة.

وفي ذلك قال الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً　　　صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فغنه　　　مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى　　　ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها　　　كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وهذه القاعدة إذا حسن تطبيقها فيما بين الأصحاب من أواصر، وما يعرض لعلاقتهم من هزات، فهي بين الزوجين ألزم وللسيطرة على حياتهم أحب وأحكم.

فإن ضاق الزوج بغلطة من امرأته تذكر أن لها صواباً.

وإن حزن لجانب من نفسها نظر إلى جانب آخر سره منها.

وإلى ذلك يشير رسول الله ﷺ بقوله : « **لا يفرك - لا يكره - مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر** »(١).

على أنه من المؤسف أن كثيراً من التوافه تعصف برشد الألوف المؤلفة من الناس وتقوض بيوتهم صداقاتهم وتذرهم في هذه الدنيا حيارى محسورين، ويشرح « **ديل كارنيجي** » عواقب الاندفاع مع وحى هذه التوافة فيقول : إن الصغائر في الحياة الزوجية يسعها أن تسلب عقول الأزواج والزوجات وتسبب نصف أوجاع القلب التي يعانيها العالم.

أو ذاك على الأقل ما يؤكده الخبراء، فقد صرح **القاضي** « **جوزيف ساباث** » من قناة شيكاغو بعد أن فصل في أكثر من أربعين ألف طلاق بقوله : إنك لتجد التوافه دائماً وراء كل شقاء يصيب الزواج.

هذه الصغائر اليسيرة هي التي تؤدي إلى القتل والجريمة.

إن الأقلين منا قساة بطبائعهم، بيد أن توالى الضربات الموجهة إلى ذواتنا وكبريائنا وكرامتنا هو الذي يسبب نصف ما يعانيه العالم من مشكلات.

هذا الكلام الذي يصف علل الجرائم في مدن أمريكا يمكن أن ننقله بنصه في وصف علل الجرائم التي تقع في مدننا وأريافنا.

والواقع أن سوء التصور للأمور وشدة الإحساس بالكرامة الخاصة، والمبادرة إلى تفسير أي تصرف بأنه احتقار لا يغسله إلا الدم، وغير ذلك من التخيلات التي تضخم التوافه هو السبب الأول لما تشهد وتقرأ من أحداث مروعة.

والعلاج : صقل مرآة الذهن بحيث تلتقط صوراً حقيقية لما تحفل به الحياة.

صوراً لم تفسدها المبالغة، ولم يشوهها الهوى.

ثم الحكم على هذه الصور في نطاق النظرة الرحبة، النظرة التي تضع النظائر والنقائض في جوار واحد، فلا تنسى الخير إذا هاجها الشر.

وبذلك يتلاشى أغلب ما يحسه المرء من شقاء، وما يتورط فيه من أخطاء.

---

(١) رواه مسلم، رضاع ٦٣ .

الرسالة الثانية : هل تستبدل مليون جنيه بما تملك؟

ما أكثر النعم التي بين أيدينا، وإن غفلنا عنها!!

أقليل أن يخرج الإنسان من بيته وهو يهز يديه كلتيهما ويمشي على الأرض بخطوات ثابتة، ويملأ صدره بالهواء في أنفاس رتيبة عميقة، ويمد بصره إلى آفاق الكون فتنفتح عيناه على الأشعة المنسابة وتلتقط أذناه ما يموج به العالم من حراك الحياة والأحياء؟

إن هذه العافية التي تمرح في سعتها وتستمتع بحريتها ليست شيئاً قليلاً .

وإذا كنت في ذهول عما أوتيت من صحة في بدنك، وسلامة في أعضائك واكتمال في حواسك فاصح على عجل، وذق طعم الحياة الموفورة التي أتيحت لك والحمد لله ـ ولي أمرك وولي نعمتك ـ على هذا الخير الكثير الذي حباك إياه .

الا تعلم أن هناك خلقا ابتلوا بفقد هذه النعم،

وليس يعلم إلا الله مدى ما يحسونه من ألم؟

منهم من حبس في جلده، فما يستطيع حركة بعد أن قيده المرض، ومنهم من يستجدي الهواء الواسع نفساً يحيى به صدره العليل، فما يعطى الهواء إلا زفرة وتخرج شاخبة بالدم .

ومنهم من عاش منقوش الأطراف أو المشاعر .

ومنهم من يتلوى من أكل لقمة لأن أجهزته الهاضمة معطوبة ومنهم ومنهم .

إذا كنت معافى من هذه الأسقام كلها فهل تظن القدر زودك بثروة تافهة أو منحك ما لا تحاسب عليه؟ كلا، كلا . . إن الله يكلفك بقدر ما يعطيك .

ومن الخطأ أن تحسب رأس مالك أنه هو ما اجتمع لديك من ذهب وفضة .

إن رأس مالك الأصيل جملة المواهب التي سلحك القدر بها، من ذكاء وقدرة وحرية، وفي طليعة المواهب التي تحصى، وتعتبر من العناصر في ثروتك ما أنعم الله به عليك من صحة سابغة، وعافية تتألق بين رأسك وقدمك وتتأنق بها في الحياة كيف تشاء، والغريب أن أكثر الناس يزدرون هذه الثروة التي يمتلكونها، لايشركهم أحد فيها، أو يزاحمهم عليها .

وهذا الازدراء جحود يستحق التنديد والمؤاخذة، قال (ديل كارنيجي) : أتراك تبيع عينيك في مقابل مليون دولار؟ كم من الثمن تظنه يكفيك في مقابل ساقيك أو سمعك؟ أو أولادك أو أسرتك؟

احسب ثروتك من هذه المواهب الغالية، ثم اجمع أجزاءها وسوف ترىٰ أنها لا تقدر بالذهب الذي جمعه آل (روكفلر) وآل (فورد) بيد أن البشر لا يقدرون هذا كله؟ إننا كما قال فينا (شوبنهور) : ما أقل تفكيرنا فيما لدينا وما أكثر تفكيرنا فيما ينقصنا.

ويروىٰ أن (الرشيد) قال لابن السماك عظني ، وقد أتىٰ بماء ليشربه فقال: «ياأمير المؤمنين، لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك؟.

قال : نعم؟ قال : فلو حبس عنك خروجها أكنت تفديها بملكك؟

قال : نعم. . قال : فما خير في ملك لا يساوىٰ شربة ولا بولة».

وإذا كان هذا الواعظ يريد أن يهون ملك الخليفة فيجسم أمام عينيه نعمة مبذولة، ويريه أنها أرجح مما يعتز به من دولة وصولة فنحن ننظر إلىٰ هذه العظة من وجهها الآخر، لنرىٰ جميعاً، أنا وأنت أن ما يفتديه الملوك بتيجانهم نحصل عليه دون انتباه، ونناله من غير جهد.

فهل نذكر هذا الفضل؟

وهل نقدر هذه النعمة؟ وهل نشكر عليها؟

أغلبنا يألف ما يجده من صحة فلا يعرف روعته وجلاله إلا إذا تعكر عليه أو فقده وطول الإلف قد يتأدىٰ بنا إلىٰ الاستهانة، لكن الله لا يلغي حقيقة ما لأن عباده يغضون منها، إنه يحاسبهم بها علىٰ مقدارها كله، قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده إن الرجل ليجئ يوم القيامة بعمل ـ صالح ـ لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته** »[1].

ومعنىٰ ذلك أن أصحاب النعم مطالبون بمزيد من الجهد والنشاط كفاء ما أوتوا

---

(١) رواه المنذري، مجمع الزوائد : ١٠/ ٣٥٧، والطبراني في الأوسط، وفيه أيوب بن عتبة وهو ضعيف، وفيه توثيق.

من خير، ومنحوا من بر، والإسلام يرىٰ الحياة نعمة، ويطلب إلينا أن نشكر الله علىٰ ما وهبنا من روح وإحساس، وسخر لنا من ليل ونهار ومكن لنا بين الأرض والسماء.

إن هذه الحياة الممتازة الراقية تكريم خاص ينبغي أن نعتز به وأن نبصر حق الله فيه: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨).

والله قد منحنا الحواس المعروفة لنتجاوب مع الوجود، ونتعرف ما فيه ونتذوق بملكاتنا المادية والأدبية جماله وقواه حتىٰ إذا غمرنا هذا البهاء المُفاض من كل ناحية، اهتزت مشاعرنا شكراً للذي أحيانا وكرمنا: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨).

إن المرء قد يغفل عن النطاق الواسع الذي يجتنىٰ منه ما بين يديه من خيرات، ولو دقق النظر لرأىٰ المائدة التي أمامه تحفل بألوان شتىٰ من أقطار العالم، ربما كان قمحاً من روسيا ولحماً من أفريقيا، وفاكهة من أوروبا ويشرب شاياً من آسيا ويتناول بعض المواد الأخرىٰ من أمريكا.

ولو رجع مرة أخرىٰ لرأىٰ الأرض والسماء كلتيهما قد اجتمعتا علىٰ خدمته، وتيسير حياته، فيفهم قول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١، ٢٢).

والحق إن ما في الحياة من منغصات ومتاعب يجيء من فوضىٰ الناس ونزق غرائزهم وطيش مسالكهم أكثر مما يجيء من طبيعة الحياة نفسها.

هب رجلاً ترك لأولاده الثلاثة داراً تسع ثلاثمائة لوفرة مرافقها ورحابة باحاتها فاختصم الأولاد في هذه الدار، طرد بعضهم بعضاً أو سجن بعضهم بعضاً، هل يكون ذلك عيباً في الدار أو تقصيرا من ربها؟؟

أم هو عيب الإخوة المتشاركين والشركاء المتظالمين؟؟

كذلك الحياة الدنيا والله ما أفسدها وكسف (من الكسوف) ضياءها وشاب نعماءها إلا ركض البشر في جوانبها ركضاً مجنوناً لا يخضع لشرائع الله ولا يستقيم مع نصحه وهداه.

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

ولو استرشدنا بمنارات الله التي انزل علينا وأدركنا الخير الواسع الذي أتاح لنا لكان لنا وللحياة شأن آخر.

غير أن أكثرنا يحتقر ثروة الحياة والعاقبة التي يملكها، ويعجز تبعاً لذلك عن الانتفاع بها، إنه يبكي أماني هينة لم يحصل عليها، ولو حصل عليها لكانت بعض الواقع الثمين الذي لم يُقدره حيث قدره!!

حكى **(ديل كارنيجي)** قصة رجل أرهقه الكدح الفاشل واضطربت نفسه تحت وطأة الأزمات التي عاناها، إلا إنه وعى من صور الحياة درساً أخذ بيده إلى النهاية المشرقة، ولنسمع إليه يقول: كنت خلال العامين السابقين لهذا الحادث أدير محلاً للبقالة في مدينة (وب) وقد باءت تجارتي بالكساد وفقدت فيها كل ما ادخره بل عمدت فوق ذلك إلى الاستدانة حتى لقد استغرق سداد ديوني سبع سنين وكنت أغلقت محل البقالة قبل ذلك الحادث بأسبوع وفي يوم الحادث اتجهت إلى أحد المصارف لأقترض شيئاً من المال يعينني على الذهاب إلى مدينة (كانساس) للبحث عن عمل فيها.

وبينما أنا أسير في الطريق ذاهلاً شارد اللب قد خامرني اليأس وأوشك الإيمان يفارقني إذ رأيت رجلاً مبتور الساقين يريد أن يعبر الطريق . . .

كان يجلس على عارضة خشبية مزودة بعجلات صغيرة، ويستعين على تسيير هذه العارضة بيديه اللتين أمسك بكلتيهما قطعتين من الخشب يستند بهما إلى أرض الشارع، ثم بعد أن أخذ يحاول رفع خشبته التي يجلس عليها ليعتلي (الطوار) فلما أصبح فوقه أدار (عربته) الصغيرة ليمضي في سبيله فالتقت عيناه بعيني وابتسم ابتسامة عريضة مشرقة، ثم قال: سعدت صباحاً يا سيدي إنه يوم جميل أليس كذلك؟

إن لي ساقين واستطيع ان امشي...

وخجلت مما كنت استشعره من الرثاء لنفسي وقلت : إذا كان هذا الرجل يستطيع أن يكون سعيداً مرحاً مع فقد ساقيه، فأولىٰ بي أن استجمع هذه الصفات ولي ساقان وكنت قد عولت علىٰ أن أقترض من المصرف مائة دولار ولكني إذ ذاك واتتني الشجاعة فطلبت مائتين وكنت قد عولت علىٰ أن أقول للمصرف إني ذاهب إلىٰ (كانساس) لأحاول الحصول علىٰ عمل لكني بعد هذا قلت للمصرف إني ذاهب للحصول علىٰ عمل ولقد حصلت علىٰ القرض وحصلت علىٰ العمل.

ما أغلى العافية التي تسري في أوصالنا.. وما أثمن القوى التي زودنا الله بها.

وما أشهى الثمار التي نقطفها.. لو أحسنا استغلالها ولم نهدر قيمتها.

إن الإسلام يريد أن يلفت أنظارنا بقوة إلىٰ نفاسة النعم التي تكتنفنا وإلىٰ ضرورة الإفادة منها ـ وإليك هذه القصة التي أراد النبي ﷺ تنبيهنا إلىٰ جلال النعم التي يستمتع أغلبنا بها ولا يلتفت إليه :

عن جابر رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « **خرج من عندي خليلي جبريل آنفا فقال : يا محمد ... والذي بعثك بالحق إن لله عبداً من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج له عينا عذبة بعرض الأصبع تفيض بماء عذب فيستنقع في أسفل الجبل وشجرة رمان تخرج له في كل ليلة رمانة .**

يتعبد يومه، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء ـ من الهوام ـ عليه سبيلا حتى يبعثه الله وهو ساجد ...

قال: ففعل، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا، فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له الرب :« أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول : رب بل بعملي فيقول : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول : رب بل بعملي فيقول الله : قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، فتوجد نعمة البصر قد

أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعم الجسد فضلاً عليه، فيقول : أدخلوا عبدي النار فيجر إلى النار فينادى رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول : ردوه، فيوقف بين يديه فيقول يا عبدي من خلقك ولم تك شيئاً؟ فيقول أنت يا رب فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول أنت يا رب، فيقول : من أنزلك في جبل وسط اللجُة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة، وإنما تخرج مرة في السنة، ومن سألته أن يقبضك ساجداً ففعل؟

فيقول : أنت يا رب. قال : فذاك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة، أدخلوا عبدي الجنة فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الله الجنة، قال جبريل : إنما الأشياء برحمة الله يا محمد»(١).

في هذا الحديث تنويه بقيمة النعم التي يحظى أغلب الناس بها، وليس فيه أي انتقاص لعنصر العدالة، أو خدش لموازين الجزاء في الدار الآخرة.

وبعض الحمقى يمطون كلمة إنما الأشياء برحمة الله، ليجعلوا الحساب فوضى، وليوهموا أن العمل لا يرشح لجنة أو نار.

إنما هي الرحمة العليا يظفر بها فريق - ولو كان عاصيا - فيدخل الجنة، ويحرم منها آخر - ولو كان مطيعاً فيدخل النار.

وقد شاعت هذه السخافات بين الأجيال المتأخرة من المسلمين فضللت فكرهم، وأوهنت سعيهم، ولم تزدهم عن الله إلا بعداً، وبدينه إلا جهلاً.

كيف يدخل الجنة من لم يرشحه لها جهده والله يقول :

﴿ **لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (الأنعام: ١٢٧).

ويقول : ﴿ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا** ﴾ (مريم: ٦٣).

ويقول : ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (الزخرف: ٧٢).

---

(١) رواه المنذري (وسبق تخريجه).

إن معصية الله لا تُنيل رحمته ورضاه، والعمل الصالح هو الذي يقرب عطفه ومغفرته، وفي مقدمة الصالحات أن تدرك ضخامة النعم التي أسبغت عليك، وأن تغالي بحقيقتها وحقها، فإن الله لو ناقشك الحساب عليها وتقاضاك الوفاء بثمنها لعجزت.

الخاتمة

بعد هذا الغوص في أعماق هذه الموسوعة، وتحصيل أنواع شتىٰ من المعرفة النظرية والتوجيهات العملية، يبقىٰ لزاماً علينا أن نزيل شبهة ربما كانت تخالج قلب أي شخص وهي:

« أن مملكة الله لما كانت تبلغ من العظمة والهيمنة حيث لا يوجد أي شيء من ذرة في الأرض إلىٰ الشمس والقمر إلا في حوزتها، وأنه لما لم يكن الإنسان في مملكة الله إلا مجرد عبدخاضع لأمره، فكيف أمكن للإنسان أن يخرج من طاعته، ويعين نفسه ملكاً علىٰ رعاياه وينفذ فيهم قانونه؟ وما لله لا يمسك بيده ولا يعاقبه؟ الرد علىٰ هذا السؤال بمثل بسيط:

هب أن ملكاً أرسل واحداً من رعاياه نائباً من قِبَلِه علىٰ مديريةمن مديريات مملكته، وما المملكة إلا مملكة الملك، وما الرعايا إلا رعايا الملك، والمَلك محيط بتلك المديرية من كل جانب، فما رئيس تلك المديرية (أي نائب الملك) شيئاً يذكر بإزاء الملك، وللملك كلما شاء أن يرغمه علىٰ أن لا يحيد عن أمره ولا قيد شعره إلا أن الملك يريد أن يمتحن عقل ذلك الرئيس ومروءته وكفاءته فيرخي عنانه، ويترك أمره علىٰ غاربه، ويوسع له في غيه حتىٰ ليظن أن لا قوة هناك فوقه.

وهذا الرئيس إن كان عاقلاً وفياً شاعراً بالواجب؛ فإنه لن يعتقد نفسه إلا أحد رعايا الملك وخدمه علىٰ رغم ارتخاء العنان، ولن يحكم في مملكة الملك إلا وفقاً لقانون الملك، ولن يمارس ما أعطاه الملك من السلطات والصلاحيات إلا وفقا لإرادة الملك، ولهذا السلوك القائم علىٰ مبدأ الوفاء والولاء تتحقق أهليته، ولابد أن يرفعه الملك درجات من خدمة المقربين إلىٰ جنابه حين يجده أهلا للمراتب العليا هكذا.

ولكن هب أن ذلك الرئيس سفيه، عديم العقل والمروءة، شرير النفس لا يقيم للوفاء وزناً، وأن أفراد الرعايا الساكنين في ملك المديرية جهال جبناء سفهاء فهو حين يرىٰ حبله علىٰ غاربه وعنانه مرتخياً من قِبَل الملك ينفخ في أوداجه شيطان الغرور والخيانة، وتداعب نفسه فكرة الاستقلال والخروج من طاعة الملك، فيعتقد نفسه مالكاً

لتلك المديرية، ويتصرف في أمورها على هواه مستغنياً عن الملك وقوانينه.

وأفراد الرعايا الجهال يعترفون له بالسيادة والاستقلال لمجرد رؤيتهم أنه هو الذي يعطيهم الرواتب، وأن بيده الشرطة والمحاكم، وأن في قبضته أغلال السجون، وأعواد المشانق، وأن عنده من السلطات ما يستطيع أن يجعلهم به سعداء أو أشقياء في حياتهم.

أما الملك فهو غير غافل عن سلوك ذلك الرئيس الخائن وسلوك أولئك الرعايا الجهال جميعاً، وهو إن شاء أخذه وآخذهم أخذ عزيز مقتدر، إلا إنه يريد أن يمتحنه ويمتحنهم جميعاً، فيسلك مسلك الأناة والحلم والإمهال والانتظار، فيرخي العنان في وجوههم، حتى يبدو للعيان كل ما يكنون في نفوسهم من مواطن الخيانة والغدر، ويغلقون على أنفسهم كل باب من أبواب الاعتذار.

والملك قوي عزيز لا يخاف أن يتقوى ذلك الرئيس ويستفحل شأنه حتى يبلغ حيث يسلبه عرشه، ولا يخاف كذلك أن يغلب هؤلاء الرعايا الخائنون الخارجون من طاعته بزعمهم من متناول يده، فلا حاجة به أن يقضي في شأنه وشأنهم على عجل فيملي لهم ويوسع لهم في غيهم سنة تلو سنة، حتى إذا أعلنوا كل ما تنطوي عليه نفوسهم من الخبث والشراسة على أكمل وجه وأوفره، يفاجئهم بعذابه، وحين يأتي عذابه لا يستطيعون رده بحيلة، ولا يجدون سبيلاً للتوبة والاعتذار.

أيها الناس.. أنا وأنتم وكل هؤلاء الذين جعلهم الله رؤساء في أرضه نواجه هذا الامتحان، وكلنا ممتحنون في عقلنا ومروءتنا وشعورنا بالواجب ووفائنا، فعلى كل واحد منا أن يقرر عند ذات نفسه: هل يحب أن يكون وفياً أم خائناً لملكه الحقيقي؟

أما أنا فقد قررت عند نفسي أن أتبع سبيل الطاعة والوفاء، وأنا خارجٌ من طاعة كل من قد خرج من طاعة الله، فمن شاء منكم فليسلك طريق الطاعة والوفاء، ومن شاء فليسلك طريق المعصية والخيانة، فلكم أن تختاروا إحدى السبيلين و.. ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (يوسف: ١٠٨) »(١).

(١) طريق السلام، أبو الأعلى المودودي.

ولقد كانت هذه الموسوعة «**هذا هو الإسلام**» ليعرف الناس طريقهم إلى الله المَلِك القوي القادر، الخالق البارئ المصور، المنتقم الجبار، الرؤوف الرحيم، وحتىٰ يتعرف الناس إلىٰ ربهم ورسولهم وكتابهم وسنة نبيهم، فيختاروا - إن شاء الله - طريق الوفاء والطاعة لله، واتباع سيد الخلق محمد ﷺ.

وبعد هذا العرض المُفصَّل لأبواب الموسوعة يأتي الإيجاز الواضح الذي يجعل أبواب الموسوعة كلها أمام القارئ ليعيشها واقعاً عملياً كلما فترت همته، وذلك بأن يطرح علىٰ نفسه دائماً هذا السؤال المهم: **ماذا يعني انتمائي للإسلام؟**

فالانتماء للإسلام ليس انتماءً بالوراثة، ولا انتماءً بالهوية، كما أنه ليس انتماءً بالمظهر الخارجي.. إنما هو انتماء للإسلام، والتزام بالإسلام، وتَكَيُّف مع الإسلام في كل جوانب الحياة.

وأحب أن أذكر أبرز الصفات التي يجب توافرها في المسلم ليكون انتماؤه لهذا الدين انتماءً صحيحاً صادقاً، متوافقاً مع قول الله عز وجل: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾ (الحج: ٧٨).

ومن هذه الصفات:

١ - أن أكون مسلماً في عقيدتي.

٢ - أن أكون مسلماً في عبادتي.

٣ - أن أكون مسلماً في أخلاقي.

٤ - أن أكون مسلماً مع أهلي وبيتي.

٥ - أن أنتصر علىٰ نفسي.

٦ - أن أكون واثقاً بأن المستقبل للإسلام[١].

---

(١) كتاب: ماذا يعني انتمائي للإسلام؟، للأستاذ الدكتور فتحي يكن، طبعة مؤسسة الرسالة.

لذا كانت أبواب الموسوعة مرتبة لبناء هذه الجوانب والصفات في شخصية المسلم بناءً إنشائياً ليصل في النهاية إلىٰ قيادة المجتمع الإنساني، فيعود الإنسان إلىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ... ﴾ (الحج: ٧٧).

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ... ﴾ (يوسف: ٤٠).

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ... ﴾ (الأعراف: ٤٣).

تضرع ودعاء

في الروضة الشريفة وبجوار قبر النبي ﷺ أكتب دعاء ختام الموسوعة:

اللهم صل على سيدنا محمد في الأولين، وصلي عليه في الآخرين، وصلي عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.. اللهم إني أتوسل إليك بك، وأقسم بك عليك، أن تجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، وأن تثقل به موازيني يوم العرض عليك، وأن تبيض به صحائفي يوم القيامة، واجعله زخراً لي بعد موتي، واجعله علماً يُنتفع به، وتجاوز عن أخطائي وزلاتي فيه، وانشره في الآفاق، وانفع به المسلمين، واحفظ ذريتي من كل مكروه وسوء، واجعلها ذرية صالحة تعمل لدعوتك: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٥).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .



الجزء الثالث

المراجع والمصادر

١ ـ التفسير وعلوم القرآن :

١ ـ الجامع لأحكام القرآن الكريم ـ القرطبي .

٢ ـ تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير .

٣ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب .

٤ ـ تفسير آيات الأحكام ـ الشيخ محمد علي السايس .

٥ ـ كلمات القرآن تفسير وبيان ـ الشيخ حسنين مخلوف .

٦ ـ الإتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي .

٧ ـ كيف نتعامل مع القرآن ـ د. يوسف القرضاوي .

٨ ـ مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان .

٢ ـ الحديث ومصطلح الحديث :

٩ ـ صحيح البخاري ـ الإمام البخاري .

١٠ ـ صحيح مسلم ـ الإمام مسلم ـ شرح النووي .

١١ ـ سنن أبو داود ـ الإمام أبو داود .

١٢ ـ سنن الدارمي ـ الإمام الدارمي .

١٣ ـ سنن النسائي ـ الإمام النسائي .

١٤ ـ سنن ابن ماجة ـ الإمام ابن ماجة .

١٥ ـ سنن الترمذي ـ الإمام الترمذي .

١٦ ـ الموطأ ـ الإمام مالك .

١٧ ـ المسند ـ الإمام أحمد .

١٨ ـ الترغيب والترهيب ـ الإمام المنذري .

١٩ ـ رياض الصالحين ـ الإمام النووي .

٢٠ ـ جامع العلوم والحكم ـ لابن رجب .

٢١ ـ إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووية ـ محمد تاتاي .

٢٢ ـ تدريب الراوي ـ للسيوطي .

٢٣ ـ شرح نخبة الفكر ـ لابن حجر .

٢٤ ـ الباعث الحثيث ـ لابن كثير ـ د. أحمد شاكر .

٢٥ ـ أصول الحديث النبوي ـ ابن الصلاح ـ د. الحسيني هاشم طبعة دراسية .

٢٦ ـ النفيس في علوم الحديث د. الأحمدي عبدالفتاح .

٢٧ ـ الحديث وعلومه أ. د. عبدالرحمن البر .

٢٨ ـ تيسير مصطلح الحديث د. الطحان .

٢٩ ـ المقاصد الحسنة للسخاوي

٣٠ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ـ محمد فؤاد عبدالباقي .

٣ ـ الفقه وأصول الفقه :

٣١ ـ المغني ـ لابن قدامة .

٣٢ ـ نيل الأوطار ـ للشوكاني .

٣٣ ـ سبل السلام ـ للصنعاني .

٣٤ ـ فقه الزكاة ـ د. يوسف القرضاوي .

٣٥ ـ الحلال والحرام د. يوسف القرضاوي .

٣٦ ـ حجاب المرأة ـ للألباني .

٣٧ ـ فتاوي المرأة ـ ابن باز ـ ابن عثيمين .

٣٨ ـ الفتاوي النسائية ـ ابن عثيمين طبعة القاهرة .

٣٩ ـ المرأة المسلمة ـ ابن عثيمين ـ طبعة الرياض .

٤٠ ـ الختان ـ الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق .

٤١ ـ بيان للناس ـ الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق.
٤٢ ـ فقه السنة ـ سيد سابق.
٤٣ ـ إرشاد الأنام إلي ما يخص الأسرة من الأحكام ـ د. إبراهيم صالح طبعة دراسية.
٤٤ ـ الحجاب ـ المودودي.
٤٥ ـ الوجيز في أصول الفقه ـ د. عبدالكريم زيدان.
٤٦ ـ نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره للشيخ محمد علي السايس.
٤٧ ـ الاجتهاد ـ الإمام الأكبر محمد مصطفى المراغي.
٤٨ ـ الواضح في أصول الفقه ـ د. محمد سليمان الأشقر.
٤٩ ـ القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه ـ د. محمد بكر إسماعيل.
٥٠ ـ تيسير أصول الفقه ـ د. مصطفى فرج ريحان طبعة دراسية.
٥١ ـ الجداول الجامعة في العلوم النافعة ـ طبعة دار الوفاء.

٤ ـ السيرة:

٥٢ ـ السيرة النبوية ـ لابن هشام.
٥٣ ـ الرحيق المختوم ـ صفي الرحمن المباركفوري.
٥٤ ـ فقه السيرة ـ الشيخ محمد الغزالي.
٥٥ ـ السيرة النبوية د. علي محمد الصلابي.

٥ ـ المعاجم:

٥٦ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبدالباقي.
٥٧ ـ معجم آيات القرآن الكريم ـ محمد منير الدمشقي.
٥٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ د. ونسنك أستاذ العربية بجامعة ليدن طبعة عام ١٩٣٦م.
٥٩ ـ معجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية.
٦٠ ـ المعجم الوجيز ـ مجمع اللغة العربية ـ طبعة خاصة بالتربية والتعليم.

٦ ـ الفكر والدعوة والأخلاق والثقافة الإسلامية :

٦١ ـ الميزان بين السنة والبدعة ـ د. محمد عبدالله دراز.

٦٢ ـ الإبداع في مضار الابتداع ـ الشيخ علي محفوظ.

٦٣ ـ اللمع في تجلية البدع ـ أ. محمد حسين.

٦٤ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ـ د. مصطفى السباعي.

٦٥ ـ المنهج القرآني في التشريع ـ د. عبدالستار فتح الله سعيد.

٦٦ ـ الاعتقاد علي مذهب أهل السلف ـ البيهقي.

٦٧ ـ العقيدة الإسلامية ـ سيد سابق.

٦٨ ـ المستقبل لهذا الدين ـ سيد قطب.

٦٩ ـ الإسلام دين عام خالد ـ محمد فريد وجدي.

٧٠ ـ الإسلام شريعة الزمان والمكان ـ د. عبدالله ناصح علوان.

٧١ ـ الإسلام يتحدي ـ وحيد الدين خان.

٧٢ ـ الإسلام وأثره في نهضة الشعوب ـ الشيخ محمود عبدالوهاب فايد.

٧٣ ـ الإسلام والمرأة ـ الشيخ الشعراوي.

٧٤ ـ الحكومة الإسلامية أ. المودودي.

٧٥ ـ القانون الإسلامي وطرق تنفيذه أ. المودودي.

٧٦ ـ النظم الإسلامية د. يسري هاني.

٧٧ ـ أخلاقنا الاجتماعية د. مصطفى السباعي.

٧٨ ـ اتفاقية القضاء علي أشكال التمييز ضد المرأة من منظور إسلامي ـ الشيخ جاد الحق علي جاد الحق.

٧٩ ـ المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ـ الشيخ محمد أبو زهرة.

٨٠ ـ الحرية في الإسلام ـ الإمام الأكبر محمد الخضر حسين.

٨١ ـ المالية العامة للدولة الإسلامية ـ قطب إبراهيم محمد ـ طبعة دراسية.

٨٢ ـ الرقابة المالية في الدولة الإسلامية ـ عبدالرحمن بدوي.

٨٣ـ الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ـ د. يوسف القرضاوي.
٨٤ ـ الإيمان والحياة ـ د. يوسف القرضاوي.
٨٥ ـ التربية الإسلامية ـ د. يوسف القرضاوي.
٨٦ ـ الإيمان والعلمانية ـ وجهاً لوجه ـ د. يوسف القرضاوي.
٨٧ ـ العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق د. محمد البهي.
٨٨ ـ أصول الدعوة د. عبدالكريم زيدان.
٨٩ ـ الخطابة بين النظرية والتطبيق د. محمود عمارة.
٩٠ ـ أدب الاختلاف في الإسلام د. طه جابر العلواني.
٩١ ـ اثنين وتسعين وسيلة دعوية ـ إبراهيم عثمان الفارسي.
٩٢ ـ العبادة أحكام وأسرار ـ الإمام الأكبر عبدالحليم محمود.
٩٣ ـ الحقوق الإسلامية ـ الشيخ طه عبدالله العفيفي.
٩٤ ـ آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة ـ الشيخ خالد عبدالرحمن العك.
٩٥ ـ العلاقات الزوجية المعاصرة من منظور إسلامي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ١٣٨ .
٩٦ ـ السحر والحسد ـ الشيخ الشعراوي.
٩٧ ـ الهداية الربانية ـ شرح الأربعين النووية ـ الشيخ ـ عبدالخالق الشريف.
٩٨ ـ السهم المسموم ـ د. إبراهيم الدويش.
٩٩ ـ بين يدي عمر ـ أ. خالد محمد خالد.
١٠٠ ـ تعريف عام بدين الإسلام ـ الشيخ علي الطنطاوي.
١٠١ ـ تربية الأولاد في الإسلام ـ د. عبدالله ناصح علوان.
١٠٢ ـ تأملات علمية تنطق بقدرة الله ـ د. عز الدين فراج.
١٠٣ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية ـ الإمام محمد أبو زهرة.

١٠٤ ـ ثلاثون سبباً للسعادة الزوجية د. محمد منصور.

١٠٥ ـ جدد حياتك ـ الشيخ محمد الغزالي.

١٠٦ ـ حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ـ الشيخ محمد الغزالي.

١٠٧ ـ خمسة وعشرون وسيلة حتى نربي أبناءنا علي الإسلام الصحيح ـ محمد سعيد مرسي.

١٠٨ ـ ديوان نفحات ولفحات ـ د. يوسف القرضاوي.

١٠٩ ـ ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية ـ د. محمد شوقي الفنجري.

١١٠ ـ رسالتنا لشباب القرن العشرين ـ الشيخ علي الطنطاوي.

١١١ ـ رعاية المسنين في الإسلام ـ عبدالله ناصر السرحان.

١١٢ ـ شبهات وردود حول العقيدة د. عبدالله ناصح علوان.

١١٣ ـ شبهات وأباطيل خصوم الإسلام ـ الشيخ الشعراوي.

١١٤ ـ عقيدة المسلم ـ الشيخ محمد الغزالي.

١١٥ ـ عقيدة المسلم ـ الشيخ الشعراوي.

١١٦ ـ عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية ـ د. يوسف القرضاوي.

١١٧ ـ غضب الله تعالي ملاحق المتمردين علي الفطرة (الإيدز) ـ فؤاد سيد عبدالرحمن الرفاعي.

١١٨ ـ فن الخطابة والتوجيه ـ د. يسري هانئ.

١١٩ ـ فقه النصر والتمكين ـ د. محمد علي الصلابي.

١٢٠ ـ فن تربية الأولاد في الإسلام ـ محمد سعيد مرسي.

١٢١ ـ فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء ـ الشيخ محمد الغزالي.

١٢٢ ـ في ذكري المولد النبوي الشريف ـ د. ياسر أبو شبانة الرشيدي.

١٢٣ ـ فن المذاكرة ـ السيد شندي.

١٢٤ ـ كيف نتعامل مع السنة د. يوسف القرضاوي.

١٢٥ ـ كيف عالج الإسلام البطالة ـ د. زيد بن محمد الرماني.
١٢٦ ـ لسنا في زمان أبرهة ـ د. راغب السرجاني.
ـ للتفوق طريق ـ د. خالد جمال.
١٢٧ ـ محاضرات في العقيدة الإسلامية ـ د. فاروق أحمد شوقي.
١٢٨ ـ منهج الدعوة الإسلامية من القرآن والسنة ـ الشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح.
١٢٩ ـ مقارنة الأديان ـ د. أحمد شلبي.
١٣٠ ـ من فيض الرحمن في تربية الإنسان ـ الشيخ الشعراوي.
١٣١ ـ ماذا يعني انتمائي للإسلام ـ د. فتحي يكن.
١٣٢ ـ مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل والإسلامي د. عباس محجوب ـ كتاب الأمة.
١٣٣ ـ نصائح في تربية الأولاد ـ أ. د. أحمد ستين.
١٣٤ ـ نداء للجنس اللطيف ـ السيد رشيد رضا.
١٣٥ ـ نظم التأمين في ميزان الشريعة الإسلامية ـ أ. د. حسين شحاتة.
١٣٦ ـ هموم داعية ـ للشيخ محمد الغزالي.
١٣٧ ـ لا تعبدوا الجن والشياطين والسحرة ـ أ. علي متولي علي.

٧ ـ المجلات:

١٣٨ ـ مجلة الأزهر الشريف ـ مجمع البحوث الإسلامية.
١٣٩ ـ مجلة الوعي الإسلامي ـ وزارة الأوقاف الكويتية.
١٤٠ ـ مجلة منار الإسلام ـ وزارة العدل والشئون الإسلامية في دولة الإمارات.
١٤١ ـ مجلة الأمة ـ قطر.
١٤٢ ـ مجلة الرسالة ـ مركز الإعلام العربي القاهرة.
١٤٣ ـ مجلة الزهور ـ مركز الإعلام العربي القاهرة.

٨ ـ مراجع ملحق فلسطين :

١٤٤ ـ زوال إسرائيل حتمية قرآنية ـ الشيخ أسعد التميمي ـ إمام المسجد الأقصي .

١٤٥ ـ نهاية إسرائيل والصهيونية ـ عبدالحميد واكد .

١٤٦ ـ حكم الإسلام في قضية فلسطين ـ فتاوي شرعية خطيرة .

١٤٧ ـ إصدار الهيئة العربية العليا لفلسطين بالقاهرة عام ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م مطابع دار الكتاب العربي بمصر ـ حلمي المنياوي .

١٤٨ ـ فلسطين الثغر والرباط الشيخ عبدالخالق الشريف .

فهرس أطراف الحديث (١)

(١) إرشادات الفهرس:

١ ـ إذا كان الحديث عند البخاري وغيره، اكتفيتُ بذكر البخاري.

٢ ـ إذا كان الحديث عند مسلم وغيره، اكتفيتُ بذكر مسلم.

٣ ـ إذا انفرد راوٍ بالحديث عزوته إليه.

٤ ـ إذا تعددت طرق الرواية ذكرتُ أحد الرواة، وقلتُ: وغيره.

٥ ـ إذا كان الحديث عند أصحاب السنن أو بعضهم ومنهم الترمذي، قلتُ: الترمذي وغيره

٦ ـ كل ما جاء في خطبة الوداع عزوته إلىٰ رواية مسلم، باب حجة النبي ﷺ.

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٢٠	اتى رسول الله برجل قد شرب الخمر	البخاري	٣٥٥
٢١	اتى رسول الله رجل ومعه شيخ فقال له: يا هذا من الذي	الطبراني	١٩٧٨
٢٢	اثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة	البخاري ومسلم	١١٧٤
٢٣	اجتنبوا السبع الموبقات	البخاري ومسلم	٢٣٠
٢٤	اجلس بنا نؤمن ساعة	البخاري	٦٩١
٢٥	احب لأخيك ما تحب لنفسك	البخاري ومسلم	٧٤١
٢٦	احفظ عورتك إلا من زوجتك	الترمذي وغيره	٢٠٢٩
٢٧	احكم بالظاهر والله يتولى السرائر	البخاري ومسلم	١٨٩٦
٢٨	احلقه كله أو دعه كله	البخاري ومسلم	٥٧٥
٢٩	اختتن إبراهيم خليل الرحمن	أبو داود	٥٧٣
٣٠	اخر رسول الله العشاء يوماً حتى نام النساء والولدان	البخاري ومسلم	٣٢٩
٣١	اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم	البخاري ومسلم	١٤٧٤
٣٢	اد الأمانة إلى من ائتمنك	الترمذي وغيره	١٢٧١
٣٣	اد الأمانة إلى من ائتمنك	الترمذي وغيره	٢١٤٤
٣٤	ادراوا الحدود بالشبهات	الترمذي وغيره	١٢٥٩
٣٥	ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم	الحاكم وغيره	٧٥٤
٣٦	اذا اجتهد الحاكم فأصاب	البخاري ومسلم	٥١٩
٣٧	اذا احسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها	مسلم	١٩٩٥
٣٨	اذا التقى الختانان وجب الغسل	البخاري ومسلم	٢٥٤
٣٩	اذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه	الترمذي وغيره	٩٣٠
٤٠	اذا أصبح أحدكم ولم يوتر فليوتر	البخاري ومسلم	٥٨٢
٤١	اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة	البخاري ومسلم	٥٧٨
٤٢	اذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة	البخاري	٧٥١
٤٣	اذا بال أحدكم فلا يأخذ ذكره بيمينه	البخاري ومسلم	١٣٠٦
٤٤	اذا ترك العبد الدعاء للوالدين	الديلمي	٢١٧
٤٥	إذ جاء الأكفاء فانكحوهن	الترمذي	١٨٧٣
٤٦	اذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد	الشيخان	١١٩١
٤٧	اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه	الترمذي وغيره	١٨٧٣
٤٨	اذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين	مسلم	٧٥١
٤٩	اذا حدث الرجل أخاه بحديث ثم التفت	الترمذي	١٣١٨
٥٠	اذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم اتلفت فهو إمانة	الترمذي وغيره	١٣١٨
٥١	اذا خاصم فجر	البخاري ومسلم	١٦٧٦

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٥٢	اذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر	الترمذي وغيره	١٨١٦
٥٣	اذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد	الديلمي	١٨١٧
٥٤	اذا رأيت امتي تهاب أن تقول للظالم	الحاكم وغيره	٨٩١
٥٥	اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا	الترمذي وغيره	١٣٧٢
٥٦	اذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم	مسلم	٢١١٧
٥٧	اذا سقط الذباب في إناء أحدكم	البخاري	٥٨
٥٨	اذا سلمت الجمعة سلمت الأيام	كنز العمال	٦٦٥
٥٩	اذا شرب الكلب في إناء أحدكم	البخاري ومسلم	٥٦٠
٦٠	اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف	البخاري ومسلم	١٥٥٠
٦١	اذا ضيعت الأمانة . . . إذا وسد الأمر إلى غير أهله	البخاري	١٦٣
٦٢	اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة	البخاري	١٣٢٢
٦٣	اذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها	أبو داود	٦٨٤
٦٤	اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس	أبو داود	١٢٠١
٦٥	اذا قال الإمام: ولا الضالين . . . فقولوا: آمين	البخاري	١٢٦
٦٦	اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء	البخاري ومسلم	٣١٧
٦٧	اذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة	أحمد	١٦٧
٦٨	اذا كان صوم يوم أحدكم	البخاري ومسلم	١٣١٦
٦٩	اذا كانت لك مائتان درهم وحال عليها	أبو داود	٦٠٦
٧٠	اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الثالث	البخاري ومسلم	١٥٢١
٧١	اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان	البخاري ومسلم	١٠١
٧٢	اذا لقيت عدوك من المشركين	مسلم	٨٧٨
٧٣	اذا لم تستح فاصنع ما شئت	البخاري	١١٨٢
٧٤	اذا مات ابن آدم انقطع عمله	مسلم	١٨٠٩
٧٥	اذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا	مسلم	١٣
٧٦	اذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة	مسلم	٢١٩٨
٧٧	اذا مرض العبد أو سافر كتب الله له	البخاري	٥٨٠
٧٨	اذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه	البخاري ومسلم	٥٩١
٧٩	اذا نظر الوالد إلى ولده فسره	الطبراني وغيره	١٩٣٢
٨٠	اذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة	البخاري ومسلم	٤٤٠
٨١	اذا ولغ الكلب في إناء أحدكم	البخاري ومسلم	١٣٠٧
٨٢	ارأيت لو تمضمضت بالماء	أبو داود وغيره	٥١٠
٨٣	ارأيتم إن وضعها في حرام	مسلم	١٣٨٣

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٨٤	ارأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً	البخاري ومسلم	١٦٩١
٨٥	ارأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم	البخاري ومسلم	١٣٠٦
٨٦	اربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	البخاري ومسلم	١١٨٣
٨٧	اربعة لا تجزئ في الأضاحي	الترمذي وغيره	٢١١٧
٨٨	ارجع فصل فإنك لم تصل	البخاري	١٩٩٩
٨٩	ارحنا بها يا بلال	النسائي وغيره	٢٦٥
٩٠	ارحنا بها يا بلال	ابن ماجة وغيره	١٣٧١
٩١	ارسل رسول الله معاذاً إلى اليمن	البخاري ومسلم	١٦٦٤
٩٢	ارسلتم معها من يغني؟	ابن ماجة وغيره	١٠٦٦
٩٣	ازارئ إزارئ فشد عليه إزاره	البخاري	١٣٩٩
٩٤	ازهد في الدنيا يحبك الله	ابن ماجة	١٣٨٨
٩٥	ازهد فيما عند الناس يحبك الناس	ابن ماجة وغيره	١٩١٥
٩٦	اسألوا الله علما نافعاً	ابن ماجة	١٥
٩٧	استعان النبي بناس من اليهود في خيبر	أبو داود وغيره	٩٠٤
٩٨	استغفر الله العظيم الذي	الترمذي وغيره	١٣٣٧
٩٩	استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت	البخاري ومسلم	٤٠١
١٠٠	استفت قلبك وإن أفتاك والمفتون	أحمد وغيره	٥٢٠
١٠١	استودع الله دينك وأمانتك	الترمذي وغيره	١٣٦٩
١٠٢	استوصوا بالنساء	البخاري ومسلم	١٧٦٢
١٠٣	استووا أقيموا الصفوف لينوا حاذوا	البخاري ومسلم	٢١٨٦
١٠٤	اصبح عمرو بن العاص جنباً وتيمم	أحمد وغيره	٣٥٢
١٠٥	اصبحنا على فطرة الإسلام	الدارمي وغيره	١٣٣٠
١٠٦	اضمنوا لي ستاً من أنفسكم	أحمد وغيره	١٧٢٣
١٠٧	اطت السماء وحق لها	الترمذي وغيره	٣٥٩
١٠٨	اطفئوا المصابيح بالليل إذا رقدتم	البخاري ومسلم	١٤٦١
١٠٩	اطلبوا العلم ولو بالصين	كنز العمال	٧٩٧
١١٠	اعدلوا بين أولادكم في	البخاري ومسلم	١٧١٨
١١١	اعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي : نصرت	البخاري ومسلم	٣٢٢
١١٢	اعظم الصدقة اللقمة ترفعها	الترمذي	١٩٢٠
١١٣	اعلمئ من وراءك من النساء أن حسن	كنز العمال	١٧٨٥
١١٤	اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد	الترمذي وغيره	٣٨٥
١١٥	اعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال	بن ماجة	٣٨٥

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
١٤٨	الا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة	ابن ماجة وغيره	١٢٦١
١٤٩	الا تشرك بالله شيئاً وإن قُتلت وحرقت	ابن ماجة وغيره	٣٩٣
١٥٠	الا تصليان	البخاري ومسلم	٢٠٦
١٥١	الا تقومان لصلاة الليل؟	أحمد	١٣٣٥
١٥٢	الا لا وصية لوارث	الترمذي وغيره	٥٣٤
١٥٣	الا من ولى يتيماً له مال	الترمذي وغيره	٦٤٠
١٥٤	الا هل من تائب فأتوب عليه	مسلم	١٣٣٥
١٥٥	الا وإن ما حرم رسول الله مثل	الحاكم وغيره	٩٨٥
١٥٦	الا وإني أوتيت القرآن ومثله معه	الترمذي وغيره	٥٠٦
١٥٧	الائمة من قريش	أحمد	٨٧٣
١٥٨	الابرص والأقرع والأعمى	البخاري ومسلم	١٢٢
١٥٩	الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن	مسلم	١٢٣٠
١٦٠	الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه	مسلم	٨٧٠
١٦١	الاسودين التمر والماء	البخاري ومسلم	٣٦٢
١٦٢	الامارة شورى	عبد الرازق في مصنفه	٣٣١
١٦٣	الامانة غنى	القضاعي في مسند الشهاب	٢١٦
١٦٤	الانبياء أمهاتهم شتى ودينهم واحد	البخاري	٢٢٧٦
١٦٥	الايمان، الصبر والسماحة	أحمد	٦٨٣
١٦٦	الايمان بضع وستون أو سبعون شعبة	البخاري ومسلم	١٠١
١٦٧	البر حسن الخلق والاثم	مسلم	٢١٧
١٦٨	البسوا البياض فإنها أطهر	الترمذي وغيره	١٣٠٧
١٦٩	البصاق في المسجد خطيئة	البخاري ومسلم	١٣٠٧
١٧٠	البطالة تقسى القلب	كشف الخفاء	٢٢٥٤
١٧١	البطنة تذهب الفطنة	رواه أحمد وغيرها	١٠٣
١٧٢	البكر تستأمر في نفسها	البخاري ومسلم	٨٦٤
١٧٣	البيعان بالخيار ما لم يتفرقا	البخاري ومسلم	٩٨٤
١٧٤	التؤدة في كل شيء خير إلا	أبو داود وغيره	١٢٢٤
١٧٥	التاجر الصدوق الأمين المسلم	الترمذي وغيره	٩٦٤
١٧٦	الحج عرفة	الترمذي وغيره	١١٧٤
١٧٧	الحلف منفقة للسلعة	البخاري ومسلم	١٢٩٨
١٧٨	الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً	مسلم	٧١
١٧٩	الحمد لله الذي رد إلى روحي	كنز العمال	٢١٦٧

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٢١٢	الطهور شطر الإيمان	مسلم	١٣٠٥
٢١٣	العبادة في الهرج كهجرة إلي	مسلم	٧٣٦
٢١٤	العلم في الصغر كالنقش على الحجر	البيهقي وغيره	٢٠٤١
٢١٥	العلماء ورثة الأنبياء	البخاري	٧٩٩
٢١٦	العمرة إلى العمرة كفارة	البخاري ومسلم	٦٦٦
٢١٧	العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة	الترمذي وغيره	٣١١
٢١٨	الفطرة خمس: الختان والاستحداد	البخاري ومسلم	٥٧٢
٢١٩	القبر إما روضة من رياض الجنة	الترمذي وغيره	٢٢٠٢
٢٢٠	القرآن أشد تفلتاً	مسلم	١٣٤٨
٢٢١	آلك والدان؟ قال نعم: قال	الطبراني وغيره	١٩٧٢
٢٢٢	الكذب ينقص الرزق	المقاصد الحسنة	٢١٧
٢٢٣	الكلمة الطيبة صدقة	البخاري ومسلم	١٢٢٣
٢٢٤	الكيس من دان نفسه وعمل	الترمذي وغيره	٢٠٧٢
٢٢٥	الله الله . . . الصلاة الصلاة	ابن ماجة وغيره	١٦٢٦
٢٢٦	اللهم اخلف جعفراً في ولده	الحاكم وغيره	١٩٥٥
٢٢٧	اللهم ارحم المحلقين قالوا:	البخاري ومسلم	٢١٠٢
٢٢٨	اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري	النسائي وأحمد وغيره	١٠٢
٢٢٩	اللهم اقسم لنا من خشيتك	الترمذي	١٥٤٨
٢٣٠	اللهم اكفني بحلالك عن حرامك	الترمذي	١٢٩٤
٢٣١	اللهم انجز لي ما وعدتني	مسلم	١٣٥٨
٢٣٢	اللهم اهدني لأحسن الأخلاق	مسلم	١١٧٥
٢٣٣	اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري	مسلم	١٣٦٩
٢٣٤	اللهم أعني على ذكرك وشكرك	أبو داود وغيره	١٣٦٩
٢٣٥	اللهم أكفني بحلالك عن حرامك	الترمذي وغيره	١٣٦٦
٢٣٦	اللهم أنت ربي لا إله إلا انت خلقتني وأنا عبدك	البخاري	١٣٣٧
٢٣٧	اللهم أنتم من أحب الناس إلينا	البخاري	٢٠٠١
٢٣٨	اللهم إليك أشكو ضعف قوتي	الطبراني وغيره	٢١٨١
٢٣٩	اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم	مسلم	١٣٥٨
٢٤٠	اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا	مسلم	١٣٦٨
٢٤١	اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة	الترمذي وغيره	١٣٢٩
٢٤٢	اللهم إني أسألك علماً نافعاً	ابن ماجة وغيره	١٣٦٦
٢٤٣	اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه	مسلم	١٣٦٩

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٢٧٦	النكاح من سنتي فمن لم يعمل	ابن ماجة وغيره	١٨٠٩
٢٧٧	الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت	الترمذي وغيره	١٩٧١
٢٧٨	آلى رسول الله من نسائه وحرم	البخاري	١٨٩٨
٢٧٩	اليد العليا خير من اليد السفلى	البخاري ومسلم	١٤٤٩
٢٨٠	أليست نفساً	البخاري ومسلم	٩١٢
٢٨١	اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم	البخاري ومسلم	٣٠٧
٢٨٢	أمَّا أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله	البخاري ومسلم	٣٧٨
٢٨٣	أمَّا أنا فأصوم وأفطر	البخاري	٦٩٣
٢٨٤	أمَّا أنت يا ابن عباس لا تشهد إلا	كنز العمال	١٠٢٩
٢٨٥	أمَّا أهل النار الذين هم أهلها	مسلم	١٩٧
٢٨٦	أما إني أخشاكم لله ولكني أصوم	البخاري ومسلم	١٤٦٠
٢٨٧	أما تخافان أن يسوركما الله أسورة	أبو داود	٦٣٤
٢٨٨	أما كان معكن من لهو	البخاري	١٠٦٥
٢٨٩	أما وجد هذا ما يمشط به رأسه	مالك	٥٧٣
٢٩٠	إماطة الأذى عن الطريق صدقة	البخاري ومسلم	٢٢٣٧
٢٩١	امرأة كانت تقم المسجد	ابن ماجة وغيره	١٣٠٨
٢٩٢	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا	البخاري ومسلم	٥٥٤
٢٩٣	أمرني رسول الله أن أتعلم السريانية	الترمذي	٨٢١
٢٩٤	امسح رأس اليتيم	أحمد وغيره	١٢٠١
٢٩٥	امسك عليك لسانك	الترمذي وغيره	٣٣٥
٢٩٦	إن اقتلوا كل ساحر وساحرة	البخاري ومسلم	٢٣٠
٢٩٧	إن الأنصار قوم فيها غزل فلو بعثتم	ابن ماجة وغيره	٣٨٦
٢٩٨	إن التلبية تجم فؤاد المريض	البخاري	٢٦٧
٢٩٩	إن الحلال بين وإن الحرام بين	البخاري ومسلم	١٢٨٧
٣٠٠	إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر	أحمد وغيره	١٨٣٩
٣٠١	إن الرجل لترفع درجته في الجنة	البخاري في الأدب	٥
٣٠٢	إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله	البخاري	١١٨٤
٣٠٣	إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه	النسائي وغيره	٢١٦
٣٠٤	إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به	النسائي وغيره	٢١٦
٣٠٥	إن الرجل يؤجر في اللقمة الحلال يرفعها إلى	البخاري	١٩١٤
٣٠٦	إن الرزق ليطلب العبد	البيهقي	٢١٤
٣٠٧	إن الرقى والتمائم والتولة شرك	أحمد والحاكم وغيرهما	٣١٠

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٣٠٨	إن السحرة والعارفين كهان العجم	الطبراني وغيره	٢٣١
٣٠٩	إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ولا ينكسفان لموت	البخاري ومسلم	٢٠٥٤
٣١٠	إن الشيطان ليفر منك يا عمر	أحمد	٢٤١
٣١١	إن الشيطان واضع خطمة	الحافظ الموصلي المنذري	٢٥٢
٣١٢	إن الشيطان واضع خطمة على قلب	البيهقي وغيره	١٩٢١
٣١٣	إن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم في العروق	البخاري	٢٣١
٣١٤	إن العبد إذا أذنب ثم قام فتوضأ وأحسن	الترمذي وغيره	١٦٥٧
٣١٥	إن العبد إذا مضمض خرجت الخطايا	النسائي وغيره	١٣٧١
٣١٦	إن العبد إذا وضع في قبره . . . ليسمع قرع نعالهم	مسلم	١٣١
٣١٧	إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله	البخاري	١٢٢١
٣١٨	إن العبد ليدرك بحسن خلقه	أبو داود وغيره	١١٧٦
٣١٩	إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن	البخاري ومسلم	١٩٩٣
٣٢٠	إن القبلة لا تنقض الوضوء ولا	البزار وغيره	١٨٢٦
٣٢١	إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم	الترمذي وغيره	٦٦٧
٣٢٢	إن الله إذا أراد إهلاك عبد نزع منه الحياء	بن ماجة	١٢٢٨
٣٢٣	إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست	البخاري ومسلم	١٠٠٦
٣٢٤	إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا!	مسلم	١٤٤٠
٣٢٥	إن الله تعالى إذا أحب عبداً	مسلم	١٢٩
٣٢٦	إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل يديه	الترمذي وغيره	١٣٦١
٣٢٧	إن الله تعالى طيب	مسلم	٢٢٠
٣٢٨	إن الله تعالى طيب يحب الطيب	مسلم	١٠٢
٣٢٩	إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب	البخاري	١٣٨١
٣٣٠	إن الله جاعل لما ترى فرجاً	البخاري ومسلم	١٥٥٤
٣٣١	إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه	الترمذي وغيره	٣٦٦
٣٣٢	إن الله حد حدودا فلا تعتدوها	الدارقطني	٢٩٩
٣٣٣	إن الله حرم عقوق الأمهات	البخاري ومسلم	٤٨٣
٣٣٤	إن الله رفيق يحب الرفق كله	البخاري ومسلم	١١٨٣
٣٣٥	إن الله زوى لي الأرض فرأيت أن	مسلم	١٥٥٥
٣٣٦	إن الله سمع قول قومك لك وما ردوا عليك	البخاري ومسلم	١٤١٣
٣٣٧	إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ثم ذكر الرجل يطيل السفر	مسلم	٢٠٥٧
٣٣٨	إن الله طيب لا يقبل إلا ما كان طيباً	مسلم	١٣٦٠
٣٣٩	إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب	الترمذي	١٣٠٥

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٣٤٠	إن الله عز وجل يقول: «أنا مع عبدي إذا ذكرني»	البخاري	١٣٣٣
٣٤١	إن الله قد أمكنكم منهم	الحاكم وغيره	٢٩٨
٣٤٢	إن الله قد بعث محمد داعياً ولم يبعثه جابياً	الأموال لأبي عبيد	٩٢٢
٣٤٣	إن الله كتب الإحسان على كل شيء	مسلم	١٦٣٦
٣٤٤	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً	البخاري ومسلم	١٦
٣٤٥	إن الله لا يقبل صدقة من غلول	البخاري ومسلم	١١٤٣
٣٤٦	إن الله لا ينظر إلى صوركم	البخاري ومسلم	١٦٣٧
٣٤٧	إن الله لم ينزل داء إلا	البخاري	٢٦٦
٣٤٨	إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر	البخاري ومسلم	٩٠٥
٣٤٩	إن الله وضع عن أمتى الخطأ	ابن ماجة وغيره	٣٣٣
٣٥٠	إن الله وضع عن أمتي الخطأ	ابن ماجة	٧٥٥
٣٥١	إن الله وملائكته ليصلون على معلم الناس الخير	الترمذي	١٢٩
٣٥٢	إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة	الترمذي	٧٩٠
٣٥٣	إن الله يبسط يده بالليل	مسلم	٦٦٤
٣٥٤	إن الله يبسط يده بالنهار	مسلم	١٣٨٠
٣٥٥	إن الله يحب العبد المحترف	الطبراني وغيره	١٤٦١
٣٥٦	إن الله يحب أن تؤتى رخصه	أحمد	٣٣٢
٣٥٧	إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً	الحاكم وغيره	١٣٨١
٣٥٨	إن الله يرضى لكم ثلاث ويكره لكم ثلاث	مسلم	١٢٩٨
٣٥٩	إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا	مسلم	٧٥٥
٣٦٠	إن الله يكره الرجل البطال	المقاصد الحسنة	٢٢٥٤
٣٦١	إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه	البخاري ومسلم	١٢٥٧
٣٦٢	إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه	أحمد	٨٨٨
٣٦٣	إن المدبر لا يباع ولا يورث	البخاري ومسلم	١٤٧٤
٣٦٤	إن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس	الترمذي وغيره	١٧٩٩
٣٦٥	إن الناس إذا رأوا الظالم	أصحاب السنن	٧٥٧
٣٦٦	إن النبي أهدى إليه الملوك فقبل منهم	البخاري	٩١١
٣٦٧	إن النبي جمع بين المغرب والعشاء	مالك وغيره	٥٩٠
٣٦٨	إن النبي صلى خمساً فقيل له	الجماعة	٥٨١
٣٦٩	إن النبي قبل وقام إلى الصلاة ولم يتوضأ	البخاري ومسلم	١٨٢٦
٣٧٠	إن النبي قطع يد امرأة	البخاري	١٠٣١
٣٧١	إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم	البخاري ومسلم	٣٦٥

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٣٧٢	إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم	أحمد	١٥٠٨
٣٧٣	إن أبر البر أن يصل الرجل	البخاري ومسلم	١٩٧٥
٣٧٤	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده	البخاري	١٩٠
٣٧٥	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه	البخاري ومسلم	١٥٥
٣٧٦	إن أحبكم إليّ وأقربكم مني	البخاري	١١٧٥
٣٧٧	إن أدنى أهل الجنة منزلة	الترمذي وغيره	١٩٨
٣٧٨	إن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي	مسلم	٣٥٨
٣٧٩	إن أعظم المسلمين جرما	البخاري ومسلم	٣٠٤
٣٨٠	إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً	البخاري ومسلم	٣٢٨
٣٨١	إن أكمل المؤمنين إيماناً	أبو داود وغيره	١٢١٣
٣٨٢	إن أمي ماتت وعليها صوم شهر	البخاري	٤١١
٣٨٣	إن أمي نذرت أن تحج وإنها ماتت	مسلم	٥١٠
٣٨٤	إن أول الناس يقضىٰ يوم القيامة عليه	مسلم	١٦٥٣
٣٨٥	إن أول ما دخل النقص علىٰ بني إسرائيل	الترمذي وغيره	١٢٤٥
٣٨٦	إن أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة	أبو داود وغيره	٣٥٦
٣٨٧	إن تعبد الله كأنك تراه	البخاري ومسلم	٢٧٢
٣٨٨	إن تعبد الله كأنك تراه	مسلم	٧٧٩
٣٨٩	إن حدة النظر للوالدين من العقوق	الطبراني	١٩٧٢
٣٩٠	إن حيضتك ليست في يدك	مسلم	٥٩٧
٣٩١	إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام	البخاري ومسلم	٧٥٥
٣٩٢	إن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة	البخاري ومسلم	١٢٢٧
٣٩٣	إن رجلاً قال للنبي أوصني قال لا تغضب	البخاري	١١٨٢
٣٩٤	إن روح القدس نفث في روعي	ابن ماجة	١٤٣
٣٩٥	إن صاحب الشمال يرفع يده عن العبد المؤمن ست	الطبراني وغيره	١٢٢٥
٣٩٦	إن في الصلاة لشغلاً	البخاري ومسلم	٥٨٥
٣٩٧	إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله	مسلم	١١٨٣
٣٩٨	إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر	البخاري	٣٥١
٣٩٩	إن كإن شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به	مسلم	٩٤
٤٠٠	إن لبدنك عليك حقا	البخاري	٧٣٤
٤٠١	إن لبدنك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً	البخاري ومسلم	١١٠٥
٤٠٢	إن لصاحب الحق مقالاً	البخاري ومسلم	٧٥٠
٤٠٣	إن لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء	مالك وغيره	١٢٣٢

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٤٠٤	إن للشيطان لمة بابن آدم وله ملك لمة	الترمذي	١٢٦
٤٠٥	إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم	أحمد والحاكم	١٣٧٢
٤٠٦	إن لله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً	مسلم	١٢٩٠
٤٠٧	إن لله عبداً عبد ربه خمسمائة سنة على رأس جبل	المنذري	٢٣٤٨
٤٠٨	إن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق	ابن حبان	٦٦٥
٤٠٩	إن لله ملائكة . . يتلمسون أهل الذكر	البخاري	١٢٨
٤١٠	إن لله ملائكة يطوفون يلتمسون أهل الذكر	البخاري ومسلم	٣٧٩
٤١١	إن لنفسك عليك حقا	البخاري	٢٠٠٣
٤١٢	إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع	البخاري ومسلم	١٢٥
٤١٣	إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيره	الحاكم وغيره	١٥١٠
٤١٤	إن من البيان لسحراً	البخاري ومسلم	٢٠٠٢
٤١٥	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها	البخاري ومسلم	١٧٠٨
٤١٦	إن من الشعر لحكمة	البخاري	٢٠٠٢
٤١٧	إن من أفرى الفرى	البخاري في الأدب	١٦٥٧
٤١٨	إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه	مسلم	١٤٤٣
٤١٩	إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة	أبو داود وغيره	١٥٥٠
٤٢٠	إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة	مسلم	١٨٤٥
٤٢١	إن من عباد الله إناساً ليسوا بانبياء	الترمذي وغيره	١٤٣٨
٤٢٢	إن موسى عليه السلام سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة	مسلم	١٩٨
٤٢٣	إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس	مسلم	٥٨٦
٤٢٤	أنا ابن امرأة من قريش	الحاكم وغيره	١٦٩٩
٤٢٥	أنا زعيم بيت في أعلى الجنة	الترمذي وغيره	١٢١٣
٤٢٦	إنَّا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً	أحمد	١١٨٧
٤٢٧	أنا عند ظن عبدي بي	البخاري ومسلم	١٣٣٤
٤٢٨	أنا مدينة العلم وعلى بابها	الترمذي والحاكم	١١٠٢
٤٢٩	إنَّا والله لا نولي على عملنا هذا أحدا سأله	البخاري ومسلم	٨٩٤
٤٣٠	انتدب الله لمن خرج في سبيلة لا يخرجه إلا الإيمان به	البخاري	٣٢٩
٤٣١	أنتم أعلم بأمور دنياكم	أحمد وغيره	٨٦٣
٤٣٢	أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان	أحمد والطبراني	١٣٤
٤٣٣	انصر أخاك ظالماً أو	البخاري	٧٥٠
٤٣٤	انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم	البخاري ومسلم	٢٧٦
٤٣٥	انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما	الترمذي وغيره	١٨١٥

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٤٣٦	إنك لست ممن يفعله خيلاء	البخاري ومسلم	٦٩٣
٤٣٧	انكحي فلاناً أسامة ابن زيد	مسلم	٤٥٥
٤٣٨	إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن	البخاري ومسلم	١٤٥٦
٤٣٩	إنما الأعمال بالنيات	البخاري ومسلم	٧٧٨
٤٤٠	إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويحتمى به	البخاري ومسلم	٧٥٠
٤٤١	إنما الطاعة في المعروف	البخاري ومسلم	٩٥
٤٤٢	إنما الناس كالإبل المائة	البخاري ومسلم	١٦٣٧
٤٤٣	إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ	البخاري ومسلم	٧٣٧
٤٤٤	إنما أهلك الذين من قبلكم كان إذا سرق فيهم الشريف	البخاري	٩٨
٤٤٥	إنما أهلك من كان قبلكم أنهم	البخاري ومسلم	١١٨٩
٤٤٦	إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق	البخاري ومسلم	١١٥٥
٤٤٧	إنما بعثت معلماً	ابن ماجة وغيره	١٧١٢
٤٤٨	إنما هو بضعة منك	رواه الخمسة	٤٩٣
٤٤٩	إنما يكفيك أن تضرب بكفيك في التراب	مسلم	٥٦٤
٤٥٠	إنني لا أخيس العهد ولا	أبو داود وغيره	٨٨١
٤٥١	إنه فيمن كان قبلكم يؤتى بالرجل فيمشط	البخاري ومسلم	١٥٥٣
٤٥٢	إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين	البخاري	١٤٣٢
٤٥٣	إنه ليس في النوم تفريط	مسلم	٥٧٧
٤٥٤	إنه نور الإسلام	مسلم	٥٧٥
٤٥٥	انها لن تراني	ابن حبان في صحيحه	٨٩
٤٥٦	انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات	مسلم	١٦٣
٤٥٧	انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير	البخاري	١٩٠
٤٥٨	انهما يعذبان وما يعذبان في كبير	البخاري	١٣٠٨
٤٥٩	إني أرى ما لا ترون، أطت السماء	الترمذي	١٢٣
٤٦٠	إني قد أُهديت من النجاشي حلة	أحمد وغيره	٩١١
٤٦١	إني لأرجوا الله أن يخرج من	البخاري ومسلم	١٢١٩
٤٦٢	إني لأعلم إن كنت عني راضية	البخاري ومسلم	١٨٤١
٤٦٣	إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على	البخاري ومسلم	٤٨٣
٤٦٤	أهون الناس عذابا من له نعلان	البخاري ومسلم	١٩٨
٤٦٥	أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا	الطبراني وغيره	١٢٣٩
٤٦٦	أوصاني خليلي بثلاث: صيام	البخاري	١٣٨٣
٤٦٧	أوصاني خليلي بخصال من الخير: اوصاني ألا أخاف	البخاري ومسلم	١٢٦٢

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٥	سئل رسول الله عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله	البخاري ومسلم	٢٠٣٧
٦	سئل رسول الله عن أحب عباد الله إلى الله قال	أبو داود	١١٥٦
٧	سئل رسول الله عن أفضل أوقات الدعاء	الترمذي وغيره	١٣٦١
٨	سئل رسول الله عن أول بيت وضع في الأرض قال :	البخاري ومسلم	٢٠٩٨
٩	سئل رسول الله ما الدين قال : حسن الخلق	البخاري ومسلم	١١٧٤
١٠	سئل رسول الله ما أكثر ما يدخل الناس النار	ابن ماجة وغيره	١٧٢٧
١١	سئل رسول الله ما حق زوجة إحدانا عليه	أبو داود وغيره	١٨٣٤
١٢	سئل رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال حسن الخلق	البخاري	١١٥٦
١٣	سئل رسول الله متى تقوم الساعة قال : إذا ضيعت الأمانة	البخاري	١١٨٤
١٤	سئلت عائشة : أي العمل كان أحب إلى النبي	البخاري	٢٠٠٠
١٥	سئلت عائشة : ما كان النبي يصنع في بيته	البخاري	١٨٥٣
١٦	سأل النبي أصحابه من أصبح اليوم صائماً؟	ابن خزيمة	١٢٢٥
١٧	سأل رجل النبي كيف لي أن أعلم إذا أحسنت	أحمد وغيره	١٢٩٥
١٨	سأل رجل رسول الله الجهاد	الترمذي وغيره	٧٥٧
١٩	سأل رجل رسول الله عن الجهاد فقال :	البخاري ومسلم	١٩٧٧
٢٠	سأل رجل رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي	الترمذي وغيره	١٩٧٣
٢١	سألت رسول الله عن نظر الفجأة	مسلم	٣٩١
٢٢	سألت عائشة رسول الله عن سبب جلوسه عند دخول عثمان	مسلم	١٨٥٥
٢٣	سأله النبي كيف طلقتها	أحمد	١٨٩٩
٢٤	سأله ملك الجبال أن يطبق عليه الأخشبين	البخاري ومسلم	١٦٥٥
٢٥	سباب المسلم فسوق	البخاري ومسلم	٣١١
٢٦	سبع يجرى للعبد أجرهن وهو في قبره	مسلم	٢٢٠٥
٢٧	سبعة يظلهم الله في ظله	البخاري	١٣٧٢
٢٨	ستصالحون الروم صلحاً	أبو داود وغيره	٨٨٥
٢٩	ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة	الترمذي وغيره	١٠٧٥
٣٠	ستنهاه صلاته	أحمد وغيره	٣١٥
٣١	سقيت النبي من زمزم فشرب وهو واقف	البخاري ومسلم	٤٠٣
٣٢	سووا بين أولادكم في العطية	البخاري	١٧٨٦
٣٣	سيأتي على الناس سنوات يصدق فيها الكاذب	ابن ماجة وغيره	١٢٧٤
٣٤	سيد الأنبياء خمسة ومحمد سيد الخمسة	الحاكم	١٤٩
٣٥	سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل	الترمذي وغيره	٤٩٢
٣٦	سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون	أحمد وغيره	١٢٦٨

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٦	فإن كان ولا بد آكلاً فثلث لطعامه	البخاري ومسلم	١٤٩٦
٧	فرضت الصلاة ركعتين ركعتين	البخاري ومسلم	٤٩٣
٨	فرفع لي البيت المعمور	البخاري	١٢٥
٩	فسرقت درع لأحدهم فأظن بها رجل من الأنصار	ابن كثير في التفسير	١٢٦٠
١٠	فصل ما بين الحلال والحرام الدف	الترمذي وغيره	٣٨٥
١١	فضحك ولم يأمر بشيء	أبو داود وغيره	٣٣٦
١٢	فضل العالم على العابد	الترمذي وغيره	١٧١٢
١٣	فضل صلاة الجماعة على صلاة الواحد خمس وعشرون	البخاري ومسلم	١٢٧
١٤	فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين	الترمذي وغيره	٣٤٦
١٥	فقال النبي وعلى جمع الحطب	الزرقاني في الشرح	١٢٣٥
١٦	فقال أسلمتما فقلنا لا فقال: إنا لا نستعين بالمشركين	أحمد وغيره	٩٠٤
١٧	فقال بل أنتما المكرمان	أحمد	١٤٢٠
١٨	فقمت أنا ويتيم خلفه	البخاري	٣٨٣
١٩	فلا يجلس حتى يصلي ركعتين	البخاري ومسلم	٢٧٤
٢٠	فهلا عدلت بينهما	عبد الرازق في مصنفه	١٧٥٧
٢١	في الإبل صدقتها وفي الغنم صدقتها	البيهقي وغيره	٦١٥
٢٢	في حفظ الله وكنفه	الترمذي وغيره	٢١٠٨
٢٣	فيما سقت السماء أو كان عُثرياً	البخاري	٦١٧
	حرف القاف		
١	قاربوا بين أبناءكم ولو في القبلات	مسلم	٧٤١
٢	قال الرجل يا رسول الله: إني لأحب هذا فقال له	الترمذي وغيره	١٣٧٥
٣	قال الله تبارك وتعالى إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع	أحمد وغيره	٦٧٤
٤	قال النبي: يا عائشة إني لأعلم إذا كنت عني راضية	مسلم	١٨٥٣
٥	قال أبو بكر يا رسول الله خذ إحدى الراحلتين	البخاري	١٤١٨
٦	قال رجل يا رسول الله إن فلانه تكثر من صلاتها	أحمد وغيره	١٢٠٩
٧	قال رسول الله: أوصني: قال لا تغضب	البخاري	٣٣٥
٨	قال رسول الله: يا أبا بكر لقد مر بهذا الوادي هود	أحمد	٢٠٩٨
٩	قال رسول الله فيما يرويه عن رب العزة: «يا عبادي إنما	مسلم	٢٠٧٣
١٠	قال رسول الله لجعفر أشبهت خلقي وخلقي	البخاري	١٤٠٧
١١	قال رسول الله للرجل الذي أراد الجهاد: «أحي والداك؟»	البخاري ومسلم	١٦٣٨
١٢	قال سلمان يا رسول الله نحن كنا إذا حوصرنا خندقنا	البخاري	٣٥٩

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٥٧	كنا نتكلم في الصلاة	البخاري ومسلم	٥٨٥
٥٨	كنت أرعىٰ الغنم علىٰ قرارايط	البخاري	٢٠٢٠
٥٩	كنت أفرك المنىٰ في ثوب رسول الله	مسلم	٥٦١
٦٠	كنت نهيتكم عن الانتباذ	مسلم	٥٤٠
٦١	كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحىٰ	مسلم	٥٤٠
٦٢	كنت نهيتكم عن زيارة القبور	مسلم	٣٣٤
٦٣	كيف نفارق الحرم ونحن حماة الحرم	مسلم	٣٥٣
	حرف اللام		
١	لئن أحيانا الله إلىٰ قابل	مسلم	٥٢٧
٢	لئن تترك ورثتك أغنياء	البخاري	٧٣٠
٣	لا اقول ألم حرف ولكن ألف حرف	البخاري	٥٢٦
٤	لا إنما هو بضعة منك	الترمذي وغيره	٦٠٢
٥	لا إنما هو بضعة منك	الخمسة	٦٠٢
٦	لا إيمان لمن لا أمانة له	أحمد وغيره	١١٨٤
٧	لا إيمان لمن لا أمانة له	أحمد وغيره	١١٨٤
٨	لا تبع ما ليس عندك	الترمذي وغيره	٧٧٥
٩	لا تبع ما ليس عندك	الترمذي وغيره	٧٧٥
١٠	لا تجتمع أمتي علىٰ ضلالة	الترمذي وغيرع	٥٠٨
١١	لا تجتمع أمتي علىٰ ضلالة	الترمذي وغيره	٥٠٨
١٢	لا تحاسدوا ولا تباغضوا	البخاري ومسلم	١٥١٨
١٣	لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا	البخاري ومسلم	١١٨٢
١٤	لا تحقرن من المعروف شيئا	مسلم	٦٨٤
١٥	لا تحل الصدقة لغني لا لذي	الترمذي وغيره	٢٢٥٩
١٦	لا تخبره أنه متكلف لها ما حملت في بطونها	الدراقطني وغيره	٥٦٠
١٧	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق	أحمد	١٥٥٥
١٨	لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون علىٰ أبواب بيت المقدس	أحمد	٢١٥٠
١٩	لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسىٰ	ابن ماجة وغيره	١٨٧٣
٢٠	لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل	الترمذي	١٣٠٢
٢١	لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة	البخاري ومسلم	١٩٠٧
٢٢	لا تسأل المرأة طلاق أختها	البخاري ومسلم	٤٧٩
٢٣	لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها	مسلم	١٨٦٥

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٢٤	لا تسألوني اليوم عن شيء	البخاري ومسلم	٣٠٤
٢٥	لا تسبوا الدهر الريح الحمىٰ الموتىٰ الديك	البخاري ومسلم	١٢٤٧
٢٦	لا تسم ابنك ولا غلامك نافعاً	مسلم	٣٠٧
٢٧	لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد	البخاري ومسلم	٢٢٧٤
٢٨	لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت	أحمد وغيره	١٩٨٠
٢٩	لا تصاحب إلا مؤمناً	الترمذي وغيره	١٢٠٢
٣٠	لا تصلوا في مبارك الإبل	مسلم	٤٨١
٣١	لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ بن مريم	البخاري	٢١٦٢
٣٢	لا تظهر الشماتة لأخيك	الترمذي	١٣٧٩
٣٣	لا تعجلن حتىٰ ترين القصة البيضاء	البخاري	١٨٨٦
٣٤	لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء	ابن ماجة وغيره	١٥
٣٥	لا تعلموا العلم لتباروا به العلماء	الحاكم وغيره	١٥
٣٦	لا تغضب	مسلم	٣٣٥
٣٧	لا تفضلوا بين أنبياء الله	مسلم	٢١٥٨
٣٨	لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً	ابن عساكر	٨٨٠
٣٩	لا تقتل نفس ظلما إلا كان علىٰ ابن آدم	البخاري ومسلم	١٤٩١
٤٠	لا تقتلوا الذرية في الحرب	الطبراني وغيره	٨٨٠
٤١	لا تقل ذلك لا تعن الشيطان عليه	البخاري	١٦٥٤
٤٢	لا تقولوا هذا فإنه إن كان خرج يسعىٰ علىٰ ولده	الطبراني وغيره	٧٧٨
٤٣	لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان	البخاري	١٠٣٠
٤٤	لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات نساء دوس	البخاري ومسلم	١٦٤
٤٥	لا تقوم الساعة حتىٰ تقتتل فئتان	البخاري ومسلم	١٦٤
٤٦	لا تقوم الساعة حتىٰ تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم	الترمذي	١٦٤
٤٧	لا تقوم الساعة حتىٰ تكلم السباع الإنس	الترمذي	١٦٤
٤٨	لا تقوم الساعة حتىٰ لا يحج إلىٰ البيت	ابن حبان	١٦٦
٤٩	لا تقوم الساعة حتىٰ يحسر الفرات عن جبل من ذهب	البخاري ومسلم	١٦٤
٥٠	لا تقوم الساعة حتىٰ يخرب الكعبة ذو السويقتين	البخاري	١٦٤
٥١	لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج رجل من قحطان يسوق الناس	البخاري ومسلم	١٦٤
٥٢	لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود	البخاري ومسلم	٢٣٠٨
٥٣	لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود	البخاري ومسلم	١٦٥
٥٤	لا تقوم الساعة حتىٰ يكثر الهرج	البخاري ومسلم	١٦٤
٥٥	لا تقوم الساعة حتىٰ يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع	الترمزىٰ	١٦٤

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٥٦	لا تقوم الساعة حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل فيقول	البخاري ومسلم	١٦٤
٥٧	لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك	الترمذي وغيره	٦٨٥
٥٨	لا تكونوا عوناً للشيطان علىٰ أخيكم	البخاري	١٦٥٤
٥٩	لا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً	البخاري	٨٨٣
٦٠	لا تنثروه نثر الدقل	البيهقيٰ وغيره	٥٢٨
٦١	لا حسد إلا في اثنتين	البخاري	٧٩٩
٦٢	لا خير فيها هي من أهل النار	الحاكم وغيره	١١٧٤
٦٣	لا دين لمن لا عهد له	الطبراني	١٢٠٩
٦٤	لا صلاة بعد صلاة العصر حتىٰ تغرب الشمس	البخاري ومسلم	٥٧٧
٦٥	لا ضرر ولا ضرار	ابن ماجة وغيره	١٣٠٨
٦٦	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	الطبراني وغيره	٢٠٣٠
٦٧	لا عدوىٰ ولا طيره وفر من المجزوم	البخاري ومسلم	١٥١٩
٦٨	لا غيبة لفاسق	البيهقىٰ وغيره	٤٥٥
٦٩	لا فضل لعربي علىٰ عجمي ولا أحمر	أحمد	٧٤٣
٧٠	لا قطع في أقل من ربع دينار	مسلم	٥٠٦
٧١	لا نطوف بثياب عصينا الله فيها	البخاري	٣٥٣
٧٢	لا نكاح إلا بولي وشاهدىٰ عدل	الدراقطني وغيره	١٨١٩
٧٣	لا هجرة بعد الفتح ولكن	البخاري	٢١٤٧
٧٤	لا وتران في ليلة	الترمذي وغيره	٥٨٢
٧٥	لا يؤم الرجل في بيته إلا	مسلم	٢٢٨٠
٧٦	لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه	البخاري ومسلم	٢١٧
٧٧	لا يبلغ عبد درجة المتقين حتىٰ يدع ما	البخاري	١٢٩٠
٧٨	لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً فإني	الترمذي وغيره	١٤٤٥
٧٩	لا يتم بعد الاحتلام	أبو داود	٣٨٣
٨٠	لا يجزئ ولد والدا إلا أن يجده مملوكا	مسلم	١٩٧٣
٨١	لا يحتكر إلا خاطئ	مسلم	٧٨٠
٨٢	لا يحل دم امرئ مسلم	البخاري ومسلم	١٠١٧
٨٣	لا يحل لامرأة مؤمنة أن تسافر مسيرة ليلة	أبو داود وغيره	١٩٠٧
٨٤	لا يحل لامرأة مسلمة أن تسافر	البخاري ومسلم	١٩٠٧
٨٥	لا يحل لأحد أن يبلغ بيعاً إلا	البخاري ومسلم	١٢٨٨
٨٦	لا يحل للمراة أن تصوم تطوعاً	البخاري	١٦٣٨
٨٧	لا يحل للمرأة أن تصوم تطوعاً وزوجها	البخاري	١٦٣٨

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
١٢٠	لعلك قبلت لعلك	أبو داود	٩٣٥
١٢١	لعن الله الواشمات والمستوشمات	البخاري ومسلم	١٧٩٩
١٢٢	لعن النبي آكل الربا ومؤكله وكاتبه	البخاري ومسلم	١١٣٩
١٢٣	لعن رسول الله الرجل يلبس لبسة المرأة	أبو داود وغيره	٦٩٣
١٢٤	لعن رسول الله آكل الربا ومؤكله	البخاري ومسلم	١١٣٩
١٢٥	لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم	البخاري	١٤٣٦
١٢٦	لقد تابت توبة لو قسمت	مسلم	١٠٣١
١٢٧	لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس	البخاري في الأدب	١٢٣٥
١٢٨	لقد قلت كلمة لو مزجت	الترمذي وغيره	١٢٢٣
١٢٩	لقد مر بالروحاء سبعون نبياً	الطبراني وغيره	٢٠٩٨
١٣٠	لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بي فقال	الترمذي	١٣٨٥
١٣١	لك الأجر مرتين أصبت السنة	الحاكم وغيره	٣٠٠
١٣٢	لكل داء دواء	البخاري ومسلم	٢٦٦
١٣٣	لكل شيء باب وباب العبادة الصوم	كنز العمال	٢٠٨٢
١٣٤	لكل غادر لواء يوم القيامة	البخاري ومسلم	٩١٨
١٣٥	لكل نبئ دعوة مستجابة	البخاري	١٩٧
١٣٦	لكن أفضل الجهاد حج مبرور	البخاري ومسلم	٣٣٥
١٣٧	للصائم فرحتان إذا أفطر فرح	البخاري ومسلم	٢٠٦٥
١٣٨	للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً	الترمذي وغيره	١٢٤٠
١٣٩	لله عتقاء كل ليلة	أحمد وغيره	٢٠٧٢
١٤٠	لم أنس ما قصرت وما نسيت	البخاري ومسلم	٥٠٠
١٤١	لم تظهر الفاحشة في قوم حتى	ابن ماجة وغيره	٧٣
١٤٢	لم يبعث الله نبياً إلا بلغه قومه	أحمد	٨٢١
١٤٣	لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله	الترمذي	٨٦٤
١٤٤	لما رجم ماعز قال بعض الصحابة : هانت عليه نفسه حتى	أبو داود وغيره	١٤٤٣
١٤٥	لما عرج بي ربي مررت بأقوام لهم أظفار	أحمد وغيره	١٢٢٣
١٤٦	لمن هذا الحبل؟ قالوا: لزينب	البخاري ومسلم	٧٢٩
١٤٧	لو اطلع عليك أحد في بيتك	البخاري ومسلم	١٤٤٤
١٤٨	لو ان رجلا صام يوما تطوعاً	الطبراني وغيره	٢٠٦١
١٤٩	لو أن ابن آدم يهرب من رزقه كما يهرب	أبي نعيم في الحلية	٢١٤
١٥٠	لو أن أحدكم إذا أتي أهله فقال	البخاري ومسلم	١٨٢٨
١٥١	لو أن فاطمة بنت محمد سرقت	البخاري ومسلم	٧٣٩

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٩	ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك	ابن ماجة	١٤٤٢
١٠	ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له	الترمذي	١٥٤٩
١١	ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً	البخاري	١٢٩٨
١٢	ما أنت بمحدث قوم حديثاً	مسلم	١٦٦٣
١٣	ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا	العراقي وغيره	١١٩١
١٤	ما بر أباه من سدد الطرف إليه	الطبراني	١٩٧٨
١٥	ما بعث الله من نبي إلا ورعى الغنم	ابن ماجة	١٩١٦
١٦	ما تحابا اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله	الحاكم وغيره	١٤٣٨
١٧	ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشدهم	مصنف ابن أبي شيبة	٨٦٣
١٨	ما توطن رجل المساجد للصلاة والذكر	ابن ماجة وغيره	١٣٧٢
١٩	ما خلا يهودياان بمسلم إلا هما بقتله	المقاصد الحسنة	٩٠٨
٢٠	ما خير رسول الله بين أمرين	البخاري ومسلم	٥٢٢
٢١	ما خير ما أعطى الإنسان قال حسن الخلق	البخاري ومسلم	١١٥٦
٢٢	ما رأيت ذا لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله	البخاري ومسلم	٥٧٤
٢٣	ما زال المسلمون يصلون وجراحاتهم	البخاري	٥٦١
٢٤	ما زال جبريل يوصيني بالجار	الترمذي	٩١٦
٢٥	ما شر شيء؟ قال البطالة في العالم	كشف الخفاء	٢٢٥٤
٢٦	ما شقى عبد قط بمشورة وما سعد	القضاعى	٨٦٥
٢٧	ما غضب رسول الله لنفسه قط	البخاري ومسلم	١٦٦٦
٢٨	ما فعلت في الذي أرسلتك	مسلم	٥٨٤
٢٩	ما كان الفحش في شيء إلا شانه	الترمذي	١٢٣٠
٣٠	ما كانت هذه لتقاتل	مسلم	٨٨٢
٣١	ما لي لا أسهو وأنتم تدخلون	البخاري ومسلم	٥٧٤
٣٢	ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا	الترمذي وغيره	٢٢٠١
٣٣	ما مست يد رسول الله يد امرأة	البخاري	٢٠٢٨
٣٤	ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه	الترمذي وغيره	١٣٥٢
٣٥	ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة	مسلم	٢٠٧٤
٣٦	ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً	أبو داود وغيره	٢٠١٦
٣٧	ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موضع	أبو داود وغيره	١٢٦٨
٣٨	ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موضع	أبو داود وغيره	١٢٦٨
٣٩	ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه	أبو داود وغيره	١٣٤١
٤٠	ما من أيام العمل الصالح فيها	البخاري	٦٦٦

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٤١	ما من أيام أحب إلىٰ الله أن يتعبد	الترمذي وغيره	٢١١٦
٤٢	ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب	البخاري	٢١١٦
٤٣	ما من خطوة أعظم أجراً من خطوة	ابن ماجة وغيره	٥٩٣
٤٤	ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر	الترمذي وغيره	٥٧٩
٤٥	ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ	أحمد وغيره	٢٢٠٤
٤٦	ما من شيء أثقل في ميزان العبد من	البخاري ومسلم	١٢١٣
٤٧	ما من شيء في ميزان العبد أثقل من	البخاري ومسلم	١٢١٣
٤٨	ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته	مسلم	٤٧٩
٤٩	ما من عبد مسلم يصلي لله تعالىٰ في كل يوم ثنتي عشرة	مسلم	١٣٨٥
٥٠	ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت	البخاري ومسلم	١٢٥٩
٥١	ما من عبد يسجد لله سجده إلا رفعه الله	مسلم	٣٥٧
٥٢	ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله	البخاري ومسلم	٢٠٦١
٥٣	ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح	البخاري في الأدب	١٩٧٦
٥٤	ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم	مسلم	٦٧٤
٥٥	ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها	الترمذي وغيره	١٣٦٣
٥٦	ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع	البخاري ومسلم	٩٦٤
٥٧	ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان	أبو داود	٣٦٣
٥٨	ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة	مسلم	٧٥٢
٥٩	ما من نسمة قضىٰ الله أن تكون إلا	البخاري	١٨٢٩
٦٠	ما من يوم يصبح العباد فيه . . . . اللهم أعط ممسكاً تلفاً	مسلم	١٢٦
٦١	ما ندم من استشار ولا خاب	الطبراني وغيره	٨٦٤
٦٢	ما نهيتكم عنه فاجتنبوه	البخاري ومسلم	٣٦٢
٦٣	ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية	الحاكم وغيره	١٣٩٨
٦٤	ما يزال الرجل يسأل الناس حتىٰ يأتي	البخاري	٢٢٦٠
٦٥	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب	البخاري ومسلم	٦٦٧
٦٦	ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمر	ابن السنىٰ	١٣٦٦
٦٧	ما يمنعك أن تزورنا أكثر	البخاري	١٢٢
٦٨	ماء زمزم لما شرب له	الحاكم وغيره	٢٢٣
٦٩	مثل الجليس الصالح والجليس السوء	البخاري ومسلم	١٩٩٦
٧٠	مثل القائم علىٰ حدود الله والواقع فيها	البخاري	٣٢٤
٧١	مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن	البخاري ومسلم	١٣٤٠
٧٢	مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم	البخاري ومسلم	٧٦٣

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
١٦٩	من كان له ثلاث بنات فصبر عليهم	البخاري ومسلم	١٧٥٧
١٧٠	من كان له شعر فليكرمه	أبو داود	٥٧٥
١٧١	من كان له فضل زاد	مسلم	٧٧٢
١٧٢	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على	أحمد وغيره	١٢٣٩
١٧٣	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر	البخاري ومسلم	٢٩٧
١٧٤	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل	البخاري ومسلم	١١٥٥
١٧٥	من كانت له صلاة بليل	مسلم	١٣٨٤
١٧٦	من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره	الترمذي وغيره	٨٠٦
١٧٧	من كانت له أنثى فلم يئدها ولم	أبو داود وغيره	١٧٥٦
١٧٨	من كتم شهادة إذا دعي إليها	الطبراني وغيره	٢٢٣٠
١٧٩	من كذب علي متعمداً	البخاري ومسلم	٤٥٥
١٨٠	من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه	الترمذي	١٢٢٥
١٨١	من لا يرحم لا يرحم	البخاري ومسلم	١٨٦١
١٨٢	من لبس ثوب شهره	ابن ماجة	٣٩٤
١٨٣	من لزم الاستغفار جعل الله	أبو داود وغيره	١٣٣٦
١٨٤	من لم تنهه صلاته عن الفحشاء	الطبراني وغيره	١٢٠٧
١٨٥	من لم يدع قول الزور والعمل به	البخاري	١٢٠٨
١٨٦	من لم يمنعه عن الحج حاجة ظاهرة	أحمد وغيره	٢٠٩٧
١٨٧	من مس ذكره فليتوضأ	البخاري	٦٠١
١٨٨	من مس فرجه فليتوضأ	الترمذي	٣٠٧
١٨٩	من مشى في حاجة أخيه قضيت أم لم	الحاكم وغيره	٢٠٤٣
١٩٠	من مشي مع ظالم ليقويه وهو يعلم	الطبراني وغيره	٢٢٣٠
١٩١	من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله	الترمذي	٢١٠٧
١٩٢	من نام عن الوتر أو نسيه	الخمسة إلا النسائي	٥٨٢
١٩٣	من نام عن صلاة أو نسيها	البخاري ومسلم	٤٩٩
١٩٤	من نذرت أن تضرب بالدف بين يدي رسول الله	الترمذي وغيره	١٠٦٧
١٩٥	من نسي وهو صائم فاكل	البخاري ومسلم	٢٠٨٧
١٩٦	من نفس على مؤمن كربة من	مسلم	٦٦٧
١٩٧	من هم بحسنة ولم يعملها	البخاري ومسلم	١٣٨٤
١٩٨	من وصل صفاً وصله الله	النسائي وغيره	٥٩٣
١٩٩	من ولي على المسلمين رجلاً وفيهم من هو	الحاكم وغيره	١٢٥٩
٢٠٠	من يحرم الرفق يحرم الخير كله	مسلم	١٦٨٠

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٢٠١	من يرد الله به خيراً يفقه في الدين	البخاري ومسلم	١٢
٢٠٢	من يشتري هذا العبد	البزار وغيره	٢١٦٢
٢٠٣	من يضمن لي ما بين لحييه	البخاري	١٢٢١
٢٠٤	مهلاً يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة	مسلم	١٠٣١
	حرف النون		
١	نضر الله امرأ سمع	الترمذي وغيره	٥٢٤
٢	نظفوا أفنيتكم فإن اليهود	الترمذي	١٣٠٥
٣	نعم المال الصالح للرجل الصالح	أحمد وغيره	٧٧١
٤	نعم يا أبا الدحداح	ابن أبي حاتم	١٨٧٤
٥	نعم يا عباد الله تداووا	الترمذي وغيره	٢٦٧
٦	نعمتان مغبون فيها كثير من الناس	البخاري	١٣٠٤
٧	نفس المؤمن معلقة بدينه	الترمذي وغيره	٤١١
٨	نهى النبي أن يطرق الرجل أهله ليلاً	الحاكم	١٨٤٠
٩	نهى النبي عن الترويع ولو مزاحاً	الطبراني وغيره	٨٢٣
١٠	نهى النبي عن إشارة الإنسان لأخيه بحديدة	مسلم	٨٢٣
١١	نهى النبي عن إضاعة المال	البخاري	١٥٠٢
١٢	نهى النبي عن بيع الحصاه	مسلم	٧٧٩
١٣	نهى النبي عن بيع الكالئ بالكالئ	البيهقي	٧٨٦
١٤	نهى رسول الله عن الشرب مما في السقاء	البخاري	١٣٠٦
١٥	نهى رسول الله عن القزع	البخاري ومسلم	٥٩٥
١٦	نهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان	البخاري ومسلم	٩٥٩
	حرف الهاء		
١	هذا جبريل آتاكم يعلمكم دينكم	البخاري ومسلم	١٢
٢	هذه سبيل الله مستقيما ثم خط عن يمينه	الحاكم وغيره	٣٠٣
٣	هل لك من إبل	البخاري ومسلم	٥١٠
٤	هلا أخذتم إهابها فدبغتموه	مسلم	٤٨٩
٥	هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك	البخاري	١٨٢٨
٦	هلك المتنطعون	مسلم	٣٠٣
٧	هممت أن آمر رجلاً	البخاري ومسلم	٤٧٧
٨	هو الطهور ماؤه الحل ميتته	رواه الخمسة	٤٨٨

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٣٠	ولكني أقوم وأنام وأصوم وأفطر	البخاري ومسلم	١١٠٥
٣١	وما كان يدريه أنها رقية	البخاري	٢٤٤
٣٢	ومن فتح على نفسه باب مسألة	الترمذي	٢٢٣
٣٣	ومن مشى مع مظلوم حيث يثبت له حقه	ابن أبي الدنيا	١٢٦٧
٣٤	ومن نام عن حزبه أو شيء منه	مسلم	١٣٤٤
٣٥	ومن نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها	البخاري ومسلم	٥٧٨
٣٦	وهل يكب الناس في النار على وجوههم	البخاري ومسلم	١٢٢٢
٣٧	ويحتجم الجنب ويقلم الأظافر	البخاري	٥٦٥
٣٨	ويكتبون لكل جنين عمله ورزقه	البخاري ومسلم	١٣٠
٣٩	ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم	الترمذي وغيره	١٧٢٤
	حرف الياء		
١	يؤتي يوم القيامة بالقرآن وأهله	مسلم	٥٢٥
٢	يا ابن آدم أنا خلق جديد	أبي نعيم في الحلية	٢٢٢١
٣	يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء	الترمذي وغيره	١٣٧٨
٤	يا ابن عباس لا تشهد إلا على ما	الحاكم وغيره	٢٢٣٢
٥	يا ابن مسعود إن الله أقدر عليك منك على هذا	مسلم	١٤٧٤
٦	يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد	البخاري ومسلم	٢٢٤٩
٧	يا أبا بكر إنه كان معك ملك يرد عنك	أحمد	١٢١٤
٨	يا أبا بكر لقد مر بهذا الوادي هود	أحمد	٢٠٩٨
٩	يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما	البخاري	١٣٣٤
١٠	يا أبا ذر أعيرته بأمه	البخاري	٧٤٠
١١	يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير من	ابن ماجة	١٥
١٢	يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك	الطبراني	٢١٦٥
١٣	يا أبا عمير ما فعل النغير	البخاري	٢٠٠١
١٤	يا أسامة اتشفع في حد من حدود الله	البخاري ومسلم	١٣١٩
١٥	يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض	أبو داود وغيره	٣٨٩
١٦	يا أهل القرآن أوتروا	الترمذي وغيره	٥٨١
١٧	يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا	ابن ماجة وغيره	٢٢١
١٨	يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة	الحاكم وغيره	٣٨٠
١٩	يا أيها الناس إن الله يقول لكم مروا بالمعروف	ابن ماجة وغيره	١٢٦٤
٢٠	يا أيها الناس إن ربكم واحد لا فضل لعربي على	أحمد وغيره	٩٧

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٢١	يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم	البخاري	١٩٩٦
٢٢	يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون	مسلم	٢٠٠١
٢٣	يا بلال حدثني بأرجئ عمل عملته	البخاري ومسلم	٣٥٢
٢٤	يا بنيٰ عبد المطلب لولا أن يغلبكم الناس	الترمذي وغيره	٣٣٠
٢٥	يا بنية قومي اشهدي رزق ربك	البيهقي	٢٢٥٠
٢٦	يا رسول الله: أيكون المؤمن بخيلاً قال:	مالك	١٢٨٢
٢٧	يا رسول الله أخبرني عن أول بيت وضع في الأرض	البخاري ومسلم	٢٠٩٨
٢٨	يا رسول الله أدركت أبي شيخاً كبيراً... أحج عنه	البخاري ومسلم	١٥٥٠
٢٩	يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس قال	ابن ماجة	٢١٨٣
٣٠	يا رسول الله إن فلانه تكثر من صلاتها غير أنها تؤذي	أحمد وغيره	١٢٠٩
٣١	يا رسول الله هل بقي عليٰ من بر أبواي شيء	أبو داود وغيره	١٩٧٧
٣٢	يا سعد أطب مطعمك	الطبراني وغيره	٢٢١
٣٣	يا عائشة: إناء مثل إناء	أبو داود وغيره	١٨٥٤
٣٤	يا عائشة: ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت	البخاري	١٤٣٥
٣٥	يا عائشة: ما كان معكم من لهو	البخاري	٣٨٦
٣٦	يا عائشة: من ترضين حكماً بيني وبينك	أحمد	١٨٧٦
٣٧	يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي	البخاري	١٤٣٥
٣٨	يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء	الترمذي	١٤٦١
٣٩	يا عبادي إنما هي أعمالكم	مسلم	٢٠٧٣
٤٠	يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي	مسلم	١٢٥٧
٤١	يا عباس ألا تعجب من	البخاري	١١٦
٤٢	يا عبد الله بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك	البخاري ومسلم	٨٩٤
٤٣	يا عبد الله ما فعلت بالريطة	ابن ماجة وغيره	٣٩٤
٤٤	يا عليٰ لا تتبع النظرة النظرة	الحاكم وغيره	٢٧٤
٤٥	يا عمر قم فناد إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون	البخاري	٧٥٨
٤٦	يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب	الترمذي وغيره	٥٦٣
٤٧	يا غلام احفظ الله يحفظك	الترمذي وغيره	١٨٦٢
٤٨	يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله	الترمذي	١٣٨٥
٤٩	يا غلام سم الله وكل بيمينك	البخاري	١٣٠٦
٥٠	يا فتىٰ لقد شققت عليٰ	كنز العمال	٢١٦١
٥١	يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم	أحمد	٤٩
٥٢	يا محمد عش ما شئت فإنك ميت	الحاكم وغيره	٢١٩٥

م	بداية الحديث	الراوي	الصفحة
٥٣	يا محمد متى الساعة	البخاري ومسلم	١٦٣
٥٤	يا معشر الشباب من استطاع منكم	البخاري ومسلم	١٨٠٨
٥٥	يا معشر المهاجرين خصال خمس	ابن ماجة وغيره	١٢٤٩
٥٦	يأتي أحدكم ثائر الشعر كأنه شيطان	البخاري ومسلم	١٣٠٥
٥٧	يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ	البخاري	١٢٨٧
٥٨	يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه	ابن حبان وغيره	١٢٥١
٥٩	يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة	البيهقي	١٧١٢
٦٠	يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة	أبو داود وغيره	٣٥٩
٦١	يبعث كل عبد على ما مات عليه	مسلم	٢١٩٥
٦٢	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	البخاري ومسلم	١٢٧
٦٣	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	البخاري ومسلم	٢٠٢٧
٦٤	يخرج العوائق وذوات الخدور الحيض	البخاري ومسلم	٥٩٨
٦٥	يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار	الترمذي	٧٦٥
٦٦	يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار	البخاري ومسلم	١٩٦
٦٧	يدخل عليكم رجل من أهل الجنة	أحمد وغيره	١٢١٨
٦٨	يشفع يوم القيامة ثلاث	ابن ماجة	١٧١٢
٦٩	يصبح على كل سلامى من الناس صدقة	مسلم	٥٨٢
٧٠	يطبع المؤمن على الخلال كلها	أحمد وغيره	١٢٧١
٧١	يطوف الرجل بزكاته فلا يجد من يأخذها	البخاري	٦٠٦
٧٢	يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها	مسلم	١١٥
٧٣	يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق	البخاري	٦٢٩
٧٤	يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين	مسلم	١٦٣٩
٧٥	يقال لصاحب القرآن في الجنة اقرأ ورتل	الترمذي وغيره	١٣٤١
٧٦	ينادي مناد: يا أهل الجنة خلود بلا موت	البخاري ومسلم	٢٢٠٢
٧٧	يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار	البخاري ومسلم	١٢٥١
٧٨	يوشك أن تتداعى عليكم الأمم	أبو داود وغيره	١٦٣٥
٧٩	يوم القيامة يسأل العبد لمن هذا القصر	الحاكم وغيره	١٢١٨

فهرس

الموضوع **صفحة**

الباب السابع

ملاحق الموسوعة

صف وإخراج
محمود محمد المتولي عوض حجاز
مصر ـ المنصورة ـ مركز طلخا ـ ميت عنتر
☎ ٢٥٢٩٩٠٧ / ٠٥٠ / ٠٠٢ محمول ٠١٢٧٤٠٣٢١٥

دعوتان - رجاء - وصية

١ - دعوة للترجمة :

هذه دعوة مفتوحة **للمترجمين الفضلاء**[١]، الذين يريدون إيصال الخير للإنسانية جميعاً، ويحرصون على أن يظل نهر حسناتهم جارياً حتى يوردهم الحوض.

إن الإنسانية تحتاج إلى ترجمة هذه الموسوعة فهنيئاً للمشمرين .

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٠٩).

٢ - دعوة للخير :

إن المراكز الإسلامية في أنحاء العالم وخاصة أوروبا لهي في حاجة ماسة إلى هذا النوع من المؤلفات الإسلامية، والتي تتيح للمسلمين هناك المعرفة الصحيحة والشاملة للإسلام.

فجزى الله خيراً من ساهم أو كان سبباً في إرسال هذه الموسوعة إلى هذه المراكز الإسلامية، سواء فعل ذلك بنفسه، أو أرشد غيره من أهل الخير والبر إلى ذلك، قال رسول الله ﷺ: **«الدال على الخير كفاعله»**[٢].

---

(١) من يتفضل بذلك يرسل إلينا أولاً، حتى ننسق الجهود سوياً.

(٢) رواه مسلم، إمارة ١٣٣ .

٣ ـ رجـاء :

إنَّ الكمال لله وحده ، وكل إنسان يؤخذ من كلامه ويُرد إلا صاحب الروضة الشريفة محمد ﷺ، وكل مجتهد يُخطئ ويُصيب .

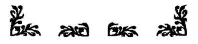
لذا أرجو منك ـ أخي القارئ الكريم ـ الآتي :

١ ـ إذا وجدت خطأً أو تقصيراً أرسل إلينا لكي نصححه في الطبعات القادمة .

٢ ـ إذا كان عندك فكرة أو إضافة في باب معين تتمم هذا العمل أرسلها إلينا لكي ننشرها في مكانها .

٤ ـ وصية :

أوصي دار الطباعة التي ستقوم بطباعة الموسوعة ـ بعد موتي إن شاء الله ـ بألا تأخذ إلا ثمن الطباعة والتجليد والورق وربح بسيط للتوزيع والنشر ، أما الصف على الكمبيوتر والتصحيح وحقي في التأليف فهذا كله صدقة جارية أحتسبها عند الله أن تكون علماً نافعاً ، وأدعوه أن يجعلني في ظل صدقتي يوم القيامة أنا وذريتي وجميع المسلمين . . آمين .



التعريف بالمؤلف

الاســم : محمد مصطفى عباس .

مواليــد : ٢٢/ ٧/ ١٩٥٨م .

العنوان : جمهورية مصر العربية ـ محافظة دمياط ـ بندر كفر سعد ـ نهاية شارع دمياط .

رقم الهاتف : ٦٠١٩٥٨ / ٠٥٧ / ٠٠٢

البريد الإلكتروني :

M-Abbas1967@hotmail.com

M-Abbas1967@yahoo.com

المؤهلات الدراسية :

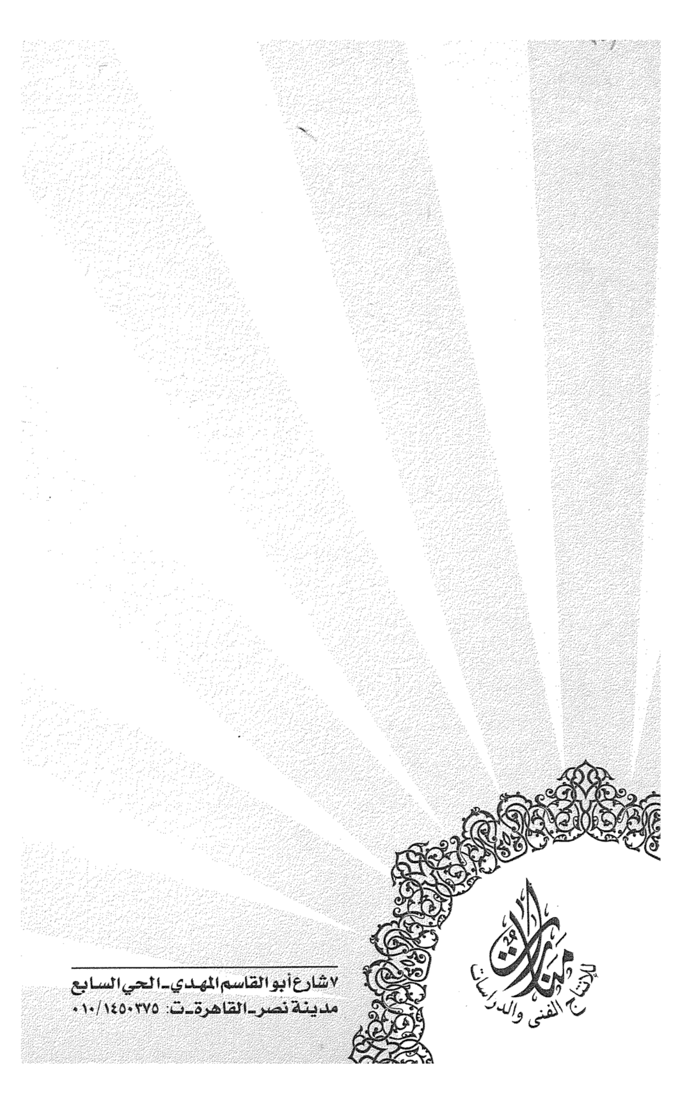
١ ـ حاصل على معهد المعلمين العام في مايو ١٩٧٨م .

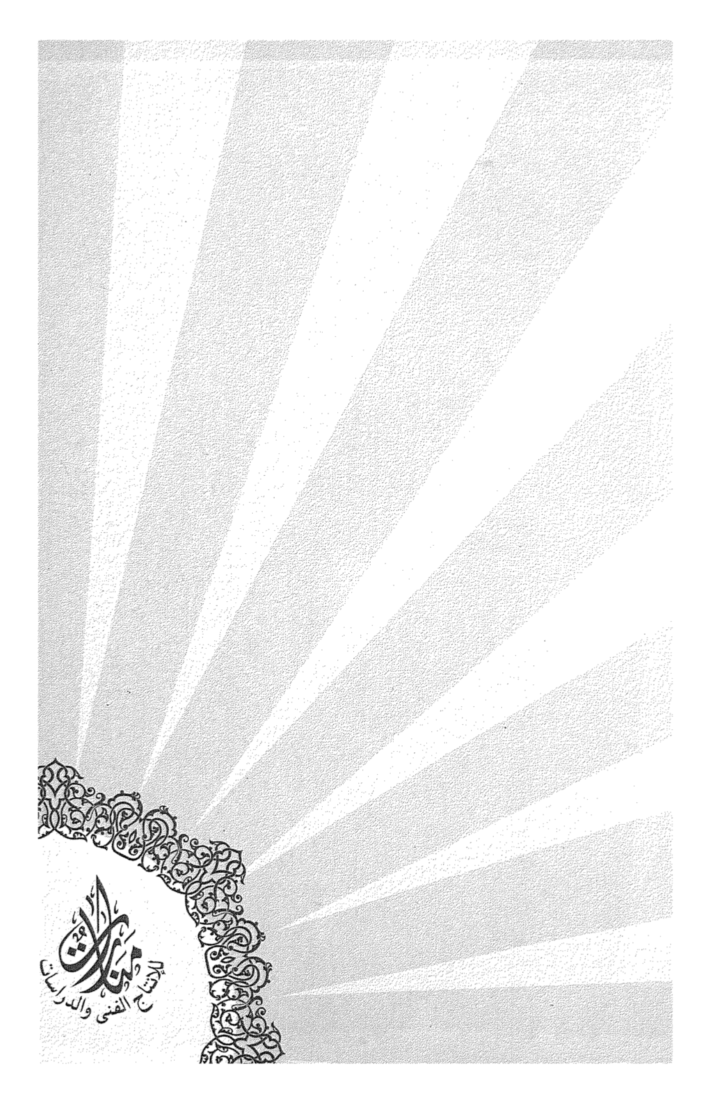
٢ ـ حاصل على بكالوريوس في العلوم والتربية قسم رياضيات مايو عام ١٩٨٢م .

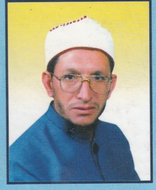
٣ ـ حاصل على دبلوم الدراسات الإسلامية العليا يوليو عام ١٩٨٦م .

٤ ـ حاصل على الإجازة العالية « الليسانس » في أصول الدين والدعوة قسم الحديث وعلومه بجامعة الأزهر مايو عام ١٩٩٧م .

٥ ـ حاصل على شهادة التجويد من معهد القراءات بالأزهر الشريف مايو عام ٢٠٠٣م .


منارات
للإنتاج الفني والدراسات
٧ شارع أبو القاسم المهدي - الحي السابع
مدينة نصر - القاهرة - ت: ١٤٥٠٣٧٥ / ٠١٠


منارات
للإنتاج الفني والدراسات



الأستاذ/ محمد مصطفى

هذه الموسوعة

هذا هو الإسلام

إذا طلب منك إنسان - لا يعرف شيئا عن الإسلام أن ترشده إلى كتاب يَعرف الإسلام من خلاله.. وإذا طلب منك مسلم أن ترشده إلى كتاب يفهم الإسلام فهما صحيحًا عمليًا من خلاله.. فإلى أي كتاب سترشدهما رغم ما بينهما من تباين؟

إنها هذه الموسوعة الجديدة فى فكرتها وأسلوبها.. يستفيد منها الإنسان فى أي مكان من أرجاء المعمورة، فكل عبارة فيها تحمل قيمة علمية أو توجيهًا أخلاقيًا أو حلا عمليًا لمشكلة أو رابطة أسرية اجتماعية.

هذه الموسوعة تخاطب الإنسان من حيث كونه إنسان بغض النظر عن انتمائه الفكري والعقيدي، سواء له ديانة أو تشريع، أو ليس له ديانة أو تشريع، سيجد فيها ما ينفعه فى دنياه وما يدفعه إلى إلتزام هذا الدين والدخول فى الإسلام العظيم، كما قال أحد المستشرقين: ((إن أوربا كلها إلى الإسلام إن لم يكن دينًا وعقيدة فسلوكًا وأخلاقًا)).

هذه الموسوعة تحتاجها أيضا المراكز الإسلامية فى أوربا وغيرها فهى تغنيها عن كثرة الكتب والكتيبات والنشرات والإرشادات العلمية والعملية.

هذه الموسوعة تضم بين دفتيها أبوابًا شتى من المعرفة منها : ... والتشريع، الأخلاق والمدنية والحضارة، المرأة والأسرة، الفقه وأصـ... الشرعية، الدعوة والفهم والتفسير، المناسبات، والقضايا المعاصرة)).

هذه الموسوعة تجد فيها واقع عملي لهذه العبارة : ((إن عمر رضـ... الفقيه العبقرى لا يحمل داخل عقله فتاوى كالقوالب الجامدة، وإنما يـ... يتحرك فى كل الاتجاهات)).

هذه الموسوعة تعطيك مقدمتها ومقدمة الأبواب والخاتمة فوائد كـ... فالمقدمات والخاتمة فيها موضوعات ودُرر عظيمة الفائدة إن شاء الله...

الناشر